سطر ٣٦

٣٦

قد وقف هذا الكتاب المستطاب راجية الطاف رب الوهاب صاحبة الخيرات والحسنات راغبة الدرجات
والمبرات صفية الذات علية الصفات حضرت مهرشاه سلطان والدة حماه الرحمن ام السلطان [illegible]
وخليفة رب العالمين السلطان ابن السلطان السلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان
ابن السلطان احمد خان ايده الله ونصره الى نهاية الدوران [illegible]
العبد المحتاج الى توسل الرحمان محمد عطاء الله [illegible]
زاده المفتش بامور اوقاف الحرمين الشريفين الحقير
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين قد تقدم تفسيره وقوله نتلو عليك من
نبإ موسى وفرعون بالحق اي نقرأ عليك خبر موسى وفرعون بحقيقة لقوم يؤمنون
ان فرعون علا في الارض اي تجبر وتكبر في ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا يكرم قوما
ويذل آخرين يستضعف طائفة من اهلها باستعباده اياهم وهم بنو اسرائيل كان يكلفهم الاعمال الشاقة ومن كان
منهم لا يصلح لعمله كان يأخذ منهم كل يوم درهما ضريبة فاذا غربت الشمس ولم يأت به غلت يده الى
عنقه واقران يعمل شهرا كذلك قوله يذبح ابناءهم اي يذبحهم صغارا ويستحيي نساءهم
للخدمة وسبب ذلك انه قيل له سيذهب ملكك ولد يولد من بني اسرائيل قوله انه كان من
المفسدين يصلح ان يكون جزاء ويصلح ان يكون تعليلا قوله تعالى ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا معناه نحن نريد ان نمن في سابق علمنا على الذين قهروا منهم وهم بنو
اسرائيل ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في الدين ونجعلهم الوارثين لدار اهل مصر واموالهم ونريد ان نمكن
لبني اسرائيل في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم كانوا يخافون
من جهتهم من ذهاب ملكهم على ايديهم ويقرأ ويرى فرعون بالياء وضم فرعون على تقدير وجود
العلم منهم وفي الآية تسلية للمظلومين وترغيب لهم في الصبر على الظلم قوله تعالى واوحينا الى
ام موسى ان ارضعيه لم يرد بالوحي وحي الرسالة وانما اراد به الالهام كما في قوله واوحى ربك
الى النحل ويقال الهمها الله تعالى في المنام فعرفته بتعبير الرؤيا والوحي في اللغة هو القاء المعنى
الى النفس في الخفية بالسرعة ولم يكن ما القي اليها كلاما افصح لها به وهذا كما اخبر عز وجل عن زكريا
عليه السلام فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وذهب بعضهم الى ان الله تعالى بعث ملكا حتى
خاطبها كما بعث الى مريم عليها السلام في قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة
وقوله ان ارضعيه اي ارضعيه ما لم تخافي عليه الطلب فاذا خفت عليه الطلب فالقيه في
اليم اي في البحر روي انها قالت يا رب اني اخاف عليه حيتان البحر فامرت ان تجعله في تابوت مقير
فذهبت الى النجار فامرته ان يتخذ تابوتا على قدره فعرف النجار ذلك فذهب الى الوكلاء الموكلين
بذبح بني اسرائيل ليخبرهم بذلك فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه ففعل ذلك ثلاث مرات فعرف انه من عند الله
عز وجل فسلم التابوت اليها فوضعته في التابوت والقته في النيل وقوله ولا تخافي اي لا تخافي
عليه الغرق والهلاك ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الى فرعون وقومه
وهذه الآية تضمنت امرين ونهيين وخبرين وبشارتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما القته
في البحر اقبل يهوي به الامواج وكان منزل فرعون منها على فرسخين فاقبل التابوت يهوي حتى كان
بحيال منزل فرعون فخرجت جواري فرعون يستقين الماء فابصرن التابوت بين الشجر والماء
فاخذنه وذهبن به الى امرأة فرعون وذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
معناه ليصير امرهم الى ان يكون هو لهم عدوا وحزنا فهذه لام العاقبة لان احدا لا يلتقط
الولد ليكون لهم عدوا ونظير هذا قول القائل له ملك ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب
ويقال للذي اكتسب مالا فاداه الى الهلاك ما اكتسب فلان ذلك المال الا لحتفه وقوله ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي متعمدين في ذنب الاقامة على الكفر
والمعصية يقال خطئ فلان يخطأ خطأ اذا تعمد الذنب واخطأ اذا وقع منه على غير الصواب وفي
الآية بيان بدائع صنع الله تعالى حيث جعل لموسى عليه السلام النجاة في سببي الهلاك احدهما البحر والآخر
فرعون لعنه الله قوله تعالى وقالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك وذلك ان فرعون لعنه الله

هم بقتله فقالت له امرأته آسية بنت مزاحم انه ليس من اولاد بني اسرائيل فان نساءهم يشفقن على
اولادهن ويكتمنهم خوفا منا عليهم فكيف تظن بالوالدة ان تلقي ولدها بيدها في اليم وقالت ان
هذا الغلام قرة عين لي ولك لا تقتلوه ايها الملك عسى ان ينفعنا في امورنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون
عاقبة امرهم ولا يشعرون ان هلاكهم يكون على يديه قوله تعالى واصبح فؤاد ام موسى
فارغا معناه واصبح قلب ام موسى عليه السلام وهي يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب فارغا
من كل شيء الا من هم موسى وذكره قد كادت تظهر قصته وقصة ولدها وان تقول يا ابناه لولا
ان ربطنا على قلبها اي لولا ان شددنا على قلبها بالصبر عن اظهار ذلك لتكون من المصدقين بما
سبق من الوعد ولو اظهرت لكان ذلك سببا لقتله والربط على القلب هو الهام الصبر وتقويته
يقال ربطني فلان بالمدينة باحسانه ويراد بذلك تقوية القلب باحسانه والصبر من الايمان بمنزلة
الرأس من الجسد فلذلك قال لتكون من المؤمنين وقيل في معنى فارغا من الصبر على فراقه لشدة ثقتها
بالله عز وجل لولا ان ربطنا على قلبها لابدت به لثقتها بالوعد وقالت لاخته قصيه معناه وقالت
ام موسى عليه السلام لاخته وهي مريم ابنة عمران اتبعي اثره تتبع اثار التابوت فذهبت في اثر التابوت
فبصرت بموسى عليه السلام عن جنب اي عن بعد فاخذوه وهم لا يشعرون انها جاءت للتعرف
عن خبره لانها كانت مجانبة تحديق النظر اليه كيلا يعلم بما قصدت له قوله تعالى وحرمنا
عليه المراضع من قبل اي معناه الا يرتضع من قبل مجيء امه وكان يبكي ولا يقبل ثدي امرأة حتى
اشتد حزنهم عليه وقد يذكر التحريم بمعنى المنع كما قال الشاعر جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري
اني امرؤ صرعي عليك حرام اي ممتنع ويقال حرم فلان على نفسه كذا اذا امتنع منه كما يمتنع بالنهي
وقوله فقالت هل ادلكم على اهل بيت اي قالت اخت موسى عليه السلام هل ادلكم على اهل
بيت يكفلونه لكم هذا الغلام ويبذلون النصح في امره فقال هامان خذوها فانها تعرف ام الغلام
فاخذت فالهمها الله عز وجل عند ذلك حتى قالت انما قلت ذلك نصيحة للملك بما قلت وهم له ناصحون
فقال فرعون لهامان دعها فقد صدقت وكانت الاخت تقول انها امرأة قد قتل ولدها فاحب
الاشياء اليها ان تجد صبيا ترضعه فقالوا نعم ايتينا بها فانطلقت الى امه فجاءت بها فلما قبل الولد ثديها
وشرب لبنها قال فرعون من انت من هذا الصبي وما حالك معه قالت اني امرأة طيبة الريح واللبن
لا اوتى بصبي الا ويقبل ثديي ويشرب لبني قوله عز وجل فرددناه الى امه كي تقر
عينها ولا تحزن عليه ولتعلم ان وعد الله الذي وعدت به من رده اليها حق ولكن اكثرهم
لا يعلمون من صحة وعد الله ما عرفته امه وقوله ولما بلغ اشده واستوى معناه ان فرعون
كان يربيه ويحفظه حتى اذا بلغ كمال العقل والقوة آتاه الله النبوة والعلم ويجوز ان يكون
المراد بالحكم الحكم الذي يحكم به بين الناس والاشد في اللغة منتهى الشباب والقوة والاستواء تمام
الخلق واعتدال الجسم في الطول والعظم وانما يبلغ المرء هذا الحد في اثنين وعشرين سنة الى اربعين
سنة قال ابن عباس رضي الله عنهما ان موسى عليه السلام لما بلغ اربعين سنة آتاه الله
النبوة وفي قوله وكذلك نجزي المحسنين بيان ان ايتاء العلم والحكمة يجوز ان يكون
مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين والعليم الحكيم هو الذي يعمل
بعلمه لان الله تعالى قال ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون فجعلهم جهالا حين لم يعملوا بالعلم
قوله عز وجل ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها اي دخل مدينة فرعون
وكانت في مصر على فرسخين قال الحسن دخلها يوم عيدهم وكانوا مشتغلين عن موضع دخوله
باللهو واللعب ويقال كان دخوله فيها وقت القيلولة وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان

الاقتتال افتعال من القتال والقتال والمقاتلة واحد وقوله هذا من شيعته معناه
احدهما من شيعته وكان من بني اسرائيل واحدهما من عدوه وهو من القبط كان القبطي يسخر
الاسرائيلي وكان يكلفه حمل الحطب الى دار فرعون وكان الاسرائيلي يابا وقيل كانا
يقتتلان في الدين فاستنصره الاسرائيلي على القبطي فضربه موسى بجمع كفه في صدره فقضى
عليه اي فرغ منه بالقتل فوقع القبطي ميتا وقيل وكزه بعصاة والوكز واللكز واللهز بمعنى
واحد وهو الدفع قال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان اي من اغوائه ووسوسته حتى
زدت على الايقاع بالرجل وان كنت لم اتعمد قتله وقوله انه عدو اي الشيطان عدو
لبني ادم عليه السلام داع لهم الى الضلال مبين العداوة لهم قال موسى يا رب اني ظلمت نفسي
بقتل القبطي قبل ورود الاذن لي فيه فاغفر لي ذنبي فغفر الله له انه هو الغفور الرحيم وانما
استغفر موسى عليه السلام عن ذلك الذنب وكان صغيرة منه لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا
كبيرة مع الاستغفار وانما كان ذلك ذنبا لانه كان يمكنه ان يخلص الاسرائيلي منه بالرفق او
بالضرب لا بالقتل قوله قال رب بما انعمت علي بما مننت علي من اعطاء العلم والحكم
وايجاب المغفرة فلا ادع معاونة الاسلاميين على المجرمين بسبب ما جرى علي من الخطا وفي
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فلا تجعلني ظهيرا للمجرمين قوله تعالى فاصبح في المدينة
خائفا معناه واصبح موسى عليه السلام في المدينة من غد ذلك اليوم خائفا على نفسه من فرعون
وقومه يترقب اي ينتظر ما يكون من امره فاذا ذلك الاسرائيلي الذي استنصره بالامس يستغيثه على
رجل اخر من القبط قال موسى عليه السلام للاسرائيلي انك لغوي اي ضال عن طريق الخير مجادل
بين الجدال تقاتل من لا تقاومه فلما ان اراد موسى عليه السلام ان يبطش بالقبطي الذي هو
عدو لهما ظن الاسرائيلي بقول موسى عليه السلام له انك لغوي مبين انه يريد ان ياخذه فقال له
يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت قبطيا بالامس ما تريد الا ان تكون جبارا اي قتالا في الارض
مصر وما تريد ان تكون من المصلحين من الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال
ابن عباس رضي الله عنهما فلما سمع القبطي مقالة الاسرائيلي علم ان موسى عليه السلام هو الذي
قتل القبطي بالامس فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك فارسل فرعون الى اولياء المقتول ان
اقتلوا موسى عليه السلام وقيل في معنى هذه الابيات قوله اتريد ان تقتلني من قول القبطي
قال ذلك ظنا منه على موسى عليه السلام او سمعا بانه هو الذي كان قتل قبطيا بالامس وحجوا
هذا القول بانه لعله قال فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى كما تقضى
اللفظ ان هذا القول كان من عدوهما فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في
الارض لا يليق الا ان يكون قولا للكافر منهما قوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
معناه وجاء رجل من ابعد اطراف المدينة وهو حزبيل مؤمن من ال فرعون يسرع في مشيه وكان
يكتم ايمانه على وجه التقية فلما راهم يتشاورون في قتل موسى عليه السلام عند فرعون جاءه بالسرعة
فقال ان الخواص من قومه يأتمرون بك اي يتشاورون في قتلك فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين
والائتمار في اللغة هو ان يامر بعضهم بعضا يقال ابتمر القوم وتوامروا كما يقال اقتتلوا وتقاتلوا واختصموا
قوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب معناه خرج موسى عليه السلام من المدينة خائفا
يترقب ينتظر متى يلحق فيوخذ قال عند ذلك رب نجني من القوم الظالمين اي من فرعون وقومه
قوله عز وجل ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل معناه
ولما سار نحو مدين قال عسى ربي ان يرشدني قصد الطريق الى مدين وذلك انه خرج من مصر

هاربا هائما على وجهه لا يدري اين يذهب فخاف ان يخطئ الطريق وقيل كان قصد
سلوك الطريق التي تفضي الى مدين ولكن ضل الطريق فخاف ان يذهب يمينا وشمالا ومدين
اسم ماء لقوم شعيب بينه وبين مصر ثمانية ايام سمي ذلك الماء باسم مدين الذي هو مدين من ولد
ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد
من دونهم امراتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير
معناه ولما بلغ بئرهم التي كانوا يسقون منها وجد على ذلك الماء جماعة من الناس يسقون اغنامهم
ووجد من ورائهم امراتين يحبسان غنمهما حتى لا تختلط بغيرها وحتى لا تقرب الماء الى ان يفرغ
القوم قال لهما موسى عليه السلام ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان غنمكما وليس معكما محرم قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء بغنمهم فنسقي اغنامنا بفضل مائهم في الحوض وابونا شيخ كبير ضعيف
ليس لنا احد غيرنا لذلك احتجنا ونحن نشا ان نسقي ومن قرا حتى يصدر الرعاء بضم الياء وكسر الدال
فالمعنى حتى يصرف الرعاء غنمهم والصدر هو الانصراف عن الماء والاصدار هو صرف الغير عنه
ومن ذلك سمي الصدر صدرا لان التدبير يصدر عنه ويسمى المصدر مصدرا لان الافعال
تصدر عنه والرعاء جمع راع مثل صاحب وصحاب واختلفوا في الشيخ المذكور في الاية قال
بعضهم رحمهم الله كان شعيبا عليه السلام وقال الحسن رضي الله عنه هيهات ان يكون شعيبا
بل هو رجل مسلم قبل الدين من شعيب ومات شعيب قبل ذلك وقيل له يثرون ابن اخي شعيب
عليه السلام قوله عز وجل فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من
خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا
فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين معناه فسقى لهما اغنامهما
قبل الوقت الذي كانا يسقيان فيه من قبل ثم رجع من الشمس الى ظل الشجرة وقيل الى ظل الظلة
فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير محتاج الى ما قدرت لي من الطعام وكان خرج من مصر
بغير زاد وكان لا ياكل في الايام الثمانية الا الحشيش الى ان بلغ مدين فلما ادركه الجوع الشديد
[illegible] سال الله تعالى [illegible] من الطعام وقال الحسن رضي الله عنه [illegible]
زيادة في علمه وقوله عز وجل فجاءته احداهما تدل على اختصار في الاية وذلك ان المراتين رجعتا
الى ابيهما قبل الوقت الذي كانتا ترجعان اليه من قبل فقصتا عليه فارسل احداهما وهي
الصغرى منهما واسمها صفورا ارسلها لتدعوه فجاءته تمشي على استحياء مستترة واضعة كمها
على وجهها معترضة من الحياء تمشي من بعيد التحرج والخروج فقالت ان ابي يدعوك ليجزيك
اي ليعطيك اجر ما سقيت لنا غنمنا [illegible] على موسى عليه السلام [illegible]
[illegible] فلم يجد بدا من اتباعها لانه كان بين الجبال جائعا مستوحشا فلما
جاءه قال له شعيب عليه السلام من انت فقال انا رجل من بني اسرائيل من اهل مصر ثم استنسب لوجه
ما كان منه من قتل القبطي وفراره من فرعون فقال له شعيب عليه السلام لا تخف يا موسى نجوت
من القوم الظالمين فانهم ليس لهم سلطان بارضنا قوله عز وجل قالت احداهما يا ابت
استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين معناه قالت احداهما لابيها يا ابت اجعله اجيرا
فان خير من اتخذته اجيرا على عملك الذي يقوى على العمل ويودي الامانة فيه وكانت قد عرفت
بالقوة لانه سقى غنمهما بقوته كما روي انه كان على راس البير حجر لا يرفعه الا عشرة من الاقويا
[illegible] ورفع الحجر بنفسه ثم استعانها [illegible] دلوها
الذي كان لا ينزع الا اربعون رجلا فارسله في البير ونزعه بنفسه سهلا وانما وصفته

بالامانة لان موسى عليه السلام لما مضى معها الى ابيها تقدم امامها وامرها ان تمشي خلفه فتدله
على الطريق وقال انا من قوم لا ينظرون الى ورا النسا ويقال لا مرها بذلك لانه خاف ان يكشف
الريح شيا منها او من شعرها فامرها بالتاخر وفي الاية دليل ان الاولى ان يفوض الامور الى
القوي الامين كما روي ان عمر رضي الله عنه قال لا يصلح لامور المسلمين الا القوي من
غير عنف والرفيق من غير ضعف **قوله عز وجل** قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني
ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي
والله على ما نقول وكيل معناه قال له ابوهما اني اريد ان انكحك اي ازوجك احدى ابنتي
هاتين على ان تعمل لي وترعى غنمي باجر الى ثماني سنين فان اتممت عشرا فهو تفضل منك وما اريد
ان اشق عليك فاكلفك غير العمل المشروط ولا فوق الطاقة ستجدني ان شاء الله حسن الوفا بعهده
قوله قال موسى عليه السلام ذلك الشرط بيني وبينك اي الاجلين قضيت وفيت واتممت الثماني
او العشر فلا حرج علي والله على ما نقول شهيد على ما عقد بعضنا على بعض وحرف ما في قوله ايما صلة
مؤكدة للكلام والمعنى اي الاجلين قضيت ومن الناس من يحتج بهذه الاية في جواز عقد النكاح
على منافع الحر وليس فيها دلالة على ذلك لان شعيبا عليه السلام شرط على موسى عليه السلام منافعه لنفسه
لا لابنته فهو بمنزلة من تزوج امراة بغير مهر مسمى وشرط لوليها منافع نفسه مدة معلومة وهذا انما
يدل على ان عقد النكاح لا يبطل بالشرط الذي لا يوجبه العقد ويحتمل ان النكاح كان جائزا في تلك
الشريعة بغير مهر تستحقه المراة او بشرط منفعة الولي فان كان ذلك كذلك فهو منسوخ بشريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من
جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار
لعلكم تصطلون معناه فلما اوفى موسى عليه السلام اتم الاجلين وهو عشر سنين وسار باهله
نحو ارض مصر ابصر بالليل المظلم عن يسار الطريق من جانب الجبل نارا قال لاهله انزلوا ههنا اني
[illegible]
قوله عز وجل فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين معناه فلما اتى [illegible]
[illegible]
قوله عز وجل اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين

فاسقين

فاسقين معناه ادخل يدك في جيبك تخرج بيضا لها شعاع كشعاع الشمس من غير سوء اي من غير
برص وقوله تعالى واضمم اليك جناحك اي ضع يدك على صدرك ليسكن ما بك من الفزع فتصير امنا
مما كنت تخافه وهذا لان من شان الخايف ان يرتعد ويقلق فيكون ضم يده الى نفسه في معنى السكون
والرهب والرهب لغتان مثل الرشد والرشد ويقال ان قوله من الرهب متصل بقوله تعالى من
الآمنين وفي الاية تقديم وتاخير وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك اراد به العصا واليد
البيضا فهما حجتان من ربك ارسلناك بهما الى فرعون واشراف قومه انهم كانوا قوما خارجين عن طاعة
الله تعالى قوله تعالى فذانك يقرا بالتخفيف والتشديد فمن قرا بالتخفيف فهو تثنية ذا وكان القياس
ان يضم اليه الف ونون فحذفت الالف الاولى لالتقا الساكنين ومن قرا بتشديد النون قال
فالتشديد عوض عن الالف الذاهبة وتلك لغة قريش وذهب الزجاج رحمه الله الى ان المشددة تثنية
ذلك وتشديد النون بدل اللام في ذلك **قوله عز وجل** قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف
ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون
قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما
الغالبون معناه قال موسى عليه السلام يا رب اني قتلت من القبط نفسا فاخاف ان يقتلوني بدلها
واخي هرون هو ابين مني كلاما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسان موسى عليه السلام وقوله
تعالى فارسله معي ردا اي عونا مصدقا لي وهذا على قراة من يقرا برفع القاف جعله صلة للنكرة
ومن قرا بالجزم جعله جوابا للمسالة والردء هو المعين في دفع الردأة عن صاحبه وقوله تعالى قال
سنشد عضدك باخيك اي سنقويك وننصرك باخيك ولفظ العضد على وجه التمثيل وقوله تعالى
ونجعل لكما سلطانا اي حجة بينة يقال للزيت السليط لانه يستضاء به والسلطان ابين الحجج وقوله
تعالى ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا اي الى قتلكما واذا لكما تمتنعان منهما باياتنا
انتما ومن اتبعكما الغالبون لمن خالفكما **قوله عز وجل** فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا
ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن جا بالهدى
من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وذلك انهما ذهبا الى باب فرعون
فحجبا فقال موسى عليه السلام للبواب اذهب الى فرعون وقل له ان بالباب رسول رب العالمين
فدخل عليه فقال ان بالباب مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ومن هو قال لا اعرفه
الا ان معه هرون فقال ايذن لهما فاذن لهما فدخلا عليه واديا الرسالة واقاما المعجزة فلم
يقدروا على دفعها لابانة الآيات قالوا هذا سحر مخترع وما سمعنا احدا ادعى الرسالة في ابائنا
الاولين فلما جمع فرعون وقومه السحرة تبينوا ان ايات موسى عليه السلام ليست بسحر فغلبهم
موسى عليه السلام بايات الله فان قيل كيف قالوا وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين مع ان الله
تعالى قد بعث كثيرا من الرسل في ابائهم قيل انهم قالوا ذلك للفترة التي كانت بينهم وبين الرسل فطال
عهدهم بالرسل وجحدوا مع علمهم كما قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
ويحتمل انهم ارادوا بهذا الكلام ما بلغنا عن احد من ابائنا انهم اجابوا الرسل وقوله تعالى وقال
موسى ربي اعلم معناه هو اعلم بمن يدعو الى الهدى وبمن يدعو الى الضلال فلا يمكن من مثل ما
اتيت به من يدعو الى الضلال لانه عالم بما في ذلك من فساد العباد ولذلك قال انه لا يفلح الظالمون
قوله عز وجل وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا
هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين
معناه وقال فرعون لخواص قومه ما علمت لكم من اله غيري وهذه احدى كلمتيه اللتين اخذ

الله تعالى الهيهما والاخرى قوله انا ربكم الاعلى وقوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين اي اتخذ لي آجرا واجعل لي قصرا متسعا مرتفعا لعلي اطلع الى اله موسى ظن انه يمكنه ان يبلغ بصرحه الى السماء فيرى السماء وما فيها وظن ان اله موسى جسما يشاهد كما يقول المشبهة تعالى الله عن ذلك وقوله واني لاظنه من الكاذبين اعتراف منه بانه شاك لا يدري ما في السماء وهذا القول منه مناقضة في دعواه انه اله لانه لو كان الها لم يجهل ولم يشك والمبطل تظهر عليه المناقضة والحق هو الذي لا يتناقض وفي قول موسى عليه السلام لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر دليل انه الزم فرعون الحجة القاطعة **قوله عز وجل** واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ظاهر المراد **قوله عز وجل** وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين قال الحسن رضي الله عنه معنى وجعلناهم ائمة سميناهم قادة في الضلالة بكفرهم وذهابهم الى عمل اهل النار ذهب الى ان لفظ الجعل يطلق ويراد به التسمية كما يقال ان فلانا جعل فلانا سارقا اي سماه سارقا ويقال جعل القاضي فلانا تاجرا اي حكم بجرحه وقوله تعالى ويوم القيمة لا ينصرون اي لا يدفع عنهم عذاب الله تعالى وقوله تعالى واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة يريد به لعنة الملائكة والمؤمنين ويوم القيمة هم من المقبوحين اي من المشوهين في النار بسواد الوجوه وزرقة الاعين ونظير هذا قوله تعالى وهم فيها كالحون **قوله عز وجل** ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون معناه اعطينا موسى التورية من بعد ما اهلكنا الامم الماضية عظة وعبرة للناس ليبصروا امر دينهم واعطيناه هدى ونعمة لكي يتعظوا بما في التورية فيؤمنوا **قوله عز وجل** وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين معناه وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم بجانب الوادي الغربي اذ قضينا الى موسى اي اوحينا اليه الامر اي الرسالة وقومه وما كنت من الشاهدين لتلك الحالة حتى تخبر عنها امتك وانما اخبرناك بذلك لتكون معجزة لك وقوله تعالى ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا قرنا بعد قرن فتطاول عليهم العمر ونسوا العهود والمواثيق وكفروا بالرسل فاهلكناهم قرنا بعد قرن وما كنت يا محمد ثاويا اي مقيما في اهل مدين تقرا عليهم آياتنا ثم تقرا على قومك فتخبرهم عنهم خبر من شاهدهم ولكنا كنا مرسلين للرسل الى قرن بعد قرن نبين لهم قصة الاول والآخر كما بينا لك قصة الاولين **قوله عز وجل** وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون معناه ما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم بجانب جبل زبير اذ نادينا موسى يا موسى اني انا الله ويا موسى اقبل ولا تخف ولكن اوحيناه اليك وقصصناها عليك رحمة من ربك ويقال ولكن اعلمنا موسى عليه السلام بفضل امتك وبيان بعثك وصفتك اني باعث في العرب نبيا من ولد اسمعيل لتنذر يا محمد قوما لم ياتهم رسول تخوف قبلك لكي يتعظوا **قوله عز وجل** ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين محذوف الجواب المعنى لولا انه اذا اصابتهم عقوبة بما قدمت ايديهم فيقولوا عند نزول العذاب بهم ربنا

هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع كتابك ورسولك ونكون من المؤمنين لعجلنا لهم العقوبة ويقال معناه لولا اذا اصابتهم عقوبة الآخرة فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا في الدنيا لما ارسلناك وفي الآية بيان ان ارسال النبي محمد صلى الله عليه وسلم مبالغة في الزام الحجة وقطع المعذرة **قوله عز وجل** فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين معناه فلما جاء اهل مكة الحق من عندنا وهو القرآن قالوا هلا اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطي موسى اي هلا انزل عليه القرآن جملة واحدة كما انزلت التورية جملة واحدة وهلا اعطي محمد صلى الله عليه وسلم اليد والعصا والمن والسلوى وغير ذلك من الآيات الظاهرة مثل ما اعطي موسى عليه السلام من الآيات قالوا ساحران تظاهرا يعنون محمدا وموسى عليهما السلام وقالوا انا بكل منهما كافرون ومن قرا سحران تظاهرا اراد بذلك انهم عنوا به التورية والقرآن ويقال ان قوله تعالى اولم يكفروا اكناية عن قوم فرعون كفروا بما اعطي موسى ساحران تظاهرا قالوا في العصا واليد البيضاء سحران تظاهرا وذهب بعضهم رحمهم الله الى ان هذا مقالة اليهود قالوا ان محمدا وعيسى عليهما السلام ساحران ومما يؤيد القول الاول انه تعالى قال بعد هذه الآية قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى من التورية والقرآن حتى اتبعه ان كنتم صادقين ان التورية والقرآن سحران تظاهرا فصدق كل واحد منهما الآخر فلما عجز اهل مكة عن اتيان كتاب مثل القرآن قيل للنبي صلى الله عليه وسلم فان لم يستجيبوا لك اي ان لم يجيبوا الى ما سالتهم ولا يجيبون فاعلم انهم انما يعملون بهوى انفسهم بغير علمهم بالقرآن بغير حجة انه حق ومن اضل ممن عمل بهوى نفسه بغير حجة من الله تعالى ان الله لا يهدي من ظلم نفسه في اتباع الهوى ولا يثبت على ملته **قوله عز وجل** ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون معناه ولقد وصلنا لاهل مكة ذكر الانبياء صلوات الله تعالى عليهم والامم واقاصيص بعضهم لبعض فاخبرناهم انا اهلكنا قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا لكي يتعظوا بالقرآن فينجوا فوالله ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم واصل التوصيل واصل الحبال بعضها ببعض قال الشاعر فقل لبني مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يوصل واما قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون اهل الكتاب اعطوا علم التورية قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فآمنوا بالقرآن وصدقوا به **قوله عز وجل** واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين وهذا قول مؤمني اهل الكتاب **قوله عز وجل** اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون معناه انهم يعطون اجرهم مرتين مرة لايمانهم به قبل بعثه ومرة لايمانهم به بعد بعثه ويقال مرة لايمانهم بموسى عليه السلام ومرة لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وصبرهم على اذى الكفار وقوله تعالى ويدرؤن اي يدفعون ما يلحقهم من الاذية بالحلم والاحتمال ويستدركون بما يعملون من الحسنات ما يقدم منهم من السيئات ومما اعطيناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله تعالى **قوله عز وجل** واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين معناه واذا خوطبوا بالسفاهة ردوا عليهم جميلا واعرضوا عن الكلام الذي لا فائدة فيه وقالوا لنا

جزاء اعمالنا ولكم جزاء اعمالكم وقوله تعالى سلام عليكم سلام مباركة وتسليم لا سلام تحية
كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه حين قال له ابوه لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال سلام
عليك وقوله تعالى لا نبتغي الجاهلين معناه لا نطلب مجالسة الجاهلين ومجادلتهم قوله
عز وجل انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم
بالمهتدين ذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الآية نزلت في ابي طالب وذلك انه لما مرض مرضه
الذي قبض فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسلم اشفع لك فقال لولا اني
اخاف ان تتحدث نساء قريش ان ابا طالب جزع عند الموت فآمن لآمنت بك واختلفوا في المراد
بهذه الآية فقال بعضهم رحمهم الله انك لا تهدي هداية اجبار واكراه ولكن الله يهدي من يشاء
على هذه الصفة كما قال جل ذكره ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وقال بعضهم
رحمهم الله المراد بالتنجية وقد يطلق لفظ الهدى بمعنى التنجية كما في قوله تعالى قالوا لو هدانا الله
لهديناكم وهذا اخبار عن قول اهل النار لو نجانا الله لنجيناكم وقال بعضهم رحمهم الله المراد به
اللطف والتوفيق وانما اختلفوا في هذه الآية لانه لا يجوز ان يكون المراد بالهدى في قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت البيان بالادلة لانه صلى الله عليه وسلم كان يبين بالادلة لكافة الناس
كما قال الله تعالى في آية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقوله تعالى ولكن الله يهدي
من يشاء اي هو الذي يعرف ويرشد ويوفق وهو عليم بمن يهتدي بهداه ويلطفه قوله
عز وجل وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون وذلك ان
الحرث بن عمرو النوفلي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة فقال قد علمنا انك صادق وما كذبت
قط فنتبعك اليوم ولكنا متى ما نؤمن بك تختلسنا العرب من ارضنا فانزل الله هذه الآية ردا عليهم
حيث قال اولم نمكن لهم حرما آمنا معناه اولم نجعل اهل مكة في امان قبل الايمان يجبى الى الحرم ثمرات
كل شيء نعمة من عندنا فكيف يخافون زوال الامان بالايمان ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يتدبرون
ولا يتفكرون قوله عز وجل وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك
مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين معناه وكم اهلكنا من قرية
ابطرتها معيشتها وطغت في نعمتها فتلك مساكنهم منازلهم التي كانوا يسكنونها لم يسكنها احد الا
المسافرون ينزلون بعضها ساعة من النهار ثم يرحلون وكنا نحن الوارثين المالكين لما تركوه بعد
هلاكهم لم يخلفهم في ذلك احد غيرنا قوله عز وجل وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون معناه وما
كان ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم معذبا اهل القرى حتى يبعث في اعظمها قرية رسولا يقرأ عليهم
آياتنا ودلالاتنا وما كنا مهلكي القرى الا بظلم اهلها وقيل المراد بالقرى القرى التي حوالي مكة
والمراد بامها مكة سميت ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قوله عز وجل وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون معناه وما اعطيتم من شيء في الدنيا
فهو منفعة لكم تتمتعون به الى مدة ثم ينقطع ويفنى كمتاع البيت وما عند الله تعالى من الثواب والجنة
ابقى وادوم مما في الدنيا افلا تعقلون خير الامرين فتطلبوه وشر الامرين فتتركوه قوله عز وجل
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم
القيمة من المحضرين استفهام بمعنى التقرير ومعناه كيف يستوي حال من وعدناه الثواب والجنة
في الآخرة فهو لاقيه وحال من متعناه بعرض الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين في العذاب قوله

عز وجل

عز وجل ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم
القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون معناه
واذكروا يوم ينادي الكفار وهو يوم القيمة فيقول اين شركاي في قولكم وليس لله شريك ولكن
خرج هذا الكلام على ما كانوا يلفظون به فيقولون هؤلاء شركاء الله وقوله تعالى قال الذين
حق عليهم القول معناه الذين وجب عليهم وعيد العقاب قالوا يا ربنا هؤلاء الذين اغوينا يعنون
سفلتهم اضللناهم كما كنا ضالين وقوله تعالى تبرأنا اليك اي تبرأنا تحملنا اليك من اتصالهم ما
كانوا يعبدوننا باكراه من جهتنا ويقال لما كانوا يعبدوننا بحجة ولا استحقاق وقوله تعالى
وقيل ادعوا شركاءكم معناه انه يقال لرؤسائهم يسألون عن الاغواء والغواية ويقال ادعوا آلهتكم حتى تدفعوا
عنكم عذاب الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم برفع العذاب عنهم ورأوا كلهم القادة والسفلة العذاب
وقوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون محذوف الجواب معناه لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا
لما رأوا العذاب قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم
الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
معناه واذكر يوم يناديهم فيقول لهم ماذا اجبتم المرسلين عما دعوكم اليه في الدنيا فالتبست عليهم
الاجوبة يومئذ فلم يدروا ماذا يقولون من الفزع والتحير فهم لا يسأل بعضهم بعضا في تلك الساعة
لرد الجواب ويقال لا يسأل احد احدا ان يبذل له طاعة او يحمل عنه معصية ولا يسأل احد عن حال احد
لاشتغال كل واحد منهم بنفسه وقوله تعالى فاما من تاب معناه من تاب من الشرك وصدق
بالله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فيكونون في الآخرة من الفائزين
بالثواب الناجين من العذاب والعمل الصالح ما يكون مفعولا على موجب الشريعة واعلم اخره عن
الايمان لانه لا يكون صالحا الا بعد تقدم الايمان قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وذلك ان الوليد بن المغيرة كان يقول لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه
وابا مسعود الثقفي فانزل الله تعالى قوله وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار [illegible]
من يحبه للحكمة اختاره وقوله تعالى ما كان لهم الخيرة ابتداء كلام بمعنى النفي يقول ليس لهم
ان يختاروا على الله تعالى من يصلح للنبوة ولا اختيار لاحد مع اختيار الله تعالى ويقال
ما كان لهم الخيرة من غير ان يقف على قوله ويختار جعلها في معنى الذي كانه قال ويختار
الذي هو الخيرة لهم [illegible] وقوله تعالى سبحان الله كلمة تنزيه عن جميع
ما لا يليق بصفاته وليس من الفاظ التنزيه لفظ ابلغ منه وقوله تعالى عما يشركون اي جل
عن ان يكون له شريك وربك يعلم ما تكن صدورهم وما تضمر قلوبهم من العداوة لك وما
يعلنون من تكذيبهم اياك قوله عز وجل وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى
والآخرة وله الحكم واليه ترجعون معناه وهو المستحق لا اله الا هو العزيز له الحمد في الاولى
والآخرة يستحقه على النعم كلها [illegible] ان الحمد انما يستحق على النعم والنعم كلها من الله تعالى
كما قال عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله وقوله تعالى وله الحكم اي الحكم في الاولى والآخرة
في الاولى ان الانبيا تحكم عليه والحكم في الآخرة حكم لا يملكه احد سواه حكما وقوله تعالى
واليه ترجعون اي الى الموضع جزاء يردون قوله عز وجل قل ارأيتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون معناه قل يا محمد صلى

الله عليه وسلم اخبروني ان جعل الله تعالى عليكم الليل دايما ابدا الى يوم القيمة من اله سوى
الله ياتيكم بنهار مضيء تتصرفون فيه افلا تسمعون سماع الانتفاع والنظر والاستدلال قوله
عز وجل قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم
بليل تسكنون فيه افلا تبصرون معناه قل لهم ان جعل الله عليكم النهار دايما الى يوم القيمة من
اله سوى الله ياتيكم بليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والنصب فلا تبصرون ادلة الله
تعالى قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون معناه ومن نعمته عليكم ان خلق لكم الليل والنهار لتستريحوا بالليل ولتبصروا
[illegible] لكي تشكروا ايت هذه النعم فتوحدوه قوله عز وجل ويوم يناديهم فيقول
اين شركاءي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا
ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون قيل في فايدة تكرار هذا النداء ان النداء الاول للتقريع
باقرارهم على انفسهم بالغي الذي كانوا عليه ودعوا اليه والنداء الثاني للتعجيز عن اقامة البرهان
وقيل انها تقريع بالاشراك بعد تقريع وقوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي نبيا يشهد عليهم
كما قال جل وعز ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقال
بعضهم رحمهم الله اراد بالشهداء العدول من كل امة وذلك ان الله تعالى لا يخلي عصرا من الاعصار
من عدول يرجع اليهم في امر الدين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله فقلنا هاتوا برهانكم
اي قلنا للمشهود عليهم هاتوا حجتكم فعلموا ان الحق لله فضل عنهم افتراؤهم على الله تعالى قوله
عز وجل ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما ان
مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ
الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال اكثر المفسرين رحمهم الله كان قارون ابن عم
موسى عليه السلام من بني اسرائيل وكان من اعلمهم بالتورية وقال بعضهم كان ابن اخته وقوله
تعالى فبغى عليهم اي تطاول على موسى وهرون عليهما السلام وفخر عليهما والبغي في اللغة طلب العلو بغير
الحق ومنه يقال للولاة الجورة بغاة وكان سبب بغي قارون انه لما كثر ماله قال ان موسى عليه
السلام فاز بالنبوة والرسالة وهرون عليه السلام فاز بالقرابين والذبائح ولست على شيء من هذا
لا ارضى بهذا ثم جعل يستخف بفقراء بني اسرائيل واهل العلم منهم وقوله تعالى واتيناه من الكنوز
معناه واعطيناه من الاموال المجموعة ما ان مفاتحه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
اراد بالمفاتح الخزاين كانت خزاينه تثقل الجماعة ذوي القوة اذا حملوها لو كانت خزاينه اربعمائة
الف فكان يحملها اربعون رجلا كل رجل منهم عشرة الاف وقال غيره رضي الله عنه اراد بالمفاتح المفاتيح
والمفاتيح ها هنا جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح فاما المفتح بفتح الميم فهو الخزانة وجمع المفاتح
ايضا واما المفتاح فيجمع مفاتيح ويجوز ان تكون المفاتح جمع المفتاح واصل المفاتيح فحذف منه
احد الحرفين كما يقال في جمع القرقور قراقير وقراقر بمعنى واحد واذا اريد بالمفاتح مفاتيح الاغلاق
كان قوله تعالى لتنوء بالعصبة اولي القوة يعني لتثقل بالعصبة ذوي القوة والعصبة هي الجماعة
الملتفة التي يتعصب بعضهم لبعض قيل كانوا عشرة كما قال عز وجل في قصة يوسف ونحن عصبة
وكانوا اخوة يوسف عليه السلام عشرة وقيل اراد بالعصبة في هذا الموضع ثلثة ولا يمتنع ان تبلغ
مفاتيح الاقفال عددا تنوء بالعصبة لان المفاتيح تشتمل على مفاتيح الدور والبيوت والصناديق
فتبلغ مبلغا يشق على الجماعة حملها فان قيل كيف قال تنوء بالعصبة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح

اي تثقل في حملها ومنه الحديث الا انواء انه ينهض من المشرف على ثقل نهوضه قيل مثل هذا شايع
في الكلام كما يقال عرضت الناقة على الحوض او النهر وانما يعرض الماء على الناقة ولا تعرض الناقة
على الماء ويجوز ان يكون المراد بقوله تعالى تنوء بالعصبة تنيء العصبة اي تثقلها يقال ناء بالشيء
واناءه بمعنى واحد وناء بالحمل اذا نهض به مثقلا واناه اذا اثقله كما يقال ذهب به واذهبه والكنز
في اللغة اسم للمال الذي يجمع بعضه على بعض واذا اطلق اريد به ما يخبا تحت الارض وفي اسماء
الدين عبارة عن المال الذي لم يخرج زكوته وذلك للوعيد الذي جاء فيه في القران وقوله تعالى
اذ قال له قومه لا تفرح اي قالوا له قومه لا تفرح بالكنوز والمال ان الله لا يحب الاشرين بالمال
والفرح اذا اطلق اريد به المرح الذي يخرج الى البطر ولذلك قال لا يحب الفرحين فاما فرحين
بما اتاهم الله من فضله فهو فرح بهداية النفس وهو حسن جميل قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني • ولا جازع من صرفه المتقلب •

واطلب فيما اعطاك الله تعالى
الجنة وثوابها ولا تنس حظك وهو التزود للاخرة فان الله جعل الدنيا مزرعة وقيل في معنى
ولا تنس نصيبك من الدنيا انتفع بما اعطاك الله تعالى من الدنيا واحسن الى الفقرا والمساكين
كما احسن الله تعالى اليك ولا تبغ في الارض بالمعاصي ومخالفة موسى عليه السلام ان الله لا
يحب المفسدين في الارض قوله عز وجل قال انما اوتيته على علم عندي اولم يعلم
ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون معناه قال قارون انما اعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه الاكتساب لا يعلمه
احد غيري ويقال المراد بقوله على علم عندي اعطيت هذا المال على فضل علم عندي كما روي
انه كان اقراهم للتورية وقوله تعالى اولم يعلم معناه اولم يعلم هذا المسكين الذي قد
اعجبته نفسه وما ملك من الدنيا ان الله تعالى قد اهلك من قبله من الامم الماضية من هو اشد
منه قوة واكثر جمعا للمال والخدم والحشم وقوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون معناه
لا يسال المجرمون عن ذنوبهم في الاخرة فانهم يعرفون بسيماهم ويعرف الناس سبب عقوبتهم
بما يظهر الله تعالى عليهم من العلامة ويقال في معناه لا يسالون سوال الاختبار لتعلم ذنوبهم [illegible]
[illegible]
قوله عز وجل فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم
معناه فخرج قارون على [illegible]
[illegible] روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [illegible]
[illegible]
وقوله تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا [illegible]
[illegible]
قوله عز وجل وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون معناه وقال الذين [illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله عز وجل فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين

معناه فخسفنا بقارون وبقصره الذي بناه عقوبة له على كفره وذلك انه لما اضاف النعم
التي اعطاه الله تعالى الى فعل نفسه وعلمه ولم ينسبها الى تسهيل الله تعالى ذلك عليه وتمكينه اياه
من تلك المكاسب صار كافرا بنعم الله تعالى والكفر بنعم الله تعالى كفر بالله تعالى وقيل
في سبب خسفه انه لما حسد موسى وهرون عليهما السلام وحيوطهما دعا امراة ذات جمال
معروفة بالفجور وجعل لها حكمها ان هي جاءت على راس الملا وادعت ان موسى عليه السلام راودها
عن نفسها فاجابته الى ذلك ورجعنا الى خبرها فالهمها الله تعالى التوبة قالت ان هذا الموضع الذي اذهب
اليه اجود من موضع للتوبة ثم ان قارون عقد مجلسا واستحضر فيه الخاص والعام وارسل
اليها حتى احضرها فقال لموسى عليه السلام ما تقول فيمن زنا وفيمن سرق فجعل موسى عليه السلام
يذكر عقوبة الزاني والسارق فقال قارون على كل من كان وان كنت انت فقال موسى عليه
السلام وان كنت انا فالتفت قارون الى المراة فقال لها ما تقولين فقالت يا ايها الملا ان قارون
جعل لي حكمي ان ادعيت على موسى عليه السلام الفاحشة وانا ابرا الى الله تعالى من ذلك وقد تبت
من كل فاحشة فافتضح قارون وحزن موسى عليه السلام فخر ساجدا لله تعالى يبكي فاوحى اليه اني
امرت الارض ان تطيعك فيه فمرها بما شئت فقال موسى للارض يا ارض خذيه فاخذته الى كعبيه ثم
قال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الى حقويه ثم قال خذيه
فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فغيبته الارض وكان قارون يتضرع في ذلك الى موسى فلم يسمع تضرعه
فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لو استغاث بي كما استغاث بك لاغثته هكذا يروى
في التفاسير وقد اختلفوا في خسف داره وامواله قال بعضهم انها خسفت معه وقال بعضهم رحمهم الله
لما خسف بقارون فقالت بنو اسرائيل اراد موسى عليه السلام ان يستخلص ماله لنفسه فخسف الله
تعالى بداره وامواله بعد ما خسف به بثلثة ايام فهو يتجلجل في الارض بماله كل يوم قامة لا يبلغ
اسفلها الى يوم القيمة **قوله عز وجل** فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما
كان من المنتصرين معناه فما كان لقارون من جند وجماعة يمنعونه من عذاب الله تعالى
وما كان هو ممن يقدر على الامتناع منه بنفسه لم ينتصر ولا وجد احدا ينصره ولم يكن الامر على
ما قدر من امتناعه بحاشيته من جنده الذين كان اعتز بهم لكنهم هم حتى تردد في طغيانه والفئة
الجماعة المنقطعة الى ان يجتمع عليه من قومهم فاوقت راس فلان بالسيف اذا قطعته وتصغيرها فئية
قوله عز وجل واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين معناه واصبح الذين
تمنوا منزلته وماله بالامس حين راوه في زينته يقول بعضهم لبعض بعد ما خسف به يقولون ويكان
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده وهذه كلمة تنبيه ومعناها اما ترون ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده وربما يكون مكر المجازاة منه اياه على فعله كما كان لقارون ويضيق على
من يشاء وذلك يكون نظرا منه لولا ان من الله علينا اي لو اعطانا من المال مثل ما اعطاه لخسف
بنا ببغينا كما خسف به ببغيه اما تعلمون انه لا يفلح الكافرون قال الفراء في قوله تعالى ويكانه
عند العرب تقرير كما يقال الرجل للاخر الا ترى الى صنع الله تعالى واحسانه الى عباده وحكي ان
امراة من العرب قال لها زوجها اين ابنك فقالت ويكانه وراء هذا البيت ارادت بذلك اما ترى انه
وراء هذا البيت وذهب بعض النحويين الى ان قوله ويكانه بمنزلة قولك ويلك اعلم فحذف اللام
وجعل ان مفتوحة على ضمير فعل كانه قال ويلك اعلم انه كذا وانه كذا وقال الزجاج هذا

غلط

غلط لانه لو كان كما قالوا لكانت ان مكسورة لانك تقول ويلك انه قد كان كذا وانه يكون كذا وقال
الخليل ويونس في معنى ويكانه ان وي مفصولة من كان ووي تندم وتنبه كما يقول الرجل
للرجل وي كانك قصدت مكروهي وكان في هذا الموضع بمعنى الظن او العلم كانه قال تعالى
انهم لما راوا الخسف انتبهوا وتكلموا على قدر علمهم وقالوا كان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة
عليه ويضيق على من يشاء لا لهوانه عليه وكتب ويكانه متصلة كما كتبوا يا بنؤم وقال زيد بن عمرو بن نفيل

سالتاني الطلاق اذ راتاني ... قل مالي قد جئتماني بنكر
وي كان من يكن له نشب يحبب ... ومن يفتقر يعش عيش ضر

واما قوله تلك الدار فالمراد به الجنة نجعلها اي نعدها للذين لا يريدون تكبرا في الارض كما تكبر قارون
بالمال ولا فسادا اي عزما على معصية الله حتى يظهر ذلك بقول وفعل والعاقبة الحميدة للذين يتقون
الكفر والعلو والفساد وعن ابي هريرة انه قال بينما رجل يتبختر في ثوبيه اذ خسف به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة وعن كعب رضي الله عنه انه قال يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر في
صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يسلكون في النار يسقون من طينة الخبال قيل وما طينة
الخبال قال عصارة اهل النار والمراد بالتكبر في هذه الاخبار ان يكون التكبر لامر يرجع الى الدنيا
فاما ما يكون من ذلك لازالة المنكر او اقامة حق من حقوق الله تعالى فلا يكون ذلك من التكبر
في شيء وانما هو تمسك بالدين على مقتضى اليقين **قوله عز وجل** من جاء بالحسنة فله خير
منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون معناه من جاء
بالحسنة فله خير من ثوابها تفضلا والله تعالى ولي التفضل ومن جاء بالسيئة فلا يزاد في عقوبته على
قدر الاستحقاق فان الزيادة على ذلك ظلم والله تعالى منزه عن الظلم **قوله عز وجل**
ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين معناه
ان الذي فرض عليك العمل بالقرآن لرادك الى بلدك والمراد به مكة فان معاد الرجل بلده لانه يتصرف
في البلاد ثم يكون عوده الى بلده وقد تقدم ان هذه الاية انما نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة وفيها
دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث وجد مخرجه على وفق خبره وقيل ان المراد بالمعاد في هذه
الاية يوم القيمة كما يقول الرجل لصاحبه اذكر معادك اي موعدك **قوله عز وجل** وما
كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا
يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين معناه وما
كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم ترجوا ان يوحى اليك القرآن ولكن الله اكرمك بالكتاب رحمة
نعمة منه عليك فلا تكونن عونا للكافرين والخطاب في هذا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
جميع اهل الاسلام وقوله تعالى ولا يصدنك اي ولا يصرفنك الكفار عن آيات الله بعد اذ
انزلت اليك وادع الخلق الى طاعة الله تعالى ولا تكونن مع المشركين **قوله عز وجل**
ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
معناه لا تعبد احدا سوى الله ولا تدع احدا من الخلق الى احد سواه ولا ان الله معبود الخلق سواه
كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته وهذا كما يقال هذا وجه الامر وجاءني وجوه بني فلان يراد بذلك
ذاتهم وانتصب قوله تعالى الا وجهه على الاستثناء كما قال الاباء ولا شبهة في ان المراد بالوجه الذات
لانه تعالى لا يقال له اعضاء فيهلك الوجه ويبقى سائر الاعضاء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
ويقال في معنى الاية كل عمل يعمل في الدنيا هو باطل الا ما اريد به وجه الله تعالى كما روي عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال يجاء بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا ما كان لله تعالى

منها فيه ما كان لله تعالى منها ثم يؤمر بسايرها فتلقى في النار وقوله تعالى له الحكم اى له
القضاء في الدنيا والآخرة واليه مرجع جزائه يردون فيجزيكم باعمالكم وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة القصص كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق موسى عليه السلام وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه من الصادقين

سورة العنكبوت

تسع وستون آية مكية عند ابن عباس رضي الله عنهما وقال الحسن رضي الله عنه هي مكية الا قوله تعالى الم احسب
الناس من اول السورة الى تمام الآيات العشر فانها مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين قد تقدم الكلام في تفسير
حروف الهجاء في اوايل السور ومن جعل هذه الحروف التي في اول هذه السورة قسما احتمل ان
يكون جواب القسم في قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم واحتمل ان يكون في قوله فليعلمن
الله وقوله تعالى احسب الناس لفظه لفظ الاستخبار ومعناه معنى التوبيخ والتقرير كانه
قال اظنوا ان نقنع منهم بان يقولوا آمنا فقط ولا يمتحنون بالاوامر والنواهي في التكليف
ولا نختبر ومن بما يعلم صدق ايمانهم به وذلك ان الله تعالى انما يجازي عباده على ما يظهر منهم
لا على ما يعلم منهم فيعاملهم معاملة المختبر المبتلي مظاهرة في العدل لانهم انما يستحقون الجزاء
على كسبهم وعلم الله تعالى ليس من كسبهم وفائدة اخباره تعالى بهذا ان يوطن نفسه على
شدايد التكليف فاذا نزل به الامر الذي كان يكرهه كان ذلك ايسر عليه قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وذلك انه لما نزل قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم او من تحت ارجلكم الى آخر الآية قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام ما بقاء
امتي على هذه الخصال الاربع فقال جبريل عليه السلام ادع الله تعالى لامتك فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى قد اجار امتك من خصلتين ان لا
يبعث عليهم عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولم يجرهم من خصلتين ان يلبسهم شيعا ويذيق
بعضهم باس بعض قال ثم انزل الله تعالى قوله الم احسب الناس ان يتركوا الآية على ما ذهب
اليه الحسن رضي الله عنه فسبب نزول هذه الآية لما اصيب المسلمون يوم احد وكانت النكرة
عليهم عيرهم اليهود والنصارى بذلك فشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله
ولقد فتنا الذين من قبلهم فيه تسلية للمسلمين يقول امتحنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الصادق
بوقوع صدقه منه بالصبر على ما يؤمر به والكاذب بوقوع كذبه منه بالجزع والمخالفة في القتال
الذي يؤمر به والله عز وجل قد علم الصادق من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد
من الآية قصد وقوع العلم بما يجازى عليه لان علم الشهادة هو الذي يجب به الجزاء فاما علم
الغيب قبل وقوعه فلا يجب به الجزاء فذكر العلم في هذه الآية واراد المعلوم والتمييز وهذا كما
يقول القايل ان عرفت منك تقصيرا فعلت كذا وكذا ومراده وقوع التقصير وقوله عز
وجل ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء
الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن
العالمين معناه اظن الذين يعملون السيئات ان يفوتونا فوت السابق المسبوق بحيث لا
يدركه عجزا والله تعالى منزه عن ان يلحقه عجز وقيل ان هذه الآية نزلت في عتبة وشيبة ابني ربيعة

والوليد بن عتبة بن ربيعة وهم الذين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث فقتلوا
على ايديهم يوم بدر وقوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله ترغيب في الجهاد ومعناه من كان يطمع
في الثواب ويخشى العقاب فليبادر الى طاعة الله تعالى قبل الموت فان اجل الموت لآت لمن
يرجوا ولمن لا يرجوا وان ثواب العمل الصالح لقريب وهو السميع لمقالة المؤمنين والكفرين العليم
بما يستحقه كل واحد منهم وقوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه قبل انه نزل في علي واصحابه
رضي الله عنهم بما فعلوا في طاعة الله تعالى ومعناه من جاهد في سبيل الله فانما منفعة جهاده
راجعة اليه وان الله لغني عن العالمين لا يامرهم ولا ينهاهم الا لمنفعة ترجع اليهم والجهاد هو الصبر
على الشدة في الحرب كما امر الله تعالى به قوله عز وجل والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون معناه والذين صدقوا بالله
تعالى وعملوا الصالحات الطاعات فيما بينهم وبين ربهم لنكفرن عنهم سيئاتهم بالايمان وقيل
بالتوبة ونظير هذا قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واما احسن العمل فهو
الطاعة لان الثواب يستحق عليها والمباحات حسنة لا يستحق الثواب عليها قوله عز وجل ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم
فانبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين روي
ان الآية الاولى نزلت في سعد بن ابي وقاص كان بارا بامه فلما اسلم قالت له امه يا سعد بلغني
انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية فابى سعد عليها وبقيت هي على حالها لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل
بشيء فلما خلص اليها الجوع لم تجد بدا من ان تاكل ومعنى الآية امرنا الانسان بالبر والاحسان الى
والديه وقلنا له وان طلبا واراداك ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما في الاشراك والمعصية
ليس من باب الحسن بل هي قبيحة ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
وقوله تعالى الي مرجعكم اي منقلبكم في الآخرة الى حيث لا املك حرصا ولا نفعا لكم فاخبركم بما كنتم
تعملون في الدنيا من الخير والشر والبر والعقوق وقوله تعالى لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة
الصالحين خواص اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ومن الناس من يقول آمنا
بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا
كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن
المنافقين روي ان هذه الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة كان اسلم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان يخاف على نفسه من امه واخويه لامه وهما ابو جهل بن هشام والحارث فخرج عياش رضي
الله عنه بعينها طهرا بدينه هاربا الى المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ امه الخبر فجزعت
جزعا شديدا وامتنعت عن الطعام والشراب فخرج اخواه وقومه في طلبه فاخذوه وقيدوه وحلفت
بالله تعالى لا احلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم قيدته وجلدته بالسياط وتعذبه
حتى كفر جزعا من الضرب فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها ومن الناس من يقول صدقنا بتوحيد
الله تعالى فاذا عذب في طاعة الله تعالى جعل تعذيب الناس كتعذيب الله فاطاع الناس خوفا منهم
كما يطيع الله تعالى من خاف عذابه ولئن جاء فتح من ربك ليقولن انا كنا معكم وهذه صفة المنافقين يقول
الله عز وجل اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي بما في قلوب الخلق من طمانينة بالايمان والانشراح
بالكفر وليعلمن الله الذين آمنوا اي ليميزن الله المؤمنين وليميزن المنافقين ثم اسلم عياش بعد
وحسن اسلامه قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم

وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن اثقالهم واثقالا مع
اثقالهم وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون معناه قال كفار مكة ابو جهل بن هشام وغيره
لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتبعوا ديننا فان تبعوا ديننا حملنا خطاياكم اي ان كان في
ذلك اثم عليكم فنحن نحمله عنكم وقوله تعالى ولنحمل لفظه امر في تاويل الشرط والجزاء والحمالة هي الضمان
والحميل الضامن للشيء من الحمل على الظهر وقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم
لكاذبون تكذيب من الله تعالى للكفار واخبار بانهم لا يحملون يوم القيمة شيئا من خطايا غيرهم
ولا يخففون العذاب عن احد وقوله تعالى واثقالا مع اثقالهم معناه واوزارا مع اوزارهم
وذلك انهم يعاقبون على كفرهم وعلى دعائهم غيرهم الى الكفر وهذا موافق لقول النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من
اوزارهم شيء وقوله تعالى وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون اراد به سؤال توبيخ لا استعلام
يقال لهم هل كان عندكم من الغيب شيء ومن اين قلتم انكم تحملون اوزار غيركم قوله عز وجل
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون
فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين معناه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بالنبوة
فمكث بين اظهرهم يدعوهم الى الايمان الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الى الايمان منهم الا قليل
واهلك الله تعالى المكذبين بالطوفان وهو الغرق والطوفان في اللغة هو الكثير من كل شيء المطبق
بالجماعة كلها وسمي الغرق طوفانا [illegible]
ذلك اليوم طاف في جميع الارض ويقال للقتل الذريع طوفان ولذلك الموت العام يسمى طوفانا
والاستثناء في كلام العرب تاويله عند النحويين توكيد العدد وتكميله لانك اذا قلت جاءني اخوتك
كلهم فقد اردت التوكيد في معنى تمام جماعتهم واذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا فقد اردت
التوكيد في نقصانهم بزيد وفي الحديث ان نوحا عليه السلام ارسل اليهم بعدما اتى عليه مايتان
وخمسون سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة وقوله تعالى فانجيناه واصحاب
السفينة اراد بالاصحاب من كان معه من المؤمنين في السفينة وجعلناها يعني السفينة علامة وعبرة
لمن بعدهم قوله عز وجل وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه
ترجعون وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين معناه
وارسلنا ابرهيم عليه السلام ايضا اذ قال لقومه وحدوا الله واطيعوه واخشوه ذلكم خير لكم مما انتم
عليه من الكفر ان كنتم تعلمون ذلك وتصدقون انما تعبدون من دون الله اصناما وتخترعون
على الله تعالى كذبا في قولكم انها آلهة ويجوز ان يكون معنى وتخلقون افكا وتنحتون اصناما
تعبدونها وتفكون بها على الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله تعالى من الاصنام لا يقدرون
ان يرزقوكم فاطلبوا من الله تعالى الرزق واعبدوا من يملك رزقكم واشكروا من اليه ترجعون
في الآخرة فيجزيكم باعمالكم وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم انبياءهم كما كذبتم نبيكم فاهلكهم الله
تعالى وما على الرسول الا التبليغ الرسالة عن الله تعالى بلغة الذين ارسل اليهم وقيل ان الآية الاخيرة
من هذه الآيات خطاب لكفار مكة قوله عز وجل اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله
ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون

انتم

انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معناه اولم يعلم
ويعتبر اهل مكة كيف بدأ الله الخلق في ارحام الامهات من النطفة ثم يميته ثم يحييه بعد الموت
خلقا جديدا ان بدأ الخلق واعادته هين على الله عز وجل فان القادر على الاختراع من غير احتذاء
على مثال قادر على الاعادة وكانوا يقرون بان الله تعالى هو الذي خلقهم وقوله تعالى
قل سيروا في الارض معناه قل لهم سافروا في الارض فانظروا واعتبروا كيف خلق الله تعالى
ابتداء الخلق الذين من قبلهم ثم اهلكهم بعد ذلك ثم ان الله تعالى يبعث الخلق ثانية يوم القيمة ان الله على
كل شيء من الاحياء والاماتة قادر يعذب من يشاء من كان اهلا للتعذيب ويرحم من يشاء من كان
اهلا للرحمة واليه في حال الحيوة تردون في الآخرة بحيث لا يملك نفعكم ولا ضركم الا الله تعالى وما انتم
يا اهل مكة بفائتين من عذاب الله تعالى هربا في الارض ولا في السماء فلا تغتروا بطول الامهال
ويجوز ان يكون معنى ولا في السماء ولا من في السماء بمعجزين كما قال حسان بن ثابت
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء اراد ومن يمدحه وينصره وقوله تعالى وما
لكم من دون الله اي ليس لكم من دون الله من ولي يتولى امركم وحفظكم ومن نصير يمنع العذاب
منكم والنشأة والنشاءة بالقصر وبالمد لغتان مثل الرافة والرأفة والكابة والكآبة فان قيل لم علق العذاب
بالمشيئة في الآية ولم يعلقه بالخطيئة للزجر عنها قيل لان في ذكر المشيئة زجرا عن معصية الناهي عنها
وترغيبا في طاعة الله تعالى بتركها لانه يملك الثواب والعقاب ويوقعه اذا شاء ولا يشاء الا الحكمة قوله
عز وجل والذين كفروا بآيات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب
اليم معناه والذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن والبعث والجزاء بعد الموت اولئك
يئسوا من جنتي في الآخرة باعتقادهم انه لا نعيم بها واولئك لهم عذاب اليم يخلص وجعه الى قلوبهم
ويجوز ان يكون الغرض من الآية ان الله تعالى ذم قوما هانوا عليه فآيسهم من رحمته قوله عز وجل
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين معناه فلم
يكن جواب قوم ابرهيم عليه السلام حين دعاهم الى الله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
بالنار ثم قذفوه في النار فانجاه الله تعالى من النار سالما ان في ما فعل الله تعالى لعلامات وعبرات
لقوم يصدقون بالله تعالى [illegible] قال ابرهيم عليه السلام انما اتخذتم من دون الله
تعالى اوثانا هي مودة بينكم في الحيوة الدنيا [illegible]
بعضكم من بعض [illegible] العابد المعبود والمعبود العابد [illegible]
النار وما لكم [illegible] قوله عز وجل
[illegible]
[illegible]
[illegible] المودة [illegible]
فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين معناه آمن لوط عليه السلام [illegible]
وقال ابرهيم عليه السلام اني مهاجر الى ربي اي الى الموضع الذي امرني ربي بالهجرة اليه قال بعضهم
رحمهم الله كان مهاجر ابرهيم [illegible] وهو سواد الكوفة الى الشام وقال بعضهم [illegible]

بالهجرة من حران الى فلسطين فصدقه ابن اخيه لوط عليهما السلام فيما امر به وتابعه على الهجرة فخرج به وبامرأته نفسه سارة الى موضع الهجرة وقوله تعالى انه هو العزيز الحكيم المنتقم ممن عصاه الحكيم فيما حكم علينا من الهجرة وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب معناه ووهبنا لابرهيم عليه السلام من امرأته سارة اسحق ولاسحق يعقوب ولد الولد لان يعقوب نشأ وادرك قبل ان قبض ابرهيم عليه السلام وكذلك اسمعيل عليه السلام قد ادرك اولاده وتزوجوا وتناسلوا قبل موت ابرهيم عليه السلام فذلك قوله تعالى وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب اكرمنا نسله بالنبوة والكتاب فجعلنا التورية والانجيل والفرقان في ولده وآتيناه اجره في الدنيا اراد به الثناء الحسن وموالاة جميع الامم اياه وانه في الآخرة لمع آبائه المرسلين في الجنة

قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين

معناه وارسلنا لوطا بالنبوة اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة يعني عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه لم يعمله احد قبلهم وقوله تعالى وتقطعون السبيل قيل في معناه وتقطعون الطريق وذلك انهم كانوا يحجرون بالغرباء فشاع ذلك الخبر وانقطع السبيل وقيل في معناه يحجرون سبيل الولد يعني فروج النساء ويقطعون النسل وقوله وتأتون في ناديكم المنكر اي في مجالسكم الفسق كانوا اذا اجتمعهم المجلس يحذفون بالاصابع ويسخرون من المؤمنين ومن غيرهم ويصفقون بايديهم ويصفرون بافواههم ويرمون بالبنادق ويمضغون العلك ويحلون ازرار الاقبية وروي انهم كانوا يتضارطون وكانوا يلعبون بالحمام ويضربون بالعود والمزامير وكانوا لا يمتنعون عن هذه المعاصي وكانوا يقولون ويفعلون في مجلسهم ما يقوله ويفعله الفساق واذا جمعهم المجلس وقوله تعالى فما كان جواب قومه يقول لم يكن جواب قوم لوط عليه السلام للوط عليه السلام الا قولهم ائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في مقالتك ان العذاب نازل بنا ان لم نؤمن بك قال لوط عليه السلام رب انصرني اي اعني على القوم المفسدين

قوله عز وجل ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين

معناه ولما جاء جبريل ومن معه من الملائكة عليهم السلام ابرهيم عليه السلام بالبشارة لم يولد له اسحق وولد ولده يعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعني قرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين بالشرك والعمل الخبيث قال ابرهيم عليه السلام ان فيها لوطا فكيف تهلكونهم قالوا نحن اعلم بمن فيها والاعلم الذي هو يعلم الشيء من الوجوه المختلفة فهو اكثر معلوما ممن يعلمه من بعض تلك الوجوه وقوله تعالى لننجينه واهله معناه لننجينه واهل بيته واتباعه الا امرأته واعلمه كانت من الباقين المهلكين

قوله عز وجل ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون

وذلك ان هؤلاء الملائكة جاءوا لوطا عليه السلام على هيئة الغلمان فساءه مجيئهم خوفا عليهم من قومه وضاق عليه الامر بسببهم فقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك منهم ومنجوا اهلك الا امرأتك تكون من الباقين في موضع العذاب انا منزلون على اهل هذه القرية عذابا بالحجارة من السماء بسبب فسقهم يروى ان تلك القرية كانت مشتمل

على سبعمائة الف رجل وقوله تعالى ولقد تركنا منها آية بينة قال بعضهم رحمهم الله اراد بالآية الحجارة التي ارسلت عليهم على كل حجر اسم من اهلك به وقال بعضهم رحمهم الله تعالى تلك الآية هي ترك بعض ديارهم منكوسة عظة وعبرة للناس واظهر الله فيها ماء اسود منتنا يتاذى الناس برائحته من مسافة بعيدة وقوله تعالى لقوم يعقلون اي يتفكرون فيما فعل الله بهم او لا يتعقلون مثل فعلهم

قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين

معناه وارسلنا الى اهل مدين اخاهم في النسب شعيبا عليه السلام فقال يا قوم اطيعوا الله وخافوا عقاب الله تعالى ولا تسعوا في الارض بالفساد فكذبوه في الرسالة فاخذتهم الزلزلة فاصبحوا في دارهم ميتين باركين على ركبهم

قوله عز وجل وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين

معناه واهلكنا قوم هود وقوم صالح وقد تبين لكم من مساكنهم حيث تمرون بها وزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فصدهم عن طريق الحق وكانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق عن الباطل ويقال كانوا معجبين بضلالتهم يرون انهم على الحق ولم يكونوا كذلك

قوله عز وجل وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون

معناه واهلكنا قارون وفرعون وهامان بعد ما جاءهم موسى بالبينات بالمعجزات فتعظموا عن الايمان به ولم يكونوا فائتين من عذاب الله تعالى كما يفوت السابق وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه معناه كل هؤلاء القوم الذين ذكرناهم عاقبناهم بذنوبهم فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني الحجارة وهم قوم لوط والحاصب والحصباء بمعنى واحد ويقال الحاصب الريح التي تاتي بالحصباء وهي الحصا الصغار ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب اسمعهم الله تعالى صيحة زهقت ارواحهم بها ومنهم من خسفنا به الارض وهم قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله تعالى ليظلمهم باهلاكه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والعمل بالمعاصي ولم يهلك الله تعالى قوما بالكفر دون سائر المعاصي لان الكفر موعده النار في الآخرة وانما اهلكوا لمعصية انضمت الى الكفر

قوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون

معناه مثل الذين عبدوا من دون الله اربابا في وهن افعالهم كمثل العنكبوت في ضعف ما تبنيه لنفسها وذلك ان مقاصد الناس من اتخاذ غير الله تعالى وليا تجر نفع او دفع ضر كما ان مقاصدهم من اتخاذ البيت دفع الحر والبرد والتجمل والستر عن اعين الناس حتى لا يطلعوا على احوالهم فكما ان بيت العنكبوت لا يحصل منه شيء من المقاصد التي تطلب من البيوت فكذلك من اتخذ غير الله تعالى وليا لم يحصل له شيء من مقاصده فذلك قوله تعالى وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون اي لو علموا ان اتخاذهم الاولياء سوى الله كاتخاذ العنكبوت بيتا في قلة النفع ما اتخذوهم اولياء ويجوز ان يكون قوله لو كانوا يعلمون متصلا بقوله تعالى اتخذوا والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الاول

والامثال هي الاشباه والنظاير والاتخاذ اخذ الشي على وجه الاعداد للنايبة وهو الافتعال
من الاخذ والعنكبوت تذكر وتؤنث ووزنه فعللوت وتصغيره عنيكب ويقال فيه
العنكبا وتلك الامثال نضربها للناس يضربون بها المثل وقوله تعالى وما يعقلها الا العالمون فائدة
تخصيص العالم بالذكر ان غير العالم لا يتذكر ولا يتدبر ولا يفقه الامثال ولا غيرها قوله
عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين معناه
خلق الله السموات والارض لامر حق كاين لا للعبث ان في ما ذكرت من الاشكال وخلق
السموات والارض لعلامة دالة على توحيد الله تعالى للمؤمنين قوله عز وجل اتل ما
أوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله
اكبر والله يعلم ما تصنعون معناه اقرا يا محمد صلى الله عليه وسلم عليهم ما انزل الله
عليك من القرآن واقم الصلوات الخمس في مواقيتها بشرايطها وسننها واداتها ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وذلك ان في الصلوة تكبيرا وتسبيحا وقراءة ووقوفا للعبادة على وجه الذل
والخشوع وكل ذلك يدعو الى شكله ويصرف عن ضده فهي كالامر والناهي بالقول كما قال
تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ويقال فلان الصلوة اذا قام القوم لها وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له ان فلانا يصلي بالليل ويسرق بالنهار فقال ان صلوته
تنهاه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى صلوة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها
من الله تعالى الا بعدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الصلوة لا تنفع الا من اطاعها
يحتمل ان يكون معناه الا من اقامها على وجهها ويحتمل ان يكون معناه الا من اقامها على وجه
ويحتمل ان يكون الا من اطاع ما تضمنته القراة في الصلوة فاما ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
فالمراد به والله اعلم انه كان اذا دخل في الصلوة يرى فيها ما تقر عينه به وقوله تعالى ولذكر
الله اكبر معناه ولذكر الله تعالى اياكم بالتوفيق والمغفرة والثواب اكبر من ذكركم اياه بالطاعة
وقيل ذكر الله تعالى من العباد في الصلوة افضل من الصلوة وقيل ذكر الله تعالى في المنع من الفحشاء
والمنكر اكبر من الصلوة وذلك ان العاقل اذا اشرف على معصية وعلم ما له من الثواب في
تركها وما عليه من العقاب في فعلها وذكر ان الله تعالى عالم به قادر على اخذه كان ذلك ابلغ
في منعه عنها من الصلوة ويجوز ان يكون اكبر في معنى الكبير في الجزاء والثواب او في معنى
التكبير الذي هو يقيل شدة على الانسان لمخالفة الهوى كما قال جل وعز وانها لكبيرة الا على
الخاشعين وقوله تعالى والله يعلم ما تصنعون اي ما تعملون من الخير والشر لا يضيع
عنده طاعة ولا يخفى عليه سيئة قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم
الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون معناه
ولا تخاصموا اهل الكتاب الا بالطريقة التي هي احسن وهو ان تعظوهم بالقرآن على وجه
النصح لهم والاستمالة الى دين الاسلام وتعظيم امر الله تعالى وطلب ثوابه الا من ظلم من اهل الكتاب
فمنع الجزية او نقض العهد وحاربكم فجادلوهم باللسان والسنان واغلظوا عليهم اذا
ابوا الا جدالكم بعد قيام الحجة عليهم وقوله تعالى وقولوا آمنا معناه قولوا للمعاهدين
منهم آمنا بالقرآن الذي انزل الينا وبما انزل اليكم من التورية والانجيل والزبور والهنا والهكم

واحد

واحد ونحن له مخلصون بالعبادة والتوحيد وهذه صفة المجادلة الحسنة والجدل فتل الخصم عن مذهبه
بالحجة منه ومنه الاجدل وهو الصقر وقيل المجادلة ان يروم كل واحد من الخصمين ان يطرح صاحبه
على الجدالة وهي الارض وقوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب معناه انزلنا اليك القرآن كما انزلنا
اليهم الكتب فالذين آتيناهم الكتاب اي اكرمناهم بعلم التورية وهم عبد الله بن سلام واصحابه يؤمنون
بالقرآن بدلالة التورية وقوله تعالى ومن هؤلاء اراد به من المشركين من يقر ويصدق بالقرآن
من غير جهة علم الكتب المتقدمة وما يجحد باياتنا اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا من ثبت على
الكفر وجحد نعم الله تعالى قوله عز وجل وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد باياتنا
الا الظالمون معناه وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم تقرأ من قبل القرآن من كتاب ولا تكتبه
بيمينك ولو كنت تقرؤه وتكتبه لوجد المبطلون طريقا الى التشكك في امرك والارتياب في نبوتك
فيقولون انه يقرؤه من الكتب الماضية فلما كان معلوما عندهم انه عليه السلام كان لا يقرأ ولا يكتب
ولا يخالط من هو من اهل الكتاب ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بالقرآن الذي عجزوا عن الاتيان بسورة
مثله دلهم ذلك على انه من عند الله تعالى ولم يكن في كون النبي صلى الله عليه وسلم اميا لا يكتب عيب
جهة العرب ما يوجب قدحا في امره لان ذلك كان اعظم لقدره واعجب لمعجزته وابعد من توجه الطعن
عليه وقوله تعالى بل هو ايات بينات قال بعضهم رحمهم الله اراد به النبي صلى الله عليه وسلم فان
نعته كان مذكورا في الكتب المتقدمة يعرفه اهل العلم من اهل الكتاب وقال بعضهم اراد به القرآن
فانه علامات دالات في قلوب العلماء فان القرآن محفوظ بالقلوب مسطور في المصاحف مقرو
على الالسن وقوله تعالى وما يجحد باياتنا الا الظالمون اي بمحمد عليه السلام والقرآن الا من
ترك التدبر في ايات الله قوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه قل انما الايات عند
الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل
وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون معناه وقال الكفار لولا انزل اي هلا انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم ايات من ربه ارادوا به الايات التي كانوا يقترحونها عليه كما ذكره تعالى في قوله تعالى وقالوا
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر الايات وقوله تعالى قل انما الايات عند الله اي في
حكم الله تعالى ان شاء انزلها وانما انا رسول مخوف لكم بلغة تعرفونها وانما كانت الحكمة في ترك اجابة الانبياء
عليهم السلام الى الايات المقترحة لانه تعالى لو اجاب قوما الى آية مقترحة طلب منه قوم آخرون آية اخرى
فاذا اجابهم اليها طلبوا آية اخرى ثم آية اخرى بعد آية فيؤدي ذلك الى ما لا يتناهى ولان هؤلاء طلبوا
آيات تضطرهم الى الايمان فلو اجابهم اليها لما استحقوا الثواب على ذلك وقوله تعالى اولم يكفهم
معناه اولم يكن لهم كفاية في معرفة نبوتك انا انزلنا عليك القرآن الذي تقرأ عليهم بلغتهم ولسانهم
مما فيه من اخبار الامم الماضية مع عجزهم عن الاتيان بحديث مثله ان في انزال القرآن لنعمة وعظة لقوم
يؤمنون به والكفاية في اللغة بلوغ حد ينتفي الحاجة اليه وراءه ودليل ينفي الحاجة الى غيره فيما يؤدي
الى العلم بصحة النبوة ويروى ان قوما من المسلمين كتبوا شيئا من اليهود فاتوا النبي صلى الله
عليه وسلم فقال كفى بها ضلالة قوم او جماعة قوم ان رغبوا عما اتى به نبيهم اليهم الى ما اتى به غير نبيهم
الى غير قومهم وقوله تعالى قل كفى بالله معناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم كفى بالله تعالى
بيني وبينكم شهيدا باني رسوله اليكم ومثل هذا الكلام لا يكون الا ممن بالغ في الكلام والبيان
فاذا الزم تركه لما استحكم رتبته على خصمه ولذلك قال يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا

بالباطل اي صدقوا بالاصنام وجحدوا وحدانية الله تعالى ودين الاسلام اولئك هم الخاسرون لانفسهم بفوت الثواب واستحقاق العقاب شبه العامل بالهوى في الايمان بالباطل والكفر بالله تعالى بالتاجر الذي ذهب راس ماله لانه خسر نفسه بتعريضها للهلاك **قوله عز وجل** ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون معناه ويستعجلونك كفار مكة بالعذاب قبل وقته ولولا ان الله تعالى جعل لعذابهم اجلا قد سماه لعجل لهم العذاب في الحال ويقال لولا الموت الذي يوصلهم الى العذاب اشد من ذلك لعجل لهم العذاب وقوله تعالى وليأتينهم بغتة قيل اراد به العذاب الذي كانوا يستعجلونه وقيل هو الموت وقيل هو القيامة كل ذلك يأتيهم فجاة وهم لا يعلمون بوقته وقوله تعالى يستعجلونك فيه تعجب من استعجالهم العذاب مع ان جهنم محيطة بهم في الآخرة في يوم يغشاهم العذاب اي ياخذهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم فلا يبقى جزء منهم الا وهو معذب في النار ويقال لهم ذوقوا جزاء اعمالكم وهذا كما يقال لمن ابتلي بعقوبة عمله ذق ما كسبته لنفسك ويجوز ان يكون معنى ليذوق انهم يذوقون العذاب نوعا بعد نوع وحالا بعد حال **قوله عز وجل** يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم نزلت هذه الآيات في جماعة المؤمنين الذين كانوا بمكة فامروا بالهجرة الى المدينة فشق ذلك عليهم من جهة الطبع وقالوا كيف يكون حالنا اذا انتقلنا الى دار الغربة وليس بها احد يعرفنا يواسينا ولا نعرف وجوه الاكتساب بها فقطع الله تعالى اعذارهم بهذه الآيات ومعناها يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون فان ضاقت بكم ارض لا يمكنكم عبادة الله فيها فانتقلوا الى ارض يمكنكم عبادة الله تعالى فيها واياي فاعبدون من غير ان تطيعوا احدا من خلقي في معصيتي وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت معناه كل نفس منفوسة لابد لها من ان تذوق الموت ثم الى موضع جزائنا ترجعون بعد الموت وقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا عالية تجري من تحت قصورها واشجارها الانهار مقيمين دائمين فيها نعم ثواب العاملين بعد الخلود ثم وصفهم فقال عز من قائل الذين صبروا يعني صبروا على طاعة الله تعالى وعن معصيته وعلى ربهم يتوكلون في رزقهم وجهاد اعدائهم وفي مهمات امورهم ومن قرا لنثوينهم بالثاء فهو من ثويته منزلا اذا جعلت له مقاما فيها والثوى المقام واما القراءة بالباء فهو من قولهم اللهم بوئنا مبوأ صدق اي انزلنا ويقال بوات اذا رجع والمباءة المنزل واما قوله وكاين من دابة فمعناه وكم من نفس دابة لا تحمل رزقها لغد ولا تقدر على حمل رزقها لضعف وعلى هذا اكثر الدواب وقوله تعالى الله يرزقها واياكم اي هو الذي يرزق من يحمل ومن لا يحمل واياكم وهو السميع لمقالتكم من يؤمننا ويطعمنا العليم بما في نفوسكم وبحوائجكم الى الرزق فلا تتركوا عبادة الله تعالى بسبب الرزق ولا تهتموا الاحرز لك وعن عيسى عليه السلام انه كان يقول اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم واياكم وفضول الدنيا فان فضولها عند الله رجز هذه طير السماء تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شيء لا تزرع ولا تحصد والله تعالى يرزقها فان قلتم ان بطوننا اعظم من بطون الطير فهذه الوحوش من البقر والحمير تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شيء لا تحرث ولا تحصد الله تعالى يرزقها **قوله عز وجل** ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر

ليقولن الله فانى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم معناه ولئن سألت المشركين من خالق السماوات والارض ومسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يصرفون عن عبادة الله تعالى الذي هذه صفته الى عبادة جمادات لا تنفع ولا تضر وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء فيه بيان انه تعالى لا يجري عليه الغلط والخطأ في توسعة الرزق على قوم وتضييقه على قوم ولكنه عز وجل يفعل ما يفعله عن علم وحكمة **قوله عز وجل** ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون في الآية تسمية للارض التي لا تنبت شيئا ميتة لانه لا ينتفع بها كما لا ينتفع بالميتة فاذا انزل الله تعالى عليها المطر احياها بعد موتها بانبات الزرع والاشجار منها وقوله تعالى قل الحمد لله يقول احمد الله تعالى على ثبات هذه النعم وعلى ما تفضل به جل ذكره من الانعام على العباد بل اكثرهم لا يعقلون لانهم لا يتدبرون ولا يتفكرون ولا يعلمون ان اقرارهم بهذا اقرار بوجدان الله تعالى فينبغي لهم ان يخصوا عليه **قوله عز وجل** وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون معناه وما هذه الحياة الدنيا بما فيها من زينتها الا كلهو وباطل ولعب لهما ثم يخسر عليهما لقلة بقائهما وسرعة انقضائهما ويجوز ان يكون وجه التشبيه باللهو واللعب ان غرض اكثر الناس من دنياهم اللهو واللعب وان كان الله عز وجل لم يخلق الدنيا الا للحكمة والمصلحة وقوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان معناه ان الآخرة لهي الدار الحيوان الدائم البقاء قال ابو عبيدة الحيوان والحياة واحد وقوله تعالى لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون الفرق بين الحياة الدائمة وبين الحياة الفانية وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك معناه فاذا ركبوا في السفينة وهاجت الرياح واضطربت الامواج دعوا الله مفردين له بالدعاء لا يدعون اصنامهم وسائر ما عبدوا مع الله تعالى فلما نجاهم الى البر فلما خلصهم من تلك الاهوال واخرجهم الى البر عادوا الى شركهم لكي يكفروا بما اعطيناهم وليتمتعوا في كفرهم فسوف يعلمون جزاء فعلهم وقيل ان اللام في قوله تعالى ليكفروا لام الامر على وجه التهديد والوعيد ولذلك عطفه بقوله تعالى فسوف تعلمون ونظير ذلك قوله تعالى اعملوا ما شئتم فان قيل لم كان المشرك كافرا بالنعمة مع اقراره بالله تعالى قيل لانه جعل الحق الذي هو للواحد بالنعم لاثنين فضيع حقه وصار بمنزلة الجاحد للنعم حين يجحد ان يكون له وحده **قوله عز وجل** اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون معناه اولم ينظروا انا جعلنا اهل الحرم في امن ويستلب الناس من حولهم ويقتلون ويوسرون ويتخذ اموالهم افيقرون ويصدقون بالباطل وهو الاصنام بعد قيام الحجة ووضوح الحجة ويكفرون بنعمة الله تعالى والتخطف في اللغة هو تناول الشيء بالسرعة ومنه خطف البصر لسرعته ومنه اختطاف الطير للصيد **قوله عز وجل** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين معناه ولا احد اظلم ممن اختلق على الله الكذب بان جعل له شريكا او ولدا او كذب بالحق بعد ظهوره له بالحجة وفي قوله تعالى اليس في جهنم مثوى للكافرين بيان ان افتراء الكذب على الله تعالى كفر بالله تعالى وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال بعضهم رحمهم الله معناه والذين جاهدوا الكفار لابتغاء مرضاتنا لنهدينهم سبلنا قال بعضهم رحمهم الله معناه الى الجنة وان الله لمع المحسنين بالنصر على اعدائهم وقال بعضهم رحمهم الله تعالى والذين جاهدوا انفسهم واهواءهم

فيما كلفوا من الاوامر والنواهي بالصبر على الطاعة والتصبر على الطاعة والصبر عن الشهوات
لنثبتنهم على السبيل التي توصلهم الى الجنة ويقال لنزيدنهم هداية كما قال الله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى ويقال من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقوله تعالى وان الله لمع المحسنين
تاويله على هذا القول ان الله لمعهم بامداد التوفيق والالطاف لهم في مجاهدتهم وعن ابي
بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة العنكبوت كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد المومنين والمنافقين وبالله التوفيق

سورة الروم ستون آية كلها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت
الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن
بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله
وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
وذلك ان فارس غلبت الروم في ادنى ارض الروم الى ارض العرب حتى نزعوا بيت المقدس
منهم وكان موضع عبادتهم ففرحت بذلك عبدة الاوثان وقال ابي بن خلف الجمحي لاصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كما غلبت عبدة النيران اهل الكتاب فكذلك نحن نغلبكم فانزل الله تعالى
الم غلبت الروم في ادنى الارض الى اخر الايات فاستبعد المشركون ظهور اهل الروم على اهل
فارس لشدة شوكة اهل فارس وقال ابو بكر رضي الله عنه لابي بن خلف انا اراهنك على ان اهل الروم
تغلب اهل فارس الى ثلث سنين فراهنه ابي على خمس من الابل ثم جا ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله
عليه فاخبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زد في الخطر وابعد في الاجل ففعل ذلك وجعل
الاجل تسع سنين والخطر عشرا من الابل وكانوا على ذلك الى ان ظهر الروم على فارس فاخذ ابو بكر
خطره وكانت المخاطرة في ذلك الوقت مباحة ثم حرمت بقوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس والبضع في اللغة القطعة من العدد ما بين الثلثة الى العشرة والبضاعة القطعة من
المال يتجر عليه والبضعة القطعة من البدن والمبضع ما يقطع به العرق والمباضعة تناول العضو
بالجماع والغلب والغلبة كلاهما مصدر مثل الجلب والجلبة وفي الاية دلالة صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم من قبل ان فيها اخبارا عن الغيب في المستقبل ثم وجد مخبره على وفق خبره ويقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخبر اهل مكة بغلبة اهل فارس على الروم قبل وقوع ذلك الخبر الى مكة وقبل مضي
مدة يمكن بلوغ الخبر اليهم فكانت الاية اخبارا عن الغيب في الماضي والمستقبل جميعا وقوله تعالى
لله الامر من قبل ومن بعد معناه له الامر والقضاء في الاحوال كلها قبل ظهور اهل الروم وبعده
ويوم غلبة الروم على اهل فارس يفرح المومنون بنصر الله الروم على اهل فارس ويكون فرح المومنين
يومئذ لظهور معجزة النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون فرح المومنين لاهلاك بعض
الكفار بعضا كما يفرح المصلحون بقتل الظالمين بعضهم بعضا غير ان القول الاول اقرب الى ظاهر
الاية وقيل اراد بقوله تعالى ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله نصرة الله تعالى للنبي صلى الله عليه
وسلم وللمومنين على اهل بدر فان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور اهل الروم على فارس
يتضمن اخباره بظهور المومنين على الكفار ولذلك قال عز ذكره ينصر من يشاء يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم على اعدائه وهو العزيز بالنقمة ممن عصاه الرحيم باوليائه وهم المومنون وقوله
تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده نصب على المصدر وهو راجع الى قوله تعالى سيغلبون اي وعد الله
تعالى ذلك وعدا ووعد نصر المومنين ولا يجري الخلف في موعوده ولكن اكثر الناس لا يعلمون لان
اكثرهم كفار ويجوز في النحو من قبل ومن بعد على الخفض ولكنهما انما بنيا على الضم لان اعرابهما في الاضافة

النصب

النصب والخفض فتقول رايته قبلك ومن قبلك فلما عدلا عن بنائهما حركا بغير الحركتين اللتين
كانتا يدخلان بحق الاعراب وهما غايتان ومعنى الغاية ان الكلمة حذفت منها الاضافة وجعلت
غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف واما قوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا فمعناه يعلمون
في امور معاشهم ما ظهر وتبدا من الحيوة الدنيا من وجوه الاكتساب من التجارة والزراعة والحرث
والغراسة والمحاسبة من واحد الى الف وما يحتاجون اليه في الشتاء والصيف ولا يعلمون ما طريق
الدليل من امر الاخرة وما يكون فيها من البعث والثواب والعقاب فهم غافلون عما هو اولى بهم
وعما يليق بهم من الاستعداد لذلك **قوله عز وجل** اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون
معناه اولم يتفكر اهل مكة في خلق انفسهم فيعلموا انه تعالى ما خلق السموات والارض وما فيهما من العجايب
والبدايع الا ليحق الحق ويبطل الباطل ويجزي كل عامل بما عمل عند انقضاء الاجل المسمى الذي جعله الله
تعالى لانقضاء السموات والارض وان كثيرا من الناس يجاحدون بجزاء ربهم وحسابه **قوله
عز وجل** اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم
قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بايات
الله وكانوا بها يستهزءون الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون معناه اولم يسافروا في الارض
فينظروا كيف صار اخر امر الذين من قبلهم حين كذبوا الرسل كانوا اشد من هولاء قوة واثاروا
الارض اي قلبوها للعمارة والحرث وعمروها اكثر مما عمروها هولاء فلم يبق منهم ولا من عمارتهم اثر
فكذلك يكون حال هولاء وقوله تعالى فما كان الله ليظلمهم باهلاكهم ولكن كانوا هم الذين
يظلمون انفسهم بتكذيبهم بالبينات وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اي ثم صار اخر امر الذين
اساءوا بالكفر والتعاطي السوأى يعني العذاب بسبب تكذيبهم واستهزائهم بايات الله ويقال
السوأى مصدر لقوله اساءوا وكانه قال عاقبة الذين اساءوا السوأة فيكون الجواب في قوله
ان كذبوا بايات الله اي جازاهم الله تعالى بما اساءوا بان طبع على قلوبهم حتى كذبوا بايات الله
تعالى وقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي يخلقهم من النطفة ثم يعيدهم بعد الموت الى
موضع حسابهم وجزائهم ترجعون [illegible] كما يقال رجع امرنا الى القاضي اذا لم ينظر
فيه غيره **قوله عز وجل** ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء
وكانوا بشركائهم كافرين معناه يوم القيمة ييأس المشركون [illegible]
الساعة [illegible] وقوله عز وجل [illegible] والمبلس هو
[illegible]
[illegible] **قوله عز وجل**
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون
واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون معناه واذكروا
يوم تقوم الساعة [illegible] فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فهم في روضة [illegible] يكرمون بالتحف ويسرون والحبور في اللغة [illegible]
حسنة [illegible] والحبرة التحسين [illegible] حبر [illegible] باحسن اخلاق المومنين وسمي المداد حبرا
لان [illegible] الحسن [illegible] واما الذين كفروا [illegible] توحيد الله تعالى وكذبوا [illegible]
والبعث بعد الموت فهم الذين يحضرون في العذاب ويحبسون مع الهتهم **قوله عز وجل**

سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين
تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون
معناه نزهوا الله تعالى وعظموه بفعل الصلوة في هذه الاوقات فوقت المسا يصلي فيه المغرب
والعشا الاخرة ووقت الصبح يصلي فيه الفجر وقوله تعالى وله الحمد معناه احمدوه فله الحمد في
السموات والارض وقوله تعالى وعشيا معناه صلوا بالعشي والمراد به صلوة العصر وقوله
تعالى وحين تظهرون اراد به صلوة وقت الظهر وكان الحسن يذهب الى ان هذه الاية
من هذه السورة مدنية وكان يقول ان ابتدا الصلوات الخمس كان بالمدينة وكانوا يصلون بمكة
ركعتين بلا وقت معين غيران اكثر المفسرين على ان ابتدا ايجاب الصلوات الخمس كان بمكة كما
روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امني جبريل عليه السلام
عند باب البيت مرتين فذكر في هذا الخبر اول وقت كل صلوة واخره من اوقات الصلوات
الخمس وقوله تعالى يخرج الحي من الميت اي الانسان الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة وهي ميتة من
الانسان الحي وقيل يخرج الشجر من الحب والحب من الشجر والفرخ من البيضة والبيضة من الطير ويحيي
الارض باخراج الزروع منها بعد موتها وكذلك تخرجون من قبوركم الى المحشر فان بعثكم بمنزلة
ابتدا خلقكم وهما في قدرة الله مستويان **قوله عز وجل** ومن اياته ان خلقكم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون معناه ومن علامات توحيده وامر دينه ان خلق اصلكم من تراب ثم خلقكم
احيا قادرين تتصرفون في اقبالكم وادباركم في حوايجكم لان احدا لا يقدر على خلق الحيوان الا
الله عز وجل **قوله عز وجل** ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل
بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون معناه ومن اياته الدالة على توحيده
ان خلق لكم من جنسكم نسا لتطمينوا اليها وذلك انهن انما خلقن من نطف الرجال وجعل بعض الادميين
ذكورا وبعضهم اناثا ليسكن الذكر الى الانثى وجعل بين الزوج والمراة موده ورحمة فان ما بينهما
من المودة والرحمة اكثر ولذلك يهجر احدهما عشيرته بسبب صاحبه وقوله عز وجل ان في ذلك لايات
اي فيما ذكر من صنع الله تعالى وقدرته لعلامات على وحدانيته لقوم يتفكرون في الدلايل
قوله عز وجل ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في
ذلك لايات للعالمين معناه ومن ايات توحيده خلق السموات والارض بما فيهما من العجايب والبدايع
واختلاف لغاتكم واصواتكم وصوركم والوانكم من حيث ان كل واحد خص في صورته وصوته
ونغمته بما يتميز به عن غيره ان في ذلك لدلالات للخلق اجمعين انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى العالم
بكل شي **قوله عز وجل** ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون معناه ومن اياته كيفية نومكم كيف يغلب عليكم ومن اين ياتيكم
ثم كيف يزول عنكم فتطلبون معيشتكم ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع النظر والاستدلال
ويقال لقوم يسمعون القران وذلك ان الكفار كانوا يقولون لا تسمعوا لهذا القران **قوله عز
وجل** ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون معناه ومن اياته انه يريكم البرق نهارا وهو النار التي تخرج
من السحاب الذي يكون عنه المطر فيخاف المسافرون من ان تبتل ثيابهم ويطمع المقيمون في
سقي زروعهم واشجارهم ان فيما ذكر من البرق وانزال المطر واحيا الارض بعد قحطها ويبسها
لعلامات لقوم يفقهون اثر الله **قوله عز وجل** ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم
اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون

معناه ومن اياته ان تقوم السما والارض بغير عمد تحتهما ولا علاقة فوقهما بقدرة الله تعالى وتسكينه
ثم اذا دعاكم من القبور عند النفخة الثانية ايتها الاجساد البالية والعروق المتمزقة والشعور المتمزقة
اذا انتم تخرجون من قبوركم مهطعين الى الداعي ويقال معنى قوله تعالى اذا دعاكم اخرجكم
بما هو بمنزلة الدعا وهذا توسع في الكلام لان خروجهم من الارض ليس بفعلهم فيدعون اليه بل هو
بفعل الله تعالى واما قوله تعالى كل له قانتون فالقانت هو الدايم على امر واحد كالملايكة وكل الخلايق
دايمون على الانقياد لله تعالى منهم من هو بفعله وخلقته ومنهم من هو بخلقته دون فعله لا يقدرون
على الامتناع من شي مما يراد بهم من صحة ومرض وغنى وفقر وحيوة وموت **قوله عز وجل** وهو
الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم معناه وهو الذي يبدو الخلق من النطفة ويرزقه ثم يميته فيصيره ترابا كما كان ثم يبعثه
في الاخرة وذلك هين عليه لا كما يظنه الكافر وقد يذكر لفظ افعل بمعنى فعيل كقوله الله اكبر بمعنى
الكبير قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اننا تعدو المنية اول يريد بقوله
لاوجل وجل وانما قيل على هذا انا وجل لانه لا يجوز ان يكون بعض الاشيا على الله عز وجل اهون
من البعض ويقال ان الها في قوله تعالى عليه عايدة الى الخلق اهون من الانشا ويقال في معناه
والاعادة اهون عليه بحسب عقولكم وتقديركم او الاعادة اهون على هذا المنكر من الانشا فان من
نسج كسا كان اعادة نسجه عليه اهون وكذلك من صاغ حليه ولو كلف احد انشا الخلق في الرحم
ثم اعادته بعد الموت كانت الاعادة اهون عليه من انشايه في الرحم لانه لا يراه ولا يتخلص اليه بيده وقت
الانشا فكيف يقرون بما هو اصعب عليهم وينكرون ما هو اهون عليهم فاذا كان ذلك على هذه الجملة
في مقدور العباد مع تفاضلهم في مقدورهم لا يخفى النقص بوجه من الوجوه احق بصحة الاعادة وقوله
تعالى وله المثل الاعلى اي له الصفة العليا وهي القدرة التي لا يجري عليها العجز وهو القاهر لكل شي
الحكيم في جميع افعاله **قوله عز وجل** ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من
شركا فيما رزقناكم فانتم فيه سوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الايات لقوم
يعقلون بل اتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين معناه
وصف لكم معشر الكفار شبها من انفسكم هل لكم من عبيدكم وامايكم من شركا فيما اعطيناكم من
الاموال فتكونوا انتم ومن عبيدكم سوا فيما اعطيناكم تخافون عبيدكم ان يقاسموكم في اموالكم كما تخافون
من ابايكم وشركايكم ان تزيلوا اموالكم بعدكم كما تخافون لابنا عبيدكم اذا لم يقطعوا حقهم كما تخافون
لابنا بعضكم بعضا من الاقارب والشركا اذا ظالمهم بودا حقوقهم فانهم لا يابون لهم [illegible]
مالا يرضون لانفسكم تشركون عبيد الله تعالى في ملكه وفي عبادته ولا تشركون عبيدكم فيما رزقكم الله
تعالى ولانتم لا تخافونهم ويحلون الحقوق من عبيد الله تعالى [illegible]
كما دليه ولا تخاف من عبيدكم كما تخاف منكم وقوله تعالى كذلك نفصل الايات معناه هكذا نبين
الايات لقوم يعقلون وقوله تعالى بل اتبع
الذين ظلموا اهواهم معناه ليس لهم في الاشراك حجة بل اتبع الذين اشركوا
تعالى بما على الجهل وهوى الانفس فمن يهدي الى ثواب الله تعالى من اضل الله تعالى عن ومن يحكم
بهدايته من حكم الله تعالى بضلالته وما لهم من مانع يمنع عما يريد بهم **قوله عز وجل** فاقم وجهك
للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا كل حزب بما لديهم فرحون معناه فاقم يا محمد صلى الله عليه وسلم على دين الاسلام ملة

مائلا عن كل دين سواه وادع الكفار إلى ذلك وقوله تعالى فطرة الله معناه اتبع دين الله تعالى
الذي خلق الناس لذلك والمراد بالفطرة في هذه الآية الدين كما ورد في الحديث كل مولود يولد على
الفطرة إلى آخر الخبر ونظير هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ويقول القائل
لرسوله بعثتك على هذا ولهذا وهذا والمعنى واحد وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله أي لا تغيير
لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه ولا يلحقه نسخ ويقال في معناه لا تبدلوا دين الله تعالى الذي
أمرتم بالثبات عليه وفي قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي لا يعلمون أن دين الإسلام هو
الحق وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالفطرة في هذه الآية إيمان يوم الميثاق وذهب بعضهم
إلى أن المراد بها الخلقة التي يخلق المولود عليها في رحم أمه من شقاوة أو سعادة والفطرة في اللغة هي
الصنعة التي شق عنها بإظهارها ويقال تفطر الشجر بالورق إذا تشقق ويسمى الدين فطرة لأنه مفطور
كما يسمى المبيع بيعا كما يقال هذا بيع بكذا وقوله تعالى منيبين إليه معناه أقيموا وجوهكم
راجعين إلى الله تعالى في كل ما أمركم به لا تخرجون عن شيء من أوامره وهذا لأن الخطاب في أول هذه
الآيات للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم خطاب للأمة كما في قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء وقوله تعالى واتقوه أي
اتقوا مخالفته وأقيموا الصلوة كما أمركم الله تعالى به ولا تكونوا على دين المشركين من الذين فرقوا
دينهم وصاروا فرقا وكذلك معنى قوله وكانوا شيعا أي صاروا جماعة كل جماعة [illegible]
دينا مثل اليهود والنصارى وسائر الملل كل أهل دين يفرحون بما عندهم من الدين قوله
عز وجل وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم
بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون معناه وإذا أصاب الناس شدة وبلية دعوا ربهم لدفع الشدة راجعين
إليه منقطعين من الخلق ثم إذا أذهبت عنهم تلك الشدة إذا فريق منهم يرجعون إلى الشرك لكي يكفروا
بما أعطيناهم فيبدلوا بالشكر كفرا وقوله فتمتعوا فسوف تعلمون لفظه لفظ الأمر ومعناه
الوعيد يقول تلذذوا بالدنيا فسوف تعلمون ماذا ينزل بكم وقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا
معناه أنزلنا عليهم حجة وبرهانا يشهد وينطق بأن الله تعالى أمرهم بما يفعلون قوله عز وجل
وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون معناه وإذا
أعطينا الناس رحمة استبشروا بها وإن تصبهم شدة ومحنة وبلية بما عملت أيديهم في الشرك من المعاصي
إذا هم ييأسون من رحمة الله تعالى ويعملون عمل من يأس من الفرج وفي الآية نهي عن الجزع في المصيبة
قوله عز وجل أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله
وأولئك هم المفلحون معناه أولم ينظروا ويعلموا أن الله تعالى يوسع الرزق ولعله يكون
استدراجا له ويضيق على من يشاء وربما يكون نظرا له إن في البسط والتقتير لعلامات دالة على التوحيد
لقوم يصدقون بالله تعالى وأعط ذا القربى في الرحم صلته التي أوجبها الله تعالى عليك للفقراء وأعط
المسكين الذي يطوف في السكك وأكرم الضيف النازل بك ذلك الذي ذكر من الصلة والإعطاء
والإكرام خير للذين يريدون رضى الله تعالى فإنه إذا أمسك أو دفع وهو لا يريد به رضى
الله تعالى ذهب ماله من غير أن يحصل على شيء والمفلحون هم الفائزون السعداء الباقون في الجنة
قوله عز وجل وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون معناه وما تعاطيتم
من عقد الربوا رجاء أن تربوا أموالكم فلا تربو في حكم الله تعالى لأن ذلك للمأخوذ منه
لا للآخذ وعلى الآخذ أن يرده على المأخوذ منه ويقال معنى فلا يربو عند الله أنه تعالى جعل الربوا
سببا لإذهاب المال في العاجل وللعذاب في الآجل وهو نظير قوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات وقوله تعالى وما آتيتم من زكوة معناه وما أعطيتم من صدقة تريدون بها رضى
الله تعالى فأولئك هم الذين يضاعف لهم في العاجل والآجل يقال رجل مضعف أي ذو أضعاف كما
يقال رجل مقو أي صاحب قوة وموسر أي صاحب يسار وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
أنه قال في قوله تعالى وما آتيتم من ربا أن الربوا هاهنا هو هبة الرجل لصاحبه يريد أن يثيبه
بأفضل منه فذلك الذي لا يربو عند الله تعالى لا يؤجر فيها الواهب ولا إثم عليه وإنما الذي يربو
عند الله تعالى لا يؤجر فيه الواهب هو العظيم الذي لا يطلب بها المكافاة ولا يراد بها إلا رضى
الله تعالى وعن عكرمة رضي الله عنه أنه قال الربا رباءان ربا حلال وربا حرام وفسر الحلال بالذي
ذكره ابن عباس في هذه الآية ومن قرأ لتربوا بالتاء والضم فمعناه لتزيدوا أنتم زيادة في أموال
الناس وأما القراءة بالياء فمعناها ليربو المعطى فيكثر وقوله تعالى الله الذي خلقكم معناه هو الذي
خلقكم نسما في بطون أمهاتكم ثم أخرجكم ورزقكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بعد الموت
هل من شركائكم الذين جعلتم لهم في أموالكم حصة وشركة من يفعل من ذلكم من شيء وقوله
سبحانه تنزيه لله تعالى عما يشركون به قوله عز وجل ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي
الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون معناه ظهر فساد الأموال بالقحط والخوف [illegible]
البر والبحر بذنوب الناس ومعاصيهم ليذيقهم الله تعالى جزاء بعض الذي عملوا فيكون عقوبة معجلة
في أهل العقوبات لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان ومن المعصية إلى الطاعة فيكشف الله تعالى عنهم
الشدة وفي هذا تنبيه على أنه تعالى إنما يقضي بالجدوبة ونقص الثمرات والنبات لطفا منه في رجوع الخلق
عن المعصية ويقال إن المراد بالفساد في الآية المعاصي ومعناها ظهر عقاب الفساد يعني المعاصي
وهذا الأمر إذا ظهر في الأرض قطع الطريق وقتل الأنفس وأخذ الأموال منعت هذه الأسباب الناس
من الحراثة والتجارة فيرجع ذلك الضرر إلى جميع الناس قوله عز وجل قل سيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين معناه قل لأهل مكة سافروا في الأرض وانظروا
نظر الاعتبار كيف صار آخر أمر الذين من قبل كان أكثرهم مشركين يقول انظروا إلى ديار عاد وثمود
ومدين وقوم لوط ليدلكم ذلك على أنه لا ينبغي لأحد أن يكفر بالله تعالى قوله عز وجل فأقم
وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون معناه أقم قصدك
وعملك للدين الحق الذي لا عوج فيه واعمل به أنت ومن تبعك من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله تعالى
قيل هو يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وهذا هو الأصح لأنه عقبه بقوله يومئذ يصدعون أي يتفرقون
فيصير فريق في الجنة وفريق في السعير قوله عز وجل من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا
فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين
معناه من يكفر فعليه ضرر كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يوطئون موضعهم في الجنة ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ثوابهم على قدر الاستحقاق ثم يزيدهم من فضله المؤمنين زيادة الثواب
قوله عز وجل ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون معناه ومن علامات توحيده إرساله الرياح قدام المطر للبشارة
بالمطر ليذيقكم من رحمته بإنبات النبات والزروع ولتجري السفن بأمره على ظهر الماء بهذه الرياح ولتطلبوا

من فضله سلوكا البحر ولكي تشكروا نعمة ربكم قوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر المومنين معناه
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم بالبينات فكذبوهم فانتقمنا من الذين اجرموا وفي الاية
تحذير لكفار ان يصيبهم مثل الذي اصاب الذين من قبلهم اذا ثبتوا على تكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما كيف
يشا ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشا من عباده اذا هم
يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى اثر رحمة الله كيف
يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير ولئن ارسلنا ريحا فراوه
مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وذلك ان الله تعالى يحدث السحاب عقيب الرياح فترفعه
الرياح في الهوى فيبسطه الله تعالى في السما كيف يشا ويجعل السحاب قطعا بعضها فوق بعض
فترى المطر يخرج من وسطه الى قوم دون قوم فاذا اصاب بذلك المطر من يشا من عباده اذا هم يفرحون
بالمطر وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من السحاب ايسين من ذلك لانهم كانوا لا يزرعون الا
على المطر فلما ابطا عليهم المطر ايسوا وقوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ولغيره من المكلفين واثار الرحمة هي انواع النبات التي تنبت من المطر من بين اخضر واحمر وغير ذلك
من الالوان وقوله تعالى كيف يحيي الارض اي كيف يجعل الارض مخضرة بعد يبسها ان الذي فعل
ذلك هو الذي يحيي الموتى للنشور فانه كما يعيد الشجر الذي ظهر يبسه رطبا ويعيد فيه الخضرة والنور
والثمر كذلك يحيي الموتى وهو على كل شي قدير يريد من الموت والحيوة قادر وقوله تعالى ولئن
ارسلنا ريحا معناه ولئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فايبست زروعهم وراوا الزرع مصفرا بعد
خضرته وقيل معناه فراوا السحاب مصفرا يعلمون انه لا يمطر لظلوا من بعده اي لصاروا من
بعد صفرته يجحدون نعم الله تعالى لانهم كانوا اذا استبطاوا الرزق والمطر جزعوا وكفروا
بالنعم وقيل ظل بمعنى صار كما يقال ظل يفعل كذا اذا جعل يعمله بالنهار وبات يفعل كذا اذا كان يفعله بالليل قوله
عز وجل فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن باياتنا فهم مسلمون وذلك ان الكفار لما اعرضوا عن الايمان
بالله تعالى مع وضوح دلايل التوحيد على ما سبق ذكره انزل الله سبحانه هاتين الايتين تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وسمى الكفار موتى لانهم كانوا في تركهم العمل بما يسمعون وبما يبصرون ولذلك
قال اذا ولوا مدبرين والادبار هو الذهاب الى الخلف ونقيضه الاقبال وقوله تعالى وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم فيه بيان ان الاعمى كما لا يمكن ان يجعل بمنزلة البصير فكذلك
المعرض المعاند لا يمكن ان يجعل بمنزلة الناظر المتدبر للايات ولا يمكن ان يجبر على الهدى وانما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم داعيا ومبلغا وقوله تعالى ان تسمع الا من يومن باياتنا يقول ما تسمع سماع
قبول وعمل الا من يصدق بكتابنا لانهم هم الذين يستدلون به فهم مخلصون وهم منقادون
لامر الله تعالى قوله عز وجل الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وهو العليم القدير معناه الله الذي خلقكم
من نطفة ضعيفة في بطون الامهات ثم اطفالا لا تملكون لانفسكم نفعا ولا ضرا ثم جعلكم اقويا بما
اعطاكم من الاستطاعة والعقل والهداية للتصرف في اجتلاب المنافع ودفع المضار ثم حولكم بعد
ذلك الى وهن العظم والى الشيبة كما قال تعالى حاكيا عن نبيه زكريا صلى الله عليه وسلم قال رب اني وهن
العظم مني واشتعل الراس شيبا ونظير هذه الاية قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق وقوله

تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا اي يصير مسلوب القوة
والفهم كالصبي بل يصير حاله دون حال الصبي لان الصبي يرجوا البلوغ والعقل وهذا
يزداد على البقا ضعفا وجهلا ولذلك سماه الله تعالى ارذل العمر وقوله تعالى يخلق ما يشا
اي يحدث ما يشا كما يشا وهو العليم بخلقه القادر عليهم نحولهم من حال الى حال اذ لا يقدر على
ذلك سواه وفي الاية بيان انه تعالى انما امهل عباده ليرجعوا بالتوبة اليه وليتذكر في عمره من تذكر
ويتعظ في حال شيبه من لم يتعظ في حال شبابه وفيه بيان ان القادر على النقل من الضعف الى
القوة ومن القوة الى الضعف قادر على النقل من الحيوة الى الموت ومن الموت الى الحيوة قوله
عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يوفكون
وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون معناه
ويوم تقوم الساعة يحلف المشركون ما لبثوا في الدنيا غير ساعة اي يحلفون على ظنهم
انهم لم يلبثوا الا يسيرا كما قال اصحاب اهل الكهف لبثنا يوما او بعض يوم وعن قتادة رضي
الله عنه انه قال انهم يستقلون ايام الدنيا في جنب ايام الاخرة وقيل انما يريدون باللبث
المكث في القبور بعد الموتة الثانية وبعد عذاب القبر وقوله تعالى كذلك كانوا يوفكون اي
هكذا كانوا يكذبون في الدنيا بجهلهم وغفلتهم كما كذبوا في الاخرة وقوله تعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان المراد به الملائكة والانبيا والمومنين يقولون للكفار بعدما اقسم الكفار على
الباطل لقد لبثتم في كتاب الله تعالى اي لبثتم في دار الدنيا وفي القبور في حكم الله تعالى الى يوم
البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تستدلون بحجج الله تعالى ولا تصدقون فيومئذ لا ينفع
الذين ظلموا اعتذارهم من الذنوب اذا اعتذروا وقالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون وقوله تعالى ولا هم يستعتبون اي لا يجابون الى ما يطلبون من الرجعة
الى الدنيا وقيل ان المراد بقوله تعالى في كتاب الله فيما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ قوله
عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين
كفروا ان انتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون معناه ولقد بينا للناس في هذا القران من كل صفة وبين حجتهم
بكل حجة ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي ما انتم الا على الباطل يقال ابطل الرجل اذا جا
بالباطل واكذب اذا جا بالكذب وقوله تعالى كذلك يطبع الله قد سبق تفسيره في مواضع وقوله
فاصبر ان وعد الله حق معناه اصبر على تبليغ الوحي والرسالة وعلى ما يلحقك من الاذى من جهة الكفار فان
ما وعد الله من النصر واظهار دين الاسلام صدق كاين باتيك في حينه ولا يحملنك تكذيب الكفار
الذين لا يستيقنون بامر الله تعالى على الخفة وترك حلمك صبورا ووقورا لا تعجل بالدعا عليهم فيما يستعجلون
من العذاب بقولهم ايتنا بعذاب الله تعالى ومتى هذا الوعد وعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وعن
ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الروم كان له من
الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح بين السما والارض سورة لقمن اربع وثلثون
اية مكية كلها الا في رواية عن ابن عباس ان قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الى اخر الايات الثلث مدنيات بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة
وهم بالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون معناه هذه السورة

هي ايات الكتاب الحكيم الذي وعدك الله تعالى ان ينزلها عليك ويجوز ان يكون معنى
الحكيم الناطق بالحكمة وقوله تعالى هدى ورحمة نصب على الحال اي دلالة ونعمة
من الله تعالى للمحسنين وهو دلالة ونعمة من الله تعالى لكل مكلف لكن المحسنين هم الذين
انتفعوا بها فاضيفت اليهم **قوله عز وجل** ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل
عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه اياتنا ولى
مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم **روي** ان هذه الاية
نزلت في النضر بن الحرث كان اشترى كتبا فيها اخبار الاعاجم كان يلهو بها في المجالس
فحملها الى مكة يقراها على مشركي قريش فجعل يقروها عليهم ويقول ان محمدا اتى بكتاب فيه
بعض قصص الامم الماضية وانا اتيت بمثله فكانوا يستملحون حديثه وكان اذا سمع شيئا
من القران يهزو به ويعرض عنه فذلك قوله ليضل عن سبيل الله اي ليصرف الناس عن دين
الله تعالى جهلا بلا علم ومن قرا ليضل بنصب اليا فمعناه ليتشاغل بما يلهيه ويصير امره الى
الضلال والعذاب المهين اريد به اذلال العقاب في الاخرة يهان به واما اذلال المرض
فلا يكون هوانا وكذلك اذلال الفقر وكذلك العذاب الذي لا يراد به العقوبة وانما
يراد به التاديب وقوله ولى مستكبرا اي اعرض عن قبوله متعظما عن الايمان به وشبهه
بمن لا يسمع وبمن في اذنيه ثقل يمنع عن السماع لاعراضه عن القبول وهذا على وجه التوسع
كما يقال للجبن قلبه هو ميت ويراد به التشبيه به وقوله تعالى فبشره بعذاب اليم اي بعذاب
وجيع في الدنيا قبل ان يصل الى الاخرة وهو ما روي انه اخذ يوم بدر اسيرا فقتل صبرا
لم يقتل من الاسارى يومئذ غيره وغير عقبة بن ابي معيط وعن مجاهد رضي الله عنه
ان المراد بلهو الحديث الغنا الذي يلهي عن ذكر الله تعالى قال ونهى رسول الله صلى
الله عليه عن كسب الزمارة وهي المغنية وعن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن واكل اثمانهن حرام **قوله عز
وجل** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو
العزيز الحكيم ظاهر المراد **قوله عز وجل** خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين وصف الله سبحانه خلقه
الذي يعجز المخلوقون عن الاتيان بمثله وبقدر على نوع منه من خلق السموات والارض والقا الجبال
الثوابت في الارض اوتادا لها لئلا تميد باهلها وتفريق الدواب الكثيرة في الارض وانزال المطر
من السما وانبات انواع النبات في الارض ثم قال عز من قايل هذا خلق الله فاروني ايها الكفار
اي شي خلقه الذين يعبدون من دونه فلم تجدوا شيا تشيرون اليه من خلق غيره ولم يقدر على خلق
هذا الكلام فقيل بل الظالمون اي الكافرون في ذهاب عن الصواب بين **قوله عز وجل**
ولقد اتينا لقمن الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد
معناه ولقد اتينا لقمن علم التوحيد والمواعظ والهمناه ان يشكر الله تعالى على ما اعطاه من الحكمة
ومن يشكر نعم الله تعالى فان منفعة شكره راجعة الى نفسه ومن كفر فان الله تعالى غني عن شكره
حميد يحمد الشاكر ويثيبه على شكره وقد اختلفوا في لقمن انه كان نبيا ام لم يكن قال بعضهم
كان حكيما ولم يكن نبيا وقال السدي كان نبيا **وروي** انه تلمذ لالف نبي واختلفوا ايضا
في حرفته فقال الاكثرون كان نجارا ويقال كان خياطا ويقال كان راعيا فمر عليه رجل وهو يعظ الناس

فقال

فقال له انت الرجل الذي كنت ترعى الغنم فقال نعم فقال له ثم بلغت الى ما بلغت قال بصدق الحديث
وتركي ما لا يعنيني **وروي** انه كان عبدا حبشيا غليظ الشفتين مشقوق الرجلين وكان
سبب عتقه ان الحكمة كانت تجري على لسانه فاخبر بذلك مولاه فاراد ان يجربه فدعاه وقال
اذبح لنا شاة وايتني باطيب مضغتين منها فذبح شاة واتاه بالقلب واللسان ثم قال له مولاه اذبح
شاة اخرى وايتني باخبث مضغتين منها فذبح شاة واتاه بالقلب واللسان فسال عن ذلك فقال انهما
اطيب شي اذا طابا واخبث شي اذا خبثا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما زهد عبد في
الدنيا الا انبت الله الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وصانه عن عثرات الدنيا وعن افات نفسه فاذا رايتم
احدكم قد زهد في الدنيا فاقربوا اليه واستمعوا منه فانه يلقى الحكمة **قوله عز وجل** واذ قال
لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم معناه واذكر اذ قال لقمن لابنه
في حال ما يعظه يا بني لا تشرك بالله احدا ان الشرك لظلم عظيم عند الله تعالى وذلك ان الله تعالى
هو المحيي المميت الخالق الرازق فاذا اشركت به احدا غيره فقد جعلت النعم لغيره وذلك من اعظم
الظلم **قوله عز وجل** ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في
عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون نزلت في
سعد بن ابي وقاص لما امن بالنبي صلى الله عليه وسلم حلفت امه ان لا تذوق طعاما ولا شرابا ولا
يظلها شي من الشمس حتى يرجع هو الى دينه فمضى على هذا ايام فبلغ امرها الى ان تداخل بعض اسنانها
في بعض فانزل الله تعالى هذه الاية فقال سعد رضي الله عنه لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت ما ارتددت
عن الاسلام ففتح فاها وصب فيه الطعام والشراب ومعنى ووصينا الانسان امرناه ببر والديه
عطفا عليهما ولم يذكر البر لان في اللفظ دليلا عليه وقوله تعالى حملته امه وهنا على وهن اي ضعفا
على ضعف ومشقة على مشقة كلما ازداد الولد في الرحم كبرا ازدادت الام ضعفا ويقال المراد به
ضعف الولد على ضعف الام لانها خلقت ضعيفة وقوله تعالى وفصاله في عامين معناه وفطامه
في انقضاء عامين وفيه بيان ان على الاغلب ان الرضاع لا يستحق بعد مضي هذه المدة
وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك اي قلنا له اشكر لي على خلقي اياك وعلى انعامي عليك واشكر
لوالديك على تربيتهما اياك الي المصير ومصير والديك وقوله وان جاهداك على ان
تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما في ذلك وقوله تعالى
وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صاحبهما مصاحبا معروفا مصاحبة المعروف
ما يستحسن من الافعال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الصاحب ان قطعها
ان جاعا وتكسوهما اذا عريا ويستدل بهذه الاية على ان الابن لا يستحق القود على ابيه ولا يحد
الاب لقذف الابن والحبس بدين عليه لان في ايجاب القود والحد والحبس ما ينافي مصاحبة
بالمعروف وحكي عن ابي يوسف ان القاضي يجبر الاب على نفقة الابن فاذا تمرد عن نفقته حبسه
لانه استخفاف بالابن الصغير والحبس الذي
عليه لانه لولم يحبس ضيع نفقة الولد الصغير وقوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي
معناه واتبع طريق من رجع الي ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون من الخير
والشر وقد تضمنت هذه الاية النهي عن صحبة الكفار والفساق والترغيب في صحبة الصالحين ثم
رجع الكلام الى وصف لقمن فقال **عز وجل** يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ان الله لطيف خبير يا بني اقم الصلوة وامر

المعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وذلك ان ابن لقمن سال
اباه فقال ارايت الحبة التي تكون في قعر البحار ايعلمها الله تعالى قال علم ان الله تعالى يعلم الحبة كيف
كانت بلطفه وخبرته وهذا مثل ضربه الله تعالى لاعمال العباد انه ياتي باعمالهم يوم القيمة وان
كان العمل الصالح في الصغر يوزن حبة من خردل فالله تعالى يحفظه ولا يخفى عليه مكانه حتى يجازيه
عليه ويجوز ان تكون الهاء في قوله انها ان تك كناية عن الخصلة التي يعملها ابن ادم بحيث لا يراه احد
من الناس وانما قدم الكناية لانها كانت معروفة عند المخاطب كما يقول انها هند قائمة وانه زيد
قايم وانما قال تك بلفظ التانيث في القراءة التي تقرا مثقال برفع اللام لان المثقال اضيف الى الحبة
فكان المعنى للحبة وكان المثقال اسم تك ومن نصب المثقال جعله خبرا والاسم للحبة او للخصلة
واما قوله تعالى فتكن في صخرة اراد به الصخرة التي تحت الثرى وقيل المراد به صخرة من الصخور
وقوله تعالى يات بها الله اي يجازيه بها الله تعالى يوم القيمة ان الله لطيف قادر على الاتيان بها
عالم بموضعها يوصلها الى صاحبها حيث ما يكون واللطيف العالم بكل دقيق وجليل والخبير
العالم بسائر الامور وقوله تعالى يا بني اقم الصلوة معناه اقم الصلوة التي فرضها عليك الله تعالى
وامر بالطاعة وانه عن المعصية واصبر على ما اصابك من الاذية في الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وظاهره يقتضي وجوب الصبر وان خاف على النفس الا ان الله تعالى اباح اعطاء التقية
في حال الخوف في غير هذه الاية وقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور اي الصبر على ما اصابك
في ذات الله تعالى من عظام الامور والعزم والحزم بمعنى واحد وهو الاحتياط في الامر الذي
يجب على نفسه ويوطن نفسه عليه ونظير هذا قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ۞
قوله عز وجل ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال
فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير معناه
لا تعرض عن الناس تكبرا ولا تحقرهم واصل الصعر داء ياخذ الابل في اعناقها حتى تلوي وجوهها
واعناقها فشبه به الرجل الذي يلوي عنقه من الناس تكبرا قال الشاعر ۞
وكنا اذا الجبار صعر خده ۞ اقمنا له من ميله فتقوما ۞ وقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا
معناه ولا تمش في الارض بالاعجاب والبطر وازدراء الناس فان مثل ذلك لا يفعله الا جاهل بنفسه
وباحواله وابتداء امره ومنتهاه كما قال الحسن البصري لابن ادم والكبر وقد خرج من سبيل البول مرتين
وقوله تعالى ان الله لا يحب كل مختال فخور معنى الاختيال هو التبختر في المشي ومعنى الفخر هو
ذكر المناقب للتطاول على السامع وكل ذلك مذموم لانه انما يستحق على نعم الله تعالى الشكر لله تعالى
لا ان يتوصل بها الى معاصيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر نعم الله تعالى عليه
انا سيد ولد ادم ولا فخر فاخبر انه ذكرها شكرا لا فخرا ومعنى المحبة من الله تعالى ارادة الخير منه للعبد
الصالح والبغض من الله وهو ايجاب العقوبة للعبد الفاجر وقوله تعالى واقصد في مشيك معناه اقصد
في المشي ولا تبختر ولا تسرع وقيل المراد بالقصد السرعة التي تنافي الخيلاء وقوله تعالى واغضض
من صوتك معناه اخفض صوتك ولا ترفعه على وجه الانتقاص للناس واظهار الاستخفاف بهم
يقال فلان يغض من فلان اذا كان ينتقصه وقوله تعالى ان انكر الاصوات معناه ان اقبح
الاصوات في الارتفاع لصوت الحمير يقال اتانا فلان بوجه منكر اي قبيح قوله عز وجل الم
تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير معناه الم يعلموا

ان الله خلق وذلل لنا فعلم ومصالحكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب
والمطر وما في الارض من الاشجار والانهار والبحار والدواب وقوله تعالى واسبغ عليكم
نعمه اي اتم عليكم نعمة ظاهرة من الخلق الحسن وسلامة الاعضاء الظاهرة وباطنة من العقل
والفهم والفطنة والمعرفة بالله تعالى وقيل النعم الظاهرة هي الاسلام والباطنة ما يخفى من
الذنوب وتستر من العورات وقيل الظاهرة هي الاسلام ما يعلم الناس من حسناتك والباطنة
ما لا يعلمون من سيئاتك ومن قرا نعمة على التوحيد فهي واحدة تنبئ عن الجمع كما في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله اي منهم من يخاصم
في اثبات الله تعالى وفي صفاته جهلا بغير علم ولا حجة ولا كتاب مضيء واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله تعالى قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من الدين والسنة يقول الله عز وجل اولو كان الشيطان
معناه ايتبعون اباءهم وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب جهنم قوله عز وجل
ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور
ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم
قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ معناه ومن يخلص طاعته لله وهو محسن فيها يفعلها على موجب
الشريعة فقد اخذ بالحبل الاوثق والى الله ترجع خواتم الامور كلها فيجزي كل عامل بما عمل وقوله
تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ربما كان يحزنه كفرهم مخافة ان
يكون ذلك لتقصير من جهته فامنه الله تعالى من ذلك وقوله تعالى الينا مرجعهم اي الى موضع
جزائنا منقلبهم فنجزيهم في الاخرة بما عملوا في الدنيا ان الله عليم بذات الصدور عليم بما في القلوب
من خير وشر وقوله تعالى نمتعهم قليلا اي نمهلهم في الدنيا يسيرا ثم نلجئهم في الاخرة الى
عذاب شديد قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد قد تقدم تفسيره
في مواضع قوله عز وجل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما
نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير
روي عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة اتاه احبار اليهود فقالوا
بلغنا انك قلت وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام عنيت قومك فقال صلى الله عليه وسلم
بل عنيت الجميع فقالوا الم تعلم ان الله تعالى انزل التورية على موسى عليه السلام وخلفها
فينا معنا فقال صلى الله عليه وسلم التورية وما فيها من الانباء قليل في علم الله تعالى
فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى لو جعل ما في الدنيا من الاشجار اقلاما يكتب بها وصار البحر
والانهار مدادا وامدها بعدها سبعة امثالها فكتب بها كلمات الله تعالى
وحكمه لانكسرت الاقلام وفنيت الانهار وفنيت البحار قبل ان ينقطع كلام الله تعالى
وحكمته ان الله عزيز في سلطانه ذو حكمة في قوله وفعاله وذهب بعضهم الى ان معنى كلمات
الله في هذه الاية معاني القرآن وفوائده التي يعلمها الله تعالى في الدنيا والاخرة
نعمه في الاخرة عز شانها وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة معناه ان الله تعالى لا يتعذر عليه خلق نفس
واحدة وبعث نفس واحدة وذلك ان افعال العباد تختلف بالقلة والكثرة فاذا كثر العمل كثرت
الكلفة واذا قل العمل قلت الكلفة واما افعال الله تعالى فلا تختلف بالقلة والكثرة لانه لا يستعين
بالالة فلا يختلف عليه في ذلك كثير ولا قليل ان الله سميع لمقالة العباد بصير بما يضمرون في نفوسهم ۞
قوله عز وجل الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل

تجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير معناه الم تعلم ان الله تعالى يزيد من ساعات الليل في ساعات
النهار صيفا ويزيد من ساعات النهار في ساعات الليل شتاء وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لمنافع
بني ادم يجريان الى يوم القيمة ثم يسقطان وينقطع جريهما ويقال يجري كل واحد منهما الى اقصى
منازله ثم يرجع وقوله تعالى وان الله بما تعملون خبير اي عالم باعمالكم التي تعملونها في الدنيا
ومجازيكم عليها ذلكم الذي سبق ذكره بسبب ان الله هو الحق وليعلموا ان عبادة الله حق وان
عبادة الاصنام باطل وان الله هو العلي بصفاته الكبير الذي لا شي مثله في كبريائه وعظمته
وقال الحسن رضي الله انما سمى الله تعالى نفسه حقا لانه يدعوا الى الحق ويامر به قوله عز وجل
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور معناه الم تعلم ان السفن تجري في البحر بانعام الله تعالى
لو لم يخلق الرياح والما على الهيئة التي خلقهما عليها لما جرت السفن على ظهرها ان في ما ذكر من صنع
الله تعالى وقدرته لدلالات على توحيد الله لكل صبار اي كثير الصبر على الطاعات والمحن شكور
اي كثير الشكر على نعم الله تعالى وفي ذلك بيان ان المتفكر والمعتبر في خلق السموات والارض
هو الصبار الشكور وفي الحديث ان احب الخلق الى الله تعالى من اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر
وقوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل معناه اذا اصابهم في البحر موج كالجبال في الارتفاع
فوقهم دعوا الله تعالى مفردين له بالدعا فلما نجاهم من البحر واهواله الى البر فمنهم مقتصد اي
منهم من يثبت على ذلك ومنهم من يجحد ثم قال وما يجحد باياتنا اي لا ينكر دلايل توحيدنا الا كل غدار
كثير الكفر بايات الله ونعمه والختر في اللغة اقبح الغدر والظلل جمع الظلة وهي السحابة التي
تنفع فتغطي ما تحتها قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور معناه يا ايها الناس اتقوا مخالفة ربكم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه واخشوا
عذاب يوم لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو قاض عن والده شيا لاشتغال كل منهم
بنفسه وهذا من الخصوص في المراد لان المومنين يشفع بعضهم لبعض ويقال معنى لا يجزي والد
عن ولده لا يحمل شيا من سياته ولا يعطيه شيا من طاعاته وخص الوالد والولد بالذكر تنبيها على غيرهما
ان وعد الله في البعث والجزا صدق وكاين فلا تغتروا بالحيوة الدنيا وبما فيها من زينتها وزهرتها ولا
تغرنكم بالله الشيطان الغرور والغرور بفتح الغين الشيطان فعول بمعنى الفاعل كالشكور والصبور
وغرور الشيطان تمنيته العبد بان الله تعالى كريم غفور فيهون عليه ركوب المعاصي ويعمل بهواه
ومن قرا الغرور بضم الغين فهو مصدر ومعناه الاباطيل وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال
ان الغرور هو تمني المغفرة مع الاصرار على المعصية وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال
ان الشيطان ليريد الانسان بكل ريبة ولكنه يجثم عند المال فياخذ بعنقه قوله عز وجل ان الله
عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس
باي ارض تموت ان الله عليم خبير روي ان هذه الاية نزلت في الحرث بن عمرو وذلك انه اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وقد تركت امرأتي حبلى فما
ذا تلد وقد علمت باي ارض ولدت فباي ارض اموت وقد علمت ما عملت اليوم فما اعمل غدا
ومتى الساعة فانزل الله تعالى في هذه الاية خمسا من الغيب لا يعلمها الا هو وعن الحسن رضي الله

عنه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن اشيا فاجاب عن الجميع فقال الرجل هل بقي
شي لا تعرفه فقال نعم وتلا هذه الاية ومعناها ان الله تعالى عنده علم قيام الساعة استاثر
الله تعالى به ولم يطلع على وقته احدا من خلقه وقوله تعالى وينزل الغيث يجوز ان يكون معناه
وهو العالم بوقت انزال الغيث بعينه وقوله تعالى ويعلم ما في الارحام اي يعلم نطفة وعلقة
ومضغة وذكرا وانثى وشقيا وسعيدا ومتى ينفصل عن امه وقوله تعالى وما تدري نفس
ماذا تكسب غدا اي لا تدري ما تعمل غدا من الخير والشر وقوله تعالى وما تدري نفس باي
ارض تموت اي لا تدري متى يكون موتها ويقال لا تدري باي قدم تموت ان الله عليم بخلقه خبير
بافعالهم واعمالهم وبما يصيبهم في مستقبل عمرهم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة لقمن كان لقمن له يوم القيمة رفيقا واعطي من الحسنات
عشرا بعدد من امر بالمعروف ونهى عن المنكر وبالله التوفيق

سورة السجدة مكية

كلها في اكثر الاقاويل وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال غير ثلث ايات نزلت
بالمدينة واما عدد اي السورة فتسع وعشرون عند البصريين وثلثون عند غيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب
العالمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يهتدون معناه الم هو تنزيل الكتاب اي القران لا شك فيه من حيث الحجة وقوله
تعالى من رب العالمين اي منزل من رب العالمين وقوله تعالى ام يقولون افتراه معناه
ايقول اهل مكة تخلقه محمد من تلقا نفسه وليس كما يقولون بل هو الحق من ربك وهذا تعجيب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من مقالتهم لان المتقدمين في الفصاحة منهم كانوا يعلمون ان الامر
بخلاف ما يقولون وقوله تعالى لتنذر قوما اي تخوف بالقران قوما لم يشاهدوا قبلك
في زمانهم الذي هم فيه رسولا مخوفا لكي يهتدوا به الى الايمان قوله عز وجل الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شي خلقه وبدا
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل
لكم السمع والابصار والافدة قليلا ما تشكرون معناه هو الله الخالق الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ويقال من ايام الاخرة اولها يوم الاحد
وقوله تعالى ثم استوى على العرش اي استولى عليه بعد خلقه وقال الحسن رضي الله عنه
استوى امره ولطفه وقدرته على العرش واراد بهذا الاستيلا استيلا وجود ومشاهدة
فان الله تعالى لم يزل فيما كان مستوليا على العرش بالعلم والقدرة وانما اظهر استيلاءه عليه
بعدما اوجده بما فعل من نقله الى فوق السموات لان العرش من اعظم ما خلقه الله تعالى وهذا
كقوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اراد به علم الوجود اذ كان سبحانه وتعالى
عالما به في الازل علم الغيب واما حرف ثم في هذه الاية فقد قدمنا انه للترادف في الاخبار
لا للترادف في الحال فان خلق العرش كان قبل خلق السموات والارض والاستوا الذي بمعنى
الجلوس والانتصاب فلا يكون الا في صفات الاجسام المحدودة ولو جاز في جسم من
الاجسام ان يكون قديما لجاز في ساير الاجسام وذلك يوجب نفي الصانع وقوله تعالى
ما لكم من دونه معناه ما لكم من دون الله من قريب ينفعكم ولا شفيع يشفع لكم افلا

تعطون وتعبرون وقوله تعالى يدبر الامر من السما الى الارض اي ينزل بالامر الملك
الى الارض ثم يصعد الملك اليه اي الى مكان من قبل فجعل صعودهم الى حيث امرهم صعودا
اليه كما في قوله تعالى اني ذاهب الى ربي سيهدين اي الى حيث امرني ربي وكان يذهب
الى الشام وكما في قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وكانوا يهاجرون
الى المدينة وقوله تعالى في يوم معناه ويقطع الملك هذه المسافة نازلا وصاعدا في يوم
واحد وهي مسيرة الف عام مما يعده اهل الدنيا لمسيرهم وذلك ان بين السما والارض مسيرة
خمسماية عام ولو اراد الله تبارك وتعالى من الملك الصعود والنزول بدون مقدار اليوم لفعل
الملك لانهم اولوا اجنحة مثنى وثلث ورباع وصاحب الجناح يتمكن من الاسراع كما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فنزل جبريل عليه السلام من ساعته قبل انقضا
السوال ويقال في معنى ثم يعرج اليه يصعد الملك الى السما كل يوم بعمل ابن ادم وقوله تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة لا يقدر على ذلك سواه كما لا يعلم الغيب غيره وقوله تعالى العزيز الرحيم
اي هو القادر الذي لا يقاوم ولا يغالب وهو المنعم على عباده وقوله الذي احسن كل شي
خلقه من قرا خلقه بجزم اللام فالمعنى الذي احسن خلق كل شي ومن قرا خلقه بنصب اللام
على الفعل الماضي كان ذلك الحكم كل شي مما خلقه ويقال معنى الاحسان هاهنا العلم اي علم
كل شي قبل خلقه فخلقه بعد علمه به ومنه قول امير المومنين علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قيمة كل
امري ما يحسنه ويقال فلان يحسن كذا ولا يحسن اي يعلم ولا يعلم وقد خلق الله تعالى القردة
والخنازير على ما احب ولا يحسن احد خلق مثل ذلك وقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين
اي بدا خلق ادم عليه السلام من طين ثم خلق ذريته من قليل من الما ينسل من صلب الرجل وترايب المراة
وهو النطفة ووصفها بالمهين لانه لا خطر لها عند الناس وقوله تعالى ثم سواه اي جمع ما خلق من
هذا الما الى ان صوره ونفخ فيه من روحه وهو الروح الذي يحيي به الناس واضاف الله تعالى ذلك الى
نفسه لانه تعالى هو الخالق وقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار اي خلق لكم السمع والابصار
اي خلق لكم السمع لتستمعوا الى الحق والابصار لتبصروا الحق والافيدة اي القلوب لتعقلوا
الحق وقوله تعالى قليلا ما تشكرون فيه بيان انهم مع هذه النعم قليل شكرهم **قوله عز وجل**
وقالوا ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد بل هم بلقا ربهم كافرون قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون معناه وقال الكفار اذا هلكنا
وانقطعت اوصالنا وذهبت اثارنا انبعث بعد ذلك هذا ما شي لا يكون ابدا يقول الله تعالى
بل هم بلقا ربهم كافرون اي ليس كما يقولون انهم لا يبعثون بل هم بالحساب والجزا جاحدون
والضلال في اللغة عبارة عن الغيبة يقال ضل فلان عن الطريق اذا غاب عنه وكذلك ضل متاع
فلان وضل الما في اللبن اذا غاب فيه بحيث لا يوقف على اثره وقوله تعالى قل يتوفاكم
ملك الموت اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض ارواحكم لا يترك احدا منكم
لا يقبض روحه وهذا كما يقال توفيت من فلان الحق الذي كان لي عليه اي استوفيته منه كله فلم
اترك ولم اترك شيا منه عليه وقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون معناه ثم تردون الى ارض المحشر
في الاخرة فيجزيكم الله باعمالكم **قوله عز وجل** ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شينا لاتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم
هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون معناه ولو ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم

اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم من الخزي ومن شدة الندم في يوم القيمة عند علمهم بان الحجة قامت عليهم من كل جهة
وانهم لا مهرب لهم من العذاب وذلك هو الغاية في الوجل والخجل يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي لك الحجة علينا
لانا ابصرنا رسلك وسمعنا كلامهم ولكن نسالك ان ترجعنا الى الدنيا حتى نعمل صالحا انا موقنون بك وبكتابك
وبرسلك ولو في هذه الاية محذوفة الجواب اي لو رايت يا محمد صلى الله عليه وسلم لرايت غاية ما يعتبر به وقوله
تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها قال الحسن رضي الله عنه اراد به مشية القدرة بيان ان الله تعالى انه لم
يعجز عن شي ولكنه لا يجبر العباد على ذلك لكيلا يبطل الثواب والعقاب ويقال في معنى هذه الاية ولو شينا
لهدينا كل نفس الى الرجعة الى الدنيا ويقال اراد به التوفيق والتعريف والخلاص وقوله تعالى ولكن حق القول
مني معناه ولكن وجب قولي عليهم بالعذاب لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين بكفرهم وذنوبهم
وقوله عز وجل فذوقوا بما نسيتم لقا يومكم هذا معناه يقال لهم ذوقوا العذاب بما اعرضتم عن الايمان
اعراض الناسي للحساب والجزا وكفرتم بذلك وتركتم العمل لهذا اليوم انا تركناكم في العذاب واحللناكم محل المنسي
ويقال فعلنا ما هو جزا النسيان لكم وقد يسمى الشي باسم ما هو جزاوه كما في قوله تعالى وجزا سيئة سيئة مثلها
وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ظاهر المراد **قوله عز وجل** انما يومن
بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين جزا بما كانوا يعملون **روي** عن عبد الله بن عباس انه قال كان ناس من المنافقين يانون
النبي صلى الله عليه وسلم فاذا سمعوا الاذان والاقامة انصرفوا ثم الاذان ارواحد بن اهم يتنوا فصلوا
معه كرها وان ظنوا انهم لا يراهم احد تسللوا فخرجوا ولم يصلوا فنزل قوله تعالى انما يومن بآياتنا يعني
الابرار انما يقر ويصدق بدلائلنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا بها وعلى قول ابن عباس تذكيرهم
بآيات الله تعالى ان يدعوا الى الصلوة بالاذان والاقامة وقوله خروا سجدا اي وقعوا ساجدين
مصلين مع الامام وسبحوا اي عظموا الله تعالى ونزهوه في صلاتهم حامدين لربهم وهم لا يرفعون
روسهم عن السجود والايمان بالله تعالى وعن كعب الاحبار انه قال ان اخيار هذه الامة خيار الاولين
والاخرين وان الرجل منهم ليسجد فما يرفع راسه حتى يغفر لمن خلفه فضلا عنه وقوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع معناه ترتفع جنوبهم عن المضاجع لاجل الصلوة قال مجاهد وعطا هم الذين
لا ينامون حتى يصلوا العشا الاخرة وعن انس بن مالك انه قال كانوا يعملون بالنهار فاذا اجنهم
الليل اضطجعوا بين المغرب والعشا فناموا فلما نزلت هذه الاية اجتنبوا المضجع حتى يصلوا المغرب
والعشا واحيوا ما بين الصلوتين بالنوافل وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة التي بين
المغرب والعشا الاخرة صلوة الاوابين وقال الحسن اراد بالاية قيام الليل وكان يقول هم قوم
اخفوا لله تعالى عملا واخفى لهم ثوابا وقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا اي خوفا
من عذاب الله تعالى وطمعا في رحمة الله تعالى وانما انتصب خوفا وطمعا لانه مفعول له كما يقول
فعلت ذلك حذار الشر وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي ومما اعطيناهم
من المال يتصدقون واجبا وتطوعا وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم معناه لا تعلم ما اخفى
الله تعالى مما تقر به اعينهم وتطيب به انفسهم جزاهم على اعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا
وفي رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام لا
يقطعها اقروا ان شيتم وظل ممدود وقال في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقروا
ان شيتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم

القيمة ان الذين كانوا يحمدون الله تعالى على كل حال فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير
حساب ثم ينادي اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون
الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس فيحاسبون بعد ذلك قوله عز وجل افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى
نزلا بما كانوا يعملون واما الذين فسقوا فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب الاكبر لعلهم يرجعون روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية
في كلام كان بين علي رضي الله عنه وبين الوليد بن عقبة قال له الوليد باي شي تتهددني يا علي
فوالله اني لاحد منك سنانا وابسط منك في القول واملى منك في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه
انك فاسق فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى احال المؤمن كحال الكافر لا يستوون عند الله تعالى
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم فلهم جنات المأوى نزلا
اعدها الله تعالى لهم باعمالهم واما الذين فسقوا اي خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فماواهم النار
كلما رفعهم لهب النار الى اعلاها فظنوا انهم يخرجون منها ردهم ملائكة العذاب الى اسفلها
بمقامع من حديد وقيل لهم ذوقوا عذاب النار اي الوان العذاب الذي كنتم تكذبون به في
الدنيا وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى قيل ان المراد بالعذاب الادنى هو القحط
والجوع الذي اصاب اهل مكة وقيل هو القتل يوم بدر واما العذاب الاكبر فهو عذاب الاخرة وعن
مجاهد رضي الله عنه ان العذاب الادنى هو عذاب القبر ومعنى الاذاقة على هذا القول هو الاخبار
بانه يصيبهم ولذلك قال لعلهم يرجعون اي خبرناهم به ليرجعوا عن الكفر وعن الحسن
انه قال ليرجع الاخرون الذين يذنبون بذنبهم اي ليرجع من بقي منهم بعد قتل من قتل منهم قوله
عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون اي لم
من اعرض عن الوعظ بعد سماعه ووعيدهم قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن
في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا
باياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون معناه ولقد
اعطينا موسى التورية جملة واحدة فلا تكن في شك من لقاء موسى عليه السلام قال ابن عباس
رضي الله عنهما اريد به ليلة اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اريد به البقا وهما في القيمة
في الجنة وقيل اراد به لقاء الله تعالى كما في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل المراد
به ان يلقى محمد صلى الله عليه وسلم من قومه من الاذى مثل ما لقي موسى عليه السلام من قومه وقوله
تعالى وجعلناه هدى اي جعلنا التورية دلالة لبني اسرائيل وقوله تعالى وجعلنا منهم ائمة
جعلنا من بني اسرائيل ائمة يدلون الناس على ديننا فيقتدي بهم الناس وهم انبياء وهم من استقام
منهم على الدين وقوله تعالى لما صبروا فيه قراءتان احدهما لما بالتشديد والمعنى لما صبروا جعلنا
ائمة كانه قال ان صبرتم على طاعتنا وصبرتم عن معصيتنا جعلناكم ائمة والثانية لما صبروا بكسر
اللام والتخفيف والمعنى لصبرهم على الايمان والطاعة واذى الكفار ولكونهم موقنين باياتنا
وقوله تعالى ان ربك هو يفصل بينهم اي هو الذي يقضي بين الكفار والمؤمنين يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون من الدين قوله عز وجل اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم
من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون معناه اولم يبين لهم اباد
عذاب الاستيصال فيمن اهلك قبلهم من الامم الماضية المكذبة ما يكون عبرة لهم يمشون في

مساكن

مساكن المهلكين على منازلهم وقراهم مثل ديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ان في اهلاك
اياهم بالتكذيب لدلالات واعتبار لمن بعدهم افلا يسمعون سماع القبول والطاعة ومن قرا
اولم نهد لهم بالنون فالمعنى بين باضافة الفعل الى الله تعالى قوله عز وجل اولم يروا
انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون
معناه اولم يعلموا انا نسوق المطر بالسحاب والرياح الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها
ولا شجر فنخرج بذلك المطر زرعا تاكل منه انعامهم من ساقها وهم ياكلون من حبه افلا يعلمون
والارض الجرز هي التي تاكل نباتها يقال ناقة جرز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستاصلا
قوله عز وجل ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون وذلك ان كفار مكة كانوا يؤذون
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
يوشك ان يكون لنا يوم نستريح فيه من شركهم فكان الكفار يهزؤون بهم ويقولون متى هذا
الفتح اي الحكم الذي يحكم بيننا وبينكم ان كنتم صادقين فيما تقولون قل يوم الفتح يعني يوم
القيمة وهو يوم القضا والفصل لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لو امنوا يومئذ ولا هم يمهلون فتؤخر
عقوبتهم فاما في الدنيا فايمانهم مقبول وتوبتهم مقبولة وعن عبد الله بن عباس ان المراد بالفتح
في هذه الاية فتح مكة وان الاية نزلت في بني جذيمة كانوا هم الذين يستهزؤون باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم حين كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم بمكة فتح مكة فلما
كان يوم الفتح تكلمت بنو جذيمة بكلمة الاسلام فقتلهم خالد بن الوليد ولم يقبل منهم اسلامهم
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني ابرا اليك مما صنع خالد وقوله تعالى فاعرض عنهم
اي عن جوابهم وانتظر الفرصة فيهم انهم منتظرون للفرصة فيك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله كان يقرا كل ليلة هذه السورة وسورة الملك وروي عن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الم تنزيل اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر
وبالله التوفيق

سورة الاحزاب مدنية كلها في جميع الاقاويل

وعددها ثلث وسبعون اية بلا اختلاف بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى
اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا قال عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي
قدموا المدينة في الموادعة التي كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فنزلوا على عبد الله بن ابي
وجد بن قيس ومعتب بن قشير واجتمعوا على امرهم ليدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك
اتى ابو سفيان وصاحباه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع
في الاخرة وتنفع لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول
الله ائذن لي في قتلهم فقال صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فانزل الله تعالى
هذه الايات والمعنى يا ايها النبي اتق الله في نقض العهد الذي بينك وبينهم اي اثبت على تقوى الله ولا تنقض العهد
ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما دعوك اليه واتبع ما يوحى اليك
استمالتهم الى الايمان فان ذلك يؤدي الى مقاربة القوم على كفرهم ان الله تعالى
لم يزل كان عليما باحوالهم حكيما فيما حكم عليك في امرهم وقوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك
اي اعمل بما امرك الله تعالى به في القران من مجانبة الكفار والمنافقين وترك موافقتهم ان الله كان

عليما بعلم ما يعمل ويعملون خبيرا بك وبهم وقوله تعالى وتوكل على الله معناه فوض
امرك الى الله تعالى واعتمد عليه في معاملتهم بما امرت به في بابهم وقوله تعالى وكفى بالله وكيلا
اي كفى بالله تعالى حافظا وناصرا **قوله عز وجل** ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياكم ابناكم ذلكم قولكم
بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية
في ابي معمر جميل بن اسد الفهري وصف بالدهاء وكثرة حفظ الحديث فانزل الله تعالى
هذه الاية تكذيبا لهم ولما انهزم المشركون يوم بدر وكان فيهم ابو معمر ملقاه ابو سفين
وهو يعدو واحدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس فقال
انهزموا فقال له ما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال له ما شعرت الا انهما
جميعا في رجلي فعرفوا يوميذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده وعن ابن عباس ايضا
في رواية اخرى ان المشركين كانوا يقولون ان لمحمد صلى الله عليه وسلم قلبين فانزل الله
تعالى هذه الاية تكذيبا لهم وقال الحسن كان رجل يقول لي نفس تامرني ونفس تنهاني فانزل
الله تعالى فيه هذا ووجه ايضا لهذا مما هذا انه لما نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
عن طاعة الكفار والمنافقين وامره باتباع ما يوحى اليه وكان الاتباعان متضادين بين
سبحانه وتعالى انه لا يمكن الجمع بينهما لان الاعتقاد من عمل القلب فاذا لم يكن للرجل الواحد
الا قلب واحد لم يمكنه ان يعتقد بالقلب الواحد اعتقادين متضادين والاتباع يتبع الاعتقاد
وقوله تعالى وما جعل ازواجكم معناه وما جعل نساكم اللاتي يقولون لهن انتن علينا
كظهور امهاتنا لم يجعلهن كامهاتكم في الحرمة وقد بين الله احكام الظهار في سورة المجادلة
وقوله تعالى وما جعل ادعياكم ابناكم معناه ما جعل من تدعونه ابنا من ابنا غيركم كابنايكم
الذين من اصلابكم في الانتساب والحرمة والحكم وهذا شي كان يفعله اهل الجاهلية كان الرجل
منهم ياتي الرجل الشريف فيقول انا ابنك فيتخذه ولدا وكان زيد بن حارثة منهم تبناه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان يقال زيد بن محمد صلى الله عليه وسلم فلما جا الله تعالى بالاسلام امر ان يلحق
الادعيا بابايهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة التي كانت في حبالة زيد بعدما فارقها زيد
وقوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم معناه ان الذي يقولونه من هذا اضافة القلبين الى الرجل الواحد وقول
الزوج لامراته انت علي كظهر امي وقول الرجل لغير ابنه هذا ابني قول تقولونه بافواهكم من غير ان يكون له
حقيقة ولا عليه دلالة او حجة والله تعالى يقول الحق اي بين ان ما تقولونه قول باطل وهو يهدي عباده
الى الدين المستقيم **قوله عز وجل** ادعوهم لاباهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباهم
فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم
وكان الله غفورا رحيما معناه انسبوا هولا الادعيا الى اباهم الذين قد ولدوا على فرشهم وقولوا
زيد بن حارثة هو اقسط عند الله اي اعدل في حكم الله من نسبتكم اباهم الى الذين تبنوهم فان لم تعلموا
اباهم بان كان الاولاد لغير رشده او كانوا لرشده ولكنكم لم تعرفوا اباهم فسموهم اخوانكم او مواليكم
قولوا يا اخي ويا ابن عمي او يا ولي وذلك ان المومنين اخوة في الدين بعضهم اوليا بعض وفي الاية اباحة
اطلاق اسم الاخوة وحظر اطلاق اسم الابوة وفي ذلك دليل ان من قال لعبده هذا اخي لم يعتق لانه يحتمل
الاخوة في الدين ولو قال هذا ابني عتق لان ذلك ممنوع في غير النسب وقوله وليس عليكم جناح الاثم
في نسبة الرجل الى غير ابيه على وجه الخطا قبل النهي او بعد النهي اذا كنتم تسمعون من الناس ينسبون الرجل
الى اخر فتنسبونه اليه من غير علم منكم بنسبه ولكن الاثم عليكم فيما تعمدونه من نسبته الى غير ابيه وكان الله

تعمدونه

غفورا لمن تعمد ثم تاب رحيما به بعد التوبة **قوله عز وجل** النبي اولى بالمومنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين الا
ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا وذلك انه تعالى لما نفى النبوة في
الادعيا اتبعه بما دل على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لا من جهة الدعوة ولكن من جهة النبوة
فقال عز من قايل النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ابر واحق واشفق بالمومنين بعضهم
ببعض وهو اولى بكل انسان منه بنفسه فان على كل مكلف ان يكلف نفسه في موافقة النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال انا اولى بكل مومن ومومنة بنفسه فمن مات وترك دينا او كلا فعلي والي ومن مات
وترك مالا فلورثته وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اي شاوة كامهاتهم في تعظيم حقهن وفي لا
تحلهن لاحد منهم بعده ولم يرد به اثبات الامومة من جميع الوجوه فانه ما كان يجوز للمومن ان يخلو بهن
او ينظر اليهن ولو كن كالامهات في جميع الاحكام لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزوج بناته
من الناس لان البنات يكن اخوات المومنين وفايدة تحريم نكاح ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على
المومنين في حيوته وبعد وفاته تعظيم امره وتفخيم شانه ولذلك حرم على الابن نكاح امراة ابيه وقوله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض معناه وذووا القرابة بعضهم احق بميراث بعض في حكم الله
تعالى من المومنين والمهاجرين اذا لم يكونوا من ذوي رحم الميت وذلك انهم كانوا يتوارثون في
ابتدا الاسلام بالهجرة والمواخاة كما تقدم ذكره في اخر سورة الانفال ثم صار ذلك منسوخا بهذه
الاية وصار التوارث بين المومنين بالقرابة وقوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا
استثنا ليس من الاول معناه لكن فعلكم باوليايكم معروفا جايز يريد به ان يوصي الرجل لمن
يتولاه ممن لا يرثه بما احب من ثلث ماله فيكون الموصى له اولى بقدر الوصية من القريب الوارث
فاما الوارث فلا وصية له كان ذلك في الكتاب مسطورا اي مكتوبا في اللوح المحفوظ ويقال مكتوب في اللوح المحفوظ ان
يعود الغني على الفقير وان لا يحسد الفقير الغني **قوله عز وجل** واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسال
الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما معناه اذكر اذ اخذنا من النبيين اقرارهم
على عهودهم ان يصدق بعضهم بعضا ويبشر الاول بالاخر وياخذ كل رسول منهم على قومه ما امره
الله تعالى به وقوله تعالى ومنك قبل الواو مقحمة فيكون منك ومن بعد تفسيرا عن النبيين والواو
في مذهب اهل اللغة للجمع لا للترتيب وليس فيه دليل ان المذكور اولا لا يستقيم ان يكون معناه التاخير
والفايدة في تخصيص هولا الانبيا الخمسة صلوات الله عليهم في الاية انهم اهل الشرايع والكتب واولوا
العزم من الرسل وهم الايمة والتبع وابتدا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم لان الخطاب معه وعن مجاهد رضي
الله عنه انه قال المراد به الميثاق الذي اخذ عليهم في ظهر ادم عليه السلام وجا في التفسير عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اني خلقت قبل الانبيا صلوات الله عليهم وبعثت بعدهم وقوله تعالى واخذنا
منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا بان يعبدوني ولا يشركوا بي شيا وقوله تعالى ليسال الصادقين عن
صدقهم معناه لكي يسالهم يوم القيمة ماذا اجبتم المرسلين فيكون هذا السوال احتجاجا على الكاذبين
واذا سال الصادقين فكيف يظن بالكاذبين وفي قوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما ما يدل
على ان سوال الصادقين سوال اثابة لتنبيههم الله عز وجل على قيامهم بما امروا به ونظير هذا قوله تعالى
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وليس هذا السوال الا للمكبت
لمن عبده مع الله تعالى **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم
جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاوكم من فوقكم ومن

أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وذلك أن الكافرين جاؤوا بأجمعهم في وقعة الخندق وأحاطوا بالمدينة من أعلاها وأسفلها فكان طليحة بن خويلد الأسدي وأصحابه من فوق الوادي وكان أبو الأعور السلمي وأصحابه من أسفل الوادي وكان أبو سفيان وأصحابه ويهود قريظة في مواجهة المؤمنين فاشتد الخوف بالمؤمنين ومالت أبصارهم من الفرق ونفاق المنافقين فرقا من النظر إليهم وكان الكفار خمسة عشر ألفا وبلغت قلوب المسلمين الحناجر أي كادت تبلغ الحلوق وذلك أن شدة الخوف ترفع الرئة فترفع الرئة القلب كما روي أن المؤمنين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله فقال صلى الله عليه قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا يكفيكموهم الله تعالى فأرسل الله تعالى على الكافرين ريحا باردة منكرة شغلتهم عن الاستعداد للحرب ومنعتهم عن الثبات على المكان وقلعت خيامهم وأكفأت آنيتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منها في سلامة وليس بين الفئتين إلا مسافة الخندق وكان ذلك إحدى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقوله تعالى وجنودا لم تروها معناه وأرسل الله تعالى جنودا من الملائكة يشجعون المؤمنين ويلقون الرعب في قلوب الكافرين وذلك قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم وأما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه تظنون بالله تعالى الظنون المختلفة قال الحسن رضي الله عنه ظن المؤمنون بالله خيرا وظن المنافقون أن الكافرين ظهروا على المؤمنين وتمكنوا منهم فعن قريب يقتل هؤلاء ويؤسرون وأراد المنافقون ذلك الذي كانوا يظنون وظن ذلك بعض ضعفاء المؤمنين لكنهم لم يريدوا ذلك فذلك معنى اختلاف الظنون ويقرأ الظنونا بالألف وبغير الألف فمن قرأ بغير الألف فإنما حذف الألف في آخره لمكان الألف في أوله مع حصول التنوين في آخره ومن قرأ بالألف فلأنه من أواخر الآي وأواخر الآي في هذا الكتاب يعتبر بالقوافي في الشعر ومثل ذلك في كلام العرب قول الشاعر أقلي اللوم عاذل والعتابا وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون معناه هنالك امتحن المؤمنون بالخوف الشديد الذي عنده يظهر المؤمن القوي من المؤمن الضعيف وذو العزم الصحيح والرأي السديد من غيرهم وقوله تعالى وزلزلوا معناه حركوا تحريكا شديدا قوله عز وجل وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا معناه وإذ يقول الذين يستبطنون الكفر والذين في قلوبهم شك وعدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن فارس والروم يفتحان علينا ونحن في مكاننا هذا لا يقدر أحد أن يبرز لحاجته فما وعدنا إلا باطلا وإنما سموه رسولا على وجه اللقب للتعريف قوله عز وجل وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا معناه وإذ قالت جماعة من المنافقين يا أهل المدينة لا موقف لكم في هذا الموضع فارجعوا إلى المدينة ومن قرأ لا مقام لكم بضم الميم فالمعنى لا إقامة لكم ولا وجه لإقامتكم وقوله تعالى ويستأذن فريق من هؤلاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو حارثة استأذنوه في الرجوع وكانوا يعتلون في الاستئذان بقولهم إن بيوتنا عورة أي إنها خالية من الرجال قاصية من المدينة يخاف عليها يقول الله تعالى تكذيبا لهم وما هي بعورة أي ما يستأذنون في الرجوع لخلو بيوتهم ممن يحفظها إن يريدون إلا فرارا من الحرب والعورة في اللغة ما ذهب عنه

الستر

الستر والحفظ يقول العرب أعور الفارس إذا كان فيه موضع خلل للضرب وعور المكان إذا بدت منه عورة قال الشاعر متى تلقهم لا تلق للبيت عورة ولا الضيف محروما ولا الجار مرملا وقوله تعالى ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول لو دخلت المدينة على هؤلاء المنافقين من أطرافها ثم دعوا إلى الشرك لأجابوها سريعا وأعطوها من أنفسهم يقال أعطاه طاعته وأعطاه صفقة يده وأعطاه ثمرة قلبه هذا كله من كلام العرب ومن قرأ لأتوها بغير مد فالمعنى لجاؤوها وقصدوها وقوله تعالى وما تلبثوا بها إلا يسيرا معناه ما يلبثون بإجابتها إلا قليلا حتى يقتلوا ويقال إنما تلبثون بالمدينة بعد إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا حتى يهلكوا قوله عز وجل ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنهم كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهودهم بمكة كان حج من أهل المدينة سبعون رجلا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترط عليهم لربه تعالى ولنفسه أما لربه فأن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا وأما لنفسه عليه السلام فأن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأولادهم وجرى بينهم عهود كثيرة فلما كان يوم الأحزاب لم يفوا بذلك العهد وقوله تعالى وكان عهد الله مسؤولا أي مطالبا به مسؤولا عنه محاسبا عليه وقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل أي كلاهما مكتوب عليكم فلن ينفعكم الفرار منهما وقوله تعالى وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي إن فررتم من الموت والقتل في هذه الوقعة لم تمتعوا إلا قليلا حتى يلحقكم أحد الأمرين قوله عز وجل قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا معناه من ذا الذي يحفظكم من الله إن أراد بكم ضرا ومن ذا الذي يدفع عنكم الخير إن أراد بكم الخير ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا أي لا يجدون لأنفسهم من دون الله حافظا يحفظهم ولا ناصرا ينصرهم قوله عز وجل قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا معناه قد يعلم الله تعالى المانعين منكم عن الجهاد يقال عاق يعوق إذا منع وعوق إذا اعتاد المنع وقوله تعالى والقائلين لإخوانهم أي ويعلم القائلين لإخوانهم تعالوا إلينا والذين لا يأتون الحرب إلا قليلا ولا يقاتلون إلا رياء وسمعة وقوله تعالى أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بأنفسهم وأموالهم فإذا جاء وقت الخوف رأيتهم ينظرون إليك بالجبن والضعف تدور أعينهم من شدة الخوف كما تدور عين الذي يحضره الموت فيغشى عليه فإذا ذهب الخوف بسطوا ألسنتهم وأرسلوها فيكم طاعنين عليكم يقال خطيب مسلاق إذا كان بليغا في خطبته وقوله سبحانه أشحة على الخير أي بخلاء على الغنيمة يخاصمون فيها ويقولون أعطونا فلستم بأحق منا وقوله تعالى أولئك لم يؤمنوا أي لم يخلصوا في أعمالهم فأحبط الله تعالى ثواب أعمالهم في الآخرة وكان ذلك الإبطال على الله يسيرا قوله عز وجل يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا معناه يظنون من جبنهم وخبثهم أن الأحزاب لم يذهبوا وقد ذهبوا وإن يأت الأحزاب في المرة الثانية يودوا لو أنهم داخلون في البادية مع الأعراب يتعرفون عن أخباركم وأخبار المشركين فإن كان الظفر لكم شاركوكم وإن كان الظفر لهم شاركوهم قوله عز وجل لقد كان لكم في رسول الله

سوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ولما راى المومنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما معناه
لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة في الصبر على القتال والثبات عليه واحتمال الشدايد في ذات الله
تعالى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى وثواب اليوم الاخر وذكر الله كثيرا وفي ذلك ان كل من اراد ذكر الله
تعالى ازدادت رغبته في الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذه الاية ما يقتضي وجوب
الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في جميع افعاله لانه اذا قيل لك ان تصلي ولك ان تصدق لا يراد
به الايجاب لم يومن ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وانما يذكر ذلك على وجه الترغيب فيه ولو
حمل هذا على الايجاب لم يومن ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم فعل شيا من الافعال لا على اعتقاد
الوجوب لم يكن متاسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله يحتمل ان المراد به ذكر وعد النصر كما قال سبحانه لتظهره
على الدين كله وقال الحسن ان الله تعالى اخبرهم ووعدهم انهم يقتلون ويقتلون فلما لقوهم قالوا
اما ان نقتل واما ان نقتل كما وعدنا الله تعالى ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقوله تعالى وما زادهم اي وما زادهم
كثرة المشركين الا بصيرة في الدين وتفويضا للامور الى الله تعالى **قوله عز وجل** من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي
الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما
معناه من جملة المومنين رجال قد وفوا بما عاهدوا الله تعالى عليه بالثبات على الدين والعمل بموجبه من
الصبر على القتال وغير ذلك فمنهم من وفى بنذره اي اقام على ذلك العهد حتى قتل شهيدا في سبيل
الله تعالى قيل المراد به حمزة بن عبد المطلب واصحابه الذين قتلوا يوم احد والنحب في اللغة هو النذر
ويقال ان النحب هو النفس ومنه النحيب وهو التنفس الشديد والنشيج في البكا والمعنى على هذا القول
منهم من قضى اجله ومنهم من ينتظر الموت على ذلك العهد وقوله تعالى وما بدلوا تبديلا اي وما
غيروا عهد الله تعالى وقوله تعالى ليجزي الله اي الذين فعلوا ذلك ليجزيهم الله على ثباتهم على العهد
ويقال ان قوله ليجزي الله ابتدا خبر من الله تعالى كانه قال ليجزي الله تعالى الثابتين على عهده
وقوله تعالى ويعذب المنافقين معناه ويعذب المنافقين في العاجل ان شا الله ان الله كان
غفورا لمن تاب رحيما بمن مات على التوبة **قوله عز وجل** ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من
اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطاوها وكان الله على كل شي قديرا معناه وصرف
الله الكفرين عن المومنين متغاظين لم يكن فيهم من شفا غيظه ولم ينالوا منهم مالا ولا غنيمة
وقيل لم يروا سرورا وقوله تعالى وكفى الله المومنين القتال اي كفاهم مونة القتال بالريح
والملايكة على ما ذكر في اول السورة وكان الله تعالى لم يزل قويا بنصر اوليايه ضعافا لنعمه من اعدايه
وقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم معناه وانزل الذين عاونوا المشركين من اهل مكة وهم
بنو قريظة انزلهم الله تعالى من حصونهم مع شدة شوكتهم والقى في قلوبهم الرعب وذلك انهم كانوا
عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ينصروا اعداه عليه فلما راوا الاحزاب وكثرتهم ظنوا انهم
يستاصلون المومنين فنقضوا العهد ولحقوا بهم فلما هزم الله تعالى الكفار ورجع النبي صلى الله
عليه وسلم الى بيته اراد ان ينزع لامته فسمع همهمة فنظر فاذا جبريل عليه السلام في درعه وسلاحه فخرج

اليه فقال له جبريل عليه السلام اتنزع لامتك والملايكة لم ينزعوا بعد حتى نقاتل بني قريظة وصلى
فيهم العصر فقال صلى الله عليه وسلم وكيف لي بقتالهم وهم في حصونهم فقال له جبريل عليه
السلام لا يهمنك ذلك فوالله لادقنهم اليوم كما يدق البيض على الصفا فنادى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الاصحاب فخرجوا الى حصون بني قريظة فالقى الله تعالى في قلوب القوم
الرعب حتى طلبوا الصلح وابوا ان ينزلوا الا على حكم سعد بن معاذ وكان سعد من قبلهم وكان
اصابه سهم في الكحل في حرب الخندق فسال الله تعالى ان يوخره الى ان يرى قرة عين النبي صلى
الله عليه وسلم فاستجاب الله تعالى دعاه فلما طلبت بنو قريظة النزول على حكم سعد رضي الله عنه
رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل سعدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتبس الكلم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم احكم فيهم فقال حكمت فيهم بان تقتل مقاتلتهم وتسبى
نساوهم وذراريهم فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بمثل ما حكم الله تعالى فيهم فلما قتلت
مقاتلتهم وسبيت نساوهم وذراريهم انفجر الكلم سعد فقبض رحمه الله والصياصي جمع صيصية
وصيصية الثور قرنه سمي بذلك لان قرنه حصنه الذي يتحصن به وكذلك شوكة الديك تسمى
صيصيته وقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم معناه قصورهم وحصونهم ومزارعهم
وقوله تعالى وارضا لم تطاوها اراد بها ارض بني النضير وقيل اريد بها ارض خيبر وفي قوله
تعالى وكان الله على كل شي قديرا بيان ان الله تعالى قادر على اظهار الاسلام بغير القتال
وانما امر المومنين بالقتال ليعرضهم بذلك لجزيل الثواب **قوله عز وجل** يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا
عظيما وذلك ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم طلبت منه بعض امور الدنيا وزينتها
فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخير نساه بين الاقامة معه على طلب ما عند الله تعالى
او السراح فقال لهن ان اردتن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا
قيل في معناه اطلقكن على وجه السنة وقيل اخرجكن من البيوت لانه ذكر المتعة قبل التسريح
وهذا كما في قوله تعالى اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الى اخر الاية وقوله
تعالى وان كنتن تردن الله ورسوله اي ثواب الله تعالى ورضاه ورضى الرسول صلى الله عليه
وسلم اجرا عظيما في الاخرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساه وخيرهن وقال لعايشة
رضي الله عنها اما انت يا عايشة فلا تحدثي من امرك شيا حتى تستامري ابويك فقالت افيك استامر
ابوي انا اختار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة ما لنا وللدنيا فتبعها
ساير نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تختر واحدة منهم نفسها الا المراة الحميرية وعن عايشة
رضي الله عنها انها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يكن ذلك طلاقا
وقد اختلف السلف في الرجل يخير امراته روي عن عايشة رضي الله عنها انها سيلت عن
ذلك فاجابت بما ذكرناه وعن علي كرم الله وجهه انه قال ان اختارت زوجها فواحدة
رجعية وان اختارت نفسها فواحدة باينة وقال عمر وعبد الله رضي الله عنهما اذا اختارت
زوجها فلا شي وان اختارت نفسها فواحدة يملك الرجعة وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه
اذا اختارت زوجها فلا شي واذا اختارت زوجها فلا شي واذا اختارت نفسها فثلث فلما
اختلف السلف في هذه المسالة اخذ اصحابنا رحمهم الله في اختيارها نفسها بقول علي رضي الله
وفي اختيارها زوجها بقول عايشة رضي الله عنها وليس في ظاهر هذه الاية ما يقتضي وقوع

الطلاق بالتخيير لان من قال لامراته ان اخترت كذا طلقتك فقالت اخترت ذلك لم
تطلق حتى يطلقها زوجها الا ان السلف لما اتفقوا في اختيارها نفسها على وقوع الطلاق
حكمنا بوقوع الطلاق وجعلنا لفظ التسريح في الاية على اخراجهن من بيوتهن بعد الطلاق واعتبرنا
هذا الخيار الذي يحدث في النكاح بخيار الاعتاق وخيار امراة العنين والمجبوب ولذلك لم
نجعله ثلثا **قوله عز وجل** يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا معناه من يات منكن بمعصية ظاهرة يضاعف عذابها ضعفي
ما يكون على ساير النسا على معصيتهن وكان تضعيف العذاب عليها هينا على الله تعالى وفي تضعيف
عذابهن وجهان احدهما انه لما كانت نعم الله تعالى عليهن اكثر من نعمته على غيرهن بكونهن ازواجا
للنبي صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي في بيوتهن كان كفران تلك النعم منهن اعظم فكانت عقوبتهن
اعظم الا ترى ان من لطم اباه لطمة استحق من العقوبة اعظم مما يستحقه ان لو لطم اجنبيا والثاني
ان في اتيانهن المعصية اذى للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يلحقه من العار والغم ومعلوم ان
من اذى النبي صلى الله عليه وسلم كان اعظم جرما ممن اذى غيره قال الله تعالى ان الذين يوذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ثم قال والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا **قوله عز وجل** ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها
اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما معناه ومن يقم منكن على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وتعمل صالحا فيما بينها وبين ربها نعطها ثوابها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة
والرزق الكريم ما سلم عن كل افة ولا يكون ذلك الا في الجنة وفي الاية دلالة على ان اجر العالم العامل
وثوابه اعظم من ثواب العالم غير العامل ولذلك ذكر سبحانه وتعالى في الاية من بعد واذكرن ما
يتلى في بيوتكن **قوله عز وجل** يا نسا النبي لستن كاحد من النسا ان اتقيتن فلا تخضعن
بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا معناه ليست حالتكن كحالة ساير النسا
في الطاعة والمعصية والثواب والعقاب فان كنتن متقيات عن المعاصي مطيعات لله تعالى فلا تلن
القول للرجال على وجه يورث ذلك الطمع فيكن فيطمع المنافقون في موافقتكن وقوله تعالى
وقلن قولا معروفا اي قولا حسنا لا يودي الى الريبة ويقال في معناه ولا يتغلظن في القول فيودي
ذلك الى الايذا ولكن قلن قولا بين قولين وفي هذا دليل ان الاحسن للمراة ان لا ترفع صوتها
بحيث يسمعها الرجال ولذلك تجنب عن الاذان **قوله عز وجل** وقرن في بيوتكن ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله
كان لطيفا خبيرا معناه والزمن بيوتكن ولا تخرجن الا في ضرورة وكان قوله تعالى وقرن
في الاصل واقررن فاسقطت الرا المتحركة وحولت حركتها الى القاف واسقطت الالف لحركة القاف
ويجوز ان يكون معنى وقرن كن اهل سكينة ووقار من وقر الرجل يقر اذا صار ذا وقار والامر للرجل
قر وللمراة قري وجماعة النسا قرن كما في وصل يصل ومن قرا وقرن بفتح القاف فهو من قررت
بالمكان اقر بفتح القاف والمعنى اقررن فاذا خففت صارت وقرن وعن محمد بن سيرين رحمه
الله انه قال قيل لسودة بنت زمعة الا تخرجين كما يخرج اخواتك فقالت والله لقد حججت واعتمرت
ثم امرني الله تعالى ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج قال فوالله ما خرجت من بيتها حتى اخرجوا جنازتها
وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى معنى التبرج اظهار الزينة وما يستدعي به من شهوة
الرجال والجاهلية الاولى ما بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يتخذون الثياب

يتغالين لهم كانت المراة من اهل ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللولو فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق
واما الجاهلية الثانية فهي اذا عملن في الاسلام بعمل اوليك وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت اي انما يريد الله بما امركم به ان يزيل عنكم رجس الذنوب والعيوب يا اهل البيت
ويطهركم تطهيرا من الذنوب والانجاس والرجس في اللغة كل مستقذر مستنجس من ماكول او
فاحشة واهل البيت كل من يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم من جهة نسب او سبب على العموم وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه ان الاية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين
وعن ام سلمة رضي الله عنها انه لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن
والحسين فجمعهم واتى بقطيفة خيبرية فلفها عليهم ثم الوى بيده الى السما فقال اللهم اهلي هولا اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة فقلت ولست من اهلك قال نعم فدخلت الكسا بعد
ما قضى دعاه وقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن معناه واحفظن ما يقرا عليكن في بيوتكن
من القران والمواعظ ان الله كان لطيفا اي عالما بما في القلوب خبيرا بمصالح العباد وبا مرهم
بما فيه صلاحهم **قوله عز وجل** ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وذلك انه لما نزل في نسا
النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قالت نسا المسلمين فما نزل فينا شي فاعلم الله تعالى ان الرجال والنسا
يجازون باعمالهم مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما في الاخرة والاسلام في اللغة هو الانقياد والاستسلام
والايمان في اللغة هو التصديق غير ان معنى الاسلام والايمان في هذه الاية واحد كما قال الله تعالى
فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين والفايدة في ذكر الاسلام
والايمان في هذه الاية ان كل واحد من اللفظين يفيد من جهة اللغة غير ما يفيده الاخر واما القانت
فهو المواظب على الطاعة والقنوت طول القيام في الصلوة والصادق الذي لا يكذب بقوله ونيته
والصابر هو الذي يحبس نفسه على جميع ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه والخاشع هو المتواضع لله عز
وجل وللناس والمتصدق هو الذي يودي ما يجب عليه من الصدقة المفروضة ويقال اراد به جميع الصدقات
والصايم هو الذي يصوم صوم الفرض وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال من صام شهر
رمضان وثلثة ايام من كل شهر الغر البيض كان من اهل هذه الاية ويوتون يوم القيمة بمايدة من الجنة
ياكلون منها والناس في شدة ويظلهم الله تحت عرشه والناس في شدة ويهون عليهم مكان كل يوم صاموه
في الدنيا مقدار الف سنة وينفح من افواههم ريح المسك واما حفظ الفروج فهو حفظها من الحرام
واما ذكر الله تعالى فقيل اراد به الذكر في الصلوات الخمس وقيل اراد به الذكر باللسان والقلب
في جميع الاحوال وكان من حق الكلام ان يقال والذاكراته والحافظاته لكن استغني عن ذكرها لما تقدم
وتركها لمشاكلة اخواتها **قوله عز وجل** وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا **روي** عن عبد
الله بن عباس انه قال وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب بنت عمته زينب بنت جحش على زيد
بن حارثة فكره اخوها عبد الله ان يزوجها من زيد وكان زيد عربيا في الجاهلية مولى في الاسلام
كان صلى الله عليه وسلم اصابه سبي اهل الجاهلية فاعتقه وتبناه فقالت زينب لا ارضى لنفسي
زيدا وانا اتم نسا قريش وكانت جميلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد رضيته لك فانزل الله تعالى
هذه الاية ومعناها لا ينبغي لمومن ولا مومنة اذا اختار الله تعالى ورسوله امرا ان يكون لهم الاختيار

خلاف ما اختار الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لمؤمن ولا مؤمنة امرا الا وجريهما فيه
ومن يعص الله ورسوله فيما امر به فقد ذهب عن الحق والصواب ذهابا بينا قوله عز وجل واذ
تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله
مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا
معناه واذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم قولك للذي انعم الله عليه بالاسلام وغيره وانعمت عليه
بالاعتاق وهو زيد بن حارثة وقع بينه وبين امراته زينب تشاجر فجاء زيد الى النبي صلى الله عليه
وسلم يشكوها بما كانت تستطيل عليه بشرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد على سبيل الامر بالمعروف
امسك عليك امراتك ولا تطلقها واتق الله تعالى فيها ولا تفعل في امرها ما تاثم به وقوله تعالى وتخفي
في نفسك ما الله مبديه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اضمر في نفسه انه ان طلقها زيد تزوجها هو
وضمها الى نفسه صلة لرحمها وشفقة عليها فعاتبه الله تعالى على اضمار ذلك واخفايه لكي لا يكون ظاهر
الانبيا صلى الله عليهم الا كباطنهم وكان صلى الله عليه وسلم يعلم انهما لا يتفقان لكثرة ما كان
يجري ما بينهما من الخصومة فجعل يخفيه عن زيد اذ لم يكن عليه الا الحكم بالظاهر وكان الاولى
بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يدعوهما الى الخلع فلم يفعل وقال له امسك عليك زوجك خشية
انه لو خالعها ثم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بها طعن الناس عليه فيقال تزوج بحليلة ابنه بعدما
تبين للناس ان حليلة الابن حرام على الاب فهذا معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان
تخشاه اي تخشى عيبهم فيما تصنع والله تعالى اولى ان تخشاه في تركك ما امرك به وعن علي بن الحسين
رضي الله عنهما انه سئل عن هذه الاية فقال كان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها ستكون
من ازواجه فهذا الذي كان يخفيه وابداه الله تعالى وذهب بعض المفسرين الى انه صلى الله عليه وسلم
كان يحب ان يتزوجها اذا فارقها زيد ولكنه اضمر ان لا يتزوجها مخافة ان يطعن الناس عليه
فانزل الله تعالى هذه الاية ففي هذه الوجوه التي ذكرناها جواب عن طعن الملحدة في هذه الاية لانه صلى الله
عليه وسلم لو اظهر ما اضمره لم يكن عليه اثم ولو كان ذلك معصية لامره الله تعالى بالتوبة منها كما
ذكر في ساير معاصي الانبيا صلوات الله عليهم فلما لم يذكر فيه توبة علم ان المراد ان اظهار ذلك اولى به
من اخفايه وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى وتخشى الناس ما انزل على النبي صلى
الله عليه وسلم اية اشد من هذه الاية ولو كتم شيا من الوحي لكان يكتم هذه الاية واما قوله تعالى
فلما قضى زيد منها وطرا معناه فلما قضى حاجته منها وطلقها زوجناكها اي امرناك ان تتزوجها
وفي تعليق هذا التزويج بقضا زيد وطره منها بيان ان هذا التزويج لم يكن يودي الى قلة الغيرة
وحزنه وفي قوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن
وطرا بيان ان علة هذا التزويج كانت هذه لا غير لانهم كانوا يرون حرمة المتبنى كحرمة الابن فاراد
الله تعالى ان يعرفهم الحكم في حلايل الادعيا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان زينب
كانت تفتخر على ساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجنيه رب العزة والوطر في
اللغة كل حاجة لك فيها همة فاذا بلغتها قيل قد قضى وطره وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا
قيل كان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم زينب قضا كاينا مكتوبا في اللوح المحفوظ وقيل معناه
من حق امر الله تعالى ان يفعل ويتبع قوله عز وجل ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا معناه ما كان على النبي صلى الله عليه وسلم من ضيق ماثم

فيما شرع الله تعالى واحل الله له كسنة الله تعالى في ساير الانبيا الماضين صلوات الله عليهم في
التوسعة عليهم وكذلك كان الانبيا صلوات الله عليهم كما تكلفوا الصبر على طاعة الله تعالى ويحمل كل
ما عليهم وكذلك كلف الله تعالى بما زاد لهم ... في قلوبهم فيها طريقه الا باحد ...
كما اباح الله تعالى لداود وسليمن عليهما السلام وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا
اي كان مفعولا مقدورا وقوله تعالى الذين يبلغون رسالات الله نعت الانبيا صلوات
الله عليهم الذين خلوا من قبل كانوا يبلغون الرسالة ويخشون الله تعالى ولا يخشون احدا سواه
قيل المراد به خشية الحيا عن اظهار ما في النفس وقيل المراد به خشية الخوف في الاذى وقوله تعالى
وكفى بالله حسيبا اي اكتف بالله حفيظا لاعمالك مجازيا لهم وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه لما دخل مكة عام الفتح جاء عثمان رضي الله عنه بعبد الله بن سعد بن ابي سرح مستامنا
له فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه واعتم لذلك ... قال لاصحابه اما كان فيكم رجل ...
وعثمان رضي الله عنه يراجعه في امره فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه وامنه فلما ذهب قال لاصحابه
اما كان فيكم رجل رشيد يقوم اليه فيضرب عنقه قبل ان امنه فقال بعضهم هلا اومأت الينا
بعينك فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خاينة الاعين قوله عز وجل
ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما
وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ... لم يكن ابا زيد من جهة النسب ولا من
جهة الرضاع ولكن رسول الله وخاتم النبيين قبل ...
وخاتم النبيين بفتح التا معناه اخر النبيين ... وقوله تعالى وكان الله بكل شي عليما اي لم
يزل الله تعالى عالما بكل شيء من مصالحكم وافعالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا
كريما اختلفوا في المراد بالذكر في هذه الاية قال بعضهم المراد به الصلوة وهي تتضمن
الذكر الكثير والمراد بالتسبيح التنزيه في الصلوة وخصص صلوة الصبح وصلوة العصر على قول
قتادة وصلوة المغرب على قول غيره لان الصلوة طرفي النهار يجتمع عندها ملايكة الليل والنهار فيقولون
اتيناهم وهم يصلون وقال بعضهم اراد به الذكر بجميع الاذكار باللسان والقلب كما في قوله تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وحقيقة الذكر احضار المعنى في النفس وتخصيص
التسبيح طرفي النهار لان صحيفة العبد اذا كان اولها واخرها ذكر وتسبيح فانه يرجى ان يغفر ما
بين طرفي الصحيفة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ... ذكر الله
تعالى الا نادى مناد من السما ان قوموا مغفورا لكم قد غفرت لكم ذنوبكم وبدلت سياتكم حسنات وقوله
تعالى هو الذي يصلي عليكم معناه هو الذي يوجب عليكم بركة الصلوة ويوجب رحمته لكم والصلوة
مما تختلف فيه معنى صفة الله تعالى ومعنى صفة العبد فهي من الله تعالى الرحمة والثناء ومن المؤمنين
الدعا ومن الملايكة الاستغفار للمؤمنين كما ان التواب معناه في صفة الله تعالى كثير القبول للتوبة
ومعناه في صفة العبد كثير الفعل للتوبة وقوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ظلمات المعاصي
والجهل الى نور العلم والطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اي لم يزل كان رحيما
بهم اذ رضي عنهم وامر الملايكة بالاستغفار لهم وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام معناه تحية
المؤمنين من الله تعالى يوم يلقونه ان يسلم عليهم تقول لهم الملايكة بامر الله تعالى السلام عليكم مرحبا
بعباد الله المؤمنين الذين ارضوني في الدنيا باتباع امري اليوم ارضيهم ونظير هذا قوله تعالى

وقال لهم تحيتهم سلام عليكم وقال قتادة في معنى الاية تحية اهل الجنة السلام كما قال تعالى
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وعن البرا بن عازب ان الهاء في قوله تعالى
يوم يلقونه عايد على ملك الموت يقول لهم عند قبض ارواحهم ان ربكم يقريكم السلام والاظهر
انه عايد على الله تعالى كما في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والاجر الكريم هو
الذي يكون عظيم الخطر رفيع القدر **قوله عز وجل** يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا معناه يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا على امتك بالبلاغ ومبشر الخلق بالجنة والثواب لمن اطاع الله تعالى ومخوفا
بالنار والعقاب لمن عصاه وارسلناك داعيا الخلق الى دين الله تعالى بامره وارسلناك سراجا مضيا
وانما سمي سراجا تشبيها له بالسراج الذي يستبان به الاشيا في الظلمة لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث وكان في الارض ظلمة الشرك فكان هو صلى الله عليه وسلم حين بعث كالسراج الذي يظهر
في الظلم وهذا على سبيل التوسع والاستعارة كما سمي القران نورا وهدى وروحا وسمي جبريل
عليه السلام روحا لان الروح يحيى به الحيوان وقوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله
فضلا كبيرا اراد بالفضل الكبير غفران الله تعالى وما اعد لهم في الاخرة وقوله تعالى ولا
تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يطلبونه منك وذلك انه صلى الله عليه وسلم ربما كان يجيبهم الى
بعض ما يطلبون منهم رجاء ان يومنوا فمنعه الله تعالى عنه وقوله تعالى ودع اذاهم اي اصبر على اذاهم
واحتملهم ولا تشتغل بمجازاتهم الى ان يومر فيهم بامر وفوض امرك الى الله تعالى فان الله تعالى
سيكفيك امرهم اذا توكلت عليه وعملت بطاعته **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن
وسرحوهن سراحا جميلا معناه اذا تزوجتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فليس لكم
عليهن من عدة تستوفونها بالعدد اما بالحيض واما بالشهور والاعتداد هو استيفا العدد بالعد
كما ان الاكتيال هو استيفا المكيل بالكيل والاتزان استيفا الموزون بالوزن وقوله تعالى
فمتعوهن معناه انفعوهن بمتعة الطلاق وهذا على سبيل الوجوب فيمن لم يدخل بها ولم يسم لها
مهرا وعلى الندب فيمن سمي لها مهرا ثم طلقها قبل الدخول ويجوز ان يسمي لها نصف المفروض متعة
على معنى ان ذلك مما ينتفع به عند الطلاق وقال سعيد بن المسيب نسخ حكم هذه الاية بقوله تعالى
في سورة البقرة فنصف ما فرضتم وقال الحسن المتعة واجبة لكل مطلقة ومختلعة وملتعنة
ولكن لا يجبر عليها الزوج وقوله تعالى وسرحوهن اراد به التسريح عن المنزل لا عن النكاح
لان حق الحبس انما يثبت باحد امرين اما النكاح واما العدة وقد عدما جميعا في هذا الموضع
بعد الطلاق المذكور في اول الاية والسراح الجميل هو الذي لا يكون فيه جفوة ولا اذى ولا منع
حق **قوله عز وجل** يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت
يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة
لك من دون المومنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون
عليك حرج وكان الله غفورا رحيما معناه يا ايها النبي انا احللنا لك نساءك اللاتي تزوجتهن
بمهور مسماة واعطيت مهورهن وانما سمي المهر اجرا لانه يجب بدلا عن منافع البضع كما ان الاجر
يجب بدلا عن منافع الدار والعبد والفايدة في ذكر اعطا المهر تحريض الازواج على اعطا المهور

وبيان ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اعطاهن مهورهن وقيل في فايدة ان اعطا
المهر تثبت للزوج زيادة حق من جهة العادة واما قوله تعالى وما ملكت يمينك فمعناه
واحللنا لك ما ملكت يمينك مما اعطاك الله تعالى من الغنيمة مثل جويرية بنت الحرث وصفية بنت
حيي ويدخل في هذا اللفظ التسري والتزوج كما روي في صفية انه صلى الله عليه وسلم اعتقها
ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها وقوله تعالى وبنات عمك اراد به اباحة تزويج اقاربه من بنات
عمه وبنات عماته من بني عبد المطلب وبنات خاله وبنات خالاته من بني زهرة وقوله تعالى
اللاتي هاجرن معك اي هاجرن من مكة الى المدينة وقد اختلفوا في هذا الشرط قال بعضهم
انما ذكره للتعريف والفايدة في ذكر الهجرة البعث على الهجرة وتخصيص التي بالذكر لا نفي ما
عداه وقال بعضهم كان للنبي صلى الله عليه وسلم بنات عم وبنات عمات وبنات خال وبنات خالات
غير مهاجرات وانما احل له منهن المهاجرات دون غيرهن لان الاية نزلت قبل تحليل غير المهاجرات
وكان هذا في الوقت الذي لا يجري التوارث بين المهاجر وغير المهاجر ثم ذكر الله تعالى في هذه الاية ما
احل الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من النسا من غير مهر فقال عز من قايل وامراة مومنة اي
واحللنا لك نكاح امراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي بلا مهر ان اراد النبي ان يتزوجها ومن قرا
ان وهبت بالفتح فالمعنى احللناها لان وهبت وقد اختلفوا في هذه التي وهبت نفسها للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال بعضهم هي ام شريك بنت جابر العامرية وكانت تسمى ام المساكين وقال
بعضهم هي ميمونة بنت الحرث وقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين قيل في معناه خاصة
لك يا محمد صلى الله عليه وسلم تحليل تزويج هذه الاصناف من مجاوزة الاربع الى ما شيت من العدد
احللنا لك ذلك خالصا من دون ساير الناس وقيل ان الخالصة هاهنا نعت مصدر وهبت كانه
قال ان وهبت نفسها هبة خالصة لك بغير عوض يلزمك احللنا ذلك لك من دون المومنين فاما
المومنون فان قبلوا هذه الهبة على وجه النكاح لزمهم المهر وقيل ان الخالصة نعت للمراة اي
جعلناها خالصة لك فلا تحل لغيرك من بعدك وقد اختلف اهل العلم في حكم هذه الاية قال
مالك لا تحل الهبة لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي لا يصح النكاح بلفظ الهبة
وذهبا الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مخصوصا بذلك لانه تعالى قال ان وهبت نفسها
للنبي ولم يقل لك لانه لو قيل ان وهبت نفسها لك كان يجوز ان يتوهم في الكلام دليل انه يجوز
ذلك لغير النبي صلى الله عليه وسلم كما جاز في قوله وبنات عمك وبنات عماتك ولانه تعالى قال
خالصة لك من دون المومنين واما علماونا فقد قالوا ان في اضافة الهبة الى المراة في الاية دليلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مخصوصا بالنكاح بلفظ الهبة وانما كانت خصوصيته في جواز
النكاح بغير بدل ولو لم يكن لفظ الهبة نكاحا لما قال سبحانه ان اراد النبي ان يستنكحها فلما
جعل الله تعالى الهبة جوابا لاستنكاح النبي صلى الله عليه وسلم علم ان لفظ الهبة نكاح واستدلوا
من هذه الاية على ان كل لفظ وضع للتمليك في حال الحيوة على وجه التابيد ينعقد به النكاح
لان عقد النكاح يشبه عقود التمليكات لانه ينعقد مطلقا من غير ذكر الوقت فلو وقت بفسد
واما لفظ الاباحة فلا ينعقد به النكاح لانه الى المتعة التي حرمها النبي صلى الله عليه وسلم اقرب واما
قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم فمعناه قد علمنا المصلحة للمومنين في ان لا يتزوجوا
اكثر من اربع ولا يتزوجوا بغير مهر ولا ولي ولا شهود وقوله تعالى وما ملكت ايمانهم معناه
وقد علمنا ما فرضنا عليهم فيما ملكت ايمانهم حتى لا يجوز لهم التزوج بالمعتقة من غير مهر وحتى لا يباح
لهم بملك اليمين كما ابيح للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان له الصفا من الغنيمة ولم يكن لغيره وقوله

تعالى لكيلا يكون عليك حرج اراد به التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الضيق والاثم عنه فيما عسى ان تتوق نفسه اليه لو لم تكن هذه الاباحة وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما اي كان الله غفورا لمن يستحق المغفرة منعما على العباد فيما يتصل بالدين والدنيا وقيل في وجه الحكمة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم باباحة نكاح النساء بلا عدد انهن اذا وقفن في امره على ان باطنه كظاهره وسره كعلانيته كان في كثرتهن عدد اكثار من يستدعينه الى الدين من النساء اذ الايجاب على النساء كما عليهن من الرجال ومصالح المكلفين تختلف باختلاف احوالهم

قوله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما معناه تؤخر عن فراشك من تشاء من ازواجك وتضم الى فراشك من تشاء منهن من غير حرج عليك ومن طلبت ايواءها الى فراشك ممن عزلت منهن فلا حرج عليك في ذلك التوسعة والرخصة من الله تعالى اقرب الى ان تطيب انفسهن ولا يحزن ويرضين بما اعطيتهن كلهن من تقريب او ارجاء وتعديل في قسم او نفقة او غير تعديل في ذلك اذا علمن ان ذلك الاذن لك من الله تعالى وقيل ان الاتيان بعد العزل اقرب الى رضاهن من الهجران كيلا ييأسن اذا عزلن والله يعلم ما في قلوبكم من الرضا والسخط وغير ذلك وكان الله عليما بمصالح العباد حليما على جهلهم لا يعاجلهم بالعقوبة وعن الحسن رضي الله عنه انه قال لم يكن على الرسول صلى الله عليه وسلم قسم في ازواجه لكنه كان يقول صلى الله عليه وسلم ان ربي يحب العدل فانا اعدل في القسم فيما املك وربي املك بقلبي قال وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقرع بين نسائه خرج سهمي لان الله عز وجل يعلم ان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال في معنى قوله تعالى ترجي من تشاء اي تؤخر من تشاء من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تتزوجها وتتزوج من تشاء منهن

قوله عز وجل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا **روي** عن قتادة انه قال وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما خيرهن فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قصره الله تعالى عليهن وحرم عليه سواهن وكن يومئذ تسعا عائشة وحفصة وزينب وام سلمة وام حبيبة وصفية وميمونة وجويرية وسودة وقوله تعالى الا ما ملكت يمينك اراد به مارية القبطية وغيرها من السبايا وقوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا اي حفيظا وذلك ان الانسان انما يحفظ النبي في النساء هيبة كان يراقبه وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلت له النساء **وروي** انه صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بعد هذه الاية فان صح هذا كانت هذه الاية منسوخة وليس في القران ما يوجب نسخها فهي اذا منسوخة بالسنة ويجوز نسخ القران بالسنة وقوله تعالى لا يحل لك النساء وان كانت صورته صورة الخبر ولكن معناه النهي ويجوز النسخ ومثله

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما **روي** عن انس بن مالك انه قال لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب اهدت لنا ام سليم حيسا في تور من حجارة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم

اذهب

اذهب فادع لي من لقيت من المسلمين فدعوت له من لقيت فجعلوا يدخلون فياكلون ويخرجون فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال فيه ما شاء الله تعالى ان يقول فلم ادع احدا لقيته الا دعوته فاكلوا حتى شبعوا وخرجوا وبقيت طائفة منهم فاطالوا عليه الحديث فانزل الله هذه الاية قال انس رضي الله عنه فلما نزلت اية الحجاب جئت لادخل كما كنت ادخل فقال صلى الله عليه وسلم وراءك يا انس ومعنى الاية لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يدعوكم الى الضيافة او ياذن لكم في الدخول من غير ان تتحينوا وقت الطعام فتستانسوا دنوا في ذلك الوقت ثم تقعدوا انتظارا لبلوغ الطعام ونضجه ولكن اذا دعيتم الى الطعام فادخلوا فاذا طعمتم فتفرقوا ولا تجلسوا مستانسين لحديث ان طول مقامكم في منزل النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذي النبي فيمنعه الحياء ان يامركم بالخروج والله تعالى لا يمتنع عن بيان ما هو اولى بكم استحياء منكم وان كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يحتمل اطالتهم الحديث كرما منه وكان يصبر على اذاهم فعلم الله تعالى من يحضره الادب فصار ادبا لهم ولمن بعدهم وقوله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب اي اذا سالتم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من متاع البيت فخاطبوهن من وراء الباب والستر ذلكم يعني السؤال من وراء الستر اقرب الى طهارة قلوبكم وقلوبهن لان نظر بعضكم الى بعض لا يؤمن ان يحدث عنه الميل فقطع الله تعالى بهذا السبب بالحجاب الذي اوجبه وهذا الحكم وان نزل في النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه فالمعنى عام فيه وفي غيره ونحن مامورون باتباعه والاقتداء به الا فيما خصه الله تعالى به دون امته وقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله معناه ما كان يحل لكم ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول في منزله بغير اذنه ولا بالحديث مع ازواجه ولا بشيء من الاشياء وقوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا انزل في طلحة بن عبيد الله حيث قال ينهانا محمد صلى الله عليه وسلم ان ندخل على بنات اعمامنا يعني عائشة لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم وانا حي لاتزوجن عائشة فحرم الله تعالى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على عامة الناس وجعلهن كامهاتهم في الاكرام والتحريم وقوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما معناه ان الذي قلتم ونويتم من تزويج ازواجه بعد موته كان عظيما عند الله في الوزر والعقوبة وقوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه اي ان تظهروا قولا او تضمروه فان الله تعالى عليم بالظواهر والضمائر فلما امر الله تعالى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب ومنع الناس من الدخول عليهن تحرج محارمهن من الدخول عليهن فانزل الله تعالى قوله لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا معناه لا حرج عليهن في اذن ابائهن بالدخول عليهن ولا في اذن الابناء والاخوان وابناء الاخوان وابناء الاخوات فخص هؤلاء بالذكر لانهم ذوو الارحام المحارم فان قيل فهلا ذكر الاعمام والاخوال قيل ان العم والخال يجريان مجرى الوالدين في التربية فكان ذكر الاباء يتضمن بيان حكم الاعمام والاخوال وقيل انما لم يذكر العم والخال كيلا يدخلا عليهن مع ابنائهما ولا يطمعا فيهن لابنائهما فاما الاخوان وبنوا الاخوان وبنوا الاخوات فهم وابناؤهم ذوو الارحام المحارم وقوله تعالى ولا نسائهن اراد به الحرائر من جملة العشيرة واراد بقوله ولا ما ملكت ايمانهن الاماء وقيل المراد به العبيد ايضا وحمله على الاماء اولى لان الحر والعبد لا يختلفان فيما يباح لهما من النظر الى النساء فلا يجوز للبالغين من العبيد ان ينظروا الى شيء منهن مما لا يجوز للاحرار النظر اليه وقوله تعالى واتقين الله معناه اتقين الله تعالى في الاذن لغير المحارم في الدخول عليكن ان الله كان على كل شيء من اعمالكم شهيدا وذلك ان النبي في الشاهد

انما يصير معلوما للانسان اذا كان يشاهده **قوله عز وجل** ان الله وملئكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما روي عن الحسن رضي
الله عنه انه قال ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام هل يصلي ربنا فكبر ذلك في صدره
فاوحى الله اليه ان اخبرهم اني اصلي وان صلواتي رحمتي وان رحمتي سبقت غضبي ومعنى
الاية ان الله تعالى يصلي على النبي اي يترحم عليه ويثني عليه وملئكته يصلون على النبي صلى
الله عليه وسلم اي يطلبون الرحمة والضمير في قوله تعالى يصلون مردود على الملئكة دون
اسم الله تعالى لانه تعالى يفرد ذكره عن ذكر غيره اعظاما له كما تقدم في قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه الا ان صلوات الله على النبي صلى الله عليه وسلم مفهومة بدلالة الاية وهذا
كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فهذا كناية عن التجارة دون اللهو الا ان
اللهو صار مفهوما بدليل الاية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه معناه قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد تعظيما واجلالا لقدره ﷻ تعالى وعن عبد الله بن عباس انه قال ان
هذا الدعاء مما يختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يصلي على غيره الا تبعا للصلوة عليه وقوله
تعالى وسلموا تسليما يجوز ان يكون معناه واخضعوا لامره خضوعا ويجوز ان يكون معنى
التسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الحسن
انه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة فقال
قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم انك حميد مجيد والافضل في هذا الباب ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فان
اقتصر على احدهما جاز وقد اختلفوا في كيفية وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم تجب في العمر مرة واحدة بمنزلة الشهادتين والى هذا ذهب الكرخي من اصحابنا قال
اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة واحدة في عمره فقد قضى فرضه الا ان المستحب لكل مسلم ان
يكثر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وفاء بما له من الحق في الدين علينا كما يلزم المرء الدعاء
لابويه المؤمنين ليقضي بذلك حق نعمتهما عليه ويحتمل ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم كالمفتاح
لسائر الادعية وقال بعضهم ان الصلوة تجب على النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد مرة واحدة
بمنزلة سجدة التلاوة وذكر الطحاوي انه تجب عليه كلما ذكره او ذكر بين يديه فلم يصل عليه فلا
غفر الله له وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في كل صلوة
وهذا قول لم يسبق اليه وهذا خلاف الاثار المروية في فروض الصلوة فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعبد الله بن مسعود حين علمه التشهد انك اذا قلت هذا او فعلت هذا فقد تمت صلوتك فان
شئت ان تقوم فقم وفي حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رفع
الامام راسه لاخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلوته وصلوة من خلفه ممن اتم معه الصلوة
قوله عز وجل ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا
معناه ان الذين يؤذون الله ورسوله بالافتراء عليهما والتكذيب لهما ابعدهم الله تعالى من
رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا ذا هوان والله عز وجل اعلى من ان يلحقه الاذية الا انه
جعل اذى اولياء الله تعالى اذى له للمبالغة في الزجر عن اذى اولياء الله تعالى ونظير هذا قوله تعالى انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واما قوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما
اكتسبوا اي يرمونهم بان يضيفوا اليهم ما لم يكتسبوه وقوله تعالى فقد احتملوا بهتانا معناه

قالوا

قالوا كذبا وجنوا على انفسهم وزرا وعقوبة ويقال اراد بهذه الاية من اضمر ذكره في
الاية الاولى من اولياء الله تعالى فاظهر ذكرهم في هذه الاية بعد الضمير واخبر عن احتمالهم الاثم
والبهتان الذين بهما يستحقون ما ذكره الله تعالى في الاية الاولى من اللعن والعذاب **قوله
عز وجل** يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن
ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما معناه قل لنسائك وبناتك ونساء الحرائر
من النساء يلقين على رؤسهن ووجوههن من جلابيبهن والجلباب هو المقنعة التي تستر ما يظهر
من العنق والصدر وقيل ان الجلباب هو الملحفة التي يلبسنها اذا خرجن وعن محمد بن سيرين
عن عبيدة في هذه الاية قال تقنع عبيدة واخرج احدى عينيه وفي الجملة ان ظاهر هذه الاية تقتضي
ان يكن مامورات بالستر التام عند الخروج الى الطرق فعليهن ان يستترن الا مقدار ما
يعرفن به الطريق وقوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن الحرائر من
الاما فلا يؤذى الحرائر من قبل الاما وذلك ان الناس يومئذ كانوا يمازحون الاما والاما يخرجن
الحرائر وكان المنافقون يمازحون الحرائر فاذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن اماء فامر الله
تعالى الحرائر بهذا النوع من الستر قطعا لاعذار المنافقين وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب
الاما ويقول اكشفن رؤسكن ولا تشبهن بالحرائر ويقال في معنى ذلك ادنى ان يعرفن اي اقرب
الى ان يعرفن بالستر والصلاح فييأس منهن فساق الرجال فلا يطمعون فيهن كطمعهم فيمن يتبرج
ويتكشف وعن ام سلمة انها قالت لما نزلت هذه الاية خرج نساء من الانصار كان على رؤسهن
الغربان من اكسية سود لبسنها **قوله عز وجل** لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
معناه لئن لم يمتنع المنافقون وضعفاء المؤمنين الذين لا نصيب لهم في الدين عن اذى المؤمنين
ولم يمتنع الذين كانوا يلقون الاراجيف في المدينة باجتماع الكفار ومسيرهم الى المؤمنين
يخوفون المؤمنين بذلك ويقال الذين يرجفون باهل الصفة ويرمونهم بالفواحش لئن لم ينتهوا
عن هذه الافعال القبيحة لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك في المدينة الا يسيرا حتى يهلكهم او يسعهم
وقوله تعالى ملعونين نصب على الحال اي لا يجاورونك الا وهم ملعونون مطرودون
يخذلون اينما وجدوا اخذوا وقتلوا تقتيلا امر بعد مرة لانه اذا ظهر امر المنافقين كانوا مرتدين
الكفار ومن حق الكفار ان يقتلوا حيث يوجدون وذهب الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى
والذين في قلوبهم مرض الى ان المراد بالمرض شهوة الزنا فالوهم الزناة وكان من مذهبه ان
كل فاسق منافق الا ان الدلالة قد قامت على ان الفاسق لا يقتل حيث يوجد وانما الزاني يقام
عليه الحد اما الجلد اذا لم يكن محصنا واما الرجم اذا كان محصنا وذلك الى الامام دون غيره
وفي الاية دليل ان الارجاف بالمؤمنين هو الاشاعة بالباطل فيهم يستحق بالتعزير والنفي اذا
اصر عليه ولم ينته عنه وان كانت الاية نزلت في ارجاف المنافقين وقوله تعالى سنة الله
في الذين خلوا من قبل اراد بالسنة الطريقة التي امر الله تعالى بلزومها واتباعها وقد كانت هذه
السنة في الامم الماضية لما آذى المنافقون انبياءهم صلوات الله عليهم امر الله تعالى انبياءهم بقتلهم
وقوله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا اي لا يقدر احد على تغيير سنة الله تعالى وابطالها
وفي الاية دلالة على ان المنافقين انتهوا عن مثل هذه الافعال بعد نزول هذه الايات والا لكان يجعلهم
النبي صلى الله عليه وسلم بالصفة المذكورة في الاية بامر الله تعالى اذ لا يجوز الخلف في قول الله تعالى

أن تؤ

قوله عز وجل يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون
وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كثيرا معناه يسألك الناس عن وقت القيمة وهذا السؤال من المؤمنين سؤال تعرف
ومن المنافقين سؤال تعنت قل لهم يا محمد إنما العلم بوقت قيامها عند الله لا يطلع أحد عليها
وفي السؤال عن الساعة ما تقتضي الصرف عنه لأن ذلك أشد في الهيبة وأقرب إلى الخشية وأدعى
إلى الاستعداد لها لأن العاقل إذا كان عالما بمجيء الساعة ضرورة ولم يعلم وقت مجيئها كان خائفا
منها مستعدا لها في كل وقت وساعة ولذلك قال عز وجل وما يدريك لعل الساعة تكون
قريبا وقوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار أي تصرف وجوههم في النار بأن تنضج
جلودهم ثم يردها إلى الحالة الأولى ويقال تقلب إلى لون السواد ويقال تقلب إلى الآفات فيه
يقولون يعني الكفار يا ليتنا أطعنا الله تعالى فيما أمرنا بطاعته وأطعنا الرسول صلى الله عليه
وسلم فيما جاء من قبله وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا أي رؤساءنا وعظماءنا فصرفونا
عن الدين والسيد في اللغة هو الملك العظيم والكبير هو الذي يكون له ما لا يكون لغيره
تفصيل عنه ولذلك كان القادر الذي لا يعجزه شيء والعالم الذي لا يخفى عليه شيء كبيرا من
كل شيء سواه وقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب معناه أعطهم ضعفين أحدهما
على كفرهم والثاني على دعائهم إيانا إلى الضلال والعنهم لعنا كثيرا أي عظيما ويقرأ كبيرا من
الكثرة وأما دخول الألف في أواخر هذه الآيات فبعض أهل اللغة يسمون هذه الألف في مثل
قوله تعالى السبيلا وقف التذكر وذلك لا يجوز على الله تعالى وإنما وجه دخول الألف في هذه
أن ذلك يجري على تشاكل المقاطع للبلاغة في تفصيل المعاني كما يجري في القوافي في قطع البيت
من الذي بعده قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها معناه لا تكونوا في أذى محمد صلى الله عليه وسلم
كبني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام بعيب أضافوه إليه فبرأه الله تعالى مما قالوا وكان عليه
وكان عند الله رفيع القدر والمنزلة كان إذا سأل الله شيئا أعطاه إياه وقد اختلفوا في
العيب الذي أضاف بنو إسرائيل إلى موسى عليه السلام فتكلم ليتخلص إلى النبوة فأحياه الله تعالى
حتى كذبهم فقال بعضهم كان هرون أحب إلى بني إسرائيل من موسى عليه السلام لزيادة رفقه
بهم فلما مات هرون عليه السلام في حال غيبتهما عنهم قالوا إن موسى عليه السلام قتله ليتخلص
له النبوة فأحياه الله تعالى حتى كذبهم وقال بعضهم كان أذاهم لموسى عليه السلام أنهم رموه
بالأدرة لكثرة حيائه واستتاره عن الناس فاغتسل يوما من الأيام فوضع ثوبه على حجر فذهب
الحجر بثوبه فخرج من الماء يتبع أثره فرأوه سليما لا عيب فيه وفي هذه الحكاية نظر لأن هذا
يؤدي إلى الإزراء به ولأنه لا يظن بموسى عليه السلام أنه يمشي عريانا بين الناس وقد أجله الله تعالى
أن يصون أنبياءه صلوات الله عليهم عما يؤدي إلى الإزراء بهم قوله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما معناه اتقوا عذاب الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب
نواهيه وقولوا قولا مستقيما يصلح لكم أعمالكم بالقبول والإثابة ويغفر لكم ذنوبكم بسداد
قولكم ويدخل في القول السديد الدعاء إلى الحق وترك اللهو واللغو والتوبة من الذنوب

وأما التخصيص للقول بالذكر في الآية فلأن الاستقامة في القول يستدعي الاستقامة في
الفعل والفوز العظيم هو الظفر بالكرامة والرضوان من الله تعالى قوله عز وجل
إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها
الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما اختلفوا
في تفسير هذه الآية قال بعضهم معناه إنا عرضنا الأمانة التي هي الشرائع والفرائض على نفس
السموات والأرض والجبال أن يأخذها بما فيها قلن وما فيها قيل إن أحسنتن جوزيتن وإن
أسأتن فأبين أن يقبلنها بالثواب والعقاب وقلن لا طاقة لنا بذلك وخفن من قبولها يقال
فلان يأبى أن يحمل كذا إذا لم يقبله وقوله تعالى وحملها الإنسان أي قبلها آدم عليه السلام
بهذه الشريطة قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه فوالله ما كان إلا كما بين العصر إلى غروب الشمس
حتى أصاب الذنب فسمي ظلوما بخيانة الأمانة جهولا بحملها ما أشفقت الخلائق منه وجاز العرض
على نفس السموات على هذا القول لأن الله تعالى قال وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال عز من قائل
وإن منها لما يهبط من خشية الله وإنما سميت الشرائع أمانة لأن العبد يؤتمن عليها كما قال تعالى
ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويقال إن من الأمانة أن تؤتمن المرأة على ما في رحمها وأن يؤتمن
الرجل على أن يحفظ نفسه من الفواحش وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية على التمثيل
كأنه قال عرضنا الأمانة على الإنسان فحملها ولو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين
أن يحملنها كما في قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل وذهب بعضهم في معنى الآية إنا عرضنا
الأمانة على أهل السموات والأرض والجبال على شريطة الجزاء لمن وفى بها والعقاب لمن خانها وضيعها
قالوا وأراد بأهلها الملائكة والناس أي في كل موضع من هذه المواضع الثلاثة ملائكة يعبدون الله
تعالى وقد يذكر السموات ويراد بها أهلها كما في قوله تعالى واسأل القرية أي أهل القرية
ويقال خاطبت الدار وسألت الربع فأجاب بكذا ولم يجب وقوله تعالى فأبين أن يحملنها أي
أبت الملائكة أن يحملنها على تلك الشريطة ورضيت بالطاعة التي خلقت عليها وحملها الإنسان على
هذه الشريطة ويجوز أن يكون معناه وحملها الإنسان حمل إخفارها والخيانة فيها لأن أكثر
الناس يضيعون الأمانات ولم تفعل الملائكة كذلك قالوا ولا يجوز أن يكون المراد بالآية
نفس السموات والأرض جمادات لا تسمع ولا تعقل وليس لها آلة الفهم وإذا لم يكلف الله تعالى
الصبيان والمجانين ولهم آلة الفهم فكيف يتوجه الخطاب على الجمادات وقد يذكر حمل
الأمانة ويراد به الخيانة فيها يقال فلان حمل الوديعة واحتملها إذا ضيعها أو خان فيها وكذلك
كل من أثم قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم أراد به الآثام وذهب الزجاج
رحمه الله إلى أن الله تعالى ائتمن بني آدم على ما افترض عليهم من طاعته وائتمن السموات والأرض
والجبال على طاعته والخضوع له وأعلمنا في الكتاب أنها أطاعت ربها وانقادت لأمره حيث قال
جل ذكره فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فذلك قوله تعالى فأبين
أن يحملنها أي يأبين أن يخنها وقوله تعالى وحملها الإنسان أراد به الكافر والمنافق خانا ولم
يطيعا قال ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه إنه كان ظلوما جهولا قال
ويصدق هذا التأويل قوله تعالى من بعد ليعذب الله المنافقين والمنافقات لأن من أقر بلسانه ولم يصدق
بقلبه فقد أدى الأمانة ومن لم يصدق فلم يؤد ومنه قوله عليه السلام لا إيمان لمن لا أمانة له والأمانة
هي قطب الإيمان وأما قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات فيجوز أن يكون راجعا

الى قول الله تعالى انا عرضنا الامانة اي عرضناها لكي يعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات قال الحسن وقتادة رضي
الله عنهما في المنافقين والمشركين كلاهما خانا الامانة وقالا في المؤمنين والمؤمنات كلاهما
اديا الامانة ويجوز ان يكون اللام في قوله تعالى ليعذب لام قسم فسقطت نونها فانكسرت
فبقي الفعل على نصبه قبل سقوط النون وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما اي كان
متجاوزا عن من تاب رحيما بمن مات على التوبة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطاه الله
تعالى امانا من عذاب القبر

سورة سبا اربع وخمسون اية مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له
ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور معناه ان الوصف
بالجميل على جهة التعظيم لله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض وهذا تعليم منه سبحانه
لعباده ويمدحونه على اسباغ انعامه عليهم في باب الدنيا والدين فانه هو المالك لكل النعم
ولا بد من اضافة النعم الى مولاها والاقرار لها وقوله تعالى وله الحمد في الاخرة اي يحمده اهل
الاخرة على دوام نعمته عليهم كما يحمده اهل الدنيا ولكن الحمد في الدنيا تعبد وفي الاخرة تشكر
ومنه قول النعيم يقول اهل الاخرة الحمد لله الذي صدقنا وعده وقوله تعالى وهو الحكيم الخبير
اي هو الحكيم في افعاله واقواله العليم باحوال عباده امران لا يعبد غيره وقوله تعالى يعلم
ما يلج في الارض معناه يعلم ما يدخل في الارض فيتوارى فيها عن ادراك الناس لها ويعلم ما يخرج
من الارض من انواع النبات وغيرها مما لا يحصيه الا الله عز وجل ويعلم ما ينزل من السما من الامطار
التي هي سبب ارزاق العباد ويعلم ما يصعد في السما من الحفظة بديوان اعمال العباد وهذا المراد
بقوله تعالى ما يعرج ما يرتفع الى السما من البخارات والرياح والحر والبرد يقال عرج يعرج اذا صعد
وعرج اذا صار اعرج وقوله تعالى وهو الرحيم الغفور اي هو الرحيم بعباده الغفور لمن استحق
المغفرة

قوله عز وجل وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا
في كتاب مبين ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم
والذين سعوا في اياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز اليم ويرى الذين اوتوا العلم
الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد معناه وقال الكفار لا
تاتينا القيمة قل لهم يا محمد بلى وربي لتاتينكم القيمة على ما اخبر الله عالم الغيب الذي لا يذهب عنه
معرفة وزن ذرة في السموات ولا في الارض وخص الذرة بالذكر لانها اصغر شي يدخل في اوهام البشر
قيل انها التي ترى في شعاع الشمس وقيل هي النملة الحمرا الصغيرة والمعنى ان الله تعالى يعلم كل شي عز
وجل ومتى يوجد ما يوجد وما الذي يوجد وما الذي لا يوجد ومن قرا عالم الغيب بالكسر فهو
صفة للرب كانه قال بلى وربي عالم ومن قرا علام الغيوب فهو على المبالغة ويعزب بضم الزاي وكسرها
لغتان بمعنى واحد والكتاب المبين في هذه الاية هو اللوح المحفوظ اثبت الله تعالى فيه جميع اعمال
العباد ليستدل بها الملائكة على علمه بكل شي وقوله تعالى ليجزي الذين امنوا راجع الى قوله لتاتينكم
القيمة بامر الله لكي يجزي المومنين على اعمالهم بالمغفرة التي هي الستر لذنوبهم وبالثواب الحسن الذي
هو سوقهم في الجنة وقوله تعالى والذين سعوا في اياتنا معناه والذين سعوا فيها بعدو وصوحها(?)

فظهورها

وظهورها بالتكذيب بها والجحود لها مقدرين انهم سيفوتوننا ويعاجزون الرسول صلى الله
عليه وسلم اولئك لهم عذاب من عذاب مولم ومن قرا اليم بضم الميم جعل الاليم من نعت العذاب كانه قال
عذاب اليم من رجز والرجز هو العذاب ايضا وقوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم عطف على قوله
تعالى ليجزي يعني ولكي يعلم الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك وهو القران وانه يهدي
الى صراط الله تعالى العزيز بالنقمة لمن لا يومن به الحميد لمن وحده وهذا لان ذكر الساعة وقيام
الدلالة عليها يكون سببا لروية المومنين التنزيل حقا واما دخول هو في قوله تعالى هو الحق فانما هو
للفصل ويسمى ذلك عمادا ولا يدخل العماد الا في المعرفة وما اشبهها قال الشاعر
ليت الشباب هو الرجيع على الفتى والشيب كان هو البدي الاول

قوله عز وجل وقال
الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على
الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد افلم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السما ان في ذلك لاية لكل عبد منيب معناه وقال الكفار على وجه التعجب والتعجيب(?)
الا ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يخبركم ويقول لكم اذا بليتم وتقطعت اجسامكم
واندرست اثاركم تبعثون بعد ذلك وقوله تعالى افترى على الله كذبا الف الف الاستفهام
دخلت على الف ليسة(?) فذهبت حركة الليسة عند الاتصال بما قبلها والمعنى انهم يقولون اختلق محمد صلى
الله عليه وسلم كذبا من تلقا نفسه ام به جنون فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله تعالى بل الذين
لا يومنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد كانه قال لا هذا ولا ذاك ولكن الذين لا يصدقون
بالبعث في العذاب في الاخرة والخطا البعيد في الدنيا ثم نبههم على البعث بقوله تعالى افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض معناه ان سماتي محيطة بهم والارض حاملة لهم ان نشا
نخسف بهم هذه الارض او نسقط عليهم تلك افلا يحذرون هذا فيرتدعون عن التكذيب باياتنا
وقوله تعالى ان في ذلك لاية معناه ان فيما ذكر من صنعته وقدرته لعلامة تدل من اناب الى الله
وتامل فيما خلق الله تعالى على انه قادر على ان يحيي الموتى وهذا دلالة لكل مكلف الا انه تعالى خص
المنيبين لانهم هم الذين ينتفعون بالاستدلال به على الله تعالى دون غيرهم وقال الحسن المنيب
الراجع الى الله تعالى بقلبه وقوله وفعله فاذا نوى نوى لله واذا قال قال لله تعالى واذا عمل عمل لله
تعالى

قوله عز وجل ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له
الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير معناه اكرمنا
داود عليه السلام بالفضل الذي اعطيناه ثم ذكر تفسير الفضل بقوله تعالى يا جبال اوبي معه
اي قلنا للجبال اوبي معه واختلفوا في المراد بالتاويب قال بعضهم المراد به السير اي سيري معه
حيث شا فكان اذا اراد داود عليه السلام السير سارت الجبال معه والتاويب هو السير بالنهار
وقال بعضهم المراد به التسبيح اي سبحي معه فكان اذا قرا داود عليه السلام يسمع من الجبال صوت
التسبيح وكان ذلك زيادة في حسن صوته عليه السلام وسمي التسبيح تاويبا لما فيه من الترجيع لان
المسبح يعود الى التسبيح مرة بعد مرة ويقرا اوبي معه اي عودي معه في التسبيح كلما عاد فيه وقوله
تعالى والطير من قراه بالنصب فهو على معنى وامرنا الطير بان تاويب معه وكانت الطير تصوت
معه كما تصوت الجبال ويجوز ان يكون الطير منصوبا بنزع الخافض كانه قال اوبي معه مع الطير
وهذا كما يقال لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها وذكر الفرا رحمه الله في نصب الطير معناه ويا ايها الطير
فلما نزعت يا ايها صار كالمعدول عن جهته لانه لا يحسن يا الطير كما يقال يا جبال ولما قرا والطير

بالرفع فهو رفع على النداء قال الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق
يروى هذا البيت برفع الضحاك ونصبه وقوله تعالى والنا له الحديد معناه جعلنا له
الحديد لينا يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا مطرقة فكان يعمل به كما يعمل بالشمع والطين المبلول
وقوله تعالى ان اعمل سابغات اي قلنا له اعمل دروعا واسعات تامات وكان داود عليه السلام
اول من عمل الدروع والسابغ هو الذي يغطي كل ما على الرجل حتى يفضل وقوله تعالى وقدر في
السرد اختلفوا قال بعضهم اراد به حلق الدروع اي اجعلها متناسبة بعضها الى
بعض على مقدار معلوم لا يتفاوت على وجه لا ينفذ فيه السهم ولا السنان يقال سرد الكلام
يسرده سردا اذا ذكره بالتتابع على وجه يحصل به الفائدة ومن هذا يقال لصانع الدروع سراد
وزراد والسرد والزرد الوصل وقال بعضهم السرد مسمار طرفي الحلق اي لا تجعل المسامير دقاقا
فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق واجعل ذلك على قدر الحاجة اليه والقول الاول اقرب الى الاية
لان الدروع التي عملها داود عليه السلام كانت بغير المسامير لانها كانت معجزة له ويجوز ان يكون
معنى التقدير تضييق حلق الدروع التي يحصنون صاحبها وقوله تعالى واعملوا صالحا اي كالصالحين
فيما بينكم وبين ربكم وقوله تعالى اني بما تعملون بصير يجري مجرى الوعد والوعيد على ما امر
من شكر وطاعة **قوله عز وجل** ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له
عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب
السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا
آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور معناه وسخرنا لسليمن الريح كانت تحمل سريره
فتذهب في الغدو مسيرة شهر وترجع في الرواح مسيرة شهر قال الحسن البصري رضي الله عنه
كان يغدو من الشام فيقيل باصطخر ويروح منها فيبيت بكابل وقوله تعالى واسلنا له عين القطر
للاعمال التي يعملها فيما يريد وكان قبل سليمن عليه السلام لا يذوب والقطر هو الرصاص وقال
بعضهم جعلنا له ذلك كالماء يجري له عين القطر من اليمن معجزة له وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين
يديه باذن ربه اي وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه من القصور والبنيان وقوله تعالى
باذن ربه فيه بيان ان هذا التسخير كان بامر الله تعالى وقوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا
معناه من يمل من الشياطين عن امرنا الذي امرناه من الطاعة لسليمن عليه السلام نذقه من عذاب النار
الموقدة يعملون لسليمن عليه السلام ما يشاء من محاريب اراد به المساجد كان هو والمؤمنون يصلون
فيها ويقال اراد بالمحاريب الغرف والمواضع الشريفة يقال لاشرف موضع في الدار محراب وقوله
تعالى وتماثيل اراد به صورا من العباد والانبياء صلوات الله عليهم من نحاس ورخام ليكون عون الناس
على العبادة متى نظروا اليها **ويروى** انهم كانوا صوروا له عند كرسيه اسدين وبين عمودي
الكرسي نسرين وكان اذا اراد صعوده بسط له الاسد ذراعه واذا اراد الجلوس نشر النسران
جناحيهما وظللاه وكان ذلك مما لا يعرف الناس كيف هو فلما ان كان بعد سليمن عليه السلام وصل
بخت نصر يوما من الايام الى ذلك الكرسي فجاء ليصعده فلما دنا منه مد الاسد ذراعه فضرب
ساقه فدقها فغشي عليه ولم يستجر احد من بعد سليمن عليه السلام صعود ذلك الكرسي وفي الاية
دليل على ان عمل الصور كان مباحا محظورا في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما روي
في الحديث ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم لعن الله المصورين
وقوله تعالى وجفان كالجوابي اراد به القصاع من الصفر كالحياض العظام والجوابي جمع الجابية
ويسمى الحوض جابية لانه يجمع فيه الماء والجباية جمع المال وقوله تعالى وقدور راسيات اي ثابتات

عظام من الحجر كالجبال لا ترفع من اماكنها وتكون يوقد تحتها حتى ينطبخ ما فيها من الاطعمة فيأكل منها
الالوف وكانت هذه الاعمال التي يعملونها معجزة لسليمن عليه السلام بان زاد الله تعالى في اجسامهم
وقواهم وغير خلقتهم وكانوا يشاهدون كالاسرى في يده فلما مات سليمن عليه السلام مات
هؤلاء بعده وجعل الله تعالى خلقة الجن على ما كانوا عليه من قبل قصارا ولا يقدرون على
شيء مما يرجع الى المعجزات مثل نقل الاجسام الثقال والاخبار عن الغيب ونحو ذلك وقوله تعالى اعملوا
آل داود شكرا لله تعالى الذي من عليكم بهذه النعم فيكون شكرا على هذا القول نصبا على المصدر ويقال
انما انتصب ذلك لان تأويله اعملوا للشكر كما يقال وقوله تعالى وقليل من
عبادي الشكور اي قليل من عبادي من يشكرني لان الشاكرين وان كثروا فقليل في جنب من لم يشكر
من الخلق **وعن** ثابت البناني رحمه الله انه قال لما قيل لهم اعملوا آل داود شكرا فقسموا ساعات الليل
والنهار لذكر الله تعالى فكان لا يأتي وقت من الاوقات الا وفيه احد من آل داود عليه السلام يذكر الله عز
وجل **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية على المنبر ثم قال ثلث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما
اوتي آل داود عليه السلام العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى والخشية لله تعالى في
السر والعلانية **قوله عز وجل** فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل
منساته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان
سليمن عليه السلام كان يعتاد طول القيام في الصلوة وكان اذا اعيا اتكأ على عصاه فاتكأ عليها
ذات يوم فقبض الله تعالى روحه فبقي على تلك الحالة ولم يجترئ احد ان يدنو منه هيبة له قال الحسن
بقي على تلك الحالة سنة والعملة في اعمالهم يعملون كما هم فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة
الارض يريد به الارضة التي تأكل الخشب تأكل عصاه التي كان يتكئ عليها فلما سقط سليمن عليه
السلام تأكل منساته تبان الجن للانس اي ظهر وانهم لا يعلمون الغيب ولو علموا ما عملوا السنة وهو
ميت فذلك قوله تعالى ما لبثوا في العذاب المهين اي في العذاب من اعمالهم التي كانوا يعملونها
في بناء بيت المقدس وغير ذلك فلما علموا موته لسقوط العصا تركوا تلك الاعمال كلها وسميت
العصا منساة لانه ينسأ بها اي يؤخر ويطرح يقال نسأ الله تعالى في اجله اي اخر الله تعالى في
اجله ويقال نسأت الغنم اذا سقتها وكان الانس قبل هذا يظنون ان الشياطين يعلمون السر
يكون بين اثنين فظهر لهم يومئذ انهم لا يعلمون ذلك **قوله عز وجل** لقد كان لسبا
في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب
غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
واثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور معناه لقد كان
لاهل سبا في مواضعهم آية اي علامة ثم فسر العلامة بقوله تعالى جنتان عن يمين وشمال
وذلك انه كان يجتمع لهم ماء المطر بين جبلين عظيمين في وجه ذلك الماء سد يحبس الماء له ثلثة
ابواب بعضها اسفل من بعض فكانوا يسقون بساتينهم من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث
الى نفاد ذلك ويجيئهم الماء من العام المقبل وكان على ذلك الماء بستان عن يمين الطريق وبستان
عن شمال الطريق ويقال كان بساتين على يمين الطريق وبساتين على شمال الطريق الا ان بساتين كل
واحد من الجانبين سمي جنة لاتصال بعضها ببعض ويقال كان لكل واحد منهم بستانان احدهما
على اليمين والاخر على الشمال وكانوا في النعمة بحيث كانت المراة تمشي في تلك الطرق بين البساتين
وعلى راسها الزنبيل وهي تعمل بيدها فيسقط في زنبيلها من ثمار تلك الاشجار ما تحتاج اليه فقيل لهم
كلوا من هذه النعم واشكروا الله تعالى على نعمه هذه بلدة طيبة محصنة نزهة وهذا رب غفور كثير المغفرة

لمن تاب وآمن فأعرضوا عن الإيمان وإجابة الرسل ولم يشكروا نعم الله تعالى وقالوا لو ان لله نعمة علينا فقولوا له يكلم الذي تزعمون أنه منعم فليحبس عنا نعمه إن استطاع فأرسل الله عليهم سيل العرم قيل إن العرم اسم ذلك الوادي وقيل هو المطر الشديد الذي أصابهم فارتفع الماء فوق ذلك السد وخرب ديارهم ووصف ذلك السيل بالعرم لأنه كان سيلا لا يطاق دفعه والعرم جمع واحده عرمة وعرامة الماء ذهابه في كل مذهب ويسمى الصبي عرما إذا كانت فيه شدة وجرأة ويقال المراد بالعرم الجرذ الذي نقب السد عليهم وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين معناه بدلناهم بالجنتين اللتين أهلكناهما جنتين ذواتي أكل خمط وصف البدل بالجنتين على طريق المقابلة والأكل اسم لما يؤكل والخمط شجر الأراك ويقال الخمط كل نبت قد أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله فمن أضاف الأكل إلى الخمط كان الخمط هو الشجر وأكله ثمره ومن نوّن الأكل كان الخمط عطف بيان على الأكل والأثل ما عظم من الطرفاء والسدر شجر النبق وقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا معناه ذلك التخريب والتبديل جزيناهم به على كفرهم نعم الله تعالى وهل نجازي بمثل هذه العقوبة في تعجيل سلب النعمة إلا الكافر المعاند ونظير هذا قوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقيل في معنى وهل نجازي إلا الكفور يعني إن المؤمن تتقبل منه حسناته فيكفر عنه ذنوبه بطاعاته وأما الكافر فيجازى بكل سوء يعمله وقد اختلفوا في اسم سبأ قال بعضهم هو اسم قبيلة باليمن ولذلك لا ينصرف ويقرأ بالنصب وقال بعضهم هو اسم أبي عرب اليمن إلا أنه صار اسما للحي كما يقال تميم ويراد به القبيلة ومن ذهب إلى هذا القول نوّن هذا الاسم وصرفه **قوله عز وجل** وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين معناه وجعلنا بين أهل سبأ وبين قرى الأرض المقدسة التي باركنا فيها يعني الشام ومصر قرى متقاربة متصلة إذا خرج الرجل من واحدة من القرى ظهرت له الأخرى فكانوا لا يحتاجون في سيرهم إلى الشام إلى زاد وقوله تعالى وقدرنا فيها السير أي جعلنا القرى متواصلة بقدر السير المتصل على قدر المقيل والمبيت من قرية إلى قرية أنعمنا عليهم في مسيرهم كما أنعمنا عليهم في مساكنهم فقلنا لهم سيروا فيها إن شئتم بالليالي وإن شئتم بالأيام آمنين عن الظلم والجوع لوجود جميع ما يخاف في الطريق فسئموا الراحة وبطروا النعم وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وذلك أنهم قالوا لو كانت ثمارنا أبعد مما هي لكان أجدر أن نشتهيه فاجعل بين منازلنا وبين مقصدنا المفاوز ونظير هذا قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ومن قرأ بعّد بين أسفارنا فهو على هذا المعنى الذي تقدم ويقال كانت هذه مسألة تجارهم ليربحوا في أموالهم لأن السفر إذا بعد لم يركبه إلا المجد القادر عليه ومن قرأ ربنا بضم الباء وباعد بالنصب فهو على معنى الخبر ويقرأ ربنا بالنصب للباء وبعد بضم العين وبين بالرفع والمعنى بعد ما يتصل بسفرنا وقوله تعالى وظلموا أنفسهم أي ظلموا أنفسهم بترك الشكر والطاعة وقوله تعالى فجعلناهم أحاديث أي جعلناهم سمر الناس بعدهم فلم يبق منهم ولا من ديارهم أثر وفرقناهم في البلاد المختلفة كل تفريق وذلك أنهم تشردوا في البلاد وصار الحديث بتمثلهم العرب فإنهم يقولون تفرق القوم أيدي سبا كما قال الشاعر صادرا وواردا أيدي سبا يعني طرق مختلفة يقال أخذ فلان يد البحر وأخذ فلان يد البر أي طريق البحر وطريق البر والممزق ههنا مصدر بمعنى

تعالى إن في ذلك لآيات أي فيما فعلنا بهم لعبرات لكل صبار على الشدة شكور للنعمة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رواية إن الله تعالى لما بدلهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط كانوا يستظلون بشجر الأراك ويأكلون من ثمره وكانوا يقولون للرسل لئن رد الله تعالى ما كان عليه من الفيء وجاءنا نعمة لنعبدنه فدعا لهم الرسل فجعل الله تعالى لهم إلى أرض الشام قرى ظاهرة متصلة فلما أعطوا ذلك عادوا إلى المعاصي وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فأذاقهم الله تعالى الشدائد حتى أهلكهم وبدد عظامهم وأوصالهم وأكلهم التراب فصاروا أحاديث لمن بعدهم وأما قوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فقد قيل في ذلك إن إبليس لما وسوس إلى آدم عليه السلام وعملت فيه وسوسته طمع في ذريته فقال إنه مع فضله وعقله عملت فيه وسوستي فكيف لا تعمل في ذريته فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن القوم اتبعوه فصدقوا ظنه إلا طائفة من المؤمنين لم يتبعوه في شيء ويجوز أن يكون المراد بظنه في هذه الآية قوله لأغوينهم أجمعين كان ظنا منه فلما اتبعوه صدق عليهم ظنه ولا فرق بين أن يقال صدقوا ظنه وبين أن يقال صدّق عليهم ظنه ومن قرأ صدق بالتخفيف وظنه بالرفع فهو على البدل كما يقال سرق عبد الله ماله وطيب زيد ظهره والله تعالى أعلم **قوله عز وجل** وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ معناه وما كان لإبليس عليهم من حجة ولا تسلط إلا بالتزيين والوسوسة ليرى ويميز لكم وللملائكة من يؤمن بالآخرة من غيرهم فيتميز أهل الحق من أهل الباطل ويكون الجزاء بحسب الاستحقاق وقد يذكر العلم ويراد به الإظهار كما يقول الرجل لآخر إن النار تحرق الحطب فيقول الآخر بل الحطب يحرق النار فيقول الأول نوقد الحطب والنار ليعلم أيهما يحرق صاحبه وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ أي هو العالم بكل شيء على ما تقتضيه الحكمة منع إبليس عن الوسوسة لمنعه عنهم وحال بينه وبينهم **قوله عز وجل** قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير معناه قل لهؤلاء المشركين ادعوا الذين زعمتم من دون الله أنهم آلهة لكم وأنهم شركاء الله وأنهم شفعاؤكم لكي ينصروكم ويدفعوا الشدائد عنكم ثم بين أنهم لا يملكون مثقال ذرة أي لم يخلقوا زنة ذرة في السموات ولا في الأرض فمن أين يستحقون العبادة والملك في اللغة هو تمام القدرة وليس ذلك في الحقيقة إلا لله تعالى وحده لأنه مالك غير مملوك وقوله تعالى وما لهم فيهما من شرك أي ليس فيهما لهم من نصيب مع الله تعالى وليس لله تعالى منهم من معين ثم نفى الله تعالى عن معبودهم النصرة والشفاعة فقال عز من قائل ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير معناه ولا تنفع شفاعة أحد عند الله تعالى إلا لمن أذن له في الشفاعة فيقبل شفاعته وهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام ومن معه من الملائكة الذين كلمهم الله تعالى بالوحي ماذا قال ربكم وذلك أنه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمسون عاما فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كلم الله تعالى جبريل بالرسالة إليه فلما سمعت الملائكة الصوت ظنوا أن الساعة قد قامت فصعقوا مما سمعوا فلما انحدر جبريل عليه السلام مر بأهل كل سماء فقالوا له على وجه التعرف بعدما تجلى الفزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال جبريل عليه السلام ومن معه الحق وقالوا وهو العلي الكبير أي هو العالي القاهر السيد المطاع وعن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا إذا أراد الله تعالى أن يرسل الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام أو بعضهم إلى بعض وقع صلصلة في السموات كصلصلة الحديد على الصفا فيغشى أهل السموات غير الذي يريد الله تعالى أن يخصه بالرسالة ثم يزيل الله تعالى ذلك عنهم فيقولون للذين لم يغش عليهم ماذا قال ربكم فيقولون خيرا لأنه لا يجوز أن يطلعوهم على ما يطلعهم الله تعالى عليه وهكذا الرجل يسأل

غيره عن امر فيحيه المسول انه كان خبرا من غير ان يطلع عليه فاذا كان من هو من اهل الاذن
من الملئكة والانبيا صلوات الله عليهم لا يشفعون الا بعد الاذن فمن ليس كذلك اولى وفي قراءة
الحسن رضي الله عنه حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالغين المعجمة بمعنى فرغت قلوبهم من الفزع
ونظيرا القراءة المعروفة فوهم رغب عنه اي رغبت عنه الرغبة بخلاف رغب فيه ويجوز ان يكون
معنى ولا تنفع الشفاعة اي لا ينتفع بالشفاعة عنده لاحد الا لمن اذن له ان يشفع فيه وذهب
بعض المفسرين الى ان قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم راجع الى المشركين فانهم اذا شاهدوا
اهوال يوم القيمة يغشى عليهم ثم يزيل الله تعالى ذلك عن قلوبهم ثم تقول لهم الملئكة ماذا قال ربكم في الدنيا
فيقولون الحق **قوله عز وجل** قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون معناه
قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من يرزقكم بانزال المطر من السما واخراج النبات من الارض
فاذا لم يمكنهم ان يدعوا شيا من ذلك لالهتهم وتحيروا في الجواب فقل الله تعالى الذي يرزقكم
وقوله تعالى وانا او اياكم معناه كل واحد منا اما على هدى او في ضلال مبين وانما ذكر على هذا
الوجه استمالة لقلوبهم كالمتنازعين في شي احدهما يثبت والاخر ينفي ثم يقيم احدهما الحجة على صاحبه
بحيث لا يقدر صاحبه على دفع تلك الحجة بوجه من الوجوه ثم يقول المحتج احدنا صادق واحدنا كاذب
يريد بذلك ان يتفكر صاحبه في تلك الحجة فينقاد لها وقوله تعالى قل لا تسئلون معناه قل للكفرين
لا تواخذون بجرمنا ولا نواخذ بجرمكم فانظروا لانفسكم واعلموا ان حرصنا على ايمانكم لانتفاعكم
ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخاطبهم بما يقول المحق للمبطل عند الياس من قبوله الدلالة
منه **فقال عز من قائل** قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل اروني
الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم معناه قل لهم يا محمد يجمع بيننا ربنا في
المحشر ثم يقضي بيننا بالحق وهو القاضي العليم بما يقضي قل لهم اروني الذين الحقتموهم بالله
تعالى وجعلتموهم شركا لله تعالى هل لهم قدرة على الخلق والامر وهذا كما يقول الرجل لمن
افسد عملا اروني ما عملته بين يديه الذين يريد التوبيخ على ما افسده وقوله تعالى كلا كلمة ردع
وتنبيه اي ارتدعوا عن مقالتكم فانكم لا تقدرون ان تجعلوا لله شركا بل هو الله العزيز المنيع
الغالب لكل شي الحكيم في تدبير خلقه فانى يكون له شريك في ملكه **قوله عز وجل** وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه وما ارسلناك يا محمد الا الى
جميع الناس ومعنى كافة في اللغة الاحاطة وقيل معناه الا مانعا للناس من الكفر والضلال
والكف هو المنع وانما ادخل فيه الها للمبالغة كالراوية والداهية وقوله تعالى بشيرا ونذيرا قال
قتادة ان مما بشر به ان اكرم العباد على الله تعالى اطوعهم له وقوله تعالى ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اي لا يتدبرون القران فلو تدبروه لعلموا **قوله عز وجل** ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون معناه
ويقول الكفرون متى هذا الوعد الذي تعدنا وتخوفنا به من البعث والعذاب ان كنتم صادقين
في مقالتكم قل لهم لكم وعد بكم ميقات يوم لا يوخر عن وقت الوعد ولا يقدم عليه يقال تاخر واستاخر
بمعنى واحد ويجوز ان يكون معنى لا تستاخرون لا تطلبون فيه التاخير لعلمكم انكم لا توخرون
ولا تطلبون التقديم لعلمكم انكم لا تقدمون **قوله عز وجل** وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم
الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين قال الذين استكبروا

للذين

للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة
لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون معناه
وقال الكفار لن نصدق بهذا القران ولا بالذي بين يديه من امر الاخرة والنشاة الثانية ولو ترى
يا محمد اذا الكفرون محبوسون في ارض المحشر باذن الله تعالى يتجاوبون فيما بينهم فيحمل كل واحد منهم
الذنب على صاحبه فيقول الاتباع لرؤسائهم في الضلالة لولا انتم اي لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لكنا
مومنين مصدقين فقال المتبوعون للاتباع على وجه الانكار انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين باختياركم الكفر عند دعائنا اياكم وقال الاتباع للمتبوعين بل مكر الليل والنهار واضيف المكر
الى الليل والنهار لوقوعه فيهما كما يقال يوم مطير ويوم عبوس فيمطر به وقيل انما اضافه اليهما على
عادة الناس اذا اصابتهم محنة اضافوها الى الزمان وقوله تعالى واسروا الندامة قيل في معناه اضمروها
في نفوسهم لان موضع الندامة القلب وقيل اظهروها فيما بينهم اقبل بعضهم يلوم بعضا ويعرف بعضهم
بعضا الندامة وهذا من الفاظ الاضداد يقال اسر اذا كتم واسر اذا ظهر وقوله تعالى وجعلنا
الاغلال اي غللنا ايمانهم الى اعناقهم في النار هل يجزون الا بقدر ما استحقوا من العقوبة من غير زيادة
على ذلك والاستكبار هو التعظم بالجهل الذي اصر عظما وهو عليه والاستضعاف هو استدعا ضعفهم
من جهة وتهيم في عبادة الاوثان كانهم كانوا استضعفوهم عن العمل على صواب الراي عند انفسهم
قوله عز وجل وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كفرون
وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ولكن اكثر الناس لا يعلمون معناه وما ارسلنا في اهل قرية من رسول الا قال اولوا النعمة وقادة
الشر منهم انا بما ارسلتم به جاحدون وقالوا للرسل نحن اكثر اموالا واولادا فكما فضلنا عليكم في الدنيا
لن نعذب بذنوبنا في الاخرة قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشا اي يوسع الرزق على من يشا
من عباده ويضيق على من يشا على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة من غير ان يعلم اكثر الناس لم يفعل
ذلك وهو الاعلم بمصالح العباد **قوله عز وجل** وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزا الضعف بما عملوا وهم في الغرفات امنون معناه
ليست كثرة اموالكم واولادكم بالخصلة التي تقربكم الى الثواب والكرامة قربة الا من امن وعمل صالحا
مصرف المال الى وجوه الخير وصرف الاولاد في طاعة الله تعالى فاولئك لهم الجزا المضاعف على
حسناتهم وهم في غرفات الجنة امنون من كل افة ومكروه **قوله عز وجل** والذين يسعون
في اياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر
له وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرزقين معناه والذين يسعون في دلايل التوحيد
والنبوة معاجزين اي مفاوتين اي يفوتونا عند انفسهم اولئك في العذاب محضرون محبوسون
ومعذبون قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق اي يوسع على من يشا وربما يكون استدراجا منه
ويضيق على من يشا وهو نظر منه وما تصدقتم من مال في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه في الدنيا بالعوض
وفي الاخرة بالحسنات والدرجات وهو افضل المخلفين والمعطين وانما قال خير الرزقين لانه قد
يقال يرزق السلطان الجند **قوله عز وجل** ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملئكة اهولاء اياكم
كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها
تكذبون معناه اذكروا يوم يحشر الخلايق جميعا ثم يقول للملئكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون

اي يقال للملائكة اهولاء الجن من خزاعة كانوا يعبدونكم بامركم وانما يقال ذلك للملائكة مع علم الله تعالى
بانهم لم يامروا بذلك ولم يرضوا به مبالغة في الزام الحجة وقطع المعذرة ونظير هذا قوله تعالى
واذ قال يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الى اخر الاية وقوله تعالى
قالوا سبحانك اي قالت الملائكة ننزهك من ان يكون لك شريك يستحق العبادة انت الذي تتولى امرنا
وتنصرنا من دونهم فانت العالم بانا لم نامرهم بها واقرارهم علينا كذبا تولينا ولا تولوا اليهم بل كانوا
يعبدون الجن اي كانوا يطيعون الجن في عبادتنا وذلك ان الجن كانت تدعوهم الى عبادة الملائكة
فكان اكثرهم بالجن مومنين ونظير هذا قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله ويقال كانت الجن صورت هولاء صورة قوم من روسا انفسهم وقالوا هذه صورة الملائكة
فاعبدوها وقوله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض اي يقال لهم اليوم لا يقدر بعضكم
لبعض على جر نفع ولا دفع ضر كل ما خوذ بعمله ويقول خزنة النار بامر الله تعالى للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا انها لا تكون **قوله عز وجل** واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك
مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين معناه واذا تقرا على اهل مكة
اياتنا وهي القران واضحات الحجج قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الذي اتى به الا كذب اختلقه من تلقا نفسه وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم وهو القران ما هذا الا سحر مبين **قوله عز وجل** وما اتيناهم من كتب يدرسونها
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم فكذبوا
رسلي فكيف كان نكير معناه وما اعطينا اهل مكة من كتب يقرون فيها ما يقولون على الله تعالى
من الشريك والولد سبحانه عما يقولون وما ارسلنا اليهم قبلك من رسول فيما يدعون وكذب الذين
من قبلهم انبياهم كما كذبك قومك وما بلغ هولاء الذين ارسلت اليهم عشر ما اوتي الامم قبلهم
من القوة والقدرة فكذبوا رسلي فانظر كيف كان انكاري عليهم وتعذيبي لهم السوء مهلكين
بالعذاب اذ لم يومنوا **قوله عز وجل** قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سالتكم
من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد معناه قل انما امركم بخصلة واحدة
ان تقوموا لله اثنين اثنين وواحدا واحدا فتناظروا وتتفكروا في امر النبي صلى الله عليه وسلم
هل ترون في عقله وقوله ودعايه الى توحيد الله تعالى ما يكون من كلام المجانين ام افعالهم ام هو
كلام عاقل حازم وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة يجوز ان يكون ابتدا كلام من الله عز وجل
ونظيره قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ويجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا بطلان
قولكم ونسبته الى الجنون وقوله تعالى ان هو الا نذير لكم معناه ما هو الا رسول يخوفكم بين
يدي القيمة لكي تخلصوا انفسكم من عذاب الله تعالى بالتلافي والتوبة ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام
ان يبين لهم انه ليس غرضه في دعايه الى الله تعالى الا الاشفاق في الدين عليهم **فقال عز من قايل**
قل ما سالتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شي شهيد اي لم اسالكم شيا على
ما اتيتكم به من الرسالة وهذا كالرجل يقول لغيره ما اعطيتني فخذه يريد بذلك لم تعطني شيا وقوله
تعالى ان اجري اي ما ثوابي الا على الله تعالى وهو على كل شي من اعمال العباد شهيد **قوله عز وجل**
قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت
فانما اضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب معناه قل ان ربي يوحي بالحق

ويامر

ويامر به وهو علام الغيوب قل جاء الحق اي ظهر الاسلام وما يبدئ الباطل لاهله خيرا وما
يعيد لهم بخير ويقال المراد بالباطل صاحب الباطل وهو ابليس لا يقدر ان يخلق ولا ان يحيي بعد الموت
والاقرب هو الاول لان الحق اذا جاء اذهب الباطل بحيث لا يبقى للباطل بقية كما قال عز من قايل بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه ويقال فلان ظهرت الحجة عليه فما يبدي وما يعيد وما يحلي وما يمر ويجوز
ان يكون قوله تعالى وما يبدئ الباطل وما يعيد على معنى الاستفهام كانه قال واي شي يبدي
الباطل واي شي يعيد وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي اي ضرر ذلك راجع الى نفسي
وان اهتديت الى الحق فبالقران الذي اوحى الي ربي انه سميع لكل ما يظهر من الخلق من حق وباطل
قريب لا يخفى عليه خافيه **قوله عز وجل** ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقالوا امنا به وانى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب
من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في
شك مريب معناه ولو ترى يا محمد الكفار اذ فزعوا فلا يمكنهم الفوت ولا الهرب مما هو نازل بهم
لرايت ما يعتبر به غاية الاعتبار وقد اختلفوا في المراد بهذه الاية قال بعضهم اراد به ما اصابهم يوم
بدر عند القتال وقال بعضهم اراد به عند قبض الارواح في وقت المعاينة وقال بعضهم اراد به يوم القيمة
اذ فزعوا من مشاهدة عذاب جهنم وعلموا انهم لا يفوتون الله تعالى واخذوا بالعذاب من مكان قريب
الى جهنم فقذفوا فيها وقالوا عند روية العذاب امنا بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم وانى لهم التناوش
يقول من اين لهم التناول لما ارادوا من بلوغه من مكان بعيد بين مكانهم الذي يتمنون فيه التوبة وبين
المكان الذي تتقبل فيه العمل وهذا مثل تضربه العرب لكل فايت فلا يمكن تداركه يراد به من لك
بتناول ما بعد منك كما يتعذر على الانسان تناول النجوم والتناوش في هذه الاية يقرا بالهمز وغير
الهمز فمن قرا بغير الهمز فهو من قولهم نشته انوشه نوشا اذا تناولته من قريب وتناوش القوم اذا دنا بعضهم
من بعض ولم يلتحم بينهم قتال بعد ومن قرا بالهمز فلان الواو في التناوش مضمومة وكل واو مضمومة لازمة
فلك ان تبدل من ضمتها همزة وان شئت لا تبدل كما قالوا ادءرت وادورت بالهمز وبغير الهمز في جميع دار
ويجوز ان يكون التناوش بالهمز من النيش وهو الحركة في الابطاء يقول من اين لهم ان يتحركوا فيما
لا يجدي لهم فيه وعن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في قوم يخرجون في اخر الزمان فيغنون
الحرم حتى اذا صاروا في الموضع يقال له البيدا فيصيح جبريل عليه السلام فيخسف
بهم الارض و يخرجون من تحت اقدامهم ويفلت منهم نحو الفرقة الاخرى فيحول وجوههم الى القفاء
ويرجع البعث الاخر وقد روي في هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عملت امتي
خمس عشرة خصلة حل بها البلا قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما
والزكوة مغرما وتعلم لغير الدين واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت
الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت
القينات والمعازف ولعن اخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا
رحمه الله يذهب في معنى هذه الاية ان المراد اذ فزعوا في النشور وقوله تعالى وقد كفروا به
من قبل معناه وقد كفروا به في الدنيا فلم يقبلوا التوبة فلم ينفعهم ولا هم منهم حتى بعد
عنهم وقوله تعالى ويقذفون بالغيب من مكان بعيد اي يرجمون النبي صلى الله عليه وسلم بالظن
او الجنون او الكهانة رجما منهم بالغيب والقذف والرجم بالغيب بلفظ الانسان بشي لا يحققه
سمي الرمي بالفاحشة قذفا وقوله تعالى من مكان بعيد المراد به بعدهم عن الحق وهذا كقوله
تعالى والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ويقال

لمن بين له بعد عن الحق لانه ينادي من مكان بعيد ويقال في معنى قوله تعالى ويقذفون بالغيب يسالون في الاخرة الرجوع الى الدنيا للايمان والتوبة ومن قرا يقذفون بضم اليا وفتح الذال فالمعنى بيان لهم ما فات عنهم وهم في مكان بعيد من ذلك وقوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي فرق بينهم وبين ما يتمنون من الرجوع الى الدنيا للايمان والتوبة كما فعل باشباههم من عذاب الاستيصال انهم كانوا في شك من العذاب ظاهر الشك وفي هذا بيان ان الله تعالى يعذب على الشك والشك في الايمان كفر قال الله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا والله الموفق

سورة الملايكة مكية كلها وهي خمس واربعون اية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشا ان الله على كل شي قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم معناه الشكر لله خالق السموات والارض ومنشيهما روي عن ابن عباس انه قال ما كنا نعرف معنى فاطر السموات حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وقوله تعالى جاعل الملايكة رسلا اي بعضهم اراد به جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت والحفظة وقوله تعالى اولي اجنحة صفة الملايكة اي ذوي اجنحة منهم من له جناحان ومنهم من له ثلثة ومنهم من له اربعة اختارهم الله تعالى لرسالته من حيث علم انهم لا يبدلون وقوله تعالى مثنى وثلث وربع في موضع خفض بالاضافة الا انه فتح لانه لا ينصرف لعلتين احداهما انه معدول عن ثلثة ثلثة واربعة اربعة واثنين اثنين والثانية ان عدله وقع في حال النكرة وقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا اي يزيد في اجنحة الملايكة ما يشا كما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ومنهم من له ستماية جناح واكثر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل عليه السلام اني احب ان تريني صورتك فقال انك لن تطيق ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اني احب ذلك فتراا له جبريل عليه السلام على صورته في ليلة مقمرة فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم فاسنده جبريل عليه السلام الى نفسه حتى افاق فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ما كنت ارى ان خلقا يكون مثل خلقك فقال جبريل عليه السلام فكيف بك لو رايت اسرافيل عليه السلام في صورته اعطاه الله اثني عشر جناحا احد جناحيه بالمشرق والاخر بالمغرب وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاال الاحايين من عظمة الله تعالى حتى لا يحمل عرشه الا عظمته وعن ابن مسعود انه قال ان الله تعالى ملكا يسع البحار كلها في نقرة ابهامه وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير اي قادر على كل ما يريد من الزيادة والنقصان مما تشاهد من الاجنحة في ظهر السمك وعن ابي هريرة انه قال في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا انه الوجه الحسن والشعر الحسن والخط الحسن وقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة قال الحسن معناه ما يرسل الله تعالى الى الناس من رسول فلا مانع له وذلك ان ارسال الرسول من الله تعالى رحمة منه على العباد كما قال جل من قايل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويقال اراد بالرحمة هاهنا المطر والرزق والعافية وجميع النعم ما يفتح الله تعالى من ذلك فلا مانع له وما يمنع فلا مطلق له وهو العزيز اي الغالب على امور عباده الحكيم في علمه وافعاله قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الامور معناه يا ايها الناس احفظوا واشكروا

منة

منة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السما بانزال المطر ومن الارض باخراج النبات لا اله الا هو يفعل بكم مثل هذا فاين تصرفون عن هذا الاله الذي هذا وصفه الى معبود لا يقدر على شي وقوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا يجزع على تكذيب قومه وان يصبر كما صبر على تكذيب الامم من قبله من الرسل والى الله تصير عواقب الامور في مجازاة المكذبين ونصرة المرسلين قوله عز وجل يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير معناه يا ايها الناس ان الذي وعد الله من المجازاة والبعث بعد الموت حق كاين فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بزينتها وزهرتها حتى تشتغلوا بها عن امر دينكم ولا يسترنكم عن طاعة الله تعالى الشيطان الذي من عادته الغرور وهذا اذا قرات الغرور بفتح الغين وان قرات بضم الغين فهي اباطيل الدنيا ويجوز ان يكون جمع غار كما يقال قاعد وقعود وقوله تعالى فاتخذوه عدوا اي احترزوا من كيده ولا تقبلوا منه فانه لكم عدو وانما يدعوا اهل طاعته ليكونوا معه من اصحاب السعير قوله عز وجل افمن زين له سو عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون في الاية اختصار المعنى افمن زين له قبح عمله بقبوله تزيين الشيطان فاعتقد سيي عمله حسنا وصوابا كمن زين له حسن عمله فامن ويقال في تقدير الاية افمن زين له سو عمله فراه حسنا ذهبت نفسك حسرة عليهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشا ويهدي من يشا ان الله عليم بما يصنعون في كفرهم ويجازيهم بما هو اولى بهم ونظير هذه الاية قوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الى اخر الاية ومن غاية فعل الانسان في المذمة ان يعتقد القبيح حسنا والحسن قبيحا كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه ذات يوم فقال عليه السلام سياتي على الناس زمان يتركون فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقالوا او كاين ذلك يا رسول الله فقال نعم وشر من ذلك فقالوا وكيف ذلك فقال صلى الله عليه وسلم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف فقالوا او كاين ذلك يا رسول الله فقال نعم وشر من ذلك فقالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال سياتي على الناس زمان يعتقدون المنكر فيه معروفا والمعروف فيه منكرا قوله عز وجل والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور معناه والله الذي ارسل الرياح لاثارة السحاب فاجريناه الى بلد ميت ليس فيها نبات ولا شجر فاحيينا بالمطر الارض باخراج الزرع والاشجار منها بعد يبسها وذهاب النبات عنها كذلك البعث في القيمة وهذا احتجاج على منكري البعث فان موتهم كموت الارض وذهاب اثرهم كذهاب اثر الاشجار والزروع والقادر على اخراج الزروع والاشجار من الارض قادر على اخراج الموتى من الارض قوله عز وجل من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ومكر اوليك هو يبور معناه من كان يطلب العزة بعبادة الاصنام فليطلب بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العزيز من اعزه الله تعالى وذلك ان الكفار كانوا يعبدون الاصنام طمعا في العز كما قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ويقال في معنى الاية من كان يريد ان يعلم ان العزة لمن هي فليعلم انها لله تعالى ثم بين كيف تعز بالله تعالى فقال سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب اراد بالكلم الطيب كلمة التوحيد ويقال اراد به كل ثنا

على الله عز وجل والكلم جمع الكلمة وكل جمع لا يكون بينه وبين واحده علامة الا الهاء
فان ذلك الجمع يجري مجرى المذكر الموحد ويكون نعته تابعا له في التوحيد والتذكير كما في قوله
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وصعود الكلم الطيب ان يرفع ذلك مكتوبا او مقبولا
الى حيث لا ملك الا الله تعالى فجعل صعود هذه الكلمة الطيبة الى المنزلة الرفيعة التي لا يملك الحكم
فيها الا الله سبحانه صعودا الى الله تعالى كما يقال صار امرنا الى الامير او الى القاضي وقوله
تعالى والعمل الصالح يرفعه فيه ثلثة اوجه احدها والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب يعني ان وحد
الله تعالى واخلص في عمله ارتفع العمل والكلم الى الله تعالى وعن الحسن انه قال ليس الايمان
بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل من قال حسنا وعمل غير صالح رده الله
تعالى ومن عمل صالحا رفعه العمل فان الله تعالى يقول والعمل الصالح يرفعه والقول الثاني ان العمل
الصالح يرفعه الكلم الطيب اي لا يقبل عمل صالح الا من موحد كما قال الله تعالى كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين والثالث ان العمل الصالح يرفعه الله تعالى وقوله تعالى والذين يمكرون
السيئات اي الذين يفعلونها على وجه المخادعة كما كان الكفار يمكرون بالنبي صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة ويقال اراد بذكر السيئات الاعمال التي يعملونها على وجه الرياء لهم عذاب
شديد في الآخرة ومكرهم في الدنيا يضيع ويهلك **وقد روي** ان رجلا جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله فيم النجاة غدا فقال رسول الله لا تخادع الله تعالى فانه
من يخادع الله تعالى يخدعه ويخلعه من الايمان ونفسه يخدع لو يشعر فقال الرجل يا رسول الله وكيف
يخادع الله فقال ان تعمل ما امرك الله به تريد غيره فاتق الله تعالى في الرياء فانه الشرك بالله تعالى
انه لا يقبل مع الرياء عملا وان المرائي ينادي يوم القيمة على رؤوس الاشهاد باربع اسماء يا كافر
يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل اجرك ولا خلاق لك التمس ممن كنت تعمل له يا مخادع
قوله عز وجل والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير
معناه والله خلق اصلكم واباكم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم خلقكم ازواجا ذكرا وانثى من ولد
ولا تضع حملها لتمام او غير تمام الا بعلمه ولا يطول عمر احد ولا ينقص من عمر احد الا وهو ثابت في
اللوح المحفوظ ان حفظ ذلك على الله تعالى هين بغير كتابة قال الفراء في قوله تعالى ولا
ينقص من عمره ان المراد به من عمر اخر كما يقول الرجل عندي درهم ونصفه اي ونصف اخر
وعن مجاهد انه قال لم يخلق الله تعالى الناس كلهم على عمر واحد هذا له عمر وهذا عمره
انقص كل ذلك مكتوب لصاحبه وكل منهم يبلغ الاجل الذي قضي له كذا سنة وكذا شهرا ويوما
وساعة وكان كعب يقول لولا اني لاجد زيادة العمر ونقصانه في كتاب الله تعالى ثم تلى هذه الآية
وفي الحديث ان الصدقة وصلة الرحم يعمران الديار ويزيدان في الاعمار **قوله عز وجل**
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تأكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير
قيل ان هذا مثل ضربه الله تعالى يقول كما لا يستوي البحران احدهما عذب في غاية العذوبة هنيء
شرابه والاخر مر زعاق لا يستطاع شربه فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر والتقي والفاسق

تعالى

تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اي من كلا البحرين تأكلون السمك لم يختلف طعم السمك لاختلاف
ماء البحرين فكذلك قد يولد للكافر ولد مسلم مثل خالد بن الوليد بن المغيرة وعكرمة بن ابي جهل
وغيرهما وقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها قيل اراد به اخراج اللؤلؤ والمرجان
من الملح خاصة الا ان العذب والملح لما كانا مختلطين جاز ان يقال تستخرجون الحلية منهما وقيل
اراد به استخراج الحلية من الملح والعذب لان البحر الذي هو ملح فيه عيون عذبة ولا تحصل الحلية الا منه
ومن الملح ومنهم من قال يحصل قطر المطر وهو عذب في الصدف فيكون منه اللؤلؤ وقوله
تعالى وترى الفلك فيه مواخر اي ترى السفن جواري في البحر تجري وتذهب مقبلة ومدبرة
بريح واحدة لتطلبوا من رزقه بالتجارة فتحملوا النعم فيها من بلد الى بلد وقوله تعالى ولعلكم
تشكرون اي فعل ذلك لتعلموا ان هذه النعم من الله تعالى ولكي تشكروه عليها وقوله
تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قد تقدم تفسيره وقوله تعالى ذلكم الله ربكم
اي الذي يفعل هذه الاشياء هو الله ربكم له الملك الدائم الذي لا يزول والذين تدعون من دونه
من الاصنام لا يقدرون ان ينفعوكم بقدر قطمير والقطمير القشرة الرقيقة الملتزقة بنوى
التمر ان تدعوهم يعني الاصنام لا يسمعوا دعاءكم ولو كانوا سامعين ما اجابوكم باعانة ولا نصرة
ويوم القيمة يتبرؤون منكم ومن عبادتكم قال الله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وقوله تعالى ولا ينبئك مثل خبير يقول لا يخبرك بحقائق الامور وعواقبها مثل الله تعالى لانه عالم
بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء منها ولا يلحقه المضار والمنافع وكل ما اخبر الله تعالى به مما يكون
فهو يعلم بخبره وحده لا شريك له احد **قوله عز وجل** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله
هو الغني الحميد ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز معناه يا ايها
الناس انتم المحتاجون الى الله تعالى والى نعمه حالا بعد حال والله هو الغني عن ايمانكم وطاعتكم
المحمود في فعاله عند خلقه وانما امركم بطاعته لتنتفعوا بها لا لحاجة به اليها ان يشا يهلككم ويات
بخلق جديد اطوع لله تعالى منكم وليس اهلاككم والاتيان بغيركم على الله تعالى بممتنع **قوله
عز وجل** ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان
ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه
والى الله المصير معناه ولا تحمل في القيمة حاملة حمل حاملة اخرى اي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها وان
تدع مثقلة بالذنوب الى ان يحمل عنها شيء من ذنوبها لا يحمل من ذنوبها شيء ولو كان المدعو ذا قرابة
من الداعية لما في ذلك من غلظ حمل الآثام ولو تحملته لم يقبل تحملها لان كل نفس بما كسبت رهينة ولا
يؤخذ احد بذنب غيره وقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول انما ينفع انذارك
وعظتك الذين يطيعون ربهم في السر واقاموا الصلوات المفروضة وذلك لان من اجتنب المعاصي
في السر خشية الله تعالى اجتنبها لا محالة في العلانية وقد يجتنب المعاصي في العلانية ولا يجتنبها
في السر ويقال انما الخشية في السر لان الاجتناب عن المعصية في السر والاقدام على الطاعة في السر
اعظم ثوابا عند الله تعالى كما **روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقرب العبد
الى الله تعالى افضل من سجود خفي في ليل مظلمة ويجوز ان يكون المراد بقوله تعالى يخشون ربهم
بالغيب تصديقهم بالآخرة واما عطف لفظ الماضي في هذه الآية على لفظ الحال والاستقبال
في قوله تعالى يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة فالفائدة في ذلك ان وجوب خشية الله
تعالى لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان ووجوب اقامة الصلوة تختص
ببعض الاوقات وقوله تعالى ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه معناه ومن تطهر عن دنس الذنوب

يكون عند ربه زكيا فان منفعة تطهره راجعة الى نفسه والى الله تعالى مرجع الخلق كلهم في الآخرة
قوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا
نذير انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير معناه كما لا يستوي الاعمى والبصير في الدنيا كذلك لا يستوي
الاعمى في الدين والبصير به ولا يستوي الضلالات والايمان وسمي الكفر ظلمات لان اهل
الكفر اصناف وقوله تعالى ولا الظل ولا الحرور فالظل ما يستتر عن موقع الشمس والظلة
السترة والحرور هو الريح الحارة الجارية في الشمس وهي السموم ويقال كنا بالظل عن الجنة كما قال
تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وكنا بالحرور عن النار لاختصاصها بشدة الحر والحرور
فعول من الحر وقوله تعالى وما يستوي الاحياء ولا الاموات اريد به الكفار والمؤمنون
وسمي المؤمنون احياء لانهم ينتفعون بانفسهم وينتفع بهم وسمي الكفار امواتا لانهم لا ينتفع
بهم كالميت والفائدة في دخول لا في قوله تعالى ولا الاموات انها نافية لاستواء كل واحد
من المذكورين لصاحبه على التفصيل وقيل انها زائدة مؤكدة وقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء
اي يسمع في حالتي الاقبال والاعراض وانت لا تقدر على الاسماع بعد الاعراض عنك كما قال عز
من قائل في اية اخرى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وقوله تعالى وما انت بمسمع من
في القبور معناه كما لا تقدر ان تسمع من في القبور كذلك لا تقدر ان تسمع من هو مثلهم في الاباء
والجحود وقوله تعالى ان انت الا نذير اي ما انت الا معلم لموضع المخافة لتحذروها وان يكذبوك
فلست باول رسول كذب وقوله جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات والزبر
هي الكتب والكتاب المنير اريد به التوراة ويقال انما كرر الزبر وهي الكتب ايضا لاختلاف صفات
الكتاب المنير الزبر هي الكتابة الثابتة كالنقرة في الصخرة ثم قيل بالكتاب المنير الموصوف
واحد والصفات مختلفة قوله تعالى ثم اخذت الذين كفروا اي اخذتهم بالعقوبة فكيف كان
انكاري عليهم وتعذيبي لهم **قوله عز وجل** الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز
غفور معناه الم تعلم يا محمد ان الله انزل من السماء المطر فانبت بالمطر ثمرات مختلفات الالوان
والطعوم وخلق في الجبال ايضا طرائق سودا في غاية السواد والجدد جمع الجدة والجدة هي
الطريقة كالمدة والمدد والعدة والعدد واما الجدد بضمتين فهي جمع جديد مثل سرير وسرر
ويجوز ان يكون الغرابيب هي الجبال السود كانه قال ومن الجبال غرابيب سود والغربيب الذي
لونه كلون الغراب ولذلك حسن ان يقال سود لانه دل على سواده باسم الغربيب ثم بين بالافصاح
انه سود وقوله تعالى ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كاختلاف الثمار والجبال
بين الله سبحانه دلائل توحيده في صدر هاتين الايتين ثم قال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء
بين ان من عرف ربه بالدلائل التي ذكرها فهو الذي يخشى الله تعالى ويتقيه فاما من لا يعرف
ربه فلا يخشى عقابه ولا ينتفع بانذار الرسل وقوله تعالى ان الله عزيز اي غالب قاهر في ملكه
وسلطانه غفور لمن يستحق المغفرة وعن عبد الله بن عباس انه قال كفى بخشية الله تعالى علما وبالاغترار
بالله تعالى جهلا **ويروى** ان رجلا خاطب الحسن بالفقيه فانكر عليه وقال هل رايت فقيها قط

قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة الذي لا يخشى الا الله تعالى وفي الشواذ
عن محمد بن سيرين انما يخشى الله بضم الهاء والعلماء بالنصب وتضاف هذه القراءة الى ابي حنيفة رحمة
الله وهو غير صحيح عنه ولا يجوز ان يقرا بهذه القراءة كما لا يجوز ان يقرا وعصى آدم ربه بنصب آدم
ورفع اسم الرب ومن يدعي صحة هذه القراءة لا بد ان يذهب في معناها الى ان المراد بالخشية في
هذه الاية الاختبار والامتحان على معنى انما يمتحن الله تعالى من عباده العلماء اكثر من غيرهم وقد يطلق
لفظ الخشية ويراد بها الاختبار كما قال الشاعر خشيت بني عمي فلم ار مثلهم ... اي واو تعددا حمر الدهر
واراد بقوله خشيت خبرت ووقف بعضهم على قوله تعالى مختلف الوانه ثم استانف فقال
كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ويعلمون ثوابه وعقابه فيطيعون طمعا في ثوابه ويتقون
عن المعاصي خوفا من عقابه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل ايما اعلم قال اخشاكم لله
وقرا انما يخشى الله من عباده العلماء فقالوا يا رسول الله اي الاصحاب افضل فقال الذي اذا ذكرت اعانك واذا
نسيت ذكرك فقالوا فاي الاصحاب شر قال الذي اذا ذكرت لم يعنك واذا نسيت لم يذكرك
قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا العلماء العالم اذا فسد وفي الاية دلالة على ان العالم العامل
محمود السيرة عند الله عز وجل موعود بالثواب في الآخرة لانه تعالى ذكر العلماء في هذه الاية
ووصفهم في الاية التي بعدها وعقب ذلك بقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور وذكر في اية اخرى
العالم الذي يعرض عن موجب علمه فقال عز من قائل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها
الى اخر القصة فاما فيه من بيان صفة العالم غير العامل وذكر الشيخ ابو بكر الرازي رحمه الله هذه الاية
في احكام القرآن فقال ان الله تعالى وصف العلماء في هذه الاية بالخشية منه واخبر
في اية اخرى ان خير البرية من يخشى ربه حيث قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير
البرية الى ان قال ذلك لمن خشي ربه فتحصل بمجموع الايتين **قوله عز وجل** ان الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذي اوحينا اليك من الكتاب
هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير معناه ان الذين يقرؤون القرآن في
الصلوة وغيرها واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما اعطيناهم من الاموال تطوعا سرا
فيسلمون بذلك عن تهمة الريا وفريضة جهرا فيسلمون بذلك من تهمة المنع ويقال لا اريد بذلك النفقة
في الجهاد يرجون بذلك تجارة لا يرد عليها الفساد والكساد ولا يبطل ما وعدهم الله تعالى من
الثواب ليعطيهم اجور اعمالهم كاملا ويزيدهم من فضله فوق ما استحقوه انه غفور متجاوز
عن الذنوب شكور يعامل الانسان بالاحسان معاملة الشاكر في توفير الجزاء وقوله تعالى والذي
اوحينا اليك من الكتاب اريد به القرآن مصدقا لما قبله من الكتب لان كتب الله تعالى كلها ادلة
على توحيد الله تعالى ولا يكون في ادلته تناقض وان اختلفت الشرايع كما تختلف شريعتنا في الغني
والفقير والمقيم والمسافر وليس ذلك باختلاف في الحكمة والصلاح وقوله تعالى ان الله بعباده
لخبير بصير اي عالم باقوالهم وافعالهم وعزائمهم فيجزيهم بما يستحقون **قوله عز وجل**
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور
شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اختلفوا
في معنى اول هذه الايات قال بعضهم معناه اورثنا الكتاب الذين اصطفيناهم من الانبياء لوقت

الله عليهم للرسالة فمن عباده فالذين بعثنا الرسل اليهم ظالم لنفسه وهم المستحقون للعذاب من الكفار والمنافقين كما قال تعالى في موضع آخر الذين تتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم وقوله تعالى ومنهم مقتصد اراد به اصحاب اليمين الذين يقومون بما افترض عليهم من دون طلب فضل كثير وقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات باذن الله اراد به المقربين السابقين مع الانبيا صلوات الله عليهم من فضلا المومنين وهذا كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة الى آخر الاية قال ثم بين الله تعالى ان الفضل الكبير الذي اعطى الله تعالى المومنين والسابقين هو جنات عدن يدخلونها وقال بعضهم اراد بقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه من اقترف من الانبيا على نفسه بالظلم مثل آدم وموسى ويونس عليهم السلام واراد بالمقتصد ابرهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام واراد بالسابق بالخيرات يحيى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم اجمعين كما روي في الخبر ما من احد الا اخطا او هم بخطية الا يحيى بن زكريا عليه السلام وقوله تعالى ذلك هو الفضل الكبير راجع على هذا القول الى اعطا الكتاب وسمى اعطا الكتاب ايراثا لانهم اعطوه بغير مسالة وردوا الكتاب كما يصير المال الموروث الى الوارث وقال بعضهم معنى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب ثم من بعد ما انزلنا اليك جبريل عليه السلام بالوحي واورثنا الكتاب اي القران اعطيناه الذين اصطفينا هم على سائر الامم وهم المومنون كما قال الله تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه يقول من الذين اورثناهم القران ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روي ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السابقون يدخلون الجنة بغير حساب والمقتصدون يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة والظالمون يحبسون ما شا الله ان يحبسوا ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة وهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الى اخر الايتين وعن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وسيلت عايشة عن هذه الاية فقالت نعم يجتمعون في الجنة السابق بالخيرات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقتصدين اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به والظالم لنفسه مثلي ومثلك وعن الحسن انه قال السابق الذي ترك الدنيا والمقتصد الذي اخذ الحلال والظالم لنفسه الذي لا يبالي من اين اخذ ويقال السابق الذي رجحت حسناته على سيئاته والظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته ويقال الظالم صاحب الكباير والمقتصد صاحب الصغاير والسابق الذي لا يلقى ذا سيئة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لقن عند الموت لا اله الا الله دخل الجنة فان قيل ليس الحكمة في ذكر الظالم ابتدا وتاخير ذكر السابق قيل ان الواو لا يوجب الترتيب كما قال الله تعالى فمنكم كافر ومنكم مومن ويقال ان الحكمة في هذا لكي لا يعجب السابق بنفسه ولا يياس الظالم من رحمته وقوله تعالى جنات عدن يدخلونها اي لهم بساتين اقامة وهي البساتين الثابتة التي لا تزول يلبسون فيها من اقلبة من ذهب وقوله تعالى ولولوا من قراه بالخفض فالمعنى من ذهب ومن لولو ومن قراه بالنصب فالمعنى يحلون اساور ويحلون لولوا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى فقال هذان محرمان على ذكور امتي في الدنيا حل لهم في الاخرة هكذا روي في بعض الروايات وروي محرمان على ذكور امتي حل لاناثهم واراد به في الدنيا وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن اي يقولون بعد دخولهم الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا حزن الموت واهوال القيمة ويقال حزن المعاش وهموم الدنيا

فان

فان الدنيا سجن المومن كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وسيل بعض النساك ما بال اكثر الناس محتاجون الى ما في يد غيرهم فقال لان الدنيا سجن المومن وهل يأكل المسجون الا من يد المطلق وقوله تعالى ان ربنا لغفور شكور اي متجاوز عن الذنوب يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله اي انزلنا دار المقام وهي الجنة بتفضله لا باعمالنا والمقامة والمقام واحد كالسلامة والسلام وقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب اي لا يصيبنا فيها تعب ولا يصيبنا فيها من التعب واللغوب بضم اللام مصدر وهي القراة المعروفة وقرا السلمي لغوب بفتح اللام جعله اسما واراد به المعنى **قوله عز وجل** والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير معناه والذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران لهم في الاخرة نار جهنم لا يقضى عليهم الموت فيستريحوا من العذاب ولا يخفف عنهم عذاب النار هكذا نجزي في الاخرة كل كفور بنعم الله تعالى حين دعاه الله تعالى الى ما يستوجب به الخلود في الجنة فلم يجب وقوله تعالى وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون وهو افتعال من الصراخ يقولون ربنا اخرجنا من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل في الدنيا يقال لهم اولم نعمركم اولم نعطكم من العمر مقدار ما يتعظ فيه من كان يريد ان يتعظ ويومن وجاءكم النذير وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويقال اراد بالنذير الشيب وما يحدث للانسان من حين بلوغه الى اخر عمره من الانتقال من حال الى حال من الشباب والشيب وما يتقلب فيه من مرض وصحة وفقر وغنى وفرح وهم وغير ذلك من حوادث الدهر التي لا صنع للمخلوقين فيه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد اعذر الله تعالى عبدا احياه حتى بلغ ستين سنة او سبعين سنة لقد اعذر الله تعالى اليه لقد اعذر الله تعالى اليه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى عليه اربعين سنة ولم تغلب حسناته على سيئاته فليتجهز الى النار وروي عن الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا اذا بلغوا اربعين سنة طووا فرشهم وقوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير [illegible] تعالى لا يخفف عنهم [illegible] **قوله عز وجل** ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور معناه ان الله تعالى عالم بسر اهل السموات واهل الارض يعلم [illegible] **قوله عز وجل** هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا معناه هو الذي جعلكم خلفا [illegible] **قوله عز وجل** قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام اتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا معناه [illegible]

في خلق السموات ام اعطيناهم كتابا فيه ما يدعونه فهم على حجج من ذلك بل ان يعد الظالمون
اي لا هذا ولا ذاك ولكن لا يعد الظالمون بعضهم بعضا الا خداعا وباطلا. قوله عز وجل
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان
حليما غفورا معناه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا عن اماكنهما من غير علاقة فوقهما
ولا دعامة تحتهما ولئن زالتا عن اماكنهما لم يقدر احد على ردهما انه كان حليما عن مقالة الكفار
غفورا لمن تاب منهم والحليم هو القادر الذي لا يعجل بالعقوبة والغفور كثير الغفران وفي
الاية دلالة على ان السموات لا تدور ولو كانت دارت لكانت قد زالت وهي غير الافلاك التي تجري
فيها النجوم. قوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا
باهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا معناه
وحلف كفار مكة بالله تعالى غاية ايمانهم قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم اليهم لئن جاءهم رسول
مخوف ليكونن اسرع اجابة واصوب دينا من احدى الامم يعنون اليهود والنصارى وغيرهم
فلما جاءهم رسول مخوف وهو النبي صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيء الرسول الا نفورا الا استكبارا
في الارض تعالى استكبارا منصوب على انه مفعول له المعنى ما زادهم الا نفورا للاستكبار
في الارض والقصد الى الاضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من حيث لا يشعرون وقوله
تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحيق ضرر المكر السيء الا بفاعله فقتلوا يوم بدر
وقوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين اي ما ينتظر اهل مكة الا ان ينزل بهم العذاب
مثل ما نزل بمن كان قبلهم من الامم السالفة فلن تجد لسنة الله تعالى في العذاب والهلاك تغييرا
ولن تجد لسنة الله تحويلا الى غير اهله والتبديل هو تصيير الشيء مكان غيره والتحويل تصيير الشيء
على خلاف ما كان من قبل وعن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه انه قال ثلث خصال من اتصف
بهن لا يخلص منهن ابدا فانه لا يبغين على احد ابدا قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة
الدنيا ولا تمكرن مكرا سيئا ابدا قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تنكثن عهدا
ابدا قال الله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه. قوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات
ولا في الارض انه كان عليما قديرا معناه اولم يسيروا في الارض فينظروا وليتفكروا في اخبار
الذين من قبلهم عند تكذيبهم الرسل صلوات الله عليهم كيف فعل الله تعالى بهم وكانوا اشد من اهل
مكة قوة ومكن لهم في البلاد ما لم يمكن لهؤلاء وما كان الله ليعجزه ليفوته احد من الخلق في السموات
ولا في الارض انه كان عليما بخلقه قادرا عليهم. قوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده
بصيرا معناه ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ما ترك على ظهر الارض من دابة ولكن يؤخرهم
تفضلا الى وقت معلوم فاذا جاء ذلك الوقت فان الله كان بعباده بصيرا يفعل بهم ما يستحقونه
من ثواب او عقاب فان قيل ما معنى قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة وعلى ظهر الارض من لا ذنب
له كالانبياء صلوات الله عليهم والاولياء والاطفال والمجانين قلنا قل ما يخلو احد على وجه الارض
من ذنب ولئن خلا هو فان في ابائه واجداده من اذنب فلو اخذ الله تعالى كل مذنب بالعقوبة لهلك
الكل وانقطع النسل واذا لم يترك احد من المكلفين لم يترك سائر الحيوان الذي خلق مسخرة للمكلفين لانهم
لهم خلقوا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم

اي اذا حبس القطر عن بني ادم بذنوبهم هلكت الحيوانات كلها ثم قرا ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة الملئكة دعته ابواب الجنة يدخل من اي الابواب شاء وبالله التوفيق

سورة يس مكية كلها وهي اثنان وثمانون اية عند البصريين

وثلث وثمانون عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم
يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما
ما انذر اباؤهم فهم غافلون اختلفوا في المراد باول هذه السورة قال بعضهم هو اسم السورة
وقال بعضهم هو اسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم معناه يا محمد وعلى هذا تاولوا قوله تعالى
سلام على الياسين وقال بعضهم هو من فواتح السور بمنزلة الم وهو قسم وحذف واو القسم
من قبل يس اختصارا لان قوله تعالى والقران دليل عليه ومن قرا يس بالفتح فهو على معنى
ان يس اسم السورة كانه قال اتل يس وهو على وزن هابيل لانه لا ينصرف ويجوز ان يكون فتح
لالتقاء الساكنين ويقرا ايضا باخفاء النون واظهارها ومعناهما واحد وسمي القران حكيما
لانه احكم بالحلال والحرام والامر والنهي ويقال لانه بما فيه من الحكمة كالناطق بالحكم وبالحكمة وقوله
تعالى انك لمن المرسلين جواب القسم وقوله تعالى على صراط مستقيم اي على طريق الانبياء صلوات
الله عليهم الذين مضوا قبلك وقوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم معناه هو تنزيل العزيز وهو
الممتنع بالنقمة لمن لم يؤمن به الرحيم لمن امن به ويجوز ان يكون معناه الذي انزل اليك تنزيل
العزيز ومن قرا تنزيلا بالنصب فعلى المصدر على معنى انزل الله تعالى تنزيلا وقوله تعالى لتنذر
قوما ما انذر اباؤهم فيه بيان ما انزل له القران اي انزل عليك لتخوف به قوما لم تخوف اباؤهم
من قبل فهم غافلون عن امور الاخرة ويمكن ان يستدل على ان المراد بقوله ما انذر هو الجحد قوله تعالى
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وهذا يبين انه لا يكون معنى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم لتنذر قوما كما انذر اباؤهم او لتنذر قوما الذي انذر اباؤهم. قوله عز وجل
لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون معناه لقد حقت كلمة العذاب على اكثر اهل مكة فهم
لا يصدقون وهذا اخبار عن علم الله تعالى فيهم انهم لا يؤمنون فقتلوا يوم بدر على الكفر
وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا اي في ايديهم وانما ذكر الاعناق في الاية لان
في الكلام دليلا عليه لان الغل لا يكون في العنق دون اليد
الى الاعناق وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما انا جعلنا في ايمانهم اغلالا
الايدي دون الاعناق لان الغل يجعل اليد في العنق والذقن
لان الغل يجعل الاعناق الى الاذقان وقوله تعالى فهم مقمحون اي رافعون رؤوسهم والمقمح
الرافع راسه الغاض بصره
وجماعة ان الاية نزلت في قوم من الكفار منهم ابو جهل تواطؤوا على ان يقتلوا النبي صلى الله عليه
وسلم
ابو جهل ومعه الحجر
والتزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه خلصوا الحجر من يده

...ا فلما أخذ الحجر ودنا من النبي صلى الله عليه وسلم فطمس الله تعالى على بصر الرجل فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسمع قراءته فذلك قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا أي غطاء وسترا ومن خلفهم كذلك فأغشيناهم أبصارهم حتى لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن رضي الله عنه هذا على طريق المثل وذلك أن الله تعالى لما حال بينهم وبين ما أرادوا بالنبي صلى الله عليه وسلم كانوا كمن غلت يده إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطها إلى شيء وهو واقع رأسه لا يبصر موضع قدمه قد سدت عليه طريقه في الذهاب والرجوع ويقال هذا على طريق التشبيه بهؤلاء من حيث لا يؤمنون ولا يصلحون كما يشبه من لا يفهم بالحمار وبالأعمى كما قال الشاعر

كيف الرشاد وقد صرنا إلى نفر ○ لهم عن الرشد أغلال وأقياد ○

فشبههم من حيث لم ينجعوا الذكر بهذا الوصف ونظير هذا قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وقال في موضع آخر كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا ويقال في معنى هذه الآية أن هذا الذي ذكر الله تعالى عقوبة من الله تعالى لهم على كفرهم كما قال الله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقال عز من قائل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولذلك قال تعالى وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي من أضله الله تعالى هذا الإضلال فأمسك يده عن النفقة في سبيل الله تعالى وعن السعي في كل ما يتقرب به إلى الله تعالى لم ينفعه الإنذار

قوله عز وجل إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين

معناه إنما ينفع إنذارك من اتبع القرآن وعمل به وخاف الله تعالى من حيث لا يراه أحد فبشره بمغفرة لذنوبه وثواب حسن في الجنة يكرم به أهله إنا نحن نحيي الأموات ونكتب ما أسلفوا من الخير والشر وآثارهم أي ما خلفوه من سنة حسنة أو سنة سيئة كما **روي** في الحديث من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن سنة سيئة الخبر وقال الحسن رضي الله عنه آثارهم خطاهم فإن كل خطوة في الطاعة طاعة وكل خطوة في المعصية معصية وقوله تعالى وكل شيء أحصيناه معناه كل شيء من أعمالهم أثبتناه في اللوح المحفوظ ويقال أراد بالإمام المبين الصحائف التي تكتبها الملائكة لتعارضوا بها ما تكتب من بعد من صحائف أعمال بني آدم فيكون ذلك لطفا للملائكة وسمي الإمام مبينا لأنه لا يندرس أثره مكتوبة

قوله عز وجل واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون

معناه ومثل لأهل مكة مثلا أصحاب القرية يريد بها أنطاكية إذ جاء أهلها رسل الله تعالى إذ أرسلنا إليهم اثنين رسولين كما أرسل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون وقومه فكذبوهما فقوينا برسول ثالث ومن قرأ فعززنا بالتخفيف فمعناه غلبنا كما في قوله تعالى وعزني في الخطاب أي غلبني وذهب بعض المفسرين إلى أن عيسى عليه السلام أرسل إلى أهل تلك القرية رسولين فكذبوهما فأيدهما بثالث وأضيف الإرسال في الآية إلى الله تعالى لأن إرساله كان بأمر الله تعالى وقوله تعالى قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا معناه قال أهل القرية للرسل لستم أولى بالنبوة منا وما أنزل الرحمن من كتاب ولا رسول وما أنتم إلا تكذبون فيما تقولون وكان هذا القول جهلا منهم لأن الله تعالى كما خص كثيرا من البشر بكثير من نعم الدنيا وأسبابها كذلك يجوز أن يخص واحدا من البشر بسبب من أسباب الآخرة

وقوله

وقوله تعالى قالوا ربنا يعلم معناه قالت لهم الرسل ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بتبليغ الرسالة وليس علينا إلا التبليغ المبين من الله تعالى وسموه مبينا لأنهم أظهروا الدعوة وأقاموا المعجزة فقال لهم أهل القرية إنا تطيرنا بكم أي تشاءمنا بكم وهو من الطيرة لئن لم تنتهوا لنرجمنكم أي إن لم تمتنعوا عن مقالتكم هذه لنقتلنكم رجما وليمسنكم منا عذاب أليم قالت لهم الرسل طائركم أي شؤمكم معكم وذلك أن شؤمهم كان في كفرهم وكان كفرهم معهم وقالوا لهم أئن ذكرتم أي قالوا أئن وعظتم بمواعظ الله تعالى تشاءمتم بنا ليس هنا ما يوجب التشاؤم ولكن أنتم قوم متجاوزون عن الحد في الكفر والمعصية

قوله عز وجل وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

وذلك أن هؤلاء الرسل لما دخلوا القرية وجعلوا يداوون أهلها حتى شفى الله تعالى على أيديهم بشرا كثيرا أتوا ملكهم فدعوه إلى التوحيد فقال لهم الملك فماذا تحسنون فقال الرسولان الأولان إنا نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المريض وقال الثالث أنا أحيي الموتى فقال أنكم تواقفتم على هذا الكلام ثم أمر بهم فأخذوا ونتفت حواجبهم وسملوا أعينهم وطيف بهم فبلغ ذلك رجلا كانوا داووا ابنه قبل ودعوه إلى الإيمان فآمن وكان في غار من الجبل يعبد الله تعالى فيه يقال له حبيب النجار فلما سمع بالمرسلين أقبل من أبعد أطراف المدينة يعضد ولينصر الرسل وقال يا قوم اتبعوا المرسلين وقال للرسل أتريدون أجرا على ما جئتم به فقالوا لا فقال لقومه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مصيبون في مقالتهم فقالوا له صبوت إليهم يا حبيب ودخلت في دينهم فقال وما لي لا أعبد الذي فطرني أي خلقني وإليه ترجعون بعد الموت أأتخذ من دونه آلهة كما اتخذتم إن يردن الرحمن بضر في جسدي أو في معيشتي لا تقدر آلهتكم أن تدفعوا عني ولا أن تنفعوني بشيء ولا أن تخلصوني من عذاب الله تعالى إني إن عبدت غير الله تعالى كنت إذا في خطأ بين إني آمنت بربكم فاسمعوا مقالتي ويقال إن قوله إني آمنت بربكم خطاب منه للرسل قال لهم اسمعوا كلامي لتشهدوا لي به في الآخرة فأخذوه وقتلوه وأقبلوا يرجمونه وهو يقول اللهم اهد قومي فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فلما قيل له ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بأي شيء غفر لي ربي وأكرمني بالشهادة ويقال إنهم لما عذبوه قيل له ادخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي يعلمون بمغفرة ربي وإكرامه إياي فيؤمنون به فيكرمون

قوله عز وجل وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون

معناه وما أنزلنا على قوم حبيب بإهلاكهم من بعده من جند من السماء وما كنا ننزل ذلك على من قبلهم من الأمم إذا أهلكناهم ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة أتاهم جبريل فأخذ بعضادتي باب المدينة فصاح بهم صيحة واحدة فتطايرت قلوبهم فإذا هم ميتون لا يتحرك منهم أحد وقوله تعالى يا حسرة على العباد قال الحسن رضي الله عنه يا حسرة من العباد على العباد ويقال في معناه بلغ بهم العذاب مبلغا أن يتحسر عليهم ويقال إن استهزاءهم بالرسل عاد حسرة عليهم يوم القيامة والحسرة أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا والعرب إذا دعت نكرة موصولة بشيء أثرت النصب يقول يا رجلا كريما أقبل والفائدة في نداء الحسرة وهي مما لا يجيب تنبيه الحاضرين فإنك إذا قلت يا عجباه أتفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة من قولك

انا اعجب من ما فعلت قوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون معناه الم يرا اهل مكة كم اهلكنا قبلهم من الامم الماضين فيخافوا ان يحل بهم في الدنيا مثل الذي حل بغيرهم ويعلموا انهم مع ذلك لا يعودون الى الدنيا ابدا وما كل منهم الا جميع لدينا محضرون في ارض المحشر للحساب والجزاء هذا اذا قرات لما بالتشديد فان قراته بالتخفيف كان ما صلة موكدة وكان حرف ان للاثبات كانه قال وان كل لجميع لدينا محضرون قوله عز وجل واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون معناه وعلامة لهم تدلهم على التوحيد والبعث الارض الميتة اي اليابسة التي لا نبات فيها ولا شجر احييناها باخراج الاشجار والزروع منها وانبتنا فيها حبا فمن الحب ياكلون وجعلنا فيها بساتين من نخيل وكروم وشققنا فيها من عيون الماء لياكلوا من ثمره ما ذكرناه على اختلاف طعومها والوانها فيستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى وما عملته ايديهم شيئا مما ذكرناه افلا يشكرون نعم الله تعالى فيوحدوه ويجوز ان يكون معنى وما عملته لياكلوا من ثمره ومن ما عملته ايديهم وهي الاشجار التي غرسوها قوله عز وجل سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون معناه تنزيها للذي خلق الاصناف كلها مما تخرج الارض من الحلو والحامض والابيض والاحمر وغير ذلك من الطعوم والالوان وخلق من انفسهم اشكالا وخلق في البر والبحر واطراف السموات والارض ما لا يعلمون وعلامة اخرى لهم تدلهم على ذلك الليل المظلم تنزع منه النهار فاذا هم داخلون في الظلام وذلك ان الله تعالى خلق الدنيا مظلمة فاذا طلعت الشمس صارت الدنيا مضية فشبه ضوء النهار باللباس للهواء المظلم فاذا ذهب الضوء بغروب الشمس كان ذهاب ذلك عن الهواء بمنزلة سلخ جلد الشاة عن الشاة وسلخ ثوب الرجل عن الرجل قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون معناه واية لهم الشمس تجري الى مستقرها وهو اخر مدة الدنيا ثم لا تجري بعد ذلك ويقال لمستقرها منازلها اذا انتهت الى اقصى منازلها التي لا تجاوزها في الصيف رجعت ويقال يحتمل منازلها مستقرها كما يقال في منزل الرجل هو مستقره وان يتصرف فيه ويتحرك وفي الحديث ان الشمس تطلع وتغرب فيراها بنو ادم كذلك حتى اذا كان يوم تغرب فتحبس حبس ما بعد الغروب ما شاء الله فيقوم المصلون لصلواتهم فيصلون حتى يملوا ثم يعودون الى مضاجعهم يفعلون ذلك مرارا والليل كما هو والنجوم واقفة لا تسري حتى يخرج الرجل الى اخيه ويخرج الناس بعضهم الى بعض ثم يقال للشمس اطلعي من حيث غربت فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم معناه ذلك الذي سبق ذكره تقدير العزيز الذي لا يعجزه شيء العليم الذي لا يخفى عليه شيء وفي قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والشمس تجري لا مستقر لها اي لا تقف ولا تستقر في الدنيا ولكنها جارية ابدا وقوله تعالى والقمر قدرناه منازل فيه قراءتان احدهما برفع الراء عطفا على قوله تعالى والشمس تجري والاخرى بنصب الراء على معنى وقدرنا القمر قدرناه منازل اي جعلنا له منازل ثمانية وعشرين منزلا ينزل في كل ليلة منزلا له اسم معلوم حتى اذا انتهى الى مكانه الذي كان فيه اول الثمانية والعشرين يوما عاد حتى صار كالعذق في الهيئة وانما شبهه بذلك لان العذق اذا مضت عليه الايام يجف ويتقوس ويدق فيصير اشبه الاشياء بالقمر في اول الشهر واخره

ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى ولو قدر غيره على ذلك لقدروا على ان يزيدوا في طول الليل والنهار ما شاؤوا فلا بد ان يكون كل ذلك من فعل الله تعالى وقوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر معناه ان الشمس ابطا سيرا من القمر فلا تدركه حتى تستره بشعاعها وذلك ان الشمس تقطع منازلها في سنة والقمر يقطع منازله في شهر وهما مسخران مقهوران على ما دبرهما الله تعالى ويقال في معنى هذه الاية لا ينبغي للشمس ان تطلع في سلطان القمر فتذهب بضوئه وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار معناه ولا تتاخر الشمس عن مجراها فتسبق ظلمة الليل في وقت النهار ولا يتعاقبان بينهما لا يتخللهما يوم بينهما وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون معناه وكل من الشمس والقمر والنجوم السائرة الغاربة والطالعة طلوع الشمس والقمر وهي زحل والمشتري والمريخ ويسمى ايضا بهرام والزهرة وعطارد وهي خمس في فلك يجرون ويسيرون بالانبساط وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء والفلك هو مواضع النجوم من الهواء الذي تجري فيه سمي بهذا الاسم لانه يدور بالنجوم ومنه فلكة المغزل لانها تدور بالمغزل ومنه الفلك الذي هو السفينة لانها تدور باهلها في الماء قوله عز وجل واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين معناه واية لهم اخرى تدلهم على وحدانية الله تعالى انا حملنا ذريتهم في السفينة المملوءة وهي سفينة نوح عليه السلام والذرية في كلام العرب الاباء والابناء قال الله تعالى ذرية من حملنا مع نوح وهو خطاب للناس كلهم ويقال انما نسب الذرية في الاية الى المخاطبين لانهم من جنسهم كانه قال ذرية الناس كلهم الخطاب لكل الناس قريش وغيرهم وقوله تعالى وخلقنا لهم من مثله اي من مثل سفينة نوح عليه السلام ما يركبون في البحر على مثال تلك السفينة والحمل في اللغة هو منع الشيء ان يذهب الى جهة السفل وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالفلك في الاية الاولى هو السفن كلها يسيرها الله تعالى باهلها فيها الى حيث يريدون لا يقدر على ذلك احد الا الله تعالى والقائمة في ذكر الذرية وهم الصبيان والنساء انهم لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخر لهم السفن كما جعلت عليه من الماء والرياح وقوله تعالى وخلقنا لهم من مثله اريد به على هذا الابل في البر يحملون عليها الاحمال الثقيلة فهي في البر كالسفن في البحر وقوله تعالى وان نشا نغرقهم معناه ان نشا نغرقهم في البحر بالريح العاصف فلا صريخ لهم معناه لا صارخ لهم بالاستغاثة وقد يذكر الصريخ بمعنى الصارخ كما قال الشاعر كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب اي كانت اغاثة الجد في نصرته والظنبوب عظم الساق وقيل ان الصريخ هو المعين عند الصراخ كانه قال ولا معين لهم ولا هم ينقذون من الغرق الا ان نتداركهم برحمة منا في بعض الاوقات للجزاء فيبقون الى وقت الموت قوله عز وجل واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين [illegible] تفسيره من الاصل قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين معناه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله تعالى في ابواب البر والحقوق الواجبة وتصدقوا على الفقراء قالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه قيل ان هذه الاية نزلت في زنادقة قريش قال الحسن رضي الله عنه كان اهل الجاهلية [illegible] [illegible] قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد

إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون معناه ويقول كفار مكة متى هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد إن كنتم صادقين إنا نبعث بعد الموت فأرونا ذلك يقول الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة أي لما قامت عليهم دلائل على البعث لرسولهم بعد تكذيبهم إلا انتظار صيحة واحدة وهي الصيحة التي تهلكهم عند النفخة الأولى وهم يخصمون في أمور الدنيا ومتصرفاتهم ولا يستطيع أحدهم أن يوصي في شيء من أمره ولا يلبث أحدهم أن يصير إلى منزله وأهله لأنها تأخذهم بغتة فيموتون في مكانهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما يريد أحدهما أن يدفعه إلى صاحبه فيحول قيام الساعة بينه وبين تسليمه إلى صاحبه والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وقد هوى الرجل بلقمة ليضعها في فيه فيحول قيام الساعة بينها وبين وصولها إلى فيه وفي قوله تعالى يخصمون قراءات تقرأ بفتح الخاء والأصل يختصمون وهي قراءة أبي رضي الله عنه فطرحت فتحة التاء على الخاء وادغمت التاء في الصاد وتقرأ بكسر الخاء اتباعا لكسرة الصاد والأصل ما ذكرناه وتقرأ بسكون الخاء والصاد على الجمع بين الساكنين وتقرأ يخصمون بفتح الياء وتسكين الخاء وتخفيف الصاد ومعناها وهم يخصمون أنفسهم في دفع النشأة الثانية **قوله عز وجل** ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون معناه ونفخ في الصور نفخة البعث فإذا هم من القبور يخرجون إلى عرصات القيامة مسرعين والنسلان مقاربة الخطو مع الإسراع ومنه نسلان الذئب وهو هرولته وحثه والأجداث جمع جدث وهو القبر وقد يقال الجدف بالفاء وقوله تعالى قالوا يا ويلنا في موضع الحال أي قائلين بعد خروجهم من القبور يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فإن قيل ما معنى هذا الكلام وهم يعذبون في القبور قلنا يجوز أن ينسوا عذاب القبر لهول المطلع وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال يرفع عنهم في القبر فيما بين النفختين فيقولون حين يخرجون من قبورهم من بعثنا من مرقدنا فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا البعث ما وعدكم الرحمن في دار الدنيا على ألسنة الرسل عليهم السلام وصدق المرسلون فيما قالوه ويجوز أن يكون قوله هذا من نعت المرقد كأنهم يقولون من بعثنا من مرقدنا هذا الذي كنا راقدين فيه فيقال لهم ما وعد الرحمن هو الذي بعثكم ويجوز أن يكون ما وعد الرحمن على هذا القول خبر ابتداء محذوف في المعنى حق ما وعد الرحمن أو هذا ما وعد الرحمن وقوله تعالى إن كانت إلا صيحة واحدة معناه ما كانت نفخة البعث إلا صيحة واحدة لا تثنى فإذا الأولون والآخرون في عرصات القيامة محضرون أهلاككم كان بصيحة واحدة وبعث الخلائق كلهم كان بصيحة واحدة وقوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا أي لا ينقص من حسنات أحد ولا يزاد على سيئات أحد ولا يجزى كل عامل إلا على ما عمل من خير أو شر **قوله عز وجل** إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم معناه أن أهل الجنة يوم القيامة في شغل عما فيه أهل النار وبقال يشغلهم التمتع بالنعيم وبالحور العين كلما غشين وجدن أبكارا عربا متحببات لأزواجهن وقوله تعالى فاكهون أي أصحاب فاكهة كما يقال شاحم لاحم أي ذو شحم ولحم وعاسل ذو عسل ومن قرأ فكهون بغير ألف فالفكه هو الفرح الضحوك الطيب النفس ويقال فاكه وفكه كحاذر وحذر وقوله تعالى هم وأزواجهم أي وحلائلهم في ظلال أشجار الجنة على السرر في الحجال جالسون بالأبكار جلسة الملوك وقوله تعالى لهم فيها فاكهة أي لهم في الجنة ألوان الفواكه ولهم

ما يتمنون تقول العرب لك ما تدعي أي تتمنى ويقال في معنى ما يدعون لا ينازعون في شيء وقوله تعالى أي لهم سلام يسمعونه من الله تعالى ويعلمهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة ويقال تحييهم الملائكة عن الله تعالى كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقوله تعالى قولا من رب رحيم يجوز أن يكون معناه يقول الله عز وجل قولا ويسمعهم كلاما من رب رحيم ويجوز أن يكون المعنى تبلغهم الملائكة قولا من رب رحيم وذهب الفراء في قوله تعالى ولهم ما يدعون سلام إلى أن ذلك لهم مسلم خالص وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قلنا يا رسول الله إن الولد قرة العين وتمام السرور فهل يولد لأهل الجنة فقال والذي نفسي بيده إن العبد ليشتهي فيكون حمله ووضعه وسنه الذي يشتهي إليه في ساعة **قوله عز وجل** وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم معناه يقال للمجرمين تميزوا عن المؤمنين وذلك أن الخلق كلهم يحشرون مختلطين وقوله تعالى ألم أعهد إليكم معناه ألم أتقدم إليكم في الكتاب والرسول بعهد الإيمان وترك عبادة الشيطان قال عبد الله بن عباس ما صلوا للشيطان ولا صاموا له ولكنهم أطاعوه وكل من أطاع شيئا فقد عبده وقوله تعالى وأن اعبدوني معناه ألم أعهد إليكم أن اعبدوني هذا طريق قائم يرضاه الله تعالى وهو دين الإسلام **قوله عز وجل** ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون معناه ولقد أضل الشيطان منكم أمما كثيرة أفلم تكونوا تعقلون أن الشيطان عدو لكم بين العداوة والجبل جمع جبلة وهي الخليقة يقال جبل فلان على كذا أي طبع عليه وجبلت التراب بالماء إذا صيرته طينا يصلح أن يطبع به ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات وقوله تعالى هذه جهنم أي يقال لهم حين دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم تخوفون بها في الدنيا الزموها اليوم بكفركم بالكتاب والرسول **قوله عز وجل** اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وذلك أنهم ينكرون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله تعالى على أفواههم وتنطق جوارحهم تشهد عليهم **قوله عز وجل** ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون معناه ولو نشاء لأعميناهم في أسواقهم ومجالسهم بتكذيبهم إياك يا محمد كما فعلنا بقوم لوط عليه السلام حين راودوه عن ضيفه فاستبقوا الصراط أي طلبوا السبق إلى طريق النجاة وإلى طريق الرجوع إلى منازلهم فمن أين يبصرون لو فعلنا ذلك بهم والطمس على العين إذهاب الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر ويقال في معنى هذه الآية لو نشاء لفقأنا أعينهم التي تدلهم على الضلالة فبادروا وأبصروا الهدى لو فعلنا ذلك بهم فمن يبصرون الهدى وأعين الضلالة غير مفقوءة وقوله تعالى ولو نشاء لمسخناهم أي صيرناهم قردة وخنازير كما جعلنا كثيرا ممن كان قبلهم فلا يقدرون على الذهاب ولا على الرجوع وقال مقاتل رضي الله عنه أراد بالمسخ أن يسخهم حجارة وقال الحسن أراد به أخذ الأيدي والأرجل والمسخ في اللغة هو التبديل **قوله عز وجل** ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون معناه ومن نطول عمره في الدنيا نرده إلى الحالة الأولى في الضعف فيصير الرجل يشبه حال الصبي في عزوب العلم وضعف القوى أفلا يعقلون أن القادر على رد البشر من حال القوة والكمال إلى حالة الضعف وزوال العقل قادر على إعادة الخلق **قوله عز وجل** وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين معناه وما علمنا محمدا صلى الله عليه وسلم

قول الشعر وما ينبغي له ذلك وانما يعطه الله تعالى الفطنة التي يهتدي بها الى قول الشعر لانه لو قدر على الشعر لارتاب المشركون اكثر مما ارتابوا فاذا لم يقدر على الشعر الذي قدر عليه العرب فكيف قدر على ما عجز عنه العرب والعجم وفي هذا تنبيه على كون القرآن معجزا وانه من عند الله تعالى فذلك قوله تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين يقول ما هذا الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم وزعم الكفار انه شعر الا عظة وقرآن مبين بالحلال والحرام والامر والنهي لتنذر من كان حيا اي ليخوف بالقرآن من كان يعقل ما يخاطب به ويحق القول العذاب على الكافرين وذلك لان الكافر كالميت في انه لا يتدبر القرآن فيعلم ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حق وفي الآية بيان ان القرآن مباين لجميع كلام المخلوقين واوزان اشعار العرب وسئلت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر فقالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت اخي بني قيس طرفة. ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا. ويأتيك من لم تزود بالاخبار. فقال عليه السلام لست بشاعر ولا ينبغي لي واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هل انت الا اصبع دميت. وفي سبيل الله ما لقيت. فقد قيل ان القائل لذلك بعض الصحابة ولئن ثبت ذلك فليس كل من انشد بيتا او شعر الغير يسمى شاعرا كما ان من لا يحسن الرمي اذا اصاب في بعض الاوقات برميته لم يسم راميا **قوله عز وجل** اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون معناه اولم يشاهدوا انا خلقنا انعاما وهي الابل والبقر والغنم مما عملنا بقدرتنا لا مما عملها ايدي مالكيها فهم لها ضابطون يصرفونها كيف شاؤا واليد تذكر ويراد بها القدرة واظهار الصنيعة مع ان هذه الآية في تعداد النعم ويحتمل ان تكون الايدي زيادة في الكلام كما يراد الوجه وانما زيد لانه لما كان المتعارف عند القوم عمل الاشياء بالايدي ذكرت الايدي تقريبا من افهامهم كما قال تعالى بما كسبت ايديهم وقد تكسب بسائر الجوارح المآثم وقوله تعالى وذللناها اي سخرناها لهم مع قوتها وضعفهم فمنها ركوبهم اي مركوبهم ومنها ياكلون من لحمها يقال هذه الحمالة ركوبة القوم وركوبهم وهذه النوق حلوبة القوم وحلوبهم بالها وغيرها وقوله تعالى ولهم فيها منافع اي من اصوافها واوبارها واشعارها ومشارب من البانها افلا يشكرون من فعل ذلك ويوحدونه **قوله عز وجل** واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون معناه وعبدوا من دون الله اصناما رجاء ان ينصروهم ويشفعوا لهم كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ثم نفى الله تعالى نصرهم بقوله لا يستطيعون نصرهم وقوله تعالى وهم لهم جند محضرون اي هم للاصنام كالعبيد للارباب قياما بين ايديهم ينتصرون بهم والاصنام لا تقدر على نصرهم ولا على نصر انفسهم ويجوز ان يكون المعنى ان المشركين يحضرون مع الاصنام في النار توبيخا وتعذيبا للذين كانوا يعبدونها وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم اي تكذيبهم اياك يا محمد وقولهم انك شاعر انا نعلم ما يخفون في نفوسهم من المكر والخيانة وما يظهرون من العداوة **قوله عز وجل** اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وذلك ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد حال يفتته بيده ويذريه في الرياح ويقول لاصحابه ان محمدا يقول انا اذا متنا وصرنا ترابا نعاد ونبعث فينا الروح ان هذا الشيء عجيب من يقدر ان يحيي العظام وهي رميم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يحيي الله تعالى هذا ثم يميتك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات والمعنى اولم يعلم الانسان انا خلقناه مع الحيوة والعقل والحواس من نطفة فبلغناه الى ان صار خصيما جدلا ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا اي ضرب لاحيائنا العظام بعد موتها مثلا بما فتت من العظم ونسي خلقنا اياه بعد ان لم يكن شيئا حتى صار مخاصما فقال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية قل لهم يا محمد ان القادر على انشاء الخلق من العدم الى الوجود قادر على الاعادة بعد الاماتة وهو عليم بالخلق قبل ان خلقهم وفي الآية دليل وجوب القياس لانه تعالى الزمهم قياس النشاة الثانية على النشاة الاولى وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا اراد به الزنود التي كانت العرب يورون بها كانوا اذا احتاجوا الى النار اخذوا غصنا من شجر المرخ وغصنا من شجر العفار فضربوا احدهما بالآخر وكانت النار تتقد فقيل لهم ان الذي جمع بين النار والماء في الشجر الاخضر على تضادهما لا يطفئ الماء النار ولا يحرق النار الشجر قادر على ان يبعثكم ويرد ارواحكم الى اجسادكم والعرب تقول في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار ويقال ما من شجرة الا وفيها نار غير شجرة العناب ولذلك يختارها القصارون لدق الثياب عليها **قوله عز وجل** اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون معناه ان خلق السموات والارض مع عظمهما وما فيهما من العجائب ابلغ في القدرة من احياء الموتى افليس القادر عليهما قادرا على الاعادة بلى وهو الخلاق من غير عي العليم بالخلق انما امره اذا اراد شيئا من البعث وغيره ان يقول له كن فيكون بغير واسطة ويقال في معنى هذا ان يكونه فيحدث وانما اجرى خلقه مجرى القول والامر توسعا في الكلام لان ذلك يبلغ في تعظيم الموصوف من قوله فعلها ومن هذا قال قتادة ان هذا مثل ليس في كلام العرب شيء هو اخف من ذلك ولا اهون فامر الله تعالى كذلك فان قيل فلم لم ينتصب فيكون على جواب الامر بالفاء كما يقال ائتني فاكرمك قلنا ان ذلك مستقبل يجب الثاني بوجوب الاول وهذا كائن مع ارادة الله تعالى فالفعل واحد وقوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء معناه تنزيه للذي له القدرة على كل شيء من ان يوصف بغير القدرة واليه ترجعون في الآخرة فيجزيكم باعمالكم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرا يس يريد بها الله تعالى غفر له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن اثنتي عشرة مرة وايما مسلم قرئت عنده سورة يس حين ينزل به ملك الموت نزل اليه بكل حرف منها عشرة من الملائكة يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مريض قرا سورة يس وهو في سكرات الموت لا يقبض ملك الموت روحه حتى يجيء رضوان خازن الجنان بشربة من شراب الجنة فيسقيه بها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ويدخل الجنة وهو ريان وبالله التوفيق

سورة والصافات كلها مكية وهي مائة وثمانون آية عند البصريين وآيتان وثمانون عند غيرهم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق اقسم الله عز وجل بصفوف الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يامرها الله تعالى بما يريد وقوله تعالى والزاجرات زجرا اريد به الملائكة الذين يزجرون السحاب فيسوقونه الى الموضع الذي امروا به وقوله تعالى فالتاليات ذكرا اريد به قراء الكتب منهم وقوله

تعالى ان الهكم لواحد جواب القسم وبهذا وقع القسم وتمام وقع القسم بهولاء الملئكة لان في
تعظيمهم بما فيها من الدلالة على الله تعالى تعظيما لله تعالى ويقال هذا قسم بالله تعالى على تقدير ورب
الصافات الا انه حذف لما يقتضي من التعظيم بالقسم بالله وكذلك والذاريات والطور
والنجم وغير ذلك وقد تضمنت الاية تشريف الملئكة وتعظيم الا... صفاف في الصفوف وفي الخبر
انهم يصطفون في صلوتهم في السما ويسبحون الله تعالى ويذكرونه ويرفعون اصواتهم بقراءة
القرآن في الصلوة كما تصطف الناس في صلوتهم في الارض قال قتادة رضي الله عنه كل اية زجر
الله تعالى بها في القرآن فهي زاجرة ويقال انما سميت الملئكة زاجرات لانهم يزجرون الناس عن
المعاصي بالهامهم اياهم في قلوبهم كما ان الشيطان يدعو الناس الى المعصية بالوسوسة في
القلوب ويدخل في الصافات صفوف الغزاة في الحرب وصفوف الطير في الهوا والصف
ترتيب الجمع على خط واحد والصافات جمع الجمع واحده صاف ويكون صافة للمبالغة كالعلامة
والنسابة وقوله تعالى رب السموات والارض معناه مالكهما ومنشيهما ومدبرهما ومدبر
ما بينهما ومالك المشارق ومدبرها وانما قال ههنا رب المشارق لان للشمس ثلثماية وستين مشرقا
تطلع كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب فاذا تحولت السنة عادت الى المشرق الاول والمغرب
الاول فتقطع الفلك في سنة والقمر يقطعه في شهر واما قوله تعالى رب المشرق والمغرب فانما
اراد جانب الشرق والغرب وقيل اراد به الجنس او اراد به مشرقها ومغربها في يوم واحد واما
قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فقد قيل انه اريد به مشرق الشمس ومشرق القمر
ومغربهما وقيل اراد بذلك مشرق الشتا والصيف ومغربهما وشروق الشمس طلوعها يقال شرقت
اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت. **قوله عز وجل** انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب
وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا
ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب معناه انا زينا السما الدنيا التي
هي ادنى اليكم من ساير السموات بضوء الكواكب ونورها ومن قرا بزينة بالتنوين مع كسر
الكواكب على معنى فالكواكب بدل من الزينة وصفتها وقد تبدل النكرة بالمعرفة كما في قوله
وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله ويجوز ان يكون كسر الكواكب على معنى بالكواكب
ومن قرا بزينة بالتنوين ونصب الكواكب فالوجه في ذلك ان قوله بزينة في موضع نصب فنصب
الكواكب على ضمير فعل كانه قال بتزييننا الكواكب وقوله تعالى وحفظا معناه وجعلت
الكواكب حفظا من كل شيطان متجرد للشر يقذفون به اذا استرقوا السمع قال الحسن وفي
هذا دليل على انه انما يرجم بالكواكب بعض الشياطين وهم المردة وقوله تعالى لا يسمعون الى الملا
الاعلى اي لا يسمع مردة الشياطين الى الملئكة ولا الى كلامهم ومن ثقل السين وفتحها فاصله لا يتسمعون
اليهم يقال اسمع وتسمع بمعنى واحد كما يقال اصدق وتصدق وقوله تعالى ويقذفون من كل جانب
معناه ان الشياطين يقذفون عند دنوهم من السما لاستماع كلام الملئكة في تدبير امور الدنيا
ويرمون بالشهب من نواحي السما واطرافها وقوله تعالى دحورا اي يدحرون بها دحورا اي طردا
وابعادا ولهم مع ذلك في الآخرة عذاب واصب اي دايم يقال وصب على الشي واوصب عليه بمعنى
واحد ويجوز ان يكون معنى الواصب الموجع من الوصب وهو الوجع وقوله تعالى الا من خطف
الخطفة استثنا من قوله تعالى لا يسمعون كانه قال لا يسمعون اليهم الا من استمع مختلسا
والخطف هو اخذ الشي بالسرعة وقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب اي لحقه نجم وهاج منير قد مضى
يحرقه او يخبله والشهاب في اللغة كل ابيض ذي نور الا انه اريد به ههنا الكوكب الذي ينقض على اثر

الشيطان

الشيطان. **قوله عز وجل** فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب
بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا
سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون
فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون معناه سل يا محمد اهل مكة واستعلمهم تقريرا للحجة عليهم
ام اشد خلقا ام من خلقنا قبلهم من الامم الماضية كانوا اشد منهم قوة وآثارا في الارض فاهلكناهم
بكفرهم وتكذيبهم وكيف يامن هولاء الهلاك مع اصرارهم على الكفر وهم اضعف ممن قبلهم
ويقال في معنى هذا اهم اشد خلقا للبعث ام خلق من قبلهم انا خلقناهم يعني اصلهم وهو ابو البشر
آدم عليه السلام من طين لازب اي لاصق ثابت يقال صار لازب وصار لازم واذا خلق اصلهم
من طين لازب فكيف لا يقرون بقدرة الله تعالى على البعث وقوله بل عجبت ويسخرون معناه
بل عجبت يا محمد من انكارهم للبعث مع ظهور ما جئت به من الحجج والادلة ويقال بل عجبت من جهلهم
حيث اختاروا ما يجب لهم به النار وتركوا ما يجب لهم به الجنة وهم يسخرون من تعجبك ويستهزون
بكلامك وبالقرآن ومن قرا بل عجبت بضم فالعجب من الله تعالى على خلاف العجب من الآدميين
كما قلنا في الغضب والرضا من الله تعالى وانما معنى العجب ههنا هو الانكار والتعظيم وكذلك اصل
العجب في اللغة ان الانسان اذا راى ما ينكره ويقل مثله قال قد عجبت من كذا وعلى هذا معنى الحديث
عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة في السلاسل وفي الحديث المروي عجب ربكم من الكم وقنوطكم
وان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة وقوله تعالى واذا ذكروا لا يذكرون معناه
واذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون ويقال واذا ذكروا بايام الله تعالى وانعامه لا يذكرون وقوله
تعالى واذا راوا اية يستسخرون ويسبوا ما يدلهم على توحيد الله تعالى الى السحر فقالوا ان هذا الا سحر مبين
وقالوا على وجه الانكار ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي صرنا ترابا وعظاما بالية ائنا لمحيون
بعد الموت انبعث وآباونا الذين مضوا قبلنا قل لهم نعم تبعثون انتم وآباوكم اذلا صاغرين
ثم ذكر ان بعثهم يقع بزجرة واحدة اي بصيحة واحدة فاذا هم قيام بعد ينظرون ما يومرون
به. **قوله عز وجل** وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وذلك ان الكفار لما عاينوا
البعث واهوال ذلك اليوم دعوا بالويل على انفسهم فقالوا هذا يوم الحساب والجزاء فتقول
لهم الملئكة هذا يوم يفصل الله تعالى فيه بين المحق والمبطل والمحسن والمسي وهو اليوم الذي كنتم
تكذبون به في الدنيا ثم يقال لخزنة جهنم اجمعوا الذين ظلموا وقرناهم من الشياطين الذين قيضوا
لضلالتهم ويقال المراد بالازواج نظراهم واشكالهم من الاتباع اصحاب الزنا مع اصحاب الزنا
واصحاب الخمر والزوج في اللغة هو النظير يقال عندي من هذا ازواج اي امثال ومن ذلك زوجان
من الخف ويقال المراد بالازواج نساهم اذا كانت زوجة الكافر كافرة او منافقة وقوله تعالى وما
كانوا يعبدون من دون الله اريد به الاصنام يعبدونها وقوله تعالى فاهدوهم اي دلوهم وسوقوهم
الى طريق الجحيم فلما انطلق بهم الى جهنم ارسل ملك يقول لخزنة جهنم وقفوهم انهم مسئولون اي احبسوهم
في موضع الحساب ليسالوا او يعرفوا جزا عملهم يقال وقفت بنفسي ووقفت غيري ولا يقال اوقفت
بالالف كما يقال هديت نفسي وهديت غيري وقد تقدم ان المراد من هذا السوال سوال التوبيخ دون
الاستفهام وقوله تعالى ما لكم لا تناصرون اي يقال لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم
تزعمون في الدنيا يقول الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون اي منقادون لما يراد بهم العابد

والمعبود لا يجعل احد على احد ولا يمنع احدا احدا **قوله عز وجل** فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مومنين وما كان لنا عليكم من
سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم
يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين معناه واقبل الشياطين والمشركون
يسال بعضهم بعضا فيقول المشركون للشياطين انكم كنتم تاتوننا عن اليمين فتزينون لنا
الضلالة وتردوننا عن الحق فيقول لهم الشياطين انما كان الكفر من قبلكم فما كان لنا عليكم
من قوة فنجبركم على الكفر بل كنتم قوما متجاوزين عن الحد هكذا روي عن الحسن رضي الله عنه ويقال
في معنى الاية اقبل التابعون على المتبوعين وكلهم من بني ادم عليه السلام فيقولون لولا انتم لكنا
مومنين فيقول المتبوعون ما اجبرناكم على الكفر بل كفرتم بسوء اختياركم فيقول لهم التابعون
انكم كنتم تاتوننا من اقوى الجهات وذلك ان جهة اليمين اقوى من جهة الشمال كما ان اليمين اقوى
من الشمال وتقديره خدعتمونا باقوى الوجوه واليمين هي القوة قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا
باليمين اي بالقوة ويقال في معنى هذا اليمين اتيان الناصحين وذلك ان الناس يتبركون بما جاء
من قبل ايمانهم ويتشامون عن شمائلهم فكانهم يقولون جئتمونا من الجهة التي كنا نامنكم فيها وقال قتادة
رضي الله عنه اي كنتم تمنعوننا عن طاعة الله تعالى فيقول المتبوعون بل لم تكونوا مومنين
في الاصل اذ لم تكونوا تريدونه فكيف اجبرناكم عليه وما كان لنا عليكم من سلطنة الاجبار على الكفر
وقوله تعالى فحق علينا قول ربنا اي حقت علينا كلمة ربنا بالسخط والعذاب وهي قوله تعالى لاملان
جهنم وقوله تعالى فاغويناكم اي دعوناكم الى الغواية انا كنا غاوين بانفسنا يقول الله تعالى
فانهم يومئذ في العذاب مشتركون لا ينفعهم التنازع والتخاصم وكلا الفريقين مشتركون في
العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين اي هكذا نعاقب المشركين **قوله عز وجل** انهم كانوا
اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق
وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين
معناه انهم كانوا يتكبرون عن كلمة التوحيد ويقولون انترك الهتنا وعبادتها بقول شاعر مجنون
يريدون به النبي صلى الله عليه وسلم ينسبونه الى الشعر والجنون فاكذبهم الله تعالى بقوله تعالى
بل جاء بالحق وصدق المرسلين وقال وما هو بقول شاعر وقال وما صاحبكم بمجنون وقال تعالى
ام يقولون به جنة وقوله تعالى انكم لذائقوا العذاب الاليم اي يقال لهم انكم ايها المشركون
لذائقوا العذاب الاليم على شرككم ونسبتكم النبي صلى الله عليه وسلم الى الشعر والجنون وما تجزون
الا ما كنتم تعملون لكن عباد الله المخلصين لا يعذبون بل يجزون باكثر مما استحقوه وفي قوله
تعالى المخلصين قراءتان من قرا بفتح اللام فهم الذين اخلصهم الله تعالى واصطفاهم وعصمهم
ومن قرا بكسر اللام فهم الذين اخلصوا الايمان والعمل لله تعالى **قوله عز وجل** اولئك لهم
رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكاس
من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف
عين كانهن بيض مكنون معناه ان هولاء المخلصين لهم في الجنة رزق معلوم على قدر الغدوة
والعشية في الدنيا ولهم الوان الفواكه وهم مكرمون بالتحف في جنات النعيم يقابل بعضهم
بعضا على السرر يطاف عليهم باناء مملوء من الشراب ولا يسمى الاناء كاسا الا اذا كان فيها
الشراب والمعين ها هنا الخمر سميت معينا لانها خمر تجري على وجه الارض من العيون كما يجري الما
فيها في غير الاخدود والبيضا لون تلك الخمر اي ليست هي على لون خمر الدنيا ولكنها بيضا لنورها

ليست هي

ورقتها ورونقها وصفائها وقوله تعالى لذة للشاربين اي ذات لذة وليس هذا
مصدرا لانه لو كان مصدرا لنصب وقوله تعالى لا فيها غول اي ليس في شربها صداع ولا
وجع بطن ولا اذى ولا يسكرون منها والنزيف هو السكران يقال نزف الرجل فهو نزيف
ومنزوف اذا ذهب عقله بالسكر هذا اذا قرات ينزفون بنصب الزاي فاما اذا قرات بكسر
الزاي فالمعنى لا تفنى عقولهم اي لا يذهب ولا ينفد شرابهم اي هو دايم لهم ابدا يقال
انزف الرجل اذا انفد شرابه وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي يعقد لهم مجلس الشراب
ويسقون هذه الكوس اللذيذة هنية الخالية من كل افة واذية ويحضرهم حور قاصرات الطرف
قصرت طرفهن على ازواجهن لا يبغين بهم بدلا ولا ينظرن الى غير ازواجهن والعين جمع العينا
وهن كبار الاعين وحسانها وقال الحسن رضي الله عنه العين اللاتي بياض اعينهن في غاية
البياض وسوادها في غاية السواد ثم شبه بياض ابدانهن ببياض البيض المكنون وهذا من تشبيهات
العرب في وصف النسا بالبيض واريد بالبيض ها هنا بيض النعام الذي تحضنه وتضويه
بريشها عن الريح والغبار لا يمسه يد ولا يغيره غبار يقال كننت الشي اذا سترته واكننته
اذا اضمرته في نفسك قال الله تعالى او اكننتم في انفسكم اي اخفيتم في صدوركم ويقال اريد
بالبيض المكنون ها هنا البياض الذي في داخل القشر الخارج **قوله عز وجل** فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قال قايل منهم اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمدينون قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين
ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز
العظيم معناه فاقبل بعض اهل الجنة على بعض يتحدثون عن امور الدنيا قال قايل في جواب ما
يسال عنه اني كان لي صاحب في الدنيا يقول لي حين صدقت بالبعث والنشور اينك لمن المصدقين
بالبعث اذا صرنا ترابا وعظاما ائنا لمجزيون محاسبون والدين الحساب والجزا اي كان
يقول هذا الامر ليس بكاين ابدا فان الانكار بحرف الاستفهام ابلغ في النفي لانه لا جواب له
عند القايل الا واحد واضح فكان هذا القايل يبين بهذا الانكار ان جوابه نعم قبيح وقوله
تعالى قال هل انتم مطلعون معناه قال القايل من اهل الجنة لاصحابه هل تطلعون على النار
وعلى اهلها فتنظرون الى هذا الذي كان قرينا لي وتعرفون حاله فاطلع هو بنفسه على النار
واهلها فراى قرينه في وسط الجحيم يعذب بالوان العذاب قال تالله ما كدت تهلكني هلاك
المتردي من الشاهق يقال ردي يردى ردا مهموز اذا هلك وارداه غيره اذا اهلكه ويقول
مع ذلك ولولا عظيم نعمة الله علي بان عصمني من الكفر لقلت مثلك وكنت معك من المحضرين في
النار ثم سمع هذا القايل مناديا ينادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت
فيقول القايل لاصحابه على وجه السرور افما نحن بميتين في هذه الجنة ابدا وما نحن بمعذبين ابدا
فيقولون ذلك فيقولون ان هذا لهو الفوز العظيم فزنا بالجنة ونعيمها ونجونا من النار وجحيمها وهذه
قصة الاخوين الذين ذكرهما الله تعالى في سورة الكهف بقوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين
ويقال ان قوله تعالى افما نحن بميتين قول من قبل الجنة على جهة التوبيخ لقرينه بما كان ينكره لان
قرينه الكافر كان يزعم ان لا موتة الا واحدة وكان المومن يقول موتتان وحياتان وكلم المومن
في توبيخ اهل النار سرور له ومن قرا هل انتم مطلعون بكسر النون والمعنى مطلعوني وحذفت
الياء كما تحذف في رءوس الاي وتركت الكسرة دليلا عليها ومن قرا هذا قرا فاطلع مضمومة الهمزة
حقيقة الطاء على وزن اكرم الا ان هذه قراءة شاذة ضعيفة لان الاسم اذا اضيف حذف منه

النون كقولك مطلعي وانشد الفرا على السدود وما ادري وظني كل ظن امسلمني الى قومي
شراحيل واما تطلعون في الفعل فهو على حذف احدى النونين **قوله عز وجل**
لمثل هذا فليعمل العاملون اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه روس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالؤن منها
البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم الفوا اباهم ضالين فهم
على اثارهم يهرعون او هذه الايات ترغيب من الله تعالى في العمل الصالح يقول لمثل هذا
النعيم المقيم والثواب الجسيم والملك العظيم فليعمل العاملون في الدنيا وقوله تعالى
اذلك خير نزلا معناه اذلك الفوز الذي سبق ذكره لاهل الجنة خير فيما يهيا لهم من الانزال
ام شجرة الزقوم لاهل النار ونظير هذا من كلام الناس ان يقول الرجل لعبده اوولده
ان فعلت كذا اعطيتك كذا واثبتك كذا وكذا وان لم تفعل ما امرتك بعضربتك وحبستك
هذا خير ام هذا فيطلق هذا الكلام وان لم يكن في الضرب والحبس خير واما شجرة الزقوم
في الدنيا فهي شجرة مرة تكون بتهامة ولا يوصف المكول بالزقوم الا على الذم وذلك معروف
في كلامهم يقولون تزقم هذا الطعام اي تناوله على تكره ومشقة شديدة وقوله تعالى انا
جعلناها فتنة للظالمين **روي** في سبب نزوله انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
كانوا يقولون لا ندري ما الزقوم وكانوا يتذاكرون هذا الحديث اذ جاهم عبد الله
بن الزبعري السهمي فذكروه له فقال اكثر الله تعالى في بيوتكم منها ان اهل اليمن يدعون
التمر والزبد الزقوم فقال ابو جهل لجاريته زقمينا يا جارية فاتته بزبد وتمر فقال تزقموا
فان هذا الذي يخوفكم محمد به فشاع في اهل مكة ان محمدا يخوف اصحابه بالزبد والتمر فانزل
الله تعالى قوله انا جعلناها فتنة للظالمين اي عذابا للكافرين والفتنة هو العذاب كما قال
يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وانه سبحانه قوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم ويجوز ان يكون معنى الفتنة في هذه الاية المحنة والبلية كما **روي** انهم
قالوا كيف تبقى الشجرة في النار والنار تاكل الشجر فبين الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
اي تنبت في قعر الجحيم قال قتادة رضي الله عنه بالنار غذيت ومنها خلقت وقال الحسن
رضي الله عنه انها تنمو بلهب النار كما ينمو الشجر بالما كلما ازدادت النار التهابا ازدادت تلك الشجرة
نموا وارتفاعا وان اهل النار ياكلون النار ويشربون النار ويلبسون النار ويتقلبون
في النار وان اهون اهل النار عذابا لرجل يكون له نعلان يغلي منهما دماغه فينادي
يارب هل تعذب احدا بعذابي واما قوله تعالى طلعها كانه روس الشياطين فقد اختلفوا
في معناه فقال بعضهم اريد بروس الشياطين الاشجار التي تكون في البادية لها ثمرة كريهة
مرة هايلة المنظر يقال لها روس الشياطين وقال بعضهم اريد به روس حيات خفيفات
الروس يكون في طريق اليمن يسمي العرب تلك الحيات روس الشياطين لقبحها وقال بعضهم اريد
به الشياطين المعروفة وقد اعتقد الناس قبحهم وقبح روسهم وان لم يشاهدوهم ولذلك يشبهون
الشي القبيح بالشيطان يقول الرجل رايت فلانا كانه شيطان وراس فلان راس شيطان وقوله
تعالى فانهم لاكلون منها معناه ان الله تعالى يلقي على اهل النار من شدة الجوع ما يلجيهم الى اكلها
بما عليها من المرارة والخشونة فيبتلعونها على جهد حتى يختنقوا بها وتملا بطونهم منها ويكون حالهم
في الاكل منها اخرا كحالهم في الاكل منها اولا والملئ في اللغة حشو الوعا بما لا يحتمل زيادة عليه وفي
قوله تعالى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم بيان ان الله تعالى يلقي عليهم العطش بعد ذلك حتى

يشربوا

يشربوا من الما الحار الذي قد انتهى حره والشوب هو خلط الشي بما ليس منه كما لشائبه
الشيا داذا خالط والشوب قد يكون مصدرا وقد يكون اسما وفي قوله تعالى ثم ان
مرجعهم لالى الجحيم بيان انهم في وقت ما يطعمون ويسقون من الزقوم ومن الحميم
لا يعذبون بنفس النار ويدل على ذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان فمرة
يرقون الى الجحيم فيجرعونه ويصب على روسهم ومرة يردون الى النار الموقدة وهذا
دابهم ابدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس اتقوا الله ولا تموتن
الا وانتم مسلمون فلو ان قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لامرت على اهل الدنيا معيشتهم
فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره واما قوله تعالى انهم الفوا اباهم ضالين
فهو تعليل لتلك العذاب الذي يعذبون به يقول انهم وجدوا اباهم في الدنيا ضالين
عن الحق والدين فكانوا على اثارهم يمضون مسرعين كانهم يزعجون من الاسراع الى اتباع
ابايهم يقال اهرع واهرع اذا استحث واسرع ويقال اولع فلان بكذا واهرع بدوا اعد
عمد اوانا او لعه طبعه ورهاه جهله ولم يعده غضبه فذكر هذه الافعال على لفظ المفعول
بهم وان كانوا هم الفاعلين **قوله عز وجل** ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين معناه ولقد
ضل قبلهم اكثر الامم الماضية كما ضل قومك ولقد ارسلنا فيهم رسلا مخوفين كما ارسلناك
الى قومك فانظر كيف كان خاتمة امر المكذبين للرسل قبلك وكيف اهلكهم الله تعالى الا عباد
الله المخلصين فانهم لم يكذبوا ولم يهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال **قوله عز وجل**
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم
الباقين وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين معناه ولقد دعانا نوح على قومه بالاهلاك وذلك حين ياس
من ايمانهم واذن له في الدعا فقال رب اني مغلوب فانتصر وقال رب لا تذر على الارض من الكفرين
ديارا وقوله تعالى فلنعم المجيبون اي لنعم المجيبون نحن اذا اجبنا دعاه ونجيناه ومن امن
به من اذى الكفار ونجينا من الغرق الذي هو عذاب وجعلنا ذرية نوح هم الباقين وذلك
ان من كان معه من المومنين في السفينة انقرضوا من غير عقب وكان النسل لنوح عليه السلام
كان له ثلثة ابنا سام وحام ويافث فاما سام فهو ابو العرب ومن في جزايرهم وغيرهم من العجم
واما حام فهو ابو الحبش والسند والهند والبربر واما يافث فهو ابو ساير الناس وقوله تعالى
وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا على نوح الذكر الجميل في الباقين بعده وذلك الذكر قوله سلام
على نوح اي يصلى عليه الى يوم القيمة وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا
نوحا وانعمنا عليه فكذلك نجزي المحسنين في القول والفعل وقوله تعالى انه من عبادنا
المومنين تعليل للجزا الحسن وقوله تعالى ثم اغرقنا الاخرين ظاهر المراد **قوله عز وجل**
وان من شيعته لابرهيم اذ جا ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ايفكا الهة
دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه
مدبرين فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فاقبلوا
اليه يزفون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين معناه وان من متبعيه والمتمسكين بدينه لابرهيم اذ اقبل
الى طاعة ربه بقلب سليم من الكفر والمعاصي ومن كل عيب ويقال انما سمي سليما لما كان فيه من

خشية الله تعالى كما يسمى اللديغ سليما والشيعة هي الجماعة التابعة لرئيسهم وقد غلب هذا
الاسم على شيعة امير المومنين علي رضي الله عنه وقوله تعالى اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
انكار منه عليهم كالرجل يشاهد غيره على شنيع من الامر فيقول ما هذا الذي تفعل وقوله
تعالى ائفكا الهة معناه اتتخذون الهة تريدون عبادتها على وجه الكذب فما ظنكم برب
العالمين ماذا يفعل بكم اذا عبدتم غيره وقوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
قال بعضهم انما نظر اليها نظر تدبر واعتبار وليستدل بها على وقت حمى كانت تاتيه فلما عرف
بذلك وقت حماه قال اني سقيم اي جا وقت سقمي ومرضي وقيل انه اوهمهم بهذا القول ان به
طاعونا فتركوه فرارا من عدوى الطاعون وكان يريد بهذا القول في نفسه اني سقيم
القلب بما ارى من احوالكم القبيحة في عبادة غير الله تعالى ويجوز ان يكون اراد بهذا
القول في نفسه اني سقيم بما في عنقي من الموت اي اني ساسقم كما يقول القايل اني خارج غدا
ونظير هذا قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال بعضهم انه نظر في مقاييس النجوم
وحسابهم ليوهمهم انه ينظر فيما ينظرون وكان القوم يتعاطون بالنجوم ويصدقونها
فنظر هو فيها لا ليعرف بها امرا سيكون في المستقبل كصنع المنجمين قالوا ولو كان المراد
بالاية نظره الى الكواكب لقال سبحانه فنظر نظرة الى النجوم وذهب بعض الناس الى ان ابرهيم
عليه السلام كذب ثلث كذبات كلها في ذات الله تعالى احدها قوله اني سقيم ولم يكن كذلك
وكان غرضه ان لا يوافقهم في الخروج الى عيدهم لما كانوا يظهرون فيه من باطلهم والثانية
قوله بل فعله كبيرهم هذا ولم يكسر الاصنام كبيرهم وكان غرضه من ذلك التنبيه على جهل القوم
ومعاندتهم والثالث قوله للكافر في سارة التي كانت زوجة له انها اختي وكان غرضه
بذلك ان يدفع شره وجوز هذا القايل الكذب في المكيدة في الحرب والتقية ومسرة الاهل عادلا
نصرا لانه ذهب على هذا القايل ما يلزمه من ان الكذب قبيح بعينه لا يجوز على الانبيا صلوات الله
عليهم لانه يشكك في اخبارهم ويضع من اقدارهم حاشاهم من ذلك فان درجة النبوة
اعلى من درجة الشهادة ومن عرف بالكذب في شي عمدا سقطت عدالته ولم تقبل شهادته
فكيف يصلح لتبليغ الوحي والرسالة وتبيين الشرايع من لا يصلح للشهادة واما قوله تعالى
فراغ الى الهتهم معناه انهم لما ادبروا عنه مال الى اصنامهم التي كانوا يعتقدون انها الهة فقال
على وجه التبكيت والتقريع الا تاكلون ما يحمل لكم من الاطعمة وكان القوم اذا خرجوا الى عيدهم
اتخذوا الوان الاطعمة فوضعوها بين ايدي اصنامهم ثم يرجع السدنة فيصيبونها ثم يقول
لعبدة الاوثان ان الالهة التي اصابت منه سخرية منهم للجهال وانما قال ابرهيم عليه السلام
الا تاكلون لانهم كانوا جعلوا لها افواها كافواه الناس فلما لم يكن عندهم اكل ولا جواب قال ما
لكم لا تنطقون ان كنتم الهة فراغ عليهم ضربا باليمين اي مال عليهم بالضرب بيده اليمين
او بالقوة ويقال بيمينه التي كان حلف وتالله لاكيدن اصنامكم فجعل يضربهم بالفاس حتى
جعلهم جذاذا ثم جعل الفاس على عاتق كبير الاصنام والروغان في اللغة هو الميل على وجه
الاضطراب من غير ان يجري على نهج واحد ومنه روغان الثعلب وقوله تعالى فاقبلوا اليه
يزفون معناه اقبل المشركون اليه بعد رجوعهم من عيدهم يسرعون في المشي كانهم اخبروا
بصنيعه فقصدوه والزفيف هو المشي السريع ومن ذلك زفيف النعام وهو خببه الذي يكون
بين المشي والعدو ومنه ازف الرحيل اذا دنا ومنه الازفة وهي القيمة لسرعة مجيئها ومن قرا يزفون
بضم اليا فالمعنى يصيرون الى الزفيف وقوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون معناه

قال لهم ابرهيم عليه السلام بعدما عابوه على كسر الاصنام كيف تعبدون شيا تنحتونه بايديكم
من الحجر والخشب مواتا لا ينطق ولا يسمع ولا يعقل ولا يبصر ولا ينصر ولا ينتصر والله تعالى خلقكم
وما تنحتون بايديكم اي خلقكم ومعمولكم وهو نحوتهم التي ينحتونها وعلى هذا يكون معنى ما في
قوله وما تعملون معنى الذي ويعملون من صلته ومحله نصب وذهب بعضهم الى ان ما مع الفعل
بتاويل المصدر والمعنى خلقكم وعملكم يعني اهل السنة لانهم يعتقدون انه خلقهم وعملهم والقدرية
تنكر خلق الافعال وذكر المقدسي في معنى هذه الاية ان من حجة الاخرين انه لا يجوز ان يكون شي
من غير خلق ولا خلق الا بخالق ولا خالق الا الباري عز وجل ومن حجة الاولين ان ابرهيم عليه السلام
كان يعيرهم بصنيعهم وينكر عليهم افعالهم بقوله اتعبدون ما تنحتون فلو اراد تعريفهم بقوله
والله خلقكم وما تعملون انهم وافعالهم مخلوقون لله تعالى لكان مناقضا عاذرا لهم باخر
كلامه ما عابهم في اوله ومعلوم انهم كانوا لا يعبدون افعالهم وانما يعبدون الاجسام فعلم
ان المراد يعملون معمولهم قال وهذه المسالة من امهات المسايل التي من اعتقد فيها غير انه اذا صح
ان الخلق على وجهين ايجاد معدوم وتقدير موجود خفي على من نظر بعين الانصاف ورفض
العصبية وفارق الف العادة فيما نشا عليه ان يبطل كلا وبلا يحمد اللسان ويسكن اليه الخصوم
بافعال العباد خلق الله تعالى من جهة التقدير حيث قدر المعصية معصية والطاعة طاعة وبين حد كل واحد
منهما في الهاء ببين المقدار والحسن والقبيح والثواب والعقاب وليس بخالق لها من جهة انه لم يكتسبه ولا تولاه
ولا اوجده قال ولو لم تكن هذه الاية موضعا لهذا الكلام في معاني القران الا انه كان لا يسع اغفال
هذا الحرف لعظم الضرر على من جهله وبالله التوفيق واما قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فمعناه
قال المشركون لما لزمتهم الحجة ولم يستطيعوا الالزام دفعا ولا وجدوا له معارضة فزعوا الى قول
السفها فقالوا ابنوا له بنيانا اي حظيرة يجمعون فيها الحطب ثم يرسلون في الحطب النار حتى يصير
جحيما ثم يرمونه فيها بالمنجنيق فيستريحون منه والجحيم في كلام العرب هي النار العظيمة المتراكبة بعضها
فوق بعض وقوله تعالى فارادوا به كيدا قال الحسن رضي الله عنه جمعوا له الحطب زمانا حتى ان
الشيخ الكبير الذي لم يخرج من بيته قبل ذلك كان ياتي بالحطب فيلقيه في ذلك الموضع يتقرب به
بزعمه الى الهتهم ثم اججوها والقوه في النار من بعيد فنجاه الله تعالى منها وجعل النار بردا وسلاما
عليه حتى لم تؤذه بشي ولا احرقت شيا من ثيابه وذلك لاخلاصه وقوة دينه وصدق توكله وثقته
كما روي في الحديث انه عليه السلام لما انفصل من المنجنيق اتاه جبريل عليه السلام في الهوا فقال هل من
حاجة فقال اما اليك فلا وهذا معنى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه واما قوله تعالى فجعلناهم الاسفلين يجوز ان يكون معناه انه تعالى
جعلهم الاخسرين في الدنيا والاخرة بان رد كيدهم في نحرهم وانجا خليله عليه السلام على ابدع الوجوه
واعجبها وجعلهم في الاخرة في نار اعظم واسفل مما القوه فيها ويجوز ان يكون المراد اهلكهم وانجا
ابرهيم عليه السلام في الدنيا الى ان يصير امرهم الى الاخرة قوله عز وجل وقال اني ذاهب الى
ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى
في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما
اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم معناه قال ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى مرضاة ربي سيهدين
لما فيه رشدي وصلاحي واراد هنا الذهاب الى المكان الذي امره الله تعالى بالذهاب اليه قيل الى الارض
المقدسة وقيل الى ارض الشام وقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم قال الحسن اخبر الله تعالى بعلم فبانه

يكون حليما في كبره وقال هو اسحق عليه السلام وقال الكلبي هو اسمعيل عليه السلام وكان اكبر من اسحق بثلث عشرة سنة وقوله تعالى فلما بلغ معه السعي في امر الابوين في الوقت الذي ينتفع الوالد بولده فيه قال له ابرهيم عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى من قرا بفتح التا والرا فهو من الراي ومن قرا بضم التا وكسر الرا مع الاشباع فالمعنى ماذا تبين من صبرك او جزعك وانما قال ابرهيم هذا القول مع كونه مامورا بذبحه لانه احب ان يعلم صبره على امر الله تعالى وعزيمته على طاعته فقال له الابن يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به من الذبح ستجدني ان شا الله من الصابرين على ذلك وفي الاية ما يدل على ان ابرهيم عليه السلام كان نذر ان رزقه الله تعالى ولدا ذكرا ان يجعله ذبيحا لله تعالى فامر بالوفا به في منامه فان قيل لو كان مامورا به من جهة الله تعالى لاضاف ذلك الى الامر وقال اني امرت بذبحك او امرت بذبحك قلنا انما اضاف ذلك الى الرؤيا ولم يضفه الى الامر على وجه التلطف كيلا يستوي في قلب الغلام كراهة من امر الله تعالى فيصبر ذلك بدينه وقيل ان رؤيا الانبيا عليهم السلام احدى طريقي الوحي فاذا ارى في المنام شيا فقد امر به ولذلك فهمه الغلام واما قوله تعالى فلما اسلما فمعناه لما استسلما وانقادا لامر الله تعالى وصرعه على احد جانبي الجبهة كما يفعل بالكبش حين يذبح نادته الملئكة بامر الله تعالى ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا اي وفيت بما امرت به في المنام دع ابنك وخذ الكبش الذي ينحدر عليك من الجبل المشرف على مسجد منى هذا قال بعض اهل التفسير وذهبوا الى ان الواو في قوله تعالى وناديناه زايدة والندا جواب لاستسلامهما لامر الله تعالى وذهب بعضهم الى ان الجواب محذوف من الاية والمعنى فلما اسلما وتله للجبين شكرنا استسلامهما او سعدا بسعي ابرهيم عليه السلام وصبر الابن واستحقا بذلك جميل الثنا من الله تعالى وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فان قيل لم جاز النسخ قبل فعل المامور به قلنا فيه ثلثة اقوال الاول انه امر ان يجلس منه مجلس الذابح وينتظر الامر بامضا الذبح على ما راى في منامه ففعل والثاني انه امر بالذبح على شرط التخلية والتمكين ففعل ما امكنه الا انه كلما اعتمد بالشفرة تنقلب وجعل على حلقه صفيحة من نحاس لا تعمل السكين فيها والثالث انه ذبح الا ان الله تعالى وصل اوداجه قبل خروج الروح وكان كما يقطع يلتحم موضع القطع من غير الم يلحق الغلام ولا ضرر يصيبه فان قيل اذا كان ابرهيم عليه السلام مامورا بشي فقد اتى به فاي حاجة الى الفدا قلنا كانت الفدية لبقا حيوة الغلام وذلك ان المقصود من الذبح الا فيه هو الحيوة وازهاق الروح ولم يحصل هذا المعنى من هذا الذبح فاحتيج الى الفدا وذكر المقدسي في هذه الاية الى ان من يخبرهم على الله تعالى ان يامر بخلاف ما يريد فلا حجة في هذه الاية قال ويقول بعض القوم ان ابرهيم عليه السلام لم ير في المنام اكثر مما صنع ولو كان راى غيره ثم لم ياتمر لما صدق الرؤيا وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين معناه هكذا نجزي كل محسن ممن سلك طريقهما في الانقياد لامر الله تعالى وجميل الصبر على ابتلايه وقوله تعالى ان هذا لهو البلا المبين معناه ان هذا لهو الاختبار البين فيما يوجب النعم والنقم واي اختبار اعظم من ان يومر الشيخ الكبير بذبح الولد العزيز بيده وفي الحديث ان ابرهيم عليه السلام لما قصد ذبح هذا الولد قال له الولد يا ابت شد يدي ورجلي واصرف وجهي الى الارض قالوا وانما امره بشد يديه ورجليه مخافة ان يلحقه جزع عند الذبح فيضطرب بيديه ورجليه فيتاذى به ابوه وانما امره بصرف وجهه الى الارض لئلا ينظر في وجهه حال الذبح فتتحرك له شفقة الولاد ويتحرق قلبه عليه فلعله يتانى في ذلك الامر وقوله عز وجل وفديناه بذبح عظيم معناه اقمنا الذبح مقامه وجعلناه بدلا عنه والذبح بفتح الذال المصدر والذبح بالكسر المهيا لان يذبح واختلفوا في الذبح قال بعضهم هو الكبش الذي تقبل من

هابيل بن ادم عليه السلام فاحياه الله تعالى لابرهيم عليه السلام وقال بعضهم كان يرعى في الجنة اربعين خريفا وتعالى كان وعلا من الاوعال الجبلية واجمعوا انه لم يكن من ماشية ابرهيم عليه السلام ولا غيره من الادميين في زمانهم وسمي عظيما اما لعظمه في نفسه من حيث تصغير مقدار غيره في مقابلته واما لكونه متقبلا وكل ما تقبل فهو عظيم وثوابه مضاعف قوله عز وجل وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ٥ معناه وتركنا على ابرهيم في العالمين ان يقال سلام على ابرهيم ويصلى عليه الى يوم القيمة ويجوز ان يكون معنى تركنا بقينا عليه في الامم الباقين ثنا حسنا ويكون قوله تعالى سلام على ابرهيم ابتدا تسليم من الله تعالى على ابرهيم وفي قوله تعالى كذلك نجزي المحسنين بيان ان ذلك الجزا لم يكن مقصورا عليه بل هو حكم الله تعالى في كل محسن فان قيل لم قيل في النبي صلى الله عليه وسلم انه من عبادنا المؤمنين وهو من افضل المؤمنين قيل للترغيب في الايمان وتفخيم شانه كما يقال هو من الكرام قوله عز وجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين قال الحسن هذه بشارة النبوة والبشارة الاولى بشارة الابوة يعني الولادة وكان يذهب الى ان الذبيح هو اسحق عليه السلام وقد روي عنه ايضا بخلاف ذلك واختلفت الصحابة في هذا قال علي وعبد الله بن مسعود وكعب الاحبار انه اسحق عليه السلام وعلى هذا اهل الكتاب وقال عبد الله بن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي هو اسمعيل عليه السلام واستدلوا على ذلك بظاهر قوله تعالى بعد قصة الذبح بابيات وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وهذا يدل على ان البشارة باسحق عليه السلام كانت متاخرة عن قصة ذبح اسمعيل واستدلوا ايضا بقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب قالوا وكيف يبشر الله تعالى بذريته اسحق ثم يامر بذبح اسحق ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين يريد اباه الادنى عبد الله بن عبد المطلب وجده اسمعيل ومما اجاب الاولون عن قوله تعالى ومن ورا اسحق يعقوب انه ليس في تلك الاية ان يعقوب عليه السلام يكون من ولد اسحق ويجوز ان حال الذبح كانت بعد مولد يعقوب عليه السلام ويجيبون عن الخبر بان العرب تجعل العم ابا والخال اما كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وقوله تعالى قالوا نعبد الهك واله ابايك وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق معناه باركنا على ابرهيم وعلى اسحق ويقال على اسمعيل وعلى اسحق والبركة ثبوت الخير النامي على مرور الاوقات والمحسن هو المؤمن والظالم المبين هو الكافر قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين واتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين معناه ولقد انعمنا على موسى وهرون بالنبوة والرسالة وغير ذلك من انواع النعم والمن قطع كل اذية بالنعم وقوله واجر غير ممنون اي غير مقطوع والمنية الموت لانه قاطع من تصرف الحي وقوله تعالى ونجيناهما اي خلصناهما وقومهما من الحزن الفظيع وذلك ما ابتلي به بنو اسرايل من شر فرعون وقومه من ذبح الابنا واستخدام النسا وتسخير الرجال في الامور الشاقة وقوله تعالى ونصرناهم اي اعنا بني اسرايل على فرعون وقومه حتى صاروا هم الغالبين بعدما كانوا مغلوبين مقهورين وقوله واتيناهما اي اعطيناهما الكتاب المستبين هو المستدعي الى نفسه لما فيه من البيان الشافي والصراط المستقيم هو دين الاسلام قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب ابايكم الاولين

فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على آل
ياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين واختلفوا في الياس عليه السلام الذي
هو مذكور في هذه الايات روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال هو ادريس
عليه السلام وكان يقرأ وان ادريس لمن المرسلين وكان يقرأ سلام على ادراسين وكان يذهب
الى ان ادراسين هو ادريس كما قال من طور سينا وطور سينين وقال ابن اسحق الياس هو
يوشع بن نون بعثه الله الى اهل بلده فكذبوه فاهلكهم الله تعالى ويقال ان الياس والخضر
عليهما السلام في الاحيا فالياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر يجتمعان في كل سنة
بعرفات وقوله تعالى الا تتقون معناه قال لهم الا تتقون عذاب الله تعالى بعبادة غير الله
بالالهية صنما وتتركون عبادة احسن الخالقين وكان قوم يعبدون صنما لهم من ذهب
يقال له بعل والبعل في اللغة رب الشيء وسيده ومنه قيل لزوج المراة بعل ويقال لمن يعلو هذه
الدابة اي ربها وقوله تعالى الله ربكم معناه هو خالقكم وخالق آبائكم ومن قرأ الله ربكم
بالنصب فهو على صفة احسن الخالقين وقوله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون معناه محضرون
في النار وفي العذاب بتكذيبهم لكن عباد الله المخلصون مبعدون عن الموضع الذي يجازى فيه
الكفار وقوله تعالى سلام على الياسين من قرأه غير موصول كما كتب فيجوز ان يكون ياس
عبارة عن الياس لانه هو الذي تقدم ذكره وكانه قال سلام على قومه واهل دينه ويجوز ان يكون
معناه سلام على اهل كلام الله تعالى وآل محمد صلى الله عليه وسلم فان ياسين من كلام الله تعالى
في القرآن وفي هذا بيان ان الياس عليه السلام كان من اهل كلام الله تعالى ومن قرأ الياسين
موصولا ففيه وجهان احدهما ان الياسين هو اسم الياس ومن عادة العرب الحاق الياء والنون ببعض
اسماء العجم كما يقولون ميكال وميكائيل وميكائين وكذلك اسمعيل واسماعين قال الشاعر
يقول اهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا يريد اسرائيل والثاني ان الياسين جمع
اريد به هو وامته المؤمنون كما يقال رأيت المهلبين والمسمعين يريد به بني المهلب وبني المسمع
وجاء في الاشعرون اي جاء في الاشعريون قوله عز وجل وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه
واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل افلا تعقلون معناه وان لوطا لمن جملة المرسلين اذ نجيناه وابنتيه وقومه من العذاب
الا امراته المنافقة تخلفت في موضع العذاب في جملة الباقين وقوله تعالى ثم دمرنا الآخرين اي اهلكناهم
بعذاب الاستيصال وقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين خطاب لمشركي العرب كانوا
يمرون على قريات لوط عليه السلام في طريقهم الى الشام ليلا ونهارا يشاهدون ديارهم وآثارهم
ومن كثر مروره بموضع العبرة فلم يعتبر كان اللوم عليه اكثر ممن قل ذلك منه والعقل علم يستدل به بالشاهد
على الغائب وانما قيل هو الذي يعقل نفسه بعلمه عن اتباع الهوى والناس يتفاضلون في العقل كما
يتفاضلون في القوة والخلقة فان الله تعالى يعطي من ذلك كلا منهم مقدار ما فيه مصلحته قوله
عز وجل وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين
فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه
بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فآمنوا فمتعناهم
الى حين معناه وان يونس لمن جملة المرسلين الى قومه اذ هرب منهم الى السفينة المملوءة بالناس والاحمال
والدواب وانما هرب منهم لانه كان اوعدهم نزول العذاب بهم ان لم يؤمنوا فلم يؤمنوا وعلم نزول العذاب
بهم فخرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى بالخروج فكان ذلك ذنبا منه كان يلوم نفسه بعد ذلك

وكان

وكان قصده حين خرج من بينهم المبالغة في تحذيرهم وانذارهم وقوله تعالى فساهم
فكان من المدحضين وذلك انه لما ركب السفينة وقفت السفينة فلم تسر باهلها وجاء سمك يطوف
حول السفينة ويتعرض لهم كانه يطلب واحدا منهم فاشرفوا على الغرق فقال يونس عليه السلام
لاهل السفينة انا المطلوب من بينكم فقالوا انت اكرم على الله من ان يبتليك بمثل هذه البلية فقال
فينا مذنب مطلوب فاقترعوا فيما بيننا على شرط ان من خرجت القرعة على اسمه القى نفسه الى الحوت وكان
يعلم ان القرعة تخرج عليه ولكن لم يبتدئ بالقاء نفسه الى الحوت مخافة ان يلحقه سمة الجنون فساهم
اي القى ما كان من السهام على جهة القرعة فوقع السهم عليه فكان من المسهومين والمدحض في
اللغة هو المغلوب في الحجة واصله من دحض الرجل اذا زلق عن مكانه وقيل انما ساهموا ليلقوا الى
الحوت واحدا منهم ليتشاغل به عن السفينة فلما القي عليه السلام في البحر ابتلعه الحوت ابتلاع اللقمة
وقوله تعالى وهو مليم معناه انه اتى بما يستحق اللوم عليه والمليم الآتي بما يلام على مثله وان
كان قد وقع مكفرا عن صاحبه يقال في المثل رب لايم مليم ورب ملوم لا ذنب له وقد تقدم
ان سبب استحقاقه اللوم خروجه من بين قومه قبل ورود الامر عليه من الله تعالى وكان ذلك
لما لحقه من الضجر والجزع على تكذيب قومه كما قال سبحانه ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى
وهو مكظوم وقد حذر الله نبينا صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك بقوله تعالى فلعلك باخع
نفسك على آثارهم وقوله تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء وغير
ذلك من الآي وذهب بعض الجهال في هذه الاية الى ان يونس عليه السلام كان ابق من الله تعالى وهذا
ليس من اوصاف الانبيا صلوات الله عليهم لانهم يعلمون ان الله تعالى لا يسبقه سابق ولا يفوته هارب
وان تعالى ذاته في البر والبحر واحد واما قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين فمعناه
لولا انه كان من المصلين لله قبل ذلك للبث في بطن السمك الى يوم البعث والنشور وجعل بطن السمك
له قبرا يبعث منه كما يكون بطن الارض قبرا للناس قال الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا قبل ذلك ويقال ان المراد بالتسبيح في هذه الاية قوله في بطن الحوت
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو كقول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وكقول
موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقوله تعالى فنبذناه بالعراء معناه نجيناه من البلايا بان
الهمنا السمك ان يطرحه على فضاء من الارض ويسمى المكان الخالي عن الخارج والحائل العراء
لانه لا شجر فيه ولا شي يغطيه وقوله تعالى وهو سقيم اي مريض وذلك لما اصابه في بطن الحوت
من الشدة والضغطة والبعد من الهواء والغذاء حتى ضعف جسمه ورق جلده ولم ينبت له ظفر
ولا شعر كالمولود لما يخرج من بطن امه وكان مكث في بطن الحوت اربعين ليلة وقال الحسن
كان فيه ما شاء الله تعالى ولم يذكر مدته فلما القي على وجه الارض كان يتاذى بحر الشمس فانبت
الله تعالى عليه شجرة من يقطين وسئل الحسن عن اليقطين فقال لا ادري ما هو وما سمعت
فيه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فان ناسا يزعمون انها الدبا وقال الكلبي هو
القرع وكل شجرة لا تنبت على ساق وتنبسط على وجه الارض مثل القرع والبطيخ ونحوهما فهو يقطين
واشتقاقه من قطن بالمكان اذا اقام به فهذا الشجر ساقه وورقه يكون على وجه الارض فلذلك
قيل يقطين وقيل سمي يقطينا لان اقامته اقامة زايل لا اقامة راسخ كالنخل والزيتون ونحو ذلك
وقال بعضهم سميته شجرا بتبع كونه فرعا لان الشجر ما له ساق ولا يمتنع ان الله تعالى انبت عليه شجرة
كانت تظله الا انه كان ثمرة القرع وقوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قال الحسن
معناه بل يزيدون وهكذا قال الفراء وقال الكلبي معناه ويزيدون وفي قراءة جعفر بن

محمد الى مائة الف او يزيدون وقال الاخفش او يزيدون عندكم وفي تقديركم انها المخاطبون وكان الذين ارسل اليهم اهل نينوى كانه ارسل قبل ما التقمه الحوت الى قوم وبعدما نبذه الحوت الى قوم اخرين وقوله تعالى فمتعناهم الى حين معناه عمرناهم الى منتهى اجالهم

قوله عز وجل فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملئكة اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين معناه يا محمد سل اهل مكة سوال توبيخ وتقريع الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملئكة وهم حاضرون لخلقهم حتى علموا انهم اناث وذلك ان حيا من خزاعة كانت يزعمون ان الملئكة بنات الله تعالى الله عما افتروا وفي قوله تعالى اصطفى البنات بالف الوصل المعروفة بفتح الالف والمعنى سلهم اصطفى البنات على البنين الا انه حذف الالف الوصل ومن قرا اصطفى بكسر الالف فهو على معنى ليقولون ولد الله واصطفى البنات وقوله تعالى ما لكم كيف تحكمون اي بئس ما تحكمون لكم كيف ترضون لله ما لا ترضون لانفسكم افلا تتعظون فتمتنعون عن مقالتكم ام لكم حجة بينة على صحة دعواكم هذه فاتوا بكتابكم وحجتكم ان كنتم صادقين فيما تدعون وتزعمون

قوله عز وجل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين معناه جعل هولا بين الله وبين الملئكة الذين لا يشاهدونهم نسبا وسميت الملئكة جنة في هذا الموضع لاستتارهم عن اعين الناس كاستتار الجن وقوله تعالى ولقد علمت الجنة معناه ولقد علمت الملئكة ان الكفار الذين عبدوهم لمحضرون في العذاب لدعائهم الى هذا القول وقوله تعالى سبحان الله اي تنزيه لله تعالى عما يصفونه ويضيفونه اليه لكن عباد الله المخلصين من الجن والانس لا يحضرون هذا العذاب وذهب بعضهم الى ان هذا الحي من خزاعة وهم قوم من بني مليح كانوا يقولون ان الله تعالى صاهر الجن فولدت الملئكة بنات وقال الحسن في هذه الاية اشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى فهو النسب الذي جعلوه

قوله عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم معناه انكم ايها المشركون وما تعبدون من دون الله ما انتم على ذلك بمضلين احدا الا من كان في علم الله انه ممن يصلى الجحيم وفي هذا بيان انهم لا يفسدون احدا الا من في معلوم الله تعالى انه سيبلغ

قوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون هذا من قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من الملئكة ملك في السموات والارض الا له موضع معلوم يعبد الله تعالى فيه ولا يتجاوز ما امر به ورتب له وانا لنحن الصافون في الصلوة كصفوف المومنين ويقال صافون حول العرش ينتظرون الامر والنهي من الله تعالى وانا لنحن المنزهون لله تعالى عن جميع ما لا يليق به وبصفاته وفي هذا تعجب من اتخاذ القوم الملئكة الهة مع اجتهاد الملئكة في عبادة الله تعالى

قوله عز وجل وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون معناه وقد كان اهل مكة يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الاولين لاخلصنا العبادة لله تعالى فلما جاءهم الرسول والكتاب كما قالوا وطلبوا كفروا بذلك فسوف يعلمون ماذا ينزل بهم

قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وابصرهم فسوف يبصرون معناه ولقد

تقدم

تقدم وعدنا بالنصر والظفر لعبادنا المرسلين فانه تعالى لم يفرض على نبي الجهاد الا ونصره وجعل العاقبة له قال الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيه قط وقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون معناه ان حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في الدنيا وينتقم الله من اعدائهم في الاخرة وقوله تعالى فتول عنهم معناه اعرض عنهم حتى تنقضي المدة التي امهلوا فيها وابصرهم في عذاب الاخرة فسوف يبصرون العذاب يا عنهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم متى ينزل بنا العذاب الذي تعدنا فانزل الله تعالى قوله افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين معناه ايطلبون تعجيل عذابنا بجهلهم فاذا نزل العذاب بفناء دارهم وموضع منازلهم فبئس صباح قوم انذرهم الرسل فلم يومنوا والعذاب في اللغة استمرار الالم ومنه العذب لاستمراره في الحلق والاستعجال طلب الشي قبل وقته وقوله تعالى وابصر فسوف يبصرون ليس بتكرار لانهما عذابان اريد بالاول عذاب الاخرة وبالثاني عذاب الدنيا يوم بدر وقوله تعالى سبحان ربك معناه تنزيه لربك رب المنعة والقدرة عما يقولون من الكذب بان الاوثان الهة وان الملئكة بنات الله تعالى وانما وصف سبحانه برب العزة لانه القادر الذي لا يعجزه شي ويقال هي العزة التي يعز الله بها انبياءه والمومنين وقوله تعالى وسلام على المرسلين ابتدا تسليم من الله تعالى عليهم بتبليغهم الرسالة وقوله تعالى والحمد لله الشكر لله رب الخلائق القادر على اهلاك الاعدا واعزاز الاوليا وعن علي رضي الله عنه انه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة والصافات اعطي عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وشهد له حافظاه انه مومن وبالله التوفيق

سورة ص مكية

وهي ثمانون وست ايات عند الاكثرين وثمان عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم ص والقران ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اختلفوا في قوله تعالى ص قال مجاهد هو من فواتح السور وعن ابن عباس انه قال هو قسم اقسم الله سبحانه به وقال قتادة هو من اسما القران وقال السدي هو من حروف الهجا لا يدخل الاعراب وقال الضحاك رضي الله عنه معناه صدق الله تعالى وقال الكلبي معناه اعرض عن الهدى كانه ذهب الى انه كان في الاصل صد اي صد ابو جهل وصد اهل مكة عن الحق فابدلت احدى الدالين الفا وقيل اصله من صاد يصيد اي صاد صيدا معرضا عن قول الحق ومن قرا صاد بكسر الصاد فهو من المصاداة التي هي المقابلة والمعارضة اي عارض عملك بالقران ومن قرا صاد بالفتح فعلى معنى اقرا صاد وقوله تعالى والقران ذي الذكر معناه ذي البيان الهادي الى الحق وفيه ذكر الاحكام التي من تمسك بها سعد ومن عدل عنها شقي ويقال ذي الشرف كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ويقال لفلان ذكر وفلان رجل مذكور وفلان غير مذكور ويقال المراد بالذكر هاهنا الوعظ كانه قال والقران المشتمل على ما يذكر ويتعظ به وجواب القسم محذوف تقديره لجا الحق وظهر الامر وحذف الجواب ابلغ في مثل هذا الموضع من الاثبات لان الاثبات يقصر المعنى على وجه واحد وقوله تعالى بل الذين كفروا معناه بل الذين

كفروا في منعة واقتدار يتمكن الله تعالى اياهم فقد تمنعوا به عليه فمنع الحق الذي اتاهم
وصاروا في شق غير شق رسولهم ويقال المراد بالعزة هاهنا الحمية والانفة كما في قوله
تعالى اخذته العزة بالاثم ويقال بل في الكلام يكون على وجهين احدهما لتدارك كلام
وقع الغلط فيه كما يقول رايت زيدا بل عمرا والثاني لتدارك شي والاخذ في كلام اخر ولا
يجوز الاول الا في كلام الادميين وقوله تعالى بل الذين كفروا هاهنا معترض في الكلام
فان جواب القسم في قوله تعالى كم اهلكنا ومعناه لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام
ويقال جواب القسم في قوله تعالى ان كل الا كذب الرسل ويقال الجواب قوله تعالى ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار وان تقدم اول الكلام وقوله تعالى كم اهلكنا كم اهلكنا هولاء الكفار
قرنا بعد قرن وكلمة كم هاهنا للتكثير وقوله تعالى فنادوا قال الكلبي فنادوا القول
وذلك انهم كانوا اذا قاتلوا عدوا فاضطروا نادوا بعضهم بعضا مناص مناص يقولون
انهم مواجهة واحده فيفعلون ذلك فنجا من نجا وهلك من هلك وهذه علامة كانت بينهم
عند الاضطرار في القتال اذا ارادوا ان يحملوا على العدو او يفروا من العدو فلما اراد الله تعالى
اهلاكهم قالوا مناص على عادتهم في قتال العدو فجاءتهم الملائكة لات حين مناص اي
ليس هذا حين نداء بنجي ونظير هذا قوله تعالى لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه
والمناص مصدر من النوص يقال ناصه ينوصه اذا فاته ويكون النوص ايضا بمعنى التاخر
اي ليس بحين تاخر قال امرؤ القيس امن ذكر ليلى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص
والبوص هو التقدم وقال الاخر سبعون الفا غادي بنواصي اشباه غيل حين لا مناص
ومن قرا ولاه بالوقف على الهاء فهو الاصل ثم يجعل الهاء تاء مثل ثمة وثمت تقول رايت زيدا
ثمت عمرا وقد تزاد التاء في الكلام كما يقال يا ابت واما النصب في حين فهو على ان لات
عملت عمل ليس المعنى وليس الوقت حين مناص ومن رفعه فقال حين وجعل حين اسم ليس
واضمر الخبر على معنى ليس حين منجا لكم هذا الذي انتم فيه ويقال ان التاء في قوله تعالى
ولات حين عوض من السين في ليس واصل ليس لاس وقد تبدل التاء بالسين كما قال الشاعر
يا قاتل الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات غير اعفاء ولا اكيات
اراد بالنات الناس وبالاكيات الاكياس وذهب ابو عبيد الى ان التاء في قوله تعالى ولات
حين مناص متصل بحين وقال الشاعر العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم
واراد بتحين حين قال وكذلك يزاد التاء في الان والاوان كما قال الشاعر
طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء والمعنى في المصحف خلاف ما قاله
ابو عبيد لان التاء في المصحف مفصولة **قوله عز وجل** وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب
وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة
الاخرة ان هذا الا اختلاق معناه وعجب المشركون ان جاءهم نبي منهم يخوفهم من عذاب
الله تعالى وقالوا هذا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ساحر كثير الكذب وقالوا لفرط جهلهم
على وجه التعجب والانكار اجعل محمد الالهة الها واحدا ما هذا الذي يقوله محمد من رد الحوائج الى اله
واحد الا شي مفرط في العجب والعجاب ما يكون في غاية العجب يقال رجل طوال وامر كبار
وسيف قطاع وسيف حداد ويراد بذلك كله المبالغة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال لما مرض ابو طالب اتاه ملأ من قريش فيهم ابو جهل يعودونه وكان ذلك في مرضه الذي

توفي فيه فشكوا اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه يشتم الهتنا ويقول كذا ويفعل كذا
فدعا ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وعاتبه على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني
ادعوكم الى كلمة تملكون بها العرب وتودي بها اليكم العجم الجزية وتشرفون بها في الدنيا
والاخرة فقال ابو جهل نعم نعطيكها وعشر كلمات معها فقال لهم قولوا لا اله الا الله فاغتاظوا
ونفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا وانطلق روساوهم فقالوا لاتباعهم امضوا
ايها القوم واصبروا على الهتكم ان هذا لشي يراد باهل الارض اي بين يدي محمد صلى الله عليه
وسلم ولا يتم له ذلك ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الاخرة يعنون لم نسمع من اليهود
والنصارى ان الاله واحد ويقال ارادوا بالملة الاخرة النسطورية من النصارى كانوا يقولون
ثالث ثلاثة ويقال ارادوا بذلك ساير المشركين في مدة الفترة وقال الحسن رضي الله عنه
معناه ما سمعناه ولا ظننا ان رجلا منا يخرج في اخر عمرنا وزماننا فيعيب الهتنا ويمنعنا من
دعايها وعبادتها وقالوا اما هذا الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم الا كذب اختلقه من تلقا
نفسه **قوله عز وجل** اانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا
عذاب ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب معناه قال المشركون ااختص
محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والكتاب من بين جماعتنا وليس هو باشرفنا وافضلنا يقول الله تعالى
بل هم في شك من ذكري اي ليس الذي يقولون ما يعتقدونه الا شاكين بل لما يذوقوا عذاب ولو
ذاقوه لم يقولوا ما قالوه ولا يزول عنهم هذا الشك حتى يذوقوا عذاب الاستيصال ثم لا ينتفعون
بزوال الشك في ذلك الوقت وفي هذا دلالة على بطلان مذهب اصحاب الصوف وقوله تعالى ام عندهم
خزاين رحمة ربك فيمنعوك ما من الله تعالى به عليك من الكرامة وفضلك به من الرسالة ام لهم ملك
السموات والارض فينازعوا خالقها وينزلوا الوحي على من يختارون وذلك انهم كانوا يحسدون
نبي الله صلى الله عليه وسلم على ما خصه به من النبوة فقال لهم فليرتقوا في الاسباب اي فليصعدوا في
طرق السموات من سما الى سما فليمنعوا الوحي عنك ان كان لهم مقدرة على ذلك ويقال فليعلموا انزل عليك
الذكر ام لم ينزل عليك اذا جحدوا ولم يصدقوا بالمعجزات وقوله تعالى جند ما هنالك مهزوم
قيل معناه جند يرام الارتقا في الاسباب الى السموات فهو عاجز مهزوم من حزب ابليس واتباعه
اذ ذلك غير ممكن في وسع المخلوقين والجند الجمع المعد للحرب وقيل في معناه جند عندما ارادوا
قتل النبي صلى الله عليه وسلم مقتول مغلوب فقتلوا يوم بدر فما هاهنا صلة للتاكيد للنكرة
ويقال رجيت لامر ما وعندي طعام ما وقد قال الله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها **قوله عز وجل** كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب معناه
كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا وعاد هودا وكذب فرعون ذو الاوتاد موسى كذب هولا
انبياهم صلوات الله عليهم فحل بهم عذاب الاستيصال وكذلك كذبت ثمود صالحا عليه السلام وقوم
لوط لوطا عليه السلام واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب كذبوا شعيبا اولئك الجماعة الكثيرة القوية
كلهم كذبوا رسلهم فحق عليهم عذابي وعقابي وكذلك يحق على قومك وسمي فرعون ذو الاوتاد
قال بعضهم كان يمد الناس بين الاوتاد ويرسل عليهم الحيات والعقارب وقال بعضهم الاوتاد
الابنية المشيدة سميت بذلك لارتفاعها كما سميت الجبال اوتادا ويقال كانت لهم ملاعب من اوتاد
يلعب له عليها ويقال المراد به الخيام الكثيرة **قوله عز وجل** وما ينظر هولاء الا صيحة واحدة

ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب معناه فما ينتظر قومك اذا كذبوك بعد الا صيحة واحدة وهي نفخة البعث لا يثني بعدها وذلك ان عقوبة قوم النبي صلى الله عليه وسلم موخرة الى يوم القيمة وعقوبة الامم الماضية كانت معجلة في الدنيا وموجلة في الاخرة الا ترى ان الله تعالى ذكر عقوبة الاستيصال في الدنيا في الامم الماضية وقال في هذه الامة بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقوله تعالى ما لها من فواق اي ما لتلك الصيحة من رجوع الى الدنيا والفواق بضم الفا وفتحها بمعنى واحد وهو الرجوع ومن ذلك قولهم افاق فلان من الجنون ومن المرض اذا رجع الى الصحة والفواق ايضا بضم الفا ما بين حلبتي الناقة لان اللبن يعود الى الضرع بين الحلبتين وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا معناه قال المشركون عجل لنا صحيفتنا قبل يوم الحساب حتى نعلم ما فيها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لهم ان من لم يومن منكم يعطى كتابه بشماله فيه جرمه وتقاويه فكانوا يقولون زعمت يا محمد انا نعطى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا والقط الصحيفة التي احصت كل شي ويقال لا تقط النصيب وتسمى الصحيفة قطا على معنى انه يكتب فيها الانسان شيا يصل اليه واشتقاق القط من قططت الشي اي قطعته وما رايت فلانا قط اي قطع الدهر الذي مضى قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته باعنه يعطي القطوط ويافق اي يعطي الجوائز ويتفضل على الناس يقال فرس افق وناقة افقة اذا كانت فاضلة وقوله تعالى اصبر على ما يقولون معناه يا محمد اصبر على ما يقولون انك ساحر وشاعر وكذاب ومجنون وانتظر وعد الله تعالى اياك في النصر عليهم والانتقام منهم واذكر عبدنا داود ذا القوة في العبادة وذا النعم الكثيرة كيف صبر هو على اذى قومه انه اواب اي مطيع لله تعالى مقبل على طاعته والاواب كثير الاوب الى الله تعالى وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه معناه ان الجبال كانت تسبح معه غدوة وعشية والاشراق طلوع الشمس واضاتها يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لم ادر ما صلوة الضحى حتى اتيت على هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق وقال بعضهم كانت الجبال تسير مع داود عليه السلام الى حيث يريد وجعل ذلك تسبيحا من حيث يدل على تنزيه الله تعالى عن صفات خلقه وعما لا يليق به وقوله تعالى والطير محشورة كل له اواب معناه وسخرنا الطير مجموعة غدوة وعشية كل لله تعالى مسبح ومطيع يرجع التسبيح مع داود عليه السلام كلما سبح وكانت الملكة تحشر الطير اليه ويقال سلط الله تعالى عليها من الطير ما تقوى على حشرها اليه وعلى ما دب من يتاخر عنه منها فانقاد له وقوله تعالى وشددنا ملكه اي قوينا ملكه وثبتناه بالهيبة ويقال بالحرس كان يحرس محرابه في كل ليلة ثلثة وثلثون الف رجل كان فيهم ابنا الانبيا لم يطمع في ملكه احد وقوله تعالى واتيناه الحكمة اي النبوة ويقال الحكمة كل كلام حسن يدعو الى الهدى او ينهى عن الردى واما فصل الخطاب فهو فصل القضا بين الحق والباطل فيما بين الخصوم وكان لا يتتعتع في قضايه ويقال فصل الخطاب هو الحكم بالبينة واليمين ويقال هو قوله اما بعد وهو اول فصل بين الدعا الذي في صدر الكتاب وبين ما هو المقصود من الكتاب ومعناه اما بعد حمد الله فقد بلغني كذا او سمعت كذا

قوله عز وجل وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سوا الصراط ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال

اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن ماب اختلفوا في خطية داود عليه السلام والذي هو مستفيض بين العوام ما ذكره الكلبي ان داود عليه السلام كان يصلي ذات يوم في محرابه وعنده تلميذان له غلامان والتورية والزبور منشورة بين يديه يقروها اذ جاه طير فوقع قريبا منه فنظر اليه فاعجبه فنهض اليه لياخذه فطار فنظر اليه فاذا هو ابصر امراة تغتسل فاعجبته فوقع ظله من الكوة على المراة فعرفت انه ظل انسان فارخت شعرها عليها مثل القبة فازداده عجبا وقال داود عليه السلام لاحد الغلامين اذهب فانظر من هذه المراة ومن زوجها فانطلق الغلام فسال ثم رجع فقال هي امراة اوريا واسمها ايشايع وزوجها غايب في جيش مع تواب بن صوريا وهو ابن اخت داود عليه السلام قال وكتب داود عليه السلام اليه اذا اتاك كتابي هذا فانتدب اوريا فيمن ينتدب من الناس فليانوا القلعة ولا يبرحوا حتى يفتحوها او يقتلوا فلما جاه الكتاب لم يجد بدا من ذلك فندبه وندب الناس معه ثلثون رجلا فاتوا القلعة فلما اتوها رموهم بالحجارة حتى قتلوهم فشق ذلك على المسلمين مشقة شديدة وكتب تواب بذلك الى داود عليه السلام فكتب اليه داود عليه السلام كذلك يكون الامر بكم وعليكم اتريدون ان يكون الامر لكم اجمع ثم لما انقضت عدة المراة وايام نكاحها وحزنها تزوجها داود عليه السلام وبنى بها فبينما هو ذات يوم في محرابه اذ دخل عليه من فوق المحراب رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالعدل ولا تجر في حكمك وارشدنا الى الطريق المستقيم ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اعطنيها وغلبني في الكلام فقال داود عليه السلام لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه الى ان قال وقليل ما هم فنظر احد الخصمين الى صاحبه فضحك فعلم داود عليه السلام عند ضحك احدهما انا قد امتحناه فخر راكعا اي ساجدا ورجع الى طاعة الله تعالى بالتوبة والندامة هكذا ذكره هو في تفسيره وهذا قول معترض ود لاشتمال هذه القصة على الاطلاع على الحرم وتعريض المسلمين للقتل وتحصيل نسايهم لانفسهم ومثل ذلك لا يفعله الا من هو افجر الفاجرين وكيف يظن بمثله ممن يومن على الوحي وكيف يجوز ان يختار الله عز وجل لدرجة النبوة من يكون حاله على هذه الحالة لان ذلك خلاف المقصود من ارسال الرسل ولو جاز ذلك عليهم لجاز ان يغيروا الوحي او يبدلوا ومن نسب اليهم شيا من هذا او صدق به فهو ممن لا يصح ايمانه بالانبيا عليهم السلام ولان تخطي الانسان في نفي الفواحش عنهم خير من ان يخطي في اضافتها اليهم وقد امرنا في الشريعة بحمل امور المسلمين على الصحة والسداد ما امكن فرسل الله تعالى اولى الناس بذلك الا ما ورد فيه نص لا يحتمل التاويل او انعقد عليه اجماع بين الناس وعن الحسن انه كان نبا ولهذه القصة على ان داود عليه السلام اراد ان يقتل اوريا شهيدا ويتزوج هو امراته حلالا لان اليه كانت مدخوله فقتل الزوج وتزوج داود عليه السلام امراته بعدما انقضت عدتها وذهب الشيخ ابو بكر الرازي رحمه الله الى ان داود عليه السلام كانت له تسع وتسعون امراه وان اوريا لم يكن له امراة وقد خطب امراة فخطبها داود عليه السلام مع علمه بان اوريا خطبها وكان في هذا شيان مما يشين الانبيا عليهم السلام التنزه عنه احدهما خطبته على خطبة اخيه المومن والثاني في اظهار الحرص على التزوج مع كثرة من عنده من النسا ولم يكن عنده ان ذلك معصية فعاتبه الله عليها وكانت صغيرة وفطن حين خاطبه الملكان بان الاولى كان به ان لا يخطب المراة التي كان خطبها غيره وعن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنهما انه قال ما زاد داود عليه السلام على ان قال لزوجها تحول لي عنها وكان من
عادة ذلك الزمان ان يطلق الرجل امراته حتى اذا انقضت عدتها تزوجها غيره وكانت الانصار
ربما ينزل احدهم للمهاجرين عن احدى امراتيه كما يقاسمه ماله وعن امير المومنين رضي الله عنه
لئن سمعت احدا يقول ان داود عليه السلام قارف من تلك المراة سوءا لاجلدته مائة وستين جلدة
يعني ضعف حد قذف سائر الناس فاذا عرفنا هذا الان فلنرجع الى معنى الاية وقوله
تعالى وهل اتاك نبا الخصم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التقرير كما يقول الرجل لغيره هل سمعت
بخبر فلان وهو يعلم انه لم يسمعه اذا اراد اخباره بذلك والخصم اسم للواحد والاثنين فما
فوقهما مثل الصديق والعدو والسلم والحرب يقال فلان عدوي وبنو فلان عدوي قال الله
تعالى فانهم عدو لي والتسور هو الاتيان من جانب السور وذكره بلفظ الجماعة لانه كان مع كل
واحد من الخصمين اصحابه واعوانه كما جرت العادة في الخصومات والمحراب هو ارفع بيت
في الدار وارفع مكان في المسجد وهو هاهنا كالغرفة وقوله تعالى اذ دخلوا على داود معناه
دخلوا عليه بعد التسور ففزع منهم لانهم اتوه من غير ما في الخصوم في وقت لم ياذن فيه ان يدخل
عليه احد فانكر ذلك وفزع فقالوا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض هكذا ذكر بعض اهل
التفسير وهذا انما يصح اذا كان الداخلان ادميين وكانت الخصومة بينهما في اية كان تنبيها لداود
عليه السلام كي يتذكر ما فعل فاما اذا كان الداخلان ملكين فالملايكة لا يجوز عليهم الكذب ولا بغي
بعضهم على بعض وانما تقدير قوله خصمان ارايتان جاءك خصمان فقالا بغى بعضنا على بعض انت
تحكم بينهما بالحق وتقدير ما يقول خصمان بغى بعضنا على بعض وكلماه بالمعاريض التي تخرجهما
عن الكذب مع تقريب المعنى بالمثل الذي ضرباه وقوله تعالى ولا تشطط من قولهم اشط يشط
اذا جاز من قولهم لا تشطط بفتح التا يجوز ان يكون معناه معنى الاول يقال شط واشط بمعنى
واحد ويجوز ان يكون معناه لا تبعد عن الحق وفي هذا دليل ان للخصم ان يخاطب الحاكم بمثل هذا
الكلام وقوله تعالى ولي نعجة واحدة اي حظي امراة فقد كان ...
وقوله تعالى فقال اكفلنيها معناه قال صاحب الكثير اجعلني كافلها او قال اضمم نعجتك الي
نعاجي والكفل الضم ومنه الكفيل لانه مضموم الى الاصيل في المطالبة بالمكفول به وذلك معنى
قوله تعالى وكفلها زكريا ويقال معنى اكفلنيها اجعلها في نصيبي والكفل النصيب وقوله تعالى
وعزني في الخطاب اي غلبني في الخطبة وصار في ذلك اعز مني وامنع يقال عز فلان فلانا
فعزه اي غلبه ويقال خطب المراة يخطب خطبة وخطابا وقوله تعالى قال لقد ظلمك بسوال نعجتك
معناه قال داود للمدعي او للذي كان يحكي عن المدعي ان كان الامر على ما تقول فقد ظلمك بسوال
نعجتك الى ان يضمها الى نعاجه ولم يقل ظلمك باخذ نعجتك وفي هذا اللفظ دليل على ان المتخاصمين
كانا يخرجان الكلام عنده مخرج الحكاية والمثل وان داود عليه السلام قد كان عرف ذلك
من فحوى كلامهما لولا ذلك لما حكم بظلمه قبل ان يسال الخصم فيقر عنده او يقيم عليه البينة به وقوله
تعالى وان كثيرا من الخلطاء اي من الشركاء ليظلم بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانهم لا يظلمون وقليل الذين كذلك وفي قوله تعالى وظن داود ... انه عليه
السلام لم يقصد المعصية من قبل وان كلام الملكين اوقع له الظن بانه قد اتى المعصية فلما تفكر
في نفسه علم حقيقة بان ما اتاه كان معصية وان الله تعالى قد شدد عليه المحنة ولا يجوز ان
يفعل نبي ما يعلم انه معصية فان ذلك يوجب الاباحة بان يعلم انه ليس عليه عقوبة والفتنة
في هذا الموضع بتشديد التعبد كما يسمى امراض الناس فتنة وقرا قتادة بالتخفيف على معنى ان الملكين

فتناه

اختناه وعن عمر رضي الله عنه انه قرا فتناه بتشديد التا والنون من التفتين وقوله
تعالى فاستغفر ربه معناه فاستغفر ربه من ذنبه وخر ساجدا لله تعالى بالتوبة والندامة
قال الكلبي رضي الله عنه سجد اربعين يوما حتى سقطت جلدة وجهه ونبت العشب من
دموعه حتى غطى راسه وكان لا يقوم من سجوده الا لصلوة او قضاء حاجة وكان يقول في
دعايه ومناجاته قد عرفت يا رب ان رحمتك واسعة ولولا رحمتك لفضحتني فمن الذي ينصرني
ان خذلتني ومن الذي يغفر خطيئتي ان لم تمحها من كتابي ومن الذي يتداركني برحمة ان لم
تتجاوز عني تصدعت الجدود وانقطعت الاشجار واريحت البحار وفزعت الجبال والاكام من عظم
خطيئة لا اطيق حملها ان لم تحملها عني فنى دمعي وطال حزني ودق عظمي وبلي لحمي وتجدب
على ظهري اليك اشكو فاقتي وضعفي وافراطي في امري يا اله ابرهيم الذي انجيته من ايدي
الجبابرة وبعظمتك انجيته من النار ويا اله اسحق الذي كشفت عنه البلاء بالصبر واليقين
ويا اله يعقوب الذي ابتليته بيوسف ثم رددت عليه بصره بصبره وبقيت انا من دونهم
وسبطهم فاكرمني بفضل رحمتك اياهم بنام كل ذي عين ويستريح في موطنه وقد
شخصت عيناي ينتظران رحمتك ادعوك يا رب فاسرع اجابتي وتقبل دعاي وارحم
سقطي وتجاوز عني برحمتك فاستجاب الله تعالى له ونودي ان ارفع راسك فقد غفرنا
لك ذنبك قال فرجع الى منزله ولبث بقية عمره لا يشرب شرابا الا مزجه بدموعه فكانت الدموع
نصفا والماء نصفا واما قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب فمعناه وان له بعد
المغفرة عندنا لقربى في الدرجات وحسن مرجع في الاخرة فان قيل اذا كانت زلته صغيرة
وقد وقعت مغفورة فما معنى قوله فغفرنا له ذلك قيل ان المغفرة في اللغة هي الستر والله
تعالى يستر ذنب عبده حالا بعد حال الا ترى ان ابرهيم عليه السلام قال والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يوم الدين انما قال ذلك مع علمه ان خطيئته وقعت مغفورة لانه كان له في هذا القول
زيادة تعبد لله تعالى وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال في سجدة ص سجدها داود عليه السلام توبة ونحن نسجدها شكرا وقيل لابن عباس
من اين اخذت سجدة ص فتلا قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعن ابي
موسى الاشعري انه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كاني اكتب سورة
ص فلما انتهيت الى الاية السجدة سقط القلم من يدي فسجد وسجدت الدواة فقال
صلى الله عليه وسلم توبة نبي يرجى عندها المغفرة **قوله عز وجل** يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب معناه قال الله تعالى له بعد المغفرة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اي نبيا ملكا على بني اسرائيل وكان قبله النبوة في سبط والملك
في سبط فاعطاهما الله تعالى جميعا اياه والخليفة هو المدبر للامر من قبل غيره ولذلك تعالى الخليفة
الله في ارضه لانه جعله لتدبير عباده في امره وقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق اي اعمل بموجب
الحكمة بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى بالحكم بين الناس فيصرفك الهوى عن طاعة الله تعالى
وفي هذا بيان ان اتباع الهوى في الدين يضل عن طاعة الله تعالى لانه اذا كان ذلك يضل داود عليه
السلام عن دين الله تعالى لو وجد ذلك منه مع عظم محله ورفعة شانه فما ظنك بمن دونه من الناس
واتباع الهوى ان يحكم قصدا الى منفعة احد او قبول شفاعة احد او لشهوة نفسه فاما اذا وقع له
شهوة ظنه صوابا فحكم لم يوصف بانه متبع للهوى وقوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله

أي عزيز من الله لهم عذاب شديد في الآخرة بما تركوا العمل ليوم الحساب وعن شريك بن عبد الله أنه كان إذا قعد للقضاء يرى في يده رقعة ينشرها وينظر فيها مرة بعد مرة وفيها يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض الآية وعن حميد أنه لما استقضى إياس بن معاوية أتاه الحسن فبكى إياس فقال له الحسن رضي الله عنه ما يبكيك يا أبا واثلة قال بلغني أن القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل اجتهد فأخطأ ففي النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة قال الحسن رضي الله عنه إن فيما قص الله تعالى من نبإ داود وسليمن عليهما السلام إذ يحكمان في الحرث أثنى على سليمن ولم يذم داود ثم قال الحسن إن الله تعالى أخذ على الحكام ثلثة أن لا يخشوا الناس ولا يشتروا بآياته ثمنا قليلا ولا يتبعوا الباطل ثم قرأ إنا أنزلنا التورية فيها هدى ونور إلى آخر الآية وقرأ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض إلى آخر الآية هكذا رواه حميد إلا أن معنى ما ذكره إياس أن القاضي إذا أخطأ فهو في النار إذا أقدم على القضاء بالجهل كما روى عن سليمن بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة واحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به واثنان في النار رجل عرف الحق فجار ورجل قضى بين الناس بالجهل **قوله عز وجل** وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب معناه وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من الخلق عبثا إلا للأمر والنهي وإنما خلقناها للتعبد وليجزي المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته وفي قوله تعالى ذلك ظن الذين كفروا بيان أن من لا يثبت المعاد لا بد أن يكون ظانا لخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأول للكفار بهذا الظن من النار وقوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا معناه أنجعل المؤمنين المطيعين كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين الذين يتقون الكفر والكبائر كالفجار الذين يركبون ذلك لا تستوي بين الفريقين ولا تنزلهما منزلة واحدة وقوله تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك معناه هذا قرآن أنزلناه إليك فيه بركة لكم تستديمون به نعم الله تعالى عليكم ليتدبروا الناس آيات الله تعالى وليتعظ ذووا العقول من الناس وعن الحسن رضي الله عنه أنه قال إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله وتدبره ليس الاتحفظ حروفه وإضاعة حدوده وربما قرأ القارئ فلا يسقط منه حرفا وقد والله أسقطه كله حتى إن أحدهم يقول إني لأقرأ السورة في نفس والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء لا أكثر الله تعالى أمثالهم في الناس **قوله عز وجل** ووهبنا لداود سليمن نعم العبد إنه أواب إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق ومعناه أعطينا لداود ولدا وهو سليمن عليه السلام ثم أثنى على سليمن عليه السلام فقال نعم العبد إنه أواب أي رجاع إلى الله تعالى مقبل على طاعته وذلك أن داود عليه السلام أعطي فشكر وأيوب عليه السلام ابتلي فصبر وأثنى الله تعالى عليهما جميعا وقوله تعالى إذ عرض عليه معناه إذ عرض على سليمن عليه السلام بعد زوال الشمس الخيول القائمة التي تراع في المشي وهي الخيول التي غنمها سليمن عليه السلام من أهل دمشق وأهل نصيبين كانوا أجمعوا أجمعوا على قتاله فهزمهم وأصاب منهم ألف فرس عراب فعرضت عليه فجعل ينظر إليها ويتعجب من حسنها حتى شغلته عن صلاة العصر وغربت الشمس فذكر الصلوة فغضب وقال ردوا الخيل علي فردت

عليه فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف حتى عقر منها تسعماية فرس وهي التي كانت عرضت عليه وبقيت ماية لم تعرض عليه فكل ما في أيدي الناس من الخيل العراب فهو من نسل تلك الماية هكذا ذكره الكلبي رضي الله عنه وقد أعترض علماؤنا هذا القول فقالوا كيف تجوز لنبي من الأنبياء أن يغفل عن صلوة مفروضة ثم يعمد إلى خيل لا ذنب لها فيعرقبها إلا أنه إن صح ما ذكره الكلبي رضي الله عنه كان الوجه فيها وفيه أن سليمن لم يكن ضرب سوقها وأعناقها إلا وقد أباح الله تعالى له ذلك وأمره به كيلا يفتتن فهو لا غيره بسببها من بعد ويجوز أن يعبد الله تعالى بعقرها ذلك ويحظر الانتفاع به كما يجوز أن يميته الله تعالى ويمنع الناس من الانتفاع به وليس في الآية ما يقتضي أن الصلوة كانت مفروضة عليه في ذلك الوقت ويروى أن ذلك الوقت كان وقتا يذكر الله تعالى فيه فشغله ذلك الغرض عن الذكر الذي كان يعتاده وقد يذكر المسح ويراد به الضرب تقول العرب مسح علاوته إذا ضربه بالسيف ويذكر المسح بالسوق والأعناق ويراد به حل العقال ويخليه السبيل لئلا تشغله مرة أخرى عن عبادة الله تعالى والصافنات هي الخيل التي تقوم على ثلث قوائم وتكون القائمة الرابعة متصلا طرف حافرها بالأرض يقال صفن الفرس إذا ثنى إحدى يديه أو إحدى رجليه حتى يقف بها على سنبكه والجياد جمع الجواد كما يقال سوط وسياط ومن هذا المعنى سطر جواد أي كثير الإجراء وفرس جواد إذا جاد بالركض وقوله تعالى إني أحببت حب الخير معناه إني آثرت الخير ويراد به الخيل لأن الخير معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيمة كما ورد في الحديث وأما قوله تعالى حب الخير فقال قطرب رحمه الله أراد أحببت حبا على المصدر ثم أضاف الحب إلى الخير ويقال في معنى أحببت قعدت فتأخرت عن ذكر الله تعالى حبا للخيل من قولهم أحب البعير إذا برك وقوله تعالى توارت بالحجاب معناه توارت الشمس لأن في قوله تعالى بالعشي ما يجري مجرى ذكر الشمس وجاز الإضمار في الكلام ما يدل عليه كما قال لبيد

حتى إذا ألقت يدا في كافر ¤ وأجن عورات الثغور ظلامها

ويقال في معناه حتى توارت الخيل بالحجاب وقد قيل في معنى هذه الآية قول أحسن مما تقدم وهو أن معنى قوله أحببت حب الخير عن ذكر ربي لخدمت هذه الخيل عن أمر ربي لا من تلقاء نفسي ولا حرصا مني على زينة الدنيا ومعنى فطفق مسحا على هذا القول أنه جعل يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام مسح أعناقها حبا لها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأعجازها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار والوتر الدخل ومما يدل على هذا القول أن الله تعالى قسمه تشريفا لها حيث قال والعاديات ضبحا واتفق الفقهاء أن للفرس سهما في الغنيمة بخلاف سائر الحيوانات ومنهم من جعل للفرس سهمين وللرجل سهما **قوله عز وجل** ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب اختلفوا في سبب فتنة سليمن عليه السلام قال بعضهم كان الله تعالى أمره أن لا يتزوج إلا من بني إسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فجعلت المرأة صورة على صورة أبيها وكانت تزعم أنها مشتاقة إليه لغيبته عنها ثم دعت خدمها إلى تعظيم تلك الصورة فكانوا يعظمونها في بيتها أربعين يوما فسلب الملك أربعين يوما مكان كل يوم يوما وقال بعضهم كان ذنبه أنه وطئ في ليلة واحدة عدة كثيرة من نسائه وجولهن حرصا على كثرة الولد وقال بعضهم كان سبب فتنته قتله الخيل وعقره سوقها وأعناقها واختلفوا أيضا في قوله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا قال بعضهم كان ملك سليمن عليه السلام في خاتمه فدفع خاتمه عند دخوله الحمام إلى شيطان اسمه صخر فطرحه الشيطان في البحر فمكث سليمن عليه السلام أربعين يوما يهيم في الأرض حتى وجد الخاتم في بطن سمكة فأخذه وتختم به فرد الله تعالى عليه ملكه ورجع إلى طاعة الله تعالى وكان ذلك الشيطان يتصور

بصورته في مدة الاربعين يوما وكان امره ينفذ في جميع ما كان ينفذ فيه امر سليمن عليه السلام
ما خلا نسا سليمن الى ان رد الله تعالى ملكه عليه وقال بعضهم كان لسليمن عليه السلام ابن فخافت
عليه الشياطين ان يهلكوه حتى لا يرث ملكه فاودع سليمن ابنه السحاب اشفاقا عليه فاماته الله تعالى
في السحاب فالقي على كرسيه جسدا وهذا هو الاقرب الى ظاهر الاية لان الجسد عبارة عما لا
يكون فيه روح ويقال انه عليه السلام قال في ليلة من الليالي لاطوفن في هذه الليلة على كذا من
النسا تلد كل واحدة منهن ابنا يقاتل في سبيل الله تعالى ولم يستثن فطاف عليهن فما ولدت
واحدة منهن غير امراة واحدة ولدت ابنا باسر احد الشقين فالقي على كرسيه ومعنى الفتنة
هو التشديد في التكليف وقوله تعالى قال رب اغفر لي معناه اغفر لي ذنبي وهب
لي ملكا فيه اية تدل على نبوتي وذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي لان ملكه كان معجزة
فلو شاركه فيه غير الانبيا خرج من ان يكون معجزة له ويجوز ان يكون معنى هذا الكلام اعطني
ملكا لا اسلب كما اسلبت في المرة الاولى ولا يجوز ان يكون سواله الملك برغبة منه في الدنيا ولا
ضنه بمثله على من بعده ولكن طلبا به تدل جميع الخلايق على ان الله تعالى غفر له ذنبه ورده الى
منزلة الانبيا صلوات الله عليهم ويقال ان قوله تعالى لا ينبغي لاحد من بعدي عموم اريد
به الخصوص كانه قال ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي مما لا يقوم بالحق فيه والوهاب في اللغة
هو الكثير العطية ويقال الذي من شانه الهبة **قوله عز وجل** فسخرنا له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب والشياطين كل بنا وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاونا
فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب معناه فاستجبنا دعاه وسخرنا
له الريح تسير بامره لينة كيف اراد وذلك انه اذا اراد ان تكون الريح عاصفة كانت تجري عاصفة
كما قال الله تعالى في اية اخرى وكان اذا اراد ان تسير لينة كانت تسير لينة ويقال كانت عاصفة
حال حملها السرير لكثرة من عليه من الخدم والحشم والاواني والفرش والاطعمة والاشربة وكانت
لينة في حال ما تجري بالسرير وذلك ارفق بمن على السرير وابعد من الضرر **قال** الحسن رضي الله عنه
كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل والرخا من الرخاوة وهي السهولة والاصابة
تذكر بمعنى الارادة تقول العرب اصاب الصواب واخطا الجواب ويقال اصاب الله بك خيرا اي اراد
وحقيقة الاصابة لحاق البغية بالميل الى تلك الجهة ومنه اصابة الهدف **وقوله** تعالى والشياطين
معناه وسخرنا له الشياطين يبنون له الابنية المرتفعة التي تعجز عليه الانس عن مثلها ويغوصون
له في البحر فيستخرجون له ما شا مما يختص بالبحار من اللالي والجواهر وسخرنا له اخرين من الشياطين
حتى قرنهم في الاصفاد وهي السلاسل من الحديد وسخر الله تعالى له الشيطان الذي فعل ما فعل يعني
الذي اخذ الخاتم فجعله في تخت من رخام ثم سد عليه بالنحاس ثم القي في عرض البحر وكان سليمن عليه
السلام يجعل الشياطين مقرنين في القيود والاغلال ثم كان يفرقهم ويصرف من شا منهم
في الاعمال **وقوله** تعالى هذا عطاونا معناه هذا عطاونا لك من المال والملك والجنود المسخرة لم
نعط احدا قبلك ولا نعطيه احدا بعدك فاعط مما اعطيناك من شيت وكيف شيت وما شيت وكم شيت
واحبس عمن شيت بغير تقدير ولم يوخذ عليك حد محدود في المنع ولا في الاعطا **وقال** الحسن رضي
الله عنه في معناه فامنن او امسك اطلق من شيت من الشياطين الذين اوثقتهم وامسك في الوثاق
من شيت منهم ولبس عليك في ذلك تبعة **وقوله** تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن ماب معناه وان له
مع ما خصصناه في الدنيا من الملك والملك والبسطة والسلطنة والنبوة والرسالة لقربة عندنا في الاخرة
ونصيبا وافرا من ثوابنا في الجنة فجمع له بين ملك الدنيا وملك الاخرة وقد ملك سليمن عليه السلام في

ملكه

ملكه اسنا مطمينا الى ان قبضه الله تعالى الى رحمته فانقضى ذلك الملك على عظمه وشرفه ومات
ذلك الملك على ما خصصناه به من الدرجة التي لم يعطها احد قبله ولا يعطاها احد بعده فليقطع الانسان
عن بقاء ما لا يبلغ شعرة من ذلك من الممالك والاملاك **قوله عز وجل** واذكر عبدنا ايوب اذ
نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب معناه واذكر يا محمد عبدنا
ايوب اذ دعا ربه في البلا الذي ابتلي به فقال يا رب اني اصابني الشيطان بتعب في بدني
وعذاب في اهلي ومالي والنصب والنصب بمعنى واحد مثل الرشد والرشد والحزن والحزن
وقد اختلفوا في سبب ابتلا ايوب عليه السلام **قال** الحسن رضي الله عنه ان ابليس سال الله تعالى
فقال يا رب هل من عبيدك من ان سلطني عليه يمتنع علي قال نعم عبدي ايوب فجعل ياتيه الشيطان
بوساوسه وحبايله فلا يقدر منه على شي قال يا رب انه قد امتنع علي بسلطني على ماله فجعل ياتيه
فيقول يا ايوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول ايوب عليه السلام اللهم انت قد اعطيتنيه وانت
قد اخذته اللهم لك الحمد على ما منعت ولك الشكر على ما ابقيت فمكث كذلك حتى هلك ماله كله فقال
ابليس فقال ابليس يا رب انه لا يبالي بماله فسلطني على جسده قال فمكث في البلا سبع سنين حتى
اختلفت الدواب في اضلاعه وكانت امراته قد قاربت الشيطان في بعض الامور ودعا ايوب عليه
السلام الى مقاربته فحلف بالله تعالى لين عافاه الله تعالى ليجلدنها مائة جلدة قال فمكث في ذلك
البلا حتى اذن الله تعالى له في الدعا فاتاه الوحي وهو مطروح فدعا فقال يا رب اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين وقال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب هكذا روي عن الحسن **وقال**
بعضهم ان ابليس قال يا رب لو سلطتني على نفسه لم تجده شاكرا فسلطه الله تعالى على نفسه
فجا من تحت الارض الى موضع سجوده ونفخ في انفه فانتفخ وجهه وسرى ذلك في جسده فوقع فيه الدود
وهذا القول مردود لا وجه لقبوله ولا يجوز ان يسلط الله تعالى ابليس على نبي من الانبيا صلوات
الله عليهم فيفعل به ما احب فاما التسليط الذي روي عن الحسن رضي الله عنه فما وبله التخلية وذلك
لان الله تعالى لما ابتلى ايوب عليه السلام بالمرض وامتد به ذلك جعل ابليس يوسوس اليه بانواع
الوساوس على ما هي من عادته فضاق بذلك صدر ايوب عليه السلام فشكا الى الله تعالى وساوسه
فاجابه الله تعالى دعاه **واما** الذي روي ان امراته قاربت الشيطان في بعض الامور فقد قيل فيه
ان الشيطان وسوس اليها لين اكل ايوب عليه السلام طعاما ولم يذكر اسم الله تعالى عليه عوفي ويقال
انها قالت لايوب عليه السلام لو تقربت الى الشيطان فذبحت له عناقا فقال لا ولا كفا من تراب
وحلف ان يجلدها ان عوفي مائة جلدة ويقال ان ابليس قال لها ان شفيته يقول لي انت شفيتني فاخبرت
بذلك ايوب عليه السلام فحلف ويقال في سبب ابتلا ايوب عليه السلام ان انسانا استغاث به
في ظلم يدراه عنه فقصر لم يرده حتى فاته والنصب والعذاب في الحقيقة ما كان من الشيطان من
غاية الوسوسة التي كانت تدعوا الى الجزع والضجر في تلك البلية كما روي في بعض الروايات انه
كانت بلغت الى الحد الذي كان يستقذره الجهال وكان الشيطان يوسوس الى الناس ان لا يدعوا امراته
ان تدخل اليهم لحاجتها فاستغاث ايوب عليه السلام بالله تعالى من شر الشيطان ووساوسه فقيل له
اركض برجلك اي اضرب برجلك الارض فركض ايوب عليه السلام برجله فنبعت عين فقيل
هذا مغتسل فاغتسل منها فذهب الدا من ظاهر بدنه فضرب برجله الارض مرة اخرى فنبع ما فشرب منه
فذهب الدا من باطن جسده والركض هو الدفع بالرجل على جهة الاسراع وعنه ركض الفرس لاسراعه
والمغتسل موضع الاغتسال كالمطلب والمضطرب **وعن** ابي عبيدة رحمه الله انه قال كل ما يغتسل

به فهو مغتسل وغسول وفي تفسير الكلبي انه الله تعالى اخرج له عينا فاغتسل منها ثم اخرج
له عينا اخرى فشرب منها الا ان ظاهر الاية يقتضي ان العين كانت واحدة لان الاشارة
في الاية كانت الى شي واحد واما قوله تعالى ووهبنا له اهله قال الحسن وجماعة رضي الله
عنهم احيينا له اهله وولده الذين كانوا هلكوا باعيانهم ورزقناه مثلهم في المستقبل وقال
بعضهم اعطاه الله اهلا ومالا اضعف ما هلك من اهله وماله ولم يرد عليه عين ما هلك وقال
بعضهم ووهبنا له اجرهما فانه من الاهل والمال في الاخرة ومثلهم في الدنيا نعمة منا عليه وعظة
لذوي العقول من الناس وذلك ليعلم العاقل ان ما يصيبه في الدنيا من المحن والمكاره والمصائب
في النفس والاهل والمال لا يكون لهوان العبد على الله تعالى كما يظنه الجهال وانما هو امتحان من
الله تعالى لاوليائه في بعضهم بذلك لجزيل الثواب وكريم الماب كما امتحن الله تعالى الانبيا والاوليا
عند ذلك من قبل ولم يكن ذلك لهوانهم على الله تعالى وسقوط منزلتهم عنده وقد تضمنت هذه
الاية حث الناس على الصبر فيما يصيبهم من المحن ومنعهم من الجزع والضجر ليتوفر بذلك حظهم
من العاجل والاجل مع ان الجزع ليس بنافع شيا وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت جرت عليك المقادير وانت
موزور وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال لا تصيبني مصيبة الا وتحتها وجوه من
النعم يجب الشكر عليها منها ان تلك المصيبة كانت واحدة مع جواز ان تكون اعظم ومنها انها كانت
في المال ولم تكن في النفس والدين وان كانت في النفس فلم تكن في الدين ومنها ان الله تعالى
قد اوجب عليها ثوابا دايما والمصيبة تنقضي والثواب لا ينقضي ومنها ان الله تعالى وفقني
للصبر عليها ولولا توفيقه لما صبرت **قوله عز وجل** وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وذلك ان ايوب عليه السلام كان حلف في مرضه
ان يجلد امراته ماية جلدة وكان ذلك لشي كرهه منها على ما تقدم فجعل الله تعالى تحلة يمينه ان
ياخذ حزمة واحدة فيها ماية قضيب فيضربها به وكان ذلك نظرا من الله تعالى لها لخدمتها
اياه وقيامها بامره وقوله تعالى ولا تحنث اي ولا تدع الضرب فتحنث وفي هذا دليل على جواز
الاحتيال بمثل هذه الحيلة في اليمين على الضرب فاما في الحدود فلا يجوز الاحتيال بمثل هذا
لان الله تعالى قال ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وهذا نهي عن التخفيف عمن وجب عليه
الحد الا اذا كان عليلا لا يحتمل الضرب كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المخدج الذي
وجد على بطن امراة يفجر بها وكان قد اضناه المرض حتى عاد جلدا على عظم بحيث لو حمل الى النبي
صلى الله عليه وسلم لتفرقت اوصاله انه قال عليه السلام خذوا عثكالا فيه ماية شمراخ فاضربوه
بها ضربة واحدة يعني اذا اصابه كل واحد من الشماريخ وكان ذلك في دفعة واحدة وقد احتج
مالك رحمه الله بقصة ايوب عليه السلام في تبليغ التعزير بالحد الا انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من بلغ حدا في غير حد فهو من المعتدين واما قوله تعالى انا وجدناه صابرا فمعناه
انه صبر على البلا الذي ابتلي به فان قيل كيف صبر وهو يقول مسني الضر قيل انه لم يشك الى
مخلوق وانما شكا الى الله تعالى حين الح عليه الشيطان بالوسوسة وخاف على نفسه الانقطاع
عن طاعة الله عز وجل فدعا الله تعالى بعد ان اذن له في الدعا والاواب هو المقبل على طاعة الله
تعالى الراجع اليه **قوله عز وجل** واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار الخطاب
في اول هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به واذكر لقومك وامتك حديث هولا الانبيا

عليهم السلام ليقتدوا بهم في حسن افعالهم فيستحقوا بذلك جميل الثنا وجزيل الثواب
واولوا الايدي هم اولوا القوة في العبادات وذووا البصاير في الدين وانما قال ذلك لان
المتعبد اذا لم يكن بصيرا بالعبادة كان فعله فعل عادة لا فعل عبادة وانما يخرج الفعل
عن حيز العادة الى حيز العبادة بالبصيرة وحسن العقيدة فيقيم العبادة في وقتها مع مراعاة
قدرها وصفتها والاحتراز عما ينقصها وينقضها ويقال ان الايدي جمع اليد التي هي النعم
اي هم ذووا الصنايع الجميلة في طاعة الله تعالى وقرا الحسن رضي الله عنه الايد بغير يا
وهو عبارة عن القوة ويجوز ان يكون المراد به الايدي فحذف اليا كما يحذف من الداع
والهاد وقوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة اي اثبناهم بخصلة خالصة وهي ذكرى الدار الاخرة
والاخلاص اخراج كل شي من الشي ليس من شكله والذكرى مصدر من ذكر بنفسه وذكر غيره
قال مجاهد كانوا يكثرون ذكر الاخرة لم يكن لهم هم غيرها وقال قتادة كانوا يدعون الى طاعة
الله تعالى والعمل للدار الاخرة ويقرا بخالصة بغير تنوين على اضافة خالصة الى الذكرى والاصطفا
في اللغة اخراج الصفوة من كل شي ثم صفوة وغيرهم كدر والاخيار جمع الخير كالابرار جمع البر
قوله عز وجل واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار معناه واذكرهم
حال هولا ليسلكوا طريقتهم واسمعيل هو جد نبينا صلوات الله عليه واليسع ذكر نبي من الانبيا
صلوات الله عليهم قال الكلبي رضي الله عنه كان الياس واليسع ابني عم وكان الياس في ارتعاب
بني عليهم السلام فقتل ملكهم ثلثماية منهم وافلت منهم ماية نبي فيهم الياس فكفلهم ذو الكفل وخباهم
عنده يطعمهم ويسقيهم الى ان نجوا من القتل ويقال ان ذا الكفل كان يعمل في العبادة عمل رجلين
فسمي ذا الكفل والكفل هو الضعف كما في قوله تعالى يوتكم كفلين من رحمته **قوله عز وجل**
هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد معناه هذا القران عظة وشرف للناس ويقال هو ذكر في الدنيا
لهولا الانبيا عليهم السلام ويذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع في الاخرة ثم فسر
الموضع فقال جنات عدن اي بساتين اقامة وقوله تعالى مفتحة نصب على القطع والحال
وذلك انهم اذا انتهوا اليها وجدوها مفتحة الابواب لا يحبسون على الباب ينفتح لهم ابواب عند
الورود ويقال ان ابوابها تنفتح لهم بغير فتح ولا مفتاح والمفتحة ابلغ في اللفظ من المفتوح ودخول
الالف واللام في الابواب عوض من الاضافة كما في قوله تعالى فان الجنة هي الماوى والاتكا في
اللغة هو الاستمساك في الاستناد على هيئة جلوس السادة والملوك ومنه الوكا وهو الخيط الذي يربط
به لانه يستمسك بما في الوعاء وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف معناه وعندهم حور يحبسن الطرف
على ازواجهن لا يردن غيرهم [illegible] لا ينظرن الى غير ازواجهن والقاصر هو الحابس
[illegible] والاتراب اللدات المستويات في السن في بداية
الشباب والحسن واحدها ترب وهو ماخوذ من اللعب بالتراب وقوله تعالى هذا ما توعدون
اي هذا الذي ذكرناه ما توعدون في الدنيا ليوم الجزا ان هذا الذي ذكرناه لرزقنا لهم ما له من
فنا ولا انقطاع **قوله عز وجل** هذا وان للطاغين لشر ماب جهنم يصلونها فبيس المهاد
هذا فليذوقوه حميم وغساق واخر من شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم
صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبيس القرار المعنى هذا الثواب الذي
تقدم ذكره للمتقين ثم ابتدا بخبر عما للطاغين بذلك وهو شر المنقلب والماب المرجع للطاغين

مجاوزة الحد في الكفر والمعصية ثم فسر مرجعهم فقال جهنم يصلونها اي يلزمونها يوم
القيمة فبئس المهاد النار مهدوها لانفسهم هذا العذاب فليذوقوه حميم وهو ما حار غاية الحرارة
من طبخه الحجارة وهي عصارة اهل النار والغساق بالتخفيف مصدر غسق يغسق اذا سال
وغسقت عينه اذا سالت ومن قرا غساق بالتشديد فهو السائل من صديد اهل النار وقال
الكلبي رحمه الله الغساق الزمهرير يحرق ببرده كما تحرق النار وقال بعضهم هو المنتن
بلغة الترك والطخارية واورد بعض اهل اللغة غسقت القرحة غسوقا اذا انتنت ويقال
هو الشي الشديد الظلمة من الغسق وقال الحسن رحمه الله لا ادري ما الغساق وما سمعت فيه
شيا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه بعض ما اعد لاهل النار قوم اخفوا
من المعصية اعمالا فاخفى الله لهم عقابا وقوم اخفوا لله تعالى في الطاعة اعمالا فاخفى الله تعالى
لهم ثوابا كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين السر بالسر والعلانية بالعلانية
وقوله تعالى واخر من شكله ازواج معناه بالوحدان فالمعنى وعذاب اخر من الضرب المشابه للاول
الوان من العذاب وهذا كما يقال عذاب فلان اضرب وكذا ضروب شتى ومن قرا واخر بالجمع
فالمعنى وانواع اخر من شكله واخر لا ينصرف لان واحده لا ينصرف وهو اخر واخرى بخلاف الجمع
والمستعمل الواحد خفرة وسترة وقوله تعالى هذا فوج مقتحم اي يقال لهم هذا فوج داخل
معكم وذلك انهم يساقون الى النار فوجا فوجا فيقال القادتهم ورؤسائهم هؤلاء الاتباع داخلون
معكم والاقتحام الدخول في الشي بشدة وصعوبة وقال الحسن رضي الله عنه الفوج الاول
بنو ابليس والاخر بنو ادم وقوله تعالى لا مرحبا بهم اي يقول الاولون لخزنة النار لا مرحبا
بالذين يدخلون معنا ونحن في هذا الضيق فيقول لهم الخزنة انهم صالوا النار اي داخلوها
معكم ويقول الاتباع لرؤسائهم بل انتم لا وسع الله تعالى عليكم مكانكم انتم سرعتم سبب
هذا العذاب لنا يقول الله عز وجل فبئس القرار بئس المكان ما هم فيه **قوله عز وجل**
قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار
معناه قالت القادة والاتباع يا ربنا من سبب لنا سبب هذا العذاب قبلنا فزده عذابا ضعفا مما
علينا من العذاب وهذا نظير قوله تعالى وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من
الجن والانس الى قوله الاسفلين وقال الحسن رضي الله عنه ما من احد من اهل النار الا وهو
يعرف يوم القيمة شيطانه الذي يضله ويوسوس اليه في الدنيا وقوله تعالى وقالوا ما لنا لا
نرى رجالا معناه انهم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم وهم المؤمنون
فيقولون ما لنا لا نراهم وكنا في الدنيا نعدهم من السفلة وذلك انهم كانوا يقولون وهم في
الدنيا انظروا الى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم يطلبون بذلك النعيم بعد الفنا فهذا معنى قولهم
كنا نعدهم من الاشرار وقوله تعالى اتخذناهم سخريا اي يقولون قد اتخذناهم سخريا ام
مالت ابصارنا عنهم فلم نكن نعدهم شيا قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت
عنهم ابصارهم محقرة لهم ومن قرا اتخذناهم بقطع الالف وفتحها فهو على الاستفهام كانهم
ينكرون ذلك على انفسهم وهم في الاخرة يقولون سخريا لهم وزاغت ابصارنا عنهم لضعفهم
فيقولون ما لنا لا نراهم الم يدخلوا معنا في النار ام دخلوا ولكن لا نراهم وفي السخري قرائتان
من قرا بضم السين فهو من التسخير اي استذللناهم وتسخرناهم ومن قرا بالكسر فهو من السخرية وهو
الهزء وقوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار معناه ان الذي وصف عنهم لصدق كائن

وانه

وانه ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار **قوله عز وجل** قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار معناه قل لهم يا محمد انما انا رسول معلم موضع
المخافة لتحذروها وما من اله الا الله الواحد لا شريك له القهار الغالب على خلقه رب السموات والارض خالقهما
وخالق ما بينهما المنتقم ممن لا يؤمن به المتجاوز عن من تاب وامن به **قوله عز وجل** قل هو نبأ عظيم
انتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
معناه قل لهم يا محمد هذا القران الذي اتيتكم به خبر عظيم الشأن والشرف انتم عن تدبره والعمل
به معرضون ويقال معناه امر القيامة امر عظيم انتم عن الاستعداد له معرضون ويقال النبأ الذي اتيتكم
به من قصة ادم عليه السلام وابليس دليل واضح على نبوتي لان ذلك لا يعلم الا بوحي من الله تعالى
اذ قال ربك للملائكة اي ما علمت ذلك الا بوحي من الله تعالى وفي قوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
الاستدلال على هذا المعنى وهو المراد بالاختصام فان الملائكة عليهم السلام لما قال لهم اني جاعل في
الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقد تقدم الكلام في وجه الاختصام في القدر وفي الاية
قول اخر وهو الاحسن ان الملائكة انما يختصمون فيما بينهم فيما طريقه الاجتهاد كما يتناظر فقهاء بني ادم
في مسائل الاجتهاد بالاجتهاد ويسمى ذلك اختصاما وفي الجملة يجوز ان تختصم الملائكة في [illegible] وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقال انهم يختصمون في الكفارات والدرجات
فقيل يا رسول الله ما الكفارات فقال اسباغ الوضوء في السبرات فقيل وما الدرجات قال المشي في
ظلم الليل الى الجماعات وقوله تعالى ان يوحى الي معناه ما يوحى الي هذا القران الا اني نذير مبين ويجوز
ان يكون المعنى ما يوحى الي الا الانذار **قوله عز وجل** اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين بين الله سبحانه في هذه الايات ما كان في ابتداء خلق ادم عليه السلام وامر الملائكة
بالسجود تشريفا واكراما لمن اكرمه الله تعالى وقد تقدم الكلام في مثل هذه الايات من قبل **قوله
عز وجل** قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير
منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين المعنى
والله اعلم قال الله تعالى يا ابليس ما منعك عن السجود لمن توليت خلقه من غير واسطة وسبب جعلته في خلقه
كالولاد التي تؤدي الى ذلك بعد تقدم العلوق ونقل النطفة الى العلقة ثم الى المضغة ثم الى العظام والتثنية
في قوله بيدي للمبالغة في تحقيق الاضافة الى الله تعالى وفي ذلك بيان ان الله تعالى تولى خلقه لا ان امره
كان عن سبب ادى اليه وهذا كما قال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور اراد بالتثنية
تحقيق الاغاثة وقال اخر ابى بعد بلائي عنه اذ وجدته طريحا كفضل القدح لما تكسرا اراد
بهذا وصف احسانه اليه واصطناعه عنده وقال اخر بدا لك بيد قابض سينة واخرى العلا بي غا بطه وربما
لم يعمل يديه في جود يعطي عنه ولا في ضرر يلحق بعدوه ويقال هذا ما كسبت يداك اي ما كسبته انت وربما
كانت جنايته باللسان او لا يكون للرجل يدان وقد قال الله تعالى نشرا بين يدي رحمته وليس للمطر يدان
ولا شبهة في انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله بيدي الجارحتين على صورة اليدين فينا لان ذلك يوجب
التشبيه ومن يوصف بالابعاض لا يكون واحدا بل يجب ان يكون محدثا كالاجسام تعالى الله عن ذلك
ولو دلت هذه الاية على اثبات يدين على الصفة التي تقولها المشبهة لدل قوله تعالى مما عملت ايدينا على ايد
ثم لا يكون اثنتان بل ثلث ويجوز ان يكون وجه التثنية نعم الدنيا والدين او النعم الظاهرة والباطنة
وقرا الجحدري بيدي بتخفيف الياء على الواحد بمعنى القدرة وقد تذكر اليد بمعنى القدرة ايضا كما قال الشاعر
واذا رايت المرء يشعب امره شعب العصا ويلج في العصيان فاعمد لما تعلو فما لك بالذي

لا تستطيع من الامور بعدان . واما قوله تعالى استكبرت فمعناه قال له رفعت نفسك فوق قدرك ام كنت من الذين علوا في المنزلة عن السجود لمثله قال ابليس لم ارفع نفسي فوق قدري ولكني خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والنار في نفسها مضيئة والطين شيء مظلم وكان هذا القول جهلا منه لما قدمناه من ان نفع التراب اعم واعظم مع ان الشرف لا يكون بالاصل والافعال والاعتقاد لا الاصل فان التفاوت في بني ادم تفاوت كثير وان كان اصلهم واحدا وقوله تعالى فاخرج منها قيل من السما وقيل من الجنة وقيل امر بالخروج من الارض الى جزائر البحور والرجيم هو المرمي يجري مجرى الحجر من الخزي والغضب وقيل في معناه انه مرجوم اذا رجع الى السما بالشهب التي يرجم بها الشياطين **قوله عز وجل** قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين معناه قال ابليس يا رب فاجعلني الى يوم يبعث الناس من قبورهم اراد الخبيث ان لا يذوق الموت فقيل له انك من المنظرين اي من المؤجلين الى وقت النفخة الاولى فلم يجبه الله تعالى الى ما سال ولم يعرفه ذلك الوقت لانه لا يحسن في الحكمة تعريف المكلف وقت موته وقوله تعالى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين معناه قال ابليس فبعزتك لادعونهم الى الغواية ولاضلنهم الا عبادك الذين اخلصتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم فاستثنى المخلصين لاياسه منهم ان يقبلوا منه وقوله تعالى قال فالحق يجوز ان يكون معناه فالحق لاملان كما يقال حقا لافعلن كذا وقوله تعالى والحق اقول اعتراض بين الكلامين ويجوز ان يكون معناه سافعل الحق في امرك ومن قرا فالحق بالرفع فهو كما يقال الحق لا قولن وغيره صادقه لاتينك وقوله تعالى لاملان تهديد له بهذا الحق وزجر لبني ادم في اتباعهم قال الحسن من كان لا يعلم ان النار تمتلي من رجل واحد لو لم يعض الله تعالى غيره لم يعرف النار ومن لا يعلم ان الخلق لو اطلعوا الله تعالى لوسعتهم الجنة كما يسع الرجل الواحد فهو لا يعرف الجنة وهذا اشارة الى ان الله تعالى خلق من جهنم القدر الذي يمتلي باهل العقاب اذ لا فايدة في الزيادة على ذلك بخلاف الجنة لان الزيادة فيها لاهل الجنة فان قيل لم جاز ان يعلم ابليس انه من اهل النار وفي ذلك بعث له على القبايح قيل ان عليه حجة في عقله ان يستنقض مما يوجب العقاب فلم يكن هذا باعثا له على القبيح بالزجر بالعقاب الزايد عليه فان قيل كيف انظره الله تعالى مع علمه انه لا يومن ابدا ويغوي الناس قيل انما نظره لما في بقايه من العبرة والمصلحة باظهار المتقين الذين لا يقبلون منه وساوسه للخلايق ولانه تعالى يعلم ان في ذريته من يومن ويدعوا الى الخير كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعانه يعني النبي صلى الله عليه وسلم على بعض الشياطين حتى اسلم **قوله عز وجل** قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين معناه قل لهم يا محمد ما اسالكم على ما ادعوكم اليه من الايمان من جعل ولم اتكلف دعاكم اليه من تلقا نفسي وما هذا القران الا عظة للخلايق ولتعلمن خبره انه حق بعد زمان فمنهم من علم في حياته ومنهم من علم حين نزل به الموت والتكلف تحمل الكلفة لم يكلف حملها وعن ابي ابن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عليه السلام حسنات وعصم من ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا

سورة الزمر مكية الا قوله تعالى قل يا

عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فان ذلك نزل بالمدينة وعدد اي السورة سبعون واثنان عند البصريين وثلث عند الشاميين وخمس عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له

الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا سبحانه هو الله الواحد القهار معناه هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز بالنقمة لمن لا يومن به الحكيم في امره وقضايه امر ان لا يعبدوا غيره فاستقيموا على ذلك واستمعوا له ويجوز ان يكون تنزيل رفعا على الابتدا وخبره من الله ليس هو من قبل غير الله تعالى وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب اي انزلت اليك هذا القران بدين الحق فاعبد الله تعالى وحده لا كما عليه عباد الاوثان فاعبد الله مخلصا له العبادة وفي هذا اثبات للتوحيد ونفي الشرك وقوله تعالى الا لله الدين الخالص معناه ان العبادة الخالصة لله تعالى وفي هذا بيان ان غير الخالص لا يكون لله تعالى وان من عبد غيره لم يكن مخلصا ثم بين بقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا اي ان الذين يعبدون الاوثان او الملايكة او الشمس والقمر والنجوم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قربى معبودكم ويشفعون لنا وحذف يقولون من هذه الاية لان الحذف في مثل هذا احسن لانه ازجر وابلغ اذ كانت حالهم كالناطقة حالهم بهذا ونظير هذا قوله تعالى والملايكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم وقوله تعالى ان الله يحكم بينهم في معنى الجواب لما قبله يقول يقضي بين المحق والمبطل يوم القيمة فيما هم فيه يختلفون من الدين ثم اعلم سبحانه انه لا يهدي اوليك لكذبهم وكفرهم فقال عز من قائل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي لا يلطف له ولا يمدحه ولا يثني عليه ولا يرشده الى ثوابه وكرامته ولم يرد بهذا نفي الهداية التي هي الدلالة لانه تعالى واما ثمود فهديناهم وقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ لنفسه ولدا كما زعم بعض الكفار ان الملايكة بنات الله لما اقتصر على الادون من البنات دون الاعلى من الذكران وهذا كما قال تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا وقال الكم الذكر وله الانثى وقال ام له البنات ولكم البنون وقيل في معنى الاية لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما قالت النصارى في المسيح واليهود في عزير لاختار خلقا افضل من عيسى وعزير وابعد من ان يكون ادنى الادميين وقوله سبحانه اي تنزيها له من كل صفة لا يكون هي من ارفع الصفات هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا شبه كمثله القهار الغالب على خلقه الذي لا يحتاج الى الولد ولا ظهير ثم بين تعالى على ما يدل على توحيده فقال عز من قايل خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار معناه خلق السموات والارض لغرض الخلق واقامة الحق لا للعبث وابطال يدير الليل على النهار ويدير النهار على الليل ويدخل كل واحد منهما على الاخر بزيد من ساعات احدهما في ساعات الاخر والتكوير هو ادارة الشي على الشي على وجه الاسراع ومنه كور العمامة ويقال كار الفرس اذا اسرع في سيره فقال تعالى في اية اخرى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وقد يسمى الزيادة كورا كما ورد في الدعا اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة وقوله تعالى الا هو العزيز الغفار اي اعلم ان خالق هذه الاشيا هو الغالب على كل شي المنجا ونزع من تاب وامن به **قوله عز وجل** خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور معناه خلقكم من نفس ادم عليه السلام وحدها ثم خلق منها زوجها حوا من ضلع من اضلاعه القصرى بعد ما خلقها واحدا ويجوز ان يكون معنى ثم هاهنا للترادف في الاخبار كما يقول الرجل اخبرتك اليوم بكذا ثم اخبرتك

ثم الى امتك بالامتنان بكذا فلم يفعله وقوله تعالى وانزل لكم من الانعام معناه خلق لكم من كل صنف من الابل والبقر والضان والمعز زوجين اثنين ذكرا وانثى فسمى الخلق انزالا على معنى ان الخلق منه وان هذه الانعام لا تقوم الا بالنبات ولا يكون النبات الا بالمطر الذي انزله الله تعالى وهذا كما قال تعالى قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعلوم ان عين اللباس لا ينزل من السما وانما اللباس من القطن الذي هو من الما وذهب بعضهم الى ان الله تعالى انزل من السما من الانعام ثمانية ازواج كما انزل كبش ابرهيم عليه السلام من الجنة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم اي يخلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال تعالى في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة الى اخر الاية وقوله تعالى في ظلمات ثلث اراد به ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ويقال اراد به الاصلاب والرحم والبطن وعن الحسن رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى ان الله تعالى يرزق الولد من عرق من عروق امه ولو وصل اليه الطعام والشراب لهلك وقوله تعالى ذلكم الله ربكم معناه الذي يفعل مثل هذه الافاعيل هو الله ربكم له الملك الدايم الذي لا يزول ولا اله الا هو فانى تصرفون اي فانى تصرفون بعد هذا البيان والبرهان ان تكفروا فان الله تعالى غني عنكم لم يامركم بالايمان من حاجة من جلب منفعة او دفع مضرة وانما امركم به لينفعكم ولا يرضى لعباده الكفر اي لا يقبل ذلك منكم وان تشكروا يقبله منكم ولا توخذ نفس بذنب غيرها ثم الى ربكم مرجعكم في الاخرة فيجازيكم بما كنتم تعملون في الدنيا انه عليم بعزايم القلوب فيجازيكم عليها كما يجازيكم على افعال الجوارح الظاهرة **قوله عز وجل** واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت انا الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب يقول واذا اصاب الانسان يعني الكافر شدة في عيشه او بلا في جسده دعا ربه سبحانه راجعا اليه بقلبه ثم اذا اعطاه الله تعالى نعمة واذهب عنه الضر الذي نزل به نسي الذي كان يدعوا الله تعالى اليه من قبل وضرب لله امثالا ونظرا ليصير به الى الضلال وليضل الناس عن دين الله تعالى قل له يا محمد تمتع بكفرك في الدنيا يسيرا انك من اصحاب النار في الاخرة فما ينفعك التمتع القليل والدنيا والخول في اللغة هو ما اعطاه الله تعالى الانسان من العبيد والنعم وغيرها يقال هو خول فلان اذا اتخذهم كالعبيد وقهرهم واما قوله تعالى امن هو قانت فهو جواب الاستفهام لان ام يدل على الاستفهام فيه فالمعنى انت خير ام من هو قانت ويجوز ان يكون قوله انك في معنى الاستفهام كانه قال انك من اصحاب النار ام من هو قانت ويجوز ان يكون ام بمنزلة الف الاستفهام والجواب متروك وتقديره امن هو قانت لله تعالى كمن تقدم ذكره ممن جعل لله تعالى اندادا ويقرا امن بتخفيف الميم وتاويله هذا الذي ذكرناه وهذا كما قال الشاعر

فاقسم لو شي اتانا رسوله ۞ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ۞

فحذف لدفعناه وهو الجواب ويحتمل ان يكون وجه قراة التخفيف النداء لان العرب تنادي بالف مقصورة كقولك اصاح يعني يا صاح فيكون المعنى على هذا مردودا على ما قبله بالدعا وهذا كما يقال فلان لا يصوم ولا يصلي فيا من هو قانت انا الليل والقانت المواظب على طاعة الله القايم بما يجب عليه من امر الله تعالى وانا الليل ساعاته واحدها انى وانا وانى وقوله تعالى ساجدا وقايما نصب على الحال اي في حال ساجدا وتارة قايما يفعل ذلك حذرا من العقاب وطمعا في الثواب كما قال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقول لا يستوي العالم والجاهل وكذلك لا يستوي المطيع

والعاصي

والعاصي انما يتعظ بمواعظ الله تعالى ذووا العقول من الناس **قوله عز وجل** قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قيل ان المراد بالحسنة في الاية الجنة في الاخرة للمحسنين في الدنيا وقيل هي الصحة والعافية في الدنيا وقوله تعالى وارض الله واسعة اشعار بانه لا عذر لاحد في ترك طاعة الله تعالى لكونه بارض لا يتمكن فيها من ذلك ولذلك امر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة الى المدينة وقوله تعالى انما يوفى الصابرون اي يعطون اجرهم كاملا على صبرهم على البلا وهجران الاهل والوطن بغير وزن ولا مقدار وذلك ان الله تعالى يعطيهم ما يستحقون ويزيدهم تفضلا ولو لم يعطوا الا ما يستحقون لكان ذلك بحساب والصبر من الطاعات التي لا يطلع عليها احد الا الله تعالى وهو كالصوم الذي هو لله تعالى كما ورد في الحديث يقول الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به **قوله عز وجل** قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم معناه قل لهم يا محمد اني امرت في القران بتوحيد الله والزام الخلق كلهم بذلك وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل هذا الزمان وذلك ان اهل مكة كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم الى دين ابايه فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذه الايات **قوله عز وجل** قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وذلك ان اهل مكة كانوا يعيرون المهاجرين من المومنين بما فعلوا من ترك ديارهم واموالهم وانتقالهم الى ارض الغربة حتى هاجر بعضهم الى ارض الحبشة فانزل الله تعالى فيهم وتوعدهم على عبادة الاصنام بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه وبين ان الخاسر من خسر نفسه واهله يوم القيمة وخسران النفس هلاكها بالعذاب وخسران الاهل ان لا يبقى لهم اهل ويقال خسران الاهل ان يخسروا اهليهم من الحور العين التي اعدت لهم في الجنة ان لو اسلموا وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل اراد به اطباقا في جهنم يقول لهم الذين قذفوا انفسهم بين اطباقها واحاطت بهم النار من كل جانب فلهم ظلل من فوق روسهم ومن تحتهم ظلل لمن يكون اسفل منهم ويقال انما سمي ما تحتهم ظللا لانه ينقلب عليهم وذلك الذي وصف من العذاب يخوف الله به عباده يا عباد فاتقوا عذابي بامتثال اوامري **قوله عز وجل** والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب معناه والذين اجتنبوا كل ما يعبد من دون الله تعالى ورجعوا الى الله تعالى بقلوبهم وافعالهم لهم البشرى بالجنة فبشر عباد الذين يستمعون القران فيعملون باحسن ما فيه وذلك لان القران يشتمل على ذكر المباحات والطاعات والمباحات حسنة والطاعات احسن واستحقاق الثواب يتعلق بفعل الاحسن ويجوز ان يكون معنى الايات ان العفو عن القصاص احسن من استيفا القصاص والصبر احسن من الانتصار كما قال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال عز من قايل ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له فجعل الاخذ باحسن الطريقين اعظم للثواب وقوله تعالى اولئك الذين هداهم الله اي الذين وصفناهم هم الذين وفقهم الله تعالى للصواب وهم ذووا العقول من الناس **قوله عز وجل** افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد يقول افمن وجب عليه كلمة العذاب بكفره كمن ليس كذلك في معلوم ربه جل ثناؤه افانت تنقذ من في النار لا تنقذه وكل استفهام يقتضي جوابا ويجوز ان يكون حرف الاستفهام لمعنى

الحرف الواحد فاعاده الثاني تاكيدا للاول كما في قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا الى اخر الاية وقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم اي الذين اطاعوا ربهم لهم في الجنة غرف اي منازل رفيعة من فوقها منازل ارفع منها تجري من تحت اشجارها ومساكنها الانهار وعد الله ذلك لهم وعد الا يخلف الله الميعاد **قوله عز وجل** الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب معناه الم تعلم ان الله انزل من السما المطر فاجراه ينابيع في الارض وذلك ان اصل المياه التي في الارض من السما كما قال الله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض والينابيع جمع الينبوع وهو المنبع الذي ينبع منه الما من العيون والانهار والزرع المختلف الالوان هو ما ينبت بالمطر من بين احمر واصفر وابيض واخضر ثم يجف وييبس فتراه مصفرا بعد خضرته ثم يجعله الله تعالى حطاما منكسرا ان في ما ذكر من صنع الله تعالى وقدرته لدلالة لذوي العقول على سرعة زوال الدنيا وعلى قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت **قوله عز وجل** افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين يقول افمن وسع الله صدره لقبول الاسلام فهو على بيان وحجة من ربه يبصر به الحق من الباطل كمن طبع الله على قلبه فلم يهتد للحق لقسوته فويل للشديدة قلوبهم وقوله تعالى من ذكر الله يجوز ان يكون معناه انه كلما تلي عليهم ذكر الله تعالى قست قلوبهم كما في قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ويجوز ان يكون معناه عن ذكر الله اي عن قبوله وحروف الصفات تقام بعضها مقام بعض وقوله تعالى اولئك في ضلال مبين ظاهر **قوله عز وجل** الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشا ومن يضلل الله فما له من هاد معناه الله نزل القران الذي هو احسن الحديث وقوله تعالى كتابا منصوب على البدل من احسن الحديث ومتشابها اي يشبه بعضه بعضا في كونه حكمة ومصلحة وفي انه حق لا تناقض فيه وقوله تعالى مثاني اي مكرر الانبا والقصص للابلاغ والتاكيد وتثني تلاوته في الصلوة وفي غيرها فلا يمل من سماعه فتقشعر منه اي من ايات الوعيد والعذاب جلود الذين يخافون ربهم والاقشعرار ان يقف شعر الانسان وينقبض جلده نحو ما يكون اذا الذعر لا ذعر او سمع ما يعظم عليه وقوله تعالى ثم تلين جلودهم اي تسكن رعدة اعضايهم اذا سمعوا ايات الرحمة ونظير هذا قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقوله تعالى وتطمين قلوبهم بذكر الله فمدحهم على الوجل في احدى الايتين وعلى الطمانينة في الاية الثانية ووجه التوفيق بينهما ما قلناه انهم اذا نظروا الى المعاصي وعلموا عقابها وجلت قلوبهم واذا نظروا الى رحمة الله تعالى سكنت قلوبهم وقوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشا قال الحسن رضي الله عنه اصابوا ما اصابوا بهداية الله تعالى ولولا هداية الله تعالى ما اصابوا **قوله عز وجل** افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان الكافر يلقى في النار مغلولا يداه الى العنق لا يتهيا له ان يتقي النار الا بوجهه فكان معنى الاية افمن يتقي بوجهه شدة العذاب يوم القيمة كمن يدخل الجنة ويتلذذ بنعيمها وقوله تعالى وقيل للظالمين اي يقال لهم يومئذ ذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون في الدنيا من الكفر والمعاصي وفي قوله تعالى كذب الذين من قبلهم تحذير لكفار مكة لئلا يسلكوا

طريقة من قبلهم فينزل بهم من العذاب مما نزل عن قبلهم ولعذاب الاخرة اعظم من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون الفرق بين العذاب والعذاب **قوله عز وجل** ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون معناه بينا للناس في هذا القران من كل وجه مما يحتاجون اليه لكي يتعظوا فيومنوا وقوله قرانا عربيا نصب على الحال كما يقال جاني زيد رجلا صالحا وجاني عمرو انسانا عاقلا فذكر رجلا وانسانا توكيدا وفي الاية تشريف لغة العرب على غيرها ولذلك اختارها الله تعالى لاهل الجنة وقوله تعالى غير ذي عوج اي غير ذي تضاد واختلاف ولا يخالف الكتب المنزلة قبله **قوله عز وجل** ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون معناه وصف الله تعالى مثل الهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى يقول الذي يعبد الهة شتى في اختلافهم وتشاكسهم وتشرسهم والذي يعبد ربا واحدا يكون خالصا في عبادته اياه هل يستويان في المثل فكما لا يستوي هذان فكذا لا يستوي الرجل الموحد الذي لا يعبد الا الله تعالى لا اله غيره ولا شريك ولا يلتفت في عبادة ربه شريك والرجل المشرك الذي كثر اربابه وكل يقول انا احق به لا يستويان فشبه الرجل المومن بالعبد الخالص لمولاه بخدمته وهو يقوم بتعهده والانفاق عليه وشبه الكافر الذي يعبد صنما ومثل ذلك الصنم اصناما بالعبد الذي يكون مملوكا لقوم بخلا متجاذبة اخلاقهم يكلفونه ما لا يطيق يامره احدهم بشي وينهاه الاخر عنه فاذا الامر الى الانفاق وكله كل واحد منهم الى الاخر ونظير هذا قوله عز وجل في سورة يوسف عليه السلام يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار واما قوله تعالى الحمد لله معناه الشكر لله تعالى على هذا البيان وعلى ان النعم كلها من الله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون حقيقة العلم وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون معناه انك يا محمد ستموت وانهم سيموتون ثم انكم في عرصات القيمة تختصمون في الموضع الذي لا يكون الحكم فيه الا لله تعالى يختصم فيه المومنون والكافرون والظالمون والمظلومون **قوله عز وجل** فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون يقول اي احد اظلم ممن اختلق على الله الكذب فجعل له شريكا وولدا ومن كذب بالقران اذ جاءه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى للكافرين لفظ استفهام ومعنى التقرير والتحقيق اي مثواهم جهنم وقوله تعالى والذي جاء بالصدق قيل ان المراد به جبريل عليه السلام ومن صدق به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الذي جاء بالصدق هو النبي صلى الله عليه وسلم والذي صدق به ابو بكر رضي الله عنه كان يصدقه في كل ما اخبر به فلذلك سمي صديقا والاولى ان يحمل الذي على الجنس فيدخل في ذلك الانبياء صلوات الله عليهم والمومنون كلهم وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقوله تعالى اولئك هم المتقون صفة المصدق والصدق به وقوله تعالى لهم ما يشاؤون عند ربهم من ابلغ صفات ما يكون لهم في الجنة ذلك الذي اعد لهم فيها ثواب المحسنين في القول والعمل وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا اي ليكفر الله عنهم اقبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا ويجزيهم اجورا عملهم اضعاف ما كانوا يعملون في الدنيا ووصف الاجر بالاحسن لان اعمالهم تنقضي وثواب الله تعالى دايم لا ينقطع **قوله عز وجل** اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام

وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا تزال تشتم الهتنا وتعيبها فالهتنا
لا تصيبك بشي يخبلك فانزل الله تعالى هذه الاية وفي اولها دليل النصر وانه سبحانه يظهره على الدين
كله وفي قوله تعالى ويخوفونك تعجيب من صنيعهم اذ كانوا يخوفونه ما لا يجاد ولا يخافون من خالق
الارض والسما وهو يخوفهم من عقابه قوله عز وجل ولين سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او
ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم
وذلك انهم مع دعايهم الى عبادة غير الله تعالى يقرون بان الله تعالى خالق هذه الاشيا فجعل الله تعالى
اقرارهم بذلك حجة عليهم وبين انه تعالى اذا اراد بعبد ضرا لم تقدر الاصنام على دفعه واذا اراد بعبد رحمة لم تقدر
الاصنام على حبسها عنه فكيف يعبدونها ويتركون عبادة الله تعالى الذي له هذه الصفات ثم
قال قل حسبي الله اي قل يكفيني الله تعالى الذي له هذه الصفات بدفع الضر والرحمة به يثق
الواثقون لا بغيره ثم اوعدهم بعد قيام الحجة عليهم فقال عز من قايل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
يقول على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها اني عامل على ناحيتي وجهتي فستعلمون من ياتيه عذاب يفضحه
ويهلكه في الدنيا وينزل عليه عذاب دايم في الاخرة ويجوز ان يكون قوله تعالى من ياتيه عذاب ابتدا
كلام الله تعالى وخبره يخزيه ويحل عليه قوله عز وجل انا انزلنا عليك الكتاب للناس
بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل معناه انزلنا
عليك القران للناس ليعملوا بما فيه بالقسط فانذرهم به فمن اهتدى فمنفعة اهتدايه راجع الى
نفسه ومن ضل فضرر ضلاله راجع اليه وما انت عليهم بحفيظ تجبرهم على الايمان وهذا كان قبل ان
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ثم امر بذلك قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون معناه ان الله تعالى يقبض الارواح التي يكون بها الحيوة عند انقضا اجالها
ويقبض الارواح التي لم تمت في منامها فيحبس الارواح التي قضى عليها الموت ولا يردها الى اجسادها
ويرد ارواح النايمين اليهم عند الانتباه الى الاجل المسمى الذي قدره الله تعالى لهم ان في رد
الارواح بعد القبض لعلامات لقوم يتفكرون في قدرة الله تعالى على البعث وذلك ان الانسان
اذا نام عزب عنه عقله وفهمه وتمييزه ثم يحييه الله تعالى فيعود كما كان فكذلك الموتى وعن عبد الله
بن جريج عن ابن عباس انه قال ان النفس التي هي العقل والتمييز وشعاع الروح الذي به تحركه والنفس
مثل شعاع الشمس فاذا نام العبد قبض الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه واذا مات قبض نفسه وروحه
وفي هذا بيان ان النايم يقبض عند نومه منه شي كان في دماغه ونواحي ظهره فاذا قبض منه فقد
حبس عن التصرف كما حبس عن الميت ولا يمتنع ان يعطف توفي البعض على توفي الكل لاشتراكهما في
ان ذلك كله قبض شي من بدن الحي عنده تمنع تصرفه في امور نفسه وعن محمد بن المنكدر رحمه الله قال
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة فقال النوم اخو الموت واهل الجنة لا ينامون
ولا يموتون ويقال ان الانسان له نفس وروح وحيوة والبهايم لها ارواح وحيوة والنبات له حيوة
فنما النبات بحيوته وتحرك البهايم بارواحها وتميز الانسان بنفسه قوله عز وجل ام اتخذوا
من دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون شيا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك
السموات والارض ثم اليه ترجعون المعنى اتتفكرون في ايات الله تعالى وتتوكلون عليه ام اتخذوا
من دون الله تعالى الهة تعبدونها طمعا في شفاعتها قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم اتعبدونهم وان

كانوا

كانوا لا يقدرون على الشفاعة ولا يعقلون الشفاعة فكيف يشفعون ولا بد للشفيع من قدرة
على الشفاعة ومعرفته بحال المشفوع له والمشفوع اليه ثم بين ان عبادتهم للاصنام ان كانت لاجل الشفاعة
فالله تعالى اولى ان يعبد لانه هو المالك للشفاعة وهو مالك السموات والارض لا يشفع عنده الا
باذنه والى موضع جزايه مرجع الخلايق قوله عز وجل واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب
الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وذلك ان المشركين
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله وحده نفروا من ذلك واذا ذكرت لهم اصنامهم فرحوا
بذكرها فقيل قل لهم يا محمد اللهم فاطر السموات والارض اي خالق السموات والارض
عالم الغيب ما غاب عن العباد وما علمه العباد انت تقضي بين عبادك فيما كانوا فيه من الدين
يختلفون وذكر ان الربيع ابن خثيم كان لا يتكلم الا فيما يعنيه فلما كان اليوم الذي قتل فيه
الحسين بن علي رضوان الله عليهما اتاه قوم وقالوا لنا انه اليوم يتكلم فقالوا لو كان من الامر كيت
وكيت فرفع راسه الى السما وقال اللهم فاطر السموات والارض وقرا الاية ثم سكت فما زاد حرفا
قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سو العذاب
يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا
به يستهزءون معناه ولو كان للذين ظلموا انفسهم وغيرهم ما في الارض جميعا من المال ومثله معه
لجعلوها فدا لانفسهم لشدة ما ينزل بهم من العذاب ثم لا يقبل منهم الفدا وظهر لهم من عقاب الله
تعالى ما لم يكونوا يتوقعون في الدنيا انه ينزل بهم في الاخرة وذلك انهم لما كانوا لا يقرون
بالبعث والنشور كانوا لا يتوقعون اهوال يوم القيمة بل كانوا ينتظرون ثواب الله تعالى ان
لو قامت القيمة كما اخبر الله عنهم بقوله تعالى وما اظن الساعة قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وقوله تعالى ولين رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذا راوا العذاب فقد
بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وظهر لهم عقوبات ما كسبوا من المعاصي وحل بهم جزا
استهزايهم بالكتاب والرسول قوله عز وجل فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة
منا قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فاصابهم سيات ما كسبوا والذين ظلموا من
هولا سيصيبهم سيات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن
يشا ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يقول اذا اصاب
الانسان مكروه دعانا لنكشف عنه ثم اذا اعطيناه نعيما من قبلنا صحة وعافية ويسرا بعد شدة قال
انما اعطيته على علم الله تعالى اني اهل لذلك او قال على علم مني بوجوه مكاسبه بل هي النعمة
والشدة بلية وامتحان من الله تعالى للغني بالشكر وللفقير بالصبر ولكن اكثرهم لا يعلمون
انهما من الله تعالى للتشديد في التعبد ولو علموا لنسبوا النعم الى الله تعالى كما فزعوا عند الضر
اليه والمناقضة في الفعل اقبح من المناقضة في القول وقد قال هذه المقالة التي قالها هولا القوم الذين
كانوا من قبلهم فما نفعهم ما كانوا يجمعون من الاموال فاصابهم جزا ما اكتسبوا من المعاصي والذين
ظلموا من هولا سيصيبهم جزا ما قالوا وعملوا واجمعوا وما هم بفايتين من عذاب الله تعالى اليه مرجعهم
او لم يعلموا ان الله يوسع الرزق على من يشا ويضيق على من يشا كل ذلك من عنده لاجل الانسان وقوله
لا يكون كونه وحيوته وصحته ومرضه وعقله بقوة نفسه وحوله نفسه ان في البسط والتقتير لايات
لقوم يصدقون انه امر الله تعالى قوله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم

لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا
له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم
العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين
أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من
المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين **روي** عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات نزلت في وحشي وأصحابه الذين قتلوا حمزة عم النبي صلى
الله عليه وسلم وجماعة من المؤمنين أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا يطلبون التوبة
من الله تعالى فأنزل الله تعالى هذه الآيات ومعناها قل يا عبادي الذين جاوزوا الحد في المعاصي
بالكفر والزنا والقتل ونحوها لا تيأسوا من روح الله تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعا الصغائر
والكبائر إنه هو الغفور لمن تاب والرحيم لمن مات على التوبة وعن سعيد بن المسيب رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تاب العبد من ذنوبه تاب الله عليه وأنسى الحفظة
ما علموا منه وقيل للأرض وجوارحه اكتمي عليه مساويه ولا تظهري عليه أحدا وقوله تعالى
وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له معناه وارجعوا إلى طاعة ربكم بالتوبة واستسلموا له من قبل أن يأتيكم
عذاب الله ولا تمتنعون مما يراد بكم واتبعوا القرآن الذي هو أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة وأنتم لا تعلمون وقت مجيئه حين يفجأكم وقوله تعالى أن تقول
نفس يا حسرتى معناه حذار أن تصيروا إلى حالة تتحسرون فيها على التفريط فيما يأتيكم به ثواب الله
تعالى وذلك معنى قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله والجنب في اللغة معظم الشيء وأكثره
ومن ذلك يقال كسبت هذا المال في جنب فلان أي بمكانه وظله وهذا قليل في جنب مودتك
وقوله تعالى وإن كنت لمن الساخرين معناه وما كنت إلا من المستهزئين لمن دعاني إلى التوحيد
وقوله تعالى أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين معناه وحذار أن تقول لو أن الله نجاني
من العذاب لكنت من جملة المتقين ونظير هذا قوله تعالى مخبرا عن أهل النار لو هدانا الله لهديناكم
أي لو نجانا الله لنجيناكم وقال الحسن رضي الله عنه في معنى هذه الآية لو أن الله هداني بالإجبار
عليه لكنت من المتقين وقوله تعالى أو تقول حين ترى العذاب معناه ولأن لا تقول حين ترى
العذاب لو أن لي رجعة إلى دار الدنيا فأكون من الموحدين وفي هذه الآيات بيان ما يظهر من
القوم عند حلول العذاب بهم من هذه الأقوال التي هي نهاية ما يظهره المستعتب النادم وقوله
تعالى بلى جواب النفي وليس فيما قبله لفظ النفي ولكن معنى لو أن الله هداني ولو أن لي كرة ما
هديت فقيل بلى قد جاءتك كتابي ورسولي فكذبت بالكتاب والرسول وتعظمت عن الإقرار بذلك
وصرت من الجاحدين بنعم الله تعالى فأصابك ما أصابك بجنايتك على نفسك قوله تعالى ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين
اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد
السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون المعنى وترى يا محمد في يوم القيامة
الذين كذبوا على الله في قولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وقول من قال الملائكة بنات الله وقول
عبدة الأصنام ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى تراهم مسودة وجوههم وتزرق أعينهم القراءة في هذا
بالرفع على الابتداء والخبر كما يقال يوم الجمعة ترى فلانا علامة سمعه ولو قرئ وجوههم بالنصب على البدل
من الذين كذبوا لشاع في الكلام على معنى وترى وجوه الذين كذبوا مسودة وعن الحسن رضي الله
عنه أنه قال ليعرف من يصلي منهم بصوم فيخ ويجعل البر فيسود الله تعالى وجوههم يوم القيامة بكذبهم على الله يعني

أهل الإجبار والمشبهة وكل من وصف الله تعالى بصفة لا تليق به وقوله تعالى أليس في جهنم
مثوى تحقيق وتقرير والمثوى هو المنزل والمتكبر هو المتعظم عن الإيمان وقوله تعالى وينجي
الله الذين اتقوا بمفازتهم أي يخلصهم من العذاب بفوزهم الذي استحقوه بأعمالهم ويقرأ
بمفازاتهم أي بأعمالهم التي فازوا بها والمفازة المنجاة يكون مصدرا ويكون مكانا ويسمى
المفازة مفازة على سبيل التفاؤل وقوله تعالى الله خالق كل شيء بيان استحقاق العبادة وقوله
تعالى وهو على كل شيء وكيل أي حفيظ مدبر كفيل بالأرزاق له مقاليد السموات والأرض أي
خزائن السموات والأرض يفتح الرزق لمن يشاء ويغلقه عمن يشاء وواحد المقاليد مقليد كما يقال
منديل ومناديل ويجوز أن يكون المقاليد جمع إقلاد والإقلاد مفعال من القلادة أي هو
مالك الخلق ولم طاعتهم وبيده قلوبهم **قوله عز وجل** قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد
وكن من الشاكرين وذلك أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم استلم بعض آلهتنا
ونؤمن بإلهك فأنزل الله تعالى هذه الآيات والمعنى أتأمروني أن أعبد غير الله تعالى أيها الجاهلون
بالله ونعمته وحذف إحدى النونين من تأمروني وأقيم التشديد مقامها وفي قوله تعالى لئن
أشركت ليحبطن عملك بيان أن من أشرك بالله حبط عمله وإن كان ذلك كعلاقتهم بالنبوة الداعي
إلى الله تعالى في عظيم المنزلة قوله تعالى بل الله فاعبد معناه وقدس فاعبد الله وكن من الشاكرين
لإنعامه عليك **قوله عز وجل** وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون معناه وما عرفوا الله تعالى حق معرفته
وما عظموه حق تعظيمه إذ عبدوا الأوثان من دونه وإذ دعوك إلى عبادة غيره معه يقال قدرت
الشيء قدره إذا عرفت مقداره وصفته وقوله تعالى والأرض جميعا قبضته معناه وجميع الأرض
في مقدرته يوم القيامة كالذي يقبض عليه القابض في قبضته وهذا كما يقال فلان في قبضة فلان
وبلد كذا في قبضة فلان أي تحت أمره وملكه وقدرته وقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه
نظير قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب واليمين هاهنا إنما ذكرت للمبالغة في
الاقتدار يقال هذا ما ملكت يمينك وهذا ملك اليمين ويراد به دخوله تحت التصرف وقد تذكر اليمين
بمعنى القوة كما قال الشاعر إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين ويقال إن اليمين
هاهنا بمعنى القسم كأنه سبحانه أقسم بجلاله وعزته ليطوين السموات **قوله عز وجل** ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون
قد ذكرنا أن النفخ نفختان في قول أكثر المفسرين وبينهما أربعون سنة أما النفخة الأولى هي نفخة
الصعق والصعق الموت بصيحة شديدة وحالة هائلة ومنه الصواعق وهي التي تأتي في شدة الرعد وقوله
تعالى إلا من شاء الله أراد به الملك الذي ينفخ في الصور ثم يميته الله تعالى من بعد وقال الحسن رضي الله
عنه أراد به طوائف من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش فإنهم لا يموتون
في النفخة الأولى ثم يميتهم الله تعالى فيقول لمن الملك اليوم فيقول لله الواحد القهار وقوله تعالى فإذا
هم قيام ينظرون أي قيام من القبور ينظرون ماذا يقال لهم **قوله عز وجل** وأشرقت
الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون معناه وأضاءت الأرض يومئذ بعدل ربها فسمي العدل
نورا كما سمي النبي نورا وسمي القرآن نورا ويقال إن نور الأرض بالعدل كما أن نور الدين بالعلم
ونور العلم بالعمل وقال بعضهم يخلق الله تعالى نورا يومئذ يضيء به أهل القيامة غير الشمس والقمر

ويقال الائما قال ذلك لان ارض القيمة بيضا لم يعص الله تعالى عليها وقوله تعالى ووضع الكتاب اريد به صحايف الاعمال والشهداهم الذين يشهدون للانبيا صلوات الله عليهم بالتبليغ وعلى من كذب بالتكذيب ويقال الشهدا هم الحفظة ويقال هم الذين استشهدوا وقوله تعالى وقضي بينهم بالحق يقول بين الرسل والامم بالعدل لا ينقص من حسنات احد ولا يزاد على سيات احد وقوله تعالى ووفيت كل نفس اي اعطيت كل نفس برة وفاجرة جزا ما عملت من خير او شر وهو اعلم بافعالهم **قوله عز وجل** وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقا يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبرين وذلك انهم يساقون الى جهنم فوجا فوجا الاول فالاول حتى اذا جاوها فتحت لهم ابوابها عند مجيهم وقال لهم خزنتها وهم الزبانية الم ياتكم رسل منكم يقرون عليكم ايات ربكم ويخوفونكم لقا هذا اليوم قالوا بلى قد اتونا بالرسالة ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين بالكتب والرسل فتقول لهم الزبانية ادخلوا ابواب جهنم الى اخر الاية والزمر هي الجماعات التي لها صوت ومنه مزامير داود عليه السلام وهي اصوات مستحسنة **قوله عز وجل** وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشا فنعم اجر العاملين وذلك ان المتقين ينطلق بهم الى الجنة فوجا فوجا باللطف والاكرام كما يفعل بمن يسبق الى الخير والسوق في اللغة الحث على الخير ومن ذلك يقال لهذا الكلا يجري على سياقة واحدة ومنه السوق لان المعاملة تساق فيها بالبيع والشرا ومنه الساق لان به ينساق البدن وقوله تعالى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها احسن ما قيل فيه ان جواب اذا محذوف والمعنى حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وسلم عليهم خزنتها ساروا الى السعادة ووصلوا الى مقصودهم ويقال في معنى هذه الاية حتى اذا جاوها وقد فتحت لهم ابوابها قبل ذلك فوقع مجيهم مع فتح ابوابها بخلاف ابواب النار لاهل النار ويقال ان دخول الواو ها هنا وسقوط الواو فيما تقدم من ذكر ابواب النار اشارة الى الفرق بين ابواب الجنة وابواب النار في العدد ويقال ان الواو ها هنا مسقط والمعنى حتى اذا جاوها فتحت ابوابها ومعنى قوله طبتم ظفرتم بمصالح اعمالكم وكنتم طيبين في الدنيا لا اصحاب الخبايث ويقال في معناه طابت لكم الجنة وقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده معناه انهم يقولون حين يدخلون الجنة الحمد لله الذي انجز لنا وعده واورثنا ارض الجنة واحلنا الامر بعد منها حيث نشا فنعم ثواب العاملين لله تعالى في الدنيا **قوله عز وجل** وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين معناه وترى الملايكة محدقين حول العرش يسبحون الله تعالى بحمده اجلالا لعظمته وقضي بين الخلايق بالحق قيل ان المراد بهذا انهم بعد المحاسبة ينصرف بعضهم من بعض ويقال لهم بعد الفراغ الحمد لله رب العالمين وذلك ان الله تعالى ابتدا خلق الاشيا بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض فلما افنى الخلق ثم بعثهم فاستقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ختم بقوله الحمد لله رب العالمين وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الزمر اعطاه الله تعالى ثواب الخايفين الذين خافوا الله تعالى ولم يقطع رجاه يوم القيمة وبالله التوفيق

سورة المومن كلها مكية وهي ثمانون واثنان عند البصريين

وخمس عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير **روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الحواميم في القران مثل الحبرات في الثياب وعنه عليه السلام انه قال من اراد ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الحم ديباج القران وقد اختلفوا في تفسير حم **روي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هو اسم الله تعالى الاعظم وعن مجاهد ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لغتنا قال بدو اسما وفواتح سور وعن هذا قيل انه اسم السورة كانه قال هذه السورة تنزيل الكتاب قال الشاعر يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم ومن قرا حم بفتح الميم فعلى معنى اتل حم وحم من الاسما العجمية نحو هابيل وقابيل ويجوز ان يكون الفتح لالتقا الساكنين وعن عكرمة رضي الله عنه ان الر وحم ون حروف الرحمن ويقال هذا قسم اقسم الله تعالى به ويقال معناه حم اي قضي ما هو كاين الى يوم القيمة قال الشاعر الا يا لقومي كما حم واقع وليس لامر رحمة الله دافع وقوله تعالى تنزيل الكتاب اي تنزيل القران من عند الله المنيع الغالب العالم بمن يومن وبمن لا يومن غافر الذنب ساتره وقابل التوب ممن تاب من الشرك شديد العقاب لمن مات على الشرك ذي الفضل والمن على عباده ولا معبود للخلق سواه اليه مصير من امن ومصير من لم يومن وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان عمر رضي الله عنه سال عن اخوانه الذين كانوا بالشام فقال لما فعل اخي فلان قالوا ذاك اخو الشيطان يخالط اهل الشرب وجفا اصحابه فقال اذا اخرجتم الى الشام فاذنوني فلما اراد والخروج اعلموه فكتب اليه من عبد الله عمر بن الخطاب امير المومنين الى فلان بن فلان بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله تعالى قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى اليه المصير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فلما جاه الكتاب قالوا كتب اليك امير المومنين قال فما كتب الي عمر فوالله ما اعلم لعمر رضي الله عنه الي من حاجة قالوا اقرا كتابك ايها الرجل فلما قرا العزيز العليم قال عليم بما اصنع غافر الذنب ان استغفرته غفر لي قابل التوب ان انابت يقبلني تويتي شديد العقاب ان لم افعل لبعاقبني ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم قال صدق الله ونصح عمر فما فلبط نفسه حسنه الى ان مات **قوله عز وجل** ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمات ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار معناه ما يخاصم في ايات الله بتكذيبها والطعن فيها الا الذين كفروا بالله فلا يغررك ذهابهم ومجيهم في الاسفار بالتجارة فانهم ليسوا على شي وانما يمهلهم الله تعالى لمصلحة توجب ذلك فياخذهم كما اخذ من قبلهم كذبت قبل قومك قوم نوح نوحا عليه السلام والاحزاب من بعد قوم نوح كذبوا رسلهم كما كذبك قومك وهمت كل امة برسولهم لياخذوه فيقتلوه وخاصموا الرسل بالباطل ليبطلوا به الحق الذي جات به الرسل فاخذتهم بعقوبة الاستيصال فكيف كان عقابي لهم وكما حقت كلمة ربك عليهم بالعذاب في الدنيا حقت عليهم كلمته انهم اصحاب النار في الاخرة **قوله عز وجل** الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابايهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم

السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم معناه ان الذين
يحملون العرش من الملائكة ومن حوله من الطائفين به منهم ينزهون الله تعالى من كل صفة
لا يليق به ويعظمونه ويحمدونه على نعامه ويصدقون بكل اموره ويسالون منه
المغفرة للمؤمنين يقولون ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شي فاغفر للذين تابوا عن
الشرك والمعصية واتبعوا الطريق الذي دعوتهم اليه وادفع عنهم عذاب الجحيم يا ربنا وادخلهم
بساتين الاقامة التي وعدتهم في الكتب على السنة الرسل وادخل معهم من صلح من اباهم ونسابهم
واولادهم انك انت العزيز في ملكك وسلطانك الحكيم في امرك وقضايك وادفع عنهم
عقوبة السيئات ومن يدفع عنه عقوبة السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو النجاة الكبرى فيه
وانما انتصب قوله رحمة وعلما على جهة التمييز فان الفعل من هذا انتقل الى الموصوف على وجه
المبالغة كما تقدم في قوله تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا كان معناه فان طابت
انفسهن بشي منه وكذلك في قوله تعالى وضاق بهم ذرعا فان قيل اي فايدة في اخبار الله
تعالى بان الملائكة يستغفرون لنا فكيف امرهم الله تعالى بذلك قلنا فايدته الفة المحبة بيننا
وبينهم وانما امرهم الله تعالى بذلك تفضلا على المؤمنين وامرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نصلي
ونستغفر للمؤمنين وامرنا ان نصلي عليه **قوله عز وجل** ان الذين كفروا ينادون لمقت
الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير وذلك ان الكفار لما دخلوا النار مقتوا انفسهم
ومقت بعضهم بعضا لاشتغالهم في الدنيا بما قادهم الى النار فينادون وهم في النار لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم يقول لمقت الله تعالى اياكم في الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم اذ
اختلفوا
كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
في هاتين الاماتتين الاماتة الاولى حين كانوا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله تعالى والاماتة
الثانية في الدنيا عند انتهاء اجالهم ثم احياهم الله تعالى للبعث كانهم قالوا خلقتنا امواتا فاحييتنا
ثم امتنا ثم احييتنا ونظير هذا قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال
بعضهم اراد بالموتة الاولى التي يكون عند قبض الارواح وبالموتة الثانية الموتة التي يكون بعد الاحيا
في القبر للمسايلة واراد بالاحيا الاول الاحيا في القبر وبالاحيا الثاني الاحيا للبعث وقوله
تعالى فاعترفنا بذنوبنا اي اقررنا بانعامك علينا ونفوذ قضايك فينا واقررنا بذنوب انفسنا
فهل الى الخروج من النار من طريق نؤمن بك ونرجع الى طاعتك فيجابون بان ليس لهم الى خروج
من سبيل ويقال لهم ذلكم العذاب في النار والمقت بانكم اذا قيل لكم في الدنيا قولوا لا اله الا
الله كفرتم وان يشرك بالله صدقتم فالحكم لله العلي في سلطانه الكبير في رفعته وعظمته **قوله
عز وجل** هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون معناه هو الذي يريكم دلايل توحيده وينزل لكم
من السما المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتعظ بالقران الا من يرجع الى دلالة الله تعالى
ويتدبرها ويقبل على طاعته فاعبدوا الله مخلصين له في العبادة ولو كره الكافرون ذلك منكم
قوله عز وجل رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر
يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب معناه رافع الدرجات في الجنة

بعضها

بعضها فوق بعض رب العرش وما لكه ينزل الوحي بامره على من يشاء من عباده من يختصه
بالنبوة والرسالة ليحذرهم الله بما ينزل من الوحي ويقال ليحذرهم الملقى اليه الوحي يوم القيمة
وانما سمي يوم التلاق لانه يلتقي فيه اهل السما واهل الارض ويلتقي جميع اهل الارض فيه من
المؤمنين والكافرين والظالمين والمظلومين يوم هم خارجون من مواضعهم من الارض
والبحار وحواصل الطير وبطون السباع لا يخفى على الله منهم ولا من اعمالهم شي يقال في ذلك اليوم
لمن الملك اليوم فيقول الخلق كلهم لله الواحد القهار والغالب في قوله تعالى لمن الملك اليوم الرب
المخلوق انه لا ملك يومئذ الا الله ويقال ان الله تعالى هو الذي يجيب يومئذ بقوله تعالى لله
الواحد القهار وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال الحمد لله الذي تعزز
بالقدرة وقهر العباد بالموت نظر الله تعالى اليه ومن نظر الله تعالى اليه لم يعذبه ويستغفر له كل ملك
في السما وكل ملك في الارض وقوله تعالى اليوم تجزى كل نفس اي توفر على كل نفس جزا ما عملت من
خير او شر لا ظلم اليوم من احد على احد ان الله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع يحاسبهم جميعا
في ساعة واحدة يظن كل واحد منهم انه هو المحاسب دون غيره **قوله عز وجل** وانذرهم
يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشي ان الله
هو السميع البصير معناه وحذرهم يوم القيمة وسميت ازفة من ازف الامر اذا قرب فالقيمة ازفة
لسرعة مجيها وقوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين اي حين تجي القلوب فتبلغ وجيبها
الى الحلاقيم وذلك ان القلب بين طبقتي الرية فاذا انتفخت الرية عند الفزع رفعت القلب حتى
يبلغ الحنجرة فيلتصق بالحنجرة لا يقدر صاحبه على ان يرده الى مكانه ولا على ان يلفظه فيستريح
وهو نظير قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقوله
تعالى كاظمين اراد باصحاب القلوب يترددون غيظهم وحسراتهم في اجوافهم لا يقدرون على ان
يذاكروا احدا حتى يسهل ذلك عليهم ولا على ان يصبروا والكاظم هو الذي يمتلي اسفا وغيظا
ومن ذلك كظم القربة وهو سد راسها بجلس ما فيها وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع
اي من قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع ذلك الشفيع فيهم وقوله تعالى يعلم خائنة الاعين يجوز ان
تكون الخائنة هاهنا مصدرا على فاعلة كالعاقبة والكاذبة ويجوز ان يكون المراد به العين الخائنة
من الاعين التي تجازى بخيانة الاعين فكيف بما فوقها كما قال في اية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد
كل اوليك كان عنه مسولا وخيانة الاعين همز الرجل بعينه ومسارقة النظر بعد مرة واغماضها فيما لا
يرضى الله تعالى وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى وعليك الثانية واراد بقوله صلى الله عليه وسلم لك الاولى اذا وقع نظره على موضع
لا يجوز النظر اليه لا عن تعمد منه فانه لا يكون اثما في ذلك وانما ياثم اذا اعاد النظر ثانية وقوله
تعالى وما تخفي الصدور معناه ويعلم ما تضمر الصدور عند خيانة الاعين وقوله تعالى والله
يقضي بالحق اي يحكم بالقسط والعدل لا يمنع احدا من ثواب عمله ولا يعاقبه على ذنب لم يكسبه والذين
تدعون من دون الله تعالى من الاصنام لا ينفعون من اطاعهم ولا يضرون من عصاهم ان الله هو السميع
لمقالتهم البصير بهم وباعمالهم **قوله عز وجل** اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله
انه قوي شديد العقاب معناه ما تقدم ذكره في مواضع **قوله عز وجل** ولقد ارسلنا

موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال اراد بالايات التسع التي اعطاها الله تعالى موسى عليه السلام والسلطان المبين الحجج الظاهرة وانما خص فرعون وهامان وقارون بالذكر لانهم كانوا هم المتبوعين وفي ذكر المتبوعين ذكر التابعين وكذاب فعال من الكذب وهو كثير الكذب وقوله تعالى قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه اي قال فرعون واشياعه اعيدوا عليهم قتل الابناء واستبقاء النساء للخدمة وذلك انه كان امر بقتلهم حين كان اخبر انه يولد من بني اسرائيل مولود يذهب ملكه على يده فلما جاءهم موسى عليه السلام بالحق امر باعادة ذلك عليهم كي لا يبلغ الابناء فيمتنعوا عليهم وقوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال اي لم ينفعهم شيء مما كانوا يصنعون

قوله عز وجل وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وذلك ان قوم فرعون كانوا يقولون لا ترجه واخاه ولا تقتلهما فانك ان قتلتهما قبل ظهور حجتنا عليهما وقع للناس الشبهة في انهما كانا على الحق ولم يكونا ... فقد خلك قال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه حتى يدفع ذلك عنه ثم بين لاي معنى قتله فقال اني اخاف ان يبدل دينكم يعني دينكم الحق بدينه الباطل او ان يكثر اتباعه فيظهرون الدعاء الى دينه فجعل ظهور الفساد في اظهار دينه وقال موسى اني عذت بربي وربكم اي اعتصمت بربي وربكم من كل متعظم عن قبول الحق لا يصدق بيوم الحساب

قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب اختلفوا في المراد بالرجل المؤمن فقال بعضهم وهو الاظهر الاشهر انه كان من القبط وكان ابن عم فرعون اسمه خربيل وكان ولي عهده من بعده وكان يكتم ايمانه على وجه التقية ومن هذا استدل على ان كتمان الايمان على وجه التقية مما لا يضر وقال بعضهم كان هذا الرجل اسرائيليا يكتم ايمانه من ال فرعون فان قيل ما معنى قوله يصبكم بعض الذي يعدكم وكان من الواجب ان يصيبهم جميع الذي يعدهم اذ لا يجوز ان يكون مخبر نبي من الانبياء عليهم السلام بخلاف خبره قلنا قد اختلفوا في هذا قال بعضهم انما ذكر البعض على طريق المظاهرة في الحجاج كانه قال لهم اقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقد يذكر البعض بمعنى الكل كما في قوله ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال الشاعر

قد يدرك المتاني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال بعضهم كان موسى عليه السلام يعدهم العذاب في الدنيا والاخرة وكانوا لا يقرون بالاخرة فيكون معنى الاية يصبكم ما يعدكم من العذاب في العاجل كما اصاب من قبلكم وقال بعضهم كان موسى عليه السلام يعدهم العذاب على الكفر وغيره من المعاصي ومعلوم انهم كانوا يكونون في ذلك في احوال مختلفة فيصير تقدير الاية يصبكم في بعض الاحوال على بعض المعاصي ما وعد على ذلك الفعل من العذاب في تلك الحالة فان قيل كيف قال ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وقد هدى الله سبحانه كثيرا من المسرفين الكذابين قلنا اختلفوا في معناه قال بعضهم ان الله تعالى لا يلطف للمسرفين اللطف الذي يختص به من يطلب الهداية كما قال تعالى في اية اخرى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم ان الله لا يهدي في الاخرة الى جنته وثوابه من هو متجاوز عن الحد في المعصية

ونظير هذا

ونظير هذا قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم اي يثيبهم على ايمانهم بدليل انه قال من بعد تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم وفي الجملة لا يجوز ان يكون المراد بهذه الاية ان يسلب الله تعالى من العبد القدرة على الايمان لانه قد هدى كثيرا من المشركين ولا يجوز ان يكون مخبر الله تعالى بخلاف خبره

قوله عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد معناه وقال لهم الرجل المؤمن على وجه النصيحة لهم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين اي غالبين مستعلين فمن يمنعنا من عذاب الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم وما اشير عليكم الا ما اراه حقا من الصواب في امر موسى عليه السلام وما ادعوكم الا طريق الهدى

قوله عز وجل وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد معناه وقال لهم الرجل المؤمن اني اخاف عليكم على قتله وترك الايمان به ان ينزل بكم من العذاب ما نزل بالامم الماضية قبلكم حين كذبوا رسلهم والله تعالى لا ياخذ احدا من العباد بالعقوبة بلا جرم منهم وقوله تعالى ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد والاصل في التناد التنادي باثبات الياء كما في التناجي والتقاضي الا ان الياء حذفت منه كما حذفت من قوله تعالى يوم يدع الداع وما اشبه ذلك وسمي يوم القيامة بهذا الاسم لانه يوم ينادي فيه اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي فيه اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ويقال ان الكفار ينادون على انفسهم باللوم والثبور والويل كما قال سبحانه لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ويقال لانه يدعى فيه كل الناس بامامهم ومن قرا التناد بتشديد الدال فمعناه التنافر يقال ند البعير اذا نفر وكان القوم ينفرون حين يرون العذاب وقوله تعالى يوم تولون مدبرين قيل في معناه فارين غير معجزين وقيل منصرفين الى النار وقوله تعالى ما لكم من الله من عاصم اي مانع والمعصوم هو الممنوع باللطف عن مواقعة المعصية

قوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار معناه وقال لهم ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل هذا بالدلالات الظاهرة على وحدانية الله تعالى وصدق نبوته فما زلتم في شك من ذلك حتى اذا مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يهلك الله تعالى من هو متجاوز عن الحد في المعاصي شاك في امر الدين وقوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله معناه الذين يخاصمون في حجج الله تعالى بالطعن فيها والتكذيب بها بغير حجة اتتهم من الله تعالى عظم جدالهم بغضا وسخطا عند الله تعالى وعند المؤمنين كذلك يختم الله على كل قلب متكبر عن الايمان جبار على الناس وانما اضاف الفعل الى القلب على قراءة من قرا قلب بالتنوين لان الافعال انما يكون مبتداها من القلب واذا طرح القلب تعدى الى الاعضاء الظاهرة

قوله عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب معناه قال لوزيره هامان ابن لي قصرا منيفا مشيدا كما قال في موضع اخر فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا وكان هامان هو اول

من طبخ الآجر لبنا الصرح ولذلك يكرهون بنا القبر بالآجر وانما سمي القصر الذي يكون بهذه الصفة صرحا لظهوره للناس على بعد ومنه صرح اللفظ لظهور معناه من غير بيان وقوله تعالى ابلغ الاسباب قال بعضهم طرائق السموات والسبب في الحقيقة كل ما يوصل الى الشي ولذلك يسمى الحبل سببا لانه يتوصل به الى الاشيا وقال بعضهم اسباب السموات طبقات السموات وقوله تعالى فاطلع الى اله موسى كان ظنا من فرعون بجهله ظن ان اله موسى ممن يرتقي اليه ظن انه اذا كان اله في السما كان قاعدا فيه ثم لما توهم فرعون ان احدا من قومه يعتقد بقوله هذا ان موسى يقول له هذا صادق جعل يستدرك القول بقوله من بعد واني لاظنه كاذبا وقوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله معناه هكذا حسن له قبيح عمله زين له الشيطان وزين له جهله هذا اذا قرى زين بضم الزاي على فعل ما لم يسم فاعله ومن قرا زين بنصب الزاي فهو على ان المعاصي يدعو بعضها الى البعض وقوله تعالى وصد بضم الصاد معناه منع عن سبيل الحق ومن قرا بفتح الصاد احتمل ان يكون معناه صد غيره عن طريق الهدى واحتمل انه صد بنفسه والتبا هو الهلاك على الانقطاع **قوله عز وجل** وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب معناه وقال الرجل المومن من آل فرعون يا قوم اتبعوني على ديني احملكم على طريق السداد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي منفعة يسيرة تنقطع وتفنى كما ينتفع بمتاع البيت مدة ثم تفنى وانما قال ذلك لهم لعلمه انهم كانوا يجحدون نبوة موسى عليه السلام بسبب المال وقوله تعالى وان الاخرة هي دار القرار اي هو المحل الذي يقع فيه الاستقرار وقوله تعالى من عمل سيئة اي من عمل معصية لا يجزى الا جزا يكون مثل تلك المعصية ومن عمل صالحا من ذكر او انثى اي طاعة وهو مع ذلك مصدق مخلص فاولئك يدخلون الجنة في الاخرة يرزقون فيها بغير حساب اي بما لا يعرف له مقدار وذلك ان الله تعالى يثيب اهل الجنة على طاعتهم بقدر ما استحقوه ثم يزيدهم تفضلا منه بما لا يدخل في الحساب ولو لم يكن لهم الا قدر ما استحقوه لكان بحساب **قوله عز وجل** ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد معناه وقال لهم الرجل المومن يا قوم ما لي ادعوكم الى سبب النجاة وتدعونني الى عمل اهل النار وذلك ان الدعا الى سبب الشي دعا الى الشي وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله كالتفسير لاول الكلام يقول يدعونني الى ان اكفر بنعم الله تعالى واشرك به بالجهل من لا اعرف له ربوبية وانا ادعوكم الى الغالب المنتقم من عصاه الغفار لمن تاب وامن وقوله تعالى لا جرم معناه حقا ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة ينتفع بها في امر الدنيا والاخرة ويقال ليس له دعوة تجب بالالهية في الدنيا والاخرة وانما تجب الدعوة لله تعالى بالالهية وقوله تعالى وان مردنا الى الله اي مرجعنا اليه في الاخرة يفصل بين المحق والمبطل وان المتجاوزين عن الحد في الكفر وسفك الدما بغير الحق هم اصحاب النار فستذكرون هذا الذي اقول لكم في يوم لا ينفعكم التذكر فيه وانا اترك امري مفوضا الى الله تعالى فانه بصير ان الله عالم باموره العباد **قوله عز وجل** فوقاه الله سيات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب

وقال

وذلك ان فرعون اراد ان يقتله فهرب منهم فلم يقدروا عليه ودفع الله تعالى عنه غائلة مكرهم ونجا مع موسى عليه السلام ونزل بفرعون وقومه اشد العذاب وقوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي تعرض ارواحهم على النار ما داموا في البرزخ غدوة وعشية الى ان تقوم الساعة فيقول لهم الملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اي اشد مما كنتم فيه ومن قرا ادخلوا بفتح الهمزة وكسر الخا فهو على جهة الامر للملائكة بادخالهم في الدرك الاسفل من النار وفي بعض التفاسير ان الله تعالى جعل ارواح آل فرعون في اجواف طير سود تعرض على النار غدوة وعشية كما جعل ارواح الشهدا في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها والغدو مصدر من غدا يغدو واذا صار الى الشي بالغداة ومنه تغدى اذا اكل بالغداة **قوله عز وجل** واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفا للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد التحاج تفاعل من الاحتجاج والتبع جمع تابع نحو غائب وغيب ويجوز ان يكون مصدرا اقيم مقام الاسم وقول المستكبرين انا كل فيها اي انا لا نغني عن انفسنا فقد استوينا في العذاب ان الله قد حكم بين العابد والمعبود وحكم بين المومنين والكافرين وحكم ان لا يحمل احد عذاب احد **قوله عز وجل** وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين الا في ضلال وذلك انه لما اشتد العذاب على اهل النار قالوا للزبانية وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهل النار ادعوا ربكم يهون علينا العذاب قدر يوم من ايام الدنيا ولا يكون هذا القول منهم على وجه الطمع في دعائهم ولكن يقولون ذلك لقلة صبرهم على العذاب فتقول الزبانية اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات بالدلالات الظاهرة على وحدانية الله تعالى فيقولون بلى قد اتتنا الرسل فتقول لهم الزبانية فادعوا انتم فان الله تعالى لم ياذن لنا في الدعا وما دعا الكافرين الا في ضياع لا ينفعهم **قوله عز وجل** انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يقول انا لنعين الرسل والمومنين على اعدائهم في الدنيا بالاستعلا عليهم بالحجة وبالغلبة عليهم في المحاربة ونعينهم يوم يقوم الاشهاد باعلا كلمتهم واظهار منزلتهم والاشهاد جمع شاهد مثل صاحب واصحاب والمراد بالاشهاد الانبيا والملائكة صلوات الله عليهم والمومنون والجوارح والمكان والزمان يشهدون بالحق لاهله وعلى المبطل بخلافه وفي ذلك سرور المحق وفضيحة المبطل في ذلك الجمع العظيم وانما لا ينفع الظالمين معذرتهم يومئذ لانهم ملجون الى ذلك كما انهم ملجون الى ترك المعصية وبيان انهم يعتذرون بالكذب يقولون والله ربنا ما كنا مشركين **قوله عز وجل** ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار معناه ولقد اعطينا موسى الدين المستقيم وتركنا على بني اسرائيل التورية والانجيل والزبور هدى من الضلالة وعظة لذوي العقول من الناس فاصبر يا محمد على اذى الكفار كما صبر اولئك الرسل عليهم السلام ان وعد الله حق لك على اعدائك صدق كائن واستغفر لذلك من تقصيرك في شكر كما انعم الله تعالى عليك وعلى اصحابك ونحو ذلك ومن المعلوم ان احدا من البشر لا يخلو من هفوات وان عصم من الكبائر ويقال في معنى قوله تعالى واستغفر لذنبك اي لذنوب امتك كانه حذف المضاف اليه واقام المضاف اليه مكانه وقوله تعالى وسبح بحمد ربك اي نزهه عن كل صفة لا تليق به واحمده على كل نعمة من نعمه ويجوز ان يكون المراد بالتسبيح في الاية من قوله تعالى بالعشي الصلوات من وقت ما بعد الزوال الى وقت العشا الاخرة ومن قوله تعالى والابكار صلوة

قوله عز وجل ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وذلك ان اليهود كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في دفع القرآن ويزعمون ان الدجال يخرج ويرجع الملك اليهم عند خروجه وكانوا يبالغون في وصف الدجال ويعظمون امره فانزل الله تعالى هذه الآية ومعنى قوله بغير سلطان اتاهم اي يخاصمون بغير حجة وتسمى الحجة سلطانا لانه يتسلط بها على ابطال الفاسد وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر معناه ما في قلوبهم الا عظمة عن قبول الحق حسدهم ما هم ببالغي تلك العظمة التي في قلوبهم لان الله تعالى مذلهم فلا يصلون الى دفع شي من آيات الله تعالى فاستعذ انت بالله تعالى من الكبر ومن شر اليهود ومن كل ما يجب الاستعاذة منه انه هو السميع لمقالتهم البصير بهم وباعمالهم وقوله تعالى لخلق السموات والارض معناه ان الذي خلق السموات والارض وهما اكبر خلقا من خلق الدجال قادر على خلق ما هو اعظم من خلق الدجال وعلى ان يمنع المسلمين من غلبته عليهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ادلة الله تعالى ولا يتدبرونها ليؤديهم ذلك الى العلم قوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يقول كما لا يستوي الاعمى والبصير والمؤمن والكافر في الدنيا كذلك لا يستوي المؤمن والكافر في الآخرة في الجزاء بالعذاب او النعيم قوله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون معناه وقال ربكم اعبدوني ووحدوني في الدعا اتقبل منكم واستمع دعاكم ان الذين يتعظمون عن طاعتي وعن المسألة سيدخلون جهنم صاغرين وقد تقدم الكلام في الدعا الذي يستحق به الاجابة انه الدعا الذي يكون على شرائط الحكمة والداخر هو الذليل الصاغر وقال حسان بن ثابت

وقتلنا من وجدنا يوم بدر ... وجينا بالاسارى داخرينا

وقوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل بيان السبب الموجب لاخلاص العبادة لله تعالى والمبصر هو الذي يبصر به لطلب المعاش وغيره كما يقال ليلك قايم ونهارك صايم وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي لذو من على الناس بما جعل لهم من الليل والنهار وغير ذلك من النعم ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعالى ذلكم الله ربكم منشي كل شي ومبدعه لا معبود للخلق سواه فلا ينبغي لاحد يدعو مخلوقا مثله وفي قوله تعالى فانى تؤفكون تعجب لصنيعهم يقول من اين تصرفون عن عبادة الله تعالى الى عبادة غيره وهذا كما يقول الرجل لآخر وهو يعظه ولا يصغي اليه اين يذهب بك يريد به اين يذهب وقوله تعالى كذلك يؤفك الذين اي هكذا كان يصرف الى الكذب القوم الذين كانوا ابدا لآيات الله يجحدون قوله عز وجل الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين معناه الله الذي خلق لكم الارض مستقرا للاحيا والاموات لم يجعلها كهيئة الجبال لا يمكن القرار عليها وجعل السما سقفا مرفوعا فوق كل شي وصوركم في الارحام فجعل صوركم احسن الصور ورزقكم من كريم الاغذية ولذيذ الاطعمة

ويقال المراد بالطيبات الحلال كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى ويقال هذا الشي يطيب لفلان ولا يطيب لفلان ويراد به الحل وقوله تعالى ذلكم الله ربكم اي الذي جعل ذلك هو الله ربكم فاشكروه فتعالى الله دايم الوجود لم يزل ولا يزال رب كل ذي روح من الجن والانس وغيرهما هو الحي بلا اول ولا آخر لم يزل كان حيا ولا يزال يكون حيا وهو منزه في ذاته عن كل الآفات وليس احد غيره من الاحيا بهذه الصفات لا يستحق الالهية غيره فوحدوه مخلصين له الطاعة واشكروه على معرفة التوحيد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اذا قال احدكم لا اله الا الله وحده فليقل في اثرها الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين اي استقيم على الاسلام ويجوز ان يكون معناه اخضع وانقاد قوله عز وجل هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون معناه هو الذي خلق اصلكم من تراب ثم خلقكم من نطفة ابائكم ثم نقلكم الى العلقة وهي الدم العبيط ثم يخرجكم من بطون امهاتكم اطفالا واحدا واحدا ولذلك وحد قوله طفلا وقال بالاخبار عن احاد الا ان الواحد يكون دالا وقد يوضع الطفل موضع الجمع كما يوضع الجمع موضع الواحد نحو الخصم والضيف والعدل وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم اي يرفقكم الى حال اجتماع القوة والكمال ثم لتصيروا شيوخا بعد الاشد ومنكم من تقبض روحه من قبل البلوغ والشيخوخة ويبقيكم لتبلغوا الاجل الذي قدره الله تعالى ويقال لتبلغوا القيمة للجزا والحساب ولكي تعقلوا وحدانية الله تعالى وتمام قدرته وكمال علمه وحكمته وتصدقوا بالبعث بعد الموت هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحيا فاذا قضى امرا من احيا او اماتة فانما يريده فيحدث قوله عز وجل الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون معناه الم تر الى الذين يخاصمون في القرآن بالرد والتكذيب كيف يصرفون الى التكذيب بعد وضوح الادلة الذين كذبوا بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الشرائع والاحكام فسوف يعلمون حين تجعل الاغلال الحديد مع السلاسل في اعناقهم يسحبون في الما الحار على وجوههم ثم يلقون في نار عظيمة ثم تقول لهم الزبانية اين الالهة التي كنتم تعبدونها وترجون منافعها وتدعونها من دون الله يولمون قلوبهم بمثل هذا التوبيخ كما يولمون ابدانهم بالتعذيب فيقول الكفار ضلت الهتنا عنا اي ضاعت فلا نراها فضلا من ان ننتفع بها ثم يجحدون عبادة الاصنام فيقولون بل لم نكن ندعوا اي نعبد من قبل هذا شيئا ويجوز ان يكون هذا كالرجل يعمل عملا لا ينتفع به فيقال له ايش تعمل فيقول لا شي وقوله تعالى كذلك يضل الله الكافرين اي هكذا يهلكهم ويضيعهم فلا ينالون نفعا من جهة من اتخذوه الها وهذا كما في قوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا في الارض اي اذا هلكنا والغل هو ما يجعل في العنق للاذلال من الحديد والخشب والسجر القا الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود ومن قرا والسلاسل بنصب اللام يسحبون بفتح اليا فهو على معنى يسحبون السلاسل ومن قرا والسلاسل بخفض اللام فمعناه اذ الاغلال في اعناقهم وفي السلاسل تضم السلاسل روسهم الى ارجلهم كما في قوله تعالى فيوخذ بالنواصي والاقدام والفرح في اللغة هو السرور اما بحق او باطل ولذلك قيد الفرح في الآية بغير الحق والمرح هو الاشر

والبطر ولا يكون ذلك الا باطلا ولذلك اطلق ذكره في الآية ومنه قوله تعالى ولا تمش في
الارض مرحا وقوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق بالنصر لك والانتقام منهم صدق كاين
فان فعل ذلك وانت حي فسترى ذلك وان نتوفينك قبل ان يريك ذلك فالى الله مرجع الكل
للمجازاة وسيصل اليهم موعودهم فانهم لا يفوتون الله وانما سمي الثبات على الحق صبرا لما
في ذلك من المشقة التي تلحق فيه كما تلحق بتجرع الشيء المر **قوله عز وجل** ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية
الا باذن الله فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون في الآية ابلاغ عذر النبي صلى الله
عليه وسلم فيما لم يأتهم به من الآيات التي كانوا يقترحونها عليه وليس علينا حصر عدد الرسل
ولكنا نؤمن بجملتهم كما قال سبحانه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله **قوله
عز وجل** الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فاي آيات الله تنكرون
أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة
وآثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون معناه الله الذي جعل لكم الابل والبقر
والغنم لتركبوا بعضها وتأكلوا لحوم بعضها ولكم فيها منافع اي من البانها واصوافها واوبارها
واشعارها وقوله تعالى ولتبلغوا عليها معناه عليها في ركوبها حاجة في قلوبكم لا تبلغونها
الا بها وعلى ظهورها في البر وعلى السفن في البحر تحملون في اسفاركم ومحالكم وتجاراتكم وقوله تعالى
ويريكم آياته اي دلائل قدرته من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والجبال والبحار والشجر
والانعام لمنافع العباد وغير ذلك كلها من آيات الله فباي آية من آيات الله تعالى تجحدون انها
ليست من الله تعالى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان خاتمة الذين من قبلهم كيف
اهلكهم الله تعالى عند تكذيبهم الرسل كانوا اكثر من اهل مكة في العدد واشد قوة في البدن
واظهر آثارا بالابنية العظيمة والقصور المشيدة والعيون المستخرجة فلم ينفعهم من عذاب الله
تعالى كثرة عددهم وشدة قوتهم وجمعهم الاموال **قوله عز وجل** فلما جاءتهم رسلهم
بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد
خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون يقول فلما جاءتهم رسلهم الذين ارسلوا اليهم بالحجج
فرحوا بالجهل الذي عندهم انه علم وقالوا نحن اعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وهذا كما يناظر
الرجل رجلا فيقول له احفظ ما عندك من العلم ويحتمل ان يكون الكناية في الفرح راجعة
الى المسلمين ثم قال وحاق بهم اي بالكفار واما قوله تعالى فلما رأوا بأسنا فالمراد به
رؤية معاينة العذاب ولا ينفع الايمان عند ذلك لكونهم مضطرين اليه وقوله تعالى وحده
نصب على المصدر وهو نصب في جميع المواضع الا في قولهم نسيج وحده وما يجري مجراه وقوله
تعالى سنة الله نصب على التحذير او على المصدر وسنة الله هي حكم الله تعالى الذي مضى في عباده
في بعث الرسل اليهم ودعائهم الى الحق وامهالهم للتوبة وترك المعاجلة بالعقوبة وان الايمان
وقت البأس لا ينفع وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة حم

السجدة مكية وهي خمسون وآيتان عند البصريين واربع

عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من
الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم
لا يسمعون قوله تعالى تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب ومعنى التنزيل المنزل كما يذكر العلم
بمعنى المعلوم والخلق بمعنى المخلوق وقوله تعالى فصلت آياته اي بينت بالامر والنهي والحلال
والحرام وبين فيها الجائز وغير الجائز والواجب من غير الواجب والحق من الباطل وقوله تعالى
قرآنا منصوب على الحال اي بينت آياته في حال جمعه على مجرى لغة العرب لمن يعلم بشيرا بالجنة
لمن اطاع الله تعالى ونذيرا بالنار لمن عصاه فاعرض اكثر اهل مكة عن الايمان به فهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فان قيل ما معنى مشاركة هذه السور السبع في اسم حم قيل للمشابهة التي
تختص به من غيرها من ان كل واحد من هذه السور استفتحت بصفة الكتاب مع تقارب المقادير
في الطول والقصر مع شدة التشاكل للكلام في النظام **قوله عز وجل** وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون وذلك ان اشراف مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا في اكنة اي في
اغطية مما تدعونا اليه من القرآن لا يصل الى قلوبنا وفي آذاننا ثقل وصمم تمنع من استماع ما يقرون
يعنون انهم في ترك القبول منه بمنزلة من لا يسمع قوله قال الاكثر جمع كنان مثل عنان واعنة وقوله
تعالى ومن بيننا وبينك حجاب اي حاجز اي حاجز في النحلة والدين فلا نوافقك في شيء فاعمل انت
على امرك في دينك اننا عاملون على امرنا قل لهم يا محمد انما انا بشر مثلكم في الخلقة والصورة لا يمكنني
ان آتي بشيء تعجزون عنه الا ان يتفضل الله تعالى به علي وانما يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك
له فاجعلوا قصدكم اليه ولا تذهبوا يمينا ولا شمالا واستغفروا الله تعالى لما مضى من ذنوبكم وجحد
وويل للمشركين اي الشدة من العذاب للمشركين الاشقياء الذين لا يؤتون الزكوة الواجبة عليهم
ولا يعطونها وقال الحسن رضي الله عنه الذين لا يعطون من انفسهم ما يصيرون به ازكياء
كانه ذهب الى ان المراد بالزكوة هاهنا زكوة البدن وهي الطهرة ويحتمل ان يكون معنى لا
يؤتون لا يقبلونها كما في قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم
يعني قبلوا الزكوة ويقال ان الزكوة قنطرة الاسلام فمن عبرها نجا وفي هذه الآية دليل على ان
الكفار يعاقبون في الآخرة على ترك الشرايع كما يعاقبون على ترك الايمان لان الله تعالى ذمهم
واوعدهم على ذلك وقال سبحانه في جواب اهل النار حين يقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم
نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين واما قوله تعالى في المؤمنين لهم اجر غير ممنون
فالممنون هو المقطوع من قولهم مننت الحبل اذا قطعته وثواب المؤمن لا ينقطع ويكتب ثواب عمله
في مرضه وهرمه وبعد موته الى يوم القيمة كما كان في صحته ويقال معنى قوله تعالى غير ممنون
لا يمن عليهم بذلك لان المنة تكدر الصنيعة **قوله عز وجل** قل أئنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال
لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى
في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم معناه قل لهم ائنكم
يا اهل مكة لتكفرون بالذي خلق الارض مع عظمها في قدر يومين يوم الاحد ويوم الاثنين
وتجعلون له اعدالا من الاصنام التي تنحتونها بايديكم ذلك الذي هذه قدرته رب كل ذي روح

وما لكم وانما قال ذلك رب العالمين وهو يجري مجرى التعريف لما تقدم في اول الاية لان دلالة
خلق الانسان على وحدانية الله تعالى ابين والى الاعتراف به اقرب وقوله تعالى وجعل فيها
رواسي من فوقها معناه وخلق فيها جبالا ثوابت اوتادا لها على وجهها في يوم الثلثا وقوله
تعالى وبارك فيها معناه وبارك في الارض بالماء والشجر والنبات والثمار ونحو ذلك بركة وقدر
فيها معايشها التي لولاها لم يعيشوا قدر اقوات كل حيوان قدر ما يكفيها بحسب الحاجة اليها وجعل
في كل ارض معيشة ليست في غيرها ليتعايشوا ويتجروا وكان تقدير الاقوات في يوم الاربعا
فتم خلق الارض بما فيها في اربعة ايام فذلك قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام
وهذا كما يقول القايل سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرت الى الكوفة في خمسة عشر يوما
يريد بالخمسة عشر كلي المسافتين ولو اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارض في لحظة واحدة
لفعل وقدر ولكنه خلقها في ستة ايام لتعتبر الملائكة ويزدادوا بصيرة في امورهم وهو جل ذكره
حكيم ذو اناة احسان يعلم الخلق الاناة في الامور وقوله تعالى سواء للسائلين يجوز ان
يكون في موضع النصب على الحال كانه قال ايام مستوية لكل من سال كيف خلقها فيقال له هكذا
خلقها ويجوز ان يكون نصبا على المصدر كانه قال استوت سواء واستواء لا زيادة فيها ولا
نقصان جوابا لمن سال عن مدة الخلق وهم اليهود الذين كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم
عن مدة خلق السموات والارض ويجوز ان يكون قوله تعالى للسائلين عايدا على تقدير الاقوات
كانه قال لكل محتاج الى القوت ومن قرا سواء بالخفض فهو صفة الايام المعنى في اربعة ايام
مستويات تامات وقوله تعالى ثم استوى الى السما معناه ثم عمد الى خلق السما وهذا على التوسع
كانه جعل القصد الى ذلك استواء اليه وقوله تعالى وهي دخان معناه انها كانت بخارا للما الذي
كان على وجه الارض وكان ذلك البخار يذهب في الهوى فخلقت السموات منه ومعنى قوله
تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها اختلفوا فيه فقال بعضهم اسمعهما الله سبحانه
كلامه كيف شا فانطقهما الله بالجواب كيف شا وقال بعضهم خلق الله تعالى الارض والسموات
فجعل خلقه لهما قولا ائتيا طوعا او كرها وهذا مشهور في كلام العرب كما قال الشاعر
فقالت له العينان سمعا وطاعة ۝ واحدرتا كالدر لما يثقب ۝ اراد بقوله فقالت له العينان
انزال الدموع ولا قول في الحقيقة ولكن ذكر القول تقريبا للافهام وكذلك قال امرؤ القيس
الا انعم صباحا ايها الربع وانطق ۝ وحدث حديث الركب ان شيت واصدق ۝ وقوله تعالى
قالتا اتينا طايعين معناه كانتا كما اراد سبحانه وانما ذكر بلفظ القول لانه وصفه بانه
امرها فكانتا ابلغ في المدح من وصفه بانه خلقها وانما ذكر بلفظ التثنية تارة وبلفظ الجمع اخرى
لان السموات والارض سيان من حيث الجنس هو الصنفين والطايفتين فقيل لهما ائتيا ثم
السموات بنفسها جماعة وكذلك الارض فلذلك قالتا اتينا طايعين وانما قال طايعين ولم يقل
طايعات لانهما جريتا في الخطاب مجرى من يعقل ويميز وهذا كما في قوله تعالى وكل في فلك
يسبحون ويقال في معنى قوله اتينا طايعين اي نحن ومن فينا طايعين وقد يكون اي معنى
قوله تعالى طوعا او كرها قال بعضهم هو تمثيل اطيعا طاعة او تكرهان كرها قال بعضهم هو
تمثيل اطيعا طاعة او تكرهان كرها فهو خطاب لسكانهما اي اسمعا طاعتهما قالتا اتينا لما امر طاعة
وقال بعضهم معناه ائتيا اشتد عليكما او لم يشتد وقد يذكر الكره بمعنى الشدة كما في قوله
تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله
تعالى طوعا او كرها قال للسموات اطلعي شمسك وقمرك ونجومك وقال للارض شققي انهارك

واخرجي

واخرجي ثمارك وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات معناه ثم خلقهن سبع سموات بعضها
فوق بعض بما فيهن من الشمس والقمر والنجوم في يوم الخميس والجمعة فتم خلق الارض والسموات
في مدة ستة ايام كما قال تعالى في اية اخرى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وقد تقدم ما في هذا من الاختلاف ان المراد به ستة ايام من ايام الدنيا او من ايام الاخرة ولفظ
القضا في اللغة بمعنى الاتمام ومن ذلك تقضا الشي اذا تم وقضى فلان اي مات لانه تم عمره
قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما ۝ داود او صنع السوابغ تبع ۝ اراد به عملهما وصنعهما
واما قوله تعالى واوحى في كل سما امرها فقد قيل في معناه واوحى الى اهل كل سما ما يصلحهم به من
امر وقيل سوى في كل سما ما يصلحها ولا يذكر الوحي بمعنى التسوية الا ان يكاد به الاسراع وقوله
تعالى وزينا السما الدنيا بمصابيح وهي النجوم وقوله تعالى وحفظا اي حفظناها بالنجوم
من استراق الشياطين للسمع فبعض النجوم زينة السما الدنيا لا تتحرك وبعضها يهتدى به في ظلمات
البر والبحر وبعضها رجوم للشياطين وعن الحسن رضي الله عنه انه قال خلق الله تعالى العرش
والما اولا ثم خلق جوهرة عليها دخان ملتزق بها ثم ميز الدخان عن الجوهرة وحمله الى الهوا ثم خلق منه
السموات ثم بسط الارض بعد ذلك كما قال الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الما وقال سبحانه والارض بعد ذلك دحاها وقال عز من قايل اولم ير الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا واما قوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم معناه ذلك الذي سبق
ذكره تقدير القادر القاهر الذي لا يخفى عليه العالم الذي لا يعتريه سهو ولا جهل احكم ذلك كله واتقنه
حتى لا يدخله الخلل مدى الدهور **قوله عز وجل** فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء
ربنا لانزل ملئكة فانا بما ارسلتم به كافرون فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا
من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا
ينصرون وذلك ان قريشا قالوا لعتبة بن ربيعة وكان من احسن الناس حديثا ائت محمدا فكلمه فاتاه
وهو في الحطيم فكلمه ولم يترك شيئا الا قاله فقرا عليه النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة فزعا
مخافة ان يصيب عليه العذاب الذي خوفه به النبي صلى الله عليه وسلم فاتى قومه مذعورا فاخبرهم
بذلك وقال والله ما اهتديت لجوابه فقال الحرث بن علقمة لقد افسد هذا الرجل دينا وفرق بين كلمتنا
[illegible] هذا الرجل [illegible] ان يكون بطن الارض خير لكم من ظاهرها وسيبين ذلك لكم
[illegible] ومعنى الاية فان اعرضوا عن الايمان بك [illegible]
تعالى اذ جاءتهم الرسل معناه جاءتهم الرسل الى من كان قبلهم [illegible] تواتر الاخبار ثم انتهى الرسل
ايضا من خلف [illegible] من كان قبلهم بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا [illegible]
من عنده فانا بما ارسلتم به كافرون [illegible]
من بين ايديهم ومن خلفهم بان الرسل اتتهم من جميع جهاتهم وقوله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض
بغير الحق اي تعظموا على الايمان بنبيهم وقالوا من اشد منا قوة [illegible] وذلك انه كانت
لهم اجسام طوال وخلق عظيم [illegible]
فصرعتهم على وجوههم [illegible]

التراب حتى أهلكهم الله تعالى وقوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم تنبيه للخلق
على خطايهم وذلك أن الخالق للشيء لا بد أن يكون قادرا على خلقه والريح الصرصر هي ريح
باردة شديدة الهبوب ذات صوت تخرق كما تخرق النار والصر هو البرد والصر صوت
الباب والأيام النحسات هي المشؤومات عليهم بالعذاب يقال يوم نحس ويوم نحس بجزم الحا
وكسرها بمعنى واحد والخزي والفضيحة والنكال لخطايهم وعذاب الآخرة أبلغ في المذلة
وأبقى وأشد لا يدفع عنهم ولا يخفف عليهم **قوله عز وجل** وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا
وكانوا يتقون معناه وأما قوم صالح فأرشدناهم بما رزقناهم من العقل وأريناهم من
الأدلة بإخراج ناقة عشراء من صخرة ملسا فاختاروا الكفر على الإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب
المذل بكفرهم وعقرهم الناقة ونجينا الذين آمنوا بصالح وكانوا يتقون الشرك والكبائر
قوله عز وجل ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون
أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى
وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين معناه وأنذرهم يوم يحشر أعداء الله إلى النار أي يجمعون
ويساقون إلى النار بالعنف فيحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ثم يقذفون في النار وقوله
تعالى حتى إذا ما جاؤوها معناه حتى إذا حضروها أي في الموضع الذي يحبسون فيه عند النار
فيعاينوها وقيل لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون جحدوا وقالوا والله ربنا ما كنا
مشركين فعند ذلك تختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم فيشهد عليهم سمعهم بما سمعوا
من الباطل وأبصارهم بما أبصروا من الباطل وتشهد عليهم كل عضو من أعضائهم بما ارتكبوا به
من المعاصي في كفرهم ويقال أراد بالجلود الفروج بعد ما يرد النطق إلى ألسنتهم لم شهدتم
علينا وعلمتم في هلاككم قالوا أنطقنا الله تعالى بالكلام وهو الذي أنطق كل شيء من الدواب
وهو خلقكم أول مرة أي ليس إنطاق الجلود بأبدع من خلقه إياكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت
وقوله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم معناه كنتم تستترون بالمعاصي عن الناس
مخافة أن يشهدوا عليكم في الدنيا وفي الآخرة ولا تستترون عن الجوارح مخافة أن يشهد
عليكم في الآخرة وأحد لا يستطيع أن يستتر من نفسه إذا عمل شيئا فإنما يكتسب المعاصي بأعضائه
فكيف يستتر من أعضائه ولكن ظننتم أي عملتم بالمعاصي عمل من يظن أن الله تعالى لا يعلم ما
يعلم في السر ويقال نزلت هذه الآية في قوم من الكفار كانوا يتسارون فقال واحد منهم أتظن
أترى أن الله تعالى يعلم أسرارنا وقوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم معناه
حملكم ذلك الظن على ما صنعتم حتى أهلككم فصرتم من المغبونين بالوزر والعقوبة وقوله
تعالى فإن يصبروا الآية يريد بالإمساك عن الاستغاثة والاستعانة دون الصبر المحمود يقول إن
يسكتوا ولا ينطقوا بشكوى وأنين فإنا منتقمون منهم وإن يطلبوا العتبى وهي الرجوع
إلى ما يطلب رضاهم ويقبل عذرهم **قوله عز وجل** وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا
خاسرين معناه سببنا لهم من حيث لا يحتسبون قرناء أي أعوانا من الشياطين فزينوا لهم ما

بين

بين أيديهم من أمر الآخرة أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا
أن لا يتقوا ولا يعطوا والتقييض في اللغة هو التبديل ومنه المقايضة مبادلة مال بمال فعلى
هذا يكون المعنى بدلناهم قرناء سوء من الجن والإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا
بمقاربتهم فلم يفعلوا ففعل الله تعالى ذلك بهم عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره هذا قوله
تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **قوله عز وجل** وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا
بآياتنا يجحدون ويقرأ في الشاذ والغوا فيه بضم الغين وفي هذا لغتان لغي يلغى ولغوا ولغا
يلغو لغوا فالقراءة المشهورة من لغي يلغى بالنصب وذلك أن رؤساء الكفار قالوا للأتباع
لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأ عليكم محمد فإذا سمعتموه يقرأ فارفعوا أصواتكم بالأشعار
والأراجيز والغطوا فيه بما تعاملونه من كلام اللغو حتى يغلبوه فيسكت يقول الله عز وجل
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا أي في الدنيا بالقتل والأسر يوم بدر وغيره ولنعاقبنهم
في الآخرة بعذاب أشد من عذابهم في الدنيا ذلك العذاب جزاء أعداء الله وقوله تعالى النار بدل من
العذاب كأنه قيل ما هو فقيل هو النار لهم في النار دار الإقامة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون
قوله عز وجل وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت
أقدامنا ليكونا من الأسفلين معناه يقول الذين كفروا في النار يا ربنا أرنا اللذين أضلانا
عن الحق قال بعضهم يريدون إبليس رأس الشياطين وقابيل أول من أحدث المعصية في بني
آدم وقال بعضهم يريدون به كل من أضلهم من الجن والإنس لأن كل إنسان له شيطانان أحدهما
من الجن والآخر من الإنس وقوله تعالى نجعلهما تحت أقدامنا أي أذلاء لهما في دركة أسفل من
دركتنا ويجوز أن يكون معناه نجعلهما تحت أقدامنا كما جعلانا في الدنيا تحت أقدامهما بما دعونا
إليه من الضلال ويقرأ أرنا بجزم الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ وعضد بجزم الخاء والضاد
والأصل في هذا كسر الراء وهو أجود لأنه كان في الأصل أرئنا فحذفت الهمزة وتركت الكسرة دليلا
عليها **قوله عز وجل** إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا
ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم
فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم معناه إن الذين وحدوا
الله تعالى ثم استقاموا على الإيمان ولم يشركوا تتنزل عليهم الملائكة عند قبض أرواحهم فيقول
لا تخافوا مما أنتم واقفون عليه ولا تحزنوا على الدنيا وأهلها فإن الله تعالى يخلفكم فيها ويقول
لهم عند خروجهم من القبور حين يرون أهوال القيامة نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة
تولينا كم وحفظنا أعمالكم ونتولاكم في الآخرة ونحفظكم ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها
ما تسألون مما يمنحكم الله تعالى لكم لأن أحدا لا يدعي في الجنة إلا ما حكم الله تعالى له وقوله تعالى
نزلا أي أنزلهم الله تعالى نزلا من غفور لمن كان كثير المغفرة رحيم بمن كان على الإيمان والتوبة
وفي الحديث يتنزلون عليهم من السماء فيقولون للرجل أما تعرفنا فيقول لا فيقولون نحن الذين
كنا نكتب عملك ويبشرونه بالجنة ولا يفارقونه ما يسأله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لما نزلت هذه الآية هذه أمتي ورب الكعبة لأن اليهود قالوا ربنا الله ثم لم يستقيموا إذ
قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا ربنا الله ثم لم يستقيموا إذ قالوا المسيح ابن الله وعن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى الاستقامة استقاموا على أداء فرائضه وعن عمر

١٢١

رضي الله عنه انه قال استقاموا في الفعل والقول ولم يروغوا روغان الثعلب ويقال ان الاستقامة
هو اخلاص الدين والعمل لله تعالى والقول الاول مروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وانما
يكون البشرى في ثلث مواطن عند الموت وفي القبر وفي البعث والفرق بين الشهوة والارادة
ان الشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة والارادة انما تستعمل في طلب ما فيه الحكمة فانك تريد
شرب الدوا الكريه ولا تشتهيه وتشتهي شرب الماء في نهار رمضان ولا تريده **قوله عز**
وجل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما
يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه هو السميع العليم معناه واي احد احسن قولا ممن دعا الى عبادة الله تعالى
وعمل خالصا فيما بينه وبين ربه واخبر الناس بانه من المسلمين قيل ان المراد بهذا هو الرسول
صلى الله عليه وسلم كما اخبر الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام وانا اول المسلمين ويدخل في
هذه الاية جميع الانبيا عليهم السلام وجميع العلما الذين يعلمون الناس امور دينهم ويدعونهم الى
طريق الاخرة بالعلم والعمل والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويقال انزلت هذه الاية
في المؤذنين الذين يدعون الى الصلوة ويصلون ما بين الاذان والاقامة وفي هذه الاية دليل
لزوم فرض الدعا الى الله تعالى لان الله تعالى جعل ذلك من احسن القول ولو لم يكن لازما لاقتضى
ان يكون النفل احسن من الفرض وذلك ممتنع وقوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
قال بعضهم المراد به كلمة الايمان وكلمة الشرك ويقال هما الطاعة والمعصية ويقال هما الخصلة
الحميدة والخصلة السيئة ودخول لا في قوله تعالى ولا السيئة على وجه التاكيد لتبعيد المساواة كما
يقال لا يساوي هذا ذاك ولا ذاك هذا قال الشاعر
ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر وقوله ادفع
بالتي هي احسن اي ادفع السفاهة والجهل بالاناة والرفق وذلك انك ربما لقيت بعض من يضمر
في نفسه عداوتك فتبداه بالسلام وتبسم في وجهه لان لك قلبه ويسلم لك صدره وذلك قوله
تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة اي اذا فعلت ذلك صار الذي يعاديك كانه صديق قريب
لك ويسمى القريب حميما لانه يحمى لما يهم صاحبه وقد ذكر الله تعالى الحاسد في سورة الفلق وامر
بالتعوذ من حسده لما يعلم ان لا حيلة في اعضائه واخراج ضغينته وقوله تعالى وما يلقاها
الا الذين صبروا يقول لما يعطى هذه الخصلة الا الذين صبروا على طاعة الله تعالى وصبروا عن معاصيه
وما يعطاها الا ذو حظ عظيم من الخير وقيل من الصبر وقيل الا ذو قدر عظيم عند الله تعالى وقوله
تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ معناه واما يلحقنك من الشيطان وسوسة عند حضوره
غيرك وعندما يدعوك الى معصية الله تعالى فتصرفك الوسوسة عن الاحتمال فاعتصم بالله تعالى
من شر الشيطان وامض على حلمك انه هو السميع لمقالة اعدائك العليم بهم وبمجازاتهم **قوله**
عز وجل ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له
بالليل والنهار وهم لا يسأمون يقول ومن اياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته الليل والنهار
بما فيهما من المنافع والمقاصد والشمس والقمر بما فيهما من الحكم والبدايع لا تعبدوا الشمس والقمر واعبدوا
الله الذي خلقهن ان كنتم تريدون بعبادة الشمس والقمر عبادة الله تعالى وذلك ان قوما
من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويزعمون انهم يتقربون بذلك الى الله تعالى فقيل لهم ان

سجده

كنتم

كنتم تريدون بذلك عبادة الله تعالى وذلك ان قوما من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويزعمون
فالسجود لخالقهما اولى من السجود لهما فان قيل ما معنى قوله تعالى خلقهن والقمر مذكر
والشمس مونث والمذكر والمونث اذا اجتمعا في كناية واحدة عبر عنهما بلفظ التذكير قلنا ان قوله
تعالى خلقهن راجع الى الايات التي سبق ذكرها في اول هذه الاية وقد يكون ضمير غير ما يعقل على لفظ
التانيث كما يقال هذه كباش قد ذبحن وهذه كباش قد ذبحت وقوله تعالى فان استكبروا معناه
فان رفعوا النفس فوق قدرها وامتنعوا عن العبادة لله تعالى فالملائكة الذين عند ربك بقرب
الكرامة والمنزلة يصلون بالليل والنهار ويسبحونه وينزهونه عن كل ما لا يليق بصفته وهم لا يملون
عن عبادته ولا يفترون وقد اختلفوا في موضع السجود من هذه السورة قال الحسن رضي الله عنه
عند قوله يعبدون وهو قول الشافعي رحمه الله وقال ابن عباس ومسروق رضي الله عنهم هو عند
قوله لا يسامون وهو قول علمائنا رحمهم الله وهذا هو الاصح لان هذا موضع تمام الكلام لانهم جميعا
اتفقوا على جواز فعلها باخرهما واختلفوا في جواز فعلها باولهما **قوله عز وجل** ومن اياته
انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه
على كل شيء قدير ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا
يوم القيمة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير معناه ومن اياته الدالة على وحدانيته وقدرته
انك ترى الارض خاشعة يابسة متغيرة فاذا انزلنا عليها المطر تحركت للنبات وانتفخت وارتفعت حين
يكاد النبات يظهر ان الذي احياها بانزال المطر عليها لمحيي الموتى في الاخرة انه على كل شيء من
الاماتة والاحيا قادر وقوله تعالى ان الذين يلحدون اي يميلون في اياتنا من جانب الحق الى جانب
الباطل لا يخفون علينا باشخاصهم وافعالهم واقوالهم وعزايمهم واللحد والالحاد بمعنى واحد وهو
الميل ومنه الملحد لعدوله عن الحق ومنه اللحد الذي في القبر لانه في جانب منه وقوله تعالى افمن يلقى
في النار خير تقرير نفي المساواة بين الفريقين وقوله تعالى اعملوا ما شئتم لفظه لفظ الامر ومعناه
التهديد والوعيد لانه قد بين لهم المجازاة على الخير والشر وهذا كما يقال للرجل نصحتك ولم ترد فلا
يقبل النصح فحينئذ يقول افعل ما شئت فانك ستعلم **قوله عز وجل** ان
الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم
اول هذه الايات محذوف الجواب المعنى ان الذين كفروا بالقران لما جاءهم كفروا بالله وسينالهم
من العذاب ما هو مذكور في الكتاب العزيز والعزيز هو الكريم على الله تعالى وقيل معناه الممتنع
لانه ممتنع على من قصد معارضته او تغييره بزيادة او نقصان وقوله تعالى لا ياتيه الباطل
كتاب يبطله لانه اخر كتب الله تعالى قبله ولا يكون بعده كتاب يبطله وقد يذكر الباطل يعني الشيطان
كما في قوله تعالى وقال الحسن رضي الله عنه لا ياتيه الباطل
فيما اخبر الله تعالى فيما تقدم ولا فيما اخبر عما يأتي تنزيل من حكيم حميد اي منزل من عالم بوجوه
الحكمة فاعل لما يجب مستحق للحمد على خلقه بانعامه عليهم وفي قوله تعالى ما يقال لك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما كان يلحقه من اذية قومه على تبليغ الوحي ويجوز ان يكون معناه
ما اقول لك ولا امرك في تبليغ الوحي والرسالة الا ما قلت للرسل قبلك
وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب وامن وذو عقاب اليم لمن مات على الكفر وفي الخبر
علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن من بعدي فقيل يا رسول الله ما المخرج
منها قال كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تعالى ومن حكم بتعين قصمه الله تعالى وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم
فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وهو الحكيم فيما بينكم لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عبره
ولا تنفنى عجائبه **قوله عز وجل** ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي
وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى
أولئك ينادون من مكان بعيد معناه ولو جعلناه قرآنا بلغة اخرى غير لغة العربية لقالوا لولا
لو بينت آياته بلغة العرب حتى نفهمه عنك من غير مترجم قوله تعالى ءاعجمي وعربي استفهام على
وجه الاستبعاد كانهم قالوا الكتاب عجمي ونبي عربي كيف يكون هذا فينكرونه اشد الانكار
يقال رجل اعجمي اذا كان لا يفصح سواء كان من العرب او من العجم ورجل عجمي اذا كان منسوبا
الى العجم وان كان فصيحا ورجل اعرابي اذا كان من اهل البادية سواء كان من العرب او لم يكن ورجل
عربي اذا كان منسوبا الى العرب وان كان غير فصيح وقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى
وشفاء بيان ان القرآن انما انزل بلغتهم هاديا من الضلالة وشافيا لما في الصدور من الشك الذي
هو المرض انزل كذلك ليكون ابلغ في الحجة واقطع للمعذرة وقوله تعالى والذين لا يؤمنون
في آذانهم وقر معناه انهم في ترك القبول بمنزلة الصم العمي وسيؤديهم تكذيبهم الى العمى ومن قرأ
عمٍ بالكسر فهو على النعت وقراءة العامة على النصب على معنى المصدر ونحوه قوله تعالى اولئك
ينادون من مكان بعيد اي يبعد عندهم من قلوبهم ما يتلى عليهم وهذا كما يقول للرجل الذي
لا يفهم عنك قولك انت تنادي من مكان بعيد وللرجل الفهم انك لتأخذ الاشياء من قريب ويقال
انهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد باشنع اسمائهم فيقال لهم يا فاسق يا منافق **قوله عز وجل**
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم
لفي شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد يقول اعطينا
موسى التوراة فاختلف فيه قومه كما اختلف قومك في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير عذاب هذه الامة الى يوم القيامة كما قال الله تعالى بل الساعة موعدهم لعذبهم بعذاب
الاستئصال وقيل اراد بسبق الكلمة الا يعذبهم وانت فيهم وقوله تعالى وانهم لفي شك معناه
ان قومك لفي شك من القرآن ظاهر الشك يقال اريبني فلان اذا رأيت منه ما تنكره وارابني اذا اوهمك
في الريبة فان قيل ما معنى قوله تعالى وما ربك بظلام والظلام فعال من الظلم وذلك يقتضي
الكثرة والله تعالى لا يظلم مثقال ذرة قلنا ان هذا السؤال انما يتوجه على من يقول بمفهوم
الخطاب ولا يقول به على ان هذا راجع الى ما قبله فيكون معنى الكلام انه بعث انسانا على طاعة
غيره او يعاقبه على خروجه عنها على ان في الآية لو جاز عليه الظلم لوقع ذلك منه عظيما لانه عالم بقبحه مستغن
عنه **قوله عز وجل** اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا
تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون
من قبل وظنوا ما لهم من محيص معناه الى الله تعالى يرد علم قيام الساعة لا يعلم متى قيامها الا الله تعالى
ولا يخبر عنه بشيء ويقال الله اعلم ثم بين ان الذي يعلم الثمار في الاكمام والاولاد في الارحام مع
غيبته عن العباد يعلم الساعة مع غيبتها ومن لا يعلم الثمار في الاكمام والاولاد في الارحام مع شدة قربه
الاكمام والامهات فلان لا يعلم الساعة ولم يشاهد شيئا منها اولى والاكمام جمع الكم وهي وعاء الثمرة واما
الكمام فجمع اكمة مثل زمام وازمة وقوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائي فيه وعيد للمشركين
الذين يشركون في عبادة الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء من لا يعلم شيئا من ذلك يقال لهم يوم القيامة
اين شركائي الذين كنتم تزعمون فيقولون آذناك اي اعلمناك وعرفنا انا كنا جهلاء في الدنيا ما منا

من شهيد يشهد لهم بانهم آلهة ويجوز ان يكون قوله تعالى قالوا آذناك من قول المعبودين ما منا من
شهيد لهم بما قالوا وقوله تعالى وضل عنهم اي ضاع عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا وايقنوا انه
لا خلاص لهم من النار **قوله تعالى عز وجل** لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس
قنوط ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ معناه
لا يمل الانسان من طلب الخير وان مسه المكاره كالامراض والاسقام والشدائد يصير ايس شيء من عود
النعمة اليه وزوال المكروه عنه فيضجر على ذلك غاية الضجر والقنوط فعول من القنط وذلك ابلغ من فعول
من اليأس فانما ذمهم على ذلك لان الياس من رحمة الله مذموم قال الله تعالى انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقوله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا اي نعمة منا من بعد مكروه مسه ليقولن
هذا لي اي بفضلي وبعملي وقوتي وبعلمي استحققته كالمنكر لانعام الله تعالى عليه وهذا انما
يعني الكافر ولذلك قال وما اظن الساعة قائمة اي القيامة كائنة ولئن رجعت الى ربي كما يقول
محمد صلى الله عليه وسلم ان لي عند الله لنعيم افضل مما اعطاني في الدنيا وقوله تعالى فلننبئن الذين
كفروا وعيد لهم **قوله عز وجل** واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر
فذو دعاء عريض معناه اذا انعمنا على الكافر اعرض عن الطاعة والشكر وتباعد عن الواجب تكبرا
واذا اصابه مكروه الدهر فهو كثير الدعاء يدعو الله تعالى ليكشف ذلك عنه ويقبل على طاعة الله
تعالى وانما لم يقل ذو دعاء طويل لان ذكر العرض ابلغ في باب الامتداد والانبساط لان العرض يدل
على الطول ولا يدل الطول على العرض **قوله عز وجل** قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط وذلك انهم
كانوا يقولون ان هذا القرآن من قبل محمد صلى الله عليه وسلم فلا نصير علينا في جحوده فقيل لهم بعد
ما قيمت الحجة عليهم ارأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به من اضل عن الحق والهدى ممن
هو في خلاف بعيد والشقاق هو المباعدة مع العداوة [illegible]
قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم قال بعضهم اراد به دلائل التوحيد من مسير النجوم
وجريان الشمس والقمر بحسب التدبير صعودا وهبوطا وطلوعا وغروبا [illegible] وما في الارض
من الجبال والاودية والانهار والاشجار وما في الانفس من آلات الغذاء ومخارج الانفاس ومجاري الدم ومواضع
العقل والفكر والفهم والآلات الكلام وقال بعضهم [illegible] كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخبرهم باشياء من مواضع بعيدة [illegible] وكانوا يبحثون ذلك فيرون كما اخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في انفسهم وكانوا يجدونه [illegible]
تعالى حتى يتبين لهم انه الحق اي ما يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق اولم يكف بربك
[illegible] على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والشهيد هو [illegible]
[illegible] الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك من البعث [illegible] الا انه بكل شيء
محيط باعمالهم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
اعطاه الله تعالى بعدد [illegible] عشر حسنات [illegible] والله ولي التوفيق **سورة الشورى مكية**
الا [illegible] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا [illegible]
نزلت بالمدينة [illegible] فانهم يعدون حم
عسق آيتين [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم
وقد تقدم الكلام في حروف الهجا ما فيه كفاية الا انه روي عن مجاهد رضي الله عنه انه كان
يقول في اول هذه السورة ان الحا حلمه والميم ملكه والعين علمه والسين سناوه والقاف
قدرته على خلقه كانه تعالى اقسم بهذه الصفات ان لا يعذب بالنار ابدا من قال لا اله الا الله مخلصا
وعن محمد بن كعب القرظي انه قال الحا من الرحمن والميم من ملك والعين من عزيز والسين من قدوس
والقاف من قاهر وعن الضحاك انه قال معناه قضى عذاب سيكون واقعا وارجو ان يكون
قد مضى يوم بدر والسنون التي اصابت اهل مكة وعن جعفر بن محمد الصادق ان الحا كل حرب
يكون والميم مسخ والعين عذاب والسين السنون والقاف قذف ومثل هذا اذا اعتبر كثير
الا ان السنة يثبت من قبل الاتباع وقوله تعالى كذلك يوحي اليك قيل ان كاف التشبيه راجعة
الى اصل الوحي يقول مثل ما اوحينا اليك بهذه السورة اوحينا الى من قبلك من الرسل وقيل انه راجعة
الى الكتاب وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ليس من نبي الا وقد اوحى الله اليه حم عسق
كما اوحى الى نبينا صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات ليس من نبي الا وقد اوحى اليه هذه السورة
بلغته ولغة قومه وقوله تعالى يوحي اليك خبار عن الحال دون الاستقبال ومن قرا يوحى اليك بنصب
الحا فاسم الله تعالى رفع مبين لما لم يسم فاعله كما قال الشاعر
ليبك يزيد ضارع لخصومة • ومختبط مما تطيح الطوايح • فبين لمن ينبغي ان يبكيه ونظير هذا
قوله تعالى يسبح له فيها بنصب البا ثم بين المسبحين بقوله تعالى رجال وانما وصف الله تعالى نفسه بالعزة
والحكمة في اخر هذه الاية لانه بعزته اصطفى للرسالة من شا وبحكمته اوحى اليه بحسب ما فيه مصالح
العباد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض اي هو خالقهما ومالكهما وهو العلي بالقهر والقدرة
الجليل الذي لا يعظم عليه الوحي الى الرسل بما فيه مصالحهم يقال ما اعظم فلانا في عين فلان اي ما اعظم
خطره عنده ويقال ادام الله عزك وعلاك ويراد به القدر والمنزلة وقوله تعالى تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن اي يتشققن من اعلاهن من استعظام كفر اهل الارض مع عظم نعمة الله تعالى
عليهم ولهذا المعنى عقبه بقوله والذين اتخذوا من دونه اوليا وقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم
اي ينزهون الله تعالى عن القول الذي تكاد السموات يتفطرن منه وقوله ويستغفرون لمن
في الارض اي يستغفرون لمن فيها من المومنين يريدون صرف العذاب عنهم ولو كانت الملائكة
يستغفرون لكل من في الارض من المومنين والكفار لكان ذلك بان يكون ... الكفر قرب فلا
يصح الا ان يراد به طلب التوفيق ومسالة الايمان لهم لكي يومنوا فيغفر لهم قوله عز وجل
والذين اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك اوحينا اليك
قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في
السعير معناه والذين اتخذوا من دون الله اربابا الله عالم بهم وباعمالهم وما انت عليهم بحفيظ توحد
مخالفتهم والولي هو الذي يلي امر غيره وقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك يقول كما انزلنا على من
قبلك بلسان قومهم انزلنا عليك بلغة العرب لتخوف بالقران اهل القرى وهي مكة وما حولها
من البلدان وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وقوله تعالى وتنذر يوم الجمع اي
يوم يجمع فيه الاولون والاخرون ليس فيه موضع شك وريب ثم اعلم ما حالهم يومئذ فقال فريق
في الجنة وفريق في السعير اي طائفة من اهل الجمع وهم المومنون يساقون الى الجنة ويساق الفرق

الى

النار ذات الوقود قوله عز وجل ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء
في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اوليا فالله هو الولي وهو يحيي الموتى
وهو على كل شيء قدير معناه ولو شاء الله لجمع الناس على دين الاسلام بان يعرفهم الحق بالاضطرار
ولكنه لم يفعل لانه اراد ان يعرضهم للثواب والالجا يمنع من ذلك وقوله تعالى والظالمون
اي الذين يظلمون انفسهم بالكفر ما لهم من قريب ينفعهم ولا مانع يمنع العذاب عنهم ثم تعجب ممن يتخذ
غير الله تعالى الهة فقال سبحانه ام اتخذوا من دونه اوليا اي اربابا ينفعونهم فالله هو القادر على
ان يتولى منافع الخلق ويدفع المضار عنهم ويحيي الموتى للبعث وهو على كل شيء من الاعانة والاحيا
قادر قوله عز وجل وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب
فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم
يقول فما اختلفتم فيه من شيء من الدين فردوا حكمه الى كتاب الله تعالى واعتمدوا الادلة دون التقليد
والشبه كما قال في اية اخرى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ويقال المراد بالحكم اظهار
المومنين على الكافرين وتمكينهم من قتلهم واسرهم ويقال المراد به حكم الامر الذي يستحق
عليه ثواب او عقاب في الاخرة وقوله تعالى ذلكم الله اي الذي ادعوكم الى عبادته هو الله ربي
عليه توكلت واليه انيب بالطاعة وهو مبدع السموات والارض ومدبرهما على ما هما عليه خلق لكم
من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وخلق لكم من الانعام ذكورا واناثا لتكمل منافعكم بها يذرؤكم
اي يخلقكم في الرحم ويقال يكثركم بالتزويج ولولاه لم يكثر الناس وقوله تعالى ليس كمثله شيء معناه
ليس مثله شيء في العلم والقدرة والتدبير لانه سبحانه متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره
وهو السميع لمقالة العباد البصير باعمالهم والكاف في قوله تعالى كمثله زايدة موكدة للتشبيه
اذ لا يجوز ان يقال ليس مثل مثله شيء لان من قال هذا فقد اثبت المثل لله تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وقد تزاد الكاف في المثل كما قال الشاعر سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم • ما ان كمثلهم في الناس من احد
وقال اخر • وصاليات ككما يوثفين • ويقال ان المثل صلة في الكلام كما يراد الوجه
والنفس في قوله تعالى الا وجهه فالوجه معناه الا هو كما يراد الوجه واليد وقوله تعالى له
مقاليد السموات والارض اي له مفاتيحهما وهو القادر على فتح الرزق بالمطر والنبات يوسع الرزق
على من يشاء ويضيق على من يشاء انه عالم بكل شيء لا يفعل ذلك جزافا ولكن يعرف كل احد على ما
توجبه الحكمة قوله عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب وذلك ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا وصاه باقام الصلوة وايتا
الزكوة والاقرار لله بالطاعة في كل شيء امره الله تعالى به فذلك دينه الذي شرع الله تعالى
لهم بتوحيد الله تعالى وكبر على المشركين ما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم اليه من خلع الانداد
ومعنى شرع بين واظهر وتخصيص الانبيا صلوات الله عليهم الذين سماهم الله تعالى في هذه الاية لانهم
اصحاب الشرايع وغيرهم كانوا اتباعا لهم والامر باقامة الدين امر بالتمسك به والعمل بموجبه كاقامة
الصلوة والنهي عن التفرق فيه امر بالاجتماع على الاعتصام بحبل الله تعالى جميعا وكان اول من اتى
بتحريم البنات والاخوات والامهات نوح عليه السلام واختلاف شرايع الانبيا عليهم السلام

بمنزلة اختلاف المصالح فيما بيننا في عبادة الطاهر والحائض والمسافر والمقيم وذلك لا يعد اختلافا في الحقيقة وقوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء اي يختار لرسالته من يشاء ممن يقتضي الحكمة اختياره واختياره كما اختار من قبلك من الانبيا صلوات الله عليهم وقوله تعالى ويهدي اليه من ينيب قال بعضهم يوفقهم بزيادة الالطاف كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم يهدي الى الجنة وثواب من يرجع الى طاعته واما الهداية التي هي الدلالة فعامة لجميع الناس وقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم اي وما اختلفوا يعني اليهود والنصارى الا من بعد ما وضح لهم امر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وانكر من انكر من علمائهم للبغي والعداوة وعلى طلب الدنيا وخافوا ان يذهب عنهم رياستهم ومآكلهم وان يصيروا اتباعا بعد ان كانوا متبوعين فتركوا اسم الاسلام وسمى كل واحد من الفريقين باسم غير الاخر ولولا حكم الله تعالى بانظارهم الى اخر اعمارهم لعاجلهم بالعقوبة وان الذين اورثوا الكتاب اي التورية من بعد انبيائهم صلوات الله عليهم واسلافهم احبارهم رضي الله عنهم لفي شك من دين الاسلام ظاهر الشك وهم المقلدون والاتباع منهم كانوا اتكلهم على احبارهم اما المعاند او التكذيب لا عن بصيرة

قوله عز وجل فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير معناه فالى ذلك اي الى الدين الذي سبق ذكره فادع وهذا كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها يعني اليها ويقال في معناه فلاجل ما وقع منهم من الشك فادع واستقم على دين الاسلام كما امرت به ولا تتبع اهواءهم في ترك التشدد عليهم في دعائهم وقل امنت بكتب الله تعالى كلها وانما قال ذلك لان الذين تفرقوا امنوا ببعض الكتب دون البعض وقوله تعالى وامرت لاعدل بينكم معناه ان اعدل كما في قوله وامرنا لنسلم وقوله تعالى الله ربنا وربكم اي في انعامه علينا وخلقه لنا جزاء اعمالنا ولكم جزاء اعمالكم لا يؤخذ احد بعمل غيره وقوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم معناه قد ظهر الحق وسقط الجدال ومع ذلك الحجة قد تبينت لكم لظهورها وثبتت بيننا وبينكم بالاشياء والالتباس وقد يكون لكم اعظم الحجة على خصمه ولكن لا يحتج بها وقت الاحتجاج لان المعاند الذي وقع له العلم لا يكون دواؤه الا السيف والسوط ولا يجوز ان يكون قوله تعالى لا حجة بيننا على جهة تحريم اقامة الحجة لانه لا يلزم قبول الدعوة الا بالحجة التي يظهر بها الحق من الباطل ويقال في معنى هذه الاية لا خصومة ولا محاجة بيننا وبينكم فكنى بالحجة عن الخصومة لان كل واحد من الخصمين يحتج في العادة على الاخر وقوله تعالى الله يجمع بيننا اي هو الذي يحكم بيننا وبينكم في الاخرة واليه المرجع في الجزاء والحساب

قوله عز وجل والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد معناه والذين يخاصمون في دين الله تعالى من بعد ظهور دلايله وهم اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وكانوا من قبل يستفتحون بالنبي صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يكون معنى من بعد ما استجيب من بعد ما استجاب بعض اسلافهم واحبارهم وقيل من بعد ما استجاب الله تعالى للرسول فيما سال من المعجزة وقوله تعالى حجتهم داحضة اي باطلة زايلة وسميت حجة لشبهها بالحجة وهي شبهة لا يؤدي الى العلم بالحق والمحاجة بالباطل هي المحاجة بمثل هذه الشبهة او بالمدافعة وقوله

تعالى

تعالى عند ربهم اي في حكم ربهم وانما قال ذلك لانها لم تكن باطلة في زعمهم **قوله عز وجل** الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز اختلفوا في انزال الميزان الحسن ومجاهد والضحاك اراد به العدل يعني امر به وانما كنى عن العدل بالميزان لان الميزان طريق معرفة العدل والمساواة وقال بعضهم انزل الميزان الذي يوزن به في زمن نوح عليه السلام ويقال معنى انزال الميزان بالهام الخلق العمل به كقوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة قريب تخويف لهم من قرب الساعة لينزجروا ولم يعلم قربه لان ما بعد الساعة ليس بتحقيق كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ولان معنى الساعة البعث وقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اي يستعجلون بها قصدا الى التعجيز للاتيان بها وهذه طريقة الجهال في كل شي يجحدونه من حقايق الامور فاما المؤمنون فخايفون منها لانهم يوقنون انهم مبعوثون ومحاسبون ثم وصف الشاكين في القيمة لكونهم في ضلال بعيد لكونهم لا يتفكرون ولو تفكروا لعلموا ان الذي خلقهم من تراب ثم من نطفة قادر على انشائهم وبعثهم وقوله تعالى الله لطيف بعباده اي بار رحيم بهم واللطيف هو العالم بخفيات الغيوب والامور وقيل هو الموصل للنفع الى غيره من جهة تدق استدراكها وقوله تعالى يرزق من يشاء اي ينعم عليهم لكي يصلحوا وهو القادر القاهر الذي لا يلحقه عجز ولا يعتريه منع

قوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب معناه من كان يريد بعمله في الدنيا نفع الاخرة نزد في ثواب الحسنة بعشر امثالها وبما شاء الله تعالى من الاضعاف ويقال في معناه نزد له في قوته ونشاطه وحسنته في العمل كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن كان يريد بعمله في الدنيا نفع الدنيا من رزق ومحمدة يعطه منها ما نشاء على ما تقتضيه الحكمة وما له في الاخرة من ثواب لانه عمل لغير الله تعالى قال السدي رحمه الله هذا المنافق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه نصيبه من الغنيمة ويستدل من هذه الاية على بطلان الاستيجار على الطاعات لانه تعالى اخبر بان من يريد حرث الدنيا فلا حظ له في الاخرة واذا احرج فعلمه ان يكون مريدا لمنفعة الدنيا ثم يرتفع موضع الجواز

قوله عز وجل ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير معناه ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين والشريعة ما لم يعلم الله به ولولا حكم الله تعالى بان يفصل بينهم يوم القيمة لعاجلهم بالعقوبة وان الظالمين لهم عذاب وجيع تراهم يوم القيمة خائفين من جزاء ما كسبوا من الكفر والمعصية وذلك نازل بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في رياض الجنة والروضة هي البستان الجامع لانواع الرياحين والجنة هي البستان الجامع لانواع الاشجار لهم ما يشاءون من انواع النعيم في حكم ربهم وذلك هو الفضل العظيم من الله تعالى

قوله عز وجل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور

معناه ذلك الذي سبق ذكره من انواع النعيم يبشر الله به عباده المومنين الصالحين
ومن قرا يبشر الله بفتح اليا وضم الشين فهو من بشر يبشر بشرا بمعنى البشر وبشر وابشر بمعنى
واحد وقوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا اي لا اسالكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشرع اجرا
وهذا اداب كل نبي عليه السلام مع قومه كما ذكر في سورة الشعرا وقوله تعالى الا المودة
في القربى استثنا ليس من الاول المعنى ولكن اذكركم المودة في القربى وذلك انه ليس من
حي من احيا العرب الا وللنبي صلى الله عليه وسلم فيه قرابة والقرابة توجب المودة من جهة
الطبع وهذا ليس من الاجر في شي والى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي
الله عنهم وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه الا ان تودوا قرابتي وقال الحسن رضي الله عنه
الا المودة في القربى الى الله تعالى اي الا التقرب الى الله والتودد اليه بالعمل الصالح
ويقال الا التودد في قرابتكم فصلوا قرابتكم ومن يقترف حسنة اي يكتسب حسنة
نجازيه عليها اضعافا ان الله سبحانه وتعالى غفور من تاب وامن شكور يقبل اليسير ويعطي
الجزيل وقوله تعالى ام يقولون افترى معناه ايقولون اختلق محمد صلى الله
عليه وسلم كذبا فاغتممت لذلك فان يشا الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم ويقال
في معناه ان يشا الله ينسك ما اتاك لو افتريت على الله كذبا هكذا روي عن قتادة رضي
الله عنه والوجه في هذا انه تحذير لغير الانبيا صلوات الله عليهم عن الافترا على الله تعالى كما قلنا
ونظيرها في قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك وكما في قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل واما قوله سبحانه وتعالى ويمح الله الباطل فهو ابتدا كلام الا انه حذفت
واو لالتقا الساكنين واكتفي بضمة ما قبلها كما كتب ويدع الانسان ويوم يدع الداع وسندع
الزبانية واما من ذهب الى ان هذا نسق على الجزا فالمعنى ان يشا الله يمح الباطل بمحو جرمهم
عليها كما في قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم من السما اية الا ان هذا بعيد لان الله تعالى
قد شا محو الباطل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل فلو كان نسقا على الجزا لم يكن فيه الا العبادة
اسم الله تعالى ويحق الحق اي يثبت الحق حقا ويظهره بحججه ودلايله انه عليم بما في القلوب
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان قوله تعالى قل لا اسالكم خطاب للمسلمين
قال قوما من الانصار جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انك ابن اختنا وقد هدانا
الله تعالى على يديك فيطرقك في بلدنا نوايب فان رايت جمعنا لك من اموالنا ما تستعين
به على نوايبك فانزل الله تعالى هذه الاية فقالوا قد استغنى الرجل عما في ايدينا فهو يحثنا على
قرابته من بعده فانزل الله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فقالوا تبنا فانزل الله عز وجل
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيات ويعلم ما تفعلون ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد
معنى الاستجابة في الاية انه تعالى يجيب المومنين في دعواتهم ويتقبل طاعتهم وتوبتهم كما
وعد ومن جعل الاستجابة من فعل المومنين فقد ابعد لان ما بعده وما قبله خبر عن الله تعالى
قوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشا انه
بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد
معناه ولو وسع الله تعالى الرزق على عباده لطغوا وبغوا وعلوا وذلك ان الذي يوسع عليه
يرتفع عن منزل الى منزل ومن مركب الى مركب ومن ملبس الى ملبس فيستطيل بذلك على الناس
ويستعين برزق الله تعالى على معصية الله تعالى ولكن ينزل بقدر ما يشا يوسع على قوم ويضيق

على اخرين على ما تقتضيه الحكمة انه بمصالح العباد ونجازيهم اعلم منهم من يصلح له الغنى ولو
صرفه الى الفقر لكان شرا له ومنهم من يصلح له الفقر ولو صرفه الى الغنى لكان شرا له وهو
الذي ينزل الغيث اي المطر من بعد ما يبسوا منه وينشر رحمته باخراج النبات والثمار وهو
الولي لمن اطاعه وهو الولي بانزال المطر عاما بعد عام الحميد المستحق للحمد على خلقه بانعامه
عليهم برزقهم وهم يعبدون غيره وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له اجدبت الارض وقنط
الناس فقال اذا مطروا وقرا هذه الاية **قوله عز وجل** ومن اياته خلق السموات والارض
وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشا قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وما انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معناه
ومن دلايل توحيده خلق السموات والارض وما بث فيهما اي في الارض وما فرق فيهما من دابة
وهذا كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من احدهما كما يقول القايل لا تحبس
حق فلان من هذين الدرهمين وان كان يقضيه من احدهما وقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة اي من مكروه في النفس والمال والولد فبما كسبت ايديكم من المعاصي ويعفو
عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة لطفا لهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله اكثر
وعن علي رضي الله عنه انه قال خصلتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحب
ان تحفظوهما عني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا عذب احدا بذنب
في الدنيا فهو اكرم من ان يثني عليه في الاخرة واذا عفا عن عبد في الدنيا فهو اكرم من ان يعود
عليه بعد ما عفا عنه وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نظرت
الى امراة فاشتهيتها فتبعتها فاصاب راسي جدار فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا اراد
بعبد خيرا عجل عقوبته في الدنيا وكان الحسن رضي الله عنه يقول في هذه الاية ما اصابكم
من حد في سرقة او زنا فبما كسبت ايديكم وقرا الاية وعن الضحاك رضي الله عنه انه قال ما حفظ رجل
القران ثم نسيه الا بذنب وقرا هذه الاية وقال لان من اعظم المصايب نسيان القران وقرا
بعضهم بما كسبت بغير الفا والقراة المعروفة هي الاجود كما قال الشاعر
من يفعل الحسنات الله يشكرها ◦ والشر بالشر عند الله مثلان ◦ وفي قوله تعالى وما
انتم بمعجزين بيان انه اذا لم يعذب بعض الناس على معاصيهم لم يكن ذلك لكونه عاجزا عنهم ولكن
لطفا وحلما ومنه وزيادة في الزام الحجة **قوله عز وجل** ومن اياته الجوار في
البحر كالاعلام ان يشا يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم
من محيص فما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون معناه ومن اياته الدالة على توحيده وقدرته الجواري وهي السفن وهي جمع جارية
والاصل فيه الجواري لكن يحذف اليا اجتزا بالكسرة بدلا عنها وقوله تعالى الجوار في البحر
اي تجري في البحر كالجبال الطوال وكل ما رفع فهو علم كما قالت الخنسا ◦ كانه علم في راسه نار ◦ وقوله
تعالى ان يشا يسكن الرياح اي ان يشا الله تعالى يسكن الريح التي تجري بها السفن فيبقين رواكد
اي واقفات على ظهر الما وبقي اهلها حيارى لا يجدون حيلة في الخلاص لان ما البحر راكد
لا يجري بالسفينة الا بريح تجريها ان في ما ذكر لدلالات على توحيد الله لكل صبار على طاعته شكور
على نعمه او ان يشا يوبقهن اي يهلكهن بالريح العاصفة او ان يشا يعف عن كثير فيجري السفن

على ما شاوون وقوله تعالى ويعلم الذين من قرا بضم الميم فعلى الابتدا من غيران يكون
معطوفا على ويعف لان علم الله تعالى مقطوع به لا يجوز التعليق بمشيته ومن قرا بنصب
الميم فهو نصب على اضمار ان المعنى وان يعلم الذين يتنازعون في اياتنا بالتكذيب انه لا
مخلص لهم في الاخرة من عذاب الله تعالى كما لا مخلص لاهل السفينة من الغرق الا بالله تعالى وقوله
تعالى فما اوتيتم من شي اي ما اعطيتم من شي مما في ايديكم فهو متاع يتمتع به الى حين
وما عند الله من الثواب افضل وادوم مما في ايديكم ثم بين لمن الثواب فقال للذين
امنوا وعلى ربهم يتوكلون **قوله عز وجل** والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى
بينهم ومما رزقناهم ينفقون قد تقدم الكلام في الكبائر والفواحش والاية نزلت
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اقبل رجل من المشركين يشتمه ويقع فيه فلم يرد عليه ابو
بكر رضي الله عنه شيا وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وعن علي رضي الله عنه انه كان يقول في مناجاته الهي كبر
ذنبي اذ كنت المبارز به وعظم جرمي اذ كنت المخالف فيه واما الشورى فهو المصدر كالبشرى
والشورى واصله المفاوضة في الكلام لاستخراج الحق ومنه شرب الدابة اذا عرضتها
مقبلا ومدبرا لاظهار حالها وفي المثل السائر اتقوا الخطب فانها مشوار كثير العثار وقوله
تعالى وامرهم شورى بينهم اي ذو مشورة يعني اذا حزبهم امر لا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا
اجماع شاور بعضهم بعضا لاظهار الحق **قوله عز وجل** والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب
اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اول هذه الايات تقتضي ان الانتصار باخذ الواجب
من القصاص ونحوه افضل لان الله تعالى عطف هذه الاية على الاية التي فيها ذكر الاستجابة لله تعالى
واقام الصلوة وتكلموا في هذه الاية قال بعضهم اراد بها الانتصار ممن عاداهم في دينهم فاما
من المسلمين فالانتصار مباح كما قال ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل والعفو افضل كما
قال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال عز من قائل فمن عفا واصلح فاجره على الله وقال بعضهم
اذا كان العفو يودي الى الاخلال بشي من حقوق الله تعالى مثل العفو عن الفاسق الذي لا
يرتدع او العفو عن الباغي الذي يكون مصرا على قصده فالانتصار اولى من العفو واذا كان العفو
لا يودي الى اسقاط شي من حقوق الله تعالى فالعفو افضل كما قال تعالى في اية القصاص فمن
تصدق به فهو كفارة له وفي بعض التفاسير انه انما جعل الانتصار في اول هذه الايات افضل
لانهم كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق وفي قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها بيان انه لا يجوز الزيادة على السيئة الاولى وانما سميت الثانية سيئة لانها في مقابلة الاولى فالاولى
سيئة لفظا ومعنى والثانية سيئة لفظا لا معنى وسميت بهذا الاسم لان مجازاة الشي لا تكون الا بمثله
وفي قوله تعالى انه لا يحب الظالمين بيان انه تعالى لما ندب المظلوم الى الصفح لا لميله الى الظالم و
لحبه اياه ولكن ليعرض المظلوم بجزيل الثواب بالعفو وفي قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه بيان
الفايدة ازالة التوهم من انه اذا انتصر في غير موضع الافضل كان لغيره ان يذمه عليه واما
قوله تعالى ولمن صبر وغفر والمراد به اذا كان الجاني نادما مقلعا والعزم على الشي هو ان
يعقد قلبه عليه انه سيفعله وكلما كان ترغيب الصابر في الثواب اكثر كان عزمه على النجاة ارغب

لبقيته

لبقيته بالخلف والثواب وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الايات مدنيات من جملة هذه السورة
وانها انما نزلت في ابي بكر رضي الله عنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فجا رجل من
الانصار فوقع في ابي بكر رضي الله عنه فشتمه وهو ساكت والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم
ثم رد عليه ابو بكر بعض الذي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلحقه ابو بكر رضي الله
عنه فقال يا رسول الله يشتمني وانت ساكت ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال
صلى الله عليه وسلم انك حين كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت ذهب الملك وجا
الشيطان فلم اكن لاقعد في موضع يكون فيه الشيطان يا ابا بكر ثلث كلهن حق انه ليس عبد يظلم مظلمة
ويعفو عنها الا اعز الله نصره وليس عبد يفتح مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله تعالى بها قلة
وليس عبد يفتح باب عطية او صدقة الا زاده الله تعالى بها كثرة **قوله عز وجل** ومن يضلل
الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم
يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل معناه ومن يخذله الله تعالى لعناده وجحوده
ويقال من يهلكه الله ويضيعه فما له من ولي يلي امره ويدفع عنه العذاب وقوله تعالى وترى
الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول وتراهم حين يرون العذاب يقولون هل
الى مرجع الى دار الدنيا من حيلة فنصلح امورنا ونتدارك ما فرطنا فيه وانما ذكر قوله لما راوا
العذاب على لفظ الماضي للتحقيق كما قلنا في قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر
معناه سيقول وقوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اي على النار اذلا من الهوان والحزن ينظرون
اليها على مسارقة الاعين نظر الخائف الى من يخافه ويهابه فزعا منه ويقال معنى خاشعين مطرقين
من الخجل والوجل ونظير هذا قوله تعالى خاشعة ابصارهم والطرف هو العين وقد يطلق
ويراد به اللحظ يقال طرف يطرف طرفا اذا لحظ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال
ينظرون بقلوبهم نظر الاعمى اذا سمع حسا وقف مستمعا خائفا منه وذلك لان الله تعالى يحشرهم
عميا كما قال عز من قائل في اية اخرى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله
تعالى وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم قد تقدم تفسيره وفي
الحديث ان الله تعالى لا يدخل اهل الجنة الجنة حتى يطلعهم على النار والوان عذابها ليكون ابلغ في النعم
ولا يدخل اهل النار النار حتى يطلعهم على الجنة وانواع نعيمها ليكون ابلغ في الحسرة **قوله عز وجل**
استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يوميذ وما لكم من نكير
فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور معناه اجيبوا داعي الله واطيعوا ربكم
من قبل ان ياتي يوم لا مدفع له من عذاب الله تعالى ما لكم من مخلص ومفزع يوميذ وما لكم من مغير بغير
حالكم لا تقدرون ان تنكروا ما توبخون عليه من ذنوبكم وما ينزل بكم من العذاب والنكير
مصدر بمعنى الانكار وانكر ونكر بمعنى واحد وفي قوله تعالى فان اعرضوا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اذ كان يحزنه تكذيبهم وانكارهم فبين الله تعالى انه لم يرسله حافظا عليهم كي يواخذ بافعالهم
واقوالهم وانه ليس عليه الا التبليغ عن الله تعالى ثم امره الله تعالى بالقتال بعد ذلك والكفور في اللغة
هو الذي من عادته ان يكفر النعم بعد المصائب وينسى النعم **قوله عز وجل** لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما

انه عليم قدير معناه لله القدرة على اهل السموات واهل الارض يخلق ما يشا كما يشا يهب لمن
يشا بنات مثل ما وهب للوط عليه السلام لم يكن له ولد ذكر ويهب لمن يشا البنين مثل ما وهب
لابرهيم عليه السلام لم يكن له ولد انثى فيجمع لمن يشا البنين والبنات كما وهب لنبينا صلى الله عليه
وسلم وعن محمد بن الحنفية ان المراد بهذه الاية التوام وكل شيين يقترن احدهما بالاخر فهما زوجان
يقال عندي زوجان من خف يريد به اثنين في العدد وكذلك المراة وزوجها زوجان ويجوز
ان يكون التزويج بمعنى التصنيف فان الزوج يذكر ويراد به الصنف كما في قوله تعالى وانبت من
كل زوج بهيج وقوله تعالى ويجعل من يشا عقيما اي من لا يولد له مثل يحيى وعيسى عليهما
السلام والريح العقيم هي التي لا يكون منها مطر ولا خير وقوله تعالى انه عليم قدير اي عليم
بعواقب الامور واواخرها واوايلها وفواتحها وظواهرها وبواطنها قادر على كل شي لا
يلحقه عجز ولا يعتريه منع **قوله عز وجل** وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا انه علي حكيم معناه وما كان لادمي
ان يكلمه الله مواجهة بغير حجاب للادمي الا ان يوحي اليه اي يقذف في قلبه ويلهمه اما في
المنام واما في اليقظة كما اخبر الله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام بقوله تعالى اني ارى في
المنام اني اذبحك ولو لم يقترن بروياه ما كان يدل على ان ذلك امر من الله تعالى لم يكن له
الاقدام على الذبح بمجرد الرويا وقوله تعالى او من ورا حجاب معناه او ان يسمع كلامه من
ورا الحجاب كما كلم موسى عليه السلام فسمع موسى عليه السلام ولم ير وقوله تعالى او يرسل
رسولا من قرا بنصب اللام فمعناه او ان يرسل رسولا من الملايكة الى الانبيا صلوات الله عليهم كما
ارسل جبريل عليه السلام الى كثير منهم فكان يوحي الى الانبيا صلوات الله عليهم بامر الله تعالى او من
قرا يرسل بضم اللام فهو على اضمار هو ومعناه معنى الحال كانه تعالى قال او هو مرسل رسولا
وهذا كما في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي مستكثرا وقوله تعالى انه علي حكيم اي هو اعلى
من ان يدركه الخلق بالابصار الفانية بلا حجاب وهو الحكيم فيما يامر وينهى **قوله عز وجل**
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشا من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما
في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور يقول كما اوحينا الى الرسل من قبلك اوحينا
اليك جبريل عليه السلام بالقران الذي فيه حيوة القلوب من الجهل وعن هذا سمي القران روحا
لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة الجسد وقيل ان الروح في هذه الاية اريد به
الملك وقوله تعالى من امرنا اي بامرنا كما في قوله تعالى يحفظونه من امر الله وقوله تعالى
ما كنت تدري اي ما كنت تعلم ما الكتاب قبل المبعث ونظير هذا قوله تعالى وما كنت
ترجو ان يلقى اليك الكتاب وقوله تعالى ولا الايمان قيل في معناه وما كنت تدري ما الايمان قبل
البلوغ قال الحسن والله ما كان يدريه حتى علمه الله تعالى وقيل شرايع الايمان وفي الجملة
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على الكفر قط وانه كان على فطرة الاسلام حين ولد وقوله
تعالى ولكن جعلناه نورا اي ولكن جعلنا الوحي نورا نهدي به من نشا من عبادنا ويجوز ان يكون
الكناية في قوله تعالى ولكن جعلناه نورا راجعة الى الكتاب خاصة فانه هو الدليل على الايمان
والشرايع ونظير هذا قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما وقوله تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم معناه وانك لتدعوا الخلق كلهم بوحينا اليك الى طريق قايم يوصله
الى الله تعالى وهو الاسلام وقوله تعالى صراط الله خفض على البدل ولو قري نصبا او رفعا كان صحيحا

تعالى الا الى الله تصير الامور معناه اليه ترجع عواقب الامور في الاخرة وذكر الكلبي رضي الله عنه
في تفسيره ان مصحفا احترق فلم يبق فيه الا قوله تعالى الا الى الله تصير الامور وان مصحفا غرق فامحى
ما فيه الا هذه الاية وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة
حم عسق كان ممن يصلي عليه الملايكة ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية وهي

ثمان وتسع ايات عند الاكثرين

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم
من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين اقسم الله تعالى
بالقران الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان كل ما يحتاج اليه الامة وجواب القسم انا جعلناه
اي انزلناه على مجرى لغة العرب ليكون ابلغ في الحجة وادعى الى القبول كي تعقله العرب من غير مترجم
وقوله تعالى وانه في ام الكتاب معناه انه مذكور مثبت في اللوح المحفوظ لدينا اي عندنا كما
قال عز وجل في اية اخرى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لانه اصل
كل كتاب وتسمى الوالدة اما لانها اصل الولد وقوله تعالى لعلي حكيم معناه لرفيع شريف محكم
ويقال ذو حكمة لا يحتمل الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل وقوله تعالى افنضرب عنكم الذكر
صفحا معناه افنضرب عنكم تذكرنا اياكم الواجب ونترككم بلا امر ولا نهي معرضين عنكم لان اسرفتم
والاصل في قوله ضربت عنه الذكر ان الراكب يضرب دابته بسوطه ليعدلها عن الجهة التي هي عليها الى
الجهة الاخرى التي يريدها ثم يوضع الضرب موضع الصرف والعدل والصفح في اللغة هو الاعراض يقال
صفح فلان عني بوجهه اي اعرض وهو من صفات الله تعالى بمعنى العفو يقال اصفح عن ذنبه اي عفى
عنه والاضراب والضرب في الكلام كلاهما بمعنى الاعراض والعدول ومن قرا ان كنتم بالكسر فهو على
الاستقبال على معنى ان تكونوا قوما مسرفين وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين فيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان دابكل امة مع رسولهم التكذيب والاستهزاء وان من سنة الله تعالى
اهلاك المكذبين محذرا لهم الرسول قومك كي لا يسلكوا طريقة من قبلهم فينزل بهم من العذاب ما نزل
بمن قبلهم **قوله عز وجل** ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السما ما
بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون معناه ولين سالت الكفار
من خلق السموات والارض ليقرون بان الله خالقهما وذلك انهم كانوا يقرون بالله وكانوا يشركون
به غيره كما قال في اية اخرى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقوله تعالى الذي جعل
لكم الارض مهادا ابتدا كلام من الله تعالى على معنى نعم خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض
على وجه تمكنكم القرار عليها وجعل لكم فيها طرقا لكي تعرفوا الطريق من بلد الى بلد وتهتدوا
لوحدانية الله تعالى والذي نزل من السما ما بقدر يعني المطر بمقدار معلوم يعلم خزان المطر
فاحيينا بذلك المطر بلدة ميتا باخراج الاشجار والزروع كذلك تخرجون من القبور يوم النشور
للحساب والجزا والذي خلق الازواج اي الاصناف كلها ويقال الذكور والاناث كلها وجعل
لكم من السفن في البحر ومن الانعام في البر ما تركبون وذلك انه تعالى علم حاجة العباد الى سلوك البر
والبحر فجعل لهم مركبا يركبونه في البحر ومركبا يركبونه في البر لان ما يصلح لاحدهما لا يصلح للاخر

وقوله تعالى لتستووا على ظهوره معناه لتستووا على ظهور ما تركبون ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه بان سخرها لكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا المركب وسهل ركوبه علينا ولولا تسخيره لنا ما كنا له مقرنين اي مطيقين ضابطين واشتقاق ذلك من قولك انا لفلان مقرن اي مطيق اذا قد صرت له مقرنا وقد يقال اقرن الرجل اذا صار ذا اقران وعن علي بن ابي ربيعة انه شهد عليا رضي الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم كبر ثلثا ثم قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقيل له مما يضحكك يا امير المؤمنين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم ضحك فقيل لم تضحك يا نبي الله قال عجبا للعبد اذا قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت غفر الله تعالى له بما علم العبد انه لا يغفر الذنوب الا هو عز وجل وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا ركب الرجل الدابة فلم يذكر اسم الله تعالى ردفه الشيطان فقال له تغن فان لم يحسن قال له تمن وفي قوله تعالى وانا الى ربنا لمنقلبون بيان انه كما يذكر نعمة الله تعالى عليه في الدنيا فعليه ان يذكر مصيره الى الاخرة ومما يقال انه ينبغي للعاقل اذا ركب مركبا او سفينة ان يتذكر اخر مركبه وهي الجنازة واذا لبس ثوبا ان يتذكر اخر ملبسه وهو الكفن واذا اغتسل ان يتذكر اخر غسله بالغسل حين يغسل واذا نام ان يذكر الحالة التي يوضع فيها جنبه على الارض في اللحد **قوله عز وجل** **وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين**

معناه وجعل الكفار لله تعالى من عباده جزءا وذلك انهم قالوا الملئكة بنات الله تعالى فوصفوا عباد الله تعالى بانهم جزء من الله تعالى وقد تقدم ان الذين قالوا هذا القول هم من خزاعة وقد يذكر الجعل بمعنى الوصف والتسمية كما يقال جعل فلان زيدا من اعلم الناس اي وصفه بذلك ويقال الجزء في كلام العرب عبارة عن الانثى كما قال الشاعر ان اجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار احيانا واراد باجزأت ولدت انثى وقوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات لفظ الاستفهام ومعنى الانكار والتوبيخ معناه اتخذ مما يخلق بنات واختار لكم اعلى القسمين والحكمة لا توجب ان يختار الحكيم لنفسه الادون والاهون من الولد ويختار لغيره الافضل ثم وصف كراهتهم للبنات فقال واذا بشر احدهم اي اذا اخبر احدهم بما وصف به الرحمن من اضافة البنت اليه صار وجهه مسودا اي تغير وجهه تغيرا يعرف به الحزن في وجهه وهو كظيم يتردد حزنه في جوفه ومن هذا يقال كظم الغيظ اذا اسره فلم يرسله ويقال فيمن سمع خبرا يسره ان فلانا قد تهلل وجهه وحسن لونه وفي قوله تعالى او من ينشؤ في الحلية زيادة في الانكار عليهم والمذمة لهم كانه قال او يختار لنفسه مع استغنائه عن الخلق كلهم من ينشا اي يربى في حلية الذهب والفضة وهو في الكلام غير ثابت الحجة وذلك ان الانثى لا تنفق الا بالحلية ولا تبلغ في حجتها وخصومتها وكلامها الى ما يبلغ اليه الرجل ولا يكاد تحتج بحجة الا عليها لضعف طبعها ونقصان عقلها ويستدل من هذه الاية على الترخيص للنساء في التزين بحلي الذهب والفضة كما ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى فقال هذان حرامان على ذكور امتي حلال لاناثهم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح وجه اسامة من شجة اصابته ولو كان اسامة جارية لحليناه واما ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته امراة فقالت يا رسول الله عندي سواران من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سواران من نار فقالت قرطان من ذهب فقال قرطان من نار فقالت طوق من ذهب

فقال طوق من نار فقالت يا رسول الله انه لا بد للمراة ان تتزين لزوجها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعكن ان تجعلن قرطين من فضة تصفرنه بالزعفران فاذا هو كالذهب فهذا عنه مشهور والرجوع الى الاية والاخبار المشهورة المعروفة في هذا الباب اولى **قوله عز وجل** **وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون** معناه ووصفوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن انهم بنات الله تعالى احضروا عند خلقهم فعلموا ذلك قالوا لا ولكن سمعنا اباءنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فيما قالوا يقول الله تعالى ستكتب شهادتهم باضافة الولد الى الله وتسمية الملئكة اناثا ويطالبون يوم القيمة باقامة الحجة على ما وصفوا ابدا لعذرهم عند سفلتهم يقول الله تعالى ما لهم بذلك من علم المعنى ما لهم بقولهم ان الملئكة بنات الله تعالى ولكنهم يكذبون على الله عز وجل فيما يقولون واصل الخرص في القول والفعل على الظن والتخمين دون العلم واليقين ومنه الخرص للحزر وقد اختلفوا في المشية المذكورة في هذه الاية قال بعضهم اصاب القوم في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم الا انهم لما قالوا ذلك استهزاء وكذبا رد عليهم لانهم كذبوا في اضافة مثل هذه المشية الى الله تعالى وقال قوم لو شاء الرحمن لحال بيننا وبين ذلك بالمنع وقوله تعالى ام اتيناهم كتابا معناه ام هل اتيناهم كتابا قبل القران فهم به اخذون ثم اعلم ان تعلم اتباع ضلالة ابائهم فقال عز وجل بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على ملة ومن قرا على امة بكسر الهمزة فمعناه على طريقة اي ليس لهم حجة الا هذا القول وهذا نهي لهم عن التقليد في دين الله تعالى وامر باتباع الحجة والاصل في الامة الجماعة الا ان هذا الاسم يستعمل في الدين على وجه الاستعارة لان القوم يجتمعون على دين واحد ومن ذلك يقال للمسلمين امة محمد صلى الله عليه وسلم الا انهم على دين واحد **قوله عز وجل** **وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ظاهر المراد الا ان قوله تعالى قل اولو جئتكم محذوف الجواب معناه اتتبعون دين ابائكم وتلزمون طريقتهم في الكفر ولو جئتكم بارشد مما وجدتم عليه اباءكم وفي هذا ايضا ابطال التقليد لانه تعالى ذمهم على ذلك **قوله عز وجل** **واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون** معناه واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي ذو براء مما تعبدون من دون الله تعالى الا من الذي خلقني فانه سيحفظني عن دينه وطاعته والبراء مصدر يستوي فيه الواحد والجمع وقوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه وهي كلمة التوحيد لا اله الا الله باقية في عقبه لكي يرجعوا الى التوحيد ويدعوا الخلق اليه فلا يزال في ولده من يوحد الله تعالى ويقال لكي يرجعوا الى ابيهم في الاقتداء به وانما سمي النسل عقبا لانهم يعقبونه زيادة في الحجة وقطعا للعذر ثم حتى جاءهم الحق اي القران ورسول مبين للحجة وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولما جاءهم الحق اي الرسول والكتاب نسبوا القران الى السحر وجحدوا به **قوله عز وجل** **وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون** معناه

وقال كفار مكة هلا نزل القران على رجل من القريتين عظيم عنوا بالقريتين مكة والطايف وعنوا
بالرجلين اما الوليد بن المغيرة من مكة واما ابي مسعود الثقفي من اهل الطايف ظنوا
بجهلهم ان استحقاق النبوة انما يكون بشرف الدنيا مع اعترافهم بان النبي صلى الله عليه وسلم كان من
ارفعهم نسبا وقوله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك انكار عليهم بقولهم انهم يقسمون النبوة
التي هي من اعظم النعم وليس بفضل الله تعالى يقسمه غيره ثم بين سبحانه انه لم يجعل امر معايشهم
مع قلة خطر ذلك اليهم بل رفع بعضهم فوق بعض درجات في المنزلة وفي الرزق على ما
اوجبته الحكمة فكيف يجعل امر النبوة مع عظم خطره ورفعة شانه اليهم والرسول صلى الله
عليه وسلم سفير بينه وبينهم وقوله تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا هذه اللام لام العاقبة كما
في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى ليستعمل بعضهم بعضا ويسخر
بعضهم بعضا والسخري بالكسر من الاستهزا وبالضم من التسخير وفي الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تزال امتي بخير ما تفاوتوا فاذا تساووا هلكوا وفي هذا اشارة الى ان مصالح
الناس في امور الدنيا انما يكون باستعمال بعضهم بعضا فينتفع الاغنيا بعمل الفقرا وينتفع
الفقرا بما ياخذون من الاجر من الاغنيا وقوله تعالى ورحمة ربك اي وما خصك الله تعالى من
النبوة خير لك مما يجمعون من المال **قوله عز وجل** ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين معناه ولولا ان
تميل بالناس الدنيا فيصير الخلق كلهم كفارا لاعطى الله تعالى الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لقلتها
عنده ولكنه لم يفعل ذلك لعلمه ان الغالب على الخلق حب العاجلة والسقف جمع السقف مثل
رهن ورهن ومن قرا سقفا بضم القاف فعلى تخفيف السقف مثل زهر وزهر ومن قرا سقفا بالوحدان
فهو على معنا جعلنا لبيت كل واحد منهم سقفا من فضة والمعارج هي الدرج واحدها معرج ويقال
معراج والمعارج والمعاريج مثل المفاتح والمفاتيح في جمع المفتاح والمعنى وكذلك جعلنا لهم معارج
من فضة عليها يصعدون ولبيوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة يجلسون ويتكئون والزخرف الذهب
كانه قال وجعلنا امتعتهم من الذهب هكذا روي في التفسير الا ان الزخرف في اللغة كمال الزينة
كما قال الله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ويجوز ان يكون قوله تعالى وزخرفا عطفا
على قوله تعالى من فضة كانه قال من فضة وزخرف الا انه لما حذف من جعل نصبا وهذا انما يكون
على قراة اهل الكوفة وقوله تعالى وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا من قرا لما بالتشديد فالمعنى
وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا ومن قرا بالتخفيف فما صلة زايدة والمعنى وان كل ذلك لمتاع
الحيوة الدنيا يتمتع به الى حين ثم يفنى وثواب الاخرة عند ربك للمتقين الذين يتقون الكفر والفواحش
خير من الدنيا وما فيها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا ان يجزع عبدي
المومن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صبا قال ومصداق ذلك قوله تعالى ولولا
ان يكون الناس امة واحدة والمراد بعصابة الحديد في هذا الحديث صحة بدنه حتى لا يصدع راسه
قوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جانا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون معناه ومن يعرض عن ذكر الرحمن نسبب له شيطانا
يضله يجعل ذلك جزاء له فهو قرين لا يفارقه في الدنيا والاخرة يقال عشي الى النار بالليل اذا تنورها
فقصدها ويعشى عنها اذا اعرض عنها قاصدا لغيرها ونظير هذا قولك مال اليه ومال عنه قال الشاعر

متى

متى تاته تعشوا الى ضوء ناره . تجد خير نار عندها خير موقد . والعشو هو الاستدلال
على الشي بالبصر الضعيف اذا اقبلت عشي اليه واذا اقبلت عشي عنه فهو ان يعرض ويظلم بصره
عنه ومن قرا يعش بفتح الشين فهو من عشي يعشى اذا لم يبصر بالليل والمعنى ومن يعم عن ذكر الرحمن
وقوله تعالى وانهم ليصدونهم عن السبيل معناه وان الشياطين ليصرفون الكافرين عن الطريق
المستقيم ويحسب الكافرون انهم مهتدون حتى اذا جانا يعني الكافر فاذا جا يوم القيمة قال لقرينه
وهو الشيطان الذي يجعل معه في سلسلة واحدة يا ليت بيني وبينك بعد المشرق والمغرب اذ كنا
في الدنيا فلم اركن ولم ترافقني فبئس القرين كنت لي وانما سمي المشرق والمغرب بالاسم الواحد
كما يقال للشمس والقمر القمران ويقال في سنة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما سنة العمرين قال الشاعر
اخذنا بافاق السما عليكما . لنا قمراها والنجوم الطوالع . ويقال اراد بالمشرقين منتهى طول
النهار في الصيف ومنتهى قصر النهار في الشتا وقوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم معناه
لن ينفعكم اذ كفرتم في الدنيا اشتراككم في العذاب اليوم وذلك انهم يمنعون عن روح التاسي
والتاسي في الدنيا مما يسهل المصيبة كما قالت الخنسا ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي . ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي . فكان الله تعالى علم انه لا ينفعهم الاشتراك
في العذاب وانه لم يجعل لهم فيه اسوة ولا يتسلى بعضهم ببعض وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من انسان الا ومعه شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا ولكن
اعانني الله عليه حتى اسلم ولقد اتاني فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فادلع فوالذي بعثني
بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على كفي ولولا دعوة سليمن عليه السلام لاصبح طريحا في
المسجد **قوله عز وجل** افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما
نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسالون معناه
افانت تسمع الكفار الذين يتصامون عن الحق ويتعامون عنه ومن كان في خطا بين لا يطلب
الهدى وفي قوله تعالى فاما نذهبن بك بيان انه تعالى قادر على عقوبتهم في حال حيوة النبي
صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رب اما تريني ما يوعدون
رب فلا تجعلني في القوم الظالمين فسمع الله تعالى دعاه ونصره على اعدايه والاصل في اما وان
حرف الشرط ان وما صلة له وحتى دخلت ما في الشرط للتوكيد دخلت النون الثقيلة المؤكدة في
الفعل المذكور بعدها كما يدخل النون مع لام القسم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
اي القران شرف لك ولهم بما انزل ورفع الذكر وفلان خامل الذكر ويجوز ان يكون
معنا الذكر هاهنا العظة وقوله تعالى وسوف تسالون اي عن شكر هذه النعم ويقال
عن حق القران والتمسك به والعمل على مقتضاه . **قوله عز وجل** واسال من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملايه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من
اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما اسري به الى السما الدنيا وصلى بالانبيا صلوات الله عليهم الذين كانوا قبله قيل له سلهم هل
ارسلنا اليهم اطلاق عبادة غير الله تعالى فلم يشك ولم يسال هكذا **روي** عن ابن عباس رضي
الله عنهما ويقال هذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم بسؤال امم الانبيا صلوات الله عليهم قبله وبمراجعة
كتبهم هل كان في كتبهم اطلاق عبادة غير الله تعالى ومعنى سوال الامم هاهنا السوال

على جهة التقرير وقد يذكر النبي ويراد به قومه في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا واما
ارسال الله موسى عليه السلام الى فرعون بالايات التسع فقد تقدم الكلام في ذلك **قوله
عز وجل** وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين عنوا بالساحر
العالم وكان علما وهم في ذلك الوقت السحرة وكانوا يوقرونه بهذا القول ولم يريدوا شتمه
وهم محتاجون اليه وقوله تعالى بما عهد عندك اي اسال لنا ربك بما عهد عندك فيمن تاب
فكشف العذاب عنا اننا لمهتدون ان كشفت عنا العذاب فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينقضون عهودهم ويقال انما خاطبوا موسى عليه السلام بالساحر لانهم كانوا يخاطبون
بذلك الاسم من قبل وقوله تعالى ام انا خير من هذا الذي هو مهين قيل في معناه بل انا خير من
هذا الذي هو ضعيف حقير وانما وصفه بهذه الصفة لان موسى عليه السلام كان يقوم بامر
نفسه ولم يكن له احد يقوم بامره ومن ذلك المهنة وسئلت عائشة رضي الله عنها كيف كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته فقالت هو في مهنة اهله وقيل في معنى ام انا خير
ان قوله تعالى ام راجع الى ما قبله كانه قال افلا تبصرون ام تبصرون ولذلك يقف بعض
القرا على ام ثم ابتدا وقال انا خير وقوله تعالى ولا يكاد يبين ما هو يقول وانما قال ذلك لانه
عليه السلام كان بقي في لسانه اثر العقدة التي كانت وكان مع ذلك بليغا مبينا **قوله عز وجل**
فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه
انهم كانوا قوما فاسقين فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين معناه وقال فرعون
معناه وقال فرعون فلولا اي هلا القي على موسى اسورة من ذهب ان كان رسولا كما تسوّر
الملوك رسلهم تعظيما لهم وكان الفرعون يلبسون الاساور في زمانهم والاسورة جمع السوار
والاساور جمع الاسورة ومن قرا اساورة فقد زاد الها في اخره وجعل الجميع اسما واحدا نحو علانية
وعباقية يقال اسورة اي لازم وقوله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين اي متتابعين
يشهدون معه فيدلون على صدق نبوته وكان موسى عليه السلام قد اتاهم من الايات الدالة على
نبوته بما كان حجة عليهم ولم يكن لهم ان يقترحوا من الايات ما يريدون وقوله تعالى فاستخف
قومه اي استخف عقولهم ووجدهم خفاف العقول فاطاعوه فيما دعاهم اليه عند هذه
الكلمات التي القاها في اسماعهم انهم كانوا قوما خارجين عن امر الله تعالى فلما اسفونا اي اغضبونا
وهذا من مجاز الكلام ان يوضع الاسف في موضع الغضب لان الاسف الذي هو الحزن لا يجوز في
صفات الله تعالى وقيل معنى اسفونا عاملونا بما لو عامل بعضهم بعضا لحق عليه تحقق الاسف وقوله
تعالى فانتقمنا منهم اي جازيناهم على معاصيهم وقوله تعالى فجعلناهم سلفا اي متقدمين وهذا
مصدر اقيم مقام الاسم ويقال في معناه سلفا الى النار وقوله تعالى ومثلا للاخرين اي يتمثل
بهم في الهلاك الى اخر الدهر ومن قرا سلفا بضم السين واللام فهو جمع سليف وهو الماضي ومن قرا
سلفا بضم السين وفتح اللام فهو جمع سلفة وهي الفرقة التي قد مضت **قوله عز وجل** ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا االهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم
خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في
الارض يخلفون **روي** عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقرا النبي صلى الله عليه وسلم قال قال عبد الله بن الزبعري اخاص

هذا

هذا ام عام قال عام فقال ابن الزبعري فان عيسى عليه السلام يعبده النصارى فهو والنصارى
في النار وعزير عليه السلام يعبده اليهود وخزاعة تعبد الملائكة فان كان هولا في النار فيما الهتنا
خير منهم فانزل الله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون يقول لما شبهوه بالهتهم
اذا قومك من قول الذي شبهوه بالهتهم يصدون اي يعرضون ومن قرا يصدون بكسر الصاد
فمعناه يضجون فانزل سبحانه في عيسى عليه السلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون وقوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما وصفوا لك عيسى والملائكة الا للجدال بغير
الحق لانهم علموا ان الذي اريد بقوله حصب جهنم هو الاصنام وان عيسى عليه السلام لم يامر احدا
بعبادته فكيف يكون مع عابديه في النار وقوله تعالى بل هم قوم خصمون اي جدلون بالباطل
والخصم بكسر الصاد كثير الخصومة بغير الحق وعن ابي امامة الباهلي انه قال ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا هذه الاية وقوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه فبين ان عيسى
عليه السلام عبد مثلهم الا انه سبحانه فضله بالنبوة والرسالة وقوله تعالى وجعلناه مثلا اي جعلنا
خلقه بغير الاب اية تدلهم على وحدانية الله تعالى ولو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يخلف
بعضهم بعضا كما كان بنو ادم عليه السلام **قوله عز وجل** وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها
واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين معناه وان
نزول عيسى عليه السلام من السما يعلم به قرب الساعة ومن قرا وانه لعلم للساعة فمعناه علامة الساعة ودلالة
عليها وقوله تعالى فلا تمترن بها اي فلا تشكن في القيمة وانها كائنة وقوله تعالى واتبعون معناه
وقل لهم اتبعون هذا دين قائم لا عوج فيه وقوله تعالى ولا يصدنكم الشيطان اي لا يصرفنكم عن هذا الدين انه لكم عدو
ظاهر العداوة وذهب بعضهم الى ان الها في قوله تعالى وانه لعلم للساعة كناية راجعة الى القران اي في هذا القران ما يدل
على العلم باقتراب الساعة **قوله عز وجل** ولما جا عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين
لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم معناه ولما جا عيسى بالمعجزات
قال قد جئتكم بالحكمة اي بالانجيل وجئتكم لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فيما بينكم فان قيل هلا بين
لهم جميع ما اختلفوا فيه وقد ارسل اليهم قلنا اختلفوا في هذا قال بعضهم ان الذي جا به عيسى عليه السلام في
الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وقد بين لهم من غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقال بعضهم معناه لابين لكم
بعض الكتاب الذي تختلفون اذ كانوا مختلفين في بعض التوراة وقال بعضهم ولابين لكم امر دينكم لانهم
كانوا مختلفين في امر دينهم ودنياهم والمقصود من ارسال الرسل بيان الدين فكان ذلك بعض ما اختلفوا
فيه وقد يذكر البعض ايضا بمعنى الكل كما قال الشاعر قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
واراد بالبعض الكل لان المستعجل ايضا قد يدرك البعض وقوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم الاحزاب جمع
الحزب والحزب والفرقة والطائفة نظائر وقد اختلفوا في المراد بالاحزاب قال بعضهم اراد به اليهود والنصارى
الذين اختلفوا في امر عيسى عليه السلام من بعده وقال بعضهم اراد به فرق النصارى على ما تقدم ذكره من
الاختلاف فيما بينهم في عيسى عليه السلام **قوله عز وجل** هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم
لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما
كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون معناه هل ينظرون الا القيمة ان تاتيهم فجاة
على غرة منهم ومفاجئة من غير ما هيئوا لها استعداد وهم لا يعلمون وقت مجيئها فان قيل كيف تسمى القيمة

الساعة وهي تشتمل على حسنين الفتنة فلما انما جيئت ساعة لسرعة مجيئها ولانها في جنب ما وراءها ساعة
وهي سريعة الانقضاء على المؤمنين وقوله تعالى الاخلاء يومئذ جاء في الحديث ان الاخلاء اربعة مؤمنان وكافران
فاذا مات احد المؤمنين سئل عن خليله فقال انما علمته الا امارا بالمعروف نهاء عن المنكر اللهم اهده كما هديتني وثبته
على ما ثبتني عليه فاذا مات الاخر قيل لكل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب وتزداد مخالتهما في الاخرة على
التي كانت في الدنيا واذا مات احد الكافرين سئل عن خليله فقال انما علمته الا امارا بالمنكر نهاء عن المعروف
اللهم اضلله كما اضللتني واثبته على ما اثبتني عليه فاذا مات الاخر قيل لكل واحد منهما لصاحبه بئس الاخ وبئس
الصاحب ويلعن كل واحد منهما يوم القيمة على صاحبه ثم تنقلب مخالتهما عداوة اذا لم يكن في ذات الله تعالى
ولا في طاعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل
وانما سمي الخليل خليلا لانه يشارك صاحبه في السر والضراء ويدخل في باطن امره وظاهره ومنه الخلال للعود الذي
يدخله الانسان بين الاسنان ليستخرج ما بينها من الطعام وقوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم معناه
يقال للمتقين يا عبادي لا خوف عليكم من اهوال القيمة وما بعدها ولا انتم تحزنون اذا حزن الناس وقوله
تعالى الذين امنوا في موضع نصب على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف وقوله تعالى
وكانوا مسلمين اي خاضعين منقادين يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المؤمنات تحبرون
غاية الاكرام بالتحف والهدايا والحبرة فان غاية ما يوصف بالجميل ويقال معنى تحبرون تسرون والحبور
السرور وقوله تعالى يطاف عليهم اخبار عن حالهم في الجنة يطوف عليهم خدمهم بصحاف من ذهب
فيها من انواع الاطعمة اللذيذة الشهية وواحد الصحاف صحفة وهي القصعة وقوله تعالى واكواب اي
واكواب من ذهب والاكواب جمع الكوب وهو اناء مستدير لا عروة له ويقال ان الاكواب هي الاباريق
التي لا خراطيم لها ولا اذان وقوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس في الجنة ما تتمنى الانفس وتستحسنه الاعين
ولا تشتهي الانفس في امالها ان تشتهي لان الطباع لا تميل فيها الى ما لا يجوز ولا ينبغي وتلذ الاعين ان
ترى ما تشتهي الانفس ويقال في معنى هذه الاية وفيها ما تشتهي الانفس في الدنيا وتلذ الاعين ويقرا تشتهيه
باثباتها وقوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها يعني الجنة لكم في عاقبة امركم بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة
والطاعات الخالصة لكم فيها الوان الفواكه الكثيرة منها تاكلون قوله عز وجل ان المجرمين في
عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
ومعناه ان المشركين في عذاب جهنم دائمون باقون لا يموتون ولا يخرجون لا يفتر عنهم ولا يهون عليهم وهم
فيه ايسون من الروح والراحة والابلاس الاياس من الخير والمبلس الساكت المنقطع لياسه من الفرج ومنه ابليس
لانه ايس من الخير وقوله تعالى وما ظلمناهم اي لم نظلمهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم الظالمين
لانفسهم بالكفر والمعاصي وفي حرف ابن مسعود هم الظالمون بالرفع على لغة بني تميم يجعلون الاسم قبله
واما على القراءة التي كتبت في المصحف فهم زيادة وفصل لا موضع لها من الاعراب وجعل مثل ما في قوله تعالى
فبما رحمة من الله قوله عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم
بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
بلى ورسلنا لديهم يكتبون وذلك لما اشتد عليهم العذاب وطال صبرهم تمنوا الموت فنادوا خازن
النار وهو مالك ادع لنا ربك ليقضي علينا الموت فنستريح من العذاب فيجيبهم مالك بعد اربعين
سنة ويقول انكم ماكثون مقيمون دائمون وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انهما قرا يا مال بالترخيم
وهو كثير في الشعر في مالك وحارث وصاحب الا ان القراءة الاولى ان يكون على وفق المصحف وقوله
تعالى لقد جئناكم بالحق اي جاءتكم الرسل بامرنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون وقوله تعالى ام ابرموا
امرا فانا مبرمون معناه ام احكموا عند انفسهم امرا في نجيهم من عذابنا فانا محكمون امرا في مجازاتهم شرا

بشر والابرام هو الاحكام والمبرم هو المفتول على طاقين وابرام الامر والعقد لزومه ويقال
ان هذه الاية والاية التي بعدها نزلتا في ثلثة رهط من المشركين وهم صفوان بن امية وحنادة بن
وحبيب ابنا عمرو وكانوا يتذاكرون في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نا تخبر واخبرنا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ان الله يعلم السر يكون بين الاثنين وانه ما من ثلثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم افترونه الان يعلم ما نقول فقال ربيعة اراه يعلم بعض ما نقول ولا يعلم بعضا
قال صفوان ولا كلمة واحدة ولو علم بعضه لعلم كله فانزل الله تعالى هذا والسر ما بين الاثنين والسر ما يعتقده
الانسان في نفسه ويضمره ولا يعلمه والنجوى ما تحدث به غيره في الخفية وقوله تعالى بلى ورسلنا معناه
بلى نسمع سرهم ونجواهم ورسلنا وهم الحفظة عندهم يكتبون عليهم ذلك لاقامة الشهادة قوله
عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين سبحان رب السموات والارض رب
العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى قل لهم ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول من عبد الله وحده
وكذبكم بما تقولون هكذا روي عن مجاهد وقال قتادة والحسن معناه ما كان للرحمن ولد
فانا اول من عبد الله تعالى من اهل هذا الزمان وفي بعض الروايات انه لما نزلت هذه الاية فرح بها
المشركون وظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد تابعهم على رأيهم فقطن له ابن الزبعري وقال
يعني وما كان للرحمن ولد فعلى هذا يكون الفا في قوله فانا اول بمنزلة الواو ويقال ان قوله تعالى اول
العابدين معناه اول الانفين من قولكم يقال عبد يعبد اذا انف وغضب واما عبد يعبد فمن العبادة ويقال
في معنى الاية لو كان للرحمن ولد لكنت اول من قربه لك وعبده ولكن لا ولد له ولا يجوز ان يكون له ولد
وسئل سفين بن عيينة رحمه الله عن هذه الاية فقال معناه كما انه ليس لي ولد فانا اول من عبد الله فكذلك ليس له ولد وقوله
تعالى سبحان رب السموات والارض معناه تنزيه لخالق السموات والارض خالق العرش عما يصفون
اليه من الولد وقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا امر لهم على وجه التفريع والتوبيخ يخوضوا في
باطلهم ويلعبوا بافعالهم حتى يعاينوا يوم القيمة وهذا كما قلنا في قوله تعالى اعملوا ما شئتم قوله
عز وجل وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا من شهد بالحق وهم يعلمون معناه له الالهية في السماء والارض وهو معبود من في السماء والارض
لا معبود غيره وهو الحكيم في امره وقضائه العليم بخلقه وتدبيرهم وجميع ما خلق الله تعالى في السماء
والارض يدل على انه واحد حكيم عليم ولو كان له ولد لكان الولد مثله فاستحق العبادة كما استحق هو
وقوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اي تعالى وثبت ودام الذي بيده
خزاين السموات والارض وعنده علم قيام الساعة لا يعلم وقتها احد غيره واليه المرجع في الاخرة ولا يقدر
احد من الذين يدعون من دون الله من عيسى وعزير والملائكة عليهم السلام ان تشفعوا لاحد منهم
الا من شهد بالحق بكلمة التوحيد وهو يعلم بقلبه انها حق ويستدل من هذه الاية على بطلان التقليد
في اقامة الشهادة وعلى انه لا يجوز اداؤها الا عن علم وبصيرة قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون
معناه ولئن سألت هؤلاء الذين عبدوا غير الله تعالى من خلقهم وخلق معبودهم ليقولن الله خلقهم
فمن اين يصرفون عن عبادة الله تعالى مع اعترافهم بانه الخالق والخالق اولى بالعبادة من المخلوق
وقوله تعالى وقيله يا رب من قرا بنصب اللام وضم الهاء معنى ويعلم قيام الساعة ويعلم قيل محمد
صلى الله عليه وسلم يا رب لان قوله تعالى وعنده علم الساعة في معنى ويعلم قيام الساعة ويجوز ان يكون

قوله تعالى وقيله عطفا على قوله تعالى سرهم ونجواهم كانه قال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله في شكواه منهم الى ربهم ومن قرا وقيله بكسر اللام والها فهو على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله ولو قرى وقيله برفع اللام على معنى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم هذا القول اي القول يا رب كما يقال لزيد نداوه يا رب لكان جايزا في الكلام وقوله تعالى وقل سلام سلام هجران لا سلام تحية ومعناه سلام منكم وبراءة مما انتم عليه فسوف تعلمون ماذا ينزل بهم فيسلمون حتى لا ينفعهم الندم ويقال انما ذكر السلام في اخر هذه السورة على عادة العرب في ختم الامور والكلام بالسلام ولذلك تكتب في اواخر الكتب والسلام وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الزخرف كان فيمن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وبالله التوفيق

سورة الدخان مكية كلها

وهي خمسون وسبع ايات عند البصريين وتسع عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب اباىكم الاولين بل هم في شك يلعبون

اول السورة قسم وجوابه انا انزلناه ويقال ان جواب القسم قوله انا كنا منذرين لانه ليس من عادة العرب ان يقسموا بنفس الشي والجواب والليلة المباركة هي ليلة القدر في قول اكثر المفسرين وهو الصحيح انزل الله تعالى القران فيها الى السفرة في السما الدنيا فوضعوه في بيت العزة ثم كان جبريل عليه السلام ينزل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا بعد شي على مقدار الحاجة هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد فسر ذلك في قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران وسميت هذه الليلة مباركة لان فيها الرحمة والمغفرة للذنوب وفيها يقدر الله تعالى الاشيا من ارزاق العباد واجالهم وغير ذلك من الامور التي تثبت طول سنتهم الى مثل تلك الليلة من السنة القابلة ومعنى البركة نما الخير على النبات والدوام ونقيضه الشوم وهو ظهور الشر نعوذ بالله منه ويقال انما سميت مباركة لانه لا يقدر فيها شي من المكاره كما قال تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر وعن عكرمة رضي الله عنه انه كان يقول هي ليلة النصف من شعبان فيها يقضى كل امر حكيم وفيها ينسخ لجبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت جميع ما هم موكلون عليه من سنة الى سنة وكان عبد الله بن عباس يقول انه يلقى الرجل في الاسواق وقد كتب اسمه في الموتى وفي قوله تعالى امرا من عندنا بيان ان الذي يفرق في هذه الليلة لا يكون الا من عند الله تعالى وتدبيره كانه قال عز من قايل بل الامر من عندنا ويجوز ان يكون قوله تعالى امرا منصوبا بيفرق فالمعنى يفرق فرقا الا انه وضع امرا مكان فرقا وقوله تعالى انا كنا مرسلين الرسل نعمة من ربك انه هو السميع لما يقوله المحق والمبطل العالم بمواقع الاحسان والافعال وما يجازيهم في قوله تعالى رب السموات والارض بيان ان الذي دبرهما على ما فيه ذلك من مصالح العباد هو الذي دبر بارسال الرسول رحمة منه عليهم فان كنتم موقنين بتدبيره في السموات والارض فايقنوا بما هو مثله واليقين هو ثلج الصدر بالعلم ولذلك يقال لوجد برد اليقين ولذلك لا يجوز في صفات الله تعالى موقن وجاز عليم وعالم قوله عز وجل فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون انى لهم الذكرى وقد جاهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عايدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وذلك ان المشركين لما اكثروا ايذا النبي صلى الله عليه وسلم واس من ايمانهم بر دعا عليهم وقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عليه السلام فانزل الله تعالى هذه الايات ثم اخذتهم السنة حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة من الجوع ولم يرتفع القطر واجدبت الارض وكانوا اذا نظروا الى السما راوا دخانا بين السما والارض للظلمة التي غشيت ابصارهم من شدة الجوع ويقال ليبس الارض وانقطاع الغيث ثم ان قوما منهم فيهم ابو سفين والعاص بن وايل جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انك جيت تامرنا بطاعة الله تعالى وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله تعالى لهم فدعا صلى الله عليه وسلم فقال اللهم دعوتك فاجبتني وسالتك فاعطيتني اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار فما برح النبي صلى الله عليه وسلم حتى انزل الله المطر وجا الناس يسدون فقالوا الغرق الغرق ثم ان القوم عادوا بعد ذلك الى كفرهم وهذا التاويل انما يستقيم على قول ابن مسعود رضي الله عنه فانه كان يقول خمس قد مضين الدخان والروم والبطشة واللزام وانشقاق القمر وكان يذهب الى ان البطشة الكبرى هي التي اصابتهم يوم بدر وذلك اعظم من الجوع الذي اصابهم بمكة وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالدخان في هذه الايات الدخان الذي ينزله الله تعالى عند قيام الساعة ثم يكشف عنهم العذاب بعد ذلك كما روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال اذا كان يوم القيمة نزل دخان من السما فاخذ باسماع الكافرين والمنافقين وابصارهم حتى تصير رووسهم كالراس الحنيذ وياخذ المومنين بمنزلة الزكام وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال الخبر ان الكوكب ذا الذنب قد طلع فخشيت ان يكون الدخان قد طرق فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى انى لهم الذكرى من اين ينفعهم ايمانهم وقد جاهم رسول مبين في الوقت الذي كانوا مكلفين فيه ثم اعرضوا عن الايمان به وقالوا معلم يعلمه الجن ويعترضون له ويكون معنى قوله تعالى انا كاشفوا العذاب انا كاشفوا عذاب الدنيا بعد مجي الرسول الى وقت الدخان بمهلتهم لكي يتوبوا ولن يتوبوا ويكون لفظ هذا لفظ الخبر ومعناه الشرط والجزا كانه قال ان نكشف عنكم العذاب تعودوا كما قال عز من قايل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والمراد بالبطشة الكبرى على هذا القول يوم القيمة واما على القول الاول فمعنى قوله تعالى انى لهم الذكرى اي من اين لهم الذكرى ومعناه لا يتذكرون وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا اعلام لهم انهم لا يتعظون وانا اذا رفع عنهم الجدب عادوا الى طغيانهم قوله عز وجل ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي وربكم ان ترجمون وان لم تومنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هولا قوم مجرمون فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون معناه ولقد كلفنا قبل اهل مكة قوم فرعون من الطاعة ما اشتد عليهم وجاهم موسى عليه السلام رسول كريم الاخلاق كريم على الله تعالى وعلى اوليايه ان سلموا الي بني اسرايل واطلقوهم من عذابكم كما قال عز من قايل في موضع اخر فارسل معي بني اسرايل واطلقهم من عذابكم ولا تعذبهم اني لكم رسول من الله تعالى امين على الرسالة لست بخاين ولا كاذب ولا كاتم شيا مما اوحي الي وان لا تعلوا اي لا تتكبروا على الله بترك طاعته اني اتيكم على صدق ما اقول بحجة ظاهرة واني اعتصمت بخالقي وخالقكم من ان تقتلوني بالحجارة وان لم تصدقوني فاعتزلوني فاتركوني لا معي ولا علي لا اقل من ان تكفوا شركم عني فابوا ان يقبلوا منه فدعا ربه عز وجل وقال في دعايه ان هولا قوم مجرمون ولم يدع الا بعد ان اذن له في الدعا عليهم فلما دعا اجيب بان قيل له فاسر بعبادي اي سر بهم ليلا حتى تقطع بهم البحر انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه وقيل له اضرب بعصاك البحر فانفلق ففعل ذلك موسى عليه السلام فلما قطع باصحابه البحر اراد ان تختلط الطرق التي جعلها الله له ولاصحابه في البحر لكيلا يعبر فرعون

وقومه بها فقيل دا اترك البحر رهوا اي ساكنا منفتحا منكشفا على ما هو عليه من كثرة فات
فرعون وقومه جند مغرقون في حكم الله تعالى فاتبعهم فرعون وقومه حتى اذا احتذوا في تلك
الطرق اغرقهم الله تعالى والرهو في اللغة هو الكثير يقال اعطاه سهوا رهوا اي كثيرا لا
يحصى ويقال ان الرهو ههنا هو الطرق المتتابعة يقال جات الخيل رهوا اي متتابعة قال ابن
الاعرابي الرهو من الخيل والطير السراع تراها كانها لا تسرع واذا طلبت لا تدرك **قوله عز**
وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين معناه
كم ترك قوم فرعون من بساتين عامرة ملتفة الاشجار وعيون ظاهرة عذبة وزروع مثمرة وعامرة
ومساكن شريفة حسنة من مقام الملوك والخطباء والامراء ونعمة كثيرة من المال والولد
وتنعم كانوا فيها ناعمين معجبين كذلك كانت حالهم واورثناها ما تركوها قوما اخرين وهم
بنو اسرائيل رجعوا بعد هلاك فرعون الى مصر وصارت اموال قوم فرعون ونعمهم لهم من غير
كلفة ولا مشقة كالميراث الذي ينتقل من الموروث الى الوارث من غير مشقة تلحق الوارث وهذا من غاية انعام
الله تعالى على بني اسرائيل وقوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض يقول ما بكت على فرعون وقومه اي كانوا
اهون من ان يبكي عليهم احد من اهل السماء والارض لانهم كانوا في مقام الخزي في سخط الله تعالى عليهم وعن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما من مومن يموت الا بكى عليه بابه الذي يصعد منه عمله وينزل منه رزقه
ومصلاه الذي كان يصلي عليه في الارض وعن مجاهد رضي الله عنه انه قال اذا مات المومن بكت عليه الارض
اربعين صباحا وعن السدي رضي الله عنه انه قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت السماء عليه وبكاوها
حمرة اطرافها والمعنى على هذه الاقوال لم يكن لهم مواضع طاعات في الارض ولا مصاعد طاعات في السماء
تبكي عليهم بخلاف المومن اذا مات وقال بعضهم هذا على طريق التمثيل لان العرب اذا ذكرت موت ملك
عظيم الشان قالت كسف القمر لفقده وبكت عليه الريح والسماء والارض كما قال الشاعر
الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامة • وقال • احزن الشمس طالعة ليست بكاسفة •
تبكي عليك نجوم الليل والقمرا • والمعنى على هذا انهم لم يكونوا بحال ان يقال بكت الارض والسماء عليهم
ولو كانت السماء والارض يبكيان على احد لم يبكيا على هولاء لان العقل يستحسن ما وقع بهم وقوله تعالى
وما كانوا منظرين اي عاجلناهم بالعقوبة **قوله عز وجل** ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات
ما فيه بلاء مبين معناه خلصنا بني اسرائيل مما كان فرعون يفعل بهم من ذبح الابناء واستحياء النساء واستعمالهم
واستعمالهم في الامور الشاقة انه كان عاليا عاتيا متكبرا من التجبر وزين عن الحد حتى ادعى الالهية والعلو
والاسراف من صفات الذم وقوله تعالى ولقد اخترناهم اي بني اسرائيل على عالمي زمانهم على بصيرة منا
انهم اهل الاختيار في ذلك الزمان ويقال اخترناهم بكثرة الانبياء صلوات الله عليهم فيهم وهذا لا يليق
الا بالانبياء صلوات الله عليهم الذين خصوا بالمعجزات التي هي نعمة عظيمة في الدين **قوله عز وجل** ان
هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا باباينا ان كنتم صادقين اهم
خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه ان هولاء المشركين
ليقولون ما الدنيا وحياتها الا موتتنا الاولى التي نموتها وسموها الاولى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
بالموتة الاخرى وكانوا ينكرونها وكانوا يقولون وما نحن بمنشرين اي مبعوثين وهذا ذم لهم على الجهل
بحكم الله تعالى في مجازاة العباد على الحسنات والسيئات وقوله تعالى فاتوا باباينا معناه قالوا للنبي

يا محمد ابانا الذين ماتوا حتى يسالهم احق ما تقول ام باطل وذلك انهم كانوا يقولون ان كان ما يقول
حقا فات بقصي بن كلاب ليخبرنا عنك فانه كان رجلا صدوقا فينا وكانوا يقولون لو
جازت النشاة الثانية لجاز ان يرجع الينا من مضى من ابائنا وهذا من اضعف الشبه التي يتعلق بها المبطل
لان النشاة الثانية للجزاء ودار الجزاء دار الاخرة لا دار التكليف فلما تجاهل القوم في الحجاج وتعلقوا
بالشبهة الواهية اجيبوا بما هو وعظ لهم من ذكر الوعيد الشديد بقوله اهم خير ام قوم تبع يقول اهم
خير في القدرة والقوة والمال ام قوم ملك اليمن والذين من قبلهم اهلكناهم وخص ملك اليمن بالذكر
لانه كان اقرب الى زمانهم وتبع اسم لكل من كان من ملوك اليمن كما ان فرعون اسم ملك مصر وقيصر اسم
ملك الروم وكسرى اسم ملك العجم وانما سمي ملك اليمن بهذا الاسم لكثرة تبعه ويقال لان كل واحد
منهم كان يتبع من قبله وجاء في التفسير ان ملك اليمن الذي كان اقرب الى زمانهم كان مومنا وكان اسمه
اسعد بن ملكي كرب وكان قومه كفارا كما **روي** انه وجد مكتوب على قبرين بناحية حمير هذا ان
قبرا رضوى وحبى ابنتي تبع ماتا لا يشركان بالله شيئا وفي قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض
الى اخر الاية بيان انه لو كان الامر على ما توهموا انه لا يصار بهم الى الجزاء في دار اخرى لكان لعبا
قوله عز وجل ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون
الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم معناه ان يوم القضاء بين الخلائق وقت جزاء الاولين والاخرين
يوم لا ينفع فيه صديق صديقا ولا يدفعون عما يراد بهم الا من رحم الله تعالى وهم المومنون فانه تشفع
بعضهم في بعض كما **روي** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من امتي ليحبس ببني
ولا رسول ليشفع لاكثر من ربيعة ومضر **قوله عز وجل** ان شجرت الزقوم طعام الاثيم
كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق راسه
من عذاب الحميم ذق انك انت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون الاثيم في اللغة كثير
الاثم ويقال هو الفاعل لما فيه الاثم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان يلقن رجلا ان شجرت
الزقوم طعام الاثيم فكان الرجل يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر والزقوم اسم لما يوكل
بتكره شديد ومن ذلك يقال تزقم هذا الطعام والمهل كدردي الزيت اسود غليظ ويقال المهل
كل ما يمهل في النار من نحاس او فضة وغير ذلك حتى يذوب ويماع ويشتد حره وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه انه جمع دراهم الزيوف بالشام حين كان عاملا لعمر رضي الله عنه فجعلها
وكانت الفضة تتلون الوانا تصفر وتخضر وتحمر فقال من اراد ان ينظر الى المهل فلينظر الى هذا وقوله
تعالى خذوه فاعتلوه اي يقال للخزنة النار خذوه بالعنف دفعا وسحبا الى وسط الجحيم يقال عتل
يعتل ويعتل وكلاهما بمعنى واحد ومنه العتل الجافي الغليظ وقيل للوسط سواء لاستواء المسافة
بينه وبين اطرافه المحيطة به والامر بالسوق الى وسط النار للابلاغ في العقوبة ومن اعظم ما يجري
على المرء تعذيب الدماغ والراس ولذلك قيل ثم صبوا فوق راسه وقوله تعالى ذق انك انت العزيز
الكريم فيه قراءتان من قرا انك بالنصب المعنى لانك انت العزيز الكريم في زعمك واعتقادك فذق
جزاء قولك والسبب في هذا ما روي انه لما التقى ابو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم على باب المسجد قال
يا محمد باي شي تهددني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا واني لمن اعز هذا الوادي
واكرمهم على اهله ومن قرا انك بالكسر فهو على وجه التعريض اي لست كذلك كما حكي عن قوم شعيب
عليه السلام انك لانت الحليم الرشيد ويجوز ان يكون المعنى انك انت العزيز في قومك الكريم عند
نفسك فانك انت الطالب للعز والكريم فيهم بمعصية الله تعالى فما اغنى عنك ذلك وقوله تعالى
ان هذا ما كنتم به تمترون اي يقال لهم هذا ما كنتم تشكون فيه **قوله عز وجل** ان المتقين

في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم
بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب
الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم
مرتقبون المقام الامين هو الموضع الذي يومن فيه من الغير والسندس ما لطف من الديباج والاستبرق
ما غلظ من الديباج مع دقة السلك ويقال هما نوعان من الحرير لقوله تعالى ولباسهم فيها حرير
والاستبرق من شدة البريق وقوله تعالى متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا في المجالس بالمحبة اذا اراد
الرجل منهم حديث صاحبه اوقع الله تعالى في نفس الاخر مثل ذلك فيهما يتحدثان كل واحد منهما
يسمع حديث صاحبه وان بعد عنه ويجوز ان يكون متقابلين من القبول وقوله تعالى كذلك اي
كذلك حالهم في الجنة وزوجناهم اي قرناهم بحور عين الحور جمع الحوراء والحوراء البيضاء
البشرة من الحور وهو شدة البياض ومنه الحواري لبياضه وحورته اذا بيضته والعين جمع
العيناء وهي الواسعة العين الحسنة ويقال هي شديدة سواد سواد العين وشديدة بياض بياض
العين وهو قول الحسن وعن مجاهد رضي الله عنه انه قال ان الحور هن اللاتي يحار الطرف فيهن
بادي سوقهن من وراء ثيابهن يرى الناظر وجهه في كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء
اللون وفي قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين انها بخلاف بساتين الدنيا فانها تشتمل
على كل الفواكه في كل وقت من الاوقات امنين من الانقطاع والنقصان وامنين مما يخاف من
الفواكه من الامراض والاسقام لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الاولى التي ذاقوها وهذا
كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي بعد ما قد سلف وقوله تعالى ووقاهم
معناه دفع عنهم ربهم عذاب النار مع ما اعطاهم من النعيم المقيم وقوله تعالى فضلا من ربك اي
فعل الله تعالى ذلك بالمتقين تفضلا منه عليهم وسمى الثواب فضلا لان الله تعالى لم يكلفهم لحاجة
ولكن ليصلوا الى ذلك الثواب بانجاز الوعد الذي وعدهم وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي انزلناه
بلغتك ولغة قومك ليسهل عليهم ولكي يتعظوا ولو لا تيسير الله تعالى ما حفظه احد لعظم امره وجلالة
قدره وقوله تعالى فارتقب اي انتظر بالكفار ما وعدناهم انهم منتظرون بك الدوائر وعن
ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة حم الدخان ليلة
الجمعة ايمانا وتصديقا بها اصبح مغفورا له ومن قراها في ساير الليالي كانت له نورا يوم القيمة سورة

الجاثية مكية وهي سبع وثلثون اية عند الكوفيين وست عند غيرهم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
الحكيم ان في السموات والارض لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم
يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف
الرياح ايات لقوم يعقلون قد تقدم تفسير اول السورة وانما وصفنا الكتاب بتنزيل من الله
في مواضع على جهة التعظيم كما يقول القايل اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني لا يقصد
بالتكرار الا التعظيم وقوله تعالى ان في السموات والارض لايات معناه ان فيها لدلالات
الحق يدل خلقها على خالق لها قديم لا اول له لانه لو كان له اول لاحتاج الى صانع اخر ولادى الى ما لا نهاية
له وبدل تعظيمها ونقلها من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها على قادر لا يعجزه شي ويكون محكمه جارية
على انتظام عالم دبرها وباستحالة قدرة الاجسام على احداث الاجسام على انه خارج عن حكم الجسم وعن
حكم الطبيعة بما يبهر العقل تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وتخصيص المومنين في اخر الاية
لانهم هم الذين يستدلون بالحجج وينتفعون بها وقوله تعالى لايات في موضع النصب بحرف ان

كما يقول ان في الدار لزيدا وقوله تعالى وفي خلقكم معناه وفي خلقه اياكم حالا بعد حال وتركيب
نفوسكم وما فيها من البدايع والحواس والعقل الذي لا شي فوقه وفيما تفرق على وجه الارض من الدواب
على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على وحدانية الله لقوم
يطلبون علم اليقين وفي قوله تعالى ايات في هذه الاية وفي الاية التي بعدها قراءتان من قراهما بالرفع
فهو على الاستيناف ومن قراهما بالكسر فهو في موضع النصب بان قال الفراء رحمه الله تقول العرب
ان لي عليك مالا وعلى اخيك مالا وما لا فينصبون الثاني ويرفعون وقوله تعالى واختلاف الليل
والنهار معناه وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئهما وبما يحدث في كل واحد منهما من الزيادة والنقصان
من غير ان يكونا جميعا ازيد من اربع وعشرين ساعة وفيما انزل الله تعالى من السماء من المطر فاحيى به
الارض من بعد يبسها وفي تقليب الرياح شمالا وجنوبا وقبولا ودبورا وعذابا ورحمة ايات لمن
يعقل وجه الدلالة ويتدبرها وفي قراءة من قرا ايات بالكسر في اخر هذه الاية عطف هذه الاية على عاملين
على مجرور وهو قوله تعالى في السموات وفي خلقكم وعلى منصوب وهو قوله تعالى ان في
السموات والارض لايات ومثل ذلك في الشعر قول القايل اكل امرء تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا
والمراد وتحسبين كل نار نارا فعطف على مجرور ومنصوب **قوله عز وجل** تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق فباي حديث بعد الله واياته يومنون ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله تتلى عليه
ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم
عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم
عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم معناه تلك التي سبق ذكرها
دلايل الله تعالى لعباده يقراها عليك جبريل عليه السلام بامرنا ليتدبروها ويعقلوها فباي كتاب
وكلام بعد هدى الله تعالى يومنون ان لم يومنوا بهذا القران ثم اوعدهم فقال عز من قايل
ويل اي الشدة من العذاب لكل كذاب فاجر يسمع القران يقرا عليه فلا يتدبره ولا يخشع لاستماعه بل
يقيم على كفره متعظما عن الايمان بالله تعالى كان لم يسمع ايات الله محقرا يا محمد بعذاب وجيع
يخلص وجعه اليه اريد بهذه الاية النضر بن الحرث على ما روي في التفسير انه كان يشتري من احاديث
العجم ويشغلهم وكانوا يستملحون حديثه وكان اذا سمع من ايات القران شيئا استهزا بها فجعل الله
تعالى له العذاب مرتين مرة اليما ومرة مهينا وقتل يوم بدر صبرا ولم يقتل من الاسارى يوميذ غيره وغير
عقبة بن ابي معيط وقوله تعالى من ورايهم جهنم يقول لهم من بعد موتهم جهنم ولا ينفعهم ما اكتسبوا من
الاموال والاولاد ولا ما اتخذوا من دون الله تعالى اربابا في دفع شيء من عذاب الله ولهم في الاخرة عذاب
عظيم وهو ما يعذبون به من الوان العذاب كل ذلك للنضر وامثاله وقوله تعالى هذا هدى اي هذا
القران بيان للحق من الباطل في كل ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا والذين جحدوا دلايل الله تعالى
لهم عذاب من عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم **قوله عز وجل** الله الذي سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون معناه هو الله الذي ذلل لكم البحر يسهل السبيل
الى سلوكه باتخاذ السفن واصلاحها واجرا الله تعالى اياها على الماء بارسال الرياح لتجري به مسخرة
ولتطلبوا من فضل الله تعالى في البحر وخارج البحر ولكي تشكروا رب هذه النعم فتوحدوه وقوله
تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض اي جعل بعضها في قهرنا وتحت قبضتنا وخلق بعضها
لنا نفعا على وجه لا يمتنع علينا من شمس وقمر ونجوم وسحاب ومطر ونبات وشجر وجميع ذلك من الله تعالى
من فضله ورافته ان في ذلك لايات اي دلايل على وحدانية الله تعالى لقوم يطلبون تبيين الحق من الباطل

مابيان الواضح والبرهان الظاهر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بقوم يتفكرون فقال
صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق قوله عز وجل قل للذين آمنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا في اذى شديد من
اهل مكة قبل ان يومروا بالقتال فامر الله تعالى المومنين بتركهم فانهم وفي بعض الروايات
ان رجلا من بني غفار شتم عمر رضي الله عنه فهم عمر ان يبطش به فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى
لا يرجون ايام الله اي لا يخافون عقاب الله تعالى من اذاكم فتجاوزوا عنهم ليجزيهم الله تعالى
عقاب سيئاتهم بما عملوا ويجوز ان يكون معناه تجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله
تعالى للمومنين ليجزي الله تعالى المومنين يوم الجزا بما كانوا يعملون من الحسنات قال قتادة ثم نسخت
هذه الاية بقوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقال الحسن لم تنسخ هذه الاية وهي على الاحكام
في العفو ما لم يودوا الى الاخلال بحق الله تعالى او الى اذلال الدين قوله عز وجل ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين
وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون معناه اعطينا بني اسرائيل التورية والانجيل وفصل الامور
على ما توجبه الحكمة وجعلنا فيهم الانبيا والرسل صلوات الله عليهم ورزقناهم من الحلال ومن لذيذ
الاطعمة كالمن والسلوى وغيرهما وفضلناهم على عالمي زمانهم بكثرة النبيين فيهم وفضل الله
تعالى امة نبينا صلى الله عليه وسلم بكثرة العلما فيهم والقايمين بالحق منهم كما قال تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس واولئك الذين خالفوا اكثر انبيائهم وهولا وافقوا اكثر علمائهم [illegible]
نبيهم قوله عز وجل ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اوليا بعض والله ولي المتقين هذا بصاير
للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون معناه ثم اكرمناك يا محمد بعد اختلافهم فجعلناك على
طريقة مستقيمة من امر الدين فاستقم عليها وادع الخلق اليها ولا تتبع اهوا الذين يجادلونك في امر
الدين والقبلة انهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله تعالى شيئا ان اتبعت اهواهم وان الظالمين بعضهم
ينصر بعضا والله ناصر المتقين وهم امة نبينا صلى الله عليه وسلم هذا القران عظات وعبر للناس وبيان
لهم من الضلالة ونجاة من العذاب لقوم يصدقون انه من الله تعالى قوله عز وجل ام حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سوا محياهم ومماتهم
سا ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
قيل انه نزل في ثلثة من المشركين وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة الذين بارزوا عليا وحمزة وعبيدة
بن الحرث رضي الله عنهم يوم بدر كانوا يقولون لهم لان كان ما يقول محمد صدقا فينا في الاخرة لنفضل
عليكم في الاخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا ومعنى الاية ايظن الذين اكتسبوا المعاصي ان نصيرهم
على صفة الذين آمنوا وعملوا الصالحات سوا في الحيا والممات بئس ما حكموا لانفسهم ان نجعلهم
كذلك وقوله تعالى سوا يقرا بالنصب وبالرفع فمن قراه بالنصب ونصب محياهم ومماتهم فهو على
معنى ان نجعل محياهم ومماتهم سوا ومن قرا بالرفع فسوا في معنى المصدر ومحياهم ومماتهم رفع به
وجعل ذلك في موضع النصب لانها خبر نجعل تقول ظننت زيدا سوا ابوه وامه اي ذوا استوا ابوه وامه
واذا قلت سوا بالنصب جعلته في موضع مستويا قوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه
واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا

تذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم
بذلك من علم ان هم الا يظنون وذلك ان اهل مكة كانوا يعبدون الحجر والعود او
الشي اذا اعجبهم وهووه واذا راوا غيره احسن منه طرحوا الاول وعبدوا الثاني وكانوا
يسمون العبادة على الهوى لا على الحجة فانزل الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجبا من
ضلالتهم ويقال في معنى الاية لا يهوى شيا الا ركبه لا يخاف الله تعالى وفي الخبر ان
الهوى اله يعبد من دون الله تعالى وقال الحسن رضي الله عنه اتخذ الهه هواه لا يعرف الهه
بحجة عقله وانما يعرفه بهواه وقوله تعالى واضله الله معناه خذله الله تعالى ووكله
الى نفسه على ما سبق في علمه انه مستحق للعذاب ويقال في معناه اهلكه الله تعالى على بصيرة منه
فهو عقوبة له من الله تعالى واما قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه فقد تقدم تفسيره واما
قوله تعالى فمن يهديه من بعد الله معناه اذا لم يهده هداية الله تعالى مع ظهور ادلته فلا طمع
في هدايته بهداية غير الله تعالى واما قوله تعالى وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت فقد
قيل فيه انه قول زنادقة قريش الذين كانوا ينكرون الصانع الحكيم ويزعمون ان الزمان
ومضي الاوقات هو الذي يحدث هذه الحوادث يموت قوم ويحيا قوم واسم الدهر يقع على
العمر كما يقال فلان يصوم الدهر يعنون عمره كله وقوله تعالى وما هم بذلك من علم اي ما
لهم بما يقولون من علم ان هم الا يظنون ظن السو لانهم لا يتفكرون في الادلة ويقال في معنى
قوله تعالى نموت ونحيى يموت الابا ويحيى الابنا كما يقال لما مات من خلف ابنا مثله ما مات ويجوز
ان يكون معناه نحيى ثم نموت بعد الحيوة لان الواو للاجتماع لا انها تدل على ان احدهما سبق
الاخر واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فليس
معناه ان الدهر اسم من اسما الله تعالى وانما معناه ان الذي يضيفون اليه هذه الافعال هو
الله تعالى لا الدهر فلا يضيفوا الحوادث الى الدهر قوله عز وجل واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولله ملك
السموات والارض ويوم تقوم الساعة يوميذ يخسر المبطلون وهذا مما تقدم انهم كانوا
يتعلقون بالحجج الباطلة ولو تاملوا لعلموا ان دلايل معجزات النبي صلى الله عليه وسلم اوكد
مما كانوا يطلبون ولذلك وعدهم الله تعالى بقوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم الى آخر
الايتين قوله عز وجل وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم
تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما
الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين معناه وترى
كل اهل دين باركة على الركب مستوفزة للحساب والجزا منتظرة لما يعمل بها كل امة تدعى الى
صحايف اعمالها يقال لهم اليوم تجزون اي تكافون على ما كنتم تعملون في دار الدنيا من الخير
والشر وقوله تعالى هذا كتابنا اريد به كتاب الحفظة يقرونه فيدلهم على ما عملوا فكانه ينطق كما
يقال نطق الكتاب بتحريم الخمر وقوله تعالى بالحق اي بالعدل فيه حسناتهم وسيئاتهم لا يكتب
فيه ما ليس له جزا خير ولا شر كقول العبد اكلت وشربت وهلم ونحو ذلك ونظير هذه الاية قوله
تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه الى آخر الاية وقوله تعالى انا كنا نستنسخ معناه كنا
نامر الملايكة بنسخ ما عملتم ويقال في معناه نستنسخ كتاب الحفظة ونسخته عند الله عز وجل وهو عليم

جميع ذلك وهذا القول اقرب الى الظاهر للفظ لان الاستنساخ لا يكون الا من اصل وهو
ان يستنسخ كتاب من كتاب وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال تنزل الحفظة ومعهم
كتاب مختوم فيكون على العبد عمله فاذا صعدوا فكوا الكتاب الذي كانوا نزلوا به
معهم يقابل ذلك في كل اثنين فان قيل ما معنى وصف المؤمنين بالحثو على
الركب وهو من طريق الخائفين قيل ان حثو المحق والمبطل في موضع الفصل بمنزلة
قعود الخصوم بين ايدي القضاة الى ان يظهر المحق بالفوز بالحجة من المبطل وقوله تعالى
واما الذين كفروا افلم تكن اياتي على الفاء المحذوفة من قولك فيقال لهم
والمجرم هو المرتكب للجرم العظيم وجرمهم هاهنا كفرهم والاجرام الانقطاع
الى الفساد **قوله عز وجل** واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما
الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا
هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم معناه واذا قيل لكم ان وعد الله تعالى في البعث
بعد الموت حق وقيل الساعة لا شك في قيامها انكرتم الساعة واظهرتم الشك وذلك انهم
كانوا يتجاهلون مع ما كان لهم من السبيل الى العلم بقيام الساعة ومن قرا الساعة
بالنصب فعلى العطف على الوعد وقوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا اي ظهر لهم في
الاخرة قبائح اعمالهم التي عملوها في الدنيا حين عاينوا ذلك كله في كتابهم الذي
احصى عليهم كل قليل وكثير وكانوا من قبل يعدونها حسنات فصار ذلك والحسرة انهم
وقوله تعالى وقيل اليوم ننساكم معناه اليوم نترك حفظكم ومراعاتكم فلا تحفظون من
العذاب كما لم تحفظوا حق الله تعالى والنسيان ضد الحفظ وقوله تعالى ذلكم بانكم
اتخذتم معناه ذلك العذاب عليكم بسبب انكم اتخذتم كتاب الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم استهزاء وانقطعتم الى الدنيا وغرتكم فاليوم لا يخرجون من النار
ولا يطلب رضاهم ولا يقالون ان استقالوا وقد انقطعت المعاتبة فلا يجابون
الى ما يعامل به من تعاتب ليظهر وجه العتب وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري
ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت
من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة او النار وفي قوله تعالى فلله
الحمد شكر له تعالى وثناء عليه بما فعله من اعظم الانعام على الخلائق كلهم
وبانه هو المختص بالكبرياء في اهل السموات والارض وهو العزيز في ملكه
وسلطانه الحكيم في امره وقضائه والكبرياء استحقاق التعظيم له وحده
في اعلى مراتب التعظيم لانه سبحانه هو الذي لا يجوز عليه صفة النقص بوجه
من الوجوه وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة الجاثية ستر الله تعالى
روعته وستر عورته عند الحساب

سورة الاحقاف مكية وعن عبد الله بن عباس انه قال

الا اية منها وهي قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله وعدد اي السورة خمس وثلثون اية عند
الكوفيين واربع عند غيرهم بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم
صادقين المعنى بعد الاية الاولى من السورة ما خلقنا السموات والارض الا بالعلم الداعي الى الحق
ولوقت معلوم ينتهي اليه وهو يوم القيمة يوم الجزاء والذين كفروا عما خوفوا به من القران معرضون
لا يتدبرون ولا يتفكرون قل لهم ارايتم اي اخبروني عما تدعون من دون الله تعالى من الملائكة
والاصنام الهة فاروني اي شيء خلقوا من الارض ان كانوا الهة لان الخالق هو الذي يستحق
العبادة ام لهم نصيب في خلق السموات والارض فلذلك اشركتموهم في عبادة الله تعالى وقوله
تعالى ائتوني بكتاب من قبل هذا معناه ان لم تأتوا بدليل من جهة العقل فائتوني بدليل من جهة السمع
هل جاءكم كتاب من قبل هذا القران فيه برهان ما تدعون او اثارة من علم معناه او ائتوني ببقية
من علم المتقدمين ان كنتم صادقين في مقالتكم وقيل ان الاثارة والاثرة باسكان الثاء والاثرة
بفتح الثاء كلها مصادر ومعناها الرواية من العلماء يقال فلان يأثر الحديث عن فلان ومنه قوله تعالى
ان هذا الا سحر يؤثر ومنه المناقب المأثرة لانها تؤثر والاثرة الرواية وقال الحسن اراد بقوله اثارة
من علم وتذكر ويسمى الاثر اثرا لانه يبقى والعلم المأثور هو المروي وكان ابو عبيدة يقول الاثارة
البقية والاثرة الرواية وقال الحسن اراد بقوله او اثارة من علم شيء يستخرجونه ويثيرونه
وهذا التفسير يوجب ان يكون اثارة بكسر الهمزة من اثارتها ولم يقرأ به

قوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم
غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون افتراه قل ان
افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم
وهو الغفور الرحيم يقول لا احد اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يجيب دعاءه
ولو دعاه الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس يوم القيمة كان المعبودون
اعداء لعابديهم في الدنيا كما قال تعالى في اية اخرى ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقالوا
ما كانوا ايانا يعبدون وقوله تعالى قل ان افتريته معناه قل لهم ان اختلقته من تلقاء نفسي
كما تزعمون فقد استحققت عقابا من الله تعالى لا تملكون دفعه عني يوم القيمة هو اعلم بما تخوضون
فيه فاكتفوا بالله شهيدا بيني وبينكم فاني رسوله اليكم وان هذا القران كلامه وتنزيله وقوله
تعالى وهو الغفور الرحيم بيان انعامه تعالى عليهم وانه لم يعاجلهم بالعقوبة وحث لهم على الانابة
عن المعصية لانه يجيب لهم بسؤال المغفرة **قوله عز وجل** قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما
يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى في منامه انه خرج الى ارض ذات نخل وشجر فقص رؤياه على اصحابه فاستبشروا
وظنوا انه حق فلما ابطا عليهم الاذن في الهجرة جعلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
النبي صلى الله عليه وسلم انما كان ذلك رؤيا ولا ادري ما يوحى
هذه الاية ومعناها قل لست اول رسول ارسل الى الناس وما ادري ما يفعل الله بي ولا بكم

والمؤمن والمجرم

لدنيا الانعام يقولون ان اتبع الا ما يوحى الي وقد اوحى اليه بما يصير اليه الكافر ويقال في معناه لا ادري ماذا اومر به في الكفار من حرب او سلم ولا ادري ما يفعل الله تعالى بهم ايعاجلهم بالعقوبة ام يؤخرها عنهم قال الحسن لم يدر ما يصنع الله تعالى به حتى نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ولم يدر ما يصنع الله تعالى بامته حتى نزل بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر فعلم ان الله تعالى لا يعذبهم بالاستيصال الى يوم القيمة وعن الضحاك انه قال في معنى هذه الاية ما ادري ما تؤمرون به وما امر به من الشرايع والبدع في اللغة والبديع نظيران وهو وجود ما لم تجر العادة بمثله

قوله عز وجل قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اختلفوا في المراد بالشاهد من هذه الاية قال من ذهب الى ان هذه السورة كلها مكية ان المراد به يامين بن يامين وهذا الشاهد كان قدم مكة فامن ويقال ان هذا الشاهد كان عبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وهو بالمدينة فامن ويقال ان المراد بالشاهد موسى عليه السلام كان من بني اسرائيل وكانت شهادته للنبي صلى الله عليه وسلم ما في التورية في تصديق القران ومثل القران هو التورية وقوله تعالى المراد في هذه الاية محذوف الجواب كانه قال في اخره فامن واستكبرتم فمن اظلم منكم واما رواية عبد الله بن عباس ان الشاهد هو عبد الله بن سلام على ما روي انه قدم من الشام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك نبي مكتوب في التورية وامن به ثم قال احبائي في بيت ثم احضر اليهود وسلهم عني فانهم سيكونون عندك ويخبرونك بمكاني من العلم ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحضر اليهود وقال لهم ما تقولون في عبد الله بن سلام فقالوا عالمنا وابن عالمنا وسيدنا وابن سيدنا وفقيهنا المقدم من منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان امن بي اتؤمنون فقالوا انه لا يفعل ذلك فكرر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم مرة بعد اخرى حتى قالوا نعم فخرج عليهم عبد الله بن سلام وقال لهم الم يانكم في التورية عن موسى عليه السلام اذا رايتم محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرؤه مني السلام وامنوا به ثم جعل يفقههم من التورية على مواضع منها فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصفته فكانوا يستكبرون ويجحدون فقال عبد الله بن سلام للنبي صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ارسلك بالهدى ودين الحق فقالوا له ما كنت لهذا اهلا اتيناك عليك ولكنك كنت غايبا فكرهنا ان نعايبك

قوله عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون معناه وقال الكفار من بني اسد وغطفان واشجع لمن اسلم من جهينة ومزينة واسلم وغفار لو كان هذا الدين يعنون دين الاسلام خيرا ما سبقونا اليه رعاة الشاء وبحوا رعي منهم واذ لم يهتدوا به مع ظهوره وصوحه فسيقولون مع ذلك هذا القران كذب متقادم انه محمد واحياه في عصره بقول الله عز وجل ومن قبله كتاب موسى المعنى ويشهد القران كتاب موسى عليه السلام قبله اماما يقتدى به ونجاة من العذاب لمن امن به وهذا القران مصدق لما في التورية وقوله تعالى لسانا عربيا يجوز ان يكون معناه بلسان عربي بفعلوة ويجوز ان يكون منصوبا على الحال ويكون لسانا توكيدا كما يقول جاني زيد رجلا صالحا تريد جاني زيد صالحا وقوله تعالى لينذر الذين ظلموا اي انزلناه اليك لتخوف الذين ظلموا ويكون بشرى للمحسنين واما قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقد تقدم تفسيره

قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون في الاية ما يدل على انها نزلت في رجل بعينه لان الناس كلهم لا يكون حملهم ورضاعهم ثلثون شهرا ولا يقولون اذا بلغوا اربعين سنة رب اوزعني وجا في التفسير انها نزلت في ابي بكر الصديق اسلم بعد اربعين سنة ويقال معنى الاية ان الذي بلغ اشده فدعا الله تعالى له من يجاهد كذا والذي يقول لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج هو الذي حق عليه القول وقوله تعالى حملته امه كرها اي على كلفة ومشقة واراد به الحمل في البطن ووضعته كرها اي على مشقة وقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا قيل ان المراد به ان حمله في بطن امه ستة اشهر هي اقل مدة الحمل وفصاله من الرضاع اربعة وعشرون شهرا كما روي ان رجلا تزوج امراة على عهد عثمان فولدت لستة اشهر فامر برجمها فقال علي اما انها لو خاصمتكم بكتاب الله تعالى لخصمتكم قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال وفصاله في عامين فسال عثمان رضي الله عنه الناس عن ذلك فقال له ابن عباس مثل ذلك فرجع عثمان الى قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وقوله تعالى حتى اذا بلغ اشده روي عن عبد الله بن عباس وقتادة ان الاشد بضع وثلثون سنة وقال الشعبي بلوغ الحلم وقال الحسن قيام الحجة عليه والاول اشبه واستحكام رايه ومن المعلوم ان فعل الطاعة في مثل هذه الحال اوجب واللوم على تركها الزم وقوله تعالى قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي الهمني ووفقني ان اشكر نعمتك التي مننت علي وعلى والدي بالاسلام ووفقني ان اعمل صالحا تقبله واصلح لي في ولادي اي اجعلهم صالحين واصلح لي بتوفيقهم للاسلام اني قبلت بالتوبة اليك واني من المخلصين فاسلم عبد الله بن ابي بكر وامه ولم يسبق لابي بكر ولد ولا والد الا اسلم وقوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم اي اهل هذه الصفة هم الذين تتقبل عنهم احسن ما عملوا وهو الطاعات وذلك انه يقع في افعال المكلف ما يكون حسنا ولا يثاب عليه كالاشيا المباحة وقوله تعالى ونتجاوز عن سيئاتهم اي عن السيئات التي سلفت منهم يدخلون في اصحاب الجنة وعد الصدق وعدا صدقا من الله تعالى كانوا يوعدون به في الدنيا

قوله عز وجل والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ذهب بعض المفسرين الى ان قوله والذي قال لوالديه نزل في شان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لابيه وامه قبل ان اسلم حين كانا يدعوانه الى الاسلام ويخبرانه بالبعث بعد الموت اف لكما اي قذرا لكما كما يقال اف عند شم الرايحة الكريهة اتعدانني تخوفانني ان اخرج من القبر وقد خلت القرون من قبلي ولم يخرج احد منهم من قبره وهما يدعوان الله تعالى له بان يهديه ان يرشده ويقولان له ويلك امن ان وعد الله حق اي البعث صادق كاين فيقول ما هذا الذي تقولان الا اكاذيب الاولين وقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول اريد به القرون التي ذكرهم عبد الرحمن وذلك انه قال لابويه احيا بعض ابائي واجدادي حتى اسالهم عما تقولان فان صدقوا كما امنت ويكن بعض بنعثان جدعان بن عمرو فانه كان شيخا كبيرا صدوقا فقيل له اولئك الذين يطلبهم

جدعان وعثمان ابنا عمرو وغيرهما حق عليهم القول اي وجبت عليهم كلمة العذاب في امم قد مضت قبلهم من كفار الجن والانس انهم كانوا خاسرين اي خسروا انفسهم بترك الايمان ثم اسلم بعد ذلك عبد الرحمن وحسن اسلامه وكان من افاضل المؤمنين وذهب الحسن الى ان الاية نزلت في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث الذي مات على كفره لان في قوله اولئك الذين حق عليهم القول اعلاما بانهم لا يؤمنون والى هذا القول ذهب الزجاج ويروى ان معاوية كتب الى مروان ليأخذ على الناس البيعة ليزيد فانكر ذلك عبد الرحمن فقال اتاخذون البيعة لابنائكم فقال مروان هذا الذي انزل الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب مروان ما انزل الله تعالى ذلك في رجل من بني امية ولو شئت ان اسميه لسميته لكم ولكني اشهد ان الله تعالى لعن ابا فلان وكان هو في صلبه فهو من فضض لعنة الله تعالى وقوله تعالى ولكل درجات معناه ولكل فريق من المؤمنين والكافرين منازل بما عملوا وليوفيهم جزاء اعمالهم وهم لا يظلمون اي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيئاتهم

قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون معناه وانذرهم يوم يعرضون على النار فيقال لهم اذهبتم اموالكم وبقاء قوتكم وشبابكم في لذاتكم في الدنيا لا في طلب رضى الله تعالى وفي وجوه محرمه واستمتعتم بطيباتكم في الدنيا فليس لكم اليوم ها هنا حسنات وانما تجزون عذاب الهون اي الهوان الشديد باستكباركم في الارض بالباطل وخروجكم من طاعته تعالى الى معاصيه وعن عبد الله بن عباس ان عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله تعالى فاستوى النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وقال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحيوة الدنيا وعن عمر انه كان يقول لو شئت ان اكون اطيبكم طعاما والينكم ثيابا لفعلت ولكني استبقي من دنياي لاخرتي وهذا على اختيار الافضل لا على انه لا يجوز غيره لان الله تعالى قال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق

قوله عز وجل واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله وابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون الاحقاف الرمال المستطيلة في ارض كانت منازلهم بالشحر من اليمن هذه رواية عن ابن عباس وقال الحسن الاحقاف الجبال ولم يكونوا اصحاب جبال ولكن كانت ابنيتهم مشيدة كالجبال والحقف في اللغة هو ما اشرف من كثبان الرمل واستطال وقوله تعالى وقد خلت النذر معناه انهم قد انذروا بالعذاب ان عبدوا غير الله تعالى قبل انذار هود وعلى لسان هود عليه السلام وقوله تعالى عذاب يوم عظيم يحتمل عذاب الدنيا ويحتمل عذاب الاخرة وقوله تعالى قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا اي قالوا يا هود اجئتنا لتصرفنا عن عبادة الهتنا فأتنا بالعذاب الذي تعدنا به ان كنت صادقا فيما تقول قال لهم هود عليه السلام انما العلم بمجيء وقت العذاب عند الله تعالى لا يعلم احد الا ما علمه الله تعالى وانا ابلغكم ما ارسلت به ولكني اراكم قوما تجهلون امر الله وعقابه

قوله عز وجل فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين معناه فلما راوا العذاب الذي جاءهم به عارضا اي هيئة السحاب مستقبلا اوديتهم التي كانوا افاروا الغيم من نواحيها كانت سنتهم سنة جدب طنوه سحابة خير فقالوا هذا الذي وعدتنا به سحابة قد عرضت في السماء ممطرة ايانا فقال لهم هود عليه السلام بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح هو ريح الدبور جاءت من قبل المغرب فيها عذاب وجيع لكم تهلك كل شيء اتت عليه باذن ربها فخرج هود عليه السلام من بينهم وتركت الريح فتبعت مواشيهم فجعلت ترمي الغنم ورعاتها فحملتهم في السماء ثم تقذفهم في البحر ثم نزعت اهل البيوت فجعلتهم كالرميم فاصبحوا لا ترى الا منازلهم وهم جاثمون في تلك الاودية على وجوههم هكذا تجازي من اجرم منهم بمثل ما جازيناهم وعن عمرو بن ميمون انه قال كانت الريح ترفع الظعينة حتى ترى كانها جرادة

قوله عز وجل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون الخطاب لاهل مكة والمعنى ولقد مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من البسط في المال والولد وزيادة القوة وطول العمر والقامة وجعلنا لهم اسماعا يسمعون بها وابصارا يبصرون بها وقلوبا يعقلون بها فلم ينفعهم ذلك من عذاب الله تعالى اذ نزل بهم بسبب انهم كانوا ينكرون دلائل الله تعالى ونزل بهم عقاب استهزائهم بالرسل ولقد اهلكنا بالعذاب ما حولكم من اهل القرى مثل عاد وقوم تبع باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقكم بالشام فهي خراب وصرفنا لكم الايات في كل وجه لكي يرجعوا من الكفر الى الايمان فهلا اغاثهم الذين عبدوا من دون الله تعالى الهة ليقربوهم الى الله تعالى بل ما نفعوهم وذلك ان دعاهم الهتهم هو افكهم وافتراؤهم على الله عز وجل

قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين معناه واذكر اذ وجهنا اليك نفرا من الجن وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ببطن نخلة اذ اتاه تسعة رهط من جن نصيبين من اليمن صرفهم الله تعالى بالتوفيق وقيل لما صرفوا اليه بالرجم بالشهب قالوا ان هذا الامر كبير فلما انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض اسكتوا حتى نسمع قراءته وانما قالوا ذلك لانهم سمعوا شيئا لم يسمعوا مثله فلما فرغ من القراءة في الصلوة انصرفوا الى قومهم مخوفين لهم بالقران فقالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا يعنون القران انزل على محمد صلى الله عليه وسلم انزل من بعد كتاب موسى عليه السلام موافقا لما تقدمه من الكتب في اصل الدين يهدي الى التوحيد والى طريق قائم برضاه الله تعالى وفي هذه الاية دليل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس وفي الخبر ان هؤلاء التسعة من الجن لما رجعوا الى قومهم جاء جماعة منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيهم بالبطحاء ليلا ومعه ابن مسعود رضي الله عنه فقرا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القران وامرهم ونهاهم فامنوا به

قوله عز وجل اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير معناه اليس الله بقادر

90

على احيا الموتى فيما ترون وتعلمون يا اهل مكة فان خلق السموات والارض وما فيهما
من العجايب والبدايع اعظم من اعادة الحيوة في الميت بعد ما كانت فيه وقوله تعالى ولم
يعي بخلقهن من قولهم عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه واعييت اذا تعبت فيه وكان قوله لم يذهب
عليه وجه الحكمة في خلقهن ولو كان من الاعيا الذي هو النصب لقال ولم يعي بضم اليا
قوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم
الفاسقون انما بدء في اعادة ذكر الكفار على النار ارادة في الاعذار والمبالغة في الانذار
والعرض على النار بمنزلة قولهم عرض فلان على السياط وقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
قيل اولوا العزم من الرسل خمسة هم اولوا الكتب والشرايع نبينا صلى الله عليه وسلم ونوح
وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل اريد باولي العزم الانبيا كلهم وحرف من
على هذا القول لتبيين الجنس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان جميع الرسل
سلخوا من جلودهم فلم يجزعوا وقيل في قوله تعالى بلاغ قولان احدهما ان هذا القران
عظة بليغة لهم والثاني ان تلك الكتب بلغة ومهلة لهم وقوله تعالى فهل يهلك اي فهل يهلك على
الله تعالى الا هالك وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الاحقاف كتبت له حسنات بكل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية وهي ثمان وثلثون اية عند الكوفيين وتسع عند
الحجازيين واربعون عند البصريين

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك
يضرب الله للناس امثالهم روي عن ابن عباس انه قال وذلك ان مشركي اهل مكة كانوا يصدون
الناس عن الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعضهم ينسبه الى الجنون وبعضهم يقول شاعر
وبعضهم يقول كاهن وساق رؤساهم اهل بدر الى حرب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يتكفل
واحد منهم نوبة في الاطعام فانزل الله تعالى فيهم هذه الايات وقوله تعالى اضل اعمالهم اي
ابطل حسناتهم فلا اجر لهم في الاخرة وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات معناه
والذين صدقوا بالله وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم وصدقوا بالقران الذي نزل على
محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق الصدق ويجوز ان تكون الكناية في هذا راجعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كفر عنهم سيئاتهم اي كفر ذنوبهم بالجهاد واصلح حالهم
واظهرهم على اعدائهم وقواهم من ضعفهم ذلك لابطال القبول بسبب اتباع الكفار الباطل
واتباع المومنين الحق من ربهم وقوله تعالى كذلك يضرب الله اي كالبيان الذي ذكر
يبين الله للناس عاقبة امثالهم احسانات المومنين وسيات الكافرين ومعنى قول الرجل ضربت لك مثلا
اثبت لك صنفا من الامثال وقد تكون الامثال بمعنى الاوصاف ويقال الاية اراد بقوله تعالى امثالهم امثال
وهذا كما في قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات ومعنى ذكر الامثال هاهنا مع انه لم يتقدم مثل في هذه
الاية ذكر المنازل الكافرين ان من جعل الباطل فاتبع والمومن من جعل من دعاه الحق من ربه فاتبع
قوله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق

فاما منا بعد واما فدا حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن ليبلو
بعضكم ببعض والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم معناه اذا لقيتموهم في الحرب فاضربوا الرقاب ضربا وهذا مصدر اقيم مقام
الامر كما في قوله تعالى فتحرير رقبة وقوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم اي اذا اكثرتم فيهم القتل
وغلبتموهم فاستوثقوهم بالاسر وهذا نظير قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض وقوله تعالى فاما منا بعد واما فدا معناه فاما ان تمنوا على الاسير فتطلقوه بغير
فدا واما ان تطلقوه بفدا باسراكم عند حزبهم روي عن ابن عباس انه قال هذه الاية منسوخة
باية القتال في سورة التوبة والى هذا ذهب ابو حنيفة رحمه الله قال لا يجوز المن على الاسير ولا الفدا
بالمال ولا بغير المال من الاسرى ولا يباع السبي من اهل الحرب ولم يختلف اهل التفسير ونقلة الاخبار
ان سورة التوبة نزلت بعد سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولا خلاف بين اهل العلم في جواز قتل
الاسير وجواز تسمية الاسارى بين المسلمين اذا لم تكن الاسارى من العرب وانما اختلفوا في جواز المن
عليهم وفي مفاداتهم بالمال والنفس فقال الشافعي رحمه الله يجوز المن عليهم فان النبي صلى الله عليه وسلم
قتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث بعد الاسر يوم بدر ومن على ابي عزة الشاعر على ان لا يقاتله
فرجع الى مكة ثم عاد بعد ذلك للقتال فاسر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله قال ومن النبي صلى الله
عليه وسلم على اهل مكة ولم يغنم اموالهم واجاب اصحابنا عن هذا انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما
من على ابي عزة لانه كان من العرب وكان لا يجوز استرقاقه وكان ذلك قبل نقض الصلح الذي
كان بينهم بالحديبية واما المن على اهل مكة فهو عندنا على انه لا يجوز استرقاقهم فلم يكن في ذلك
المن اسقاط لحق المسلمين ولم يكونوا اسرى وعلى اصلهم فتحت مكة صلحا لا عنوة فلا يستقيم هذا الاحتجاج
منهم وذهب ابو يوسف ومحمد الى تجويز مفاداة الاسير كما روي عن عمران بن الحصين انه قال
اسرت ثقيف رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا
من بني عامر بن صعصعة فمر به على النبي صلى الله عليه وسلم وهو موثق فاقبل الاسير الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] انك لو قلتها وانت تملك امرك افلحت كل الفلاح فمضى النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] فقال الاسير اني جايع فاطعمني فقال هذه حاجتك ثم فداه بالرجلين الذين
كانت ثقيف اسرتهما وقد قيل ان هذا في الصلح الذي كان بالحديبية وقد نسخ ذلك بقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات الى اخر الاية ولا خلاف ان الاسير الحربي
[illegible] الى الحرب واما قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها معناه حتى يضع اهل الحرب سلاحهم
والاوزار في اللغة الاثقال ويجوز ان يكون المراد هاهنا بالاوزار الاثام وقال الحسن حتى
هذه الاية حتى يترك اهل الحرب الشرك ويعبدوا الله وحده وقال [illegible] حتى لا يبقى الا مسلم او
مسالم وعن سعيد بن جبير انه قال حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السما فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويلتقي الذيب الشاة فلا يعرض لها ولا يكون عداوة بين اثنين وقوله تعالى ذلك ولو يشا الله
معناه ذلك الذي امرتكم به ولو يشا الله لانتقم من الكفار من غير ان يامركم بقتالهم ولكن ليبلوكم
بالامر بالقتال بعضكم ببعض للثواب ومعناه وليعلم على طريق التوسيع لان حقيقة البلوى هي التجربة وهي
عما لا يجوز على الله تعالى ولكن المعنى يعاملكم معاملة المختبر [illegible]
طاعة [illegible] والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل الله تعالى ثواب اعمالهم سيهديهم [illegible]
الجنة ويصلح حالهم في [illegible] صلاح البال في هذه السورة تكرار الاول [illegible]

النعيم وهذا في نفس النعيم ومن قاتلوا بالالف فمعنى الهداية على هذه القراءة هو التوفيق للاعمال الصالحة ومعنى اصلاح البال يرجع الى اصلاح الحال في الدنيا والاخرة وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما القتال في سبيل الله تعالى فان احدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل ليكون كلمة الله تعالى هي العليا فهو في سبيل الله تعالى واما قوله عز وجل عرفها لهم ففيه قولان احدهما عرفها اياهم اذا دخلوها بان وصف لهم قبل دخولها كما روي انهم اعرف بمنازلهم من احدكم ينصرف من الجمعة الى منزله والثاني طيبها لهم من العرف وهي الرائحة الطيبة **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم معناه ان تنصروا دين الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم ينصركم بالتوفيق والكفاية والاظهار على الاعداء ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وانما اضيف النصر الى الله تعالى في اول الاية تفخيما لشانه وتلطفا على الاسناد اليه كما في قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقوله فتعسا لهم نصب على الدعاء اي اتعسهم الله تعسا والتعس في اللغة السقوط والعثور والكل هو نفور الطبع وانما قال اضل وقال احبط ليكونوا كلما ذكروا وصل ذكرهم بالذم كما كلما ذكر وصل ذكره برحمة الله تعالى وكما يوصل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والدمار والبوار والهلاك نظائر والتدمير الاهلاك وقوله تعالى وللكافرين امثالها اي اشباه عقوبة من كان قبلهم ان لم يسلموا ولولا توبة بعضهم لنزل بهم الهلاك وقوله تعالى ذلك بان الله اي ذلك النصر للمؤمنين والهلاك للكافرين بان الله تعالى ولي المؤمنين يلي امرهم ويتولى نصرهم وان الكافرين ليس لهم ولي بعينهم ولا ناصر ينجيهم من العذاب ثم اعلم الله تعالى ما اعد للمؤمنين مع النصر والتمكين وما اعد للكافرين من الخذلان والهلاك **فقال عز من قائل** ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم اراد بالتمتع العيش في الدنيا بالجهل وشبه اكل الكفار باكل الانعام لانهم يأكلون للشبع لا يهمهم ما في غد واما المؤمن فتكون همته مصروفة الى امر دينه باكل القليل ويكون غرضه من التمتع اعفاف نفسه واعفاف زوجته وابتغاء ما كتب الله تعالى له من الولد وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه فان كان لا بد فثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للنفس وعن الحسن رضي الله عنه انه قال لا تشبعنم عصيتم وابيتم **قوله عز وجل** وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم يقول كم اهلكنا من اهل القرى من كانوا اكثر عددا وعددا وابسط يدا وملكا من اهل قريتك التي اخرجتك الى الخروج يريد مكة فلم يكن لهم ناصر ينجيهم من عذاب الله تعالى فحذر قومك مثل حالهم وقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه معناه احال من كان على بصيرة من دينه كحال من زين له قبيح عمله واتبع هواه وهذه الالف توقيف وتقرير لان الجواب معلوم كما يقول الانسان من يعمل الحسنات يسعد ومن يعمل السيئات يشقى ثم يقول الشقاء احب اليك ام السعادة لا يدان يكون جوابه السعادة احب **قوله عز وجل** مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها

من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم او لهذه الاية كالتفسير لقوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري يقول صفة الجنة التي وعد المتقون الشرك والكبائر التي وعد الله تعالى عليها النار لمن عمل وغفران لهم ذنوبا يكفرها الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر ويجوز ان يكون المعنى مثل الجنة التي وعد المتقون مما عرفتموه في الدنيا من جناتها وانهارها جنة فيها انهار من ماء لا يتغير طعمه ولا ريحه بخلاف مياه الدنيا والآسن والآسن بمعنى واحد يقال اسن الماء ياسن واجن ياجن اذا تغير والآسن كالعافك والفكه وقيل الآسن بالقصر ما قد تغير في الحال وقوله تعالى وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لا يدخله التغير كما تتغير البان الدنيا وقوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين اي ذات لذة للشاربين بخلاف خمر الدنيا فانها لا تخلو عن المرارة وعما ياتي لديها من انواع المرض ومن العقوبة في الدنيا والاخرة وقد برأ الله تعالى خمر الاخرة عن جميع الآفات فقال عز من قائل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال عز من قائل لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقوله تعالى وانهار من عسل مصفى اي مصفى من الاقذاء بخلاف عسل الدنيا الذي يكون من بطون النحل فانه لا يكون يخلو من النحل والشمع وغير ذلك قال مقاتل ان انهار العسل تتفجر من الكوثر الى الجنة ويقال انها تتفجر اليهم من تحت شجرة طوبى وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات معناه ولهم في الجنة من الوان الفواكه كلها مما علموا ومما لم يعلموا ومما سمعوا ومما لم يسمعوا ظاهرها مثل ما طعمها لا يخالطها قشر ولا ارذال ولا نوى كما قال في قوله تعالى واتوا به متشابها وقوله ومغفرة من ربهم اي ولهم مع كمال النعم مغفرة لذنوبهم من ربهم فلا يذكر شيء من معاصيهم في الجنة لان الله تعالى يتفضل عليهم فيسترهم فيجعلهم لما لم يعمل في ابطال حكمه وقوله تعالى كمن هو خالد في النار معناه افمن كان على بينة من ربه في الدنيا واعطى هذه النعم في الاخرة كمن زين له سوء عمله في الدنيا وهو خالد في النار في الاخرة وسقوا مع خلودهم في النار ماء حارا قد انتهى حره فقطع ذلك امعاءهم في اجوافهم كما قال تعالى في آية اخرى يصهر به ما في بطونهم والجلود **قوله عز وجل** ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة ويعيب المنافقين في خطبته فلما خرجوا من المسجد قالوا لعبد الله بن مسعود ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد سمعنا قوله ولم نفقهه كانهم يسمعون سماع تهاون واستخفاف ثم كانوا يعلمون بقلوبهم انهم لم يتلقوه [illegible] وهذا كما يقال للرجل يسمع الخبر سماع تهاون واستخفاف ثم يقول بعد ذلك لاصحابه ايش الذي كان يقول فلان ويقال يعني هذه الايمان من لم يرد ذكرهم [illegible] ماذا اخرج من عندك سالوا من حضر اولا الكلام هل جرى ذكر النفاق والمنافقين شيء والانف الساعة من قولك آنفا ليس اذا ابتدأته كانهم قالوا ماذا قال في اول وقت يقرب منا والانف رفع الفرس على الدخول في الدنية والانف والاستئناف والطبع والختم على القلب وسم القلب بسمة تعلمها الملائكة بان صاحبه لا يفلح وذلك عقوبة لهم على معاصيهم وذمهم على

فعلهم وهوى النفس رقة ميل الطبع الى ما يحبه من الدنيا كسر فهو الحق وقوله تعالى والذين اهتدوا معناه والذين اهتدوا بالايمان بك والاستماع الى خطبتك زادهم الله هدى وبصيرة في دينهم واكرمهم بلطفه لهم فالهمهم ترك المعاصي واجتناب المحارم ويجوز ان يكون المعنى زادهم اعراض المنافقين هدى واعطاهم الله تعالى ثواب تقواهم وقوله تعالى فهل ينظرون معناه ما ينتظر هولاء الكفار والمنافقون الا القيامة ان تاتيهم فجاة على غرة منهم وذلك انهم لم يكن بينهم وبين القيمة مدة مضروبة ينتظرونها ويتكلون عليها وقوله تعالى فقد جا اشراطها معناه ان لم تقم القيمة فقد جا علاماتها والاشراط جمع الشرط ومن اشراطها خروج نبينا صلى الله عليه وسلم فان نعته في كتب الله تعالى انه نبي اخر الزمان ومن اشراطها بيع الحكم وقطيعة الرحم وقيل ان تلد الامة ربتها وترى رعاة الشاء يتطاولون في البنيان وقوله تعالى فانى لهم معناه من اين ينفعهم ذكراهم اذا جاءتهم القيمة وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله معناه فاذا جات الساعة فاعلم انه لا قاضي حينئذ الا الله ولا مفزع يومئذ الا اليه كقوله تعالى يقول الانسن يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر والنبي صلى الله عليه وسلم قد كان علم ذلك ولكن هذا خطاب يدخل فيه الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى من علم فليقم على العلم كما في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وقوله تعالى واستغفر لذنبك اي اعتصم من مواقعة ذنب يوجب الاستغفار ونفا الاستغفر لصغاير كذا لا صغيرة مع الاصرار واستغفر لذنوب المومنين والمومنات والله يعلم متقلبكم فانكم في الدنيا من اول ما تنقلبون من ظهر الى بطن الى ان تخرجوا من دنياكم الى قبوركم ويعلم اين مقامكم في الاخرة

قوله عز وجل ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم وذلك ان المومنين كانوا يشتاقون الى نزول القران وكانوا يستوحشون اذا ابطا الوحي وهو معنى قولهم لولا نزلت سورة وقوله تعالى فاذا انزلت سورة محكمة اي بالاحكام التي لا يجري عليها النسخ وذكر في تلك السورة ايجاب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون ينظرون نحوك عند ذكر القتال كنظر من هو في غشيان الموت كراهة منهم للقتال مخافة ان يقتلوا في الحرب وقوله تعالى فاولى لهم كلمة وعيد لهم ومعناه وليهم المكروه او العقاب وليهم وهذا كما قال تعالى اولى لك فاولى ويقال ان اولى فعل من الويل الا ان فيه بعض القلب لوضع عين الفعل وهي اليا ها هنا موضع لام الفعل وقوله طاعة وقول معروف قال الخليل وسيبويه معناه طاعة وقول معروف امثل لهم من كراهة القتال ويقال ان هذا حكاية عن قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول سورة القتال وقال الزجاج معنى الاية فاذا انزلت سورة ذات طاعة اي يومر فيها بالطاعة والقول المعروف فرح بها المومنون وكرهها المنافقون ويقال معنى قوله تعالى فاولى لهم طاعة احق شي بهم ان يقولوا طاعة وقول معروف وقوله تعالى فاذا عزم الامر معناه فاذا جا الجد ولزم فرض القتال فلو صدقوا الله تعالى في ايمانهم ومقالتهم فعملوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم من الخلاف والعازم هو العاقد على الامر بارادته انه سيفعله وقيل عزم الامر على طريق البلاغة وقوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم معناه فلعلكم ان اعرضتم عن

محمد صلى الله عليه وسلم وعن ما يامركم به ان تعودوا الى مثل ما كنتم عليه من الكفر والافساد في الارض من وأد البنات وقتل بعضكم بعضا كفعل اهل الجاهلية ويقال في معناه لعلكم ان توليتم امر هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ان تفسدوا في الارض بالقتال وتقطعوا ارحامكم بالبغي فتقتل قريش بني هاشم وبنو هاشم قريشا ذهب كثير من الناس الى ان هولا بنو امية وكان بكر بن عبد الله المزني يقول ما اراها نزلت الا في الحرورية والتولي في اللفظ يكون من الاعراض ومن الولاية جميعا الا ان القول الاول الذي هو الاعراض ابين لتقدم من ذم المنافقين ويقال ان الخطاب في هذا للمومنين كانوا يتمنون المال والولاية فحذرهم الله تعالى وقال لما يومنكم ان اعطيتم المال والولاية ان يودي ذلك بكم الى ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم وقوله تعالى اولئك الذين لعنهم الله نعت المنافقين يقول الذين يفسدون في الارض ويقطعون الارحام هم الذين طردهم الله تعالى عن رحمته ونسبهم الى الصمم والعمى لاعراضهم عن امر الله تعالى والفايدة في اخبار الله تعالى بصممهم مجاز اعلام الملئكة والمومنين حتى لا يتولوهم ولا يستغفروا لهم وقيل ان التصميم ها هنا والاعمى عن [illegible] الطبع الذي اخبر الله تعالى به في كتابه انه عاقب الكفار بذلك على كفرهم ومعاصيهم هكذا روى الحسن رضي الله عنه ولا بد من حمل الاية على احد هذين الوجهين لان القوم لم يكونوا صما ولا عميا على الحقيقة قال الله تعالى وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وقال تعالى في اثر هذه الاية افلا يتدبرون القران فلامهم على ترك التدبر ولو كانوا لا يسمعون حقيقة لم يكن للذم معنى ولا فايدة

قوله عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملئكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم معناه افلا يتفكرون في القران فيستدلوا به على صحة ما اتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ام على قلوب اقفالها منعتهم من الاستدلال وهذا لفظ الاستفهام ومعناه الانكار وذلك ان من الكفار من اذا دعوا الى الايمان قالوا على قلوبنا اقفال لا يمكننا ان نومن [illegible] عن قلوبنا كما قال سبحانه وتعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ولو كانوا صادقين لما استحقوا المدح دون الذم وقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم معناه ان الذين رجعوا عن الاسلام الى دينهم الاول الباطل من بعد ما تبين لهم الهدى ووضح الحق الشيطان سول لهم اي زين الكفر لهم وبسط لهم في الامل في غيهم ويجوز ان يكون قوله تعالى واملى لهم بمعنى بسط الله تعالى لهم [illegible] بالعقوبة [illegible] مجاهد [illegible] واملي لهم بضم الهمزة على معنى وانا املي لهم [illegible] وقوله تعالى ذلك بانهم [illegible] انهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله تعالى من القران وهم اليهود [illegible] على القتال في بعض الاحوال والله يعلم اسرار اليهود والمنافقين فيما بينهم [illegible] من المنافقين [illegible] المدينة [illegible] فكيف اذا توفتهم الملئكة [illegible] اي كيف يكون حالهم اذا قبضت الملئكة ارواحهم يضربون وجوههم وظهورهم [illegible] عند نزع الارواح [illegible]

الله تعالى وكرهوا سبب رضوانه فاحبط الله تعالى ما كان لهم من بر وصلة وخير
عملوها في الدنيا في حال حيوتهم وكفرهم قوله عز وجل ام حسب الذين في قلوبهم
مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن
القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو
اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى
لن يضروا الله شيا وسيحبط اعمالهم معناه اظن المنافقون ان لن يخرج الله اي لن يظهر حقدهم
للمسلمين وضغنهم عليه فامرهم الله تعالى بالقتال والنفقة فبخل المنافقون بالمال فظهر
نفاقهم والضغن هو الحقد الذي يضمره الانسان بقلبه ولا يظهره لغيره وقوله تعالى
ولو نشاء لاريناكهم اي لعرفناكهم يقال اريتك هذا الشي اي عرفتك وقوله تعالى
فلعرفتهم بسيماهم اي بالعلامة القبيحة التي نظهرها عليهم وقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن
القول وعد من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يطلعه على نفاقهم في نحو كلامهم ونحوه
فكان لا يتكلم بعد نزول هذه الاية منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بكلامه وبما
يجري اليه فيما يعتذر به من المعاذير الكاذبة يقال لحن فلان بكذبه ولاحن في كلامه وفي
الحديث ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمعناه اذهب بها في الجهات بعونه على تصرفه بالكلام
واذا قيل لحن في كلامه او لحن فمعناه ذهب بالكلام الى خلاف جهة الصواب وقوله تعالى
والله يعلم اعمالكم ظاهرها وباطنها وقوله تعالى ولنبلونكم اي ولنعاملنكم معاملة المختبر
فيما نامركم به من الجهاد حتى نميز المجاهدين منكم من غيرهم والصابرين في القتال من الذين لا
يصبرون وانما كني بالعلم عن التمييز لانه يتوصل بالعلم الى التمييز وكان جل ذكره عالما
بكل منهم قبل ان خلقهم ولكن اراد بالعلم في هذه الاية العلم الذي يجب به الجزا وهو علم
المشاهدة لا علم الغيب فكانه قال حتى نرى ونميز وقوله تعالى ونبلو اخباركم اي نختبر
بما نامركم به ونبلو اخباركم واحوالكم حتى يظهر للناس كما في قوله تعالى يوم تبلى السراير
وكان فضيل بن عياض اذا اتى على هذه الاية بكى وقال اللهم ان تبلو اخبارنا فضحتنا وهتكت
استارنا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا
اعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا
تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم معناه يا ايها الذين
صدقوا بالله ورسوله اطيعوا الله تعالى في الفرايض واطيعوا الرسول في السنن ولا تبطلوا
ثواب حسناتكم بالشرك والريا فان الشرك يحبط العمل كما قال تعالى لين اشركت ليحبطن
عملك والريا يحبط العمل كما قال عز من قايل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستدل بظاهر
هذه الاية على ان من شرع في قربة نحو الصلوة والصوم والحج لم يجز له الخروج منه قبل اتمامها
لما فيه من ابطال العمل وفي بعض التفاسير ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون انه لا
يضر مع كلمة التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى انزل الله تعالى هذه الاية واما قوله
تعالى ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فانما ذكر الموت على الكفر في هذه الاية لان الكافر
قبل الموت بعرض ان يومن فيغفر له واذا مات على كفره حبط عمله حبوطا لا يلحقه التدارك
والتلافي ونظير هذا قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله ومعناه وقع اجره وقوعا لا يلحقه النقص والابطال واما قوله تعالى فلا
تهنوا وتدعون الى السلم وانتم الاعلون معناه فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتدعوا الكفار

الى الصلح وانتم الاعلون مما وعد الله لكم من النصر وبما اعطاكم في الدنيا من الحجج وفي الاخرة من الثواب
والكرامة وقال قتادة لا تكونوا اولى الطايفتين ضرعت الى صاحبتها وانتم اولى بالله منهم والله
تعالى معينكم وحافظكم ولن ينقصكم شيا من ثواب اعمالكم وفي الاية دلالة على انه لا يجوز للامام
ان يدعو الكفار الى الصلح ولا ان يجيبهم الى الصلح في حال انما تكون الغلبة للمسلمين فان الواو
في قوله تعالى وانتم الاعلون واو الحال كما يقال لا تسلم على فلان وانت راكب اي في حال ما
كنت راكبا وفيها دلالة على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة صلحا لانه اخبر ان المسلمين
هم الاعلون والغالبون لهم قوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وان تومنوا وتتقوا
يوتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم
هولاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم
الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم معناه انما الحيوة الدنيا عاقبتها
من زينتها وزهرتها باطل لا ثبات لها لكثرة عنايها وسرعة فنايها واللعب العمل الذي لا يتعلق به
فايدة واللهو هو الفرح الذي لا يبقى وقوله تعالى وان تومنوا وتتقوا اي وان تستقيموا
على الايمان وتتقوا الشرك والمعاصي يعطكم ثواب اعمالكم كاملا وافيا ولا يسالكم اموالكم كلها في
الاجر بالانفاقات ان يسالكموها فيجهدكم بالمسالة ويلح عليكم تبخلوا بالانفاق في طاعة الله تعالى
ويخرج ذلك البخل حنكم لمادة وهي المشقة التي في القلب لذلك الاخراج والبخل منع الواجب فبين الله
تعالى انه انما لم يسالهم كل اموالهم لان عند ذلك يقع منع الحق ويقال في معنى قوله تعالى
ولا يسالكم اموالكم اي لا يسالكم لنفسه بل يسالكم لنفعكم اجوركم كما قال تعالى ما اريد منهم
من رزق والالحاح والاحفا في المسالة واحد وهو التشديد ومنه الحافي لانه يمشي بشدة ويجوز
ان يكون معنى ويخرج اضغانكم ويظهر الله تعالى اضغانكم التي تحدث في القلوب
بسبب البخل وقوله تعالى ها انتم هولاء تدعون معناه انتم يا هولاء تدعون لتنفقوا القليل
في طاعة الله فمنكم من لا ينفق القليل في طاعة الله ومن يبخل عن ذلك فانما يبخل تعود عليه
في العقاب فيصير بخله على نفسه ويجوز ان يكون المعنى فانما يبخل عن دواعي نفسه لان
دواعي رشده [illegible] وقوله تعالى والله الغني اي هو
المستغني عن اعمالكم واموالكم وانتم الفقراء المحتاجون الى الله تعالى والى ما عنده من الخير والرحمة
والمغفرة ثم لو امركم بالانفاق فانه لا يحتاج [illegible] ولا لدفع مضرة
وان تعرضوا عن طاعة الله تعالى يستبدل بكم الملئكة الذين لا يعصون ويفعلون ما يومرون
وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن هذه الاية فقيل من هم يا رسول الله فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر سلمان فقال هذا واصحابه وروى
وروى لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابنا فارس وعن ابي بن
كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا
على الله تعالى ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون
اية بلا اختلاف بسم الله الرحمن الرحيم
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب
المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما
روي عن ابن عباس انه قال [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة [illegible]

ونجهز معه ناس كثير من اصحابه ومعهم الهدايا يسوقونها معا نفسهم فبلغ ذلك قريشا فاجمعوا
لصده واصحابه وبعثوا خالد بن الوليد في عصابة منهم لذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم سير خالد احب ان ياخذ طريقا لا يعلم به احد من المشركين فقال لاصحابه هل
من رجل ياخذ بنا الطريق نحو السيف لعلنا نطوي مسيحة القوم فقال رجل انا فلم يشق النبي
صلى الله عليه وسلم بهدايته حتى قال اخر انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امض على بركة الله
فمضى وطوى برسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا واصحابه حتى نزلوا بالحديبية ففزع
المشركون بنزوله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجاءة فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفي لياتيهم
بالخبر فلما اتاهم عروة انصرف فيما اخبار لم ياتوا للقتال فراجع قريشا وهو كاره لصدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكعبة فشتموه واتهموه ثم بعثوا رجلين آخرين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعثوا الهدي في وجوههما ولبوا فلما رجع الرجلان اليهم
قالا لهم مثل ما قال عروة فآذوهما ثم بعثوا مكرز بن حفص فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا رجل فاجر اذ جاء سهيل بن عمرو احد بني عامر بن لوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين ابصره ما ارى الا وقد سهل لكم من امركم فلما اتاهم سهيل تذاكروا الهدنة والموادعة
فلما كان في وسط النهار والقوم في الرحال امر النبي صلى الله عليه وسلم بالبيعة فنادى
مناديه في القوم الا ان روح القدس جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامره بالبيعة فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس النبي صلى الله عليه وسلم
تحت الشجرة فبايعه المسلمون وكبرت تلك البيعة في صدور المشركين فلما امسوا وهم
على ذلك رمى رجل من المشركين بالنبل في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فثار المسلمون
عليهم بالحجارة فرموا اعدا الله تعالى حتى ادخلوهم البيوت وهزموهم باذن الله تعالى
وانفذ اشرافهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا لم يكن عن رضى منا ولا
مما لأة وانما فعله سفهاؤنا وعرضوا الصلح على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
فقبله ولم يعطهم المشركون الصلح حتى نجهزهم المسلمون في غير قتال الا رمي بالحجارة فاصطلح
الفريقان على ان يتوادعوا سنتين يامن بعضهم بعضا على ان يرجع النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه في تلك السنة فمن لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم من المشركين لم يقبله حتى
تنقضي المدة ومن لحق بالمشركين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهو منهم على ان المسلمين
اذا شاؤوا اعتمروا في العام القابل في هذا الشهر الذي صدهم المشركون فيه على ان لا يحملوا
بارضهم سلاحا ولا ياتوهم الا السلاح يحمل في قراب فقاضاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وكتبوا كتاب القضية بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واجتمعوا عليها فوجد
رجال من المسلمين من ذلك الشرط وجدا شديدا وقالوا يا رسول الله من لحق بنا منهم لم تقبله
ومن لحق بهم منا فهو منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما من لحق بهم منا فابعده الله تعالى
وهم اولى بمن كفر واما من اراد ان يلحق بنا منهم فسيجعل الله له مخرجا وان لم يعلم الله تعالى منه
الصدق يبعد منهم فلما وقع الفراغ من كتاب القضية والختم عليها اقبل ابو جندل بن سهيل وهو
يرسف في قيوده وكان ابوه اوثقه حين خشي عليه ان يذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء حتى وقع بين ظهراني المسلمين وقال اني مسلم واني اعوذ بالله ان ترجعوني الى الكفار
فافتن فاراد رجال من المسلمين ان يمنعوه فاشتد عليهم سهيل بن عمرو والعقد والميثاق فقال صلى
الله عليه وسلم خلوا بينهم وبينه فسيجعل الله تعالى فانطلق به ابوه وكان ما بالحديبية قد قل من

كره

كرهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس فاتي ببير لوهن الماء فتوضى منه وتمضمض
ثم مجه في الدلو ثم امرهم ان يجعلوه في القليب فامتلا القليب حتى جعلوا يغرفون منه وهم جلوس
على شفة القليب وكان هذا شان الحديبية ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية
شهرا ونصفا فوعدهم الله تعالى خيبر ان يفتحها لهم فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوه
الى المدينة انزل الله تعالى قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قالوا الفتح المبين ما كان من استعلا
المسلمين عليهم حتى غلبوهم بالحجارة وتيسير الصلح ايضا من الفتح المبين وظهور النبي صلى الله عليه
وسلم على خيبر من الفتح قالوا وانجا الله ابا جندل بن سهيل من ايديهم خرج من بينهم وعمد الى ذي
مروة وكان بها واجتمع اليه قريب من سبعين رجلا كرهوا ان يقيموا مع المشركين وعلموا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلهم حتى تنقضي المدة فجعلوا يقطعون الطريق على المشركين
فارسل المشركون الى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه الا قبضهم اليه وقالوا انت في حل
من اختيارك علينا يا محمد فانهم ان يكونوا معك كان اهون علينا فلحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلم
الذين كرهوا القضية كيف صنع الله تعالى لرسوله فيما اختاره له من موادعته في تلك السنة
على ما نصت الكتاب الذي اتفقوا عليه وعن قتادة انه قال بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك الوقت بفتح مكة ومعنى الآية قضينا لك بالنصر ومنه الفتاح وهو القاضي ومنه قوله
تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي اقض بيننا ويجوز ان يكون معنى الفتح الاكرام بالنبوة
والاسلام والامر بدعوة الخلق اليه وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالآية فتح مكة بالغلبة
والقهر لان الصلح لا يسمى فتحا على الاطلاق وكذا الفتح اذا اطلق لا يراد به القضا قالوا ولم
يختلف اهل التفسير ان المراد بقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة قالوا في قوله تعالى
هو الذي انزل السكينة دليل على ذلك لان معنى السكينة سكون النفس الى الايمان بالبصائر
النيرة فاتلوا عن بر الله تعالى حتى فتحوا مكة وقال الشعبي بويع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
الوقت بيعة الرضوان فاظهره الله تعالى على خيبر في منصرفه وظهرت الروم على فارس في ذلك
الوقت وبلغ الهدي محله بعد ان جعلوه معكوفا ان يبلغ محله فهذا كله معنى الفتح والفتح
في اللغة هو الفرج المزيل للهم ومنه فتح المسالة اذا افرجت عن بيان يؤدي الى العلم ومنه فتح
القراءة على الرجل لان ذلك [illegible] ويفتح بالذكر وكان الله فتح قلب النبي صلى الله
عليه وسلم وعينه ولسانه ويده وجعل فؤاده [illegible] فيما فتح له من الامور [illegible] ما سلف من
ذنبه قبل ذلك وما تاخر من ذنبه بعد ذلك الى اخر العمر وكذلك [illegible] لك الله
ويجوز ان يكون معنى اللام [illegible] الفتح المبين الى المغفرة فانه تعالى وعد النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] فائدة اعلام النبي صلى الله عليه وسلم
بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تاخر [illegible]
والمراد بالذنب ههنا الصغاير [illegible]
لانهم الامنا على الوحي والرسالة [illegible] مذهب الامامية انه لا يجوز على النبي صلى
الله عليه وسلم ولا على الائمة شي من الصغاير [illegible] ذنوب الانبيا عليهم السلام
وقد قال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وموسى عليه السلام رب اني ظلمت نفسي ويونس عليه
السلام اني كنت من الظالمين وابراهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
ونوح عليه السلام والا تغفر لي وترحمني [illegible]
ويتم نعمته عليك ومعناه ويكمل نعمته عليك بالدين والشرايع ويهديك الى طريق [illegible]

الله وقيل في معناه ويبين لك في المستقبل كل ما يحتاج اليه من الاحكام وقوله تعالى
وينصرك الله اي ينصرك بالحجة والسيف الى قيام الساعة نصرا قويا لا ذل معه واما قوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين فقد قيل في تاويله ان المسلمين لم يكونوا اخذوا
اهبة القتال في فتح وحجهم في تلك السنة وانما كان خروجهم للعمرة عن رؤيا رآها النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام انه يدخل مكة مع اصحابه محلقين رؤسهم ومقصرين فلما قصها
على اصحابه اعتمر واعتمروا معه فلما بلغوا الحديبية وصدهم المشركون عن البيت دخل على المسلمين
امر عظيم لانهم كانوا يظنون ان تصديق الرؤيا واقع في تلك السنة ومشى عمر الى ابي بكر وقال
اليست رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا قال بلى قال فما بالنا نرجع الى المدينة قال ابو بكر
رضي الله عنه هل قال لك النبي صلى الله عليه وسلم في عامك هذا قال لا فخرج عمر رضي الله عنه
ما كان فخره وبان للمسلمين وجه الراي والرؤيا وسكنت نفوسهم فاطمانوا لذلك وقيل السكينة
هي الامن لان الخائف خافق القلب مضطربة نفسه والآمن ساكن القلب مطمئن النفس وقيل
ان السكينة هي ما اسكن الله تعالى قلوبهم من التعظيم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم
والوقار وقوله تعالى ليزدادوا ايمانا اي ليزدادوا تصديقا الى تصديقهم السابق ويجوز ان
يكون المراد به الايمان بالتفاصيل بعد الايمان بالجملة وقوله تعالى ولله جنود السموات
والارض اي له جموع اهل السموات والارض وكل جمع من اهل السماء والارض فالله تعالى
قادر ان يسخره فينتقم به من اعدائه من كل مادة ودرج من ذلك حتى البعوض والعقرب
وفي هذا بيان ان الله تعالى لم يامر المسلمين بالقتال لانه لم يرد هلاك المشركين واعانتهم
بالقتال لتعرضهم بذلك لجزيل الثواب الذي لا ينال الا بالقتال وكان الله عليما بمصالح خلقه
حكيما فيما يامرهم به وينهاهم عنه قال عبد الله بن عباس فلما سمع المؤمنون ما اكرم
الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هنيئا لك ما اعطاك الله تعالى من
الفتح والنصر والمغفرة والكرامة فما لنا عند الله تعالى فانزل الله تعالى **قوله عز وجل** ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر
عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما قيل ان
سقوط الواو من اول هذه الآيات للاعلام بالتفضيل والمعنى انا فتحنا لك ليدخل الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحت شجرها وعروقها الانهار دائمين فيها ويمحص عنهم ذنوبهم وكان
ذلك في حكم الله نجاة عظيمة من النار وظفرا بالجنة وليعذب المنافقين من الرجال والمنافقات
من النساء وهم الذين اظهروا الايمان باللسان واسروا الكفر من اهل المدينة وليعذب المشركين
والمشركات الذين اقاموا على شركهم من اهل مكة فجعلوا لله تعالى ولدا وكفروا الذين ظنوا بالله
تعالى ظن السوء وهو ان ينصرهم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك قبيح لا يجوز في
صفة الله تعالى عليهم دائرة السوء اي عاقبة الاحمد وهو ما عاد عليهم من قتل المسلمين لهم
واستغنامهم اموالهم والدائرة في اللغة هي الراجعة بخير او شر والسوء نعت خرج مخرج المضاف
كقولهم مسجد الجامع ويوم الجمعة والسوء بفتح السين الهلاك وبضم السين المضرة وقوله تعالى
وغضب الله عليهم اي سخط واوجب لهم العذاب وطردهم عن رحمته وهيا لهم في الآخرة جهنم
وبئس مصير المرء اليها واما قوله تعالى ولله جنود السموات والارض فليس على وجه التكرار

لان الاول في اعانة المؤمنين وهذا متصل بذكر المنافقين في الانتقام منهم وكان الله
عزيزا اي لم يزل كان منيعا بالنقمة من الكفار والمنافقين حكيما في امره وقضائه **قوله عز وجل** انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما معناه انا ارسلناك
يا محمد شاهدا بالبلاغ كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
في خطبة الوداع مرة بعد مرة الا هل بلغت ونحوه شاهدا على اقوالهم وافعالهم فانها تعرض
عليه كما جاء في الحديث ومبشرا بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومخوفا بالنار لمن عصى الله تعالى
وقوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله من قرأ بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
جميعا لان النبي صلى الله عليه وسلم قد آمن بالله تعالى وبانبيائه صلوات الله عليهم وكتبه ومن قرأ
ليؤمنوا بالياء فلان الارسال سبب لايمان القوم والكناية في قوله تعالى وتعزروه راجعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم يقال عزرته تعزيرا اي نصرته مرة بعد مرة ويجوز ان يكون معناه
يمنعوه ويدفعوا عنه شر الكفار ومنه التعزير لما دون الحد لانه يمنع من ارتكاب المعصية
ومعنى يوقروه يعظموه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا اي عظمة والهاء في
قوله تعالى وتسبحوه عائدة على الله تعالى اي تصلوا له بالغدوات والعشيات وتنزهوه
عن القبائح وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لان التسبيح فيهما افضل وهو نظير قوله تعالى
فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وفي قراءة ابن عباس وتسبحوا الله بكرة واصيلا وقوله
تعالى ان الذين يبايعونك فيه ذكر بيعة الرضوان يوم الحديبية تحت الشجرة وهي شجرة السمرة
استظل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وكان اصحابه الذين بايعوه نحوا من
الف واربعمائة رجل وفي رواية الف وخمسمائة بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح
والنصرة والسمع والطاعة وان لا يفروا من العدو وكان سبب تلك البيعة ابطاء عثمان رضي
الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى قريش فبلغه انهم قتلوه فامر اصحابه بالبيعة بامر الله تعالى
ومعنى الآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون لذات الله ليس انما المراد بذلك بل المراد به
القيام بعبادة الله تعالى وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال الحسن هي يد محمد
صلى الله عليه وسلم على ايديهم وقيل يد الله تعالى في الهداية والمنة عليهم والنصرة فوق
ايديهم في الطاعة وقيل يد الله تعالى في الثواب والوفاء فوق ايديهم في الوفاء فانهم لم
يوفوا بما صفقوا خالقه تعالى الا بما اقدر عليه ذلك والبيعة هاهنا في القدرة والبيع هي
بذل النفس في مقابلة الثواب وهي مشبهة بالبيع والمبايعة معاوضة ومبايعة الانفس بالجنة والاموال
بالجنة وتفسيرها بعين قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض بيعته فضرر نقضه عائد عليه ومن وفى بما
عاهد عليه الله في البيعة فسيؤتيه فيما يفتح له في الآخرة ثوابا عظيما وهي الجنة قال
انا احق من هو لا ينقض البيعة لانهم كلهم كانوا مخلصين ولذلك رضي الله عنهم كما قال تعالى
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ورضاه عنهم هو رضاه عنهم وقد بين ذلك
دليل انهم كانوا مؤمنين وعلى الحقيقة اولياء الله تعالى اذ لا يجوز ان يخبر الله تعالى برضاه عن اقوام
باعيانهم الا وباطنهم كظاهرهم على هدى وبصيرة في صدق الايمان والذي لم يدخل في تلك
البيعة يومئذ رجل من المنافقين يقال له الجد بن قيس اختبأ يومئذ تحت ابط بعيره ولم يدخل في

بيعتهم فأماته الله تعالى على نفاقه والذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نولسا
ألفا فتلك البيعة ولذلك تسمى تلك البيعة بيعة الرضوان **قوله عز وجل** سيقول لك
المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس
في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان
الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك
في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا
أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان
الله غفورا رحيما في أواخر هذه الآيات أخبار للنبي صلى الله عليه وسلم أنك إذا رجعت من الحديبية
إلى المدينة أتاك الأعراب الذين تخلفوا عنك بغير عذر فلم يخرجوا معك وهم مزينة وجهينة وأشجع
وغطفان وقوم من الديل فيقولون لك شغلتنا أموالنا وأهلونا عن الخروج معك فاستغفر
لنا من التخلف يسألون المغفرة بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تصديقه ذلك ولا يبالون استغفرت
لهم أم لم تستغفر لهم قل لهم فمن يملك لكم من الله شيئا إن أقمتم على الكفر والنفاق بل كان الله
عالما بتخلفكم عن القتال من غير عذر وفي قوله تعالى بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول اهم لاستاتم
وأبدا نفاقهم بين أن تخلفهم عن القتال لم يكن بسبب أموالهم وأهليهم ولكنهم كانوا يقولون
فيما بينهم يستأصلهم عدوهم في هذه الكرة فلا يرجعون إلى المدينة أبدا فنستريح منهم وهذا
هو ظنهم السوء وقوله تعالى وكنتم قوما بورا أي هلكى فاسدة القلوب والبور الفاسد
وهو مصدر وضع هاهنا في موضع الجمع والبوار الهلاك والخلاف المتروك في المكان خلف الخارجين
إلى البلاد ومن كلف أخذت صفة المخلف ونقيضه المقدم وإنما خلفوا لتثاقلهم عن الجهاد بأعذارهم
بشغل الأموال والأولاد والأهلون جمع الأهل وأهل جمع في نفسه **قوله عز وجل**
سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون
أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا
بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا في الآية بيان أن هؤلاء المنافقين سيقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا انطلقوا إلى مغانم خيبر ذرونا نخرج معكم إلى خيبر فأمر الله تعالى
أن يمنعهم من ذلك بعد تخلفهم من غزوة الحديبية وقوله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله
اختلفوا فيه قال بعضهم إنما قال ذلك لأن الله تعالى لم يخص أهل الحديبية بغنائم خيبر وأمر
نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يأذن للمنافقين أن يخرجوا معهم إلى غزاة أخرى إلا متطوعين
ليس لهم من الغنائم شيء فأراد المنافقون أن يشاركوهم ليبطلوا حكم الله تعالى وقال بعضهم
أراد بذلك ما سبق من قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا والقول الأول
أولى لأن سورة التوبة نزلت بعد هذه السورة بسنتين فالأقرب أن ذلك النهي كان على وحي
غير متلو والله أعلم ومن قرأ كلم الله فالكلم جمع كلمة وفي قوله تعالى قل لن تتبعونا بيان أنهم
لا يفعلون ذلك ولو كان الكلام نهيا لقال قل لا تتبعونا وفي قوله تعالى فسيقولون بل
تحسدوننا بيان أنهم سيقولون للنبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك لم يأمركم الله تعالى بذلك
ولكن تحسدوننا أن نشارككم في الغنيمة وقوله تعالى إلا قليلا معناه أنهم كانوا لا يفقهون
ما يلزمهم من معاني كلام الله تعالى إلا بعض ذلك ولو كانوا يعلمون ذلك لعلموا أنه تعالى لا
يأمرهم بالخروج بعد إخباره أنهم لا يخرجون معه إذ لا خلف لقوله تعالى وقيل قوله إلا
قليلا الفهم والعقل ويراد لا فهم لهم **قوله عز وجل** قل للمخلفين من الأعراب ستدعون

إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن
تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا
على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه
عذابا أليما معناه قل لهؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم إلى قتال قوم ذوي شجاعة وقوة قال الزهري هم أهل اليمامة بنو حنيفة أتباع
مسيلمة قاتلهم أبو بكر رضي الله عنه وقوله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون معناه أن أحد
الأمرين واقع لا محالة ونحوه تعالى ويسلمون بدل من تقاتلونهم ومن قرأ أو يسلموا بغير
النون فمعناه حتى يسلموا كما يقول للغريم لألزمنك أو تعطيني حقي وقوله تعالى
فإن تطيعوا يقول إن تطيعوا الذي يدعوكم إلى القتال يعطيكم الله ثوابا حسنا في الجنة
وإن تعرضوا عن طاعته كما أعرضتم من قبل هذا عن الحديبية يعذبكم في الآخرة عذابا وجيعا
وفي الآية دلالة على صحة إمامة أبي بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال بني حنيفة ودعاهم عمر
رضي الله عنه لقتال فارس والروم وقد ألزمهم الله تعالى اتباع طاعة من يدعوهم إلى ذلك
وأوعدهم على مخالفته فإن قيل فقد **روي** عن سعيد بن جبير أن المراد بقوم أولي
بأس شديد هوازن بحنين قيل في الآيات ما يدل على أنه لا يجوز أن يكون الداعي لهم
النبي صلى الله عليه وسلم لأنه تعالى قال قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل وكان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدعوهم إلى الجهاد ولأن الله تعالى أخبر أنهم منافقون وأنهم لا يقاتلون
وأما الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون إلى الجهاد كل من كان ظاهره الإسلام
لأن الاطلاع على النفاق من آيات الأنبياء صلوات الله عليهم فلا بد أن نحمل هذه الآية على
الدعاء إلى القتال بعد النبي صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى ليس على الأعمى حرج رفع
الإثم عن أهل الزمانة في تعذرهم في قعودهم عن القتال لعجزهم عنه وقوله تعالى ومن
يطع الله ورسوله إلى من يلزم الجهاد وكذلك قوله تعالى ومن يتول **قوله
عز وجل** لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل
السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا
حكيما قد تقدم تفسير بيعة الرضوان وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم أي علم الله تعالى
ما كانوا عليه من الإخلاص والعزم على القتال فأنزل الصبر عليهم بصدق نياتهم وأعطاهم
فتح خيبر وكان الله منيعا بالنقمة حكيما فيما حكم للمؤمنين من الفتح والغنيمة **قوله عز
وجل** وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس
عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها
قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا
معناه وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها في المستقبل فعجل لكم غنيمة خيبر من تلك الجملة
وقوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم أراد به سبحانه منع أسد وغطفان عن قتالكم وكانوا
حلفاء لأهل خيبر وقوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين أي لتكون غنيمة خيبر دلالة للمؤمنين
من جهة أن الله تعالى أخبرنا أنهم يصيبونها في المستقبل ثم وجد المخبر على وفق الخبر وقوله
تعالى ويهديكم أي يثبتكم على دين الإسلام لأن الأدلة في الدين ويقال في معنى وكف أيدي
الناس عنكم أنه لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من المدينة وخلفوا عيالهم حفظ

الله تعالى عيالهم وبصنتهم وقد همت اليهود بهم فمنعهم الله تعالى ذلك واما قوله تعالى واخرى لم
تقدروا عليها فيجوز ان يكون عطفا على قوله تعالى مغانم كثيرة تاخذونها والمعنى ووعدكم
غنائم اخرى بعد الغنائم التي تكون على عهد الصحابة مما يغنمها المسلمون الى الان لا ايتائهم لحد قد
علم الله تعالى انها ستكون ويجوز ان يكون عطفا على قوله تعالى فعجل لكم هذه والمعنى وعجل
لكم غنيمة اخرى في الماضي وهي التي اخبر الله تعالى عنها بقوله وتودون ان غير ذات الشوكة
تكون لكم وقوله تعالى قد احاط الله بها اي احاطت قدرة الله بها وباهلها وكان الله على
كل شيء من الفتح والنصر قديرا وقوله ولو قاتلكم الذين كفروا اي لو قاتلك من اهل
من الكفار لنصرت عليهم بما يلقي الله تعالى من الرعب في قلوبهم لان من حكم الله الذي مضى
في الامم الخالية النصر لاوليائه والخذلان على اعدائه ولن تجد لحكم الله تبديلا **قوله عز وجل**
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ذهب بعضهم في تاويل هذه الايات الى ان الله تعالى منع ايدي اهل مكة
يوم الحديبية عن قتال المسلمين بالرعب ومنع ايدينا عن قتالهم بالنهي لان الا اظهر ان المؤمنين
لم ينهوا عن قتالهم يومئذ ولكن لم يقدر الله تعالى للمؤمنين ذلك ابقاء على المؤمنين المستضعفين
الذين كانوا في ايدي اهل مكة كما ذكر الله تعالى ولولا رجال مؤمنون واما قوله تعالى
من بعد ان اظفركم عليهم فقد روي عن ابن عباس ان المشركين كانوا بعثوا اربعين رجلا
ليصيبوا من المسلمين فاخذوا اسارى واتي بهم النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيلهم وذهب
بعض المفسرين الى ان هذه الاية نزلت في فتح مكة حين دخلها النبي صلى الله عليه وسلم عنوة
وقوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم دليل ظاهر على ذلك وقوله تعالى هم الذين كفروا
اي جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران وصرفوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به
للعمرة وقوله تعالى والهدي معكوفا معناه وصدوا الهدي ممنوعا ان يبلغ محله الذي اذا
صار اليه نحره وهو الحرم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ساق في ذلك العام سبعين بدنة
الى مكة والمعكوف في اللغة هو الممنوع عن الذهاب في جهته بالاقامة في مكانه يقال عكف
على الامر عكوفا واعتكف في المسجد اذا اقام وفي هذه الاية دلالة على ان محل الهدي الحرم
لانه لو كان محله غير الحرم لما كان معكوفا عن بلوغ محله ولا يمتنع ان هدايا المسلمين كانت
محبوسة عن بلوغ الحرم ثم زال المنع بعد وقوع الصلح كما في قوله تعالى قالوا يا ابانا منع منا
الكيل وانما منع في وقت واطلق في وقت وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون معناه ولولا
ان تطؤوا رجالا من المؤمنين ونساء مؤمنات مقيمين بمكة لم تعلموهم فتقتلوهم فتصيبكم من قتلهم
معرة اي عيب وسبة في العرب بانكم قتلتم اهل دينكم وقيل اراد بالمعرة الغم والحزن وقد
يعاب الانسان في العادة باتفاق قتل الخطا على يديه وقد يلحقه الغم ايضا باتفاق قتل المؤمن
على يديه وجواب لولا محذوف من الاية والمعنى لولا ذلك لدخلتم على اهل مكة وبيتوهم ليلا ولوطئتم
رقاب المشركين بنصرنا اياكم ولكن الله منع ذلك كراهة وطء المؤمنين بالمكروه والقتل
وهذا احد الاسباب التي صدت المسلمين عن دخول مكة وكان بمكة من المسلمين سلمة بن هشام وعياش
بن ابي ربيعة وابو جندل بن سهيل واشباههم ممن علمهم المسلمون وممن لم يعلموهم وذهب بعض

المفسرين الى ان المراد بالمعرة في الاية الاثم والدية والكفارة الا ان الصحيح ما ذكرناه من قبل
لانه لا خلاف بين اهل العلم ان المسلمين اذا قصدوا حصنا من حصون الكفار وقاتلوهم واصابوا
من في الحصن من اطفال الكفار ومن اسارى المسلمين انه لا اثم على المسلمين في ذلك ولا دية عليهم
ولا كفارة وقد حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الطائف ورماهم بالمنجنيق مع نهيه
عن قتل النساء والولدان وبعث صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فامره ان يغير على ابنى
صباحا ويحرق وفي قوله في هذه الاية بغير علم دليل نفي الاثم لانه تعالى قال وليس عليكم جناح
فيما اخطاتم به وانما لم يسلط الله تعالى المسلمين عليهم بالحديبية لما قد علم من حدوث الاولاد المسلمين
منهم وذلك معنى قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء اي ليكرم بعز فرقهم من يشاء ممن هو من اهل
ذلك وقوله تعالى لو تزيلوا معناه لو تميز المؤمنون عن الكفار لعذبنا الذين كفروا عذابا اليما
بان يسلطكم عليهم وعن الضحاك انه قال في قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات معناه
ولولا رجال ونساء مؤمنون في علم الله تعالى لم تعلموهم انتم وفي علم الله تعالى انهم سيدخلون في الاسلام
الا ان الصحيح ما تقدم من قبل وفي الاية دليل على ذلك وذهب بعض الى ان قوله تعالى لعذبنا
جواب الكلامين احدهما لولا رجال والاخر لو تزيلوا والتزيل يتفعل من الزوال يقال ازلته فزال
وزيلته فتزيل **قوله عز وجل** اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان
الله بكل شيء عليما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم الحديبية ومعه الهدي قال كفار
مكة قتل ابناءنا واخواننا ثم اتانا يدخل علينا منازلنا والله لا يدخل علينا ابدا فلما ان اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يكتب بينه وبينهم كتاب الصلح امر عليا رضي الله عنه بكتابته واملى عليه
بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فانفوا من الاستفتاح باسم الله تعالى ومن
الاقرار بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اكتب باسمك اللهم واكتب محمد بن عبد الله وقالوا
ولو عرفنا انك رسول الله لظلمناك اذ منعناك ان تطوف بالبيت بل انت محمد بن عبد الله فهذه الحمية التي كانت
في قلوبهم والحمية في اللغة هي الانفة التي تحمي الانسان وقيل انها من الحمى كان قلوبهم حميت بغضبه
الله كما حميت قلوب اهل الجاهلية فانزل الله تعالى بدل ذلك على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى قلوب المؤمنين الطمانينة والسكون وانزل عليهم الوقار والهيبة والزمهم توحيد الله تعالى
والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم والثبات على ذلك بما دلهم عليه من البصائر وكانوا احق
بكلمة الشهادتين في علم الله تعالى من غيرهم وكانوا مستحقين لها في الدنيا وكان الله بكل
شيء من امرهم وامر غيرهم عالما **قوله عز وجل** لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا
فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قص رؤياه التي راها في المنام كانه
مع اصحابه يدخلون المسجد الحرام ثم تاخر دخولهم مكة في تلك السنة قال بعض المنافقين والله
ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فانزل الله تعالى هذه الاية وبين ان تلك الرؤيا كانت
حقا وانهم يدخلون المسجد الحرام كما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وفي هذا دلالة
نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه انبا عن امر يكون في العام المقبل ومثل هذا لا يتفق فيه الصدق
بالتخرص وفي قوله تعالى ليظهره على الدين كله دلالة على نبوته ايضا لانه اخبر عن امر في
المستقبل بان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها ومعلوم انه لا دين الا قهره المسلمون من دين

اهل الشرك واهل الكتاب فمنهم من غلبهم المسلمون على بلادهم ومنهم من غلبوهم على
البعض كالنصارى واما قوله تعالى ان شاء الله في هذه الآية فلا يجوز ان يكون على
معنى الشرط لان ابتدا الاية بشارة بتحقيق رويا النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا يطلبون
تاويلها وهو خبر عن الماضي والاستثنا عن الخبر الماضي هدر وهذيان في الكلام واللام
في قوله تعالى لتدخلن لام التاكيد فعلم ان قوله ان شا الله لا يجوز ان يكون بمعنى الشرط
ثم اختلفوا في معناه قال بعضهم هو على معنى بمشية الله تعالى ولا يستنكر ان يخرج مخرج الشرط
وليس بمعنى الشرط كما يخرج اللفظ مخرج الامر بقرينة بصحة الكلام وكما يخرج اللفظ مخرج
الخبر ومعناه الامر وقال بعضهم انما قال ذلك تاديبا للعباد ليدخلوا كلمة الاستثنا فيما
يخبرون عنه في المستقبل من نفي واثبات مما يجوز ادخال الاستثنا فيه وهو نظير قوله تعالى
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وقال بعضهم هذا اللفظ حكاية الرويا التي راها
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه راى في المنام ان ملكا ينادي لتدخلن المسجد الحرام ان
شا الله وقال بعضهم الاستثنا واقع على الامن فاما الدخول فلا شك فيه وقال بعضهم وهو
احسن الاقاويل ان هذا الاستثنا تقييد لدخول بعضهم او كلهم كانه قال ان شا الله ان يدخلها
كلكم ولو اطلق الدخول لكان ذلك يوجب القطع على ان احدا من المومنين الذين كانوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية لا يموت حتى يدخل مكة في العام القابل وقد يقال ان سا
الله يعني اذ شا الله كما يقول الناس عند دخول المقابر وانا ان شا الله عن قريب بكم لاحقون
وفي قوله تعالى محلقين رووسكم ومقصرين بيان انهم يدخلون مكة الى ان يبلغوا اخر النسك
لا تخافون احدا بخلاف عام الحديبية وفيه دليل ان الحلق والتقصير قربة في الاحرام من حيث
ان الاحلال يقع بهما ولولا ذلك ما كان لذكرهما ها هنا وجه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا للمحلقين ثلثا وللمقصرين مرة وقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا اي علم من صلاح
الصلح الذي وقع بالحديبية ما لم تعلموا انتم فجعل من دون ذلك اي قبل دخول مكة فتحا قريبا
وهو فتح خيبر وقال الزهري كان ذلك الصلح من اعظم الفتوح
وقال هو صلح الحديبية لانه دخل في الاسلام بعده مثل ما كان في الاسلام قبله وهو قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق اي بالطريق المودي الى الجنة ودين الاسلام ليظهره دين الاسلام على
الاديان كلها بالحجج والغلبة وكفى بالله شهيدا على نبوتك ورسالتك ان لم يشهد سهيل وامثاله
ويجوز ان يكون معنى الشاهد العالم بالعالم بما لهم **قوله عز وجل** محمد رسول الله والذين
معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع
اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما يجوز ان يكون قوله
تعالى محمد رسول الله والذين معه ابتدا وخبره اشداء خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون قوله تعالى
محمد رسول الله ابتدا وخبرا وقوله تعالى والذين معه ابتدا ثانيا وخبره اشداء والاشداء جمع
الشديد وهو القوي في دين الله تعالى القوي على اعداء الله تعالى كانوا لا يميلون الى الكفار لقرابة
ولا غيرها بل اظهروا لهم العداوة في الدين والاصل في اشداء اشددا بحو نصيب وانصبا لكن ادغمت
الدال الاولى في الثانية كما في قوله تعالى من يرتد منكم عن دينه والرحما منهم هم المتعاطفون فيما
بينهم الذين يخلص بعضهم لبعض المودة ويبر بعضهم بعضا قال الحسن رضي الله عنه بلغوا في الشدة

على الكفار مبلغا انهم كانوا لا يدعون ان تمس ثيابهم ثيابهم ولا ابدانهم ابدانهم كما قال
تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبلغوا بالرحمة فيما بين
انفسهم مبلغا انهم كانوا اذا راوا احدا من المومنين صافحوه وسلموا عليه وتلطفوا وقوله
تعالى تراهم ركعا سجدا اي راكعين ساجدين يكثرون الصلوة لله تعالى يبتغون
بذلك ثواب الله تعالى ورضاه وقد ورد عن غير واحد من المفسرين ان المراد بالذين معه ابو بكر
وبالاشداء عمر وبالرحماء عثمن وبقوله ركعا سجدا علي رضي الله عنهم اجمعين الا ان الاولى ان
تكون الاية عامة في الصحابة وان كان لهولاء فضل السبق واما قوله تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود فمعناه علامة التهجد ظاهرة على وجوههم من كثرة سجودهم بالليل كما روي
عن الحسن انه كان يقول في صفتهم اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول
لعلهم خولطوا في عقولهم والله لقد خالطهم امر عظيم يريد بذلك ما في قلوبهم من خوف الاخرة
وقال بعضهم اراد الله بالسيما علامة الخشوع والوقار وحسن الاخلاق والحسنة من اخذ العفو والامر
بالمعروف والاعراض عن الجهل وقيل هو نور يجعله الله تعالى في وجوههم يوم القيمة كما قال
تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم تحشر امتي يوم
القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية معناه ذلك الذي ذكر
في القران صفتهم في التورية ثم اعلم ان صفتهم في الانجيل كزرع وهو النبات اخرج شطاه
اي سنبله والشطء افراخ الزرع يقال اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا افرخ من جوانبه ومنه
شاطئ النهر وقوله تعالى فآزره اي اعان الشطء المؤازرة وهي المعاونة والازر الظهر
والوزير المعين واعانة الزرع الشطء ان يخرج من الشط ثمانية وتسع وعشر وقوله تعالى
فاستغلظ اي طلب الغلظ وتقوى وصار غليظا وقوله تعالى فاستوى على سوقه اي
ساوى الصغار بالكبار حتى استوى بعضه مع بعض وصار الفرع مثل الام والسوق جمع
ساق وهو قصبة الزرع وساق الشجرة حامل الشجرة ويجوز ان يكون المراد بالساق الكعب
وكلما ازداد الزرع كعبا ازداد قوة وقوله تعالى يعجب الزراع معناه انه يصير
بحال يعجب الحراث فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم اعجب عليه
السلام وفرح بجماعة اصحابه وكثرتهم حين تبعهم الناس من كل ناحية وهابتهم العدو من ذلك
معنى قوله ليغيظ بهم الكفار اي جعلهم الله كذلك ليكونوا غيظا للكفار بكثرتهم وشدتهم
ونسب الغيظ الى نفسه لما حدث عند فعله كما يقول اغنت ربنا وقوله تعالى وعد الله الذين
امنوا اي الذين ثبتوا على الايمان والعمل الصالح منهم مغفرة لذنوبهم في الدنيا وثوابا
وافرا في الجنة وقيل انما قال في الاية منهم لانهم انضم الى النبي صلى الله عليه وسلم في القتال
والاعانة قوم منافقون فبين الله تعالى انه انما يغفر لمن خلص منهم ويجوز ان يكون من
ها هنا لتخليص الجنس من غيره كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويقول الرجل
لصاحبه اجعل نفقتك من الدراهم لا من الدنانير ويقول الغيب من فلان رجلا كريما ولا يريد
به التبعيض وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة الفتح كان كانما بايع محمدا صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روي
عن ابن عباس انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا من اصحابه وهم سبعة

قبلي وارتدوا عن الاسلام فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في جيش وتقدم اليه ان يتربص بهم ليلا فان راى ما يدل على الاسلام من الاذان للصلوة والتهجد امسك عن محاربتهم وطالبهم بصدقاتهم فلما صار اليهم خالد ليلا سمع فيهم الاذان والتهجد فكف عنهم الى ان دخل عليهم لا على وجه القتال فقالوا قد استبطانا رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات وسلموها اليه فانزل الله هذه الاية وسمى الوليد فاسقا لكذبه الذي وقع به الاغراء والفاسق الخارج عن طاعة الله تعالى بارتكاب كبيرة من الذنوب والنبا الخبر عما يعظم شانه فيما يعمل عليه والتبين هو التعرف لصحة الخبر من فساده وهو من ابانت وتبين الامر اذا ظهر وبينت الشي اذا عرفته والتثبت هو التوقف من الثبات وفي كل واحد من اللفظين نهي عن قبول خبره حتى يظهر اصدق ما جاء به ام كذب وقوله تعالى ان تصيبوا معناه لكيلا تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا مغتمين بذلك لا يمكنكم تدارك الامر فيه ومن الناس من استدل بهذه الاية على ان خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لان المعنى ان جاءكم بالخبر من لا تامنون ان يكون فاسقا ولذلك قال ان تصيبوا قوما بجهالة لئلا تزر ومنهم من قال في الاية دليل على قبول خبر الواحد العدل لانه لما نهى عن قبول خبر الفاسق دل على لزوم خبر العدل والاولى ان الواجب في الخبر عن الامر الذي يعظم شانه ان يتثبت في ذلك ولا يقبل خبر المخبر فيه حتى تظهر الحجة على صدقه فيه ولا خلاف بين اهل العلم ان خبر الفاسق ان يتعاطى محظور الدين لا يجوز قبوله في الشهادات والزام الحقوق واثبات احكام الدين بالاخبار التي يرويها عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم فاما في المعاملات من نحو الهدايا والوكالات والاذن في دخول الدار واشباه ذلك فخبره مقبول ولذلك يقبل في المعاملات من الصبي والعبد والذمي فاما الفسق من حيث الدين باعتقاد مذهب اهل الاهواء لا يمنع قبول شهادتهم وروايتهم الاحاديث واما قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله فمعناه واعلموا ان رسول الله مقيم فيكم لو يطيعكم في كثير مما تسالونه لوقعتم في العنت والعنت هو الاثم والمشقة ولفظ الطاعة في هذا على وجه التوسع والمجاز لان حقيقة الطاعة موافقة الادون الاعلى فيما يدعوه الاعلى اليه وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان اريد به المؤمنون المخلصون حبب الله تعالى اليهم الايمان بما اوضح لهم من الدلائل على حسنه ووجوب العلم به وحسنه في قلوبهم بالتوفيق والتيسير وبغض اليهم الكفر والخروج عن امر الله تعالى وكل ما يكون من المعاصي باقامة الدلائل على قبحها ووجوب اجتنابها ووجه اتصال هذا بما تقدم ان الله تعالى عصمكم عن المعاصي فلا تفتنون لانكم مطيعون الرسول صلى الله عليه وسلم في اموركم وقوله تعالى اولئك هم الراشدون نعت للمؤمنين المخلصين وقوله تعالى فضلا من الله ونعمة معناه فعل الله ذلكم بكم فضلا منه ونعمة والله عليم بمصالح عباده حكيم في امره ونهيه

قوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون **روي** ان ذلك نزل في الاوس والخزرج بسبب الكلام الذي جرى بين عبد الله بن ابي راس المنافقين وعبد الله بن رواحة لما استباحا قوم هذا وقوم هذا فاقتتلوا بالنعال والترامي بالحجارة ولم يكن بين الطائفتين سيف فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يحجز بينهم فلم يستطع حتى انزل الله تعالى هذه الاية

فيهم

فيهم والاصلاح بين الطائفتين ان ينظر في مرادهما فيفعل ما يريد من يطلب حكم الله تعالى لا من يطلب خلافه والبغي هو الاستطالة والعدول عن الحق وعما عليه جماعة المسلمين والطائفة الباغية هي التي تطلب ما ليس لها ان تطلبه وفي قوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى دلالة على ان اعتقادهم مذهب اهل البغي لا يوجب قتالهم ما لم يقاتلوا لان مجرد اعتقادهم لا يكون بغيا على غيرهم فاذا قاتلوا اهل العدل فعلى جماعة المؤمنين ان يقاتلوهم مع الطائفة المحقة الى ان يرجعوا عن البغي الى كتاب الله تعالى فان رجعوا اصلح بين الطائفتين بعد الرجوع لان ما تقدم منهما يورث الضغائن في القلوب والاقساط في اللغة هو العدل يقال اقسط الرجل اذا عدل وقسط اذا جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا والمراد بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة في الدين دون النسب لان احكام النسب لا تثبت الا بين الاقارب وكان عبد الله بن ابي يزعم انه مؤمن واحكام العباد فيما بين المؤمنين في الدنيا متعلقة بالظاهر فاما الباطن فلا يعلمه الا الله وفي قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم دليل ان من رجا صلاحا بين متعاديين من المؤمنين ان عليه الاصلاح بينهما وذهب بعض الناس الى ان قتال البغاة بالسيف غير جائز واحتجوا بسبب نزول هذه الاية الا ان الرجوع الى عموم لفظ الاية اولى وكان مع علي رضي الله عنه من كبراء الصحابة واهل بدر رضي الله عنهم ما قد علم مكانهم وكان محقا في القتال في حرب الجمل وصفين وغير ذلك وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية خبر معروف لم ينكره معاوية رضي الله عنه على نحو حين احتج به عليه عبد الله بن عمرو بن العاص ولكن قال انما قتله من جاء به فطرحه بين اسنتنا ولو قعدت الطائفة المحقة عن قتال الخوارج لقتلتهم الخوارج ولسبوا ذراريهم ونساءهم واصطلموهم واما من قعد من الصحابة عن القتال مع علي فلم يقعد عن قتال الخوارج لانه لم ير القتال ولكن لانه راى الامام مكتفيا بمن عليه مستغنيا عنه الا ترى انهم قعدوا عن قتال الخوارج لا لانهم لم يروا قتالهم حقا وفي قوله تعالى حتى تفيء الى امر الله دليل ان الفئة الباغية اذا ولت لا يجهز على جريحهم ولا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم اذا لم يكن لهم فئة يلجؤون اليها وعن ابن عباس ان الخوارج نقموا على علي كرم الله وجهه انه لم يسب ولم يغنم فاحتج عليهم بان قال افتسبون امكم عائشة رضي الله عنها ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ولئن فعلتم لقد كفرتم وفي هذا بيان انه لا يجوز استغنام اموال البغاة ولكن يستعان عليهم بخيلهم وكراعهم وسلاحهم فيهم حتى تضع الحرب اوزارها ثم يرد ذلك عليهم وسئل علي رضي الله عنه عن اهل البصرة حين قتلهم امشركون هم قال من الشرك فروا قيل امنافقون قال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما هم قال اخواننا بغوا علينا فقاتلناهم عليهم وعن الزهري انه قال وقعت الفتنة واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون فاجمعوا ان كل دم او مال اصيب بتاويل القرآن فهو هدر انزلوهم فيه منزلة الجاهلية وكل فرج استحل بتاويل القرآن فلا حد فيه وهذه الاحكام انما تثبت عند اهل العلم فيما بين الفريقين اذا كان للبغاة منعة وكانوا يقاتلون الامام فاما اذا لم يكن هو كذا فحكمهم حكم قطاع الطريق

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون **روي** ان الاية نزلت في ثابت بن قيس وذلك انه كان في اذنه وقر

وكان اذا حضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم افسح له حتى يسمع من كلامه ففاته ذات يوم
الركعة الاولى من صلوة الغداة فصلى ثانيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم فقام يقضي ركعته
فلما فرغ منها جعل يتخطى رقاب الناس بعد ان كانوا اخذوا مجالسهم وكانوا يفرجون له
الى ان جاء الى رجل كان جالسا دون النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اصبت مكانا
فاجلس فجلس فلما ذهبت الظلمة وعرف الرجل غمزه في قفاه فقال ابن فلانة فعيره بامه اذ لم
يفسح له في مجلسه فاستحيى الرجل فانزل الله هذه الاية والمعنى لا يعيب قوم قوما لعل المسخور منهم
افضل عند الله تعالى من الساخرين ولا يعيب نساء نساء لعل المسخورات منهن افضل من الساخرات
وقيل ان امراتين من نساء النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من امراة اخرى فانزل الله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وذلك لان
فيهن وقال مجاهد لا يسخر غني من فقير لفقره وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وذلك لان
المؤمنين كلهم كنفس واحدة وقوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدع بعضكم بعضا
باللقب الذي يكرهه صاحبه لان عليه ان يخاطب اخاه باحب الاسماء اليه والنبز واللقب بمعنى
واحد وقال قتادة في معنى هذه الاية لا تقل لاخيك المسلم يا فاسق يا منافق ولا تقل لليهودي
بعد ان امن يا يهودي وذلك معنى قوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئست هذه التسمية
له بعد ان امن وقيل ان المنهي من اللمز ان يرمي الرجل بعيب لا يجوز ان يوذي بذكره فاما ذكر
عيب الفاسق المصر على فسقه بعيب يرجع الى خلقته او قبائح افعاله على وجه التحذير له عند المصلحين
فليس بلمز كما ورد في الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وكان الحسن يقول في صفة
الحجاج جاءنا اخيفش اعمش يخرج الينا بنانا قصيرة والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله تعالى
يرجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلوة لا من الله يتقي ولا من الناس
يستحيي فوقه الله تعالى وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل ثم جعل
الحسن يقول هيهات والله حال دون ذلك السيف والسوط **قوله عز وجل** يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يضم الى كل رجلين غنيين في السفر رجلا قليل الشيء من اصحابه
ليصيب من طعامهما ويتقدمهما في المنازل فيهيئ لهما المنازل وما يصلحهما فضم سلمان الى رجلين
من اصحابه فاتفق ذات يوم انه لم يهيئ لهما شيئا غلبته عيناه فنام فقالا له انطلق الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسله لنا فضل ادام ان كان عنده فذهب فسال فقال له صلى الله عليه وسلم انطلق
الى الخازن فليعطك ان كان عنده وكان الخازن يومئذ اسامة بن زيد فانطلق اليه فلم يجد عنده
شيئا فرجع اليهما فاخبرهما بذلك فقالا انه بخل بامره رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخل هو علينا
وقالا في سلمان لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ليس فيها ماء ثم جعلا يتجسسان هل كان عند اسامة ما امر
لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادم فانزل الله تعالى هذه الاية والظن الذي فيه الاثم ان
يعرض بقلب الانسان في اخيه ما يوجب الريبة فيحققه من غير سبب يوجبه كما روي في الخبر اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ومعنى التجسس البحث عن عيب اخيه الذي ستره الله تعالى
عليه ومن ذلك تقال المتتبع الاخبار جاسوسا **وروي** ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه فقال
ان فلانا يواظب على شرب الخمر فقال ان علمت بشربه فاعلمني فاعلمه فذهب معه حتى اتى الدار ودخل
عليه وقال انت الذي تشرب الخمر فقال الرجل انت الذي تجسس عيوب المسلمين فقال عمر تبنا ان لا نعود
فقال الرجل وانا تبت ان لا اعود واما الغيبة في اللغة فهي ذكر العيب بظهر الغيب وسئل رسول

صلى الله

صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان يذكر عن الرجل ما يكرهه اذا سمعه وان كان حقا فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان حقا فان كان باطلا فهو البهتان وقوله تعالى ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فيه تمثيل للغيبة يقول كما كرهتم اكل لحم الميت طبعا فاكرهوا الغيبة اكره
عقلا فان العقل احق ان يتبع من الطبع لان داعي الطبع اعمى جاهل وداعي العقل بصير عالم وكلاهما
في صفة الناصح ووجه تشبيه الغيبة باكل لحم ميتا ان الاغتياب ذكره بالسوء من غير ان يحس هو بذلك
فهو بمنزلة الاكل من لحمه وهو ميت لا يحس بذلك ومن هذا يقال للمغتاب فلان ياكل لحوم الناس
وفي الحديث ان كفارة الاغتياب ان يستغفر لمن اغتابه وقيل ان هذا محمول على ما اذا لم يبلغه
ذلك فاما اذا بلغه فلا بد من الاستحلال منه ومما يجب على المؤمن ان يجتنب ذكر القبيح الذي هو
مستور عند الناس لان على الناس ان يكذبوه ويردوا عليه وان كان صادقا فاعند الله تعالى لان
الله تعالى قد ستره عند الناس وعن ابن عباس انه دخل الكعبة فقال ما اطيب ريحك واعظم
حرمتك ما جعلك الله تعالى حراما وحرم من المؤمن دمه وعرضه وماله وان تظن به ظن السوء وعن
الحسن انه قيل له ان اقواما يحضرون مجلسك ويحفظون عليك سقط كلامك ثم يجلون كي يعيبوك
فقال الا اخبركم بما هو اعجب من ذلكم قالوا نعم قال اطمعت نفسي في جوار الرحمن وحلول الجنان
والنجاة من النيران ومرافقة الانبياء صلوات الله عليهم ولم اطمع نفسي في السلامة من الناس انه لو
سلم من الناس احد لسلم منهم خالقهم الذي خلقهم فلما اذا لم يسلم منهم خالقهم الذي خلقهم فالمخلوق
اجدر ان لا يسلم **قوله عز وجل** يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير **روي** ان
الاية نزلت في نفر من قريش قالوا حين سمعوا اذان بلال اما وجد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤذنا غير هذا الغراب والمعنى يا ايها الناس انا خلقناكم من ادم وحوا وكلكم سواء واحد وام
واحدة اليهما ترجعون في النسب وجعلناكم متشعبين متفرقين نحو العرب وفارس والروم
والهند وقبائل نحو قبائل العرب وبيوتات العجم والشعوب جمع الشعب بفتح الشين وهو النسب
الابعد والقبائل جمع قبيلة وهي النسب الاقرب ماخوذ من مقابلة بعضهم بعضا في النسب لا تفاخروا
بينكم كما ان الله تعالى خالف بين خلقكم وصوركم ليعرف بعضكم بعضا وقوله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقاكم معناه ان اكرمكم في الاخرة اتقاكم لله تعالى في الدنيا ان الله عليم بخلقه
خبير باعمالهم ومجازاتهم وفي الاية دليل انه لا فضل لبعضهم على بعض في النسب وكذلك روي
في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى قد اذهب نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء
الناس من ادم وادم من تراب اكرمكم عند الله تعالى اتقاكم لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى
وهذا كله في احكام الاخرة فاما الكفاءة في الانساب فهي معتبرة في احكام الدنيا ومن قال ان
العرب خير من العجم يريد بذلك في نعم الدنيا من جهة العز بالاسلام والدولة فهو مصيب **قوله
عز وجل** قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في
قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم انما
المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله
بكل شيء عليم وذلك ان نفرا من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سنة شديدة اصابتهم فجاؤوا باهاليهم وذراريهم فاغلوا اسعار المدينة وافسدوا طرقها بالعذرات
وكانوا يزعمون انهم مخلصون في ايمانهم ولم يكونوا كذلك فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى

انهم يقولون صدقنا بالالسن والقلوب فقل لهم لم تصدقوا بقلوبكم كما صدقتم بالسنتكم
ولكن قولوا استسلمنا وانقدنا مخافة السبي والقتل ولم يدخل الايمان في قلوبكم وان
تطيعوا الله ورسوله في السر كما اطعتم في العلانية فتتوبوا من الكفر والنفاق لا ينقصكم من
ثواب اعمالكم شيئا ان الله غفور لمن تاب رحيم لمن مات على التوبة ومن قرا يالتكم بالهمز
فهو من الت يالت كما قال تعالى وما التناهم من عملهم من شيء لا يلتكم يلتنا يالتنا والاته
ليته بمعنى واحد ثم وصف الله تعالى المومنين الصادقين في ايمانهم فقال عز من قائل انما
المومنون الذين امنوا بالله اي هم الذين اقروا وصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوة رسوله
صلى الله عليه وسلم ثم لم يشكوا في ايمانهم وجاهدوا العدو باموالهم وانفسهم في طاعة الله تعالى
اولئك هم الصادقون في الايمان فلما نزلت هذه الاية جاء القوم يحلفون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم انهم مومنون في السر والعلانية وقد علم الله تعالى منهم غير ذلك فانزل قوله
عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم
والمعنى كيف تعلمون الله تعالى وهو العالم بكل شيء من كل وجه وكيف يجوز ان يعلم من
كان بهذا الصفة والتعليم في اللغة تعريض من لا يعلم لان يعلم بالاخبار والاعلام والايمان
والاسلام كل واحد منهما يجوز ان يكون عبارة عن الاخر وكما لا يقال للمنافق مومن لا
يقال انه مسلم قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واراد بذلك الايمان
الا ان المراد بقوله تعالى قولوا اسلمنا في هذه الايات الاستسلام والانقياد على ما تقدم ذكره
وذلك ان من اظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم حكمه حكم المسلمين
الا انه اذا لم يكن مصدقا على الحقيقة لم يكن مومنا على الحقيقة فان الايمان في الحقيقة هو
التصديق قوله عز وجل يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض والله
بصير بما تعملون وذلك ان هولاء المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم قاتلك
العرب باسيافهم وجئناك بالاهل والذراري فقيل يمنون عليك يا محمد بالاجابة الى ما
دعوتهم اليه قل لا تمنوا علي باسلامكم فان اجابتكم لم تكن الا لاحسانكم الى انفسكم لانكم
انعمتم على من دعاكم الى ذلك ومن المعلوم ان حق الداعي الى الهداية اعظم من حق المطيع بالاجابة
فليس للمطاب ان يطالب بالحق الذي له وينسى الحق الاعظم الذي عليه ولذلك قال بل الله
يمن عليكم ان هداكم اي وفقكم للايمان واخرجكم من الضلال ان كنتم صادقين في مقالتكم
وفي قوله تعالى ان الله يعلم غيب السموات والارض بيان انه لا ينفع المنافق عند الله تعالى
كتمان الكفر لانه تعالى عالم به وان اسر المنافق النفاق عن غيره فان قيل كيف يجوز
المنة من الله تعالى والمنة مما يكدر الصنيعة قيل ان المنة ممن يستغني عنه تكدر الصنيعة فاما
الله عز وجل فليس من احد الا وهو محتاج اليه فليس في منته تكدير النعمة لاستحالة ان يستغني
بغيره عنه وقد يقال اذا كفرت النعمة حسنت المنة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحجرات اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من اطاع
الله تعالى ومن عصاه وبالله التوفيق

سورة ق مكية

وعن ابن عباس
انه قال الا اية منها نزلت بالمدينة قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وعددها خمس
واربعون اية بلا اختلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج اختلفوا في تاويل ق والهجاء من اول
هذه السورة حسب اختلافهم في حروف الهجاء من اوائل سائر السور قال بعضهم انه اسم
السورة ومفتاحها وقال بعضهم انه حساب وقال بعضهم انه قسم كانه اقسم بقاف والذي
هو جبل محيط بالارض كما روي عن ابن عباس انه قال هو جبل من زبرجد اخضر محدق
بالدنيا خضرة السماء منه وهو من وراء الحجاب الذي فيه تغيب الشمس قال لها الشياطين ينطلقون
الى ذلك الجبل فياخذون منه الزبرجد فيبيعونه للناس فمن ثم هو قليل وليس في الارض بلدة
من البلدان الا وفيها عرق من عروق ذلك الجبل وملك موكل به فاذا اراد الله تعالى باهل بلدة
هلاكا اوحى الى ذلك الملك ليحرك عرق ذلك الجبل فاذا حرك خسف بهم فاما جواب القسم على هذا
القول فهو في قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم كما قال تعالى والشمس وضحاها الى ان
قال قد افلح من زكاها فذلك جواب القسم الا ان اللام حذف منه ويقال ان جواب
القسم هاهنا محذوف وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الكفار الى الايمان فانكروا
البعث وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انما انت بشر كاحدنا فهلا بعث الله رسولا من الملائكة اقسم
الله تعالى عند ذلك بقاف والقران الشريف انهم ليبعثون بعد الموت فيجوز ان يوضع بل عجبوا
في جواب القسم موضع لقد لان بل تاكيد لنفي خبر قبله واثبات خبر بعده ولقد ايضا للتاكيد
فجاز ان يوضع احدهما موضع الاخر ويقال في معنى ق قضي ما هو كائن الى يوم القيمة كما
قيل ذلك في حم واما قوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا فمعناه انهم قالوا متعجبين انهم اذا
ماتوا وصاروا ترابا كيف يبعثون بعد ذلك وقالوا ذلك رجع بعيد اي يقول محمد في هذا شيء
عجيب وهو عندنا رد طويل لا يكون ابدا يبعدان نبعث بعد الموت فاستبعدوا ذلك بجهلهم
والامر ابتدا خلقهم فهو قادر على اعادتهم وقوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي لا يخفى
علينا منهم شيء مما تاكل الارض من ابدان الموتى ومن علم ذلك وهو قادر على ابتداء الخلق جاز ان يعيد
ذلك الخلق بعينه ويعيد حيوتهم وقوله تعالى وعندنا كتاب حفيظ اريد به اللوح المحفوظ
حفظ من الزيادة والنقصان وكتب فيه كل ما يحدث وهو ما لا يبلى ولا يدرس وقوله تعالى بل
كذبوا بالحق لما جاءهم معناه انهم كذبوا بالقران بعد ما جاءهم بدلائله فهم في امر مختلط عليهم
لا يثبتون على شيء واحد مرة يشكون واخرى يجحدون ومرة يقولون في النبي صلى الله عليه وسلم انه
ساحر واخرى يقولون شاعر ويقولون معلم مجنون قال قتادة من ترك الحق مرج عليه امره
لاختلاط امره بعضها ببعض قوله عز وجل افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف
بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من
كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب
الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج
في هذه الايات دلائل قدرة الله تعالى بيان ان القادر على هذه الاشياء من خلق السموات مع
عظمها ونقلها من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها ولا فتوق كيلا تميد الارض باهلها وانبات
كل شيء حسن المنظر فيها قادر على البعث بعد الموت فان قيل اذا لم يكن في السماء باب ولا فتوق
فمن اين تنزل الملائكة وكيف تصعد قيل ان السماء بهذه الصفة التي ذكرها الله تعالى في انه ما لها
من فتوق الا ان الملك يفتح له باب عند النزول وعند العروج ثم ينطبق باذن العزيز القادر واما
قوله تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب فمعناه فعلنا ذلك الذي ذكرناه لنبصر به وليكون

ذلك عظة وتنبيها وتبيانا لكل عبد منيب راجع الى الله متفكر في قدرته وقوله تعالى ونزلنا
من السماء ماء مباركا اريد به المطر انبت الله تعالى به كل ما فيه البركة والمنفعة للناس من البساتين
وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد حصدا ام لم يحصد وقوله تعالى والنخل باسقات معناه
وانبتنا به النخل طوالا كيفما يستوي يبسق اذا طال ومنه جبل باسق والباسق العالي بذهابه في جهة
الارتفاع والطلع النضيد هو الكفرى ما دام في اكمامه فهو منضود بعضه فوق بعض فاذا
خرج من اكمامه فليس بنضيد واما قوله تعالى رزقا للعباد فهو نصب من وجهين احدهما
رزقناهم هذه الاشياء رزقا والثاني انبتناها للرزق فهو منصوب لانه مفعول له ولانه
مصدر فعل محذوف وقوله تعالى واحيينا به اي بالمطر مكانا ميتا لا نبات فيه فكما
احيينا هذه الارض الميتة بالماء وانبتنا هذه الاقوات من حبوب نابتة كذلك تنبتون بالمطر
في قبوركم ثم تخرجون بالبعث والقدرة على اعادة النبات دليل على القدرة على اعادة الخلق
الى الحياة **قوله عز وجل** كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون
واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد في الاية تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان هولاء الكفار سلكوا في التكذيب طريقة من قبلهم من الامم المكذبة
لرسلهم وقد رايتم كيف كان انكاري وكيف اهلكناهم بالتكذيب وانجينا الرسل من بينهم
والرس بئر دون اليمامة نبيهم حنظلة بن صفوان اتبعه قوم منهم فاسلموا فاخذهم عظيمهم
وراودهم على الكفر فمن ابى عليه منهم رسه في تلك البئر واصحاب الايكة هم قوم شعيب عليه السلام
والايكة الغيضة واما قوم تبع فقد تقدم ان تبعا اسم ملك حمير وان ملكهم كان مومنا
وكان قومه كفارا **قوله عز وجل** افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
معناه لم نعي ولم يمتنع الخلق الاول من قدرتنا وانتم تقرون بالخلق الاول وانكم من ولد ادم
عليه السلام فاذا لم يمتنع الخلق الاول فكذلك الثاني يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه
واعييت اذا اتعبت وكلا ذلك من التعب لان احدهما في الطلب والاخر فيما قد وقع من العمل
واما الخلق الجديد فالمراد به البعث والنشر واللبس الشك **قوله عز وجل** ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد معناه خلقنا ادم عليه السلام
وخلقنا ولده ونحن نعلم ما يحدث به نفسه والوسواس كثرة حديث النفس من غير تحصيل وقوله
تعالى ونحن اقرب اليه معناه نحن اقرب بالعلم باحواله وما في ضميره ممن كان في القرب منه
بمنزلة حبل الوريد ويجوز ان يكون المعنى نحن اقرب اليه من بعضه وان كانت للبعض حجاب فلا
يحجبنا شيء والمراد به القرب في الاستيلاء عليه وادراكه من حبل الوريد لو كان مدركا والحبل هو
الوريد فاضيف الى نفسه مثل حق اليقين والوريد عرق في باطن العنق بين العلباء والحلقوم
وهما وريدان عن يمين ثغرة النحر ويسارها يتصلان من ناحيتي الحلق الى العاتق ينبضان
ابدا من الانسان وكل عرق ينبض فهو من الاوردة التي فيها مجرى الحياة والحد والتي فيها الدم
كالاكحل والابجل ونحوهما من العروق ما جرى فيه الدم وما لم يجر فيه وهي العروق التي تفصد
فسبحان الخلاق العليم الذي احسن الخلق والتدبير وقال الحسن رضي الله عنه الوريد
الوتين وهو عرق معلق به القلب والله تعالى اقرب الى العبد من قلبه وقوله اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد معناه نحن اقرب اليه من حبل وريده في حال تلقي المتلقيين وهما كاتباه
الموكلان به يتلقيان قوله وعمله فيثبتان ذلك كله في صحائفهما احدهما على اليمين يكتب الحسنات

والاخر على الشمال يكتب السيئات فاذا تكلم العبد بحسنة كتبها الذي على اليمين عشرا واذا تكلم
بسيئة قال الذي على اليمين للاخر انظره فينتظره ست ساعات او سبع ساعات فان تاب واستغفر
لم يكتبه وان لم يتب وقت عروج صاحب اليمين بالصحيفة كتب الاخر عليه سيئة واحدة وقوله تعالى
عن اليمين وعن الشمال قعيد معناه عن يمينه قعيد وعن شماله قعيد فحذف احدهما واكتفى بذكر الاخر
اذ كان ذلك دليلا على الاخر كما قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف
اي نحن بما عندنا راضون ويجوز ان يكون القعيد على لفظ الواحد ويصلح للاثنين والجمع كالرسول
لانه من صفات المبالغة وفيه معنى المصدر وقال مجاهد القعيد الرصد وقوله تعالى ما يلفظ
من قول معناه ما يتكلم ابن ادم بكلام حسن او سيئ الا عنده حافظ حاضر معد له قال
الحسن حتى اذا مات طويت صحيفة عمله وقيل له يوم القيامة اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا ولقد عدل عليه من جعله حسيب نفسه **قوله عز وجل** وجاءت سكرة الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد معناه جاءت غمرات الموت
واهوالها بالحق اي بما تصير اليه من امر الاخرة من شقاوة او سعادة تجري عليه عند الموت ويقال
له ذلك الذي كنت تميل عنه وتكرهه فقد ايقنت الان به والسكرة هي الغمرة التي تاخذه عند نزع
روحه فيصير بمنزلة السكران الذي غلب الشراب على عقله وقوله تعالى ونفخ في الصور يريد
به نفخة البعث يكون يوم القيامة وهو يوم يتحقق فيه الوعيد وهو اليوم الموعود للاولين والاخرين
اي يجتمعون فيه وفي قراءة ابي بكر رضي الله عنه وجاءت سكرة الحق بالموت فالحق على هذه القراءة
نعت للسكرة وهكذا **روي** عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وفي قوله تعالى وجاءت
كل نفس بيان انهم كيف يحضرون موضع المحاسبة والسائق هو ملك يحث على السير وهو الملك الذي كان
يكون على يساره يكتب عليه السيئات هو الذي يسوقه الى المحشر يوم القيامة والشهيد هو الذي يشهد
عليه بعمله وهو الملك الذي كان يكتب عليه الحسنات على يمينه ويقال المراد بالشهيد كل من يشهد عليه
من الانبياء صلوات الله عليهم ومن الجوارح والمكان والزمان فيقال له يومئذ لقد كنت في
غفلة من هذا حيث تشاغلت عن النظر والاستدلال وغفلت عن ذلك فكنت بمنزلة من على قلبه غطاء
فكشف اليوم عنه ذلك الغطاء وابرامه فعلمك نافذ في البعث وهو من البصارة لا من بصر
العين كما يقال فلان بصير بهذا الامر اي عالم به ويقال في معنى هذا فعينك اليوم سليمة
من العيوب فانظر حتى تعاين وتشاهد ما كنت تخبر به في الدنيا وقال السدي الغطاء القبر
وبصرك اليوم حديد اي شاخص لما ترى من الهول غير ان ما تقدم من القول اليق بالاية
لانه تخاطب بانه كان في الغفلة فكشف عنه الغطاء والغفلة في اللغة ذهاب المعنى عن النفس
قوله عز وجل وقال قرينه هذا ما لدي عتيد القيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير
معتد مريب الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد معناه وقال الملك الموكل به
الشهيد عليه هو الذي كتبه من عمله من قلة الحسنات وكثرة السيئات معد محفوظ يقول الله تعالى
للملكين اللذين يكتبان عمله القيا في جهنم اي اطرحا فيها كل كفار بالله تعالى وبنعمه معرض عن
الايمان والقران اعراض المضادة له كثير المنع عن الخير متجاوز للحق في قوله وفعله شاك في البعث
وفيما بعده الذي جعل لله تعالى شريكا وذلك من اعظم الكفر فالقياه اي اطرحاه في العذاب
الشديد وهو النار ويقال في معنى الاية ان حافظ السيئات يقول للملكين اخرين من ملائكة العذاب
القيا في جهنم يقول ذلك لهما بامر الله تعالى والالقاء ضرب من الاستخفاف لمن يستحق العذاب في

العادة انه اذا كان ذلك من اثنين كان ابلغ في الاهانة ويجوز ان يكون قوله تعالى
القيا امرا من الله تعالى لمالك خازن النار واكثر ما تكلم به العرب في مخاطباتهم ان يامر
الواحد بلفظ الاثنين كما قال الشاعر فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا
ونظير ذلك كثير مستعمل في كلامهم ومنه قول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه لان الاصل
في ذلك ان اقل الرفقة في السفر ثلثة وكل واحد منهم يقول لصاحبيه افعلا وقد قال صلى الله
عليه وسلم الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلثة ركب وذهب بعض النحويين الى ان التثنية
في الفعل في مثل هذا ينوب عن تكرار الامر كانه قال الق الق وكذلك قالوا في قول امرئ القيس
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل اي قف قف واصح هذه الاقاويل القول الاول فان
الكلام اذا امكن حمله على الحقيقة لا وجه فيه لطلب المجاز وذهب الكلبي الى ان الاية نزلت في
شان الوليد بن المغيرة كان يمنع بنيه وبني اخيه ويحثه عن الاسلام فصار خيثما في كل
كافر **قوله عز وجل** قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا
لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد قال بعض المفسرين في معنى اول هذه الايات قال قرينه
الذي جعل معه ليشهد عليه ربنا ما اطغيته اي ما عجلت عليه في الكتابة وما كتبت عليه ما لم
يقل ولم يفعل ولكن كان في خطا بعيد عن الصواب وانما يقول الملك هذا القول بعد ما
يقول الكافر يا رب كتب علي ما لم اقل ولم افعل وما ما طرفي ولكن عجل في الكتابة علي وقال بعضهم
اراد بالقرين في هذه الاية شيطانه الذي قرن به في العقوبة يعتذر لجرمه فيقول يا ربنا ما اطغيته
اي ما اضللته باستكراه وانما دعوته فاستجاب لي وطغى بضلال نفسه كما يقول ابليس وما
كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي واما قوله تعالى قال لا تختصموا لدي
فمعناه يقول الله عز وجل لا تختصموا عندي فاني ملك لا ينكر الكلام عندي كما كان ينكر عند
ملوك الدنيا وقد قدمت اليكم على السنة الرسل بالوعد والوعيد فلا ينفعكم الاختصام لدي وانما
ينهون يومئذ عن الخصومة مع قرنائهم فاما خصومة المظلومين وخصومة اهل القبلة فكما
قال الله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى ما يبدل القول
لدي اي ما يغير القول عندي عن وجهه ولا يحرف ولا يزاد فيه ولا ينتقص ولا يروج الكذب بين يدي
ويقال لا يقدر احد ان يشقي من اسعدته ولا ان يسعد من اشقيته ولا اخذ احدا بغير ذنب منه
من عمل حسنة فله عشر امثالها ومن عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقوله تعالى يوم نقول لجهنم هل
امتلأت معناه انذرهم يوم نقول لجهنم هل امتلأت كما وعدتك فتقول هل من مزيد اي لم
يبق في موضع لم يملأ فلا مزيد على هذا وهذا كالرجل اذا بالغ في الاحسان الى غيره او في الاساءة
ثم قال هل من مزيد اي لا مزيد على ما فعلت وكما روي في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قيل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك قال وهل ترك لنا عقيل من دار وكان عقيل باع
دورهم وخربها بعد هجرتهم الى المدينة وفائدة هذا السوال الذي في هذه الاية التوبيخ لاهل النار
وبيان انه تعالى قد فعل ما اخبر به انه يملأ جهنم من الجنة والناس وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى
هل من مزيد ان معناه انها تطلب الزيادة تغيظا على اهلها وهذا انما يكون قبل اجتماع اهل
النار فيها ومعناه انها تطلب الزيادة في سعتها بعد اجتماعهم فيها كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال تقول جهنم يوم القيمة لا تقتحمن اليوم من اكل رزقك وعبد غيرك واما
ما روي في تفسير الكلبي انها تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه فيها فتضيق باهلها فيقول

قط

قط قط فهو تشبيه لا يجوز على الله تعالى وما وبله عند اهل الحق عهده الذي عهد اليه يوم
قال لاملأن جهنم وهذا كما قال تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم فان قيل كيف تنطق جهنم
وهي جماد قيل ينطقها الله تعالى كيف شا كما ينطق المكان والزمان والجوارح وكما في قوله
تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وذهب بعضهم الى انه تعالى يخاطب خزنتها وقال بعضهم انها فيما
تظهر من حالها بعد ان يظهر الله تعالى ذلك فيها كالناطقة بذلك وكل ذلك جائز **قوله
عز وجل** وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولدينا
مزيد معناه وادنيت الجنة للمتقين قريبا منهم ثم يقال لهم عند تقريبها هذا ما كنتم توعدون
لكل رجاع الى طاعة الله تعالى حافظ لحدود الله تعالى يتحفظ من الخروج الى ما لا يجوز وقوله
تعالى من خشي الرحمن بالغيب صفة للاواب وخشيته من الرحمن هي خشيته من عذاب الله فيجتنب
معاصيه ويعبد الله تعالى حين لا يراه احد الا الله تعالى والقلب المنيب هو التائب وقوله
تعالى ادخلوها بسلام اي يقال لهم يومئذ ادخلوها بامان من كل مكروه ويحيون بذلك اكراما
لهم وقوله تعالى ذلك يوم الخلود اي ذلك اليوم يوم الخلود فلا فناء ولا انقطاع لهم ما
يشاؤون فيها من انواع النعيم والسرور ولدينا مزيد مما لا يخطر على قلوبهم ولا يدرون ان
يشاؤه ولا يبلغه افهامهم من النعم الزائدة على قدر استحقاقهم وفي الحديث ان السحاب
تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور العين فيقلن نحن من الذي قال الله عز وجل ولدينا مزيد
ويقال ان اهل الجنة يجتمعون في كل جمعة في ارض كثبانها مسك فيرون ربهم ويعظمونه
ويسبحونه ويحمدونه فيقول الله عز وجل انا الذي صدقتكم وعدي واتممت عليكم نعمتي
وهذا محل كرامتي فاسالوني فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول رضاي احلكم داري
وانا لكم كرامتي فاسالوني فيسالونه الرضا فيسمعهم الرضا ويعطيهم فوق رغبتهم
واميتهم فيرجعون الى منازلهم لكل رجل منهم الف باب فاذا اتوا منازلهم اتى كل رجل
منهم الف ملك مع كل ملك طعام وكسوة ليس مع صاحبه مثله فيقولون السلام عليك من
ربك فاذا راها الجنة فيقولون للشجر الذي بفناء [illegible] تعالى [illegible]
يشاء كيف يشاء فيهم في كل جمعة شاهد وهو يوم المزيد **قوله عز وجل** وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد القرن ماخوذ من الاقتران والمراد به اهل الزمان الذين يقترن
اجلهم فيه والتنقيب هو التفتيش بما يصلح للمسالك كانهم ضربوا في الارض لشدة شوكتهم وبطشهم
ضربوا [illegible] المسالك والتقلب [illegible] من الموت فلم يجدوا محيصا منه والمحيص الموضع
الذي يهرب اليه والمراد فنقبوا في البلاد اي طلبوا [illegible] فلم يجدوا [illegible]
فيها كل منصرف وقوله تعالى ان في ذلك لذكرى اي فيما صنع بهم لعظة لمن كان له عقل
وحزم وبصيرة [illegible] في هذه الاشياء [illegible] قوله تعالى لمن كان له قلب [illegible]
[illegible] وقوله او القى السمع هو الاستماع [illegible] تقول العرب القى
الي سمعك اي استمع مني والشهيد هو الحاضر الذي لا يغفل عما يسمع وقال الحسن رضي الله
عنه من كان ذا قلب [illegible] شهيد [illegible] الكتاب يشهد بصحة النبي
صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس

وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وذلك ان اليهود اعداء الله تعالى كانت تقول ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة فأعيي واستلقى واستراح يوم السبت والسبت عندهم يوم الراحة فاكذبهم الله تعالى بهذه الاية واللغوب في اللغة هو التعب وسبحان الله ان يوصف بتعب ونصب وقوله تعالى فاصبر اي اصبر يا محمد على ما يقولون من اذى وتكذيب وقوله تعالى وسبح اي وصل بامر ربك واحمده قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال ابن عباس وقتادة اراد به صلوة الفجر وصلوة العصر وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية ثم قال ان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وكان الحسن رضي الله عنه يقول ان هذه الاية تنتظم الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس صلوة الفجر وقبل الغروب صلوة الظهر والعصر ومن الليل فسبحه صلوة المغرب والعشا وسميت الصلوة تسبيحا لما فيها من التسبيح بسبحان ربي العظيم وسبحان ربي الاعلى ولانها تشتمل على قراءة القرآن واذكار هي تنزيه لله تعالى واما قوله تعالى وادبار السجود فقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال الركعتان عند المغرب وعن جعفر بن محمد الوتر ويقال اراد به التسبيح في اواخر الصلوات كما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قيل له يا رسول الله ذهب اهل الاموال بالدرجات والنعيم المقيم قال كيف ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال فقال الا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون به من بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون الله تعالى في دبر كل صلوة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا وفي رواية ابي ذر رضي الله عنه تسبحون الله تعالى في دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وتحمدون ثلثا وثلثين وتكبرون اربعا وثلثين وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر صلوته عند انصرافه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام الى اخر السورة والادبار بفتح الهمزة جمع الدبر والادبار بكسرها مصدر ادبر يدبر ادبارا وهو في هذا الموضع مصدر كما يقال اتيته انفتاح النهار وانتصاف النهار

قوله عز وجل

واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد الاستماع طلب الصوت بالاصغاء اليه والمعنى واستمع يوم ينادي المنادي فكان قد يوم النداء هو يوم صيحة اسرافيل عليه السلام وهو يوم النفخة الاخيرة يقوم فيه على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور للبعث والصخرة اقرب مكان من الارض الى السماء ويقال [illegible] الارض ميلا اريد بالمكان القريب ان كل احد يسمع تلك الصيحة فيسمعها كانها بجنبه وجعل النافخ مناديا بهم في سعة اللغة وفي الحديث انه ينادي يا اهل القبور ايتها العظام البالية والعروق المتقطعة والشعور المتمزقة اخرجن اخرجن لفصل القضاء فكل يخرجون ويمشون على وجه الارض بالبعث الذي هو الحق والصيحة في اللغة هي المرة من الصوت الشديد الهائل ويوم الخروج من اسماء يوم القيمة يخرجون فيه من القبور الى ارض المحشر وقوله تعالى انا نحن نحيي ونميت اي نحيي الاموات ونميت الاحياء والينا المرجع في الاخرة للجزاء يوم تشقق الارض اي تتصدع الارض عنهم فيخرجون مسارعين ذلك الحشر حشر علينا هين سهل والحشر الجمع بالسوق من كل جهة والسرعة تقديم العمل في اول الوقت والعجلة تقديم العمل قبل وقته وقوله نحن اعلم بما يقولون معناه نحن اعلم بقولهم في

تكذيبك في امر البعث وغير ذلك وما انت عليهم بمسلط تجبرهم على الايمان يقال جبرته واجبرته بمعنى واحد وهذا كان قبل امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ويقال في معنى الاية لست ممن يجبر عليهم ولا انت بحفيظ في دعايهم الى الاسلام وقوله تعالى فذكر بالقرآن معناه عظ به من يخاف وعيد وانما خص الخائفين بالوعظ لانهم هم الذين ينتفعون بذلك كما قال في قوله تعالى هدى للمتقين مع كون القرآن هدى للعالمين وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة ق هون الله تعالى عليه سكرات الموت

سورة والذاريات مكية وعددها ستون اية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون **روي** عن علي كرم الله وجهه انه خطب ذات يوم فقال يا ايها الناس سلوني قبل ان لا تسألوني فوالله لا تسألوني عن شيء من القرآن الا وساخبركم فيمن نزل فقام رجل فقال يا امير المؤمنين ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فما الحاملات وقرا قال السحاب قال فما الجاريات يسرا قال السفن قال فما المقسمات امرا قال الملئكة قال فما السواد الذي في القمر قال وذلك بقول الله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وانما سميت الرياح ذاريات لانها تذرو الاشياء فتفرقها في الهوا على وجه الارض يقال ذرت الريح التراب تذروه فهي ذارية اذا طيرته وسمي السحاب الحاملات وقرا لانها تحمل ما المطر فيصير كالموقر به والوقر بكسر الواو الحمل والوقر بفتح الواو الثقل في الاذن وسميت السفن الجاريات يسرا لانها تجري مع عظمها على وجه الماء بالسهولة وسميت الملئكة المقسمات امرا لانهم يقسمون ما وكلوا به من الارزاق والامور على الوجه الذي امرهم الله تعالى وجواب القسم انما توعدون لصادق اي ما توعدون من الثواب والعقاب لصدق وكائن ويقال في معناه لوعد ووعيد صادق وان الدين يعني الجزاء لواقع يوم القيمة والمقسمات على هذا القول جمع المقسمة [illegible] في هذا [illegible] والنظير هذا فالمدبرات امرا وكذلك فالملقيات ذكرا وفائدة القسم بهذه الاشياء التنبيه على عظم مواقع النعم [illegible] ولتتدبروا احوالها في هبوب الرياح تارة وسكونها اخرى [illegible] في وقت الحاجة تنشية السحاب وتدبير الطعام [illegible] وكل شيء سواها وكذلك في الحاملات وقرا [illegible] حملها الماء ومسكها بغير عماد [illegible] العباد واحيي البلاد ولو لم يرسله لاضر بالناس جميعا ولو اقامه لاهلك جميعا وكذلك في الجاريات يسرا من الايات ما فيه من مصالح العباد ولو زاد الريح لغرق اهلها ولو وقفت لهلكوا وكذلك في المقسمات امرا لطائف صنع الله تعالى فانهم يدفعون الافات عن الناس ويدعون الى الهدى ويكتبون حسنات المحسنين وسيئات المسيئين ويدعون للمؤمنين ويلعنون الكفرة [illegible] هذه الاشياء [illegible] مع ان من عادة العرب انهم يقسمون بكل ما يستعظمونه من عمر الانسان [illegible] والقمر والنجوم والجبال والانهار ونحو ذلك وذهب بعض المفسرين الى ان كل ما ذكره الله تعالى من القسم في اول هذه السورة من صفات الرياح فالحاملات هي الرياح تحمل السحاب فتنتشر كما قال

تعالى وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اشباه
بلد ميت والجاريات هي الرياح لانها هي التي تجري بنفسها ثم تسير السفن وكذلك المقسمات
فانها تجد السحاب الى موضع المطر وترده عن موضع باذن الله تعالى فهن مما يقسم الله
تعالى بها ارزاق العباد قالوا والدليل على هذا القول ان الله تعالى فرق هذه الاشياء بعضها
على بعض بحرف الفاء ولو كان الثاني غير الاول لعطفه على الاول بواو العطف وذهب
بعض الناس الى ان المقسمات هي الكواكب السبعة ضمنت احكام العالم وهن اللواتي قال الله
تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس واما قوله تعالى والسماء ذات الحبك فهو قسم آخر
والحبك هي طرائق السماء التي ترى فيها كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل
اذا اسفته الريح وحبك الشعر الجعد وحبك الدرع الحديد وحبك الثوب الحسن النسج
والمحبوك في اللغة ما اجيد عمله وواحد الحبك حباك مثل مثال ومثل ويجوز ان يكون الواحد حبيكة
مثل طريقة وطرق وقيل اراد بالحبك طرائق المجرة وقال مجاهد معناه ذات الخلق المتقن
المحكم البنيان وقال الحسن حبكها زينتها بالنجوم وجواب هذا القسم قوله تعالى انكم
لفي قول مختلف معناه انكم في الحق لفي قول مختلف من بين مصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم
ومكذب به ومتوقف في امره يصرف عن الحق من صرف عنه في علم الله تعالى وهذا لا يقتضي ان
له صارفا يصرفه عن الحق بل اذا انصرف بنفسه جاز ان يقال صرف وهذا كالرجل يحدث غيره
فلا يتبع ذلك الرجل الى حديثه فيقول الذي يحدثه اين يذهب بك وليس هناك انسان يذهب به
وهذا كما قال الله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومعلوم ان اموال الانسان
لا تلهيه عن ذكر الله تعالى بسبب المال ويجوز ان يكون معنى الآية انه يصرف عن الحق من يدعو
الى الضلال لانه ليس في الآية بيان الصارف فيضاف ذلك الى من يجوز ان يوصف بهذه الصفة
وقوله تعالى قتل الخراصون معناه لعن الكذابون وقد يطلق لفظ القتل بمعنى اللعنة
كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره اي لعن وكذلك قال الله تعالى فقتل كيف قدر معناه
لعن لانه تعالى في آخره ثم نظر والمقتول لا ينظر واما الخراصون فهم الكذابون الذين يقطعون
الامر من غير علم ومنه خارص النخل لانه يقطع في الحكم بقدار بالتخمين وقوله تعالى الذين
هم في غمرة ساهون نعتهم والغمرة هي الجهل ومنه الغمر وهو الذي غمره الجهل ويقال
غمره الماء اذا علاه فلم يظهر منه شيء والساهي هو الغافل عن امر الآخرة وقوله تعالى يسألون
ايان معناه يسألون متى يكون الجزاء على وجه الانكار فاجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي هو
نازل بهم فقيل يقع الجزاء يوم هم على النار يفتنون ومعنى يفتنون يحرقون يقال فتنت الذهب اذا
احرقت الغش الذي فيه ويقال للحجارة السود التي هي كأنها احرقت بالنار الفتين والكفار
غشكلهم يحرقون ويقال لهم ذوقوا عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في دار الدنيا
بقولكم اسقط علينا كسفا من السماء وبقولكم ائتنا بعذاب الله **قوله عز وجل** ان المتقين
في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم في الآية بيان مستقر المؤمنين في اليوم
الذي يعذب فيه الخراصون وقوله تعالى آخذين معناه قابلين ما اعطاهم ربهم من كرامته
في الجنة ويقال في معناه عاملين بما امرهم ربهم في الدنيا والاول اقرب فان قوله تعالى انهم
كانوا في معنى لانهم كانوا قبل ذلك في الدنيا فاعلين للاحسان وفي قوله كانوا قليلا من
بيان احسانهم الذي كانوا يعملونه ومعناه كانوا قليلا من الليل ما ينامون فيه بل كانوا يصلون الا

قليلا كما روي عن الحسن رضي الله عنه انه قال كانوا يمدون الصلوة الى السحر ثم ياخذون
في الاستغفار وقد اخذ بعض الشعراء هذا المعنى اذا ما الليل اقبل كابدوه ويسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا واهل اللهو في الدنيا هجوع وعن جعفر بن محمد انه قال من لم يهجع
بين المغرب والعشاء فهو منهم وعن انس انه قال كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء وعن قتادة
انه قال لا ينامون عن العتمة ينتظرونها لوقتها كانه عد هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلوة وظاهر
الآية يدل على فضيلة الليل بعد ان كانت فرضا في سورة المزمل ثم نسخ الله تعالى فرضها بما انزل الله في
آخر تلك السورة وبقيت فضيلتها كما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي صلوة الليل افضل قال نصف الليل وقليل فاعله وروي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله تعالى فيها بخير الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك
في كل ليلة واما قوله وفي اموالهم فقد روي عن ابن عباس ان المراد به الزكوة قال وليس عليه
حق سواها والسائل هو الذي لا يحرم نفسه بترك السؤال والمحروم الذي يحرم نفسه بترك سؤاله
ويحرمه الناس بترك اعطائه ويقال ان المحروم هو الممنوع الرزق بذهاب ماله او سقوط سهمه في
الغنيمة او جائحة ضيعته اذا صار فقيرا بشيء من هذه الجهات ويقال انه الذي يجتهد فلا يجد اكثر من
قوته ولا يفطن به فيتصدق عليه وعن ابن عباس والشعبي والحسن ومجاهد انهم قالوا في المال حق
واجب سوى الزكوة وهي الحقوق التي يلزم عندما يفترض من الاحوال من النفقة على الوالدين
اذا كانا مفتقرين والنفقة على ذي الرحم المحرم وما يجب من طعام المضطر وحمل المنقطع
ونحو ذلك وبهذا القول ناخذ وعليه العمل وفي الآية ندب الى ان يجعل صاحب المال في ضيع الصدقة
والمحارف الذي لا كسب له دون الذي يسأل الناس **قوله عز وجل** وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون آيات الارض جبالها وانهارها ومعادنها واختلاف نباتها ووقوفها
لتصرف الخلق عليها مع تناهيها من غير عمد كل ذلك دلائل توحيد الله تعالى لمن ايقن والآيات في
النفس ما يحدث فيها من زيادة وكبر وصغر وقوة بعد ضعف واشتباه وتلون في العقول والاخلاق
والالسنة والصور فيها لا يأكل الرجل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين وقوله افلا
تبصرون معناه افلا تنظرون بقلوبكم نظر من كان يريد الحق بعينه وقوله تعالى وفي السماء رزقكم
المراد به المطر الذي هو سبب النبات والثمار وهو ما قسمه الله تعالى للعباد وكتبه في السماء الرابعة وقيل ان
المراد به ما كتب من الثواب والعقاب وقوله تعالى فورب السماء والارض اقسم الله تعالى بنفسه
ان الذي بينه من امر الرزق وغيره لحق كما ان نطقكم الذي هو الصدق الذي هو سبب التوحيد بحق
حق ويقال في معنى هذا انه كقول الناس بعضهم لبعض ان الذي اخبرك به حق مثل انك ها هنا
وكما انك ها هنا وفي قوله تعالى مثل ما انكم قراءتان منهم من قرأ مثل بالرفع فهو صفة الحق ومن
قرأ بالنصب فعلى ضربين احدهما ان يكون في موضع رفع الا انه لما اضيف الى التوح فتح والثاني
يكون منصوبا على التوكيد على معنى انه لحق حقا مثل ما نطقكم **قوله عز وجل** هل
اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم معناه قد اتاك يا محمد صلى الله عليه وسلم خبر اضياف ابراهيم عليه السلام
الذي اكرمهم بتعجيل قراهم وقيامه بين ايديهم اذ دخلوا عليه وهم جبريل ومن معه من الملائكة
عليهم السلام سموا اضيافا لانهم جاؤوا مجيء الاضياف وان لم يأكلوا من طعامه وقوله تعالى

فقالوا سلاما معناه سلموا عليه سلاما قال عليكم سلام ويجوز ان يكون المعنى
قالوا اسلم سلاما كانهم امنوه من الوجل فقال سلام منكم اي امنت مما جاءني من السلام وقوله
تعالى قوم منكرون معناه انه لم يعرفهم ولم يعرف السلام بارض نفسه لانه راى منهم
شيئا انكره وقوله تعالى فراغ الى اهله معناه عدل اليهم من حيث لم يعلم اضيافه لانه لا يحب
عدل وهو من الروغان فجاء بعجل سمين معناه جاءهم بعجل سمين كثير اللحم موضعه بين ايديهم قال
قتادة وكانت عامة ماله البقر فلما راى ايديهم لا تصل اليه قال الا تاكلون من طعامي فاضمر في
نفسه خيفة منهم حين لم ياكلوا من طعامه ظن انهم يريدون به سوءا وجاءهم لكثرة اعدائه فلما
علموا خوفه قالوا لا تخف يا ابرهيم انا رسل ربك وبشروه من الله بغلام حليم في صغره عليم في كبره
وهو اسحق عليه السلام وفي بعض التفاسير ان الملائكة لما علموا خوف ابرهيم عليه السلام دعوا الله
عز وجل فاحيى الله تعالى العجل فعلم ابرهيم عليه السلام فذهب عنه الروع وجاءته البشرى فاخبر
امراته بما بشروه فاخذت في الصيحة كما قال الله عز وجل فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها
وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم كان اقبالها في الصرة اخذها فيه
ويجوز انها اقبلت من مكان الى مكان والصرة ماخوذة من الصر وهو الصوت كانها جاءت
بشدة صياح فلطمت وجهها ويقال ضربت جبهتها على وجه التعجب دون التكذيب وهي تقول
االد عجوز عاقر وكانت يوم البشرى بنت تسع وتسعين سنة وكان ابرهيم عليه السلام اكبر
منها بسنة واحدة وقوله تعالى قالوا كذلك معناه قالوا كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين
غلاما عليما انه هو الحكيم يحكم بالولد من العقيم وغير العقيم العليم بمصالح العباد والعقيم في
النساء هي التي لا تاتي بالولد وفي الرياح التي لا تاتي بالمطر ولا يكون منها الخير ويقال الملك عقيم
لانه يقطع الولادة فان الولد يقتل اباه على الملك والصك في اللغة هو الضرب باعتماد شديد ويقال
ان الصرة هي جماعة النساء ماخوذة من الصرة التي هي مجمع الدراهم ومنه الشاة المصراة قوله
عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم
حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم معناه قال لهم ابرهيم عليه
السلام ما شانكم وفيما ارسلتم قالوا انا ارسلنا الى قوم كفرة لنهلكهم بكفرهم وعملهم الخبيث
ارادوا بذلك قوم لوط عليه السلام والخطب في اللغة هو الامر الجليل كانه قال لهم قد جئتم بامر جليل
فما هو ومنه الخطبة وهي الكلام البليغ لاجل امر جليل يستفتح بالتحميد والارسال هو الاطلاق
بالامر في المصير الى ذلك على جهة الامتثال وقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين اريد به الحجارة
كالاجر والمسومة هي المعلمة روي انها كانت مخططة بسواد في حمرة وروي انه كان على كل
حجر اسم من جعل اهلاكه به ويقال كانت معلمة بعلامة عرفت الملائكة انها حجارة العذاب والتسويم
هو العلامة والمسرف من صفات الذم بما في الاسراف من الخروج عن الحق وقوله تعالى فاخرجنا من
كان فيها من المؤمنين اراد به لوطا عليه السلام وابنتيه زعورا وريثا امرهم الله تعالى
بالخروج منها في قطع من الليل كيلا يصيبهم العذاب وقوله تعالى فما وجدنا فيها معناه لم
يكن فيها من المؤمنين الا اهل بيت واحد قال قتادة لو كان فيها اكثر من بيت لانجاهم الله تعالى
ليعلموا ان الايمان محفوظ لا يضاع على اهله عند الله تعالى وفي الاية دليل على ان المراد بالاسلام ههنا
الايمان فان الذين انجاهم الله تعالى هم الذين كانوا على الصفتين والاسلام عمل الفرايض مع
التسليم فيه لامر الله تعالى وقوله تعالى وتركنا فيها اي ابقينا في هلاكهم ما يدل على دلالة فيها عظة

للخايفين كي لا يفعل احد مثل فعل اولئك القوم فان اقتلاع البلدان لا يقدر عليه احد الا
الله تعالى قوله عز وجل وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه
وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم معناه وفي خبر موسى
عليه السلام وقصته مع فرعون اية والسلطان المبين هو الحجة الظاهرة اليد والعصا
وقوله تعالى فتولى بركنه اي اعرض فرعون عن الايمان بما كان يتقوى به من جنده وملكه
ونسب موسى عليه السلام الى السحر والجنون مع ظهور حجته عليه والساحر الذي يوهم الشيء على
خلاف ما هو به والمختلط في عقله وقوله تعالى فاخذناه اي عاقبناه وجموعه فطرحناهم
في البحر واغرقناهم وهو مستوجب الملامة قوله عز وجل وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم معناه وفي خبر قوم هود ايضا اية حين
اطلقنا عليهم الريح الدبور كما روي في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور وسميت هذه الريح عقيما لانها عقمت عن ان تاتي بخير من انشاء سحاب او تلقيح
شجر او تذرية طعام او نفع حيوان كالمراة الممنوعة من الولادة وقوله تعالى ما تذر من
شيء اتت عليه معناه ما تترك من شيء مرت عليه من انفسهم وانعامهم واموالهم الا جعلته كالعظم
الرميم البالي المتفتت ويقال الرميم هو الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم الذي يصير كالهباء باسرها
يجري عليه وفي الحديث ان تلك الريح كانت تتبع مسافريهم وما شذ من متاعهم بنجد فتلقيه في وادي
صنعا ولم تصعد بها ليبين منهم قوله عز وجل وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن
امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين وقوم
نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين معناه وفي قوم صالح وهلاكهم ايضا اية اذ قيل لهم
تمتعوا ان اطعتم الله تعالى الى اجالكم فاعرضوا عن قبول امر ربهم فاخذتهم العذاب المحرق
وهم ينظرون الى انفسهم والى قومهم يحترقون في العذاب هكذا روي عن الحسن والتمتع التلذذ
باسباب اللذة من المناظر الحسنة والروايح الطيبة والاصوات المفرحة وذهب بعض المفسرين الى انهم
قيل لهم تمتعوا حتى حين بعد ان عقروا الناقة قالوا والمراد بالحين ههنا ثلثة ايام كما قال تعالى
في موضع اخر تمتعوا في داركم ثلثة ايام وقوله فما استطاعوا من قيام معناه ما قدروا ان
يقوموا من مقامهم حين غشيهم العذاب فيدفعوه ويقال لما استطاعوا من مقاومة له وثبات وما
كانوا طالبين ناصرا لهم يمنعهم من عذاب الله تعالى وفي قوله تعالى وقوم نوح قراتان من
قرا وقوم بالخفض فالمعنى وفي خبر قوم نوح وهلاكهم بالطوفان ايضا اية انهم كانوا قوما
خارجين عن طاعة الله تعالى الى الكفر ومن قرا وقوم بالنصب فعلى معنى واهلكنا قوم نوح
من قبل عاد وثمود ويقال ان هذا راجع الى قوله تعالى فنبذناهم في اليم كانه قال واغرقنا
فرعون وجنوده واغرقنا قوم نوح من قبل وفي هذه الايات بيان قلة اهل الايمان في كل
لاعراض الناس عن الواجب واشتغالهم عن النظر المؤدي الى تمييز الحق من الباطل وفيها بيان
ان الذي سلك طريقهم اوشك ان يحيق به العذاب الذي اخذهم كما اخذهم فلم يبق منهم باقية
في الدنيا فضلا عن عقوبة الاخرة قوله عز وجل والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض
فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله
اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين وجه اتصال هذه
الايات بما قبلها ان في قوم نوح اية وفي بناء السماء اية وابنائنا ليف الاعلى على الادنى كما يبنى الفرع
على الاصل والابدا للفوق وقوله تعالى وانا لموسعون معناه انا لموسعون السماء على الارض

في كل الجهات اي نحن نقدر على اكثر من ذلك ولم يكن هذا جهد قوتنا وايساع الرحمة
هو الاكثار منها بما يعم وقد اوسع الله تعالى السماء بالابناء وعن الحسن انه قال في معنى هذه
الاية وانا لموسعون الرزق على من فوقها وتحتها وقوله تعالى والارض فرشناها اي بسطناها
على وجه الماء فنعم الفارشون لكم الله تعالى والماهد في اللغة هو الموطئ للشيء المهيئ لما
يصلح للاستقرار عليه على الانتفاع به وقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين قيل في
معناه ومن كل شيء من الحيوان خلقنا ذكرا وانثى وقيل ان المراد بالزوجين صنفان ولونان
من حلو وحامض وابيض واحمر لكي يعتبروا او يتعظوا بذلك ثم ليس مع الله تعالى آخر غيره وقوله
تعالى ففروا الى الله معناه فاهربوا من عقابه الى رحمته بالاخلاص في طاعته وترك ما يشغلكم
عن اوامره اني لكم من الله تعالى رسول مخوف اخوفكم عذابه بلغة تعرفونها اذا انتم الفرار
من الله تعالى الى الله تعالى وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر اي لا تصفوه بالشريك
والولد تعالى عن ذلك اني لكم من الله رسول مخوف اخوفكم لتمتنعوا ان تجعلوا مع الله الها آخر

قوله عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين

معناه كما نسبك قومك الى السحر مرة والى الجنون مرة هكذا ما اتى الذين من قبلهم
من قبل قومك الامم الخالية من رسول دعاهم الى الله تعالى الا قالوا لذلك الرسول هو ساحر
يوهم الشيء على خلاف ما هو به او مجنون غطي على عقله يقول الله عز وجل اتواصوا به معناه
اتواصوا بهذا القول فتوافقوا عليه واوصى كل قوم من بعدهم ان يقولوا مثل هذا لرسولهم
وهذا على لفظ الاستفهام ومعناه الانكار اي لم يتفقوا هذا القول منهم للرسل بالتواصي ولكن
اتفق ذلك منهم كما يتفق بالتواصي لطغيانهم وغلوهم في معصية الله تعالى وشدة محافظتهم
على ذلك كانهم لجهلهم تواصوا بهذا القول فتول عنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم فلست عندنا
بملوم لانك قد ابلغت واعذرت وذكر اي عظ بالقرآن فان العظة بالقرآن والتذكير
بايام الله تعالى تنفع المؤمنين وتزيدهم صلاحا وعن الحسن انه قال كان عند النبي صلى
الله عليه وسلم رجل يجعل يعرض عليه الاسلام ويقول الرجل والله اني لكاره لما تدعوني اليه
فقال صلى الله عليه وسلم اما اني بعثني الله تعالى بالرسالة فضقت بها ذرعا وعلمت ان الناس
يكذبوني لكن وعدني الله فيها لابلغن او ليعذبني وانزل الله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته الى اخر الاية قال الحسن فبلغ والله رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى عذره الله تعالى

قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون

روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في اول هذه الايات انه خاص لاهل
طاعة الله تعالى لانه تعالى يقول ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وفي قراءة ابن عباس
وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقال مقاتل في معنى هذه الاية ما خلقتهم
لمنفعة ولا لدفع مضرة ولا لانس بهم ولا من وحشة ولا لاستكثر بهم من قلة لم اخلقهم الا
لآمرهم بعبادتي وانهاهم عن معصيتي قال ولو انهم خلقوا للعبادة لما عصوا ربهم طرفة عين
ومعنى هذا الكلام انه سبحانه لم يخلقهم للعبادة خلق جبلة واجبار كما خلقهم عليه من الصور والهيآت
ولكن خلقهم خلق تكليف واختيار كما خلقهم عليه من عوارض الحركات من سداده ووفقه اقام

العباده

العبادة التي خلقوا لها ومن تركه وخذله اضاع العبادة التي خلق لها ويقال في
معنى الاية ما خلقتهم الا ليعبدون على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة ويقال ان
العبادة هاهنا المعرفة وقد خلقوا وفيهم المعرفة باستحقاق خالقهم العبادة عليهم فان كل
مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى ما اريد منهم من رزق معناه لم اكلفهم ان يرزقوا
انفسهم ولا احدا من خلقي ولم اكلفهم ان يرزقوني ولا ان يعينوني على اعطاء الرزق لعبادي
ومعنى ذو القوة المتين ذو الاقتدارات الشديدة وقوله تعالى المتين يقرا بالرفع والخفض
من قراه بالرفع فهو نعت ذو وهو الله سبحانه ومن قراه بالخفض فهو نعت القوة ولم يقل المتينة
لان القوة مصدر قوي يقوى قوة ونظير هذا قوله تعالى ذو العرش المجيد من قرا المجيد بالخفض
فهو نعت العرش ومن قراه بالرفع فهو نعت الله تعالى والمتين في اللغة من صفات المبالغة في القدرة
وقوله تعالى فان للذين ظلموا ذنوبا فيه بيان ان لكل ظالم من الله نصيبا مثل نصيب
الظالم الذي كان قبله وسيصيبه اذا جاء اجله فلا يغترن بتاخره عنه واصل الذنوب الدلو
المملوة ماء ويقال للدلو ذنوب لانها في طرف الحبل كالذنب وكانها الظرف
المستعملة هو الذنوب قال الراجز

لنا ذنوب ولكم ذنوب ۞ فان ابيتم فلنا القليب ۞ وقال اخر
لعمرك والمنايا غالبات ۞ لكل بني اب منها ذنوب ۞

واما اليوم الذي يوعدون فهو يوم القيمة وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الذاريات اعطاه الله تعالى بكل ريح هبت وجرت في الدنيا عشر
حسنات ۞

سورة الطور مكية

وهي سبع واربعون اية عند الحجازيين وثمان
عند البصريين وتسع عند الكوفيين ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ۞ روي عن ابن عباس انه قال ان الطور هو الجبل الذي كلم
الله تعالى عليه موسى عليه السلام وهو بمدين واسمه زبير قال وكل جبل هو طور بالسريانية
وقال ابو عبيدة الطور الجبل بالعربية وهذا اولى لان الله تعالى يقول ورفعنا فوقكم
الطور وقال في اية اخرى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة فاجرى احد الاسمين مجرى الاخر
واما الكتاب المسطور فهو ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ المتضمن لكل الامور والمسطور
ما ثبت حروفه من جهة الطول سطرا بعد سطر والرق من الرق والمراد به على هذا القول اللوح
تنشره الملائكة للدراسة وليعلموا ما فيه ويقال المراد بالكتاب المسطور صحائف اعمال بني
آدم يبشرونهم يوم القيمة فمعطى واحد كتابه بيمينه وواحد كتابه بشماله ويقال ان الكتاب
المسطور هو القرآن يكتب في جلد رقيق مهيا للكتابة على وجه البسط فاذا كتبت الحكمة على هذا
الوجه كان احسن وابهى وقال ابو عبيدة الرق الورق واما البيت المعمور فالمشهور
انه بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة معمور بجنس الشاذروان يا ان الملائكة حرمته في السماء كحرمة
الكعبة في الارض ما بينه وبين الكعبة الى تخوم الارض السابعة حرم يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يعودون اليه ابدا ويقال ان البيت المعمور هو الكعبة معمورة بزيارة الناس
اياها واما السقف المرفوع فهو السماء المرفوع في جهة العلو كما قال تعالى وجعلنا السماء سقفا
محفوظا واما البحر المسجور فهو المملو بالنار الموقدة كما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه انه بحر جار من نار ينفخ يوم القيمة في جهنم وفي بعض الروايات عنه انه بحر فوق السماء السابعة

تحت عرش الرحمن يسمى الحيوان يحيي الله تعالى به الخلائق يوم البعث والمسجور في اللغة هو ان يملأ الشيء يقال سجرت التنور اذا ملأته نارا وعين سجراء اذا كانت ممتلئة حمرة ولما ذكر الله تعالى هذه الاشياء على وجه القسم بها لما فيها من الدلالات الواضحة على وحدانية الله تعالى وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع اي انه واقع باهله ما له من دافع يدفع عنهم من جهنم ولا شفيع وفائدة هذا القسم ان يتحقق عند العباد ان العذاب واقع لا محالة باهل العذاب قال الحسن رضي الله عنه ان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا الا به **قوله عز وجل** يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ٥ في هذه الآية بيان ان اليوم الذي يقع فيه العذاب والمور في اللغة تردد الشيء في الجهات المختلفة فالسماء تدور وتتردد في ذلك اليوم كالشيء كالدخان ويقال انها تدور باهلها كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم في بعض من الهول وتسير الجبال عن وجه الارض كما تسير السحاب في الدنيا فتستوي بالارض والويل كلمة يستعمل عند الوقوع في الهلاك والخوض في الاصل هو الدخول في الماء بالقدم ثم استعمل ذلك في الدخول في الامر بالقول فيه واشتغال الكفار بما كانوا فيه من التكذيب لعب عما تقتضيه العذاب والدع هو الدفع في شدة وعنف تدفعهم الملائكة فتلقيهم في النار على وجه الاستخفاف ويقولون لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا ويقولون لهم افسحر هذا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتنسبون الانبياء صلوات الله عليهم الى ذلك ام قد غطي على ابصاركم وهذا على وجه التوبيخ والمعنى اتصدقون الآن ان عذاب الله تعالى واقع ويقال لهم اصلوها اي الزموها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم الجزع والصبر لا خلاص لكم وما تجزون الا جزاء اعمالكم ثم بين الله تعالى مستقر المؤمنين فقال عز وجل ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ٥ الفاكه صاحب الفاكهة كما يقال لابن اي ذو لبن وتامر اي ذو تمر والفكه المسرور باحواله كسرور آكل الفاكهة بفاكهته وقوله تعالى هنيئا منصوب لانه صفة في معنى المصدر كانه قال هنئتم هنيئا وهو ان يكون خالصا عن جميع الآفات واسباب التنغيص وقوله تعالى متكئين اي جالسين جلسة الملوك على سرر قد صف بعضها الى بعض والصف مد الاشياء على الولاء في جهة واحدة والحور البيض النقية البياض من الحسن والكمال والعين الواسعة العين في الصفاقة ٥ **قوله عز وجل** والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ٥ اختلف في اول هذه الآيات قال بعضهم اراد بالذرية الاولاد الصغار يلحقون في الآخرة بآبائهم المؤمنين من اجل ايمان الآباء من غير ان ينقص شيء من ثواب الآباء وقال بعضهم اراد بالذرية الاولاد الكبار من اولاد المؤمنين اذا كانت درجة الآباء ارفع رفع الله تعالى الابناء الى درجة آبائهم وان قصرت اعمالهم تكرمة لآبائهم ولتقر عيونهم ولم ينقص الآباء من عملهم وهذا القول اقرب الى ظاهر الآية لانه في قوله تعالى واتبعناهم ذريتهم اثبات فعل من الذرية ويقرأ واتبعناهم ذرياتهم

الحاق الثاني بالاول في المعنى الذي عليه الاول وقوله تعالى كل امرئ بما كسب رهين انه عام في المؤمنين والكافرين والمعنى كل واحد يحصل على جزاء ما عمل من خير او شر وقيل ان المراد بهذا اهل النار لان المرهون يحتاج الى الفكاك واهل الجنة لا يحتاجون الى ذلك كما قال الله تعالى في آية اخرى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وقوله تعالى وامددناهم بفاكهة معناه نزيدهم في كل وقت من الوان الفواكه ومن كل لحم مما يشتهون من الانعام والطيور والمطبوخ والمشوي يتعاطون في الجنة آنية مملوءة من الخمر هذا من يد ذاك وذاك من يد هذا ولا يكون الكأس في اللغة الا اذا كان مملوءا فاذا كان فارغا فليس بكأس وفي قوله تعالى لا لغو فيها ولا تأثيم بيان ان خمر الجنة لا تذهب بعقولهم فيلغوا ويأثم بعضهم بعضا كما يكون في خمر الدنيا من الاباطيل بين اهلها والتنازع في الآية ليس هو الا التجاذب على وجه الطرب دون الشغب والغلمان هم الوصفاء يطوفون على اهل الجنة في الخدمة بالفاكهة والاشربة كانهم في الصفاء والبياض وحسن المنظر لؤلؤ مصون عن جميع ما يفسدهم من الريح والشمس وغير ذلك **قوله عز وجل** واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ٥ معناه واقبل بعضهم في الزيارة على بعض يتحدثون في الجنة التي كانت في الدنيا وعن قرنائهم الذين سيقوا اصحابهم الى النار وقوله تعالى انا كنا قبل معناه انهم يقولون انا كنا من قبل ان ندخل الجنة خائفين في الدنيا من الفتنة واهوالها ومن النار وعذابها بمعصية وقعت منا او تقصير وقع في طاعتنا فمن الله علينا بالمغفرة وقبول التوبة والطاعة ودفع عنا عذاب سموم جهنم لانا كنا من قبل ندعوه اي نوحده ونعبده في دار الدنيا انه هو اللطيف بعباده الرحيم بهم والسموم في اللغة هو الريح الحارة التي يدخل في مسام الانسان فتقتله وقوله تعالى فذكر معناه فعظ قومك ولا تترك وعظهم بنسبتهم اياك الى الكهانة والجنون فلست بحمد الله تعالى كما يقولون والكاهن في اللغة هو الذي يوهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن فيروج على العوام بما يلقي من الزخارف اياه خدمتهم المال والمجنون ... بما يقتضي عقله ... من جهة انهم لم يفرقوا بين ... الذي لا عقل له ... صلى الله عليه وسلم بين الصفتين المتضادتين **قوله عز وجل** ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ٥ معناه بل يقولون شاعر ننتظر به حوادث المنون فنستريح منه هكذا روي عن ابن عباس ومجاهد ريب المنون حوادث الدهر وفي اللغة المنة الحبل اذا قطعته ... والموت ينقطع الاجل فيسمى الموت المنون والدهر ينقص فيسمى المنون قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها ... تطلق يوما او يموت حليلها

واراد بهذا الموت وحوادث الدهر وقوله تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين جواب لهم اي قل لهم انتظروا بي الدوائر فاني من المنتظرين بكم فاهلك الله تعالى القوم الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا القول قبل ان يقبض النبي صلى الله عليه وسلم وكان منهم ابو جهل وكانوا يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر كما انهم علموا انه ليس بمجنون لان

القرآن لا يناسب الشعر ولكن القوم كانوا يكذبون عليه كما ان السفهاء يستزيحون
بالتكذيب على من خالفهم وقوله تعالى أم تأمرهم احلامهم بهذا انكار عليهم لان الحلم لا يأمر
بترك الحق وقوله تعالى أم هم قوم طاغون على وجه الاعجاب والمعنى بل هم قوم طاغون لانهم
كانوا يعدون الصغر وكانوا يزعمون ان احدا لا يوازيهم في عقولهم واحلامهم فقيل على وجه
التعجب أتأمرهم احلامهم بهذا بفعلوه مع فساده ام طغيانهم وافراطهم في الكفر فعلوا
ذلك والاحلام ولا تامر ولكن المراد حسن الشيء في الاحلام وقوله تعالى أم يقولون تقوله
فيه تعجيب من قولهم ان محمدا تقوله بل ليس كما يقولون فليأتوا بحديث مثله في فصاحته ان
كانوا صادقين في مقالتهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم تخلقه من عند نفسه والا فليعلموا فساد
قولهم فان قال قائل ما المثل الذي وقع التحدي به قلنا مثله في اعلا طبقات البلاغة من الكلام
الذي ليس بشعر واعلا طبقات البلاغة كلام يجمع تعديل الحروف في المخارج والمحاسن وتهذيب
البيان بالايجاز في موضع الايجاز والاطناب في موضع الاطناب والاستعارة في موضعها فالحقيقة
في موضعها ترغيبا فيما ينبغي ان يرغب فيه وترهيبا فيما ينبغي ان يرهب منه وموعظة تلين القلب
للعمل بالحق وحجة تبين الحق من الباطل مع ما في القرآن من الخبر عما كان والاخبار عما
سيكون فوقع التحدي بذلك حالا بعد حال الى ان انكشف عجزهم عن مثله **قوله عز وجل**
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ۝ معناه
أخلقوا من غير رب فيكون بغير من ذات انفسهم أم هم الخالقون فلا يشاؤون عن اعمالهم أم
خلقوا السموات والارض فليس عليهم امر ولا نهي بل لا يوقنون بالحق ولا يتفكرون في الدلائل
الموصلة الى العلم بوحدانية الله تعالى وفي خلقه اياهم وخلقه السموات والارض وفي هذا تعجيب
من قولهم بجحد الاعادة بعد الموت ويقال في معنى أم خلقوا من غير شيء أخلقوا لغير شيء كما قال في موضع
آخر أفحسبتم انما خلقناكم عبثا **قوله عز وجل** أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون
أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم
تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون ۝ الخزائن المقدورات سميت
خزائن تشبيها بالخزائن التي يخرج الرجل منها ما شاء والمسيطر الذي يجري التسلط على غيره بما يلزمه
اياه قهرا وهو مفيعل من السيطر والمعنى اعندهم خزائن ربك فقد امنوا ان يجيء الامر على خلاف
ما يحبون أم هم المسيطرون على الناس فليس عليهم مسيطر لا هم مقهورون ولا مملوكون وعن ابن عبيدة
ان المسيطر هو المتسلط يقال تسيطر ويتسيطر اذا تسلط على الناس ويقرأ المصيطرون بالصاد
والاصل هو السين الا ان كل سين بعدها طاء يجوز ان تقلب صادا وفي هذه الآية تنبيه على
عجزهم وتبيين لسوء طريقتهم وقوله تعالى أم لهم سلم يستمعون فيه معناه ألهم سلم يشتدون الى السماء
فيه فيتلقون الوحي ويعلمون وحي الله تعالى الى ملائكته وما تحدث الملائكة بعضهم بعضا من حكم الله وقضائه
وذلك انهم كانوا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم فيما يعدهم ويوعدهم وقوله تعالى فليأت
مستمعهم معناه ان كان لهم مستمع استمع الى ذلك فليأت على ذلك بحجة ظاهرة وفي قوله تعالى أم له
البنات ولكم البنون تسفيه لاحلامهم ومبالغة في تجهيلهم حيث يضيفون البنات الى الله تعالى بقولهم
الملائكة بنات الله تعالى ويضيفون البنين الى انفسهم ويتجاسرون على الله اتخاذ الولد لم يكن ليختار
البنات على البنين وقوله تعالى أم تسألهم أجرا معناه أتسألهم يا محمد صلى الله عليه وسلم على ما تدعوهم
اليه من الاسلام جعلا فيثقل عليهم الاستماع الى كلامك بسبب ذلك الغرم وفي قوله تعالى
أم عندهم الغيب جواب لقولهم ان كان امر الآخرة حقا فلنا الجنة كما في قوله تعالى ولئن رجعت

الى ربي ان لي عنده للحسنى **قوله عز وجل** أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم
المكيدون أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون ۝ معناه بل يريدون كيدا في امرك
في دار الندوة فالذين كفروا هم المجازون على كيدهم فقتلهم الله تعالى يوم بدر والكيد
من الله تعالى هو التدبير الذي يدبره ولا يبادر على عدائه ليقهرهم ويستعلوا عليهم بالقتل
والاسترقاق والاسر وقوله تعالى أم لهم اله غير الله معناه ألهم اله غير الله يخلق ويرزق
ويفعل ما يعجز عنه المخلوقون فيعبدونه مع الله تعالى ويقال في معناه ألهم اله سوى الله يمنعهم
من مكر الله وعذابه تنزيها لله تعالى عن ان يكون له شريك وولد وأم في هذه السورة في
خمسة عشر موضعا عشرة منها ليست الا على وجه الانكار وفي الخمسة ما يحتمل الانكار ويحتمل
غيره **قوله عز وجل** وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم
ينصرون ۝ معناه ان هؤلاء لا يؤمنون حتى لو رأوا قطعا من العذاب ساقطا عليهم
لطغيانهم وعتوهم يقولون غيم يتسحب من السماء تراكم بعضه على بعض فلبسوا على انفسهم
بغاية جهلهم ما يشاهدون فاتركهم حتى يعاينوا يومهم الذي فيه يهلكون والصعق الهلاك بما
يصدع القلب ويقال ان المراد بالصعق في هذه الآية اليوم الذي فيه النفخة الاولى
قوله عز وجل وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر
لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم
معناه وان هؤلاء الكفار عذابا دون عذاب الآخرة قيل ان المراد به ما اصابهم
يوم بدر وقيل انه عذاب القبر ولكن اكثرهم لا يعلمون ما وراءهم ولا يعلمون ما ينبغي لهم
ان يعلموه وقوله تعالى واصبر لحكم ربك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول اصبر على تبليغ
الوحي والرسالة الى ان يقضي لك ربك في القوم فانك بأعيننا اي بحيث نراك ونحفظك ونرعاك
وانهم لا يصلون الى مكروهك وهذا على وجه الاستعارة لان الانسان انما يعلم الشيء
ويحفظه في الشاهد اذا كان بمرأى منه وقوله تعالى وسبح بحمد ربك اي نزهه عن القبائح واحمده
على النعم وقوله تعالى حين تقوم قيل المراد به القيام من النوم كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا انتبه قال الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور وعن الربيع بن
انس ان المراد به القيام الى الصلوة وهو ما يقال بعد تكبيرة الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك
ويقال المراد به صلاة الفجر ... وقال ابو الاحوص المراد به التسبيح عند القيام
من كل مجلس كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كفارات المجالس
ان يقول العبد سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب
اليك فان كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه وان كان مجلس لغو كان كفارة
له ... ان يكون لفظ الابتداء ... وفي جميع ... وهذه الثلاث والاثان
الاقرب الى الظاهر صلاة ... ومن الليل فسبحه والمراد به صلاة
المغرب والعشاء ... وادبار النجوم ... والمراد بالتسبيح فيه الركعتين قبل صلوة
الفجر كما روي ... ادبار النجوم الركعتان بعد المغرب وادبار
النجوم الركعتان قبل الفجر وعن ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر
خير من الدنيا وما فيها ... عن النبي صلى الله عليه وسلم ... الفجر ...
... بعض اهل العلم الى ان ركعتي الفجر آكد من سائر السنن

حتى يتم من بقوته ذلك بقضائه اذا ارتفعت الشمس بخلاف سائر السنين اذا فاتت عن محلها
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الطور
كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته ٥ سورة النجم مكية في قول
الاكثرين الا قتادة وروي عن ابن عباس انه قال انها مكية الا الآيات التي نزلت في عثمان رضي الله عنه
وعبد الله بن ابي سرح فانها نزلت بالمدينة وعن الحسن رضي الله عنه كلها مدنية واما عدد آي
السورة فستون وآيتان عند الكوفيين واحد عند غيرهم ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد
القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ٥ اختلفوا في
القسم الذي في اول هذه السورة قال بعضهم وهو الاظهر ان النجم اسم جنس اريد به النجوم كلها
اذا هوت للافول وفائدة القسم بها انما فيها من دلالة وحدانية الله لانه لا يملك طلوعها وغروبها
الا الله تعالى فاقسم بها وجواب القسم ما ضل صاحبكم اي ما ضل عن الصواب فيما
يؤديه عن الله تعالى وما خاب في طلبته بذلك عن رضي الله تعالى وعن الحسن انه قال في النجوم
اذا انتثرت يوم القيامة كما في قوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وعن مجاهد هي الثريا اذا غابت
فان العرب تطلق ذكر النجم وتريد به الثريا وعن ابن عباس انه قال وذلك ان الكفار بمكة
قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه فاقسم الله تعالى بالقرآن [illegible]
نجما بعد نجم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ينطق بهذا عن هوى انما هو وحي اوحى الله اليه قال وهذه اول
سورة اعلنها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما بلغ الى آخرها سجد وسجد من حضره من الجن والانس
واما قوله تعالى علمه شديد القوى فالمراد به جبريل عليه السلام وهو شديد القوة في الخلقة وفي
القوى قوى الجبل والطاقة [illegible] ما هو فيه مرفوع
ومخصوص والمرة [illegible] احكام فتله وذلك يتضمن جميع القوى ويكون
احدى القوتين اخبارا عن قوته في جسمه والاخرى اخبارا عن قوته في امر الله تعالى ومن قوة جبريل
عليه السلام انه ادخل جناحه تحت قريات قوم لوط عليه السلام فقلعها من الماء الاسود ورفعها
الى السماء ثم قلبها فانقلبت فهوى من السماء الى الارض ويجوز ان يكون معنى ذو مرة [illegible]
الخلقة [illegible] وقوله تعالى فاستوى معناه انتصب واقفا على صورة الملكية
التي خلقه الله تعالى عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم منتصبا في السماء بعد ان كان [illegible]
في افق المشرق [illegible] وفي الحديث انه طوق الافق [illegible] ستمائة جناح
بها الوان الزهر يتناثر منه الدر وذلك قوله تعالى وهو بالافق الاعلى ويقال في معنى هذه
الآية فاستوى جبريل عليه السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالافق الاعلى الا ان اهل
اللغة لا يجيزون مثل هذا في الكلام ويستقبحون استويت وزيد الا ان يكون استويت انا
وزيد وقوله تعالى ثم دنا فتدلى معناه نزل جبريل عليه السلام بعد استوائه فدنا الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وتدلى اليه بان نكس راسه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم متدليا كما رآه منتصبا
ومرتفعا حتى صار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم قدر قاب قوسين من قسي العرب او اقرب
في رأي العين ودخول او ها هنا لمعنى كيفية المشاهدة في حق الرائي لا لحقيقة الامر في نفسه كما
قيل في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واما تخصيص القوس في الآية فلان مقدارها
في الاغلب واحد لا يتفاوت بزيادة ونقصان ويقال ان المراد بالقوس ها هنا الذراع ويسمى الذراع

قوسا

قوسا لانه تقاس به الاشياء والتدلي في اللغة هو الامتداد الى جهة السفل ومنه تدلى
العذق ومنه ادلاء الدلو وهو ادساها في البئر ومن الدليل على ان المراد بشديد القوى جبريل
عليه السلام قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين الى ان قال
ولقد رآه بالافق المبين وهو مطلع الشمس وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى معناه فاوحى
جبريل عليه السلام الى عبد الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم ما امر الله تعالى ان يوحيه اليه
ويجوز ان يكون معناه فاوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما اوحى وذلك لان
ذكر الله تعالى وهو رب النجم قد تقدم وكذا جبريل عليه السلام قد تقدم وقوله تعالى ما
كذب الفؤاد ما رأى معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ببصره من صورة جبريل
عليه السلام ومن عجائب السموات بل قبل القلب ذلك وايقن انه رآه حقا كما هو لم يشك
فيه ولا انكره ولم يعتقد عن تخيل ولا اخبر عن توهم وكذب الفؤاد اذا ما اراد الذي يرى شيئا
وهو لا يراه كمن رأى السراب فظنه ماء ولا ماء في الحقيقة او رأى الماء فظنه سرابا ولا سراب
ومن قرأ ما كذب بتشديد الذال من كذّب فالمعنى لم يجعل الفؤاد رؤية العين كذبا
وقوله تعالى افتمارونه على ما يرى من قرأ افتمرونه بغير الالف فمعناه افتجحدونه من المرية ومن
قرأه بالالف فمعناه افتجادلونه وتجاوزون تكذيبه على ما يرى من آيات الله تعالى من المماراة
وهي المجادلة قوله عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها
جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه
الكبرى ٥ في هذه الآيات اوضح دلالة على عروج النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء وصعوده
الى الجنة لان فيها بيانا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام مرة اخرى عند سدرة
المنتهى عندها جنة المأوى اي رآه مرة اخرى نزلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته
التي لها ست مائة جناح كالمرة الاولى وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
دحية بن خليفة الكلبي ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم في صورته التي خلقه الله تعالى عليها اكثر من
مرتين هكذا روي عن ابن مسعود وعائشة ومجاهد والسدرة هي شجرة النبق وهي ها هنا
شجرة في السماء السابعة قيل انها شجرة طوبى اوراقها كآذان الفيلة وثمارها كقلال هجر
وهي تحمل لاهل الجنة الحلي والحلل وجميع انواع الثمار وسميت المنتهى لانه ينتهي اليها كل
ملك مقرب ونبي مرسل عليهم السلام لا يعلم احد ما وراءها الا الله سبحانه ويقال انما سميت
المنتهى لانها ينتهي اليها كل من كان على سنة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عندها جنة المأوى
معناه عند السدرة الجنة التي يأوي اليها ارواح الشهداء والصالحين اذ يغشى السدرة من
النور والبهاء والحسن والصفاء ما ليس لوصفه منتهى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما
يغشى السدرة فقال يغشاها جراد من ذهب وروي فراش من ذهب وعن ابن عباس انه قال
يغشاها ملائكة ما من ورقة ولا ثمرة الا وعندها ملك يسبح الله تعالى وذهب بعضهم الى ان
جبريل عليه السلام في صورته في كلتا المرتين في السماء في المرة الاولى حين صعد به الى السماء
السابعة وارتفع فوقها وخرج من ضوء السموات قال وذلك قوله تعالى وهو بالافق الاعلى قال
ثم ارتفع محمد صلى الله عليه وسلم حتى صار الى المكان الذي قدره الله تعالى له فاوحى الله تعالى
اليه ما اراد ثم رجع من ذلك المكان حتى بلغ سدرة المنتهى هابطا فرأى جبريل عليه السلام عند
سدرة المنتهى مرة اخرى وذلك قوله ولقد رآه نزلة اخرى واما قوله تعالى ما زاغ البصر وما
طغى فمعناه ما مال بصر محمد صلى الله عليه وسلم عن امر السموات وما جاوز الحد الذي حد له لقد رأى

من عجائب ربه تعالى العجيبة العظمى وهي جبرئيل عليه السلام على صورته ويجوز ان يكون
المراد بالكبرى الايات العظمى من ساير الملائكة وعجايب السموات وعن ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم راى رفرفا اخضر من رفارف الجنة قد سد الافق فالاية محمولة على هذا
وامثاله وكل ما راى النبي صلى الله عليه وسلم من ايات الله تعالى فهو كبير وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه مرتين وفي بعض الروايات
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك فقال لم اره بعيني ولكن رايته بفؤادي مرتين
والرؤية بالفؤاد معناها العلم بتجديد ايات راها النبي صلى الله عليه وسلم وذهب بعض
المفسرين الى ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين كما روي عن كعب الاحبار رضي الله عنه
انه قال ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام
فراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين وكلم الله موسى عليه السلام مرتين فعلى هذا يجوز قوله تعالى
علمه شديد القوى على ان شديد القوى هو الله تعالى وهو اقوى الاقوياء وهو الذي علم القران
كما قال الرحمن علم القران قالوا وقوله تعالى ذو مرة اي ذو مضي على امره وقوله تعالى فاستوى
اي استوى بامره وقوته وقدرته في ملكوت السموات والارض وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى
حين بدا به النبي صلى الله عليه وسلم رفع الى السماء السابعة وقوله تعالى ثم دنى فتدلى اي دنى محمد
صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل فزاد في القرب بان بعد الدنو القرب هاهنا قرب الكرامة
لا قرب المكان وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى لا يستقيم على هذا القول الا عند
المشبهة الذين يحملونه على انه كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين العرش قاب قوسين وهذا
قول مردود وكما روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا ام
المؤمنين هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت قف شعري مما قلت من زعم ان محمدا راى
ربه عز وجل فقد اعظم الفرية على الله تعالى قالت وانا اول من سال عن هذه الاية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هو جبرئيل عليه السلام وقالت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك
ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد كذب قال الله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وقال عز من قائل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقرات الى
خاتمة السورة ومن حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما ارسل به فقد كذب
قال الله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وكان
الحسن رضي الله عنه يذهب الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عرج به وجبرئيل الى السماء وجسده في
الارض وهذا القول ايضا يخالف لظاهر القرآن والصحيح ما تقدم ذكره قوله عز وجل
**افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة
ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ه معناه اخبرونا عن الهتكم هذه التي تعبدون
من دون الله تعالى هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء واللات
صنم كانت ثقيف فكانوا يعبدونه وكان رجل من التجار ينتابها ويلت السويق بالزيت عندها
فيبيعه ويطعم الناس فسمي الحجر باسم ذلك الرجل هذا اذا قرئ اللات بتشديد التاء واذا قرئ
بتخفيف التاء فهو اسم وضعوه لذلك الحجر قيل انهم ارادوا ان يسموه الله فجرى على السنتهم
اللات واما العزى فهي شجرة كانت لغطفان يعبدونها الى ان بعث اليها النبي صلى الله عليه وسلم

خالد بن الوليد

خالد بن الوليد فقطعها وجعل يقول يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
وفي بعض الروايات انه لما قطعها خرجت منها امراة تجر شعرها بالارض فقتلها خالد بالفاس
فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى فقتلتها فلا تعبد العزى ابدا واما مناة
فهي صخرة كانت لهذيل وخزاعة يعبدونها من دون الله ويقال انهم كانوا يريدون ان تسمى
العزى العزيز ومناة المنان فجرى على لسانهم العزى ومناة واما قوله تعالى الكم الذكر
وله الانثى فهو انكار عليهم في انهم كانوا يزعمون ان هذه الاشياء بنات الله تعالى كما
كانوا يسمون الملائكة بنات الله تعالى فقيل لهم كيف جعلتم هذه الاسماء المؤنثة اولاد
الله تعالى وانتم لا ترضون لانفسكم البنات وتكرهونها ونظيره قوله تعالى فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون وقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون واما قوله تعالى تلك
اذا قسمة ضيزى فمعناه انها قسمة جائرة غير عادلة يقال ضازه يضيزه اذا نقصه حقه واصل
ضيزى ضوزى لانه صفة والصفات تجري على فعلى بالضم مثل حبلى وانثى وعلى فعلى بالفتح
مثل غضبى وسكرى ولا يجيء بالكسر الا في الاسماء مثل الذكرى والشعرى فكرهوا ضمة
الضاد كراهية انقلاب الياء واوا وهو من بنات الياء فكسرت هذه العلة كما قالوا في جمع
ابيض بيض والاصل بيض مثل حمر وسود فكسرت الباء لتسلم الياء على حالها ويجوز ضوزى
من ضاز يضوز مثل شورى ومن قال ضاءزه يضاءزه بالهمز قال ضؤزى اذا بناه على فعلى
وقوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها معناه ما هذه اللات والعزى ومنات الا اسماء
سميتموها انتم واباؤكم الذين مضوا قبلكم لا معاني تحتها ما انزل الله بها من سلطان وبرهان
ان يتبعون الا الظن وهوى الانفس في تسميتهم الهتهم هذه بنات الله تعالى ولقد جاءهم من ربهم
الكتاب والرسول فيفعلون هذا بعد ان جاءهم الهدى وذلك ابلغ في الذم قوله
عز وجل **ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا
تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى** ه معناه اللانسان ما تمنى
على الله تعالى يعبد الاصنام ويتمنى على الله الجنة ويعتقد ان للاصنام شفاعة عند الله
تعالى ليس الامر كذلك لان لله تعالى الاخرة والاولى لا يعطي احدا شيئا بالتمني وانما
يعطي بالحكمة او على سبيل الاستحقاق ويزيد من فضله من يشاء وكم من ملك مقرب في
السموات لا تغني شفاعتهم احدا شيئا الا من بعد ان ياذن الله تعالى لهم في الشفاعة ويرضى
بشفاعتهم ويقال ويرضى عن المشفوع له في هذا كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى
وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فاذا كان الملائكة مع كونهم من المقربين هذه
طريقتهم في الشفاعة انها لا تقف على اختيارهم فكيف يطمع الكفار في شفاعة اصنام هي جمادات
لا تضر ولا تنفع ولا خطر لها عند الله تعالى ه قوله عز وجل **ان الذين لا يؤمنون
بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان
الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك
مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى** ه في الاية
بيان ان العبادة بالظن لا تدفع من عذاب الله شيئا ويجوز ان يكون معناه ان الظن لا يغني
من العلم وذلك انه لا بد من العلم حتى يعمل عليه وقوله تعالى فاعرض عن من تولى امر للنبي
صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن من اعرض عن القرآن ولم يرد بعمله الا الحيوة الدنيا فيجزيها
وهذا كقوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم وفي قوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم بيان

لا خطر لاصنام ولا قدر

الفاس

ان غاية علمهم وعقلهم ان اثروا الدنيا على الاخرة لان علمهم انتهى الى نفع الدنيا دون نفع
الاخرة وهو صغير حقير في جنب نفع الاخرة فطلبوا هذا وتركوا ذاك لجهلهم وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم يجري مجرى التعليل للاعراض عنهم فان الله تعالى اعلم بالضال والمهتدي
لجازي كل عامل ما عمله **قوله عز وجل** ولله ما في السموات وما في الارض
ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ۝ معناه ان الله
تعالى خلق السموات والارض وخلق ما فيهما وبين لهم الخير والشر لامتحان فذو لكن
ليجزي الذين اساءوا بما عملوا بالنار ويجزي الذين احسنوا بالجنة ثم نعت المحسنين فقال
عز من قائل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وهذا استثناء منقطع لان اللمم
ليس من الكبائر والفواحش روي عن ابن عباس انه قال ما رايت شيئا اشبه باللمم
مما قاله ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب على كل نفس خطيئة
من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الشفتين
التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق
ذلك كله او يكذبه قال ابن مسعود رضي الله عنه فان تقدم فهو زنا والا فهو لمم
كما في قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا وفي هذا دليل
ان هذه الاشياء اذا وجدت على التعمد لم تكن من اللمم ولكن اللمم ما يكون من
الفلتات النادرة التي لا يملكها ابن آدم من نفسه لان الامة اجمعت على ان متعمد النظر
الى ما لا يحل فاسق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه واياك وان
تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك ولو علم ان اللمس والنظر على وجه التعمد من
الصغائر لكان ذلك اغراء للمكلف اذا لم يخف فيه العقاب واما من عد الكبائر فانما
عدها لبيان ان المعدود من الكبائر فاما ان يقطع على ان ما عداها صغائر فلا واللمم
في اللغة هو مقاربة الشيء من غير دخول فيه يقال الم بالشيء يلم الماما اذا قاربه وعن هذا قال
ان اللمم صغائر الذنوب الا انه ليس للصغائر حد يمكن الوقوف عليها وعن ابي صالح انه قال
سئلت عن قوله تعالى الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت
ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم وعن الحسن انه قال في اللمة بالزنا ثم
لا يعود وهذا من طريق اللغة ماخوذ من الالمام الذي هو الوقوع في الشيء في الحين بعد
الحين كما يقال الم طيف والم خيال فاذا اقام عليه فهو مصر واذا تركه فهو تائب
وعن زيد بن اسلم انه قال اللمم ما اهل الجاهلية كما قال الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا
ما قد سلف وعلى هذا اتاه ولما قاله الحسن لانه تعالى ذكر الاجتناب في اول الاية ثم قال
الا اللمم والاجتناب والالمام متضادان ولا يكون اللمم على هذا القول الا اذا وقع
منه قبل الاجتناب ثم بادر الى التوبة وقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة معناه ان رحمة
ربك تسع جميع الذنوب ولا يضيق عن شيء منها هو اعلم بكم منكم بانفسكم اذ انشاكم
من الارض اي خلق اباكم آدم من التراب وحين ما كنتم صغارا في ارحام امهاتكم علم عند ذلك
ما سيحصل منكم فلا تزكوا انفسكم بما ليس فيها ولا تبرئوها من العيوب التي فيها ويقال في
معناه لا تزكوا انفسكم بما عملتم لا يقولن الرجل عملت كذا وتصدقت بكذا ليكون ابلغ في الخضوع

وابعد من الرياء ويقال معنى الاية النهي عن تزكية الرجل الرجل في وجهه هو اعلم بمن اتقى اي بمن
اطاع الله تعالى بعد السابق فيهم وفي هذا دليل ان احدا منا لا يعلم على القطع انه متق لانه لا
بد من ان يكون خائفا ابدا من التفريط الذي وقع منه والله تعالى هو العالم بحقيقة ذلك وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب
نشا في عبادة الله تعالى ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا
في الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته
امراة ذات حسن وجمال فقال اني اخشى الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا يعلم شماله
ما تنفق يمينه ۝ **قوله عز وجل** افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم
الغيب فهو يرى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى
ربك المنتهى ۝ اختلفوا فيمن نزلت هذه الايات قال بعضهم نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة
اعرض عن التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم واعطى قليلا من الحق بلسانه ثم قطع وقال بعضهم
نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعطون المال في الجهاد نفقة ثم يقطعون ولا يتممون وقال بعضهم
نزلت في عثمان رضي الله عنه قبل ان اسلم وعلى قول من قال ان هذه الايات مدنية نزلت فيه بعد
اسلامه ومعنى التولي على هذا القول اعراضه عن الصدقة وذلك انه كان كثير الصدقة
والنفقة على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه عبد الله بن ابي سرح فقال له اراك
تنفق على هؤلاء مالا كثيرا فاخاف ان تبقى بغير شيء فقال له عثمان ان لي ذنوبا كثيرة واني انفق
منها فانه يكفرها ويرضي ربي فقال له عبد الله اعطني ناقتك واحمل عنك ما يكون عليك
من الذنوب والخطايا في الدنيا والاخرة فاعطاه زمام ناقته ثم امسك عن صدقته ونفقته
وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى فان الحافر للبير اذا بلغ الكدية قطع الحفر ثم
استعمل ذلك اللفظ في غير موضع الحفر وقوله تعالى اعنده علم الغيب معناه اعنده هذا
الانسان الذكر الذي في اللوح المحفوظ فهو يعلم ان الذي صنعه يرفع عنه اثم خطاياه ويجعله
محمولا على غيره ويقال فهو يعلم ان البخل اصلح وابقى لرزقه وقوله تعالى ام لم ينبا معناه ام
لم يخبر بما كان مكتوبا في صحف موسى عليه السلام وابرهيم الذي وفى اي اتم جميع ما
كان عليه كما في قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن ويقال معنى التوفية
انه كان عاهد ان لا يسال الخلق شيئا قط فوفى به ذلك حتى قال له جبريل عليه السلام وقد
القي في النار هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا وعن ابي امامة
الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال اتدرون ما وفى قالوا الله
ورسوله اعلم قال وفى عمل يومه باربع ركعات في اول النهار وفي قوله تعالى الا تزر
وازرة وزر اخرى بيان ما في تلك الصحف ومعنى الا تزر الا تحمل حاملة
حمل اخرى اي لا تعذب نفس بذنب غيرها ولا وزر الشيء ثقله اذا حمله والاوزار
الاحمال وسمي الاثم وزرا لانه يثقل صاحبه كما قال الله تعالى وليحملن اثقالهم
وذلك ان الذي ينقض ظهره ويسمى الوزير وزيرا لانه يحمل عن الملك ثقل تدبيره وقد
كان قوم ابرهيم عليه السلام ياخذون الولي بذنب الولي في الجاهلية الى في قاتل
ذلك ابرهيم عليه السلام بما انزل الله تعالى في صحفه وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما
سعى يعني الا جزاء ما عمل من خير او شر وان عمله سوف يرى في الاخرة في ديوانه وميزانه

ثم يجزاه على عمله الجزاء الاوفر لا ينقص من ثواب عمله شيء وان الى ربك المرجع
الخلائق ومصيرهم في الآخرة ويستدل في هذه الآيات انه ليس للانسان ثواب ما يتطوع
به غيره عنه بغير امره ووصيته ٥ **قوله عز وجل** وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشأة الاخرى وانه
هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم نوح
من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباي آلاء ربك
تتمارى ٥ معطوف على ما تقدم ومعناه وانه هو الذي يفعل ما يوجب الضحك والحزن بما اوجب
البكاء اضحك المؤمن في الآخرة وابكاه في الدنيا واضحك الكافر في الدنيا وابكاه في النار
وقال الحسن معناه هو الذي خلق الانسان على صفة يضحك فيها في حال ويبكي في حال وقوله
تعالى وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيى في العقبى للجزاء ويقال احيى في ارحام
الامهات وامات عند انقضاء الآجال وانه خلق الزوجين اي الصنفين الذكر والانثى والزوج
الواحد الذي له قرين وقوله تعالى من نطفة اذا تمنى معناه من نطفة اذا تقدر ويقال اذا
تقذف في الرحم لتقدير الولد والمني ما يقدر منه الولد ومن قولهم منى يمني فهو مان اذا قدر
ومنه التمني تقدير المعنى للاستمتاع به واما النشأة الاخرى فهي في البعث للجزاء وقوله تعالى
وانه هو اغنى واقنى معناه وانه هو اعطى الكثير واعطى ما يقتنا به ويجعل قنية ويقال
في معنى اقنى افقر واحوج الى طلب القنية وهذا اللفظ من الاضداد ويقال في معنى اغنى
باذراج المال وفروعه واقنى باصوله فالاول مثل الذهب والفضة يتصرف فيهما ويربح
والثاني مثل الضياع والانعام يستبقي صاحبهما اصولهما وينتفع بما يحصل له منهما
يقال قنيت الشيء قنية اذا لزمته وكل ما امسكته فقد اقتنيته واما الشعرى فانه كوكب
وراء الجوزاء كان تعبدها اناس من خزاعة وهي احد كوكبي ذراع الاسد وتسمى العبور
لانها تعبر المجرة فيقطعها عرضا واما الكوكب الاخر فيسمى الغميصاء فاعلم الله في هذه
الآية انه رب الشعرى وخالقها وانه هو المعبود الذي لا معبود معه وقوله تعالى وانه
اهلك عادا الاولى اراد به قوم هود وهم اول عاد كانوا فاهلكوا بالريح واما عاد
الاخرى فاقتتلوا فيما بينهم فتفانوا بالقتل وفي الاولى ثلث لغات اجودها سكون اللام
واثبات الهمزة الاولى وهي الاصل في الكلام والتي تليها في الجودة لولا تطرح الهمزة
وضم اللام كما يقال مررت بلحمر اي بالاحمر وبلسد اي بالاسد واما الثالثة فهي
ادغام التنوين في اللام وقوله تعالى وثمود فما ابقى عطف على عاد وثمود قوم صالح عليه السلام
لم يترك الله تعالى منهم احدا الا واهلكه وقوله تعالى وقوم نوح معناه وانه اهلك قوم
نوح من قبل انهم كانوا اكثر ظلما وطغيانا وذلك ان نوحا عليه السلام لبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما فما امن منهم الا نفر يسير واما المؤتفكة فهي قريات قوم لوط عليه السلام
رفعها جبريل عليه السلام الى السماء الدنيا فاسقطها الى الارض وسميت المؤتفكة من قولهم
افكته فائتفك اي قلبته فانقلب وقوله فغشاها ما غشى اي غشاها من الحجارة التي امطرها عليهم
ومن الخزي والنكال ما غشي وقوله تعالى فباي آلاء ربك تتمارى يقول فباي نعم ربك
ايها الانسان تتشكك وترتاب بحق يكون بهن لذا وتلك الذين اهلكهم الله تعالى فهل بقيت
لك شبهة بعد تلك الاحوال فان قيل ما معنى ذكر النعم ها هنا وقد تقدم ذكر الاهلاك قلنا
ان النعم التي عدت قبل هذه الآية نعم علينا لما نالنا فيها من الحد اخر كيلا يسلك احدنا مسالكهم

قوله عز وجل هذا نذير من النذر الاولى ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة
افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا
معناه هذا القرآن نذير لكم من جملة الكتب التي انزلها الله تعالى قبله ويقال هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم نذير لكم مجراه في الانذار مجرى من تقدمه من الانبياء صلوات الله عليهم
وكان محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى في اللوح المحفوظ وقوله تعالى ازفت
الآزفة معناه دنت الداهية كقوله اقتربت الساعة وقوله تعالى ليس لها من دون الله
كاشفة معناه ليس للقيامة احد سوى الله تعالى يكشف علمها متى يكون وهذا كقوله تعالى لا
يجليها لوقتها الا هو والهاء في الكاشفة للمبالغة وان شئت قلت ليس لها نفس كاشفة
او جماعة كاشفة وان شئت جعلتها مصدرا كالعافية من العافية والمعنى ليس لها من دون الله
تعالى كشف اي ذهاب لا يقدر على ردها احد غير الله تعالى افمن هذا القرآن الذي يتلى
عليكم تعجبون تكذيبا وتضحكون استهزاء ويقال تعجبون من فصاحته وحسنه ثم لا تصدقون به
وتضحكون تكذيبا ولا تبكون مما فيه من الوعيد والزجر والتخويف كما قال تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وقوله تعالى وانتم سامدون اي لاهون غافلون عنه يقال دع عنك سمودك
اي لهوك قال امية الا ايها الانسان انك سامد كانك لا تفنى ولا انت هالك ٥
وعن قتادة رضي الله عنه انه قال سامدون اي منتظرون وهذا كما روي عن علي كرم الله
وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فراى القوم قياما في غير الصلوة ينتظرونه
فقال ما لي اراكم سامدين وعن مجاهد رحمه الله انه قال سامدون اي مبرطمون والبرطمة
ان يبدي الانسان شفته من الغضب وفي لغة اليمن اسمد لنا اي غن لنا وقوله تعالى فاسجدوا
لله اي اخضعوا له بالتوحيد واعبدوه ولا تعبدوا احدا غيره ويجوز ان يكون السجود ها هنا
كناية عن الصلاة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة النجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ومن جحد به صلى الله عليه وسلم

سورة القمر مكية في قول اكثر المفسرين وعن الحسن انها مدنية

وهي خمس وخمسون اية بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر ٥ معناه دنت القيامة وحدث علم من اعلامها وهو انشقاق
القمر وان يروا اية يعني اهل مكة علامة تدلهم على وحدانية الله تعالى ونبوة محمد صلى
الله عليه وسلم يعرضوا اي يجحدوا ويقولوا سحر مستمر اي شديد قوي من المرة وهي القوة
ويقال في معناه سحر مستمر سيذهب ويقال استمر اثره من الارض الى السماء وكذبوا
الرسل صلوات الله عليهم فثبتوا على التكذيب وعملوا بهواء انفسهم في عبادة الاصنام
وكل امر مما اخبر الله تعالى به من الامور الماضية والمنتظرة فهو مستقر ثابت لا يلحقه
الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل ويجوز ان يكون معناه كل عمل من اعمال العباد
مستقر لا محالة عمل اهل الجنة لاهل الجنة وعمل اهل النار لاهل النار وسبب نزول هذه
الآيات ما روي ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وهو في المسجد
الحرام حين قال ابو جهل لعنه الله واللات والعزى لئن اتيت باية كما اتت بها الرسل
قبلك لنؤمنن لك فقال صلى الله عليه وسلم وما ذا عليك لو حلفت بالله العظيم فقال ورب
هذه الكعبة لئن اتيت باية كما اتت بها الرسل قبلك لامنا بك فاشار النبي صلى الله عليه وسلم

الى القمر فانفلق القمر فلقتين حتى راى الجبل بين فلقتي القمر فقال ابو جهل ان محمدا صلى الله
عليه وسلم سحر القمر ثم قال لاصحابه لنبعثن بالرسل الى البلاد فان عاينوا من ذلك ما عاينا
فهو آية والا فهو سحر فبعثوا الرسل الى البلاد فاذا الناس يتحدثون بانشقاق القمر فلما رجعوا
اليهم واخبروهم بذلك قالوا ان هذا الساحر داهية وفي الآية دليل على صحة نبوة النبي صلى الله عليه
وسلم لان الله تعالى لا يقلب العادات بمثله في هذا الباب الا ليكون دلالة على نبوة النبي
صلى الله عليه وسلم فان قال قائل معنى الآية انه سينشق في المستقبل عند قيام الساعة لانه لو
انشق في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما خفي على اهل الآفاق قيل هذا فاسد من وجهين احدهما
انه مخالف لحقيقة اللفظ والثاني ان الخبر فيه متواتر عن الصحابة ولم يرده احد فان انشقاق
القمر روي عن عشرة من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وانس وحذيفة وجبير بن
مطعم وغيرهم واما قوله لو وقع لما خفي على اهل الآفاق فيجوز ان يستره الله تعالى عنهم بغيم او يشغلهم
عن رؤيته ببعض الامور لضرب من التدبير ولانه لا يدعيه بعض المتنبين لنفسه ٥ قوله عز وجل
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع
الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر مهطعين
الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ٥ معناه ولقد جاءهم من اخبار الامم الماضية
قبلهم ما فيه منتهى عما هم فيه من الكفر والفسوق يقال زجرته فانزجر ونهيته فانتهى والاصل
مزتجر بالتاء الا ان التاء مهموسة والدال مجهورة فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال وقوله تعالى
حكمة بالغة بدل من ما والمعنى جاءهم حكمة في نهاية الحسن والصواب فما تغني النذر اى الرسل
صلوات الله عليهم عن قوم لا يتدبرون ولا يتفكرون في الادلة ويجوز ان يكون ما هاهنا على
لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ كانه قال اى شيء يغني النذر عنهم وقوله تعالى فتول عنهم معناه
اعرض عنهم فليس عليك اجبارهم على الدين وانما عليك اقامة الحجة وقد بالغت فيها وقوله تعالى يوم
يدع الداع يجوز ان يكون منصوبا على معنى واذكر ويجوز ان يكون معناه فانهم يوم يدع الداعي
على حذف الفاء من جواب الامر وقيل انه منصوب بقوله من بعد يخرجون من الاجداث والداعي هو
المنادي وهو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور النفخة الثانية وهو قائم على صخرة بيت المقدس
فيدعوهم الى امر فظيع هائل لم يروا مثله قط فينكرونه استعظاما له وذلك قوله تعالى الى
شيء نكر واما حذف الواو من يدع والياء من الداع فلانهما يسقطان في اللفظ لالتقاء الساكنين
في الاولى ودلالة الكسرة على الياء في الثاني واجري في الكتابة على ما يلفظ به واما قوله تعالى خاشعا
ابصارهم فهو نصب على الحال من يخرجون وذلك دليل على تقديم الحال على الاسم ولذلك يقال اكبا
جاز بدو وصف الابصار بالخشوع لان ذلة الذليل وعزة العزيز انما يتبين في نظره ويقرا خشعا
بضم الخاء على الجمع كما يقال مررت بشباب حسن وجوههم وحسنة اوجههم في الساعة
وشباب حسان اوجههم من اياد بن نزار بن معد ٥ وقوله يخرجون من الاجداث اى يخرجون
عند النفخة من القبور فزعين لا يهتدون الى شيء يجول بعضهم في بعض مثل الجراد المنتشر ناظرين مسرعين
مقبلين نحو الداع ويقال مسرعين اليه والاهطاع الاسراع يقول الكافرون يومئذ هذا يوم
هائل صعب شديد لعسره قوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا
عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجري
باعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر

معناه

معناه كذبت قبل قومك قوم نوح عليه السلام نوحا كما كذبك قومك ونسبوه الى
الجنون كما نسبك قومك الى الجنون وزجروه عن دعائه اياهم الى الايمان وقالوا لئن لم
تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا ربه اني مغلوب فيما
بيني وبينهم فانصرني اى فانتقم منهم لدينك وانما دعا عليهم بالهلاك بعدما اذن له في الدعاء
وبعدما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فاجاب الله تعالى دعاءه وفتح
ابواب السماء بماء سائل منصب كثير وذلك معنى المنهمر يقال انهمر الرجل بهم اذا اسرع في
الكلام كانه يندفق منه مع كثرته ويقرا ففتحنا بالتشديد على تكثير الفعل وذكر الابواب
في الآية على معنى ان اجراء الماء من السماء كان بمنزلة اجرائه اذا فتح عنه باب كان مانعا
له وذلك من صنع الله تعالى الذي لا يقدر عليه سواه وهو على طريق البلاغة وقوله تعالى
وفجرنا الارض عيونا اى شققنا الارض عيونا والتفجير التشقيق ومنه انفجار العرق والنهار
فالتقى الماء اى التقى ماء السماء وماء الارض على امر قد قضي في اللوح
المحفوظ وهو هلاك القوم ويقال في معنى قد قدر ان الماءين كانا على حكمة في اخراج
الماءين الماء ابعد من خراب الارض لانه لو لم يكن الا الماء المرسل من السماء لخربت
الارض في ساعة واحدة وقوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودسر معناه حملنا نوحا عليه
السلام ومن آمن به على سفينة ذات الواح ومسامير جمع دسار والدسار ماخوذ من الدسر
وكل شيء ادخل في شيء بشدة وقوة فهو الدسر والدسر كالمسمر يقال دسرت المسمار
ادسره وادسره دسرا ويقال اراد بالدسر الشرط التي تشد بها الالواح وهي الحبال وعن
الحسن انه قال الدسر صدر السفينة تدسر الماء اي تدفع وقوله تعالى تجري باعيننا اى بحفظنا
ومرأى منا حتى لا يبلغ في السفينة الماء المنزل من السماء ولا الماء المخرج من الارض وحتى لا يبلغ السفينة
في البحار والاودية فتنكسر وتغرق وذكر الاعين هاهنا على وجه الاستعارة لان الانسان
انما يحفظ الشيء في المشاهد اذا كان بمرأى منه ومن ذلك يقال عين الله عليك ويجوز ان يكون معنى الآية
باعين اوليائنا الموكلين بها من الملائكة ويقال باعين الماء التي انبعناها وقوله تعالى جزاء
لمن كان كفر اى فعلنا ذلك بنوح عليه السلام على ما كفر قومه وجحد وقوله تعالى
ولقد تركناها آية اى تركنا هذه الفعلة ويقال السفينة التي يصنعها الناس على مثال سفينة نوح
عليه السلام علامة للناس ليعتبروا ويستدلوا على توحيد الله تعالى فهل من متعظ معتبر
ومتذكر متفكر فانظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان عاقبة الذين كذبوا وكيف كان من عذابي فلم
يؤمنوا وكيف كان حال صلوات الله عليهم وذلك معنى قوله فكيف كان عذابي
ونذر ويجوز ان يكون انذاره هاهنا بمعنى الانذار مثل النكر والانكار قوله
عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز
نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ٥ معناه ولقد سهلنا القرآن للحفظ والقراءة والكتابة
ويقال للعظة ولولا ان الله تعالى سهل ذلك علينا لما استطاع احد ان يلفظ به وكيف يسهله
الله تعالى على نظم يسهل حفظه ودرسه وتفهم معانيه ويقال في معنى هذه الآية ان كتب سائر
اهل الاديان انما تتلى نظرا ولا يكادون يحفظون كتبهم من ظهر قلب كما يحفظ
القرآن وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا معناه سلطنا على قوم هود عليه السلام
ريحا باردة شديدة البرد في يوم مشوم عليهم دائم الشوم وروي انه كان ذلك اليوم الاربعاء

الذي في آخر الشهر لانه ورد ويقال في معنى المستمر استمر بهم العذاب الى نار جهنم وقوله
تعالى تنزع الناس معناه تقتلع الناس ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم ويقطع اعناقهم
فيبقى اجسادهم كانها اسافل نخل منقطع من اصولها فشبههم باصول النخل التي لا اغصان
لها والنخل يذكر ويؤنث يقال هذا النخل وهذه نخل والمنقعر ماخوذ من قعر الشي وهو قراره المستقل
منه ويقال في معنى تنزع انهم ضربوا بارجلهم في الارض فغيبوها الى قريب من ركبهم وقالوا اقل
للريح حتى تزيلنا فجعلت الريح تدخل تحت اقدامهم وترفع كل اثنين وتضرب احدهما على الاخر
في الهواء ثم تلقيهما في الوادي والباقون ينظرون اليهم حتى لم يبق منهم كلهم ثم رمت بالتراب
عليهم وكان يسمع انينهم من تحت التراب فان قيل لم كرر فكيف كان عذابي ونذر قيل لانه
لما ذكر في كل فصل نوعا من الانذار والعذاب انعقد التذكير بشي منه على التفصيل

قوله عز وجل ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ٥

معناه ان ثمودا قوم صالح عليه السلام كذبوا به وبمن قبله من الرسل عليهم السلام
وتعلقوا بشبهتهم الضعيفة الخسيسة التي كذبوا به لاجلها وهي قولهم لم خص هو بالوحي
من بيننا وهو بشر مثلنا وجوابه ان الرسل عليهم السلام لم يبعث الا من البشر للانذار وان
الله تعالى اعلم بمصالح عباده ومن يصلح للقيام برسالته من خلقه ومعرفته بنيته وسلامة
ظاهره وباطنه ممن لا يصلح لذلك وقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر معناه قالوا ان
اتبعناه فنحن حينئذ في ذهاب عن الصواب وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كان بها جنون
من النشاط وهو من تسعر النار اذا التهبت ويقال اراد بالسعر التعب والعنا كعذاب السعير
وقوله تعالى بل هو كذاب اشر اي قالوا لم ينزل عليه شيء وانما يكذب على الله تعالى ويطلب
التجبر وعظم الشان فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله تعالى سيعلمون غدا اي اذا لحقنا جزاء
الصدق بالصادق وجزاء الكذب بالكاذب وجزاء التغطرس بالمتغطرس وجزاء المتواضع بالمتواضع
وسيعلمون عند ذلك من الكذاب الاشر انا مخرجوا الناقة من الصخرة تشديدا عليهم في
التكليف فانتظر امرهم واصطبر على اذاهم ومعنى التشديد هاهنا انهم نهوا عن ان ينالوها
بسوء مع تضييق الشرب عليهم بان لها شرب يوم ولهم شرب يوم اخر وذلك قوله تعالى ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم اي اخبرهم ان الماء مقسوم بين الناقة وولدها وبينهم وبين مواشيهم
كل شرب محتضر يحضر القوم يومهم يوما ويحضر الناقة وولدها يوما والشرب النصيب من
الماء والشرب بالضم فعل الشارب ويستدل من هذه الاية على جواز المهاياة بالماء والمهاياة
قسمة المنافع واما قوله تعالى فنادوا صاحبهم معناه انهم لما مكثوا على ذلك زمانا ثم ضاق
الامر عليهم وعلى مواشيهم بسبب تلك الناقة غلب عليهم الشقاء فتواطا نفر منهم على قتلها
فنادوا صاحبهم الذي يكمن لها وذلك ان رجلا منهم يقال له مصدع بن دهر رماها بسهم
فنظمها على ساقها فنادى قدار بن سالف وقالوا له دونك الناقة فقد رميت بك فاضربها فتعاطى
قدار عقر الناقة فعقرها بان ضرب على ساقها الاخرى فسقطت لجنبها ثم وجؤها بالسيف في لبتها
حتى فرغوا منها ثم اقتسموا لحمها فاخبر صالح عليه السلام بذلك فاتاهم فقال يا قوم اني ارسلت

اليكم

اليكم ولم آلكم نصيحة فلم تقبلوا وساءلتموني ناقة فاخرجتها لكم من الصخرة ولم يكن عليكم من مؤنتها
شيء انما كانت تاكل من ارض الله فعقرتموها فابشروا بالعذاب فقالوا له استهزاء ائتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين ثم انهم خافوا العذاب على انفسهم فدخلوا البيوت واغلقوا على انفسهم الابواب
فاسمعهم الله تعالى صيحة واحدة فهلكوا وصاروا كالورق المتهشم الذي يجمعه صاحب الحظيرة
وقد يبلغ الغاية في الجفاف حتى يبلغ الى ان يوقد ٥ **قوله عز وجل** ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر ٥

اراد بالحاصب السحابة التي امطرت
عليهم الحجر يقال ريح حاصب اذا جاءت بالحصباء وقوله تعالى الا آل لوط اراد به ابنتيه زعورا
وزيتا وامراته المؤمنة نجاهم الله تعالى من العذاب بان امرهم بالخروج في وقت السحر فكانت
نجاتهم نعمة من الله تعالى عليهم وكذلك يجزي الله تعالى كل من عرف الله تعالى وقابله بالشكر
وقوله تعالى ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر معناه خوفهم لوط عليه السلام عذابنا
فشكوا في الانذار ودفعوا بالحجاج الباطل وبالجدال في امر الرسل الذين جاءوا لنصرته
واهلاك قومه وقوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم معناه انهم ارادوا
اضيافه وهم الملائكة فقصدوا منهم لعملهم الخبيث فامر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يصفق
بجناحه صفقة فاعماهم فبقوا حيارى فقيل لهم ذوقوا عذابي ونذر يقال فلان مطموس البصر
اذا كان موضع عينيه املس لا اثر فيه للعين من الجفن والحدقة وقوله تعالى ولقد صبحهم بكرة
معناه اخذهم العذاب غداة الصبح عذاب دائم متصل وقوله تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر
قيل ان المراد بالنذر موسى وهارون عليهما السلام واسم الجمع يطلق على الاثنين وقيل اراد به
الايات التي جاء بها [illegible] اخذ عزيز مقتدر العزيز الغالب الذي لا يلحقه ضعف ولا عجز
ولا يعجزه منع ولا دفع والمقتدر القادر على كل شيء ٥ **قوله عز وجل** أكفاركم خير من
أولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ٥

معناه اكفاركم يا اهل مكة خير من اولئكم الذين قصصنا عليكم
[illegible]

خلقناه فتقديره مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه ونصب كل بفعل مضمر كأنه قال انا
خلقنا كل شيء خلقناه بقدر ويقال في معنى هذه الآية انا كل شيء من انواع العذاب
خلقناه على قدر الاستحقاق لا يزاد في عذاب احد على مقدار استحقاقه وقوله تعالى وما امرنا
الا واحدة معناه ما امرنا بقيام الساعة وغير ذلك الا كلمة واحدة لا تثنى كطرف البصر بل هو
اسرع وذلك انه تعالى لا يحدث شيئا من الاشياء بمعاناة ولا علاج ولا آلات ولا اسباب كما يكون
في افعال العباد وانما امره مرة واحدة وارادة واحدة بمنزلة كن فيكون ونظير هذه الآية قوله
تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ٥ قوله عز وجل ولقد اهلكنا
اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ٥ معناه ولقد اهلكنا اهل دينكم
واتباعكم فهل من متعظ يتعظ بهم وكل شيء فعلوه وقالوه فهو مكتوب في اللوح المحفوظ قبل
ان يفعلوه وكل صغير وكبير من الذنوب يفعله هؤلاء وغيرهم فهو مكتوب بكتبة الملائكة
في ديوانهم يجزيهم الله تعالى على افعالهم ثم بين الله تعالى حال اهل الجنة وثوابهم فقال
ان المتقين في جنات ونهر معناه الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش في بساتين وانهار
جارية في موضع قرار وامن من وقوع الحوادث التي تبعدهم من رحمة الله تعالى عند ملك
قادر على الثواب والعقاب وهو الله عز وجل يقال فلان عندي بمحل رفيع اي في علو ومن
ذلك ما وصف الله تعالى الملائكة بانهم عند ربهم وبانهم المقربون ويجوز ان يكون معنى النهر
الضياء والسعة والنور وهو من النهار ومن ذلك انهرت الطعنة اذا وسعتها وقد يذكر
الواحد ويراد به الجمع كما يقال في تفاحة وخوخة ونحو ذلك وعن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة القمر بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل
القمر ليلة البدر ٥

سورة الرحمن مكية في قول اكثر المفسرين

وقال الحسن رضي الله عنه مدنية وما عدد اياتها ست وسبعون عند البصريين
وسبع عند الحجازيين وثمان عند الكوفيين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم
والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان روي عن ابن عباس انه قال وذلك انه لما نزل قوله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال كفار مكة ابو جهل واصحابه ما نعرف الرحمن الا
مسيلمة الكذاب الذي يكون باليمامة فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن وفي الآية جواب
عن قولهم ان محمدا يقول ما يقول من تلقاء نفسه ولم يوح اليه شيء ومنهم من كان يقول
انما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم مقالتهم وبين ان هو الذي علم محمدا صلى الله عليه وسلم
القرآن على لسان جبريل عليه السلام وقوله تعالى خلق الانسان قيل ان المراد به آدم عليه
السلام علمه الله تعالى جميع اللغات ويجوز ان يكون الانسان ها هنا اسم جنس بمعنى جميع
الناس كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر ومعنى تعليم البيان على هذا القول
انه سبحانه جعل الآدمي مميزا حتى انفصل عن سائر الحيوان بان له عقلا يفهم ويفهم وفيه
دليل على وحدانية الصانع الذي اطلق لسانه هذا اللطف بالبيان وقيل ان المراد بالانسان
ها هنا النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله تعالى القرآن الذي فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا
واما قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان فمعناه انهما يجريان على حساب مستقيم لا يختلف فيدلان

على عدد

على عدد الشهور والسنين والاوقات فان الشمس تقطع الفلك في ثلثمائة وخمسة
وستين يوما وشيء والقمر يقطع الفلك في ثمانية وعشرين يوما ويستتر في يومين وفي
جريهما دلالة التوحيد والحسبان مصدر كالكفران والشكران وقيل جمع حساب
مثل شهاب وشهبان وقوله تعالى والنجم والشجر يسجدان فان النجم ما ينبت على غير ساق
والشجر ما ينبت على ساق في اللغة كما يقال في كل ما طلع انه قد نجم ومن ذلك نجم القرن
ومعنى سجودهما انهما يدعوان الناظر الى السجود بما يرى فيهما من اثر صنع الله تعالى ويقال هو
ان لا يمتنعا مما يريد الله تعالى بفعله بهما كما لا يمتنع الخاضع الساجد ويقال انهما يسجدان لله تعالى
على الحقيقة الا انا لا نقف على سجودهما كما في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وقوله تعالى والسماء رفعها معناه رفعها فوق الارض ليستدل بها على وحدانية الله تعالى
وكمال قدرته وتمام علمه لان الفعل يدل على الفاعل واتقانه يدل على العلم والقدرة
وفي السماء من الاتقان ما ليس في شيء من الاشياء واختلفوا في قوله تعالى ووضع الميزان فقال بعضهم
انزل الله تعالى الميزان على هيئته في زمن نوح عليه السلام ولم يكن قبل ذلك وقال بعضهم عرف
الله تعالى الناس اما على لسان بعض الانبياء عليهم السلام واما الهاما كيف يتخذون الميزان ويزنون
به والفائدة في هذا انه تعالى لما امر الناس بالعدل والانصاف ومراعاة التسوية لم يكن بد من ان
يبين للناس طريقا يتوصلون به الى معرفة ذلك ولولا الميزان لتعذر الوصول الى كثير من الحقوق
وقوله تعالى الا تطغوا في الميزان معناه لئلا تجاوزوا الحقوق في الوزن والفائدة في قوله
تعالى الا تطغوا في الميزان بيان ان ما لا ينضبط بالوزن موضوع عنهم ولذلك قال الفقهاء
ان التفاوت القليل الذي يقع بين الناس فيما بين الوزنين او بين الكيلين عفو فاما الكثير من
ذلك فلا يكون عفوا ويقال في معنى الا تطغوا في الميزان لا تتخذوا ميزانا له كفتان احداهما
اثقل من الاخرى فتعطون بالاثقل وتاخذون بالاخف ونظير هذا قوله تعالى ويل للمطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وقوله تعالى
واقيموا الوزن بالقسط معناه سووا الميزان بالعدل والانصاف ولا تنقصوا ويقال اقيموا
لسان الميزان بالقسط وقوله تعالى ولا تخسروا الميزان تاكيد لما تقدم من الامر بالعدل
وكل شيء تنقصه فقد اخسرته والميزان مفعال من الوزن والوزن هو التقدير ٥ قوله
عز وجل والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام
والحب ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان ٥ معناه والارض بسطها
على وجه الماء للجن والانس يسكنها الاحياء ويدفن فيها الاموات تدل على وحدانية الله تعالى
كما ان رفع السماء دلالة على وحدانية الله تعالى وقيل ان المراد بالانام جميع الخلائق
واصل الانام من ونيم الذباب اذا صوت في نفسه فهو ونام بالواو الا ان الواو ابدلت
همزة كما قالوا اناة من وناة وقوله تعالى فيها فاكهة معناه في الارض الوان الفواكه
والفاكهة ها هنا اسم جنس وقوله تعالى والنخل ذات الاكمام معناه ذات الاغطية التي تستر
فيها الثمار واكمام النخلة ما غطى ثمارها من الشجر والسعف وغير ذلك والمراد النخل بالاكمام
لان اكمام ثمرها اكثر لانها يشق فلا يخرج منها الطلع ثم ينشق الطلع فيخرج منه ما يصير
بلحا ثم يصير البلح بسرا ثم يصير البسر رطبا والكم ما يغطي الشيء ومن ذلك يقال
للقلنسوة الكمة لانها يغطي الراس ومنه كم القميص لانهما يغطيان اليد وقوله تعالى والحب
اريد به الحبوب كلها ذو العصف اي ذو الورق الاخضر الذي يصير تبنا بعد ما يبس للبهائم وتهشم

و رق الزرع عصفا لجفافه وعصوف الرياح به مع ثبوت الحب في مكانه وقيل انما سمي عصفا
لان الريح يذهب به في وقت حاجتهم الى تمييز الحب من التبن واما قوله تعالى والريحان ففيه
قراءتان من قراه بالخفض فمعناه الرزق الذي يخلق في السنبل والحب المذكور في اول الاية
هو ما يلقى في الارض من البذر والريحان هو ما يخلق من الحب في السنبل رزقا للعباد وقد
يذكر الريحان بمعنى الرزق كما يقول العرب خرجنا نطلب ريحان الله اي رزقه قال الشاعر
سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر ٥ ومن قرا الريحان فالمعنى فيها الحب
وفيها الريحان والريحان على هذه القراءة اسم لما يشم من الرياحين وفي ذلك نعمة لذيذة واما من
قرا والحب بنصب الباء وقرا ذا العصف وقرا والريحان بنصب النون فكل ذلك معطوف
على قوله تعالى والارض وضعها للانام كانه قال وخلق الحب ذا العصف وخلق الريحان وقوله
تعالى فباي الاء ربكما تكذبان خطاب للجن والانس لان ذكر الانام فيما مضى يشتمل على الجن
والانس والمعنى باي نعمة من نعماء ربكما تكذبان انها ليست من الله تعالى فانها كلها مما انعم
الله بها عليكم منه لانه اتاكم على وحدانيته وفي رزقه اياكم ما به قوام حياتكم وانما خاطب
الجن والانس لانهما مشتركان في الوعد والوعيد ثم اعلم سبحانه من اي شيء خلق ابا البشر ومن
اي شيء خلق اصل الجن فقال عز من قائل خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق
الجان من مارج من نار فباي الاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي الاء
ربكما تكذبان ٥ معناه خلق اصل الانس وهو ادم عليه السلام من طين يابس اذا نقر صلصل
اي صوت كالفخار وهو ما طبخ بالنار يسمع منه الصوت اذا نقر واذا اصطك بعضه ببعض وذلك
ان الله تعالى خلق ترابا ثم جعله طينا ثم جعل ذلك الطين حماء مسنونا ثم جعل ذلك الحماء صلصالا
كالفخار ثم خلق ادم عليه السلام منه وقوله تعالى وخلق الجان معناه وخلق اصل الجان
من لهب النار مختلط بسواد النار وقيل انه لسان النار الذي تكون في طرفها اذا التهبت وقيل انها
نار لا دخان لها يكون من حجاب دون السماء من سماء الدنيا فاديم السماء يرى من وراء ذلك الحجاب
ومن تلك النار يكون الصواعق والفايدة في تكرار قوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان
انه تعالى لما عدد نعما بعد نعم كرر هذا ترغيبا في الشكر وتحذيرا من الكفر والتكذيب بنعم الله
تعالى وهذا على الحقيقة ليس بتكرار لانه ذكر كل واحد منها عقيب نعمة لم يتقدم ذكرها ومثال
هذا ما يقوله الرجل لمن انعم عليه وهو منكر لنعمته الم ابوئك منزلا افتنكر هذا الم احملك وانت
راجل افتنكر هذا الم احج بك وانت صرورة افتنكر هذا ونظير الايات في هذه الصورة قوله تعالى
في سورة القمر فهل من مدكر واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فمعناه رب مشرق
الشمس في الشتاء ومشرقها في الصيف ومغربها في الشتاء ومغربها في الصيف ولو كان مشرق
الشمس ومغربها واحدا لبطل كثير من المنافع لانه تعالى علق منافع العباد بطول النهار تارة
وبطول الليل اخرى وشروق الشمس وغروبها مما لا يتوهم دخوله تحت قدرة احد من البشر
ويقال في معنى هذه الاية هو رب مشرق الشمس والقمر ورب مغربهما ٥ **قوله عز وجل**
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي الاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشات في البحر كالاعلام فباي الاء
ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي الاء ربكما
تكذبان ٥ معناه ارسل البحرين العذب والملح بالاجراء في الارض يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها
ترعى ويجوز ان يكون معنى مرج خلط ومنه المرج لاختلاط النبات وقوله تعالى يلتقيان اي يلاقي

احدهما صاحبه

احدهما صاحبه بينهما حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغي العذب على الملح فيكونان عذبا ولا يبغي
الملح على العذب فيكونان ملحا هكذا روي عن قتادة رضي الله عنه وقال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام بينهما برزخ اي حاجز
يمنع بحر السماء من النزول وبحر الارض من الارتفاع واختلفوا في التقائهما قال بعضهم يلتقيان فوق
الارض وقال بعضهم تحت الارض وعن الحسن ان المراد بالبحرين بحر فارس والروم خلط الله تعالى
طرفيهما عند التقائهما والارض بينهما لا يطغيان على الناس بالغرق وقوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان فيه بيان نعم البحر واللؤلؤ اسم جامع للحب الذي يخرج من البحر ويقال اللؤلؤ
العظام منه والمرجان صغاره ويسمى المرجان لانه يوجد مختلطا وانما يخرجان من الملح دون العذب
والعذب كاللقاح للملح الا انه قال يخرج منهما لان ذلك لا يوجد الا بحيث يكون فيه الماء
العذب والملح جميعا هكذا يحكى عن الغواصين ويقال المرجان ضرب من الجواهر كالقصبات
يخرج من البحر وعلى قول ابن عباس يخلق اللؤلؤ والمرجان من قطر المطر وذلك ان السماء اذا امطرت
تفتح الاصداف افواهها على وجه الماء في البحر الملح فما وقع من المطر في افواهها نزل الى صدرها
فانعقد لؤلؤا وقوله تعالى وله الجوار المنشات فيه بيان نعم الله تعالى كالسفن العظام التي
ينتفع بها التجارات وغيرها والمنشات هي المرفوعات الشرع وما لم يرفع منها شراعها فلا
يكون منشاة ويقال المنشات هي اللواتي ابتدئ بهن في الجري والاعلام الجبال العظام
وقوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام معناه كل من على الارض
يفنى ولم يذكر الارض لان في الكلام دليلا عليه كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك عليها من دابة وفي الاية منع الغفلاء عن الركون الى الدنيا والاغترار بها وقد جعل الله
تعالى فناء الخلق ليعيدهم في الاخرة لجزائهم بما اعد لهم من الثواب من جملة نعمه ولذلك قال في
اخر هذه الاية فباي الاء ربكما تكذبان وفي قوله تعالى ويبقى وجه ربك بيان ان البقاء الدائم
ينبغي له والوجه يذكر في اللغة على وجهين احدهما بعض الشيء كوجه الانسان والاخر
بمعنى الشيء المعظم في الذكر يقال هذا وجه الراي وهذا وجه التدبير ولما ثبت ان الله تعالى ليس
بجسم كان معنى الاية ويبقى الله الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه والجلال العظمة
والاكرام الاعظام بالاحسان ومن حمل الوجه في الاية على العضو لزمه انه تعالى ذو ابعاض
ومن هو كذلك لا يكون الا محدثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٥ **قوله عز وجل** يساله من في
السموات والارض كل يوم هو في شان فباي الاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم
ايها الثقلان فباي الاء ربكما تكذبان ٥ معناه يساله من في السموات من الملائكة
ومن في الارض من الخلائق فاهل السماء يسالونه المغفرة واهل الارض مختلفون في السؤال
فمنهم من لا يسال سواه وهم الانبياء والاولياء الصديقون ومنهم من يساله في حال ولا يساله في
حال يساله المغفرة والرزق ويلجؤن اليه في كل ما يحتاجون اليه وقوله تعالى كل يوم
هو في شان لفظ مجاز في صفات الله تعالى لان حقيقة هذا اللفظ لا يستعمل الا في من يجوز عليه
الشغل والله تعالى لا يجوز عليه الشغل لان افعاله لا تخلو ولا تفعل بالات ولا جوارح حتى
يشغله فعل عن فعل الا انه لما وجدنا الانسان اكثر استعمالا لهذا اللفظ فيمن يدبر الامور بالامر
والنهي استعمل في صفة الله تعالى على معنى انه هو المدبر يحيي ويميت ويعز ويذل ويبعث ويمرض
ويغني ويفقر وشانه اكثر من ان يحصى وفي قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان بيان
ان من جملة تدبيره مؤاخذة العصاة بالعذاب ومعنى سنفرغ سنقصد لمحاسبتكم ومجازيكم بعد

طول الترك والامهال فعل من يتفرغ للعمل تجويده وهذا على وجه التهديد على ما جرت به
العادة في استعمال مثل هذا اللفظ كما يقول الرجل سأفرغ لفلان يريد بذلك سأجعل قصدي
له ولا يريد به الفراغ من شغل هو فيه والثقلان هما الانس والجن وكل شيء له قدر يتنافس فيه
فهو ثقل ومنه يقال لبيض النعامة ثقل لان صايده يفرح به لحسنه ولانه قوت للجايع وفي
الحديث اوصيكم بالثقلين كتاب الله تعالى وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما ويقال انما
سمي الجن والانس ثقلين لان الارض تثقل بهما ما لا تثقل بغيرهما ولا يعتد بغيرهما مع وجودهما ه
قوله عز وجل يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران فباي آلاء ربكما تكذبان ه في الاية الاولى بيان ضعف الخلايق عن
دفع ما ينزل بهم من امور الله تعالى وعذابه يقول ان قدرتم على الخروج من نواحي السموات
والارض فاخرجوا هربا مما ينزل بكم في الدنيا لا تقدرون ان تخرجوا الا بسلطان يعطيكم
الله تعالى من قوة وحجة وحيث ما كنتم شاهدتم سلطان الله تعالى وذلك يدلكم على وحدانيته ويقال
في معنى هذه الاية يامر الله تعالى الملايكة يوم القيمة ان تحف باقطار السموات والارض ثم يقال
للجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطارها هربا من الحساب والعذاب فانفذوا وقوله
تعالى يرسل عليكما معناه يرسل على من الحق بعاصيه منكما شواظ اي لهب من النار وفي قوله تعالى
ونحاس قراءتان من قراه بالخفض فمعناه الدخان تسوق لهب النار اهل العذاب الى موضع العذاب
ومن قراه بالرفع فهو الصفر المذاب وكما في قوله تعالى كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم وقوله
تعالى فلا تنتصران اي تمتنعان بانفسكما عما يراد بكما ووجه انعام الله تعالى علينا في اثبات
ايات الوعيد انه تعالى لما حذرنا من العذاب بابلغ اسباب التحذير حتى نتقي المعاصي خوفا من
عذابه ونرغب في الطاعات طمعا في ثوابه كان ذلك نعمة منه علينا ولذلك قال عز من قايل فباي آلاء
ربكما تكذبان ه قوله عز وجل فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فباي
آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فباي آلاء ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فباي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فباي آلاء ربكما تكذبان ه معناه اذا
انشقت السماء انشقت حتى صارت حمرا كلون الوردة الحمرا كالدهن الاحمر في الصفا من حر
نار جهنم مع عظم السماء وكبرها فكيف بابدانكم الضعيفة في ذلك اليوم وهذا كما روي عن علي
كرم الله وجهه انه مر على قوم من الحدادين فقال اما انتم يا معشر الحدادين احق الناس
بالاتعاظ والاعتبار اما ترون تاثير هذه النار الصغيرة في هذا الحديد الشديد فكيف تاثير
تلك النار العظيمة في هذه الابدان الضعيفة ويقال في وجه تشبيه السماء بالوردة انها
تتلون في ذلك اليوم كما روي عن الحسن رضي الله عنه ان السماء اول ما تنشق تحمر ثم تصفر ثم تخضر
كالفرس الوردة يكون في الربيع وردة الى الصفرة فاذا اشتد كانت وردة حمرا فان كان
الخريف كانت وردة غبرا قال وشبهها بالدهان المختلفة التي تصب بعضها على بعض والدهن
والدهان كقولك قرط وقراط واما قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه فمعناه لا يسأل احد من
الجن والانس عن ذنبه سؤال استفهام لان الله تعالى يعلم ويظهر على كل مجرم علامة تدل على
معصيته وعلى كل مطيع علامة تدل على طاعته كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وكما
قال صلى الله عليه وسلم في اهل الوضوء انهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثر الوضوء قال

في سهدا

في شهداء احد زملوهم بدمائهم وثيابهم فانهم يبعثون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما اللون
لون الدم والريح ريح المسك ومما يدل على صحة هذا التاويل انه تعالى قال بعد هذه الاية
يعرف المجرمون بسيماهم اي بعلاماتهم من سواد الوجوه وزرقة العيون فيجعل اقدامهم مضمومة
الى نواصيهم من خلف بالغل ويلقون في النار وكذلك والناصية شعر مقدم الراس ومنه
ناصية الفرس واما قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون فمعناه انهم يسألون سؤال التوبيخ
كما في قوله تعالى واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت هذا وجه التوفيق بين تلك الاية وبين هذه
الايات التي في هذه السورة وكان قتادة يحمل هذه الايات على اختلاف المواقف وكان يقول
انما تكون المسئلة قبل ان يختم على الافواه عند الجحود وينطق الله تعالى الجوارح وقوله تعالى هذه
جهنم التي معناه هذه صفة جهنم التي تكذب بها المشركون في الدنيا يطوفون بين اطباق
النيران وبين ماء حار قد انتهى حره اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني واذا
استغاثوا من الحميم جعل غياثهم النار ربطا فهم مرة الى الحميم ومرة الى النار ويقال اناه ياني
انا وانيا فهو آن اذا انتهى في النضج والحرارة ومنه قوله تعالى غير ناظرين اناه ثم اعلم الله تعالى
ما اعد من الثواب في الآخرة للمتقين ه فقال عز من قايل ولمن خاف مقام ربه جنتان
فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
تجريان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاء ربكما
تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي آلاء ربكما
تكذبان ه معناه ولمن خاف وقوفه في عرصات يوم القيمة بين يدي الله تعالى فترك المعصية
في الدنيا رهبة من الله تعالى له جنتان اي بستانان وفي الحديث ان الاية نزلت فيمن دعته نفسه
الى المعصية فاذا تمكن منها وقدر عليها تذكر ما في ارتكابها من العقاب وفي تركها من الثواب فتركها
فله جنتان جنة داخل قصره وجنة خارج قصره لتركه ونظير هذه الاية قوله عز وجل واما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقوله تعالى ذواتا افنان صفة
الجنتين والافنان جمع الفنن وهو الغصن وفي ذكر الاغصان بيان كثرة الاشجار
وبكثرة الاشجار تمام حال البستان فان البستان لا يكمل الا بكثرة الاشجار والاثمار
لا تحسن الا بكثرة الاغصان ويقال الافنان جمع الفن ومعناه ذواتا اصناف والوان من
الفواكه لا يعدم فيها لون من الالوان ومنه قولهم ذو فنون وفيه فنون اي ضروب مختلفة
وقوله تعالى فيهما عينان تجريان اي في البساتين عينان تجريان على اهلهما بالخير والبركة
والكرامة لهم من الله تعالى الى حيث يشاؤون فيهما من غير شق ولا اخدود وقوله تعالى فيهما
من كل فاكهة زوجان اي نوعان حلو وحامض واحمر واصفر ورطب ويابس ويقال
صنفان صنف عهدوه في الدنيا وصنف لم يعهدوه ولا خطر بقلوبهم وقوله تعالى متكئين
اي جالسين جلسة الملوك والمتكئ انما يطرح في المجالس للانسان اكراما واجلالا له
والفرش جمع الفراش والبطائن جمع البطانة وهي الصفيحة التي تلي الارض في مقابلة الظهارة
والاستبرق هو الديباج الصفيق مع دقة السلك ويقال هو الديباج المنسوج بالذهب وانما
ذكر البطائن من الاستبرق لتعرف ان البطائن اذا كانت منها فالظواهر لا بد ان تكون اشرف
منها على ما غلبة العادة وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الاية فقيل له ما الظهارة فقال
هو ما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واورد بعض المفسرين ان ظواهرها
انما تكون من السندس وهو الديباج الرقيق وقوله تعالى وجنى الجنتين دان اي ثمرهما قريب من

متنا ولبيد يا حبذا القايم والقاعد والمضطجع كيف ما اراد ودنى الى افواههم حتى يتناولوه بالافواه والايدي والجنا هو الثمرة التي ادركت في الجمع وصلح ان يجتنى غضا قال الشاعر

هذا جناي وخياره فيه … وكل جان يده الى فيه

قوله عز وجل فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي الاء ربكما تكذبان معناه في هاتين الجنتين وما حولهما من الجنات قاصرات الطرف اي غاضات الطرف عن غير ازواجهن قصرن اطرافهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يبغين بهم بدلا والقاصر المانع من ذهاب الشيء في جهة من الجهات والطرف جفن العين لانه طرف لها ينطبق تارة وينفتح تارة ويجوز ان يكون الكناية في قوله تعالى فيهن راجعة الى الفرش التي بطائنها من استبرق والطمث في اللغة هو المس من قولهم ما طمث هذا البعير حبل قط اي ما مسه وامراة طامث اي مسها دم الحيض وهذا قول مجاهد رضي الله عنه وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى لم يطمثهن لم يفتضضهن والطمث على هذا القول النكاح بالتدمية وامراة طامث اي حائض وعن طلق بن حبيب انه سئل هل يدخل الجن الجنة قال نعم وتلى هذه الاية لم يطمثهن انس الاية قال فللجن جنيات وللانس انسيات وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان معناه كانهن في صفاء الياقوت وبياض المرجان والمرجان صغار اللؤلؤ وهو اشد بياضا من كبار اللؤلؤ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ان المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من تحت الحلل وان عليها لسبعين حلة من حرير وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان واما الياقوت فحجر فاذا جعلت الخيط فيه السلك تراه وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان معناه ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وفي الحديث ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فانه يراك وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال هذه الاية مرسلة للفاجر في دنياه وللبر في اخرته قوله عز وجل ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما تكذبان معناه ومن سوى الجنتين الاوليين جنتان اخريان وهما دون الاوليين اختلفوا في هذا فقال بعضهم رحمهم الله اراد بالجنتين الاوليين جنتين في العلو واراد بهذه الاية جنتين في السفل وقال بعضهم رحمهم الله ان معنى ومن دونهما جنتان جنتان اقرب الى قصره ومجالسه في قصره من الجنتين الاوليين ليتضاعف سروره بالتنقل من جنة الى جنة على ما عليه طبع البشرية ودون من الاضداد يحتمل كل واحد من هذين التاويلين ان يكون بمعنى الاقرب والارفع ويكون بمعنى الاسفل وقال في معنى هذه الاية ان الجنتين الاوليين هما جنة عدن وجنة الفردوس اعدهما الله تعالى للسابقين والشهداء واعد لمن دون اولئك في الفضل وهم التابعون بالاحسان جنتين اخريين وهما جنة النعيم وجنة المأوى وقوله تعالى مدهامتان معناه خضراوان تضرب خضرتهما من الري الى السواد وذلك احسن ما يكون من الخضب والادهم الاسود والفعل منه ادهام وقوله تعالى فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء من الامتلاء يفوران بالخير والبركة بخلاف العينين الاوليين لانهما تجريان من اصلهما وهاتان تجريان بعد الظهور والنضخ اكثر من النضح والفوارة التي ترمي بالماء صعدا وقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فيه بيان انه يوجد في هاتين الجنتين ما يوجد في الجنتين الاوليين ويستدل في هذه الاية لابي حنيفة رحمه الله ان النخل والرمان

لبسا

ليسا من الفاكهة لان الشيء لا يعطف على نفسه هذا هو ظاهر الكلام ومفهومه الا ان يقوم الدلالة على خلافه في موضع من المواضع واما قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله فالتمر والرمان من الفاكهة وانما عطفهما على الفاكهة لزيادة معنى فيهما لا يوجد في ساير الفواكه كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال قوله تعالى فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام معناه في الجنان الاربع حور خيرات الاخلاق حسان الاوجه وسمين خيرات لانهن ممن ينبغي ان يختار لفضل اخلاقهن وافعالهن واختلفوا في الخيرات اللواتي في هذه الاية قال بعضهم رحمهم الله اريد بها الازواج اللواتي كن لهم في دار الدنيا يردهن الله تعالى عليهم لا على الصفة التي كن عليها في الدنيا بل على احسن الصور وقال بعضهم رحمهم الله اريد بها الازواج وغيرهن من الحور العين ومعنى الحور البيض الحسان البياض والمقصورات من المحبوسات المصونات اللواتي لم يتبذلن كما وصفهن الله تعالى في اية اخرى وهي قوله تعالى كانهن بيض مكنون اي مصون والخيام ههنا قباب من الدر المجوف والخيمة درة مجوفة كما ورد في الحديث انها مثل القصر العظيم طولها في السماء فرسخ وعرضها فرسخ لها اربعة الاف باب مصراعاها من ذهب يدخل عليه من كل باب ملك معه هدية من رب العالمين ويقول للرجل السلام عليك من ربك هذه هدية لك من ربك ويدخل مع الملك ريح من ريح المسك تشبه بكل ريح كان قبلها ثم يخرج ويدخل اخر من باب اخر على نحو ما دخل الاول معه هدية لا تشبه الاولى فهم كذلك يختلفون ابدا ولا ينقطعون كما قال الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا وفي بعض الكتب ان الله تعالى ينزل مطرا من تحت العرش فيخلق من كل قطرة حوراء ثم يسبل عليها خيمة من اللؤلؤ ليس عليها باب ولا كوة ولا صدع حتى اذا اتاها صاحبها انفتح له باب بجنبه في الحال ليكون اهنا في عيشه وابلغ في لذاته والفائدة في اعادة قوله تعالى لم يطمثهن في هذه السورة بيان ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف واما الرفرف الخضر فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم هو رياض الجنة من رف البيت يرف اذا صار غضا نضرا وقال بعضهم هو المحابس وقال بعضهم هو الوسائد واما العبقري فهو البسط من الزرابي وغيرها وكل ما يبالغ في وصفه فهو عبقري واصله ان عبقر بلد كان يوشى فيها البسط وغيرها لا يفوقها شيء من البسط وكانت العرب تعتقد ان افضل البسط ما نسج بعبقر فاضافه اليه على عادتهم وقوله تعالى تبارك اسم ربك معناه تعالى وتقدس وقيل عظمت البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شيء يذكر فيه اسمه وقوله تعالى ذي الجلال والاكرام معناه ذو الارتفاع عن الصفات التي لا تليق به المكرم لاهل دينه وطاعته وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الرحمن رحم الله تعالى ضعفه وكان مؤديا شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية

الا الاية التي في اخرها وتجعلون رزقكم انكم تكذبون روي انها نزلت في سفر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعن الحسن ان السورة مدنية واما عددها فانها ست وتسعون عند الكوفيين وسبع عند البصريين وتسع عند الحجازيين والشاميين

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة المعنى اذكروا اذا

قامت القيامة واحد روها وتزود دفالها وانما سميت القيامة الواقعة لصوقها وهو الصيحة التي تكون
عند النفخة الثانية يسمعها القريب والبعيد ويقال ان الوقوع ظهور بالحدوث كظهور
الساقط بحضرة الرائي وقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة معناه انها كائنة ليس لوقوعها رد ولا
خلاف والكاذبة ها هنا مصدر كقولك عافاه الله عافية وعاقبه عاقبة ويقال للطعنة صادقة
اذا لم يكن لها مرد وفلان لا تحمل فلا يكذب اي لا يرد حملته ومنه الكذب لانه مردود ويقال
في معنى الآية ليس لوقعتها قضية كاذبة لان وقوعها ثابت بالعقل والشرع ويقال ليس في الاخبار
عنها نفس كاذبة وقوله تعالى خافضة رافعة صفة القيامة تخفض اقواما بسيئاتهم الى اسفل النار
وترفع اقواما بحسناتهم الى الجنة العالية لان وقوعها لا يكون الا للمجازاة وقوله تعالى اذا رجت
الارض رجا بيان وقوعها ومعناه اذا زلزلت الارض زلزالا حتى ينهدم كل جبل وبناء على وجه
الارض يقال رج الصبي في المهد اذا حرك وارتج السهم اذا خرج من القوس مضطربا وارتجت
البلدة اذا اضطربت احوالها لفتنة وقعت بها ومعنى وبست الجبال بسا فتتت وجعلت كالدقيق والسويق
فصارت غبارا متفرقا كالذي يسطع من حوافر الدواب ويجعل في شعاع الشمس وهو ما يرى
في الكوة من شعاع الشمس فيقبض القابض عليه فلا يحصل في يده شيء والبسيسة السويق بلت اي
بلت ويتخذ زادا وحكى ابو عبيدة عن لص من غطفان قال لصاحبه لا تخبزا خبزا وبسا بسا ولا
تطيلا بمناخ حبسا والانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة ويقال في معنى وبست
قلعت ووجه التلفيق بين الآيات الواردة في صفة الجبال في ذلك اليوم ان الله تعالى يحرك
الجبال اولا ثم يقلعها ثم يجعلها كالسويق ثم يجعلها كالعهن المنفوش ثم يجعلها كالهباء المنثور ثم
يجعلها كالسراب ثم يفنيها عند ذلك وفي قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة بيان ان الخلق يصيرون
يومئذ على ثلثة اصناف والاصناف التي بعضها من بعض ازواج ومنه المزاوجة بين الكلامين
وهي المشاكلة ثم بين الله تعالى الاصناف الثلثة فقال عز من قائل
فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون السابقون اولئك
المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها
متقابلين ٥ اختلفوا في الميمنة والمشئمة قال بعضهم اصحاب الميمنة هم اصحاب اليمن والبركة
على انفسهم بطاعتهم واصحاب المشئمة هم اصحاب الشوم والنكد على انفسهم بسيئاتهم وقال
بعضهم اصحاب الميمنة هم الذين يسلك بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشئمة يسلك بهم طريق
الشمال الى النار ويقال اصحاب الميمنة هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم واصحاب المشئمة هم الذين
يعطون كتبهم بشمائلهم وانما تبرك الناس باليمين لان العمل باليمين ايسر منه بالشمال كما في الكتابة
والاعمال الدقيقة ولذلك يقال لليد اليسرى الشؤمى والمشئمة هي الميسرة وهي الجانب الاشأم
وقوله تعالى ما اصحاب الميمنة تعجيب وتفخيم لشانهم في الخير والترغيب في طريقتهم كما يقال فقيه
واي فقيه عالم واي عالم لم يوصف [?] وقوله تعالى واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة تعظيم لشانهم في
الشر للتحذير عن طريقتهم وقوله تعالى والسابقون السابقون بيان للصنف الثالث والمعنى والسابقون
في الدنيا الى الطاعات هم السابقون في العقبى الى الدرجات ويحتمل ان يكون تكرار اللفظ ها هنا
على وجه التاكيد وقوله تعالى اولئك المقربون الى كرامة الله تعالى في اعلى الدرجات فانهم
افاضل اهل الجنة وفي قوله تعالى في جنات النعيم بيان ان تلك الكرامة انما تكون في الجنة وانه
لا يخرجهم عنها الى دار اخرى وقوله تعالى ثلة من الاولين معناه جماعة من اوائل الامم ممن عاين
النبيين صلوات الله عليهم وصدقوهم وقليل من امة نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذين عاينوا

حامد

جماعة النبيين عليهم السلام وصدقوا بهم اكثر ممن عاين نبينا صلى الله عليه وسلم الا ترى
الى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون هو لا سوى من امن بجميع الانبياء عليهم
السلام وصدقهم ويجوز ان يراد بالثلة من الاولين الانبياء والرسل عليهم السلام ومن بين
مراتبهم فانهم في الاولين اكثر منهم في الآخرين لان النبوة انقطعت بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
والثلة في اللغة هي القطعة الكثيرة من الناس من قولهم ثل عرشه اذا قطع ملكه بهدم سريره
وفي تفسير الكلبي انه لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وجد النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون وجدا شديدا فقالوا جماعة من اوائل الامم الخالية في الجنة وقليل
منا فانزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فطابت جسد [?] انفسهم وذهب بعض المفسرين
الى ان هذين الفريقين كلاهما من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ومعنى السابقين هم الذين
صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا ويقال هم السابقون الى التكبيرة الاولى في الجماعة وهم اول
القوم خروجا في سبيل الله تعالى قالوا ومعنى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ان المخلصين في
الاولين اكثر وان كان العدد في الآخرين اكثر ولو ان واحدا مات واى عشرة وفيهم تسعة
من الاخيار وراى مائة وفيهم تسعة من الاخيار وراى مائة وفيهم عشرون من الاخيار صح
ان يقول خيار العشرة اكثر من خيار المائة واما على قول الزجاج فلا يحتاج الى هذا التاويل
لان لفظ الثلة على قوله لا يقتضي الكثرة وانما معناها القطعة وقوله تعالى على سرر موضونة
السرر جمع السرير والسرير مجلس الملوك للسرور والموضونة هي المرمولة بقضبان الذهب
والفضة كهيئة الدرع المضاعف ودملها نسجها ويقال انها المنسوجة بالدر والياقوت وانما
قال ذلك لان السرر اذا كانت على هذه الصفة كانت انعم والين من السرر التي كانت تعمل من
الخشب والوضين حزام الناقة وهو الحبل من السيور اذا نسج بعضه الى بعض مضاعفا ولا يمتنع
ان يكون هذه السرر منسوجة بالذهب كهيئة الدرع المضاعف مشبكة بالدر والياقوت
وقوله تعالى متكئين عليها اي جالسين عليها جلسة الملوك للراحة متقابلين يقابل بعضهم بعضا في
الزيارة اذا اشتهى احدهم حديث صاحبه القى الله تعالى في نفس الآخر مثل ذلك فامر كل واحد
منهما سريره فاخرج على باب منزله ثم جلسا على سريرهما يتحدثان فيسمع كل واحد حديث صاحبه
وان تعدى عنه واذا سارت اسرتهم بهم الى حيث يشاءون وان كان بعضهم ارفع من بعض
في الدرجات رفع من دونه في الدرجات اليه وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان في الجنة عمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها ابواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري
فقلنا من ساكنها يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المتحابون في الله تعالى المتجالسون في الله تعالى
المتلاقون في الله تعالى ٥ قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
واباريق وكاس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم
طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها
لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما ٥ الولدان الوصفاء جمع الوليد وهو الذي لم يبلغ بعد
ويقال انهم اولاد المشركين الذين جعلوا خدما لاهل الجنة وقوله تعالى مخلدون اي خلقوا
للخلود وهم دائمون لا يتغيرون عن صفتهم ويقال في معنى مخلدون مقرطون مسورون من
الخلدة وهي الحلي ويقال هو من الخلد وهي النفس كانه قال منفوسون ابقيت لهم انفسهم ابدا
والاكواب جمع كوب وهي الكيزان العظام المدورة الرؤوس التي لا آذان لها ولا خراطيم
والاباريق الاواني التي لها عرى وخراطيم والابريق افعيل من البرق وذلك انه يبرق من حسنه

وصفائه والكأس الاناء الذي فيه شراب والمعين الخمر الذي يجري من العيون الظاهرة لا في الاخدود وقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون اي لا يصيب شاربها الصداع كما يكون في خمر الدنيا ولا تنزف عقولهم يقال للرجل اذا سكر نزف عقله والسكران هو النزيف وقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون معناه ويؤتون بالوان الفاكهة التي لا يأكلها ردي ولا تكون لها قشر ولا نوى ظاهرها مثل باطنها وباطنها مثل ظاهرها كما في قوله تعالى واتوا به متشابها وقوله تعالى ولحم طير مما يشتهون معناه ويؤتون بلحم طير مما يتمنون كما روي في الحديث انهم اذا اشتهوا لحم الطير وقع بينهم مشويا قبينا ولون منه قدر الحاجة ثم يطير كما كان وهذا بان الذبح لا يكون الا باراقة الدم وذلك لا يكون في الجنة لان الايلام يوجب العوض وليست الجنة دار عوض ولكنها نفس العوض وفي قوله تعالى وحور عين قراءتان من قرأ بالرفع فعلى معنى ولهم فيها حور عين ومن قرأ بالخفض فعلى معنى ويتنعمون بحور عين ويجوز ان يكون خفضا على الجوار لانه معطوف على قوله تعالى وفاكهة ولحم طير والحور البيض الحسان البياض والعين الواسعة الاعين حسانها وقوله تعالى كامثال اللؤلؤ المكنون معناه ان صفاءهن وتلألؤهن كصفاء الدر حين يخرج من صدفه قبل ان يمسه يد او يصيبه هواء او شمس او غبار يقال كننت الشيء اذا صنته واكننته اذا استرته وفي قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون بيان انهم يعطون هذه الاشياء جزاء لهم على اعمالهم الصالحة التي كانوا يعملون بها في الدنيا وعن هذا اختار كثير من الفضلاء تحمل المشقة في طاعة الله تعالى لطلب هذه الرتبة كما روي عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال لولا خصال ثلاث لسرني ان اموت لولا ان اصوم يوما طويلا ما بين طرفيه وان اعفر وجهي ساجدا لله تعالى وان اغبر في سبيل الله تعالى وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا معناه لا يسمعون في الجنة الا قولا يسلمون فيه من اللغو والتأثيم واللغو الكلام الذي لا فائدة فيه لا يحب العاقل سماع مثله والتأثيم ان يؤثم بعضهم بعضا في شيء من القول والفعل وفي قوله سلاما سلاما بيان انهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الاخلاق مع كمال النعيم يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويقول لهم الملائكة سلمكم الله تعالى من المكاره والمحاذر وهذا كله نعت السابقين ثم ذكر الصنف الثاني فقال جل وعز واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين المعنى واصحاب اليمين وهم عامة المؤمنين دون النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ما تدري يا محمد ما لهم في الجنة من النعيم والسرور في سدر اي في ظلال سدر قد نزع شوكه وكثر حمله ولين ظهره والسدر شجرة مثمرة مرتفعة المنظر طيبة الرائحة والخضد عطف العود اللين في اللغة ولذلك قيل لا شوك فيه ويقال السدر شجر النبق الا ان ثمرة تلك الشجرة في الآخرة لا يكون مثل ثمر شجر النبق في الدنيا ولا رائحتها يشبه رائحتها فان فضل اشجار الجنة على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة واما الطلح فهو شجر الموز تراكب الموز على اغصانها وعن علي كرم الله وجهه انه قرأ وطلع منضود اي نخل تتراكب الرطب على اغصانها كما في قوله تعالى لها طلع نضيد ويقال ان الطلح عند العرب شجر حسن اللون لخضرته وريقه ولونه طيب الرائحة وكانت العرب تعجب بثمرة هاتين الشجرتين في هذه الآية وقوله تعالى وظل ممدود اي دائم لا تنسخه الشمس بخلاف ظل الدنيا ويقال ان المراد به ظل العرش وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير

الراكب

الراكب في ظلها مائة عام فلا يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود واما قوله تعالى وماء مسكوب فقد قيل في معناه انه ماء جار شديد الجري كالماء الذي يصب من الاناء وقيل هو مصبوب عليهم من ساق العرش في اوعيتهم ليشربوه على ما به وتبين حسنه وصفائه وطيب رائحته وقيل انه مصبوب على الخمر لتشرب بالمزاج كما في قوله تعالى كان مزاجها كافورا وقوله تعالى وفاكهة كثيرة معناه وانواع فاكهة كثيرة لا ينقطع عنهم في وقت من الاوقات بخلاف فواكه الدنيا ولا يكون ممنوعة ببعد متناول او شوك تؤذي بخلاف ما يكون في الدنيا والممنوعة هي التي يحظر التناول وقوله تعالى وفرش مرفوعة قيل ان الفرش هاهنا جمع الفراش فهي موضوعة بعضها فوق بعض اذا اراد العبد ان يجلس عليها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع في الهواء وقيل ان الفرش هاهنا هن نساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن وقد تسمى المرأة فراشا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر واراد لصاحب الفراش والمرفوعة على هذا العقول من الرفعة لا من الرفع وقوله تعالى انا انشأناهن انشاء اي خلقناهن خلقا ولينا بلا ولادة ولا تربية بخلاف نساء الدنيا ويقال ان المراد بهذه الآية نساء اهل الدنيا يخلقهن خلقا بعد خلق كما روي في بعض الاخبار انهن عجائز كن في الدنيا يجعلن صبايا وذكر بعض المفسرين ان الله تعالى يلبسهن من الحسن والجمال اكثر مما يلبس الحور العين لانهن عملن في الدنيا والحور لا يعملن والابكار جمع البكر وهي التي تكون على الحالة الاولى من حال النشأة قبل الافتضاض ومن ذلك الباكورة وهي اول ما يدرك من الثمار والبكرة اول النهار والبكر الفتي من الابل واما العرب فهو جمع العروب والعروب المتحببة الى الزوج الداعية معه انسا به ومحبة له كما يأنس الغزي بكلام الغزي ويروى انه يكون طرح احوال من العرب من الفطنة والالف والتعهد والاتراب جمع الترب والترب اللدة الذي يتسامع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب اي هن كالصبيان الذين هم على ميلاد واحد كلهن في سن ثلث وثلثين سنة ويقال سنهن مثل سنكم وذلك ان مثل هذا يكون ابلغ في اللذة وقوله تعالى لاصحاب اليمين اي جميع هذا الذي ذكر للذين يعطون كتبهم بايمانهم وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين اي جماعة من اوايل الامم وجماعة من امة نبينا صلى الله عليه وسلم وكان الحسن رضي الله عنه يقول ثلة في هذه الامة المتقدمة ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ان سابقي الامم الماضية اكثر من سابقي هذه الامة وتابعي الامم الماضية مثل تابعي هذه الامة وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى وثلة من الآخرين في هذه الآية يدل على انه ليس المراد بقوله تعالى من قبل وقليل من الآخرين قلة العدد من جملة الآخرين ولكن المؤمنين قليل في غيرهم كما روي في الحديث ما انتم الا كالشامة البيضاء في جلد الثور الاسود وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الثلثان مني وهذه الرواية انما يستقيم على القول الذي قيل في قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين انه كلا الفريقين من هذه الامة والاقرب الى ظاهر الآيات ما تقدم ذكره قوله عز وجل واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون

فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون ٥ معناه ان اصحاب الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم يوم القيمة ما تدري يا محمد ما لهم من الهوان في العذاب في حر نار وريح حارة يدخل في مسامهم وما حار قد اشتهى حره وظل من دخان اسود شديد السواد لا كبرد ظل الدنيا لا انه ظل دخان جهنم وكل ما انتفى عنه الخير فليس بكريم وتسمى الريح الحارة سموما لانها تدخل في مخارق الانسان فيقتله ومنه سم الخياط وهو ثقب الابرة وفي قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين بيان سبب العقوبة اي كانوا ممتنعين من الواجب الذي كان عليهم طلبا للترفه وهي الرفاهية والنعمة وكانوا يقيمون على الشرك بالله تعالى ويسمى الشرك حنثا لانهم كانوا يحلفون ان الله تعالى لا يبعث من يموت والحنث في اللغة نقض العهد المؤكد بالحلف وكانوا يقيمون على نقض العهود التي يلزمهم الوفاء بها ويجوز ان يكون المراد بالحنث الاثم لان الحنث يوثم الانسان وفي قوله تعالى وكانوا يقولون ائذا متنا بيان وجه استنكارهم للبعث وقوله تعالى اوآباؤنا الاولون زيادة استبعاد واستنكار منهم بقول الله عز وجل قل ان الاولين والآخرين اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان آباءكم ومن قبلهم وانتم ومن بعدكم لمجموعون في قبورهم الى وقت يوم معلوم وهو يوم القيمة كما قال في آية اخرى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقال عز من قائل ان يوم الفصل كان ميقاتا وقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون معناه الذاهبون عن طريق الحق والصواب الجاحدون لما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب لآكلون في الآخرة من شجرة نابتة في اصل الجحيم والزقوم اسم للطعام الكريه الذي يصعب ابتلاعه لشدة خشونته ومرارته وحرارته ويقال انه يتعلق بالحلوق كالحسك وفي قوله تعالى فمالئون منها البطون بيان ان الله تعالى يلقي عليهم الجوع حتى يضطرهم ذلك الى اكل الزقوم فيأكلون منه حتى يمتلئ بطونهم ثم يلقي عليهم العطش فيضطرهم ذلك الى شرب الحميم فيشربون منه شرب الابل العطاش التي يصيبها داء يقال له الهيام فلا يكاد يروى من الماء واحدها اهيم والانثى هيماء ويقال ان الهيم هي الرمال التي لا يرويها ماء السماء ماخوذ من قولهم كثيب اهيم وكثبان هيم وقوله تعالى هذا نزلهم اي غذاؤهم وشرابهم يوم الجزاء نحن خلقناكم ايها الكفار فهلا تصدقون بالبعث اعتبارا بالخلقة الاولى ٥ قوله عز وجل افرأيتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ٥ معناه اخبروني يا اهل مكة ما تقذفون من المني في ارحام النساء انتم تخلقون المني ولدا ام نحن نخلقه ونجعله بشرا سويا وهذا تقرير للمخاطبين بانهم مخلوقون من المني وهو ميت اذا فارق ممنيه ثم يحييه الله تعالى ولو اجتمع العالم على ان يخلقوا من المني بعوضة فما دونها في حال ما يشاهدونه ويبصرونه ويصل اليه ايديهم لعجزوا عنه فكيف تقدرونه على خلق الولد منه في رحم الام وهم لا يشاهدونه ولا يصل اليه شيء من حواسهم ولو كان خلق الولد من فعل الوالد لحصل وفق قصده وارادته كساير ما يدخل تحت قدرته ولو عدم عضو من اعضاء الولد لم يقدر واحد على ايجاده ولو انتقص لم يقدر على اكماله فكيف يقدر الوالد على انشائه وقوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت اي نحن كتبناه عليكم وسوينا فيه بين اهل السماء والارض على مقادير آجالكم في مكان معلوم لا يوجد في غيره وفي زمان لا يستقدمونه ولا يستأخرونه وقوله تعالى وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين عاجزين على ان نبدل بكم غيركم اطوع منكم وعلى ان ننشئكم في الآخرة في موضع

لا تعلمون

لا تعلمونه وهو النار ويقال في صورة لا تعلمونها من سواد الوجوه وزرقة الاعين ويقال في حال لا تعلمون كيف تستنكرونه وذلك لانهم علموا النشأة الاولى كيف كانت في بطون الامهات وليست الاخرى كذلك فهلا تستدلون بالنشأة الاولى على النشأة الثانية والنشأة المرة من الانشاء كالضربة من الضرب قوله عز وجل افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون ٥ معناه اخبروني ما تلقونه من البذر في الارض انتم تنبتونه وتجعلونه زرعا ام نحن الفاعلون لذلك لو نشاء لجعلناه يابسا متكسرا بعد خضرة لا حب فيه فصرتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وتندمون على ما انفقتم فيه من النفقة وتحملتم فيه من المشقة وتقولون لحقنا غرم عظيم في هذا الزرع بل نحن ممنوعون عن الرزق منه والاصل في ظلتم ظللتم فحذف اللام الاولى تخفيفا ظلتم ومن كسر الظاء رد اليها حركة الحرف المحذوف وهو من باب المضاعف ومثله قليل والتفكه من الاضداد يقال تفكه اي تنعم وتفكه اي تحزن واصل التفكه التكلم فيما لا يعني ومنه قيل للمزاحة فكاهة والمغرم الذي يذهب ماله من غير عوض والمحروم الممنوع من الشيء بالنهي عنه والحرام الممنوع بالنهي والحلال ضده وهو المطلق بالاذن قوله عز وجل افرأيتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرأيتم النار التي تورون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم ٥ معناه فاخبروني عن الماء العذب الذي تشربون انتم انزلتموه من المزن من السحاب ام نحن المنزلون عليكم منه لو نشاء جعلناه مرا شديد المرارة محرقا للحلق والكبد لا يمكن شربه والانتفاع به فهلا تشكرون غذوبته والاجاج ماخوذ من قولهم تأججت النار اذا شعرت وأججتها اذا اسعرتها وقوله تعالى افرأيتم النار التي تورون اي اخبروني عن النار التي تظهرونها بالزناد من الاعواد غير العتاب كما يقال في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار وهما شجرتان كانت العرب اذا ارادت النار اخذت عودين منهما فاقتدحت بهما وهم يسمون احد العودين الزند والآخر الزندة فاذا دبر طرف الزند في فرج الزندة ورت النار كما يضرب الحجر بالحديد فتخرج عنهما النار ويقال ورى الزند اذا انقدحت منه النار واوريت النار اذا قدحتها وقوله تعالى ءانتم انشأتم شجرتها معناه انتم انشأتم شجرة النار ام نحن المنشئون لها في الارض جعلناها تذكرة وفيها النار نحن جعلناها عظة وعبرة اذا رآها الرائي وعلم ما في هذه النار الصغرى من الضرر والاذى تذكر النار الكبرى التي في الآخرة واتقاها بايثار الطاعة على المعصية وقوله تعالى ومتاعا للمقوين اي جعلناها منفعة للمسافرين الذين ينزلون بالارض التي في المفاوز ومن ذلك يقال اقوى الرجل اذا نزل بارض قي وقد يقال للذي نفد زاده المقوي من اقوت الدار اذا اخلت والمقوي في غير هذا الموضع الذي معه دابة قوية وانما خص المسافرين في هذه الآية مع كون النار منفعة لهم ولغيرهم لان حاجتهم اليها اكثر وضرر فقدها عليهم اشد ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد وانعامه على خلقه امر بالتسبيح فقال عز من قائل فسبح باسم ربك العظيم اي نزهه عما لا يليق به وبصفاته ويجوز ان يكون المراد بالتسبيح ها هنا الصلوة وفي الحديث انه لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ٥ قوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ٥ اختلفوا في معنى اول هذه الآيات فقال بعضهم معناه فلا اقسم وانما دخلت لا توكيدا وتحسينا

للنظم على عادة العرب وقد يكون لا زايدة في الكلام كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل
الكتاب وقال بعضهم كلمة لا هاهنا رد عليهم فيما كانوا يقولون ويعتقدون في امر
القرآن كان الله تعالى رد عليهم مقالتهم ثم عقبه بالقسم كما يقول الرجل لولده لا اعطيك
المال لتبذره لا والله لا اعطيك ويقول الرجل لا والله لا افعل ولا والله ما كلمت فلانا
وذهب بعضهم الى ان لا هاهنا للنفي على الحقيقة اي لا اقسم فانه لا يحتاج الى القسم فيما
يشتبه وهذا الامر اظهر من ان يحتاج الى التاكيد بالقسم غير ان هذا قول ضعيف جدا
لانه تعالى قال وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقرا بعضهم فلاقسم موصولة اراد لاقسمن ثم
ترك النون ومواقع النجوم هي مساقط النجوم ومغاربها وتخصيصها بالقسم لما فيها من الدلالة
على وحدانية الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالنجوم محكمات القرآن التي نزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما شيا بعد شي واورد بعضهم في مواقع النجوم انها مساجد
الصحابة والعلماء حيث يصلون ومغانيهم حيث يتلون ومقابرهم حيث يدفنون وقوله تعالى
وانه لقسم اي القسم بمواقع النجوم قسم عظيم لو علمتم وقوله تعالى انه لقرآن كريم جواب
القسم ومعناه كثير الخيرات على ما من عند الله تعالى لانه لا ياتي احد بمثله والكتاب
المكنون هاهنا اللوح المحفوظ مصون عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان لا يمسه
الا المطهرون اي الملائكة الذين طهروا عن اقذار الناس وذهب بعضهم الى ان المراد
بالكتاب هاهنا المصحف المحفوظ في ايدي اهل الاسلام وقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون
على هذا القول لفظه لفظ خبر ومعناه النهي كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كتب
في كتاب عمرو بن حزم وان لا يمس القرآن الا طاهر ولما قال عمر رضي الله عنه لاخته قبل
ان يسلم اعطوني الكتاب الذي كنتم تقرءون قالت انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون
فقم فاغتسل او توضأ فتوضأ ثم اخذ الكتاب فقراه ويقال في معنى الاية لا يعمل به الا الموفقون
ويقال لا يجد حلاوته الا المفسرون تنزيل من رب العالمين اي منزل من رب العالمين على رسوله المصطفى
صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم
تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب
اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق
اليقين فسبح باسم ربك العظيم ٥ معناه افبهذا القرآن الذي يقرأ عليكم يا اهل مكة
تصانعون وتلابثون وتظهرون خلاف ما تضمرون والادهان والمداهنة النفاق
ماخوذ من الدهن ويقال ادهن على نفسك اي انفق عليها ونظير هذا قوله تعالى ودوا لو
تدهن فيدهنون وقوله تعالى وتجعلون رزقكم اي حظكم من القرآن الذي رزقكم الله
تعالى التكذيب به ويقال في معناه تضيفون المطر الذي يسقون ويرزقون الى الانواء كما
روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو حبس الله تعالى عن امتي المطر
سبع سنين ثم انزل عليهم الا اصبح طايفة منهم يقولون سقينا بنوء كذا وكذا وقوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم معناه فهلا اذا بلغت النفس الحلقوم وانتم ايها العواد وعشيرة المحتضر
من الاهل والولد جلوس تنظرون اليه ترون نفسه تخرج ولا تقدرون على ردها الى الجسد ورسلنا
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرونهم ويجوز ان يكون معناه ونحن اقرب اليه بالعلم والقدرة لانا

نراه

نراه من غير مسافة بيننا وبينه وانتم لا تبصرون الابمسافة فهلا ان كنتم غير مجزيين ومحاسبين
تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت تراقيه ان كنتم صادقين في ظنكم انكم شبان
من القدرة وانكم تكذبون ولا تموتون فيحكم عن رد الروح الى الجسد دليل انكم مدينون
والدين في اللغة عبارة عن الجزاء وفلان يتدين اي يعمل ما يطلب به الجزاء ويقال للعبد مدين
لانه يجزى مولاه وقوله تعالى ترجعونها جواب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله
تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اجيبا بجواب واحد كما في قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا
الى ان قال فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين معناه فاما
ان كان هذا المحتضر من السابقين فبشارته بالراحة والرزق الكريم في الجنة ومن قرا
فروح بضم الرا فمعناه الحياة الدائمة التي لا موت فيها ويقال ان الروح برد النسيم فتستريح
اليه النفس والريحان هو الريحان المشموم يلقى بريحان الجنة قبل ان يفارق الدنيا وقوله
تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين معناه واما ان كان هذا المحتضر من جملة عامة المؤمنين
دون النبيين والصديقين فسلام لك ايها الانسان الذي من اصحاب اليمين من عذاب الله تعالى
وسلمت عليك ملائكة الله تعالى ويقال في معناه سلمت مما تكره لانك من اصحاب اليمين ويقال
معناه امان لك يا محمد صلى الله عليه وسلم الا تعذبوا ويقال سلام لك منهم في الجنة لانهم يكونون
معك ويقال ان دخول كاف الخطاب كدخولها في ناهيك به شرفا وحسبك به كرما
اي لا تطلب زيادة على حالة لجلالة فكذلك سلام لك منهم اي لا تطلب زيادة على حالهم
جلالة وعظم منزلة واما ان كان هذا المحتضر من المكذبين بالرسل والكتب الذاهبين عن الحق
فغذاؤهم من حميم والا مر جحيم يحرقون بها ان جميع ما سبق في هذه السورة ليقين حق اليقين والمعنى
هو حق اليقين لا شك فيه كما يقال ان بدلهوا العالم حق العالم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الواقعة في كل يوم لم تصبه فاقة وعن
ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الواقعة لم يكتب من
الغافلين ٥ **سورة الحديد مدنية وهي عشرون وتسع ايات**
عند العراقيين وثمان عند الحجازيين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
معناه نزه وخضع وصلى لله ما في السموات من الملائكة وما في الارض من الخلائق وهو العزيز
لا يعجزه شيء وهو العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في امره وقضائه له ملك السموات والارض
من المطر والنبات وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد يحيي للبعث ويميت عند انقضاء الاجال وهو على
كل شيء من الاحياء والاماتة قادر وهو الاول بلا ابتداء والاخر بلا انتهاء يزيد قدرها بكل شيء
وهو الدائم الباقي بعد فناء كل شيء وهو الظاهر اي الغالب ومنه قوله تعالى فاصبحوا
ظاهرين ويقال الظاهر الاسم على كل شيء كذا وهو الباطن الذي لا يدرك بالحواس ولا يقاس
بالناس ويقال هو الظاهر بدلائله والباطن باحساس خلقه ويقال ظاهرها العالم بما ظهر من قولهم
ظهرت على امر كذا وهو العالم من قولهم فلان يبطن امر فلان اي يعلم ذلك وهو بكل شيء
من الظاهر والباطن عليم ويقال في معنى التسبيح انك في السموات والارض مما فيه اثار
صنع الله تعالى دليل على وحدانيته الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به لكي لا ينقصه
تسبحا له والله تعالى يعلم ذلك كله **قوله عز وجل هو الذي خلق السموات**

والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ٥ معناه خلق السموات والارض شيئا بعد شيء في ستة ايام من يوم الاحد الى يوم الجمعة مصلحة للملائكة ليعتبروا او يستدلوا بحدوثها على وحدانية الله تعالى فلو شاء لخلقها في لحظة وقوله تعالى ثم استوى على العرش اي دفعه الى فوق السماء وهو مستو عليه كما قال على السرير من جهته ليتصدر العباد منشأ التدبير كما بينا تدبير الملك من سرير الملك وحرف ثم هاهنا للترادف في الاخبار دون الحال كما في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا فان معناه نحن اعلم لان علم الله بالاشياء لا يترتب على وجودها قال الشاعر

ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

واما فائدة تخصيص العرش بالاستلاء عليه فلتعظيم شانه وتفخيم امره كقوله تعالى محمد رسول الله وقوله وان المساجد لله وسئل جعفر بن محمد الصادق عن هذه الاية فقال ليس العلم بمجهول ولا مشغول ولا مقهور ولم يزد على هذا ثم سئل عن هذا مرة اخرى فقال ليس من شيء ولا في شيء ولا على شيء لانه لو كان من شيء لكان مصنوعا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان على شيء لكان محمولا تعالى الله عن ذلك كله وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية من الايات المتشابهات التي لا يعلم تاويلها الا الله تعالى كما اخبر به في قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب الى اخر الاية في قوله الراسخون في العلم امنا به كل من عند ربنا كلام من يومن به على الجملة من غير ذكر التفصيل فان قيل كيف يجوز ان ينزل الله تعالى اشياء في القران لا يقف احد على المراد به فان ذلك يكون عبثا قيل ان الله تعالى تعبدنا بكثير من الافعال لا نعقل معناها كصعود الصفا والمروة والسعي بينهما ورمي الجمار ونحو ذلك وكذلك يجوز ان يتعبدنا بلفظ لا نعقل معناه كما تعبدنا بتلاوة كثير من الايات قد نسخ حكمها ولا يجوز العمل بها مثل اية الوصية للوالدين والاقربين ونحوها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها معناه يعلم ما يدخل فيها فيستتر كما يعلم ما يخرج منها فيظهر ويعلم ما ينزل من السماء من ملك ورزق ومطر وما يصعد اليها من الملائكة واعمال العباد وهو معكم اي عالم بكم وبافعالكم واقوالكم وعزائمكم في اي موضع كنتم وفي هذا تنبيه للعباد على كمال علم الله تعالى وفي قوله تعالى والله بما تعملون بصير تحذير لهم من المعاصي وفي قوله تعالى له ملك السموات والارض تنبيه على انه تعالى كان ملكا وما زال كما هو لم يكن لاحد ملك ولا ملك وتعود الامور اليه الى حيث لا يكون لاحد ملك ولا ملك وقوله تعالى يولج الليل في النهار معناه ياتي باحدهما ويذهب بالاخر ويقال يزيد من ساعات الليل في ساعات النهار ومن ساعات النهار في ساعات الليل وهو عالم بالضمائر والسرائر

قوله عز وجل امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ٥ معناه صدقوا بالله وبجميع صفاته بانه خالقكم والهكم وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه صادق فيما يؤديه اليكم وانفقوا في الجهاد ومواساة الضعفاء وغير ذلك من سبيل الخير من الاموال التي جعلكم الله مستخلفين فيها بان ورثكموها ممن كان قبلكم ويقال ان الاموال التي في الدنيا لا تخلو اما ان تكون قد صارت الينا من غيرنا فنحن خلفاؤهم فيها او يصير منا الى غيرنا فنحن خلفاؤهم في حفظها لهم وفي قوله تعالى فالذين امنوا منكم وانفقوا وعد من الله تعالى لنا بالثواب العظيم في الاخرة على انفاق الاموال التي هي عارية في ايدينا وقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله معناه واي شيء لكم في ترك الايمان وما يقربكم الى الله تعالى بعد قيام الحجة عليكم على وحدانية الله تعالى وتمام علمه وكمال ملكه وعلى انكم ترجعون اليه في يوم الجزاء اي عذر يمنعكم عن الايمان والرسول يدعوكم لتفرقوا وتصدقوا بربكم وقد اخذ الله تعالى عليكم ميثاقكم بحجج العقل والسمع ان كنتم مصدقين كما تزعمون

قوله عز وجل هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرءوف رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ٥ معناه هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القران ليخرجكم به من ظلمات الكفر الى نور الايمان ومن ظلمات الجهل الى نور العلم وان الله بكم لواسع الرحمة رحيم بالتائبين واي شيء لكم في ترك الانفاق في نصرة الاسلام ومواساة الفقراء وانتم ميتون تاركون اموالكم والله تعالى يرثكم ويرث ما في السموات والارض يميت من فيهما ويرث ما عليهما وسمى ذلك ميراثا لان العرب تعقل ما تركه الميت للحي ميراثا فخوطبوا بما يعرفونه فيما بينهم ثم بين الله تعالى كيف يتفاضل الناس في الانفاق في طاعة الله تعالى وفي الاعمال الصالحة فقال تعالى لا يستوي منكم اي لا يستوي من انفق الاموال قبل فتح مكة وقاتل قبل فتحها اولئك اعظم درجة واكثر ثوابا عند الله من الذين انفقوا من بعد فتح مكة وقاتلوا بعده واختلفوا في المراد بالفتح في هذه الاية فذهب بعضهم الى ما ذكرنا وهو الاظهر على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح وذهب بعضهم الى انه فتح الحديبية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية بذلك فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح هو قال نعم وانما فضل الله تعالى المنفقين والمقاتلين من قبل الفتح لان الانفاق والقتال في ذلك الوقت كان اشد على النفوس وكانت الحاجة اليها اشد لقلة المسلمين وضعفهم وكثرة الكفار وشوكتهم مع شدة المحنة على المسلمين كما قال الله تعالى في المهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وقال عز من قائل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار مما يدل على ان فعلهم كان ابلغ في هذا الباب من فعل من بعدهم لان فعلهم كان كالمستجلب الايمان من بعدهم الا ترى ان غير النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوم مقامه [illegible] ابدا [illegible] تعالى وكلا وعد الله الحسنى وهو الجنة الا انهم متفاوتون في الدرجات [illegible] الطاعات والله تعالى عالم بما عمله وبما يعمله كل منهم [illegible] التصدق في فقراء المسلمين

قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ٥ [illegible] الانفاق في طاعة الله تعالى بالقرض في بذل [illegible] صاحبه وانما سمي هذا الانفاق قرضا لتكون ادعى الى التصدق واللطف في الاستدعاء اليه ولتكون قلب المتصدق اسكن الى رد البدل عليه والقرض الحسن ان يتصدق بالجود مما عليه او يبذل الواجب من غير ان ينقص من مقداره او صفته او يمن على الفقير او يؤذيه كما اخبر الله

تعالى في قوله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وفي
قوله تعالى فيضاعفه له قراتان من قرا برفع الفا فهو على العطف على يقرض او على الاستيناف
على معنى فهو يضاعفه ومن قرا بنصب الفا فهو على جواب الاستفهام بالفا ومعنى المضاعفة
ان يضاعف له في المقدار الى عشرة او الى ما شا الله من الاضعاف وان يضاعف له في الصفة
ان يزد عليه على وجه يبقى ولا يفنى والاجر الكريم هو الذي يقع به النفع العظيم وقد يسمى
الفعل الحسن قرضا يقول العرب لكل من فعل بكان احدهم جزا قد احسنت قرضي وقد
اقرضتني قرضا حسنا ومن ذلك قولهم في الايادي قروض قال لبيد
واذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى ليس الجمل يقول اذا اسدى اليك فكافى
به وقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات معناه اذكر يوم تراهم ويجوز ان يكون انتصاب
اليوم على معنى له اجر عظيم في اليوم واما النور الذي يسعى بين ايديهم فهو نور ايمانهم وطاعاتهم
يظهر لهم فيمشون فيه ويظهر لهم من كتبهم التي يعطونها بايمانهم نور يكون ذلك دليلا لهم
على الصراط الى الجنة ونور كل واحد منهم في العظم والصغر على قدر عمله وثوابه وتقول
لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار اي تجري من تحت شجرها وغرفها
انهار الخمر والعسل والما واللبن مقيمين دائمين في الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ثم ذكر الله
تعالى حال المنافقين فقال عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين
امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله
الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم
وبئس المصير معناه احذروا يوم يقول المنافقون للمؤمنين المخلصين انظرونا اي انتظرونا
نستضي بنوركم فنمضي معكم على الصراط قال الحسن رضي الله عنه وذلك ان زمرة
من المؤمنين يمضون ووجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة اخرى ووجوههم كاضوا
كوكب في السما ثم يغشى المنافقين ظلمة تطفي نورهم حتى انهم لا يكادون يبصرون موضع اقدامهم
فينادون المؤمنين انظرونا فيقول لهم المؤمنون ارجعوا الى الموضع الذي اعطينا النور فيه فاطلبوا
نورا فلا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون ويقال في معنى
ارجعوا وراكم يقول لهم الملائكة ارجعوا الى الدنيا فاطلبوا نورا فان المؤمنين حملوا النور من
الدنيا بايمانهم وطاعاتهم يقول الله عز وجل فضرب بينهم بسور اي بين المؤمنين والمنافقين بحائط
كبير يقال له السور الذي يكون عليه اصحاب الاعراف له اي للسور باب باطنه فيه الرحمة
على اهل الجنة وما يلي المنافقين منه ياتيهم من قبله العذاب وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالسور
هاهنا الحجاب اي حيل بينهم وبين المؤمنين وحجبوا عن طلبتهم كما يقول القائل بيني وبينك حجاب اذا
تبرا منه ويقال باب من العلم وباب من الامر وعن الحسن رضي الله عنه انه قال والله ما هو
باب منصوب ولكن فصل الله ما بين الجنة والنار وعن كعب الاحبار رضي الله عنه انه كان
يقول انه باب الرحمة الذي في بيت المقدس وقوله تعالى ينادونهم اي المنافقون ينادون
المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا على دينكم قالوا بلى ولكنكم اي فتنتم انفسكم في الفتنة
بكفر السر وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وشككتم في الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم وغركم ما كنتم تتمنون من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهلاك الاسلام حتى جا

الموت والبعث

الموت والبعث وغركم عن طاعة الله تعالى الشيطان الغرور بالله تعالى بان زين لكم الاباطيل
والغرور من اسما المبالغة كالاكول والشروب واما الغرور بضم الغين فهو الاطماع فيما لا يطمع
فيه قال السدي رضي الله عنه وهو قول الرجل سوف اتوب سوف اتوب والفدية والفدا
بمعنى واحد وقوله تعالى ولا من الذين كفروا اي لا يقبل منكم ذلك ولا من الذين كانوا يظهرون
الكفر وقوله تعالى هي مولاكم كناية عن النار اي هي اولى بكم وانتم اولى بها بما اسلفتم من
الذنوب ومنه المولى لانه اولى بعبده من غيره قوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون معناه اما حان للذين يتكلمون بكلمة الايمان اذا سمعوا
القران وسائر الحق ان تخشع قلوبهم او ما بلغ لهم ذلك الوقت بعد وهذا هو الغاية في التلطف والاستـ
الى لين القلب وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا
الله تعالى بهذه الاية الا اربع سنين وقوله تعالى ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب زيادة في
وعظ المؤمنين معناه والا يكونوا في قساوة القلوب كالذين اعطوا العلم بالتورية والانجيل من
قبل المؤمنين فطالت عليهم المدة في الدنيا فلم تلن قلوبهم عند سماع كلام الله تعالى وكثير
منهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله تعالى وانما قال كثير لانه كان منهم من اسلم ومنهم
من لم تبلغه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون قوله تعالى ولا يكونوا الجزم
على النهي في الابد بل ان كثرة المعاصي والفها تقسي القلوب وتبعد من التوبة ونظيره
الاية قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قوله عز وجل اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات
واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم في اول هذه الايات تنبيه على الاستدلال باحيا الله تعالى الارض بعد موتها
على البعث والنشور وفي المصدقين والمصدقات قراتان من قرا بتشديد الصاد فهم المتصدقون
من الصدقة ادغمت التا في الصاد ومن قرا بتخفيف الصاد وتشديد الدال فهو من التصديق
اي الذين صدقوا بالله ورسله واما الصديق فهو المبالغ في الصدق والتصديق وفي قوله
تعالى والشهداء عند ربهم معناه ان احدهما ان يكون ذلك معطوفا كما روي عن البراء بن عازب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مؤمن شهيد وتلا هذه الاية ومعنى الشهيد
على هذا القول ما روي في الحديث المؤمنون شهدا الله تعالى في ارضه والثاني ان ابتدا
كلام وخبره لهم اجرهم ونورهم وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والشهدا على
هذا القول يحتمل وجهين احدهما الانبيا صلوات الله عليهم الذين يشهدون يوم القيامة لمن
صدق بالتصديق وعلى من كذب بالتكذيب والاخر الشهدا الذين قتلوا في سبيل الله قوله
عز وجل اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
معناه اعلموا انما الحيوة الدنيا كاللعب واللهو في سرعة فنائها وانقضائها وكميل الطباع
اليها في ان الانسان لا يبالي لمراده منها وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم الطواف بالبيت
صلاة الا ان الله تعالى اباح فيه الكلام معناه انه كالصلاة ويقال فلان زاهد اي كالبحر في السخا

وفلان اسد اى كالاسد فى الشجاعة وذهب بعضهم فى معنى هذه الاية الى ان اكثر اعمال
الدنيا لما كان لعبا ولهوا خرج اللفظ مخرج الاعم الاغلب وان كان الله تعالى انما خلق
هذه الدنيا حكمة وصوابا وجعلها دارا يستحقون فيها الجزاء على اعمالهم التى يعملونها فيها واما
الزينة فمعناها المنظر الحسن واما التفاخر فهو ما يفخر بعضهم على بعض فى الحسب والنسب والتكاثر
تفاعل من الكثرة فى المال والولد وقوله تعالى كمثل غيث تشبيه الدنيا فى الذهاب
والزوال بنبات نبت عن غيث والغيث هو المطر وقوله تعالى اعجب الكفار نباته يجوز ان
يكون معنى الكفار الزراع فان الكفر فى اللغة هو التغطية ويسمى الكافر كافرا لانه يغطى
الحق بالباطل والزراع يغطى الحب بالارض ويجوز ان يكون المراد به الكفرة لانهم اشد اعجابا
بزينة الدنيا من المؤمنين وقوله تعالى ثم يهيج معناه ان ما ينبت بذلك المطر ياخذ فى الجفاف
فيسمع له بما بداخله من الريح صوت الهائج فتراه مصفرا بعد ما كان نخضرا ثم يصير حطاما
اى متكسرا متفتتا تحت ارجل الدواب وفى الرياح من الحطم وهو الكسر كذلك الدنيا تزول
وتفنى كما لا يبقى هذا الزرع وفى الاخرة عذاب شديد للكافرين والمنافقين ومغفرة من الله
ورضوان للمؤمنين المطيعين والعذاب والرضوان يدومان لا كامور الدنيا وقوله تعالى
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور زيادة تشبيه للدنيا فى نفادها وفنائها بامتعة البيت فى
سرعة سقوطها وانكسارها وعن على كرم الله وجهه انه كان يقول فى صفة الدنيا اما
ما مضى فحلم واما ما بقى فامانى وغرور وفى الحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن والزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن وما الفقر
اخاف عليكم ولكن اخاف ان تبسط لكم الدنيا كما بسطت لمن كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها
فتهلككم كما اهلكتهم **قوله عز وجل** سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض
السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل
ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا
يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى
الحميد معناه سابقوا الى ما امرتم به من التوبة لتنالوا مغفرة الله وجنة سعتها كسعة السماء
والارض فاذا حملت الاية على هذا التاويل لان المغفرة فعل الله تعالى ولا يمكن المسابقة الى
فعل الله تعالى وكان المراد بالاية السبق الى الجهاد والجمعة والجماعات وسائر اعمال البر
والمسابقة فى اللغة طلب العامل التقدم فى عمله قبل عمل غيره بالاجتهاد فيه كما يجتهد المسابق
لغيره ووجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ان السماء
ها هنا اسم جنس يراد به جميع السموات كما فى قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر فان قيل
كيف يكون عرض الجنة كعرض السموات والارض والجنة فى السماء السابعة كما اخبر الله عنها بقوله
جل جلاله عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى قلنا قد اختلفوا فى هذا فذهب اكثر المفسرين الى ان
الله تعالى يريد فى سعة الجنة فيجعلها كعرض السماء والارض كما يزيد فى سعة جهنم ويقال يخلق الله
تعالى جنانا على هذه الصفة وقوله تعالى اعدت على هذا القول اى اعدت فى حكم الله تعالى للمصدقين
بالله تعالى ورسله صلوات الله عليهم وكان الحسن رضى الله عنه يقول ان الله تعالى يفنى هذه الجنة
التى فى السماء السابعة ثم يخلق جنة اخرى للثواب عرضها كعرض السموات والارض وهذا
قول معترض عليه لان الله تعالى انما خلق الجنان للثواب وما خلق للثواب فلا يجوز عليه الفناء وهو

تعالى جنات كل جنة عرضها السموات والارض وفى بعض الكتب ان الذى يصيب كل واحد
من اهل الجنة جنة يكون على هذه الصفة وفى الاية تسميه الثواب فضلا لان الله تعالى كلف عباده
طاعته من دون حاجة له الى عبادتهم لكى يستحقوا جنة الله تعالى فلذلك سميت الجنة فضلا
ولا ينال احد من الناس خيرا من الدنيا والاخرة الا بفضل الله ونعمته ومنته **وقوله** تعالى ما اصاب
من مصيبة معناه ما اصاب احدا مصيبة فى الارض من انواع المكاره ولا فى الانفس من المرض
والموت ونحوهما الا وهو مكتوب فى اللوح المحفوظ من قبل خلق ذلك وتقدير على الله تعالى هين
والبرء فى اللغة هو الخلق والبارى الخالق والبرية الخليقة والفائدة فى كتبة المصائب فى
اللوح المحفوظ انه تعالى لما كتبها الطافا للملائكة لينظروا فيه فاذا اخرج مخبر الله تعالى على وفق
خبره ازدادوا بذلك يقينهم وفى قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
امر بالصبر عند المصائب والشكر عند النعم لان العاقل اذا علم ان الذى فاته كان مكتوبا
عليه دعاه ذلك الى ترك الجزع وكانت نفسه اليه اسكن وقلبه بذلك اطيب واذا علم ان الذى
اتاه من الدنيا كان مكتوبا له قبل ان يصير اليه وان ذلك مما لا يبقى عليه دعاه ذلك الى ترك
البطر وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس احد الا ويفرح ويحزن ولكن المراد بالاية
من اصابته مصيبة جعلها صبرا ومن اصابه خير جعله شكرا وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه
وسلم كتب كتابا الى على رضى الله عنه وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان المرء يسره
درك ما لم يكن ليفوته ويحزنه فوت ما لم يكن ليدركه فان نالك شيء من الدنيا فلا تكثر به فرحا
وان فاتك شيء من الدنيا فلا تكثر به جزعا وليكن فرحك بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك
فى الموت وما بعده والسلام **قال** عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ما انتفعت بشيء بعد كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كانتفاعى بهذا الكتاب وكان الحسن رضى الله عنه
يقول لصاحب المال فيما فى مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما يسلب عنك كله ثم يسال
عن كله وقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور معناه لا توطنوا انفسكم على المباهاة بالمال
والولد فيورثكم ذلك الخيلاء والفخر وقوله تعالى الذين يبخلون معناه الذين يمنعون
عن اداء الحقوق الواجبة فى اموالهم عن المستحقين ويامرون الناس عن اداء تلك الحقوق وهذا
خرج مخرج النعت للمختال الفخور ويقال انها نزلت فى الاحبار اهل الكتاب الذين بخلوا بتعريف
الناس صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى فى التورية والانجيل **وقوله** تعالى ومن يتول اى
يعرض عن الخروج من الحق الواجب عليه فان الله تعالى هو الغنى عنه وعن ايمانه وطاعته وهو
المحمود فى فعاله وانما امرهم باداء الحقوق لدفع ضرره عن نفسه وجر نفعها الى نفسه لا انه يحتاج
الى المنافع والمضار وانما امرهم بذلك لتنبيههم عليه **قوله عز وجل** لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس
شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد ارسلنا
نوحا وابرهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال انزل الله تعالى ادم عليه السلام من
الجنة ومعه الحجر الاسود وكان يومئذ اشد بياضا من الثلج وكان معه عصا موسى عليه
السلام من اس الجنة وانزل معه العلاة والمطرقة والكلبتين ويقال ان المراد بانزال
الحديد انه خلقه الله فى الجبال والمعادن كما فى قوله تعالى وانزل عليكم لباسا يوارى سواتكم
وقوله فيه باس شديد اى قوة شديدة لا يلينه الا النار ويقال يتخذ منه الات الحرب والسلاح

ويقاتل به العدو في طاعة الله تعالى وقوله تعالى وليعلم الله معناه وليرى الله تعالى من ينصر
دينه وينصر رسله بهذا السلاح والله تعالى لم يزل كان عالما من ينصر ومن لا ينصر لان علم الله
تعالى لا يكون حادثا الا ان المراد بالعلم هاهنا الشهادة وهو الاظهار للتمييز فالحق قوله
تعالى ان الله قوي عزيز بيان انه تعالى لم يامر بالجهاد عن ضعف وعجز وانما امر به ليثيب عليه
قوله عز وجل ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون
معنى التقفية اتباع الرسل بعضهم على اثر بعض بعد نوح وابرهيم ومن كان من الرسل من اولادهما
وقوله تعالى وقفينا بعيسى بن مريم اي اتبعنا به واعطيناه الانجيل دفعة واحدة وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه من اليهود وسائر الفرق من يعطف بعضهم على بعض وهم الين قلوبا من
اليهود وسائر الفرق وقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ابتداء كلام
والمعنى ابتدعوا رهبانية اي احدثوها واثبتوها على انفسهم ما فرضناها الا انهم طلبوا بها
رضوان الله تعالى ويقال في معنى هذا ما فرضنا عليهم الا اتباع ما امر الله تعالى به وهذا
كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما اي لا يسمعون لغوا الا
سلاما وقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها اي قصروا فيما الزموا انفسهم ولم يحفظوها
حق الحفظ ويقال في معناه انهم لما لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بعث كانوا تاركين
لطاعة الله غير مراعين لها وقوله تعالى فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم اي اعطينا الذين صدقوا
بها وثبتوا عليها ثوابهم وكثير منهم خالفوا دين عيسى بن مريم عليه السلام فقالوا ابن الله و
نحو من هذا القول فما تركوا به دينه والرهبانية في اللغة خصلة تظهر فيها معنى الرهبة
وذلك اما في لبسه او انفراد عن الجماعة للعبادة وهذا انما نزل في قوم من امة عيسى عليه السلام
لما راوا في ملوكهم المناكير فلم يمكنهم الانكار خرجوا الى الجبال والفلوات وبنوا لانفسهم
الصوامع واعتزلوا عن الناس حتى لا يشاهدوا المناكير فمنهم من ثبت عليها ومنهم من لم يثبت
عليها ويستدل بهذه الآية على ان من شرع في قربة من القرب من صوم او صلاة او حج كان
عليه اتمامها وعليه القضاء اذا افسدها قبل الاتمام لان الله تعالى ذم اهلهم وعابهم على ترك
ما ابتدعوه **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل
الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ۵ معناه يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام اتقوا الله اي
اخشوه وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ارسله كما ارسل من قبله
يؤتكم كفلين من رحمته اي نصيبين من ثوابه وكرامته نصيبا لايمانكم به اليوم ونصيبا
لايمانكم المتقدم بالانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ويجعل لكم نورا قيل انه نور الايمان
في الدنيا يهتدى به الى طاعة الله تعالى وقيل انه النور الذي يعطيهم الله تعالى على الصراط وهو
علامة المؤمنين يوم القيمة كما في قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقوله تعالى ويغفر
لكم معناه يستر ذنوبكم عليكم ولا يفضحكم بها كما فعل بمن انتقم منه وعاقبه والله غفور
لمن تاب رحيم بمن مات على التوبة والكفل في اللغة هو الحظ وهو في الاصل ما يكفله الراكب
من كساء او غيره اذا اردف كي يحفظه في مركبه عن السقوط يقول يحصنكم هذا الكفل من عذاب الله

تعالى كما

تعالى كما يحصن الكفل هذا الراكب من السقوط والغرض من هذه الآية بيان ان من كان على
دين عيسى عليه السلام ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكل الله تعالى يضيع ايمانه بعيسى
عليه السلام لان ثوابه يكون اكثر من ثواب سائر المؤمنين لان كل من آمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم فقد آمن بجميع الانبياء عليهم السلام قبله وقد يكون السهم الواحد ابدا على سهمين
كما ان بعض الواحد قد يزيد على بعضين واورد بعض المفسرين ان هذه الآية انما نزلت في المهاجرين
والانصار حين افتخر عليهم من اسلم من اهل الكتاب فقالوا لهم لنا اجران ولكم اجر واحد
واما قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون فمعناه ليعلم اهل الكتاب انهم لا
يقدرون ان يصرفوا النبوة عن من تفضل الله بها عليه الى غيره وان التوفيق والثواب والكرامة
بتقدير الله تعالى يعطي النبوة من يشاء ممن كان اهلا لها صالحا للقيام بها والله ذو الفضل العظيم
اي ذو المن الجسيم على من اختصه بالنبوة والاسلام والقرآن وذكر الفراء في قوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب ان العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في آخره جحد او في اوله جحد
وهذا مما دخل في آخره الجحد وما دخل في اوله قوله تعالى ما منعك الا تسجد وفي قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه لكي يعلم وهذا تفسير القراءة المعروفة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم **سورة المجادلة مدنية وعدد آياتها عشرون**
واثنتان وعدها المكيون احدى وعشرين آية **بسم الله الرحمن الرحيم**
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله
سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون
منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ۵ روي ان هذه الآيات نزلت في شان
خولة بنت ثعلبة وفي زوجها اوس بن الصامت وكان من الانصار قال لها انت علي كظهر امي
وكانت هذه الكلمة مما يطلق بها اهل الجاهلية فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت
ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني كظهر
امه ثم ندم على قوله وان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما عندي في امرك شيء فقالت زوجي وابن عمي واحب الناس
الي وهو شيخ كبير لا يستطيع ان يخدم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه
فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا فانما قال الكلمة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما امرت في شانك بشيء وان ينزل في شانك شيء ابينه لك فقالت اللهم اني اشكو
اليك شدة وجدي وما يشق علي من فراقه ورفعت يدها الى الله تعالى تدعو وتتضرع اليه فانزل
الله تعالى هذه الآيات فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم مريه فليعتق رقبة فقالت والله ما عنده
ذلك فقال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت انه شيخ كبير ما به من صوم قال مريه فليطعم ستين
مسكينا فقالت والله ما يجد ذلك قال فانا نعينه بعرق من تمر ومعنى الآيات قد سمع الله قول
المراة التي تسائلك وتخاصمك في امر زوجها وترفع الى الله تعالى ما بها من المكروه والله يسمع محاورتكما
ومراجعتكما ان الله سميع لمقالتكما عليم بامرها وامر زوجها فليبين المظاهر وغير المظاهر

الصواب خوفا من ربه ان يراه على ما يكرهه والمجادلة في اللغة مقابلة المعنى بما يدعو الى
خلافه للفتل اليه ولذلك لا تسمى طالب الفائدة مجادلا واصل المجادلة الفتل والاشتكاء
اظهار المكروه الذي به والشكاية اظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاور التراجع
الكلام وقوله تعالى الذين يظهرون منكم معناه الذين يقولون لنسائهم انتن علينا كظهور
امهاتنا في الحرمة وما هن امهاتهم اي كامهاتهم في الحرمة ويجوز ان يكون امهاتهم في موضع نصب
في لغة اهل الحجاز لانهم ينصبون خبر ما كما في قوله تعالى ما هذا بشرا ويقرا امهاتهم بالرفع
كما يقال ما زيد عالم والظهار اسم شرعي فيه معنى اللغة يقال ظاهر من امراته يظاهر وتظاهر
منها واظهر واظاهر كل ذلك بمعنى واحد وقيل ذلك ماخوذ من الظهر الذي هو عضو من الجسد
وقيل ان اصل المظاهرة ان يعرض عنها ويديره ويوليها ظهره وقوله تعالى وانهم ليقولون منكرا
اي قبيحا من القول حيث شبه المراة التي هي في غاية الاباحة بما هو غاية في الحرمة وهو ظهر
وان الله لكثير العفو عن ذنوب عباده كثير الستر عليهم ثم بين الله تعالى كفارة الظهار بقوله
تعالى والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا معناه والذين يحرمون نساءهم بالظهار
ثم يعودون لما حرموا فيستبيحونه فعليهم الكفارة عتق رقبة من قبل ان يجامعها ذلكم توعظون
به في حكم الله تعالى والله بما تعملون خبير في الظهار من الكفارة عالم وقد اختلف السلف في معنى العود
المذكور في هذه الاية ذهب اصحاب الظاهر الى ان المراد به اعادة كلمة الظهار كما في قوله
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذا قول مخالف لقول اهل العلم وقد اوجب صلى الله
عليه وسلم الكفارة على اوس حين ظاهر من امراته ولم يسال انه كرر لفظ الظهار ام لا وذكر
بعض المفسرين في هذه الاية ان معنى العود في هذه الاية ان يفعل كهذا الظهار عودا الى عادتهم التي كانت
لهم في الجاهلية كانه قال ويصيرون الى حال الظهار التي كان يكون مثلها في الجاهلية وهذا
كما في قوله تعالى في اية الربا ومن عاد فاولئك اصحاب النار وكما قال في اية الصيد ومن عاد فينتقم
الله منه قالوا وحرف ثم في هذه الاية بمعنى الواو كقوله فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
معناه والله شهيد على فعالهم وهذا القول يقتضي ان الكفارة تجب بنفس الظهار ولا قائل به
اليوم وذهب مالك الى ان العود هو العزم على الوطي قال واذا عزم على وطيها بعد الظهار
فعليه الكفارة سواء امسكها او ابانها او عاشت او ماتت وقال الشافعي العود ها هنا
هو الامساك على النكاح اذا امسكها عقيب الظهار ولم يطلقها فعليه الكفارة ولا يسقط
عنه تلك الكفارة وان ابانها بعد ذلك والذي ذهب اليه اصحابنا رحمهم الله ان معنى العود
ان يعود للمقول فيه فيستبيح ما حرمه بالظهار وقد يذكر المصدر ويراد به المفعول وهذا كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه وانما هو عائد في الموهوب
ويقال اللهم انت رجاونا اي مرجونا وقال عز من قائل حتى ياتيك اليقين اي الموقن به والعود
في الشيء هو فعل ما ينافيه نقض ذلك الشيء وحروف الصفات يقام بعضها مقام بعض كما قال تعالى
ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل فيكون المعنى ثم يعودون فيما قالوا والامساك
على النكاح عقب الظهار لا يكون عودا على وجه التراخي ولا ينافي لفظ الظهار فان الظهار
لا يوجب تحريم العقد حتى يكون امساكها على النكاح عودا وفي حديث سلمة بن صخر انه لما جاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ظاهرت من امراتي فرايتها في ليلة قمراء فاعجبتني فواقعتها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم استغفر الله تعالى ولا تعد حتى تكفر فيه دليل على ان الظهار يوجب تحريم
المراة موقتا بالتكفير وان الكفارة انما يحتاج اليها لرفع الحرمة في المستقبل كما في قوله تعالى

في هذه

في هذه السورة اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة وهذا قال اصحابنا اذا
قصد ان يستبيحها ثم ابانها سقطت عنه الكفارة وفي قوله تعالى يظاهرون من نسائهم
دليل ان الظهار لا يكون في الاماء الا ان يكن زوجات فظاهر منهن او وجهين لان اطلاق
لفظ النساء ينصرف الى الحرائر كما في قوله تعالى او نسائهن او ما ملكت ايمانهن وقد ينصرف
الى الزوجات كما في قوله تعالى وامهات نسائكم وفي قوله تعالى من قبل ان يتماسا دليل ان
هذه الكفارة انما شرعت لرفع الحرمة في المستقبل وفيه دليل تحريم التقبيل واللمس قبل التكفير
لان قوله تعالى من قبل ان يتماسا يتناول جميع ضروب المسيس وفي قوله تعالى فتحرير رقبة دليل
جواز اعتاق الرقبة الكافرة في الظهار والاختلاف في هذا كالاختلاف في الرقبة الكافرة
في كفارة اليمين لان ذكر الرقبة مطلق في هاتين الايتين بخلاف الرقبة في كفارة القتل
والاصل في الظهار انه اذا ذكر من المراة ما يجمعها مثل الراس والرقبة والجسد والبدن ونحوها
وشبهها بما يحرم من الام او من ذات محرم اخرى منه مثل البطن والظهر والفرج والفخذ كان
مظاهرا وان قال انت علي كيد امي او رجلها او قال يدك علي او شعرك على كظهر امي كان
بالطلاق وقال مالك يصح الظهار بالتشبيه بالاجنبية وقال الشعبي لا يصح الا بالام وقال
الشافعي اذا قال يدك ... قال كيد امي فهو ظهار وكان سفيان الثوري يقول ان الايلاء
يدخل على الظهار اذا امتنع المظاهر من وطيها صار موليا وان لم يحلف وقال مالك لا يدخل
الا ان يريد ان يضارها بذلك والاصل عند اصحابنا ان المنصوصات لا يقاس بعضها على
بعض بل يجري كل واحد منها على بابه فلا يجوز اثبات حكم الطلاق في الظهار وحكم المولي لا يختلف
بين ان يقصد الضرار او لا يقصد الضرار واما قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين فمعناه فمن
لم يجد من المظاهرين الرقبة ولا قيمتها فعليه ان يصوم شهرين متتابعين قبل المسيس وهذا يقتضي
انه اذا افطر فيهما يوما لمرض او غيره كان عليه استقبال الصوم وكذلك اذا قدر على الرقبة
في خلال الصوم ولم يعتقها حتى عجز عنها كان عليه استقبال الصوم واما اذا مسها قبل انقضاء
الصوم للشهرين فعليه الاستقبال ايضا في قول ابي حنيفة ومحمد سواء كان المسيس بالليالي
او بالنهار وقال ابو يوسف اذا مسها بالليل عامدا او بالنهار ناسيا لم يستقبل واما قوله
تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فمعناه انه اذا عجز عن الصوم لكبر او مرض فكفارته
ان يطعم ستين مسكينا والاطعام عندنا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع كامل من
شعير او صاع من تمر وقال الشافعي لكل مسكين مد من قوت بلده اي طعام كان والاختلاف
في المقدار في هذا مثل الاختلاف في كفارة اليمين وان مسها المظاهر بعد ما اطعم بعض الطعام
لم يستقبل الاطعام لانه ليس في ذكر الاطعام في هذه الاية من قبل ان يتماسا الا انا انما كنا
نامره بالاطعام قبل المسيس لانا لو لم نامره بذلك لم يومن ان يمسها فيقدر على العتق قبل الاطعام
او يقدر على الصوم قبل الاطعام فيحصل العتق والصوم بعد المسيس وذلك خلاف ما اوجبه الله تعالى
وقوله تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله معناه ذلك الذي امركم الله تعالى به لتستديموا
الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وتصدقوا ان الله تعالى امر بذلك وهذا
كله رحمة من الله تعالى على هذه المراة التي كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها
وعلى غيرها من النساء بالتوسعة من جهة الكفارة التي يحللن بها وقوله تعالى وتلك حدود الله
معناه ان التي شرعها الله تعالى في الظهار احكام الله تعالى وفرائضه وللجاحدين بحدود الله
تعالى عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله

كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ٥ معناه ان الذين يخالفون الله ورسوله في الدين ويصيرون في حد غير الحد الذي هم فيه او لياء الله تعالى اذلوا واخزوا بالعذاب كما اذل الذين من قبل اهل مكة من الذين خالفوا الانبياء صلوات الله عليهم والكبت في اللغة الكب على الوجه ومنه كبت الله عدوك وقيل معناه كبدوا اي ضربوا على اكبادهم فقلبت الدال تاء وقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا نصب على الظرف من قوله تعالى عذاب مهين وقوله تعالى فينبئهم اي يخبرهم في الآخرة بما عملوا في الدنيا ويجزيهم جزاهم حفظ الله تعالى عليهم اعمالهم وان كانوا هم قد نسوها والله تعالى عليم بما يجب لهم وعليهم **قوله عز وجل** الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم ٥ نزلت هذه الاية في اليهود والمنافقين لما اعياهم الاسلام وظهوره جعلوا يتناجون فيما بينهم فيوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم وكانوا اذا خرجت سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا رجلا ممن خرج له في السرية صديق او حميم تناجوا فيما بينهم ليظن الرجل انه حدث بصاحبه حدث فيحزن لذلك ومعنى الاية الم تعلم ان الله يعلم كل ما في السموات وكل ما في الارض مما ظهر للعباد ومما بطن وانما حملت الرؤية هاهنا على العلم لان علم الله تعالى لا يصح ان يرى بالبصر وانما يعلم ذلك بدليل افعاله المحكمة التي تجري على ما يدل ان عالما دبر ذلك نحو مسير الشمس والقمر ومجيء الليل والنهار والحر والبرد وحدوث الزرع والثمار وسائر صنوف الاشجار وهذا يقتضي انه عالم بكل نجوى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وفي قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم دليل ان المراد به انه عالم بهم وبمناجاتهم لانه تعالى لا يوصف ان يكون في مكان دون مكان وقوله تعالى ولا ادنى من ذلك اي ولا اقل من الثلثة ولا اكثر من الخمسة الا وهو عالم بهم وقادر عليهم في اي موضع كانوا ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيمة عند الجزاء والحساب ان الله بكل شيء من اعمالهم عالم والنجوى مشتق من النجوة وهو ما ارتفع من الارض والقوم الذين يتناجون يتخالون بما يريدون تناجيه من الارض **قوله عز وجل** الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ٥ وذلك انهم لما نهوا عن النجوى في الاية المتقدمة عادوا اليها مغايظة لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغلوا بها قلوبهم فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها الم تر الى هؤلاء الذين نهاهم الله عن مناجاة بعضهم بعضا دون المؤمنين المخلصين ثم يرجعون الى ما نهوا عنه من النجوى ويتشاورون فيما بينهم بالكذب والاعتداء ويوصي بعضهم بعضا بمخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم واذا جاءوك يا محمد سلموا عليك بما لم يسلم به الله عليك وذلك ان قوما من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال عليه السلام عليكم وكانت عائشة رضي الله عنها من وراء الستر فلعنتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة فقالت اما سمعت ما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم اما سمعت كيف اجبتهم وفي حديث اخر اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت والسام هو الموت من سئم الحيوة ويقال انهم كانوا

يريدون

يريدون بقولهم سام عليكم تسامون عن دينكم فتملونه وتدعونه وكانوا يقولون في انفسهم لولا ينزل الله تعالى بنا العذاب بما نقول لنبيه صلى الله عليه وسلم ان كان نبيا كما يزعم يقول الله تعالى حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عذابا باطريدخلونها ويقاسون حرها فبئس المرجع يرجعون اليه ووعدهم الله تعالى الخزي في الدنيا كما قال تعالى كبتوا كما كبت الذين من قبلهم ووعد اظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار المسلمين على جميع الملل كما بين في اخر هذه السورة فصدق الله تعالى وعده واظهر دينه وكبت عدوه **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٥ معناه اذا تناجيتم ايها المؤمنون للسر فيما بينكم فلا تتناجوا بالمعصية والظلم ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا كاليهود والمنافقين وتناجوا فيما بينكم بفعل ما امركم به وترك ما نهيتم عنه واتقوا عذاب الله تعالى الذي اليه ترجعون في الآخرة انما نجوى اليهود والمنافقين من اعمال الشيطان ووساوسه ليحزن بها الشيطان المؤمنين المخلصين ويقرأ ليحزن بضم الياء وهما لغتان يقال حزنه واحزنه وقوله تعالى وليس بضارهم شيئا اي ليس يضر تناجيهم المؤمنين المخلصين شيئا الا بعلم الله وتمكينه وقضائه وعلى المؤمنين ان يتكلوا امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان الرجيم وفي حرف ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا والتناجي التفاعل والانتجاء الافتعال **قوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ٥ قال قتادة كان المسلمون يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لهم تفسحوا اي توسعوا في المجلس وهذا امر بالتادب كيلا يؤذي احد جليسه بفعل الزحام وليلا يكون غرضهم الا التواضع لله تعالى وللدين وقوله تعالى فافسحوا اي وسعوا على من يريد حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع كلامه ليشتركوا في سماع الدين منه يفسح الله تعالى لكم اي يوسع مجالسكم في الجنة واذا قيل انشزوا اي انهضوا الى الصلوة او امر بمعروف او تفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا ويقال في معناه واذا قيل لكم اخرجوا الى الجهاد فاخرجوا يرفع الله تعالى درجاتكم في الجنة ويرفع الذين اوتوا العلم درجات فوق درجات الذين اكرموا بالايمان بغير علم وهذا وعدهم بالرفعة في الاخرة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء والطير في جو السماء وفضل العالم على الذي ليس بعالم سبعون درجة الله اعلم ما بين كل درجتين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضلي على سائر امتي وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بالعالم والعابد يوم القيمة والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة ويحبس الفقيه فيقول لهم احبستموني فيقال له اشفع وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بقوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات رفعة اهل العلم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر المجالس اذا كان العالم جالسا دون الصف الاول يقال له ارتفع لان اهل العلم احق بالرفعة من غيرهم كما روي ان نفرا من اهل بدر جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان جالسا في صفة ضيقة في يوم الجمعة فيما بين الناس فلم يجد هؤلاء النفر مكانا يجلسون فيه فقاموا على راس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من اهل بدر

يا فلان قم من مكانك ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من أهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر وكان يرفع مجلس أهل العلم على غيرهم ليبين للناس فضلهم ومنزلتهم عنده وكذلك يجب أن يفعل بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فرتب أولي الأحلام والنهى في أعلى المراتب وجعلهم في المرتبة التي تلي النبوة ولا تنافي بين هذا القول وبين القول الأول لأنه لا شبهة في أن العالم هو المقتدى به فيما يأتي ويذر ويتعلم من كيفية التحرز ومحاسبة النفس وكيفية الخشوع والتضرع في العبادة وأحكامها وصفاتها ما لا يعلمه غيره لكنه كما يكون منزلته في ثواب الطاعات أعظم فكذلك يعظم عقابه فيما يأتيه من الذنوب بسبب علمه حتى قالوا إن كثيرا من صغائر غيره يكون كبيرا في حقه وبالله التوفيق والعصمة

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ه وذلك أن الأغنياء كانوا يستخلون بالنبي صلى الله عليه وسلم فيناجونه فيما يريدون ويلحون عليه بالحاجات والمسائل ويشغلون بذلك أوقاته التي كانت مستغرقة بالعبادة والإبلاغ إلى الأمة وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي صلى الله عليه وسلم تمكن الأغنياء منه فأمر الله تعالى الناس بتقديم الصدقة على نجواهم مع النبي صلى الله عليه وسلم إعظاما له وتوفيرا لمقام مناجاته ونفعا للفقراء بتلك الصدقة وتبيان ذلك خبرهم من الكف عن الصدقة وإصلاح لقلوبهم وقلوب الفقراء وترخص لمن لا يجد ما يتصدق به أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم بما شاء من غير صدقة فلما علم الله تعالى ضيق صدور كثير منهم من ذلك في المستقبل لو دام ذلك الوجوب عليهم نسخ ذلك الحكم بقوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم معناه أبخلتم يا أهل الميسرة وثقل عليكم تقديم الصدقة بين يدي نجواكم مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذ لم تفعلوا وخفف الله تعالى عليكم بإسقاط تلك الصدقة عنكم فدوموا على إقامة الصلوة المكتوبة وإعطاء الزكوة المفروضة وأطيعوا الله تعالى في الفرائض والرسول صلى الله عليه وسلم في السنن والله تعالى عالم بما تعملون من الخير والشر وعن علي كرم الله وجهه أنه قال إن في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية النجوى كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم لعشر كلمات كنت أريد أن أناجي بها النبي صلى الله عليه وسلم فقدمت هذه الصدقات بين يدي نجواي فإن قيل ما وجه اتصال هذه الآية الثانية بالآية المتقدمة وكيف يجوز أن يكون النسخ متصلا بالإيجاب قلنا كان هذا الإيجاب ابتلاء من الله لعباده وإظهارا لبخل المنافقين الذين كانوا يسارعون إلى مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يشرع تقديم الصدقة على نجواه وليس لأحد اعتراض على الله تعالى فيما يفعله واتصالها بين الآيتين لا يدل على اتصال النسخ بالإيجاب فإن الاعتداد بأربعة أشهر وعشر في عدة الوفاة مذكور في كتاب الله تعالى في التلاوة قبل الاعتداد بالحول وذلك لا يدل على أن نزول الآيتين كان على نظم التلاوة

قوله عز وجل ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم

عذاب

عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ه نزلت هذه الآيات في قوم من المنافقين كانوا يتولون اليهود مغايظة للمؤمنين ولم يكونوا من اليهود ولا من المؤمنين ولكن كانوا يحلفون للمؤمنين بأنا مؤمنون مصدقون في إيماننا وهم يعلمون أنهم كاذبون في حلفهم أعد الله لهم أي خلق الله وهيأ لهم غدا عذابا شديدا في قبورهم إنهم بئس ما كانوا يعملون في دار الدنيا من موالاة اليهود وكتمان الكفر في الحلف الكاذب مع العلم به اتخذوا أيمانهم الكاذبة ترسا من القتل وجعلوها عدة ليدفعوا بها عن أنفسهم التهمة فصرفوا الناس عن ذكر الله ودينه وطاعته بإلقاء الشبهة عليهم في السر فلهم عذاب مهين يهينهم في الآخرة والإهانة الاستخفاف من أجل الإساءة ونقيضه الإكرام وهو الإعظام من أجل الإحسان واتخاذ اليمين جنة لا ينفع عند من يعلم الخفايا والسرائر وقوله تعالى لن تغني عنهم معناه لن تدفع عنهم كثرة أموالهم ولا كثرة أولادهم من عذاب الله تعالى شيئا يقال أغنى عنه يغني إذا دفع عنه دفعا يستغني به واليوم من قوله تعالى يوم يبعثهم الله نصب على الظرف من قوله تعالى أولئك أصحاب النار وقوله تعالى فيحلفون له معناه يحلفون لله يومئذ أنهم كانوا مخلصين في دار الدنيا ويحسبون يومئذ أنهم على شيء وينال ويحسبون في دار الدنيا أنهم على صواب ألا إنهم هم الكاذبون عند الله تعالى في حلفهم فإن قيل كيف يجوز أن يكذبوا يوم القيامة ويحلفون على الكذب وهم ملجؤون إلى معرفة الحق ومعرفة قبح الكذب قلنا قد اختلفوا في هذا قال بعضهم لا يحلفون عنادا أو جهلا كما يحلفون في الدنيا عنادا أو جهلا وعن الحسن أنه قال إن في القيامة مواطن يكون الكفار والمنافقون في بعضها مدهوشين يصدقون ويكذبون ويحلفون صادقين ويحلفون كاذبين بمنزلة الصبيان في دار الدنيا ثم يرجع إليهم نفوسهم في غير تلك المواطن فيصدقون ولا يكذبون ولا يحلفون على الكذب وقوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان معناه غلب واستولى عليهم وشغلهم عن ذكر الله تعالى وطاعته حتى تركوه وصاروا إلى الخسران أولئك حزب الشيطان أي جند الشيطان والحزب في اللغة الجماعة ومنه تحزب القوم إذا صاروا فرقا جماعة جماعة والاستحواذ من قولهم حاذ الإبل وحازها إذا استوليت عليها ولو قيل استحاذ لكان صوابا في الكلام ولكن استحوذ هاهنا أجود لأن الفعل في هذا المعلوم يستعمل إلا على أصل البناء والأصل في حاذ حوذ

قوله عز وجل إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون معناه إن الذين يخالفون الله ورسوله في الدين أولئك في المغلوبين المقهورين كتب الله في اللوح المحفوظ لأغلبن أنا ورسلي قال الحسن رضي الله عنه ما أمر نبي بحرب فغلب قط وإن الرسل على نوعين منهم من بعث بالحرب فغلب ومنهم من بعث بغير حرب فهو غالب بالحجة وقوله إن الله قوي أي مانع حزبه من أن يذل عزيز غالب لمن نازع أولياءه وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله نزل في شأن حاطب بن أبي بلتعة وذلك أنه كتب إلى أهل مكة أن محمدا يريد أن يغزوكم

فاستعد والد فانزل الله تعالى بذلك الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما دعاك الى ما فعلت فقال احببت ان اتقرب الى اهل مكة لمكان عيالي فيهم ولم يكن على عيالي ذاب هناك فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها لا تجد يا محمد قوما يصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت يناصحون ويطلبون مودة من خالف الله ورسوله في الدين ولو كانوا اقاربهم في النسب فان البراءة واجبة من المحادين لله وموضع هذه القصة اول سورة الممتحنة وقوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان معناه ان الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله اثبت الله في قلوبهم حب الايمان كانه مكتوب في قلوبهم وايدهم اي قواهم بنور الايمان حتى اهتدوا للحق وعملوا به ونظير هذا قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ويقال ان المراد بالروح هاهنا جبريل عليه السلام يعينهم في كثير من المواطن وقوله تعالى رضي الله عنهم اي باخلاصهم في التوحيد والطاعة ورضوا عنه بما اعد لهم من الثواب والكرامة في الآخرة اولئك حزب الله اي اهل هذه الصفة جند الله واولياؤه الذين اصطفاهم الله تعالى الا ان جند الله تعالى هم الفائزون بالبقاء الدائم في النعيم المقيم ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة المجادلة كان من حزب الله تعالى يوم القيمة ٥

سورة الحشر مدنية كلها وهي عشرون واربع آيات بلا خلاف ه

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ٥ افتتح الله تعالى السورة بذكر تعظيمه وان الاشياء كلها تنزهه من السوء في قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا ذكر انعام الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين والقصة في ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير من اليهود وعاهدوه على ان لا يكونوا معه ولا عليه فكانوا على ذلك حتى كانت وقعة احد فاصابت المسلمين يومئذ نكبة فنقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فعاقدوا مع ابي سفيان واصحابه بين الكعبة والاستار على حرب النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بامرهم وقال ان الله تعالى يامرك بقتل كعب بن الاشرف فلما رجع كعب الى المدينة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بما صنع وقال ان الله تعالى امرني بقتله فانتدبوا الى ذلك فانتدب رهط فيهم محمد بن مسلمة وكان اخا كعب من الرضاعة وخليفه ومولاه فانطلقوا في اول الليل الى دار كعب فناداه محمد فاستنزله من منزله واوهمه انه يكلمه في حاجة له فلما نزل اخذ محمد بن مسلمة بناصيته وكبر فخرج اصحابه وكانوا من وراء الحائط فضربوه حتى برد مكانه فصاحت امرأته وتصايحت اليهود فخرجوا اليهم وقد رجع المسلمون فاختلفهم الطريق وجاء المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليهم غازيا فتحصنوا في دورهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وكان المسلمون اذا هدموا دارا من دورهم ينتقلون للمقاتلة اعداء الله من البيوت المدخولة الى البيوت التي

وراهم جعلوا يرمون على المسلمين بالدور التي خرجوا منها فلما عجزوا عن مقاومة المسلمين وايسوا من نصرة المنافقين لهم طلبوا الصلح فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يحمل اهل كل ثلثة ابيات منهم ما شاؤا من متاعهم على بعير ويخرجوا الى الشام وللنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ما بقي ففعلوا ذلك وخرجوا الى الشام وهذه القصة تشتمل على معنيين احدهما جواز مثل هذا الصلح على الجلاء من ارض الى ارض والثاني ان مصالحة اهل الحرب جائزة على مجهول من المال لان النبي صلى الله عليه وسلم ترك لهم ما اقلت الابل من شيء الا الحلق وهو السلاح واذا كان ذلك الذي حملوه مجهولا كان الباقي مجهولا وهذا الحكم ثابت غير منسوخ فاما الحكم الاول فهو منسوخ عندنا اذا كان بالمسلمين قوة على قتالهم على الاسلام او على دخالهم في الذمة لاعطاء الجزية لان الله تعالى امر بقتال الكفار حتى يسلموا او يؤدوا الجزية واما اذا عجز المسلمون عن مقاتلتهم جاز لهم مصالحتهم على الجلاء من بلادهم ومعنى الآية هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب وهم هؤلاء اليهود من منازلهم وحصونهم لاول جمع اجلوا من جزيرة العرب وبقي ارض الحجاز واما ثاني الحشر فهو ان يحشر الخلايق يوم القيمة الى ارض الشام ويقال انما قال لاول الحشر لان الحشر اربعة حشر بني النضير اولا ثم حشر خيبر ثم حشر اهل نجران ثم حشر جميع اهل الكتاب من جزيرة العرب في خلافة عمر رضي الله عنه على ما روي انه اجلاهم منها وقال عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمع في جزيرة العرب دينان وسميت ارض الحجاز جزيرة العرب لان بحر الحبشة وبحر فارس والفرات قد احاطت بها وقوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا معناه ما رجوتم ايها المؤمنون ان يخرج بنو النضير من منازلهم لشدة تمكنهم وقوتهم بالاموال والمنعة وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من امر الله تعالى فيهم فاتاهم الله اي اتاهم امر الله تعالى من حيث لم يظنوا ان ينزل بهم ما نزل من قتل كعب بن الاشرف ويقال اتاهم عذاب الله تعالى بنصر الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث لم يتوهموا القوم ان يقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم فكان ذلك عليهم اعظم اذا تاهم ما لم يظنوه وقوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم اي يهدمونها بايديهم ليهدموكم باحجارها ويهدمها المؤمنون ليتمكنوا من مقاتلتهم فليعتبر بما اصاب بني النضير كل من له بصر بامر الله تعالى ولينظروا الى عاقبة الغدر والكفر والطعن في النبوة استدلالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وليحذر كل قوم من الكفار مثل صنيع بني النضير في هذه الآية حجة على القول بالقياس الناس في احكام الحوادث ضرب من الاعتبار وقوله تعالى ولولا ان كتب معناه ولولا ان قضى في اللوح المحفوظ عليهم الجلاء لانتقم منهم بالقتل والسبي لعذبهم في الدنيا بالسيف والسبي لكن علم ان الجلاء اصلح واصوب في تدبيرهم وهم مع ما اصابهم في الدنيا عذاب النار في الآخرة والجلاء بقصد من قومهم جلاء القوم من منازلهم جلاء واجليتهم اجلاء وقوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله معناه ذلك الجلاء والعذاب بانهم خالفوا الله تعالى واولياء رسوله صلى الله عليه وسلم واخذوا في شق غير شق اولياء الله تعالى ومن يخالف الله تعالى في الدين فيفعل مثل ما فعلوا فان الله شديد العقاب لهم في الدنيا والآخرة قوله عز وجل ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقطع نخيلهم فكانت اليهود يقولون ما بعث نبي الا بالاصلاح وليس في هذا الا افساد علينا وعليهم فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة لا بعد الموقنين ويقال ان المسلمين اختلفوا فجعل بعضهم

بقطع نخلهم مناق لقول الله تعالى ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وجعل بعضهم ينهى عن ذلك ويقولون هي مغانم المسلمين وربنا قد قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فانزل الله تعالى هذه الآية تصويبا للفريقين لبيان ان ما قطع منها فقطع باذن الله وما ترك منها ترك باذن الله وليخزي الله تعالى الفاسقين وهم اليهود الذين نقضوا العهد بان يريهم اموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف احبوا وفي هذه الآية دليل على ان كل مجتهد مصيب وقد قال اصحابنا في مواشي الكفار ان المسلمين اذا كانوا لا يرجون ان يغنموها ولا يمكنهم اخراجها من دار الحرب ذبحوها ثم احرقوها واللينة على قول عبد الله بن عباس وقتادة رضي الله عنهم كل نخلة غير العجوة والاصل في اللينة لونة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كانه قيل لون من النخل اي ضرب منه وجمع اللينة ليان ويجوز ان يكون من اللين لين ثمرها وقوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم معناه وما رد الله تعالى على رسوله من غنائم بني النضير فما لم توجفوا اي لم تسرعوا عليه خيلا ولا ابلا ولكن مشيتم اليه مشيا لان ذلك كان قريبا من المدينة اي لم يحصل ذلك بقتالكم فلا شيء لكم من ذلك انما كان ذلك بتسليط الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والله تعالى يمكن رسله صلوات الله عليهم من اعدائه بغير قتال والله على كل شيء من النصر والغنيمة قادر فلما نزلت هذه الآية بعد ان كان المسلمون يطلبون قسمة اموالهم كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم بدر لم يقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وجعلها لقوم من المهاجرين كانوا محتاجين وشهدوا بدرا وعن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفق من اموال بني النضير على اهله نفقة سنة وكان يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله تعالى واراد بهذا مما كان يحصل من غلة اراضيهم في كل سنة قال الزهري وكذلك كان حكم فدك وقرى عرينة وفي هذه الآية دلالة على ان كل ما كان من اموال اهل الشرك لم يغلب عليه المسلمون عنوة وانما اخذ صلحا انه يجعل في بيت مال المسلمين ويصرف الى الوجوه التي يصرف فيها الجزية والخراج لان ذلك بمنزلة اموال بني النضير وقد اختلف اهل اللغة في الفيء قال بعضهم هو رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله تعالى اياهم ذلك يقال فاء يفيء فيئا اذا رجع وافأته انا عليه اذا رددته عليه ومن ذلك الفيء الذي هو ظل ما بعد الزوال فالغنيمة فيء والخراج فيء والجزية فيء وقال بعضهم ان الغنيمة اسم لما اخذه المسلمون من الكفار عنوة والفيء ما صولحوا عليه واما الايجاف فهو الاسراع والازعاج للسير يقال وجف الفرس واوجفته انا والوجيف نوع من السير فوق التقريب **قوله عز وجل** ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ه اختلفوا في هذين الآيتين ذهب الكلبي رضي الله عنه الى ان المراد بذلك ان ما رد الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من غنائم اهل قرى المدينة من قريظة وبني النضير وفدك كان ذلك لله تعالى خاصة دون الغانمين وكان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك جائزا فكان يصرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر الله تعالى الى نوائب نفسه وفقراء قرابته ويتامى الناس عامة والمساكين عامة يعني المحتاجين وابن السبيل يعني المسافر المنقطع عن ماله وكان يصرف ايضا الى فقراء المهاجرين وقوله تعالى كي لا يكون دولة معناه كي لا يكون الفيء متداولا بين الاغنياء منهم والفرق بين الدولة والدولة

الاستيلاء غالب ووجود اولى

ان الدولة بفتح الدال عبارة عن المرة من الاستيلاء والغلبة والدولة اسم للشيء يتداول وذهب قتادة الى ان المراد بقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى غنائم بني قريظة التي اخذت منهم عنوة قال وكانت الغنائم في اول الاسلام لهؤلاء الاصناف المذكورين في هذه الآية ولم يكن للغانمين شيء منها ثم نسخ ذلك بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية وعن عمر رضي الله عنه ما يدل على ان هذه المراد بها الاراضي التي افتتحت عنوة فانه روي عنه رضي الله عنه انه لما افتتح سواد العراق ساله قوم من الصحابة قسمته بين الغانمين منهم الزبير وبلال وغيرهما فاحتج عليهم بهذه الآية وقراها عليهم الى قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم ثم قال ما من احد من المسلمين الا وله في هذا الفيء نصيب اعطي او منع وقال لو قسمتها فيما بينكم لصارت دولة بين الاغنياء منكم ولو قسمتها بينكم لبقي آخر الناس لا شيء لهم ولئن عشت الى العام القابل لياتين كل ذي حق حقه من غير ان يعرق فيه جبينه ثم شاور عليا وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم فاشاروا عليه بترك القسمة وان يقر اهلها عليها وان يضع على رؤوسهم الجزية وعلى اراضيهم الخراج ففعل والى هذا القول ذهب اصحابنا رحمهم الله فانهم قالوا ان الامام اذا ظهر على بلد من بلاد الكفار فان رأى قسمتها اصلح للمسلمين قسمها بين الغانمين وان رأى ان يقر اهلها عليها وياخذ الخراج من رؤوسهم ومن اراضيهم ان لم يسلموا فعل قالوا واما قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فهو في سائر الاموال دون الارضين والرقاب وهذه الآية خاصة في الارضين ولو كانت هذه الآية منسوخة لذكرت الصحابة لعمر رضي الله عنه ذلك واخبروه بنسخها فلما لم يفعلوا دل ان هذه الآية محكمة غير منسوخة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين نصفا لنوائبه وحاجته ونصفا قسمه بين الغانمين على ثمانية عشر سهما وفتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة عنوة واقرهم على املاكهم ولا خلاف ان من اسلم من هؤلاء القوم الذين يظهر عليهم الامام قبل ان يسترق الامام انه يكون حرا ولا خلاف ان للامام ان يقتل من شاء من الاسرى ولا يستبقيهم للمسلمين ولو كان ملك الغانمين ثبت فيهم بنفس الاستيلاء لما كان له ذلك من الامام عليهم كما لا يتلف سائر اموالهم وذهب مالك رضي الله عنه الى ان الاراضي المفتتحة عنوة في المسلمين وانه لا يجوز لاهلها الذين اقروا عليها بيعها ولا ان يشترى منهم وقال الشافعي حكم هذه الاراضي حكم سائر الغنائم يقسم على خمسة اسهم فمن طاب نفسه من الغانمين عن حقه كان للامام ان يجعلها وقفا على المسلمين ومن لم يطب نفسه فهو احق بماله وقالوا هذا الخراج الذي يضرب على اهلها يكون اجرة عليهم وقد يسمى الاجرة خراجا كما روي في الحديث الخراج بالضمان [illegible] صلى الله عليه وسلم خذ صفيك من الغنيمة ودعنا وإياها فانزل الله تعالى هذه الآية فصار هذا الامر مطلقا في وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في معنى ما اعطاكم الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنائم فاقبلوه منه وما نهاكم عنه فلا تتعرضوا له وما امركم به من الاوامر فامتثلوه وما نهاكم عنه من النواهي فاجتنبوه واتقوا عذاب الله ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقوبته شديدة وفي قوله تعالى للفقراء المهاجرين بيان المحتاجين المذكورين في الآية التي قبل هذه الآية كانه قال لهؤلاء الفقراء المهاجرين ما تقدم ذكره من الفيء وكانوا نحوا من مائة وكانوا شهدوا بدرا اجمعين ولذلك اثنى الله تعالى عليهم بقوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون بتلك الهجرة ثواب الله تعالى ورضاه وينصرون بالسيف والجهاد دين الله تعالى واولياءه ورسوله صلى الله عليه وسلم اولئك هم الصادقون في الايمان وطلب الثواب قوله عز

وجل والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم ه اختلف اهل التأويل في هاتين الايتين لاختلاف القول فيما سبق اما على قول الكلبي فقوله والذين تبوءوا الدار والايمان ابتداء كلام وخبره يحبون من هاجر اليهم وهو ثناء على الانصار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اعطى المهاجرين ما قسم لهم من فيء بني النضير لم يأمن على غيرهم ان تحسدهم اذ لم يقسم لهم فقال للانصار ان شئتم قسمتم لهم من دوركم واموالكم وقسمت لكم كما قسمت لهم واما ان يكون لهم القسم ولكم دياركم واموالكم فقالوا لا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ولا نشاركهم في قسمهم فاثنى الله تعالى عليهم بهذه الاية فالمعنى والذين لزموا دار الهجرة ولزموا الايمان من قبل هجرة المهاجرين ووطنوا منازل انفسهم لهم يحبون من هاجر اليهم من مكة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجدون في قلوبهم ضيقا وحسدا مما اعطي المهاجرون من الغنائم ويؤثرون على انفسهم اي يختارون المهاجرين على انفسهم بالدار والمال وان كان بهم ضيق وحاجة الى الدار والنفقة والخصاصة في اللغة ما ينفرد به الرجل مما يحتاج اليه وقد روي ان رجلا من الانصار نزل عنده ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية وقربي للضيف ما عندك ثم اطفئي السراج حتى لا يعلم الضيف انا لا ناكل فياكل وروي ان رجلا منهم اهدى اليه راس مشوي فقال لعل جاري احوج اليه فبعث به الى جاره ثم ان جاره بعث به الى جاره حتى طاف سبعة ابيات الى ان عاد الى الاول وفيه نزل قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله تعالى ومن يوق شح نفسه معناه ومن يدفع عنه غائلة الشح حتى تطيب نفسه بذلك فاولئك هم الناجون السعداء الفائزون في الاخرة والشح في اللغة منع النفع عن مشقة في النفس واما في الدين فهو منع الواجب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من ادى زكوة المال وقرى الضيف واعطى في النائبة فان قال قائل اوليس قد روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة من ذهب وجدها في معدن فقال يا رسول الله تصدق بهذه فاني لا املك غيرها فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه من الشق الاخر فاعرض عنه الى ان اعاد القول فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم ورماه بها حتى لو اصابته لعقرته ثم قال ياتي احدكم بجميع ما يملك فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال له معي دينار فقال له انفقه على عيالك فقال معي دينار اخر فقال تصدق به قلنا انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لمن لم يثق منه بالصبر على الفقر وخشي ان يتعرض للمسئلة اذا نفد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله تعالى عليهم بالايثار على النفس فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس فكان الايثار منهم افضل من الامساك والامساك ممن لا يصبر افضل من الايثار وقوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء هم التابعون باحسان الى يوم القيامة يدعون لانفسهم وللسلف الذين سبقوهم بالايمان والهجرة ويستعيذون بالله تعالى من الضغن والحقد للمؤمنين ويقال ان المراد بهؤلاء طائفة اخرى يهاجرون بعد المهاجرين الاولين ويستعيذون بالله تعالى من الحسد ان يقع في قلوبهم لما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين الاولين دونهم واما على القول الذي رويناه عن عمر رضي الله عنه في قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى ان المراد به ما رد الله تعالى

على رسوله

على رسوله صلى الله عليه وسلم من الاراضي التي يفتتح عنوة من قريظة وغيرها فقوله تعالى والذين تبوءوا الدار وقوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم معطوفان على قوله تعالى للفقراء المهاجرين مع ما في هذه الايات الثلاث من الثناء على المهاجرين ثم على الانصار ثم على التابعين باحسان فكل من لم يترحم على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ولم يكن في قلبه غل لاحد من سائر المسلمين فله حظ من فيء المسلمين وان كان في قلبه غل منهم فما جعل الله تعالى له حقا في الفيء ه قوله عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ه معناه الا تعجب يا محمد من صنيع الذين نافقوا وهم قوم من الاوس يتكلمون بالايمان علانية واسروا النفاق كانوا يقولون لاهل دينهم في الشرك من اهل الكتاب وهم بنو النضير وبنو قريظة لئن اخرجتم من دياركم الى الغربة لنخرجن معكم اي لا نساكن محمدا ولا نطيعه الطاعة على قتالكم وان قاتلكم محمد واصحابه لنعاونكم عليه بان نكون انا وانتم دارا واحدة في المقاتلة حتى تغلبهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في مقالتهم وقد بان كذبهم فيما نزل ببني النضير من الجلاء وفيما اصاب بني قريظة من القتل ولفظ الشهادة يطلق ويراد به الحلف كما ذكر الله تعالى في اول سورة المنافقين ويطلق بمعنى حقيقة الشهادة وهي اكد من الخبر ولذلك لا يكتفي من الشاهد ان يقول اخبر او اعلم وانما سمي المنافقون مع الكفار اخوانا لاجتماعهم على اعتقاد الكفر كالمجتمعين في البلاد في قرب بعضهم من بعض ونظير هذا قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي قوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم الى اخر الاية بيان ان الله تعالى عالم بما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فان قيل كيف يستقيم قوله تعالى ولئن نصروهم بعدما اخبر الله تعالى عنهم انهم لا ينصرونهم ولا يجوز ان يكون مخبر الله تعالى بخلاف خبره قيل معنى قوله تعالى ولئن نصروهم ولئن قصدوا نصرهم ليولن الادبار في العاقبة فيكون ذلك اضر بهم من ترك نصرهم في الابتداء اي لو رايتموهم معهم وظننتم انهم ينصرونهم لوجدتموهم يولون الادبار منهزمين ويقال في معناه ولئن نصرهم احد منهم ممن يزعم انه يبغي بعهده لو وقعت نصرتهم على هذا الوجه ويقال لو كانوا ممن ينصرونهم لتركوا نصرتهم واللام الاولى ها هنا في موضع القسم خلفا منه واللام الثانية جواب للقسم وقوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله معناه انتم معشر المسلمين اهيب في صدور المنافقين واليهود من عذاب الله تعالى وخوفهم منكم اشد من خوفهم من الله تعالى لعلمهم بكم وبصفاتكم وجهلهم بالله تعالى وعظمته ذلك الخوف منهم منكم دون الله تعالى بانهم لا يعرفون الله تعالى ولو عرفوه لعلموا ان عقوبة الله تعالى اعظم مما عساه يقع بهم من فعل المؤمنين وفي هذه الاية بيان انه لا ينبغي لاحد ان يكون خوفه من الناس ازيد من خوفه من الله تعالى وان تزداد خوفه من احد من الناس على خوفه من الله تعالى فليس بفقيه انما الفقيه من يخشى الله تعالى كما قال تعالى في اية اخرى انما يخشى الله من عباده العلماء اي الفقهاء في العلم بمفهوم الكلام في ادراك ظاهره ومضمونه والناس يتفاضلون في الادراك لاختلافهم في جودة القريحة وسرعة الفطنة ه قوله عز وجل لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ه معناه لا ياتيكم بنو قريظة وبنو النضير

الا في حصون موثقة او من خلف جدرات لما قذف الله في قلوبهم من الرعب لا يبرزون للحرب
وقوله تعالى بأسهم بينهم شديد اي عداوة بعضهم لبعض شديدة وكذلك مقاتلة بعضهم بعضا
فيما بينهم تحسبهم مجتمعين متفقين على امر واحد بنيات مجتمعة اذا قاتلوا المؤمنين وقلوبهم متفرقة
لا يتعاونون لعداوة بعضهم بعضا وان اظهروا الموافقة ذلك الاختلاف فيما بينهم بانهم قوم لا يعقلون
ما فيه الرشد مما فيه الغي ولا يفعلون فعل العقلاء وفي هذه الآيات دلالة النبوة من جهة علم الغيب الذي
لا يعلمه الا الله عز وجل وانما اخبر الله تعالى بذلك المؤمنين لتعلموا تخاذل اليهود فيما بينهم فتزدادوا
بهذا العلم جرأة عليهم وفي قوله تعالى بانهم قوم لا يعقلون دليل على ان العداوة لا يكون بين
العقلاء وقوله كمثل الذين من قبلهم معناه مثلهم فيما نزل بهم من العقوبة كمثل الكفار الذين
كانوا من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم بالقتل والاسر وهم الذين قتلوا واسروا يوم بدر وقوله
تعالى كمثل الشيطان معناه مثل المنافقين في غرورهم لبني قريظة والنضير كمثل الشيطان في
غروره لابن آدم اذ دعاه الى الكفر بما يزينه له من المعاصي ويمنيه وعاقبة الآدمي الى الكفر يوسوس
اليه بان التوحيد مما لا حقيقة له وان النبوة حيلة ونحو ذلك مما يغتر به فلما كفر الآدمي تبرأ الشيطان
منه ومن دينه في الآخرة ويقال ان المراد بالشيطان هاهنا ما ذكره الله تعالى في سورة الانفال في قوله
اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقد ذكرنا معناه في تلك السورة ويقال ان المراد بهذه الآية انسانا بعينه
كان يقال له برصيصا العابد كان في الامم الماضية تحمل اليه المرضى ليرقيهم فيستشفون برقيته فحملت
اليه امرأة شابة ذات جمال فاعجبته فاغواه الشيطان حتى وقع بها فحملت منه فاوقع الشيطان في قلبه
ان يقتلها فقتلها ودفنها تحت الارض فاطلع الناس على ذلك فاخذوه وصلبوه فتعرض له الشيطان وقال له
ان اردت ان انجيك عن هذه الحالة فاسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة فقال
اكتفي منك بالايماء فاومى له فكفر فلما كفر قال له الشيطان اني بريء منك فاسلمه حتى قتل
كذلك المنافقون يخذلون اليهود ويتبرؤون منهم والبراءة في اللغة قطع العلقة مثل البراءة
في الدين وبراءة الطلاق وقوله تعالى فكان عاقبتهما معناه وكان عاقبة الشيطان والذي
كفر باغوائه انهما في النار مقيمين دائمين فيها وذلك عقوبة الكافرين فليحذر امرؤ ان يقع فيما وقع
هذا الكافر فيه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم
الفائزون ٥ معناه اتقوا الله فيما تقدمونه لغد واتقوه فيما تعلمونه فيكم قال الحسن قرب الله
تعالى الساعة حتى جعلها كغد وعن زيد بن اسلم ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد اني رأيت الليلة انه قيل لي انك تقتل غدا وهو يتنفس مبهورا فضرب النبي صلى الله عليه
وسلم على صدره فقال اوليس الدهر كله غدا وقوله تعالى نسوا الله اي تركوا حق الله حتى صار
كالمنسي فخذلهم الله تعالى حتى تركوا العمل لانفسهم ويقال انساهم انفسهم بالعقاب الذي
نسي به بعضهم بعضا كما في قوله تعالى فسلموا على انفسكم اي بعضكم على بعض وقوله تعالى
لا يستوي اصحاب النار اي لا يستوي عند الله تعالى من يستحق النار ومن يستحق الجنة فان اصحاب
الجنة هم الفائزون بثواب الله تعالى قوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ٥ اختلفوا في
معنى هذه الآية قال بعضهم لو انزلنا هذا القرآن الذي يقرؤه عليكم النبي صلى الله عليه وسلم
على جبل يعقل منه ما تعقلون ويعلم منه ما تعلمون لرايته يخشع ويتصدع خوفا من عذاب الله تعالى

مع عظمه

مع عظمه وكبره وصلابته فانتم مع ضعفكم وصغركم اولى بالخشوع والعمل على مقتضى الدين
في تمييز الحق من الباطل وقال بعضهم هذا على طريق المثل على معنى انه لو شعر به الجبل مع غلظه
وصلابته لخشع لتنزيله تعظيما لشأنه ولتصدع من خشيته فالانسان احق بهذا منه وهذا كما
يقال لو عظت فلانا فلم ينجع فيه ما له لا يفقههم مع هذا البيان ولو كلمت به الصخرة لانفلقت ٥
قوله عز وجل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو
الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان
الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم ٥ قيل ان هذه الآيات مردودة الى اول السورة
والمعنى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب وهو الله الذي يحق له العبادة ولا
يشركه في ذلك غيره وهو العالم بكل شيء مما غاب عن العباد ومما علموه لان الاشياء لا تخلو
من ان تكون شاهدة او غائبة ويقال الغيب ما العبد عامله قبل ان يعمل به والشهادة ما عمله
العبد من نفسه ولم يعلم غيره وقوله تعالى هو الرحمن الرحيم اي هو الذي عم كل شيء منه ورحمه
وكل شيء منه نعمة على ما يدعوا اليه الحكمة واما الملك فهو المالك لكل شيء يصرف عباده
كما يريد والقدوس الطاهر من جميع المعايب والنقائص وعن سائر صفات المحدثين ومن ذلك
الارض المقدسة وهي المطهرة والسلام الذي سلم من العيوب والآفات ويقال هو الذي سلم
الناس من ظلمه ويسلم المؤمنين من العذاب وهو مصدر اقيم مقام الاسم كما يقال الغياث
المستغيثين ونجاة الراجين والمؤمن الذي امن الخلق من ظلمه وامانه من عذابه ويقال هو المصدق
لاوليائه في الشهادة وهو من الامان والايمان واما المهيمن فقال بعضهم هو الشهيد ومنه قوله تعالى
ومهيمنا عليه اي شاهدا عليه والاصل في هذا مؤيمن وهو مفيعل من الامانة يقال امين ومؤيمن
مثل بيطر ومبيطر وانما ابدلت الهاء من الهمزة لتفخيم اللفظ والمعنى وقال بعضهم معناه المؤمن الذي
امن العباد من ظلمه لهم كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة الا ان المؤيمن اشد مبالغة في الصفة
من المؤمن لانه جاء على الاصل من آمن والعزيز الممتنع الذي لا يغلبه شيء ولا يمتنع من مراده والجبار
الذي جبر الخلق على ما اراد من امره ويقال هو الذي جبر النقائص وهو فعال من الجبر ويقول العرب
نخلة جبارة اذا كانت عظيمة عالية لا ينالها ايدي الناس والمتكبر المستحق لصفات التعظيم وهو
من الكبرياء وانما يذم صفة المتكبر في الناس لان الذي يتعظم منهم ينزل نفسه منزلة لا يستحق تلك المنزلة
والخالق المنشئ للاعيان والبارئ المقدر المنشئ لها والبرية الخلق وهي المبروءة مثل الخليقة بمعنى المخلوقة
ويربيت القلم اذا سويته والمصور للانفس كيف يشاء والاسماء الحسنى هي الصفات العلى وسميت الحسنى
لانها مشتقة من افعال في حسنة وحكمة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ هذه السورة لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا السموات السبع والارضون السبع
والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له وان
مات من يومه ذلك او ليلته مات شهيدا وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرأ آخر سورة الحشر ثم مات من يومه او ليلته غفر الله تعالى له كل خطيئة عملها

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشرة آية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول
واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون

اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم
والله بما تعملون بصير وذلك ان امراة اقبلت من مكة الى المدينة يقال لها سارة مولاة ابي
عمرو بن صيفي بن هاشم فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد قتال بدر بسنتين وكان
صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم
الاهل والموالي والاصل وقد ذهبتم فاحتجت حاجة شديدة فجئتكم لتحملوني وتكسوني وتنفقوا
علي وكانت هذه امراة نائحة مغنية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت من شباب اهل مكة
فقالت ما طلب احد منهم شيئا من ذلك منذ بعد وقعة بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فكسوها
وحملوها واعطوها نفقتها فلما انطلقت من مكة قال لها حاطب بن ابي بلتعة الازدي وكان
من اهل اليمن حليفا للزبير بن العوام لئن حملت كتابا مني الى اهل مكة لاعطينك عشرة دنانير وبردا
فقالت افعل فدفع اليها كتابا الى اهل مكة ينتصحهم فيه بان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد
ان يغزوكم فخذوا حذركم مع اشياء كتب بها ايضا فذهبت بالكتاب فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير
بن العوام رضي الله عنهما خلفها فلحقاها وطلبا منها الكتاب فحلفت والله اني ما معي من كتاب واني
لا اعلم انكما لا تصدقاني حتى تفتشاني فاصرفا وجوهكما عني فصرفا وجوههما عنها فطرحت ثيابها
وما كان معها ففتشا فلم يجدا شيئا فخليا سبيلها فقال علي كرم الله وجهه وهو راجع اني لاشهد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذبنا وانها هي الكاذبة فيما تقول فرجع اليها واقسم عليها
لتخرجن الكتاب او ليضربنها بالسيف فقالت اطمئنا ووليا في وجوهكما فاخرجت الكتاب من
بين قرنين من قرون شعرها فجاء بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراه ثم دعا حاطبا
فعرضه عليه فاعترف فقال والله ما ارتبت في الله تعالى منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكن
كان لي بمكة اهل ومال فاردت ان ادفع بذلك عنهم وليس احد من اصحابك الا وله من يمنع اهله بمكة
غيري فقال عمر رضي الله عنه ائذن لي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اضرب عنق هذا المنافق فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا ابن الخطاب انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله تعالى قد
اطلع على اهل بدر فقال اعز من قائل اعملوا ما شئتم اني قد غفرت لكم فانزل الله تعالى هذه الآيات
يعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه مؤمن وجرانا ويدل في هذا انه كان يظن ان ذلك جائز للدفع عن
ماله وولده كما يدفع عن نفسه ويستبيح اظهار كلمة الكفر عند التقية ولو كان الذي فعله
هو يوجب الاكفار لاستتابه النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يستتبه وصدقه على ما قال علم انه لم
يصر مرتدا الا ان عمر رضي الله عنه ظن انه فعله من غير تاويل فلذلك قال ما قال واما قول النبي صلى الله
عليه وسلم وما يدريك لعل الله تعالى قد اطلع على اهل بدر فمعناه لعل الله تعالى علم ان اهل بدر وان
اذنبوا لا يموتون الا على التوبة ومن علم الله وجود التوبة منه ان امهله فغير جائز ان يامر بقتله او ان
يفعل به ما يقطعه عن التوبة ومعنى الآية لا تتخذوا عدوي وعدوكم اي الكافرين احبابا في العون والنصرة
تلقون اليهم ما تريدون بالمودة فتخبرونهم بما يخبر الرجل اهل مودته وتنصحون لهم وقد جحدوا بالكتاب
والرسول ومع ذلك يخرجون الرسول عليه السلام ويخرجونكم ايضا من دياركم لاجل ايمانكم بالله ربكم وحافظكم
ومدبر امركم وقوله تعالى ان كنتم خرجتم معناه ان كنتم خرجتم مجاهدين في طاعتي ومبتغين مرضاتي
فلا تتخذوهم اولياء تخفون مودتهم وانا اعلم بما تضمرونه في صدوركم وما تظهرون بالسنتكم ولا ينفعكم

تقربكم

تقربكم اليهم لاطلاع الله تعالى نبيه عليه السلام على ما تفعلون ومن يفعله منكم معشر المؤمنين ما
فعله حاطب فقد اخطا قصد الطريق والهدى ثم وصف عداوة الكفار لهم فقال اعز من قائل ان
يثقفوكم يكونوا لكم اعداء اي ان يصادفوكم في حال لا تخافونهم فيها يظهروا عداوتكم ويبسطوا
اليكم ايديهم بالقتل والضرب والسنتهم بالشتم والطعن وهم يحبون ان تكفروا بالله تعالى وبرسوله
عليه السلام بعد ايمانكم كما انهم كافرون ثم اعلمهم ان اهلهم واولادهم لا ينفعونهم فقال عز
من قائل لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا تتوادوهم بسبب الارحام والاولاد يوم القيمة
يفصل بينكم بالتفريق المؤمن الى الجنة وفريقه الكفار الى النار والله بما تعملون من الخير والشر
عالم وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى واياكم في هذه الآية يجرى على معنى واياكم ان لا تؤمنوا بالله ربكم
ان كنتم خرجتم وفي هذه الآيات ضروب من الالطاف في تقوية قلوب المهاجرين لان من فارق دياره على
الوجه الذي فارق المهاجرون ديارهم عليه وخلفوا الاقربين وساير الاسباب يحتاج الى اعتقاد قوي
في ترك الميل اليهم فيقوي الله تعالى دواعي المهاجرين في التبري عن الكفار ويبين بهذه الآيات ان الخوف
على المال والولد مما لا يبيح التقية في اظهار كلمة الكفر وان ذلك لا يكون بمنزلة الخوف على النفس
ولذلك فرض الله تعالى الهجرة على المؤمنين ولم تعذرهم في التخلف لاجل اموالهم واهليهم فقال عز من
قائل قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى اخر الآية وعلى هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان رجلا لو قال لآخر
لاقتلن ولدك او لتكفرن لم يسعه اظهار كلمة الكفر **قوله عز وجل** قد كانت لكم
اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول
ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم
الخطاب لحاطب وذويه والمعنى قد كانت لكم قدوة حسنة في ابرهيم والذين معه من قبله من الانبياء
صلوات الله عليهم وقيل الذين معه من المؤمنين اذ قالوا لقومهم من الكفار انا برءاؤا منكم
ومما تعبدون من دون الله تعالى من الاصنام وغيرها كفرنا بكم وظهر بيننا وبينكم
بالفعل والبغضاء بالقلب الى الابد حتى تؤمنوا بالله وحده فهلا تاسيت يا حاطب بابرهيم
في اظهار معاداة الكفار وقطع الموالاة بينك وبينهم كما فعل ابرهيم عليه السلام ومن معه
الا في قول ابرهيم لابيه معناه تاسوا بابرهيم الا في قوله لابيه لاستغفرن لك فانه ليس لكم
ان تتاسوا به في الاستغفار للكافر وكان ابرهيم وعد اباه ان يستغفر له ووعده ابوه انه يؤمن فاستغفر له
على هذا الاعتقاد وكان هذا قبل اخبار الله تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقوله ابرهيم وما املك
لك من الله من شيء معناه لا اقدر على دفع شيء من عذاب الله تعالى عنك ان لم تؤمن وقوله تعالى ربنا
عليك توكلنا يجوز ان يكون ذلك على الحكاية عن قول ابرهيم عليه السلام والذين معه في دعائهم على هذا
الوجه ويجوز ان يكون ذلك تعليما من الله تعالى للمؤمنين اي قولوا ربنا عليك توكلنا في كل
امورنا واليك فوضنا امورنا واليك رجعنا بالتوبة والطاعة واليك المرجع في الاخرة ربنا لا تظهر
الكفار علينا فيظنوا انهم على الحق وانا على الباطل فيفتتنوا بذلك قال قتادة رضي الله عنه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا تسلطهم علينا فيفتنونا **قوله عز وجل** لقد كان لكم
فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم معناه لقد كان
لكم في ابرهيم والذين معه قدوة حسنة اي صالحة فيما يرجع الى طاعة الله تعالى وحسن المنقلب

في اليوم الآخر وهذا يقتضي وجوب الاقتداء بهم في افعالهم واما الاول فهو الاقتداء بهم في باب العداوة لله تعالى في امر الدين وقوله تعالى لمن كان بدل من قوله لكم فيهم وهذا كما قال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقوله تعالى عسى الله كلمة اطماع اي كونوا على رجاء وطمع في ان يجعل الله تعالى بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودة بان يدعوهم ما تعاملونهم به الى الاسلام وكان كذلك حين اسلم كثير منهم وخالطوا المهاجرين وواصلوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فهذه هي المودة التي جعلها الله تعالى بينهم والله قدير على ان يجعل بينكم المودة بلطائفه غفور لمن تاب عن شركه رحيم بهم بعد التوبة

قوله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون

في الآية الاولى جواز البر لاهل الذمة ولذلك جوز ابو حنيفة ومحمد صرف صدقة الفطر والكفارات والنذور المطلقة اليهم واجمعوا على جواز صرف صدقة التطوع واجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة اليهم لقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم فاردها في فقرائكم وقوله تعالى ان تبروهم في موضع خفض بدل من الذين كانه قال سبحانه عن ان تبروا الذين لم يقاتلوكم ولا انساط اليهم ان تعطيهم قسطا من اموالنا على جهة البر ويقال ان هذه الآية نزلت في النساء والصبيان من اهل الحرب واما الآية الثانية فقد تضمنت النهي عن الصدقة على المحاربين من الكفار والنهي عن موالاتهم ومكاسبهم والمظاهرة المعاونة للظهور بها على العدو بالغلبة

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسالوا ما انفقتم وليسالوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون

وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح اهل مكة بالحديبية على ان من لحق بالكفار من المسلمين لم يردوه ومن لحق بالمسلمين من الكفار يردونه وكانت المصلحة في هذا في ذلك الوقت لان المسلمين كانوا لا يامنون لو لم يردوا من جاءهم ان يستردوا من اسر من المسلمين اليهم ان يكون في ذلك مفسدة فلما ختم النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح خرجت اليه سبيعة بنت الحرث الاسلمية مومنة فجاء زوجها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ردها علي فان ذلك في الشرط لنا عليك وهذه طينة كتابنا لم تجف فانزل الله تعالى هذه الآية فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله ما اخرجك الينا الا الحرص على الايمان والرغبة فيه وما اخرجك حدث احدثته ولا بغض زوجك فحلفت فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي زوجها المهر الذي انفق عليها فاعطوه مهرها وقد اختلف مشايخنا في هذا الصلح الذي جرى بين المسلمين وبين الكفار فقال بعضهم كان ذلك خاصا في الرجال دون النساء ولذلك لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي جاءت مسلمة لانها لم تدخل في الشرط وقال بعضهم كان ذلك الصلح عاما في الرجال والنساء ثم نسخ في النساء وهذا اظهر الوجهين وذلك جائز عندنا وان لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم احدا من النساء عليهم لان النسخ جائز بعد التمكين من الفعل وان لم يكن وقع الفعل والخطاب في هذه الآية للمؤمنين الا ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام هو الذي كان يتولى امتحانهن دون المؤمنين وقد اريد به سائر المؤمنين عند غيبة النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم ومعنى الامتحان ما ذكرناه في قصة سبيعة وفي قوله تعالى الله اعلم بايمانهن بيان انه ليس عليكم الا العلم الظاهر والله تعالى اعلم بحقيقة ايمانهن قبل الامتحان وبعده لان حقيقة الايمان الاخلاص والاخلاص انما يكون بالقلب والله تعالى هو المطلع على القلوب وقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات معناه ان علمتموهن في الظاهر بالامتحان انهن مؤمنات فلا تردوهن الى ازواجهن الكفار بمكة يقال رجع فلان ورجعته وقوله تعالى لا هن حل لهم معناه لا المؤمنات تحل للكفار ولا الكفار يحلون للمؤمنات وفي هذا دليل ان الله تعالى انما يتعبدنا بما نعلمه ظاهرا لا بمعرفة الحقائق وعلى هذا اذا شهد الشهود الذين ظاهرهم العدالة بامر من الامور قبلت شهادتهم في الحكم الذي شرعه الله تعالى لحمل الامر على الصحة وعلى الزوج ان يقبل قول امراته في الحيض والطهر وقد قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا وقال اخوة يوسف عليه السلام ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وارادوا بذلك العلم الظاهر من حيث وجدوا الصاع في رحله وقوله تعالى وآتوهم ما انفقوا معناه اعطوا ازواج المهاجرات من الكفار مثل ما انفقوا عليهن من المهور ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وفي هذا كله دليل على ان المراة اذا هاجرت الينا مسلمة او ذمية وقعت الفرقة بينهما بنفس الهجرة كما هو مذهب اصحابنا ولهذا قال ابو حنيفة ان المهاجرة لا عدة عليها لان الله تعالى اباح للمسلمين التزوج بالمهاجرات من غير ان يشترط انقضاء العدة ولو كانت الزوجية باقية بعد الهجرة لما امر الله تعالى برد مهورهن على ازواجهن ولكان ازواجهن اولى بهن وبان يكن معهم حيث ارادوا وعلى هذا اذا خرج الزوج الى دار الاسلام مسلما او ذميا وقعت الفرقة بينه وبين امراته واما اذا دخل الحربي دارنا بامان او دخل المسلم دار الحرب بامان او اسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج احدهما الينا لم يبطل نكاحهما لانما يعتبر في وقوع الفرقة تباين الدارين بان يختلفا في دارين كل واحد منهما من اهل الدار التي هو فيها واما قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فمعناه ان المراة المسلمة اذا كفرت والعياذ بالله فقد زالت العصمة بينها وبين زوجها وانقطع حبل النكاح بينهما والعصم جمع العصمة واصلها الحبل والمعنى ولا تمسكوا بعقد الكوافر ولا تعدوهن من نسائكم وقوله تعالى واسالوا ما انفقتم معناه واطلبوا من اهل مكة مهور النساء اللاتي يخرجن منكم اليهم مرتدات ان لم يردوا مهورهن عليكم وليسالوا الكفار منكم ما انفقوا على نسائهم اللاتي يخرجن اليكم مهاجرات ذلكم حكم الله اي فريضته التي يقضي بها بينكم والله عليم بمصالحكم حكيم فيما حكم بينكم وبينهم قال الزهري فلما نزلت هذه الآية اقر المسلمون بحكم الله تعالى واما المشركون فابوا ان يقروا فانزل الله تعالى قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم يعني ان ذهبت امراة من نسائكم الى الكفار فعاقبتم اي غنمتم فآتوا الذين ذهبت نساؤهم مثل ما انفقوا عليهن من المهور اي عوضوا ازواجها من الغنائم مثل الذي ذهب منه قبل ان يقسموا الغنايم ثم اقسموا الغنايم كما امر الله تعالى وانما سمي الاغتنام معاقبة لان معاقبة الكفار يكون تارة بالاغتنام منهم وتارة يكون بالقتل والاسترقاق وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه الآية رد مهورهن على ازواجهن مما يوخذ من الكفار على وجه الصلح من الجزية او الخراج وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومسروق وقتادة ان المراد بهذه الآية الاغتنام من الكفار الذين لا عهد بيننا وبينهم وهذا قول حسن ولا يجب رد هذه المهور الا مما يوخذ من الكفار الذين لا عهد لهم او من اهل العهد بالصلح وقوله تعالى واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون اي احذروا في مخالفة ما امركم به وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه الآية الاخيرة رد المهور من الصداق الذي وجب رده على اهل الحرب وهذه الاحكام التي ذكرها الله تعالى في الامتحان ورد المهر واخذه من الكفار وتعويض الزوج المسلم من الغنيمة او الفيء من صداق وجب رده على اهل الحرب كل ذلك منسوخ عند جماعة اهل العلم

وكان الامتحان في ذلك الوقت مصلحة من جهة ان المسلمين كانوا يومئذ لا يثقون بهن ولا
يامنون من مضرة التجسس ونحو ذلك ۞ فان قيل من اين وجب نسخ هذه الاحكام وليس في القرآن
والسنة ما يوجب نسخها قلنا يجوز ان يكون منسوخة بقوله تعالى لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان يكون تجارة عن تراض منكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرء مسلم الا بطيب نفس منه
والاجماع حجة قوية في النسخ ۞ قوله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان
لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين
ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة جلس على الصفا والى جنبه عمر رضي الله عنه والنساء
يبايعن فبايعن النبي صلى الله عليه وسلم وفيهن هند بنت عتبة وقد انزل الله تعالى هذه الاية ولم يكن الاسلام
ظاهرا قبل ذلك بمكة وكن لا يعرفن ماذا يجب عليهن فقرا النبي عليه السلام عليهن هذه الاية فلما قال على ان
لا يشركن بالله شيئا قالت هند اشركنا وعبدنا الالهة فما اغنت عنا فلما قال ولا يسرقن فقالت قد كانت
هنات اصبتهن من هذا الشيخ تريد ابا سفيان فلما قال ولا يزنين قالت وهل تزني الحرة فضحك عمر رضي الله عنه
وقال لا لعمري ما تزني الحرة فلما قال ولا يقتلن اولادهن اي لا تدفن بناتهن احياء كما كان بعض العرب
يفعلون ذلك قالت هند ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فبايعن على ان لا يفعلن هذه الاشياء وقال
عليه السلام لمن اقر بهذه الشرائط منهن قد بايعتكن كلاما كلمهن به من غير ان مست يده يد امرأة وكان
على يد عمر رضي الله عنه ثوب يصافح به النساء وقد اختلفوا في قوله تعالى ولا ياتين ببهتان قال بعضهم لا يلحقن
بازواجهن غير اولادهم فينسبنه اليهم وذلك ان المرأة كانت تلتقط لقيطا فتضعه بين يديها ورجليها
وتقول لزوجها ولدت هذا الولد فذلك البهتان والافتراء ويقال اراد بين الايدي ان توضع بين يديها ولد
غيره وبين ارجلهن ان ياتين بولد حرام وهذا كناية عن الفرج ويجوز ان يكون هذا على وجه التوسع في
كلام العرب وان لم يكن ثم يد ولا رجل وقال بعضهم اراد بالبهتان قذف المحصنات والمحصنين
والكذب على الناس ان يختلقن شيئا يحضرنهن ثم تنسبن الى غيرهن وقوله تعالى ولا يعصينك في معروف
اي في جميع ما تامرهن وتنهاهن من النوح وشق الجيوب وخمش الوجوه ودعوة الشيطان وغيره لكن من
اصوات المصيبة ومن صوت اللعب واللهو والمزامير وغير ذلك من اصوات النغمة والمعروف كل ما
كان طاعة والمنكر كل ما كان معصية وانما شرط الله في طاعة افضل البشر فعل المعروف وكان
ذلك تنبيها على انه لا رخصة لاحد من الناس في طاعة المخلوقين على معصية الخالق وقوله تعالى واستغفر
لهن الله فيه بيان ان من قبل الاسلام على هذه الشروط فهو من اهل المغفرة ۞ قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب
القبور ۞ ختم الله تعالى هذه السورة بمثل ما افتتحها به حيث نهى المؤمنين عن تولي اعداء الله تعالى واراد
بالقوم الذين غضب الله تعالى عليهم هاهنا اليهود كما قلنا في قوله تعالى غير المغضوب عليهم وقوله تعالى قد
يئسوا من الاخرة يحتمل ان يأسهم من الاخرة انهم كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون
ابناءهم وكانوا لا يؤمنون به طلبا للرياسة ويحتمل ان يكون ذلك لانهم كانوا لا يستعدون للاخرة
ويقال لانهم كانوا يزعمون انه لا يكون في الاخرة اكل ولا شرب ولا نعيم وقوله تعالى كما يئس الكفار
معناه كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث اذا ماتوا تغيروا وعلموا انه لا حظ لهم في الاخرة ويقال
كما يئس المشركون من رجوع اهل القبور ومن ان يبعثوا وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة ۞

سورة الصف مكية في قول ابن عباس مدنية في قول الحسن وهي

اربع عشرة اية بلا خلاف ۞ بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما
في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا كانهم بنيان مرصوص اختلفوا في سبب الاية التي بعد افتتاح السورة قال قتادة كان
الرجل اذا خرج الى الجهاد ثم رجع عنه قال قتلت وفعلت ولم يكن فعل ما قال فانزل الله تعالى هذه
الاية وقال الحسن نزلت الاية في المنافقين وسماهم مؤمنين لاظهارهم ذلك وذكر الكلبي ان
المسلمين كانوا يقولون قبل ان فرض الله الجهاد لو نعلم اي الاعمال احب الى الله تعالى لفعلنا
فدلهم الله تعالى على ذلك بقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وانقطع الكلام
ولم يبين ما هي فمكثوا على ذلك ما شاء الله ان يمكثوا ثم قالوا لسنا نعلم ما هي فنشاركها ولو ذهبت
فيه انفسنا واموالنا فانزل الله تعالى قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الى اخر
الايات الثلاث فلما كان يوم احد تولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شج في وجهه وكسرت رباعيته
فذمهم الله تعالى على ذلك بقوله لم تقولون ما لا تفعلون فشق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله على هؤلاء الذين صنعوا بك ما نرى فقال صلى الله
عليه وسلم اني لم ابعث لعانا ولا طعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
ثم قال من كف لسانه عن اعراض الناس اقال الله عثرته يوم القيمة ومن كف غضبه اقاله الله عذاب
يوم القيمة وقوله تعالى كبر مقتا معناه عظم قولهم ما لا تفعلونه بغضا عند الله وموضع ان تقولوا
رفع وانتصب قوله مقتا على التمييز كما تقول نعم رجلا زيد والاصل في قوله لم تقولون لما تقولون
فحذفت الالف لان ما واللام كالشيء الواحد لكثرة الاستعمال وفي هذه الاية دلالة على ان كل من اوجب
على نفسه عبادة او قربة او عقدا لزمه الوفاء به لان ترك الوفاء به يوجب ان يكون قائلا ما لا يفعل
وقد ذم الله تعالى على ذلك وهذا في غير المعصية فاما في المعصية فقد قال صلى الله عليه وسلم لا نذر
في معصية الله ثم بين الله تعالى ما الذي يحبه فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يحب
من ثبت في الجهاد في طاعة الله ويلزم مكانه كثبوت البناء الذي رص بعضه ببعض لاحكامه واتصاله
ويقال اراد بالبنيان المرصوص البناء الذي بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وفي الحديث تراصوا
في الصفوف فان الله يحب في الصلوة ما يحب في القتال وتلى عليه السلام هذه الاية قوله
عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ۞ في الايتين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما
يلقى من اذى الكفار والمنافقين وقد تقدم تفسير اذى موسى عليه السلام في سورة الاحزاب وقوله
فلما زاغوا اي عدلوا عن طريق الحق ازاغ الله قلوبهم اي خلاهم وشانهم [illegible] الهدى ويقال
جازاهم الله تعالى على ذلك وقال الحسن [illegible] والله لا يهدي
القوم الفاسقين [illegible] لمن كان في سابق علمه انه يختار الكفر وقوله تعالى واذ
قال عيسى بن مريم معناه واذكر يا محمد لقومك قصة عيسى عليه السلام [illegible]
به وقوله مصدقا [illegible] التورية [illegible]
برسول ياتي من بعدي [illegible] قالوا ليعيسى عليه السلام يا روح الله هل بعدنا من امة
قال نعم امة احمد [illegible]

يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله تعالى منهم باليسير من العمل ويدخلهم الجنة بلا اله الا
الله ه قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله
لا يهدى القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
معناه واى اظلم من الكفرة ممن اختلق على الله الكذب بان جعل لله شريكا او ولدا وهو يدعى
الى دين الاسلام والله لا يهدى الى دينه من كان في سابق علمه انه يموت على الكفر وقوله يريدون
ليطفئوا نور الله معناه يريدون ان يبطلوا دين الله مع ظهوره وقوته بتكذيبهم بالسنتهم كمن اراد
اطفاء نور الشمس باخف الاشياء وهو الريح التي يخرجها من فيه والله متم نوره اى مظهر دينه وغالب
اعداه وناصر اوليائه على كره الكفار هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والدعا
الى دين الحق ليظهره على جميع الاديان ولو كره المشركون ذلك فلا تقوم الساعة حتى لا يبقى اهل دين الا
دخلوا في الاسلام وادوا الجزية الى المسلمين وفي هذه الاية دلالة واضحة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
لانه اخبر بذلك والمسلمون في ضعف وقلة وحال خوف مستذلون مقهورون وكانت الاديان في
ذلك الزمان اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابية وعباد الاصنام في عامة البلاد فلم يبق من
اهل هذه الاديان امة الا وقد ظهر عليهم المسلمون وقهروهم وغلبوهم على جميع بلادهم او بعضها
ونحن نعلم ان هذا الغيب الذى اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في وقت نزول هذه الاية كان لا يعلمه
الا الله عز وجل علام الغيوب والله لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فان قال قايل كيف
يكون ظهور المسلمين على سائر الاديان اظهارا للرسول عليه السلام وانما حدث هذا بعد ان قبض النبي
صلى الله عليه وسلم قيل في هذه الاية وعد اظهار دينه على سائر الاديان لان الكناية في قوله
ليظهره راجعة الى دين الحق ولو اراد الله تعالى بهذه الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستقام الكلام
لانه تعالى اذا اظهر امته على سائر الاديان جاز ان يقال اظهر نبيه كما ان الجيش اذا فتحوا بلدة بامر الخليفة
جاز ان يضاف ذلك الفتح الى الخليفة وان لم يكن شهده هو بنفسه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل
الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ه معناه هل ادلكم على طاعة تخلصكم من عذاب مولم وانما
سميت الطاعة تجارة لانه يربح عليها الجنة والثواب كما يربح على التجارة الدنيا بزيادة المال وقوله يؤمنون
بالله ورسوله يجرى مجرى التفسير للتجارة المذكورة من قبل كما يقول العرب هل لك في خير تقوم الى
فلان فتعوده وان تقوم الى فلان فتعوده وانما قدم ذكر الايمان في هذه الاية لانه راس الطاعات
فلا يتحقق طاعة الا بتقديم الايمان وقوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله اى تجاهدون العدو في
طاعة الله بنفقتكم وخروجكم بانفسكم وقد يكون الجهاد بالمال دون النفس بان يجهز غازيا
بماله وقد يكون بالنفس دون المال بان يجاهد بنفسه بمال غيره وقوله تعالى ذلكم خير لكم اى
التجارة التي دللتكم عليها خير من التجارة في الاموال ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى لان تلك التجارة
تؤدى الى نفع يزيد ولا يبيد بخلاف التجارة في الاموال في امور الدنيا وقوله يغفر لكم ذنوبكم جزم
على المعنى كانه قال ان تعلموا ذلك يغفر لكم وقد يكون هل في معنى الامر كما في قوله تعالى فهل
انتم منتهون وجواب الامر مجزوم وفي قراءة عبد الله بن مسعود امنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل
الله والمساكن الطيبة هي المنازل الحسنة التي طيبها الله تعالى بالمسك والرياحين في بساتين الاقامة

يقال

عدن يقال عدن بالمكان اذا اقام فيه ذلك الذي ذكرت لكم هو النجاة العظيمة والنعيم المقيم ولكم
خصلة اخرى في العاجلة تحبونها مع ثواب الاخرة وهي الغنيمة والفتح نصر من الله على اعدائكم وفتح
عاجل قيل ان المراد به فتح مكة وقيل فتح عامة البلاد وقوله تعالى وبشر المؤمنين بشرهم بهاتين
النعمتين نعمة العاجل ونعمة الاجل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا انصار
الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت
طايفة من بنى اسرائيل وكفرت طايفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
معناه كونوا انصار دين الله على اعدائه بالسيف كما نصر الحواريون عيسى بن مريم عليه السلام
واضاف الانصار الى الله تعالى تشريفا لدين الله تعالى باضافته اليه كما يقال للكعبة بيت الله وحمزة
اسد الله ويقرا انصارا لله بالتنوين والمعنى واحد والانصار جمع ناصر كصاحب واصحاب والحواريون
خلصاء الانبياء عليهم السلام الذين نقوا من كل عيب ومنه الدقيق الحوارى وهو الدقيق الذى
نقي من لباب البر وتاويل الحواريين في الناس الذي اذا رجع في اختباره مرة بعد اخرى وجد نقيا
من العيوب واصل التحوير في اللغة من حار يحور وهو الرجوع والترجيع وقوله تعالى الى الله اى مع
الله كما في قوله تعالى لا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ويقال معناه في الدعا اليه وقوله
تعالى فامنت طايفة اى صدقت جماعة من بنى اسرائيل بعيسى عليه السلام وجحدت جماعة منهم
فقوينا الذين امنوا منهم بعيسى عليه السلام على الذين خالفوا دينه فاصبحوا غالبين عليهم بالحجة ويقال
اصبحت حجة من امن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى كلمة الله
وروحه ويقال ان المراد بقوله فامنت طايفة من بنى اسرائيل ايمان طايفة منهم نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم وكفرت طايفة منهم فاصبح المومنون غالبين على اعدائهم بالسيف واشتقاق التابيد
من الايد وهو القوة ه وعن ابي بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قرا سورة الصف كان عيسى عليه السلام مصليا عليه ومستغفرا له ما دام في الدنيا فاذا مات كان
رفيقه في الجنة سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة اية بلا اختلاف
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واخرين منهم لما
يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ه قوله
السورة بيان ما جعل من الاستفتاح بتعظيم الله والقدوس المستحق للتعظيم بتنزيه صفاته عن كل
نقص ويقال معناه كثير البركة والاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا
من اهل الكتاب واول ما ظهرت الكتابة في العرب ظهرت في اهل الطائف ثم تعلموها من اهل
الحيرة وتعلم اهل الحيرة من اهل الانبار والامي في اصل الكلام هو الذي يكون منسوبا الى الام
وهو الذي بقي على اصل ولادة الام لم يتعلم الكتابة ولا قراءتها ووجه الحكمة في جعل النبي في
امة امية ان الله تعالى [illegible] واخبر باخبار الامم الماضية [illegible]
على صدق النبوة وابعد من التهمة في اعجاز القوم [illegible]
قبل الله تعالى وقوله ويتلو عليهم اياته [illegible] القرآن [illegible]
بما يامرهم به من التوحيد ويدعوهم اليه من طاعة الله ويطهرهم [illegible]
القرآن والعلم الذي يعمل عليه [illegible] امور الدين والدنيا وقد كانوا من قبل محمد

اليهم بالقرآن في ذهاب عن الصواب مبين لمن تأمله يعبدون الأوثان ويستقسمون بالأزلام
وقوله تعالى وآخرين منهم معناه وبعثه في آخرين منهم لم يكونوا بعد وسيكونون وذلك
انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل من شاهده من العرب والعجم والى كل من كان بعده منهم
وقال مجاهد هم العرب يتبعهم العجم وقوله ذلك فضل الله اي ذلك الذي ذكر من النبوة والكتاب
والاسلام من الله على عباده يعطيه من يشاء ممن يراه اهلا لذلك والله ذو المن العظيم على من اختصه بالنبوة
والاسلام وفي هذه الآيات بيان ما يجب من الاقرار بالنعمة التي انعم الله بها علينا كافة الناس بارسال
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ومعلوم ان نعمة الهداية اذا وردت على قوم ضلال كان موقعها
اعظم ٥ قوله عز وجل مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين
هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٥ معناه مثل اليهود الذين
امروا ان يعملوا بما في التورية ويظهروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فيها ثم لم يفعلوا ما
امروا به ولم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل كتبا عظاما من العلم لا يدري ما
عليه وما حمل كذلك اليهود لا يدرون ما حملوا من التورية وما امروا به فيها وليس حمل التورية
من الحمل على الظهر وانما هي من الحمالة وهي الضمان والكفالة والتقبل كما في قوله تعالى فابين ان
يحملنها اي يتقبلنها ويضمنها فاليهود ضمنوا العمل بها وضمنوا ثم لم يفعلوا ما ضمنوا وجحدوا بعض ما
حملوا فلذلك قيل ثم لم يحملوها وهذا كما يقال لمن عمل شيئا ولم يصبر عملت ولم تعمل ويحكى عن سلمان
الفارسي انه قال لكن ديدبي في مكر ديدبو وقد اخذ الشاعر معنى هذا المثل المذكور في هذه الآية فقال
زوامل للاسفار لا علم عندهم بجيدها الا كعلم الاباعر لعمرك ما يدري البعير اذا غدا
باحماله او راح ما في الغرابر والاسفار جمع السفر سميت بذلك لانها تكشف عن المعنى باظهارها
ثم يقال سفرت المرأة عن وجهها وسفر الرجل عن عمامته وقوله تعالى بئس مثل القوم اي بئس مثلا
المثل الذي ضرب لهم والمعنى بئس القوم الذين هذا مثلهم فان قال قائل هل يكون مثل قارئ
القرآن من غير ان يفهمه كمثل الحمار يحمل اسفارا قيل لا يكون مثله كذلك ان كان طالبا لعلمه وقد
قدم حفظه ليكون ذلك طريقا الى علم ما فيه فان اعرض عن ذلك اعراض من لا يحتاج اليه لحقه هذا
المثل وقوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا جواب لليهود في قولهم نحن ابناء الله واحباؤه قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان زعمتم انكم احباء الله واهل ولايته وان الجنة في الآخرة لكم من دون
الناس فاسألوا الله تعالى الموت ان كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا كي تصلوا الى نعيم
الآخرة وتستريحوا من تعب الدنيا وسيميتكم الله ان قلتم ذلك كما روي في الحديث انه لما نزلت هذه الآية
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم امتنا والذي نفسي بيده ليس احد منكم يقول ذلك
الا غص بريقه فمات مكانه فكرهوا ذلك وابوا ان يقولوا وعرفوا انه سيكون ذلك ان قالوا
فانزل الله تعالى قوله ولا يتمنونه ابدا اي لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموا من التكذيب بمحمد صلى الله عليه
وسلم والتحريف لصفته في التورية وقوله تعالى والله عليم بالظالمين اخبار عن معلوم الله تعالى فيهم
ثم حذرهم الله تعالى بقوله قل ان الموت يقول قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الموت الذي تفرون منه
ان تلقوه فانه نازل بكم لا محالة عند انقضاء آجالكم ثم تردون الى عالم الغيب اي عالم ما غاب عن العباد

علم

علمه وما علمه العباد الى حيث لا مالك سواه فيخبركم بما دق وجل من اعمالكم ثم يجازيكم على ما عملتم
وهذا وعيد عظيم في الزجر عن المعاصي وفي هذه الآية دلالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
على القطع انهم لا يتمنونه ابدا وهذا اخبار عن الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى وقد وجد مخبره على ما اخبر
وفي هذا ايضا بطلان ما ادعت اليهود من انهم اولياء الله جل ثناؤه لانهم لو كانوا صادقين لتمنوا
الموت لان دخول الجنة مع الموت خير من البقاء في الدنيا واما دخول الفاء في خبر ان في قوله ان الموت
الذي تفرون منه فانه فالوجه في هذا ان معنى الذي تفرون منه معنى الشرط والجزاء والعرب تدخل
الفاء في كل خبر كان اسمه مما يوصل مثل ما ومن والذي والغاؤها جائز ويجوز ان يكون دخول الفاء
ههنا للمبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه فروا او لم تفروا لان الفار منه لا يباعده فكأنه
قال فررتم منه او لم تفروا فانه ملاقيكم ٥ قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا
قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
الخطاب لعامة المؤمنين والمراد بالصلوة الصلوة المختصة بهذا اليوم من بين سائر الصلوات والنداء
المشروع لهذه الصلوة هو الاذان الثاني الذي يقوله المؤذنون عند صعود الامام المنبر كما روي عن
السائب بن يزيد انه قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا مؤذن واحد يؤذن اذا قعد على
المنبر ثم يقيم اذا نزل ثم ابو بكر كذلك ثم عمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر رضي الله
عنه واما السعي المذكور في الآية فالمراد به اجابة النداء والمبادرة الى الجمعة وفي قراءة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه فامضوا الى ذكر الله وكان يقول لو امرت بالسعي لسعيت حتى يسقط ردائي وهذه القراءة
تفسير للقراءة المشهورة ومن قال ان السعي هو السعي بالقلب والاخلاص في العمل ومعناه ان يكون
عامل ما على السعي معتقدا انه لا بد من حضور الجمعة وقد اختلف مشايخنا في انه هل يجب عليه الاسراع
والعدو اذا خاف فوت الجمعة ام لا قال بعضهم يلزمه ذلك بظاهر هذا النص بخلاف السعي الى
سائر الجماعات لا يؤمر به وان خاف الفوت وقال بعضهم لا يلزمه ذلك وليس السعي الا العمل والتصرف
كما قال عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى اي الا ما عمل وكذلك في قوله تعالى ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها ومما يدل على ذلك ان قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الصلوة فلا تأتوها وانتم
تسعون وأتوها وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا عام في جميع الصلوات
واما ذكر الله تعالى في الآية فقال بعضهم هو الصلوة مع الامام وقال بعضهم هي الخطبة لانها هي التي تلي
النداء ويستدل من هذه الآية على وجوب الخطبة والجمعة لان الله تعالى امر بالسعي الى ذلك وامر بترك البيع
المباح لاجله بان قال وذروا البيع اي اذا سمعتم النداء فاسعوا الى الذكر واتركوا البيع والشراء ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى فالواجب على من سمع النداء حضور الجمعة بعموم الآية الا من
خصهم الحديث من النساء والعبيد والمرضى والمسافرين والصبيان كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الجمعة واجبة على كل مسلم الا على اربعة عبدا ومريضا ومسافرا وامرأة فمن استغنى عنها بلهو او
تجارة فقد استغنى الله عنه والله غني حميد ويجوز ان يقال ان في الآية ما يدل على ان الخطاب للاحرار
وهو قوله تعالى وذروا البيع وقوله وابتغوا من فضل الله وفيها ما يدل على ان الخطاب للرجال دون
النساء لان قوله فاسعوا الى ذكر الله يقتضي ان ذلك مما يجب ان يسعى به الجميع من كل المواضع والنساء
ممنوعات عن الحضور في مثل هذه المواضع وقوله تعالى فاذا قضيت الصلوة يدل على انها صلاة واحدة
يقصونها ويتنشرون منها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا جمعة ولا تشريق الا في مصر
جامع فكذلك روي عن علي كرم الله وجهه والى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله فقالوا ان الجمعة لا تجب

140

الا على اهل الامصار والارباط المتصلة بالمصر ولذلك لم ينقل فعلها الا في الامصار وقال مالك
تصح في كل قرية فيها بيوت متصلة واسواق متصلة وشرط الشافعي رحمه الله ان يكون في القرية
اربعون رجلا احرارا بالغون عاقلون لا يظعنون عنها الا ظعن حاجة فان كانت القرية قريبة من
المصر بحيث يسمعون صوت النداء ولم يكن فيها اربعون رجلا فعليهم حضور المصر للجمعة وليس الاعتبار في
الحقيقة بعين سماع النداء لان النداء يسمعه المريض والمسافر ولو نودي قبل الزوال لم يعتبر به وانما
الاعتبار بالمكان والوقت وهو من اهل الوجوب ومن جملة الشرائط التي لا تصح الجمعة الا بها الخطبة
والجماعة والامام المخصوص عندنا وهو السلطان او المامور من جهته الا اذا انقطع تدبيره فقدم الناس
رجلا ولو جازت الجمعة باي امام كان لسبقت طائفة الى الجامع فقدموا اماما لغرض فيفوتوها
على سائر الناس ولكانوا اذا اجتمعوا كلهم فاختلفوا في تعيين الامام ادى اختلافهم في ذلك الى
بطلانها بخروج الوقت واما قوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله فهو اباحة للبيع والكسب
بعد الحظر كما في قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وعن عبد الله بن عباس انه قال لم تومروا في هذه الاية
بطلب شيء من الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنائز وزيارة اخ في الله تعالى وعن الحسن انه قال هو طلب
العلم والقول الاول اظهر من هذين الوجهين وقوله تعالى واذكروا الله كثيرا اريد به الذكر باللسان
والقلب في كل الطاعات وفي تعليق الفلاح بهذا الذكر دليل ان المراد بالذكر الاذكار الواجبة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصومه ومن عصى الله
فقد نسي الله وان كثر صومه وصلاته قوله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ۞ وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم الجمعة يخطب اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بتجارة وكان
يقدم المدينة بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وغير ذلك فنزل عند احجار الزيت ثم يضرب بالطبل ليؤذن
الناس بقدومه فيبتاعون منه فخرج اهل المسجد اليه الا ثمانية رهط ثبتوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم كذا روي عن ابن عباس قال وكنت اخر من خرج من المسجد وفيهم نزلت هذه الاية وقوله
تعالى انفضوا اليها اي تفرقوا بالخروج اليها وتركوك قائما على المنبر تخطب وفي هذا دليل على وجوب
الخطبة لان الله تعالى عاتبهم على ترك الاستماع ولو لم تكن فرضا لم يعاتبوا على ذلك ويستدل من هذه الاية
على ان السنة ان يخطب الامام قائما وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لحق اخرهم اولهم
لالتهب الوادي عليهم نارا واما الكناية في قوله تعالى اليها فهي راجعة الى التجارة دون اللهو لان
التجارة كانت اهم اليهم من ضرب الطبل فان السنة كانت سنة مجاعة وغلاء سعر واللهو كل شيء
يلهيك عما يعنيك وكل شيء كسرته فقد فضضته وفي قوله تعالى قل ما عند الله خير بيان انهم لو
ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى صلوا الصلوة ثم خرجوا لكان خيرا لهم من التجارة التي خرجوا اليها
وفي هذا تنبيه على ان من توفر على عبادة الله تعالى يرزقه الله تعالى كما يرزق التاجر بل ازيد وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق ادم عليه السلام وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى شيئا الا اعطاه
اياه وعنه انه قال واذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة
يكتبون الاول فالاول فالمبكر الى الجمعة كالمهدي بدنة ثم كالمهدي بقرة ثم كالمهدي شاة ثم كالمهدي
دجاجة ثم كالمهدي بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف وقعدت الملائكة يستمعون الذكر فمن دنى
من الامام فاستمع وانصت ولم يلغ كان له كفلان من الاجر ومن تباعد ولم ينصت كان له كفلان
من الوزر ومن قال لصاحبه مه والامام يخطب فلا جمعة له وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الجمعة كتب له عشر حسنات بعدد من ذهب الى الجمعة في مصر من
امصار المسلمين ومن لم يذهب وبالله التوفيق ۞ سورة المنافقين مدنية غير قوله
تعالى لئن رجعنا الى المدينة فانها نزلت في الطريق وبعد مدنية ايضا لنزولها بعد الهجرة وهي احدى عشر
آية بلا خلاف ۞ بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم
جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون
كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون ۞ معناه اذا جاءك يا محمد منافقوا
اهل المدينة عبد الله بن ابي واصحابه قالوا نقسم لك انك لرسول الله وعلى ذلك ضميرنا واعتقادنا والله يعلم
انك لرسوله من غير شهادة المنافقين وحلفهم والله يخبر ان المنافقين لكاذبون ما يعلمون انك لرسول الله
ولا يعتقدون بقلوبهم ما يقولون بالسنتهم فهم كاذبون في اخبارهم عما في ضمائرهم فاما شهادتهم بالسنتهم
انه رسول الله فقد كانت صدقا وقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة يدفعون بها عن انفسهم السبي والقتل
والجنة كمن ياخذ على نفسه جنة لدفع الجراح وقوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي منعوا الناس عن طاعة
الله تعالى وامتنعوا عنها لان هذا اللفظ لازم ومتعد انهم ساء ما كانوا يعملون في نفاقهم من التكذيب
والخيانة وفي هذه الاية دليل ان قول الرجل اشهد يمين لان القوم قالوا نشهد فجعله الله تعالى يمينا بهذه
الاية وعلى هذا اقسم واعزم واحلف لافعلن كلها ايمان عند ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد والثوري
والاوزاعي وقال مالك ان اراد به اليمين فهو يمين وقال الشافعي اقسم ليس بيمين واقسم بالله يمين
ان ارادها وان اراد الوعد فليس بيمين وفي قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الالف اي قولهم انا مومنون
اتخذوه تقية عن القتل وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا معناه ذلك الحكم بنفاقهم وبقاء
ذلك الصد منهم فانهم كانوا يؤمنون في العلانية بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فاذا عادوا الى قومهم
ثبتوا على الكفر في السر فاورث ذلك طبعا على قلوبهم ونظير هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون وقوله تعالى لا يفقهون اي لا يعلمون القرآن ولا يعون ما يوعظون به وقوله تعالى
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي صحة اجسامهم وحسن منظرهم وذلك انهم كانوا يكونون على هيئة
حسنة وسمت حسن وكان عبد الله بن ابي رجلا جسيما فصيحا لسنا وكانوا اذا قالوا اشيا اصغا اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم لحسن كلامهم ولهذا دخلت اللام في تسمع لقولهم ويجوز ان يكون معناه الى قولهم
وفي قوله تعالى كانهم خشب مسندة بيان انهم في ترك التفهم والاستبصار في قلة حركتهم الى الخير
بمنزلة الخشب المسندة الى الجدار لا ينتفع بها الا بالنظر اليها ويقال شبهوا بخشب نخرة متآكلة لا خير فيها
الا انها مسندة ظواهرها حسنة يحسب من راها انها صحيحة سليمة والخشب جمع الخشبة مثل البدن والبدنة
ويقال بجزم الشين ايضا كالبدن بجزم الدال وقوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم اي يظنون من الجبن
والخوف ان كل من خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فانما يخاطبه في امرهم وكشف نفاقهم ويقال يظنون
كل صوت يكون في المدينة انه امر عليهم وقوله تعالى هم العدو ابتداء كلام والمعنى على الحقيقة
العدو الادنى اليكم فاحذرهم يا محمد لا تامنهم وان اظهروا انهم معكم وذلك كان ضررهم على اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من ضرر كل من كان يكاشفهم من الكفار لان المنافقين كانوا يخالطون
المسلمين ويعرفون من حالهم ما كان لا يعرف سائر الكفار وقوله تعالى قاتلهم الله اي لعنهم الله
واخزاهم واهلكهم [illegible] انى يصرفون عن الحق الى الباطل وهذا تعجب من نفاقهم
قوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورايتهم يصدون

وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين ۝ معناه واذا قيل لهؤلاء المنافقين بعد ما افتضحوا هلموا الى رسول الله ليستغفر لكم
ذنوبكم عطفوا رؤسهم استهزاء كمن يعرض عليه شيء ينكره ويستعظم عن قوله فيثني راسه عنه في انكاره
ومن قرأ لووا بالتخفيف فهو من لوى يلوي اذا صرف الشيء وقلبه والتلوية تفعيل من ذلك وقوله تعالى
ورأيتهم يصدون اي يمتنعون بانفسهم عن طلب المغفرة ويمنعون غيرهم عن ذلك وهم مع هذا مستكبرون عن
قبول الحق سواء عليهم الاستغفار وتركه لن يغفر الله لهم لابطائهم الكفر وهذا في قوم مخصوصين علم الله
تعالى ان لا يؤمنوا قط فلم يستغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية ۝ **قوله عز وجل** هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن
المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ۝ وذلك ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا نزولا على الماء
في غزوة بني المصطلق اذ وقع بين غلام لعمر رضي الله عنه يقال له جهجاه وبين غلام لعبد الله بن ابي يقال
له سنان كلام فنادى سنان يا معشر الانصار ونادى جهجاه يا معشر المهاجرين فاشتبك الناس وعلت
الاصوات فقال عبد الله بن ابي ما ادخلنا هؤلاء القوم في ديارنا الا ليركبوا اعناقنا وقال سمن كلبك
ياكلك يعرض به للنبي صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه اما انكم لو تمنعون اصحاب هذا الرجل الطعام
لتفرقوا عنه ورجعوا الى عشائرهم فسمع زيد بن ارقم كلامه فمضى الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك
فبلغ ذلك عبد الله بن ابي فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فانكر ذلك وحلف عليه ومعه قوم من الاشراف
يصدقونه فانزل الله تعالى هذه الايات تصديقا لابن ارقم وتكذيبا لابن ابي فلما رجعوا الى المدينة
قبض عبد الله بن عبد الله بن ابي على ابيه وقال انت والله الاذل ورسول الله الاعز ولا تدخل المدينة الا
بامر النبي صلى الله عليه وسلم فحبسه حتى انتهى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى اليه امره باطلاقه
والاعز في اللغة القادر على منع غيره والاذل العاجز عن منع غيره وكان ابن ابي يعني بالاعز نفسه فبين الله
تعالى ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وفي هذه اعلام ان الله تعالى مظهر دين الاسلام على الاديان كلها
وبين انه هو الذي يرزق الخلق اجمعين لا ان بيد احد من الناس شيئا من ارزاقهم ۝ **قوله عز وجل**
يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم
الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون
معناه يا ايها الذين امنوا لا تشغلكم كثرة اموالكم وحفظها وتمتعكم بها ولا تربية الاولاد واصلاح حالهم
عن طاعة الله تعالى ويقال اراد بالذكر الصلوة وسماها ذكرا لاختصاصها بالاذكار ومن يفعل ذلك
اي يشتغل بالمال والولد عن طاعة الله فاولئك هم المغبونون بذهاب الدنيا والاخرة عنهم وهلاك انفسهم
التي هي راس مالهم وانفقوا الاموال في الزكوة والجهاد وغيرهما من الحقوق الواجبة من قبل ان ياتي احدكم
اسباب الموت فيعلم انه ميت فيقول يا رب هلا اخرتني الى اجل قريب في الدنيا اي يتمنى التاخير مدة ليتاخر
ليتصدق ويكون من الصالحين بالتلافي والتوبة واستيناف العمل الصالح ولا ينفعه تمنيه عند ذلك ولن
يؤخر الله نفسا اذا جاء وقت هلاكها والله خبير اي عالم بما تعملون من الخير والشر وبمن يتوب اذا اخر في اجله
وبمن لا يتوب وانما انتصب قوله فاصدق لانه جواب التمني بالفاء وهي في الاصل فاتصدق واكون
واما على ظاهر القراءة فقوله واكن جزم على موضع فاصدق لانه لولا الفاء لكان جزما وفي الاية دلالة على حصول
التفريط بالموت لانه لو لم يكن كذلك لتحركت الزكوة الى تركة الميت ولزم الورثة اخراجها فلما سال الله تعالى
الرجعة دل ان الزكوة لا تؤخذ من تركته الا بوصيته وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما من احد

وفرط في الزكوة ووجد زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله تعالى فلم يحج حتى مات الا سال الله تعالى الرجعة
عند الموت فقيل له اتق الله يا ابن عباس فان الكافر هو الذي يسال الرجعة عند الموت فقال ان شئتم
تلوت عليكم اية من كتاب الله فقرا هذه الاية وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق ۝ **سورة التغابن مكية ومدنية**
وهي ثماني عشرة اية بلا اختلاف ۝ **بسم الله الرحمن الرحيم** ۝ يسبح لله ما
في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن
صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم
بذات الصدور ۝ افتتح الله تعالى هذه السورة بما يجب من تعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق بصفاته
فله الملك الدائم الذي لا يزول وله الحمد في السموات والارض وهو على كل شيء من امر الدنيا والاخرة
قادر وقوله تعالى هو الذي خلقكم اي ابتدا خلقكم فمنكم كافر بانه خالقه ومنكم مصدق بانه خالقه
وهذا كما في قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ويجوز ان يكون الكفر ها هنا هو الجحود بوحدانيته
والايمان هو التصديق بوحدانيته وهذا هو الاظهر وهو تحضيض على الايمان وتحذير من الكفر وقوله
تعالى والله بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم واورد بعض المفسرين في معنى هذه الاية انه تعالى خلقكم في
بطون امهاتكم كفارا ومؤمنين الا ان هذا القول لا يرجع الى تحصيل لان قائل هذا القول لا يخلو اما
ان يريد به العلم وعلم الله تعالى بذلك كان سابقا على خلق الامهات واما ان يريد به تحقيق معنى الكفر
والايمان في حال كونهم في بطون امهاتهم وكل احد يعلم انه لم يخلق في بطن الام عاقلا ولا مميزا
ولو كان معنى هذه الاية كما قال هذا القائل لقال تعالى خلقكم فمنكم كافرا ومنكم مؤمنا
بالنصب دون الرفع فلما وصفهم الله تعالى بفعلهم واضاف فعل الايمان والكفر اليهم دل ان
ذلك من فعلهم الا ان افعالهم بمشيئة الله عز وجل لا على طريق الاختيار لكن على معنى انه لو شاء حال بين
الكفار وكفرهم ونظير هذا ان يقال هو الذي انعم عليكم فمنكم جاحد ومنكم شاكر وكما يقال خلع
الامير على جنده فمنهم من قبل ومنهم من لم يقبل وقوله تعالى وصوركم معناه صوركم في ارحام الامهات
فجعل صوركم احسن من صور سائر الحيوانات وهذا كما في قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ويجوز ان يكون معنى الحسن ها هنا راجعا الى الحكمة اي في كل صنف وكل صورة على ارادته
من تحسين صورة البعض وتشويه صورة البعض واليه المرجع في الاخرة فيجزي كل عامل ما عمل وقوله
تعالى ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما يسر بعضكم الى بعض وما تخفونه في صدوركم عن غيركم وما يظهرون
بالسنتكم وجوارحكم وهو عليم بما في القلوب من الخير والشر ۝ **قوله عز وجل** الم ياتكم نبؤا
الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد ۝ معناه الم
ياتكم يا اهل مكة خبر الذين كفروا من قبلكم من الامم الخالية كيف اذاقهم الله عقوبة تكذيبهم
الرسل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم ذلك العذاب بانه كانت
تاتيهم رسلهم بالمعجزات فقالوا ادمي مثلنا يدعونا من دين ابائنا الى دين خلافه ظنوا ان خلقا
مثلهم لا يكون نبيا هاديا لهم ولم يعلموا ان الذي لاجله يصير هاديا هو ما يظهر عليه من الايات
ولو كان ملكا لكان يلزم قبول قوله بهذه الايات لا بالخلقة فكذبوا بالكتب والرسل واعرضوا
عن القبول منهم واستغنى الله عن ايمانهم وعن طاعتهم والله غني عن افعال العباد حميد في انعامه
عليهم لانه تعالى لا يامرهم ولا ينهاهم الا لمصالحهم واما اسم البشر فخرجه مخرج الواحد ومعناه الجمع

فلذلك قيل يهدوننا واصل الوبال من الثقل يقال امر وبيل اي ثقيل فسمي جزاء المعصية وبالا لثقله
قوله عز وجل زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير ٥ معناه قال كفار مكة قولا بالظن من غير يقين انهم لا يبعثون بعد الموت ولذلك اختاروا الكفر وتركوا الايمان قل لهم يا محمد بلى والله لتبعثن اي تحيون بعد الموت ثم لتخبرن في الآخرة بما عملتم في الدنيا وذلك البعث والجزاء على الله سهل هين فآمنوا يا اهل مكة بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي انزلنا به جبريل عليه السلام والله عالم باعمالكم ومجازيكم عليها

قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ٥ في الآية بيان صفة يوم البعث انه يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ذلك يوم يتبين فيه غبن بعضهم لبعض والغبن النقص يقال غبنت الرجل اغبنه غبنا اذا نقصته والغبن بفتح الباء ضعف الرأي والمغبون من يأخذ شرا مما اعطى ويعطي خيرا مما اخذ فالمؤمن غابن لانه اختار الآخرة وثوابها وهجر الدنيا ونعيمها فقد اعطى الكافر خيرا مما اخذ واخذ شرا مما اعطى وكأن المؤمنين الاهل والمنزل والخدم التي للكفار في الآخرة فكأنهم غبنوهم وقد يغبن المؤمن اذا رفعت منزلته في الآخرة في الجنة من كان دونه في المنزلة بان كان ظلمه الذي هو دونه في المنزلة في حال كونهما في الدنيا فلم ينتصف منه وقد يغبن الرجل نفسه بان يشتري الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقد يحصل الغبن العظيم بان يرى كسب نفسه في ميزان غيره فيشقى بمال اكتسبه هو وقد سعد به وارثه فهذه كلها وجوه الغبن وقوله تعالى ومن يؤمن بالله وقوله والذين كفروا وكذبوا ينتظم كشف معنى الغبن في الآخرة لان المؤمنين يصلون الى النعيم المقيم بما يتكلفون من المكاره في المدة اليسيرة والكفار يحرمون ذلك بتقصيرهم في تلك المدة

قوله عز وجل ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٥ معناه ما اصاب احدا مصيبة في البدن والاهل والمال الا بعلم الله تعالى وقضائه ومن يؤمن بالله اي يصدق بان المصيبة من الله يهد قلبه للرضى والصبر ويقال يوفقه للاسترجاع ويقرأ يهدأ بالهمز وقلبه بالرفع على معنى يهدأ قلبه اذا سكن ويقرأ يهد بضم الياء ويقرأ نهد بالنون

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ٥ وذلك ان الرجل كان لا يستطيع الهجرة مع ازواجه واولاده وكان اذا اراد ان يهاجر بنفسه تعلقت به امرأته واولاده تقول انشدك الله الى من تدعنا فيجلس ويدع الهجرة فانزل الله تعالى هذه الآية بالمدينة ينهاهم عن ذلك ويحذرهم طاعة الازواج والاولاد في معصية الله تعالى فذلك قوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وحرف من ها هنا تدل على انه ليس جميع الازواج والاولاد عدوا وانما منهم من يحب هلاككم ليرث مالكم واي عدو اعدى ممن يحب موتك لمنفعة نفسه ومنهم من يحملكم على ان تعصوا الله باخذ غير الواجب او بمنع الواجب لمنفعة ترجع اليهم وقوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا يريد به ان الرجل كان اذا اراد الجهاد عرض عزمه على امرأته وقرابته فاذا ابوا عليه اقسم عليهم ان لا ينفق عليهم فاذا عاد كف النفقة ليمينه فقيل لهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي ان تعفوا عنهم وتتجاوزوا عن صدهم اياكم

وتستروا

وتستروا ذنوبهم بعد ما رجعتم من الجهاد وبعد ما اجتمعتم في دار الهجرة ولم تكافئوهم على سوء ما فعلوا فان الله غفور رحيم يغفر لكم بذلك كثيرا من ذنوبكم ٥ ثم اعلم الله تعالى ان الاموال والاولاد مما تفتتنون به فقال انما هما فتنة ومعنى الفتنة الشدة في التعبد وذلك ان الانسان اذا اراد ان يصون ماله وولده لم يتهيأ له التحرز من معاصي الله عز وجل فيما اشتد يخالف ذلك فيؤدي حق الله تعالى والله عنده اجر عظيم اي ثواب وافر لمن لم يشغله ماله وولده عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى فاتقوا الله اي اتقوا عقاب الله بطاعته على قدر وسعكم في اجتناب المحارم واداء الفرائض واسمعوا ما تؤمرون به واطيعوا امر رسوله وتصدقوا من اموالكم في طاعته يكن ذلك خيرا لانفسكم لان نفع الآخرة اعظم ويقال الخير ها هنا المال كأنه قال انفقوا مالا من اموالكم ومن يدفع عنه بخل نفسه فاولئك هم المدركون لطلبتهم والشح في الدين منع الواجب ومن الشح ان يعمد الرجل الى مال الغير فيأكله

قوله عز وجل ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ٥ يقول ان تعطوا في الصدقة مالا من حسبة صادقة من قلوبكم يقبله منكم ويضاعفه لكم ويغفر لكم ذنوبكم والله شكور يقبل اليسير ويعطي الجزيل من الثواب حليم لا يعجل بالعقوبة على من ضن بالصدقة واخر العقوبة على ذنوبه وقوله تعالى عالم الغيب اي يعلم ما تكنه صدورهم مما لا يعلمه الحفظة ويعلم كلما ظهر مما سقط من ورقة وما قطر من قطر المطر وهو العزيز في ملكه وسلطانه الحكيم في امره وقضائه وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجأة ٥

سورة الطلاق

مدنية وهي احدى عشرة آية عند البصريين واثنتا عشرة عند غيرهم ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا ٥ الخطاب في اول سورة للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون فيه لان خطاب الرئيس خطاب للاتباع خصوصا اذا كانوا مأمورين بالاقتداء به والمعنى يا ايها النبي اذا اردت انت وامتك الطلاق فطلقوا النساء لعدتهن وهذا كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام اليها ويجوز ان يكون المعنى يا ايها النبي قل لامتك والطلاق للعدة هو ان يطلقها في طهر لم يمسها فيه كما روي عن الحسن وابن سيرين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال [illegible] من الطلاق طلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها ويقال معنى الطلاق للعدة ان يفرق الطلاق الثلث على اطهار العدة فيطلقها في كل طهر لم يمسها فيه تطليقة كما روي في حديث ابن عمر انه لما طلق امرأته في الحيض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر من حيضتها ثم تحيض حيضة اخرى فاذا طهرت فليطلقها ان شاء في كل طهر تطليقة ان شاء فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء هكذا روي في الحديث وهو اشارة الى ان الطلاق في زمان الدم والطلاق في الطهر الذي جامعها فيه لا يكون طلاقا للعدة واللام على هذا القول في قوله تعالى لعدتهن لام الحال كقول القائل قمت لقيامك وقعدت لقعودك والعدة على ضربين عدة ايقاع الطلاق وعدة اعتداد المرأة والمراد بالعدة ها هنا عدة ايقاع الطلاق كما

ورد في الحديث الذي رويناه واستدل بعض الفقهاء من هذه الآية على ان انقضاء عدة النساء يتعلق
بثلاثة اطهار وان المراد من قوله تعالى يتربصن بانفسهن ثلثة قروء الاطهار دون الحيض وقد تقدم
الكلام في ذلك مع ان هذا الاستدلال لا يصح من قائل هذا القول لانه لا يشترط تفريق الطلاق على
اطهار العدة ومن مشايخنا من قال ان اللام في قوله تعالى لعدتهن لام الاستقبال كما يقال تزود للسفر
وتاهب للشتاء وفي قراءة عبد الله بن مسعود فطلقوهن لقبل عدتهن اي لاستقبال عدتهن وهذا يدل على ان
الاعتبار في انقضاء العدة بالحيض واما قوله تعالى واحصوا العدة فمعناه واحصوا عدة المطلقات لما
تريدون من رجعة او تسريح فاذا حاضت المعتدة حيضة وطهرت فان اراد الزوج ان يطلقها اخرى طلقها
ثانية قبل ان تحيض فاذا حاضت وطهرت طلقها اخرى ان شاء فتبين بالثلاث وقد بقي من عدتها حيضة وان
كان الزوج يريد رجعتها فهو يملكها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة من عدتها فيحفظ عليها العدة
لاجل الرجعة الى ذلك الوقت واتقوا الله ربكم في النساء اذا طلقتموهن واحدة او اثنتين او ثلثا لا تخرجوهن
من بيوتهن التي طلقتن فيها وهي بيوت ازواجهن ولا يخرجن هن من قبل انفسهن حتى تنقضي عدتهن وفي هذه
الآية دليل وجوب السكنى لها ما دامت في العدة ولهذا لا يباح لها السفر في العدة ولا يباح لها الخروج وان
اذن لها الزوج ولا يحل للزوج اخراجها من منزله واما المنكوحة فيحل لها ان تخرج من المنزل باذن الزوج
وقوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عمر لا يخرجن الا ويكون خروجهن معصية وقال الحسن
معناه الا ان يزنين فيظهر ذلك عليهن بشهادة اربعة من الشهود فيخرجن لاقامة الحدود وقال ابن عباس
معناه الا ان يستطلن على اهل المنزل ببذاء تهن كما روي ان فاطمة بنت قيس طلقها زوجها فكانت
تستطيل على احمائها بلسانها فنقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت ابن ام مكتوم وكان
ضريرا تعتد فيه ويروى انه نقلها الى منزل ام كلثوم وقوله تعالى تلك حدود الله اي هذه احكام
الله تعالى وفرائضه في الطلاق للسنة والعدة فلا تجاوزوها الى ما نهي عنه ومن يتجاوز احكام
الله تعالى بالمخالفة فقد اضر بنفسه وفي هذا دليل على ان من طلق لغير السنة يقع طلاقه لانه لو لم يقع
لما كان ظالما لنفسه وقد ذكر الله تعالى هذا الحكم عقيب الامر بالطلاق للعدة فلا بد ان يكون
تعديه بحد راجعا الى مخالفة ذلك المعنى وقوله تعالى لا تدري لعل الله معناه طلقوهن كما امرتكم
لا تدري ايها المخاطب لعل الله يحدث بعد ذلك امرا من تغير راي الزوج في ايقاعها فيندم على طلاقها ويريد
مراجعتها فلا يقدر على ذلك ولا ينفعه الندم ان كان طلق لغير العدة فان قال قائل اليس لو طلق
الطلقة الثالثة للعدة لم يمكنه التلافي اذا ندم بعد ذلك فلا تحل له الا بعد زوج قلنا اذا فرق الثلث
على اطهار العدة فقد اقدم على الطلقة الثالثة على بصيرة من امره لانه جرب نفسه في مدة العدة فلم يكن
الموضع موضع الندم كمن طلق امراته الحامل بعد ما استبان حملها لم يكره له ذلك حين اقدم على طلاقها
على بصيرة منه وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن معناه اذا قاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن بحسن الصحبة والمعاشرة
قبل ان يغتسلن من الحيضة الثالثة او اتركوا مراجعتهن بايفاء المهر ونفقة العدة حتى تنقضي عدتهن
ولا يجوز ان يكون المراد بهذه الآية حقيقة بلوغ الاجل لانه لا رجعة بعد بلوغ الاجل الذي هو
انقضاء العدة وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم اي اشهدوا على الطلاق والرجعة ذوي
عدل من المسلمين وهذا امر استحباب احتياطا من ان تجاحد المرأة الرجعة او يجحد الزوج الطلاق ولا تتجاحد
المرأة بعد مضي مدة العدة الرجعة وقوله تعالى واقيموا الشهادة لله خطاب للشهود اي قوموا بها
عند الحكام لله تعالى لا لاجل المشهود له ولا لاجل المشهود عليه ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
في الطلاق والرجعة واقامة الشهادة يوعظ به من كان يصدق بالله وبالبعث بعد الموت لانهم
هم الذين ينتفعون بالوعظ ومن يتق الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه يجعل له مخرجا من المعصية الى

٧

الطاعة ويقال من الحرام والشبهات الى الحلال ويرزقه في الآخرة من نعيم الجنة ما لا يحتسبه ويقال يرزقه
في الدنيا من حيث لا يأمل ومن يفوض جميع اموره الى الله تعالى عالما وانما يحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه
لا يحتاج الى غيره ان الله بالغ امره اي ممضي امره ومنفذه لا يمتنع عما يريد ويجوز ان يكون المعنى امره عليه
عائدة الى المتوكل اي يبلغ الله امره ويجد قد جعل الله لكل شيء من احكامه مقدارا واجلا معلوما
فلا عذر للعبد في تقصير يقع منه وفي الحديث ان عوف بن مالك الاشجعي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكى اليه الفقر والفاقة وذكر ان ابنا له اسره العدو الى الروم فامره النبي بالصبر والاحتساب وان
يكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فجعل يدعو بها فبينا هو ذات يوم اذا اتاه ابنه وقد غفل
عنه العدو فاصاب ابلا فرجع الى ابيه ومعه ابل كثيرة فاتى ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فانزل الله تعالى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الى آخر الآية ٥٥

قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر
واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره
يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ٥ وذلك انه
لما بين الله سبحانه عدة ذوات الاقراء بقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا اما عدة التي يئست من الحيض وسالوه عن عدة الصغيرة التي لم تحض وعن عدة
الحوامل فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها واللواتي قعدن من النساء اللاتي يئسن من المحيض من الكبر ان شككتم
في عدتهن فعدتهن اذا طلقن بعد الدخول ثلثة اشهر وقوله تعالى واللائي لم يحضن كلام لا يستقل بنفسه
فلا بد له من خبر وخبره ما تقدم ذكره مظهرا وهو العدة بالشهور ولا يجوز ان يكون المراد
بقوله ان ارتبتم الارتياب في الاياس على ما ذهب اليه بعض الناس انها اذا انقطع حيضها فلم تحض سنة
اشهر فقد ارتفع الحمل اعتدت بعد ذلك بثلثة اشهر وذلك ان الله تعالى قد اثبت في هذه الآية حكم من ثبت
اياسها في اول الآية فلا بد ان يكون الارتياب في غير الاياس فيحمل ذلك على السبب الذي نزل عليه الحكم
ولو كان المراد به الارتياب في الاياس لكان توجيه الارتياب اليهن اولى من توجيهه الى الرجال
لان الحيض انما يوصل الى معرفته من جهتهن ولذلك يكون المراة مصدقة في ذلك وقوله تعالى واولات
الاحمال معناه وذوات الاحمال انقضاء عدتهن ان يضعن ما في بطونهن ولا خلاف في هذا الحكم فيما اذا
كانت المطلقة حاملا وانما اختلفوا في المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا قال عمر وابن مسعود
رضي الله عنهما عدتها بوضع الحمل وقال علي وابن عباس رضي الله عنهم تعتد باخر الاجلين اما الشهور
واما وضع الحمل فلما اختلفوا في ذلك وكانت المتوفى عنها زوجها داخلة في هذه الآية بالاجماع من حيث
ان عدتها لا تنقضي بالشهور اذا كانت حاملا صح ان الاعتبار بوضع الحمل وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وقوله تعالى ومن يتق الله اي يخشى الله فيمتثل اوامره ويجتنب
نواهيه ييسر عليه امره ويوفقه للعبادة الحسنة ذلك حكم الله في الطلاق والعدة والرجعة انزله اليكم
ومن يتق الله باتقاء معاصيه يستر ذنوبه عليه ويزل عنه عقابها ويعطه على ذلك ثوابا حسنا في الجنة قوله
عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن
اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا
بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ٥ معناه انزلوا المطلقات
حيث نزلتم من البيوت التي تجدون ان تسكنوهن فيها ولو تجد في اللغة ما يجد المالك له مما هو

حاضر عنده وكذلك الوجد بكسر الواو ويقال في المال وجدت وُجدا ووِجدا وجِدة اذا صرت ذا مال ووجدت الضالة وجدانا ووجدت على فلان وَجْدا ومَوْجِدة اذا غضبت عليه ووجدت الرجل صالحا وُجودا وفي هذه الآية بيان ان الاسكان على الزوج وان اجرة المسكن تجب من ماله وقوله تعالى ولا تضاروهن اي لا تضاروهن في المسكن ولا في امر النفقة لتضيقوا عليهن يعني اعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن وطهارتهن ومن النفقة ما يكون كفافا لهن بالمعروف وهذا عام في المبتوتة والرجعية لان قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن ينتظمهما جميعا لان النبي لم يسوّ طلاقها الا واحدا اذا اراد وجهها ان يطلقها كان عليه ان يطلقها للعدة وفي قوله تعالى وان كن اولات حمل تاكيد ما اوجب من النفقة لهن لان نفقة الحامل يتقدر بوضع الحمل طالت مدة الحمل ام قصرت الا ترى ان المطلقة الرجعية داخلة في هذه الآية وهي تستحق نفقة عدتها سواء كانت حائلا او حاملا وكذا المبتوتة وقد اجمع اهل العلم على انه لا نفقة للمتوفى عنها زوجها لان قوله تعالى اسكنوهن وقوله فانفقوا عليهن خطاب للازواج وقد زال عنهم الخطاب بالموت ولا يجوز ان يكون هذا خطابا لغير الازواج فلم تجز ايجاب شيء من ذلك بعد موت الازواج وقوله تعالى فان ارضعن لكم معناه ان ارضعن لكم اولادكم بعد وضع الحمل فآتوهن اجرة الرضاع وفي هذا دليل على ان الام اولى بارضاع الولد باجرة المثل واولى بحضانة الولد من كل احد وفيه دليل ان الاجرة لا تستحق بالعقد وانما تستحق بالفراغ من العمل لانه تعالى اوجبها بعد الرضاع وقوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف امر للرجل والمراة ان يأتمروا في امر الولد بالمعروف وهو ان ينفق الرجل نفقة الرضاع من غير اسراف ولا تقتير وتقوم المراة على ولدها في الرضاعة وتعهده من غير تقصير وقوله تعالى وان تعاسرتم معناه فان تمانعتم وتضايقتم فابت الام ان ترضع الولد او طلبت على ذلك من الاجرة اكثر من اجرة المثل وابى الاب ان يعطيها ما طلبت فليطلب الاب للولد ظئرا غير الام غير ان الظئر يجب ان يكون في بيت الام لان الام احق بامساك الولد وكونه عندها وفي هذه الآية بيان انه لا يجب على المراة ان ترضع ولدها بعد الطلاق لا من طريق الديانة ولا ان تجبر على ذلك في الحكم وقوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته معناه لينفق ذو غنى على نسائه واولاده على قدر غناه ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما اعطاه الله من المال وفي هذا بيان ان النفقة انما تفرض بقدر الامكان والسعة وان نفقة المعسر اقل من نفقة الموسر ويستدل من قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها على ان العاجز عن نفقة زوجته لا يفرق بينه وبينها لانه لا يكلف الانفاق وهو عاجز عنه وفي قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا تسلية للصحابة فان اكثرهم كانوا فقراء فوعدهم الله تعالى اليسر بعد العسر ويستدل من هذه الآية على ان القاضي يامر المراة ان تستدين على زوجها المعسر مقدار ما تستحق عليه من النفقة لان المعسر يرجى له اليسر

قوله عز وجل وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ه معناه وكم من اهل بلدة عتوا عن امر ربهم ورسله اي جاوزوا الحد في المعصية فجازيناهم في الآخرة جزاء شديدا على كل صغير وكبير وعذبناهم في الدنيا عذابا خارجا عن العادة لم يعهدوا مثله فذاقوا جزاء كفرهم وكان آخر امرهم الخسر والخسر ها هنا هلاك النفس واصله هلاك راس المال اعد الله لهم في الآخرة عذابا فظيعا بعد الذي نزل بهم فاتقوا عذاب الله يا ذوي العقول لا تسيروا بسيرتهم فينزل بكم ما نزل بهم وقوله تعالى الذين آمنوا نعت ذوي الالباب وقوله تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا اي انزل اليكم كتابا وآتاه رسولا ليوحيه اليكم ويجوز ان يكون

رسولا

رسولا منصوبا على اضمار ارسل ويجوز ان يكون المراد بقوله ذكرا جبريل عليه السلام كانه قال ذا ذكر رسولا والآيات المبينات الواضحات والرزق في اللغة هو النفع الجاري والمراد به في هذه الآية ثواب الآخرة

قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ه معناه هو الله الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض ما بين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام وخلق من الارض سبعا كذلك وليس في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع غير هذه الآية وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن اي يتنزل الملائكة بالتدبير من الله تعالى من سماء الى سماء ومن السماء الى الارض بموت بعض وغنى واحد وفقر آخر وسلامة هذا وهلاك ذاك لتعلموا ان الله تعالى على كل شيء من امر السموات والارض قادر وان علمه قد احاط بكل شيء لان تصريف الامور على الحكمة لا يكون الا من قادر عليم وعن عبد الله بن عباس انه قال ما مثل السموات والارض وما فيهن وما بينهن الا [illegible] كمثل فسطاط ضربته بصحراء من الارض كم ترى ذلك الفسطاط اخذ من الارض وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الطلاق كان موته على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية بلا خلاف ه

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انباك هذا قال نبأني العليم الخبير ه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قسم الايام بين نسائه فكان لتسع نسوة فكان لكل امراة منهن ليلة ويوم فلما كان يوم حفصة بنت عمر زارت اباها في يوم كان ذلك اليوم لعائشة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بيت حفصة فوجد فيه جاريته مارية القبطية ام ابراهيم فخلا بها فلما رجعت حفصة الى المنزل وقفت على ذلك فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت من كان معك في البيت فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم الكآبة في وجهها قال اكتمي علي ولا تخبري عائشة بذلك فانها حرام علي [illegible] واخبرك ان اباك وابا بكر سيملكان امتي بعدي فانطلقت حفصة فاخبرت عائشة بذلك وكانتا متصافيتين فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وقال لها ما الذي حملك على ذلك فقالت ومن اخبرك بما قلت لعائشة فقال اخبرني العليم الخبير فغضب النبي صلى الله عليه وسلم على حفصة فطلقها تطليقة واعتزل نساءه كلهن شهرا تسعا وعشرين ليلة ينظر ما يرى فيهن فانزل الله تعالى هذه الآيات التي في اول هذه السورة وقد ذهب بعض المفسرين الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل على زينب بنت جحش تسقيه عندها شراب عسل كانت تصنع له وكان يطيل المكث عندها فاجتمعت عائشة وحفصة على ان تقولا انا نجد منك رائحة المغافير والمغافير صمغ العرفط [illegible] فلما صار الى كل واحدة منهما قالت له انا نجد منك رائحة المغافير فحرم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه شرب العسل [illegible] فانزل الله تعالى هذه الآيات [illegible] وان هذه الآيات نزلت فيهما [illegible] السلام في كتب الحديث [illegible] عتاب من الله للنبي صلى الله عليه وسلم على ترك ما هو اولى به ويجوز ان يكون هذا التحريم [illegible] وقوله تعالى تبتغي مرضات ازواجك في موضع الحال [illegible] والله غفور رحيم [illegible] كان

منك من التحريم بحيث رخص لك الخروج منه بالكفارة فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم رقبة وعاد الى مارية وقوله تعالى قد فرض الله لكم معناه اوجب الله لكم كفارة ايمانكم والله مولاكم اي متولي اموركم وهو اولى ان تؤثروا مرضاته وهو العليم بما فيه صلاحكم الحكيم في تدبيركم وامركم لم يجعل لنبيه ان يحرم حلالا الا بامره وانما سميت الكفارة تحلة لانها تجب عند انحلال اليمين وتحلة اليمين فعل ما يسقط التبعة في اليمين وهو على وجهين احدهما الكفارة والثاني ان ياتي بشيء مما حلف عليه وهو نحو ان يحلف لياكلن من هذا الطعام فاكل منه اقل القليل فذلك تحلة اليمين وفي هذه الآيات دليل ان التحريم يمين لان الله تعالى اوجب في ذلك كفارة اليمين باطلاق لفظ التحريم وكذلك يقول اذا حرم جاريته او شيئا من المباحات على نفسه كان ذلك بمنزلة قوله لله علي ان لا افعل ذلك وكذلك اذا قال لامراته انت علي حرام او حرمتك ولم ينو الطلاق او الظهار او اطلق لفظ التحريم ولم يكن له نية فهو بمنزلة قوله والله لا اقربك فيكون موليا منها وان اراد به في زوجته الطلاق ولم ينو الثلاث وقعت تطليقة بائنة وان اراد بذلك الخبر بالباطل فهو كذب وقال مالك لا يكون التحريم يمينا في شيء واذا نوى به الطلاق في امراته فهو طلاق وقال الشافعي اذا اطلق التحريم في امراته ولم ينو الطلاق فهو يمين ولم يكن موليا واما في غير المراة فلا يكون يمينا وحجتنا عليهم في هذه الآيات ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ذلك وجعل عليه وهذا اعتراض على حكم القرآن بخبر الآحاد وذلك لا يجوز واما قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فالمراد به اسرار النبي صلى الله عليه وسلم الى حفصة في امر الخلافة وتحريم مارية فلما اخبرت به حفصة عائشة واطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك بين النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بعض ما قالت وهو حديث الخلافة وسكت عن ذكر تحريم مارية لانه لم يكن عيبا لحبه ظهور ذلك واما من قرا عرف بالتخفيف فمعناه جازى عليه كما يقول لمن يسيء قد عرفت ما صنعت اي ساجازيك عليه ومعنى المجازاة ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم طلقها تطليقة فنزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له راجعها فانها صوامة قوامة وهي احدى نسائك في الجنة فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سفيان الثوري يقول ما زال التغافل من فعل الكرام عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعضه **قوله عز وجل** ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا معناه ان تتوبا يا عائشة ويا حفصة الى الله من مظاهرتكما الغيرة وايذاء النبي صلى الله عليه وسلم فقد مالت قلوبكما الى الاثم وان تعاونا على الغيرة والفاحشة فان الله هو مولاه يتولى حفظه ونصره ودفع الاذية عنه وجبريل وليه وصالح المومنين ابوبكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا اشد على ابنتيهما منه والملائكة بعد ذلك انصاره واعوانه عليكما والظهير في اللغة هو الذي يكون كالظهر للانسان في القوة وقد يذكر لفظ الوحدان بمعنى الجماعة كما قال الشاعر

ان العواذل ليس لي بامير

اي امراء وقوله تعالى عسى ربه ان طلقكن يعني لعائشة وحفصة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعيد للنبي صلى الله عليه وسلم بتخييرهن ان احوجنه الى مفارقتهن وقوله مسلمات نعت الازواج يعني مسلمات لامر الله وقضائه مصدقات بالالسن والقلوب فيما يامرهن قانتات مطيعات لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وسلم تائبات راجعات الى طاعة الله تعالى عابدات متذللات لله تعالى سائحات صائمات ويسمى الصائم سائحا تشبيها له بالذي يسيح في طول نهاره لا زاد معه فيجد الزاد يطعم وقوله تعالى ثيبات وابكارا يعني الظاهر المراد وفي بعض الاحاديث ان الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان يزوجه في الجنة من الثيبات آسية بنت

مزاحم

مزاحم ومن الابكار مريم ابنة عمران ام عيسى صلى الله عليه وسلم فاذا اراد ان يزوجهما منه جمع اهل الجنة لذلك فزوجهما الله عز وجل منه صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون معناه يا ايها الذين آمنوا اقروا وصدقوا بالله ورسوله ادفعوا عن انفسكم نارا حطبها الناس وحجارة الكبريت اي اعملوا بطاعة الله وانتهوا عن معاصيه وعلموا اولادكم واهليكم الاجتناب عما يجب لهم به النار كما روي في الحديث ما نحل والد ولده نحلا افضل من ادب حسن وروي حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن ادبه وفي الحديث المشهور كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل راع على اهله وهو مسؤول عنهم والامام راع على رعيته وهو مسؤول عنهم وقوله تعالى عليها ملائكة غلاظ معناه على النار ملائكة غلاظ الاخلاق وان كانوا رقاق الاجساد شداد اقوياء في الاخذ والعقوبة ولا يعصون الله فيما امرهم من تعذيب اهلها ويفعلون ما يؤمرون ومن ذلك جعل الله سرورهم في تعذيبهم كما جعل سرور المومنين في الجنة وقد جاء في الخبر ان الملك من الزبانية يكسر عظام المعذب فيقول الا ترحمني فيقول كيف ارحمك وارحم الراحمين لم يرحمك واما قوله تعالى للكفار لا تعتذروا اليوم فيما قدمتم لانفسكم فانه لا يقبل منكم معذرتكم انما تجزون على عملكم ولا تظلمون بزيادة على ما تستحقون من العذاب والاعتذار في اللغة الاحتيال في اقامة العذر **قوله عز وجل** يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير في الآية الاولى بيان سبب النجاة من العذاب والتوبة النصوح هي التوبة التي ينصحون فيها لانفسهم فيندمون على ما فعلوا من المعاصي ويعزمون عزما صحيحا على ان لا يعودوا اليه وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما [illegible]

[illegible]

الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان بالزجر والوعيد حتى يسلموا وسماهما جهادا لاشتراكهما
في بذل الجهد وامر بالتغليظ على الفريقين بالفعل والقول وبين ان مصيرهم في الآخرة الى النار قال الحسن
اكثر من كان يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فامر ان يغلظ عليهم في اقامة الحد وعن ابن
مسعود انه قال اذا لم تقدروا ان تنكروا على الفاجر فالقوه بوجوه مكفهرة ٥ قوله عز وجل
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم
الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات
ربها وكتبه وكانت من القانتين ٥ في هذه الآيات بيان ان احدا لا يجزي عن احد شيئا وان المرء لا ينجو
الا بعمله فان امرأة نوح وامرأة لوط لما خالفتاهما في الدين لم ينتفعا بهما من عذاب الله ولن يضر
ازواجهما نفاقهما كذلك لا ينفع نبوة النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة لو لم يطيعاه ولا يضره
ذنوبهما وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ما بغت امرأة نبي قط وانما خيانة امرأة نوح عليه
السلام فانها قالت لقومه انه مجنون فلا تصدقوه واما خيانة امرأة لوط عليه السلام فانها كانت
تدل قومه على اضيافه وهذا خبر صحيح لان الخيانة في الفراش لا يجوز ان يكون مرادة بهذه الآية لانها عيب
يرجع الى الزوج ينفر الناس عنه وفي الآية الثانية حث على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يكن في طاعة
الله تعالى بمنزلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وقوله تعالى رب ابن لي عندك بيتا في الجنة جاء
في التفسير ان فرعون اللعين لما مدها للعذاب وشدها على الارض بالاوتاد وجعل الرحى على صدرها
اطلعها الله تعالى على الجنة فقالت عند ذلك رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاستجاب الله دعاءها
والحقها بالشهداء وليس في هذه الآية ان فرعون قتلها ام لا وقد اختلفوا في ذلك والاقرب انه تعالى اجاب
دعاءها فنجاها من فرعون وقومه وفي الحديث ان العبد اذا ظلم فلم ينتصر ولم يكن له من ينصره فرفع طرفه الى
السماء فدعا الله قال الله عز وجل لبيك عبدي انا انصرك عاجلا وآجلا وعن سلمان الفارسي رضي الله
عنه انه قال كانت آسية تعذب في الشمس وكانت ترى منزلها في الجنة فاذا انصرفوا عنها اظلتها
الملائكة باجنحتها واما قوله تعالى ومريم ابنة عمران فهو معطوف على امرأة فرعون واحصان الفرج
اعفافه وحفظه من الحرام وفي هذا تكذيب اليهود في قذفهم اياها بالزنا وقوله فنفخنا فيه من روحنا
معناه ان الله تعالى لما اراد ان يرزقها ولدا من غير زوج بعث جبريل عليه السلام فنفخ في جيب درعها
روحا بامر الله فخلق الله عيسى عليه السلام في رحمها واحياه بذلك الروح وقوله تعالى وصدقت
بكلمات ربها اي بالكلمات التي قالها جبريل عليه السلام وصدقت بكتب الله وهي التوراة
والانجيل وقوله تعالى وكانت من القانتين اي من المطيعين لله ولم يقل من القانتات لان متعبدها كان
في المسجد مع العباد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سيدات نساء الجنة اربع مريم وآسية وخديجة
وفاطمة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خير نسائكم الودود الولود العؤود التي اذا نظر اليها زوجها
سرته واذا امرها اطاعته واذا سخط عليها وضعت يدها في يده وقالت ها والله لا ارقد حتى ترضى عني
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة التحريم اعطاه الله
توبة نصوحا وبالله التوفيق ٥

سورة الملك مكية وهي ثلثون آية الا

عند المكيين فانهم يعدونها احدى وثلثين آية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن
عملا وهو العزيز الغفور الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع

البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ٥ ابتدأ
الله السورة بذكر صفاته الحسنى ونعمه العظمى فقال تبارك ومعناه تعالى باستحقاق التعظيم من
البركة في كل شيء منه والبركة هي النماء والزيادة وقيل معناه من ثبوت صحة كل شيء به الذي لا
يبطل وذلك ان اصل الصفة من التبرك وهو ثبوت الطير على الماء ومنه بروك الابل وقوله تعالى الذي بيده
الملك معناه الذي بيده اعطاء الملك واخذه يؤتي الملك من يشاء فيعزه وينزع الملك ممن يشاء فيذله وهو على
كل شيء من الاعزاز والاذلال قادر وله الملك الاعظم الذي كل ملك داخل فيه وذكر اليد في هذه
الآية على طريق التوسع كما يقال بيد فلان الامر والنهي وتدبير الرعية ولا مدخل لليد في كل ذلك وقوله
تعالى الذي خلق الموت والحياة معناه الذي قدر الاماتة والاحياء ليعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم
على ما ظهر منكم لا على ما نعلم منكم مظاهرة في العدل وفي خلق الموت والحياة من الاعتبار ما يؤدي الى
تثبيت قادر على الاضداد قاهر للخلائق في التسوية في الموت بين الغني والفقير والمالك والمملوك والملك
والسوقة مع ما في ذلك من التهديد بالموت الذي ينقطع به اسباب كل ما فات وقيل خلق الموت
للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها ليثيب كل عامل على قدر عمله والحياة هي الاصل في نعم
الدنيا وكذلك في نعم الآخرة لانه لولاها لم يستحق الثواب الدائم وكذلك الموت نعمة في الدنيا
اذا تصور المرء فاحسن الاستعداد له واحسن الصبر على موت غيره كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما ارى وسأل عليه السلام عن رجل فاثنوا عليه
فقال كيف ذكره للموت قالوا قليلا قال فليس كما تقولون وقوله تعالى ايكم احسن رفع بالابتداء
لانه بناء على الف الاستفهام ولا يعمل فيها ما قبلها تقديره ليبلوكم اانتم احسن عملا ام غيركم وهو
العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به الغفور لمن تاب وآمن به وانما جمع بين هاتين الصفتين لانه لا يصح التكليف
الا مع الترغيب والترهيب وفي تفسير الكلبي خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر على شيء ولا يشم ريحه
شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء انثى لا تمر على شيء ولا يشم ريحها شيء ولا تطأ
على شيء الا حيي وهي دابة دون البغل وفوق الحمار وقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا فمعناه هو
الذي خلق سبع سموات مطبقة بعضها فوق بعض مثل القبة لا ترى ايها الرائي في مخلوقات الرحمن من
تفاوت اي لا ترى بعضها حكمة وبعضها عبثا ولا ترى في السماء اضطرابا وتباينا في الخلقة والتفوت
والتفاوت مثل التعهد والتعاهد واصل ذلك من الفوت ان يفوت شيء شيئا فيقع الخلل وقوله تعالى
فارجع البصر معناه رد البصر بالنظر الى السماء مستقصيا هل ترى فيها من فطور اي شقوق وصدوع
يقال تفطر ناب البعير اذا انشق اللحم عنه وظهر وقوله ثم ارجع البصر كرتين معناه ان لم تستدرك
بالمرة الاولى فردد البصر مرة اخرى يرجع اليك البصر خاسئا وهو الذي يذل ويبعد وبمنزلة الخسيء
الذي طلب شيئا فلم يجده فاعيا وانقطع كما يحسر البعير ويجوز ان يكون معنى الخاسئ المبعد الذليل
يقال خسأت الكلب خسأ اي ابعدته فبعد ولا يزال الانسان يرى ببصر عينه وبصيرة قلبه من عجائب
صنع الله ما يفيده اعتبارا او رشدا لانه لا يقع عينا الا شاهد خلقا لله ولا يتفكر في نفسه الا وقعت
فكرته على خلق من خلق الله تعالى واعمال الفكرة اعظم في الوقوف على الخالق من رجع البصر ٥
قوله عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا
لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا
وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا
نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ٥ السماء الدنيا هي

لادنى الينا من جملة السموات السبع والمصابيح النجوم سميت بذلك لانها تضى كما يضى المصباح وهو
السراج ومن ذلك الصبح والنجوم لبث خصال زينة السما وعلامات يهتدى بها ورجوم لمن يسترق السمع
من الشياطين بها يحصون والاكثر انه ينفصل من الكوكب شهاب نار فيحرقهم والسعير هى النار
الموقدة والشهيق صوت فظيع كصوت الحمار وهو اخر ما ينهق بنفس شديد وهو اقبح الاصوات واذا
استلهب النار سمع لها ذلك الصوت الشديد كانها تطلب الوقود والفور ارتفاع الشى بالغليان
يقال فارت القدر تفور ومنه الفوارة لارتفاعها بالما ارتفاع الغليان وقوله تكاد تميز معناه تكاد
تنشق وتتقطع من بعضها على اهلها لتاخذهم كلما القى فيها فوج من الكفار بالكلاليب سالهم
خزنة النار الم ياتكم رسول منذر قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا له ما نزل الله من شى مما تقول
وقلنا للرسل ما انتم الا فى خطا عظيم وقال ان قوله ان انتم الا فى ضلال كبير من كلام الزبانية يقولون
ذلك لاهل النار اى ما كنتم فى الدنيا الا فى ذهاب عن الصواب عظيم وقال اهل النار معترفين
بجهلهم لو كنا نسمع او نعقل اى نسمع سماع من يتفكر ونعقل من يميز وينظر ما كنا مع اهل النار
وقوله فاعترفوا بذنبهم اى اقروا بذلك والاعتراف الاقرار بالشى عن معرفة والاقرار الاثبات من قر
الشى اذا ثبت وقوله فسحقا معناه اسحقهم الله سحقا اى باعدهم من رحمته وهذا كما فى قوله تعالى
وابعدها بنا احسنا والسحق البعد ويجوز ان يكون المعنى سحقوا سحقا ه **قوله عز وجل** ان الذين
يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ه معناه ان الذين يخافون ربهم ويتقون معاصيه فى سرهم ويخافونه وهو فى غيب عنهم لم يروه لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم فى الجنة وهو نهاية المطلوب وذلك
ان من اتقى معاصى الله تعالى فى الخلوات انما اجتنب برا الناس والخشية بالغيب ادل على الاخلاص وابعد
من النفاق وفى قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به تحذير للكفار رغبة لاقدام على المعاصى يقول ان اخفيتم
كلامكم فى امر محمد صلى الله عليه وسلم او جهرتم به فانه عليم بما فى قلوب العباد من الخير والشر الا يعلم من
خلق الصدور ما فى الصدور ويقال الا يعلم من خلق الاشيا ما فى الصدور ويجوز ان يكون معناه الا يعلم الله
مخلوقه ويقال الا يعلم سر العبد من خلقه وهو اللطيف لطف علمه بالاشيا حتى لا يخفى عليه غوامض الامور
الخبير العليم بمصالح عباده ويقال اللطيف الذى ينفذ فى كل شى ولا ينفذ فيه شى ويقال هو الذى يفعل
اللطف من الافعال التى لا يهتدى لصنعها غيره ومن دقائق تدبيره للعباد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان لله فى الارض انية الا وهى القلوب فاحبها الى الله ارقها واصفاها واصلبها فارقها
للاخوان واصلبها فى الدين واصفاها من الذنوب ه **قوله عز وجل** هو الذى
جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور امنتم من
فى السما ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ام امنتم من فى السما ان يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ه معناه هو الذى جعل لكم
الارض ذلولا سهلا تتصرفون فيها فلا تضطرب بكم ولا تمتنع عليكم يقال دابة ذلول اذا كانت
سهلة الركوب والنزول لا تمتنع على صاحبها فيما يريدها فامشوا فى مناكبها اى اطرافها وجبالها ومنكب
كل شى اعلاه وقوله وكلوا من رزقه معناه كلوا من نباتها الذى جعله رزقا لكم واليه المرجع
فى الاخرة للحساب والجزا فان الذى خلق السموات بغير عماد لا تفاوت فيها وخلق الارض وذللها لكم
قادر على ان يبعثكم وقوله تعالى امنتم من فى السما معناه امنتم يا اهل مكة من فى السما سلطانه
ان يغيبكم فى الارض جزا على قبح فعلكم وهذا كقوله وهو الله فى السموات وفى الارض ويجوز ان
يكون من فى السما الملك يخسف بكم الارض بامره ويقال فى معنا الخسف ذهاب الشى وهو من جرت عادته ان ينزل

نقاله

فقال انه على من يكفر به ويعصيه من السما فان السما موضع عذابه كما انها موضع نزول رحمته والمود هو
التردد فى الذهاب والمجى لانه اذا خسف بقوم دارت الارض بهم كما تدور الما بين يعرفه
واما الحاصب فهو الريح التى ترمى بالحصبا لا داء فع لها والنذير والانذار بمعنى واحد ولا يجوز ان
يظن ظان بان الله تعالى فى مكان فى السما لظاهرها بين الاثنين لان العقل يشهد ان الله تعالى
كان ولا مكان فبعد ان خلق المكان لا يجوز ان يتغير عما كان وانما سمى العذاب نكيرا
لانه انزال بالمكذبين على وجه الانكار بفعلهم **قوله عز وجل** اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شى بصير امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى
عتو ونفور افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم ه معناه
اولم ينظروا الى الطير فوق روسهم باسطات اجنحتهن تارة وقابضا تها اخرى ما يحفظهن فى الهوا عند
القبض والبسط الا الرحمن يعنى استمسكت على ثقلها وضخامتها انها من اعطاها تلك الالة والهمها تلك
الهداية الا الله فان من شان الاجسام الثقيلة ان تهوى بالرسوب فلما على الطير فى الجو يقوم طيرانه يتم ترك
الطيران بان صف ولم يسقط دل على ان ثم معنى هو الذى امسكه فى الهوا فهو قدير على امساك الطير
فى الهوا وقدير على ارسال الحاصب من السما انه بكل شى بصير اى عالم كما يقال فلان بصير بالنحو وبالفقه
اذا كان عالما به وقوله تعالى امن هذا الذى هو جند لكم فيه تنبيه لهم على انه ان اراد الله تعذيبهم
لم يمنعه ولا احد يصرف العذاب عنهم وفى قوله ان الكافرون الا فى غرور بيان انهم غروا
بامهال الله اياهم مع علمهم انه لم ينصرهم من يبصرهم وقوله تعالى امن هذا الذى يرزقكم معناه اهل
يقدر احد من معبودكم ان يوصل الرزق لكم ان حبس الله القطر والنبات عنكم بل لج الكفار
فى مجاوزة الحد فى الطغيان والتباعد عن سماع الحق وقبوله واللجاج تقحم الامر مع كثرة الصارف عنه
وقد كان للمشركين صوارف كثيرة عن عبادة الاوثان فتقحموا فى الكفر على العصيان وقوله تعالى
افمن يمشى مكبا معناه افمن يمشى ناكسا راسه على وجهه لا يرى ما يصدمه ولا ما يهجم عليه من حجر
او بير فى طريقه ولا سطح يمنا ولا شمالا يمشى مثل العميان وهو مثل الكافر به يقول اهو اصوب
اصوب طريقا ام المومن الذى يمشى سويا على صراط مستقيم وعن مجاهد انه قال معناه امن يمشى مكبا
[illegible]
[illegible]
الى الارض [illegible] **قوله عز وجل** قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذى خلقكم وخلق لكم السمع فاسمعوا الحق والابصار فابصروا
بها الحق [illegible]
[illegible]
قادر على الاعادة **قوله عز وجل** ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند
الله وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به
تدعون ه معناه ويقولون [illegible]
[illegible]
رسول مخوف لكم [illegible] لا يعرف

وقت قيام الساعة لما فيه من المصلحة الا هو وقوله تعالى فلما راوه زلفة معناه فلما راوا العذاب قريبا سيئت السوء وجوههم وساءهم ذلك وقيل هذا الذي كنتم من اجله تدعون الاباطيل والاكاذيب انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم لا تبعثون ومن قرا تدعون بالتخفيف فهو من الدعاء اي تدعون بقولكم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال الزجاج قوله تدعون بالتشديد يجوز ان يكون تفتعلون ويجوز ان يكون من الدعوى وقال الفرا التشديد والتخفيف في هذا مثل تذكرون وتذكرون قوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين ۝ وذلك ان الكفار كانوا يتمنون موت النبي صلى الله عليه وسلم وموت اصحابه فقيل لهم ارايتم ان اصبتم منا كم فينا بالهلاك فمن يجيركم من العذاب الذي لا بد نازل بكم باستحقاقكم اتظنون ان الاصنام او غيرها تجيركم فاذا علمتم ان لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بانه تعالى لا اله والعلم بالبعث والنشور والاقرار بذلك كله قل هو الرحمن صدقنا به وفوضنا امورنا اليه فستعلمون في الاخرة من هو في خطاء ظاهر نحن ام انتم قل لهم يا محمد اخبروني ان اصبح ماؤكم غائرا في الارض لا تناله الايدي والدلاء فمن ياتيكم بماء ظاهر تطهر منه العيون الا الله الذي هو يفعل ذلك فاذا لم تقدروا انتم ولا الهتكم على ان تجعلوا الماء الغائر في الارض ظاهرا فكيف تقدرون على ان تدفعوا عذاب الله تعالى عن انفسكم اذا نزل بكم وكيف تقدر على ذلك من تتخذونها من دون الله ويجوز ان يكون المعين ماخوذا من الامعان في الجري كانه قيل ممعن في الجري والظهور واما على القول الاول فالمعين مفعول من العين كالمبيع من البيع والغور مصدر اقيم مقام الاسم يقال ماء غور وماءان غور ومياه غور وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من قرا سورة الملك كل ليلة عصم من عذاب القبر يؤتى من قبل راسه فيقول الراس لا سبيل لكم عليه كان يقرا بي سورة الملك ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول لا سبيل لكم اليه فانه كان يقوم بي وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر ويحكى ان متهما في دينه سمع رجلا يقرا قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فقال السامع الفاس والمعول فنام من ليلته فاصبح وقد ذهب ما عينيه وبقي اعمى الى ان مات والعياذ بالله من الخذلان ۝

سورة نون مكية وهي خمسون واثنان بلا خلاف ۝

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين اختلفوا في حرف الهجا الذي في اول هذه السورة قال بعضهم هو اسم الحوت وقال بعضهم هو حساب وقال بعضهم انما ذكر الله تعالى الحروف المعجمة في كثير من اوائل السور لانها اصل الكلام وصفاته والقلم هو الذي جعل الله به منافع الخلق وصلاح العباد والبلاد فكان الله تعالى اقسم بالحروف والقلم وجواب القسم ما انت بنعمة ربك بمجنون اي انفي عنك الجنون بانعام الله تعالى عليك وهذا كما يقال ما انت بحمد الله بجاهل والسبب في هذا ما روي انه لما نزل قوله اقرا باسم ربك الذي خلق اول ما نزل من القران اسلمت خديجة رضي الله عنها وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة ركعتين ركعتين كما علمه جبريل عليه السلام فراى علي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فاسلم فاشتهى المشركون اهل مكة ان محمدا قد جن فانزل الله تعالى ن والقلم الى اخر خمس ايات وعن عكرمة انه كان يقول ان الر وحم ون اسم الله عز وجل الرحمن فان اول

هذه السور الثلاث اذا جمعت كانت جملتها الرحمن وعن عبد الله بن عباس انه قال اول شيء خلقه الله القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم النون وهو السمكة التي في الماء الذي تحت الارضين السبع ثم كبس الارض على السمكة قال والماء على الصخرة والصخرة بين قرني الثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله عز وجل كما اخبر الله تعالى به في قوله له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ۝ وعن مجاهد انه قال اول ما خلق الله من الاشياء البراع وهو القصب ثم خلق القلم من ذلك البراع ثم قال للقلم اكتب ما هو كائن حتى صار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويقال ان المراد بالقلم في هذه الاية قلم من نور طوله ما بين السماء والارض وهو الذي كتب به الذكر الحكيم وعن ابي هريرة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهو الدواة فذلك قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ثم قال للقلم اكتب قال وما اكتب قال ما يكون من عمل او اجل او رزق فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيمة ويجوز ان يكون معنى ما يسطرون ما تكتبه الملائكة من اعمال بني ادم وقوله تعالى وان لك لاجرا اي ثوابا غير مقطوع من منت الحبل اذا قطعته ويقال معناه لا تمن عليك بذلك ومن ذلك قولهم المنة تكدر الصنيعة واما الخلق العظيم الذي ذكره الله تعالى في هذه الاية فالمراد به اداب القران كما امره الله به صلى الله عليه وسلم وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت للسائل اقرا العشر التي في اول سورة المؤمنين فقراها فقالت تلك خلقه ويقال ان جبريل عليه السلام لما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله خذ العفو وامر بالعرف قال اتيتك يا محمد بمكارم الاخلاق ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويقال انه عليه السلام احتمل الاذى الى ان شج في وجهه فقال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى فستبصر ويبصرون معناه فستعلم ويعلمون بايكم الذي فتن بالجنون هكذا قال ابو عبيدة قال ومعنى الباء ها هنا الطرح كما في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم ومعناه وجوهكم والمفتون هو المبتلى بخبل الراي كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة اذا ابتلي بها لشدة هواه لها وذهب الاكثرون الى ان الباء في هذه الاية لا يجوز ان تكون لغوا ثم اختلفوا على قولين قال بعضهم المفتون ها هنا مصدر ومعناه الفتون وهو الجنون كما تقول العرب ليس لفلان معقود راي بمعنى عقد راي ودعه الى ميسوره اي الى يسره وقال بعضهم معناه باي الفريقين الجنون ابالفرقة التي انت فيها وهي فرقة الاسلام ام بالفرقة التي فيها ابو جهل ونحوه وهي فرقة الكفر فعرف المشركون بعد ظهور النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان الجنون كان عليهم وان محمدا صلى الله عليه وسلم كان بريا منه ان ربك يا محمد هو اعلم بمن سبق له الشقا في علمه وهو اعلم بمن سبقت له السعادة في علمه فلا تطع المكذبين بالكتب والرسل وهم رؤس اهل مكة الذين كانوا يدعونه الى دين ابائه ۝ قوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم ۝ معناه تمنى الكفار ان تصانعهم يا محمد في الدين فيصانعوك وتلاينهم فيلاينوك ماخوذ من الدهن ومعناه اظهار القول باللسان بخلاف ما في القلب كانه شبه التليين في القول بتليين الدهن وفي قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين زيادة تحذير للنبي صلى الله عليه وسلم عن الركون اليهم والحلاف كثير الحلف بحق او باطل وذلك منهي عنه بقوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم والمهين فعيل من المهانة وهي الخسارة والضعف في الراي والتمييز قيل ان المراد به الوليد بن المغيرة المخزومي وسمي مهينا لاستجارته الكذب والحلف على الكذب ثم كانت الاية عامة في كل من كان على طريقه

149

والهمّاز الطعّان الوقّاع في الناس المغتاب لهم بما ليس فيهم من الهمز وهو الشدة ونظير هذا قوله تعالى
ويل لكل همزة لمزة ومن ذلك الهمز في الكلام لأنه لا يخرج من الفم إلا بشدة والمشّاء بنميم هو الذي
ينقل الكلام من بعض الناس إلى بعض للتضريب بينهم وفي الحديث لا يدخل الجنة قتّات والمنّاع للخير
هو كثير منع الخير وكان الوليد بن المغيرة بهذه الصفة كان يمنع الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وكان
يمنع أهله وولده ويجحدون الإسلام ويقال المنّاع للخير البخيل الذي هو كثير المنع للحقوق الواجبة في
المال والمعتدي هو الغشوم الظلوم على عباد الله والأثيم الكذّاب الكثير الإثم والعتل الشديد الخصومة
بالباطل ويقال هو الشديد الخلق الأكول الشروب رحب البطن صحيح الجسم جيد الأبطنة ويجمع عبده ويمنع رفده
مأخوذ من العتل وهو الشدة في السحب وقوله تعالى بعد ذلك زنيم معناه مع هذه العيوب كلها زنيم
أي لاصق بقوم ليس منهم وهو الدعي كما قال الشاعر زنيم ليس يعرف من أبوه بغيّ الأم ذو حسب لئيم
ويقال الزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها يقال للتيس زنيم إذا كان
في أصل أذنه زنمتان وهما اللحمتان المعلقتان به وفي الحديث لا يدخل الجنة جوّاظ ولا جعظري
ولا العتل الزنيم فقيل يا رسول الله ما الجوّاظ فقال الدحّج ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى قيل فما
الجعظري قال الفظ الغليظ قيل فما العتل الزنيم قال الشديد الخلق رحب البطن ظلوم للناس وقوله
أن كان ذا مال وبنين معناه لأن كان ذا مال وبنين ومن قرأ بالاستفهام فمعناه ألأن
كان ذا مال وبنين نطيعه وكان ماله تسعة آلاف مثقال من فضة وكان له بنون عشرة
وكان يقول لهم من أسلم منكم فلا يدخل داري ولا أنفعه بشيء أبدا ويجوز أن يكون قوله أن كان ذا
مال راجعا إلى ما بعده والمعنى الأجل أن صار ذا مال وبنين إذا تقرأ عليه آياتنا وفي القرآن إلى أن
سطّرها وقال هذا أساطير الأولين أي ما كتبه الأولون من أحاديثهم في كتبهم فرد رسول محمد صلى الله
عليه وسلم وأصحابه وقوله سنسمه على الخرطوم معناه سنسمه على أنفه يوم القيامة بسمة أي علامة يعرفه
بها جميع أهل القيامة ويقال سنسمه سيما لا تفارقه آخر الدهر أي نلحق به عارا سيبقى ذلك عليه أبدا كما تعرف
الشاة أبدا بسمتها **قوله عز وجل** إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم
فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون
قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على
بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون
كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون معناه إنا امتحنا مشركي أهل
مكة بالقتل والسبي والهزيمة يوم بدر كما امتحنا أهل البستان وأراد به بستانا كان باليمن
كان يعرف بالضروان دون صنعاء بفرسخين كان يطأه أهل الطريق وقد غرسه قوم من أهل الصلاة
بعد عيسى عليه السلام إذا قسم أهلها ليقطعنها في وقت الصباح عند طلوع الفجر قبل أن تخرج المساكين
إليه ولم يقولوا عند الوعد إن شاء الله ووجه تشبيه اختبار أهل مكة باختبار أهل البستان أن أبا جهل
كان قال يوم بدر قبل التقاء الفئتين والله لنأخذنهم أخذا ولم يستثن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين بلغه ذلك اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسني يوسف وكان هذا الدعاء بعد وقوع
الهزيمة على الكفار فابتلاهم الله تعالى بالجوع والقحط سبع سنين حتى أكلوا العظام المحرقة والسبب في
أهل البستان الذي كان باليمن على هذا البلاء ما روي أنه كان لهم أب يأخذ من جنته مقدار قوت
سنته لنفسه وكان يتصدق بالباقي على المساكين وقال إنه كان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما أخرج

عن البساط

عن البساط الذي كان يبسط تحت النخلة إذا صرمت فقال بنوه بعد موته نحن جماعة إن فعلنا ما كان
يفعله أبونا ضاق عيشنا فحلفوا ليصرمنها بسدفة من الليل لئلا يصل إلى المساكين منها شيء فلما كانت
الليلة التي تواعدوا على الخروج إلى البستان في آخرها سلط الله على بستانهم نارا فأحرقته ليلا وهم
نائمون فأصبحت كالليل المظلم وسمي الليل صريما لأنه ينقطع بظلمته عن التصرف في الأمور وقوله فتنادوا
مصبحين معناه أصبحوا عند طلوع الفجر ينادي بعضهم بعضا أي اخرجوا اغدوا على بستانكم وحرثكم
واعجلوا إن كنتم عازمين على الصرم قبل أن يعلم المساكين بذلك فخرجوا إليها مسرعين وهم لا يعلمون أنها
احترقت وكانوا يتسارّون فيما بينهم أن لا يدخل الجنة اليوم عليكم مسكين يتحامسهم على الثمرة
أن يطعمها أحد من المحتاجين والتخافت هو التشاور في إخفاء الحركة والخفوت السكون وقوله تعالى
وغدوا على حرد قيل في معناه على قصد منع الفقراء قادرين على أخذ ما في جنتهم دون الفقراء وقيل إن الحرد
هو الجد وقيل إنه الغيظ والحقد فإن الحرد والحرد بمعنى واحد والأصل في هذه الأقاويل القصد قال الشاعر
أقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغلّه أي يقصد ويقال في معنى الحرد إنه المنع يقال
حاردت السنة إذا قل فيها المطر وحاردت الناقة إذا قل لبنها وقوله فلما رأوها معناه فلما رأوا
جنتهم عند الصباح سوداء محترقة قالوا إنا قد ضللنا الطريق ليست هذه جنتنا فلما أنعموا النظر عرفوها وعلموا
أنها عقوبة فقالوا بل نحن محرومون حرمنا منفعة جنتنا بمنعنا المساكين وما أخطأنا الطريق قال
أوسطهم أي أعدلهم قولا ويقال أوسط الثلاثة سنا ألم أقل لكم هلا تستثنون في حلفكم
وقد كان قال لهم ذلك عند قسمهم وإنما أقيم لفظ التسبيح مقام الاستثناء لأن في الاستثناء تعظيم الله
والإقرار بأن أحدا لا يقدر أن يفعل فعلا إلا بما أقدره الله تعالى إياه عليه فوضع ها هنا موضع الاستثناء
ويقال كان استثناء القوم في ذلك الزمان التسبيح ويجوز أن يكون معنى التسبيح ها هنا هلا
تنزهون الله وتستنقذونه من سوء نياتكم قالوا عند ما رأوا من قدرة الله تعالى سبحان ربنا تعظيما له وإقرارا
منه إنا كنا ظالمين لأنفسنا بما عزمنا عليه من الذهاب بحقوق الفقراء ثم أقبلوا يلوم بعضهم بعضا
بما كان منهم في قسمهم كان يقول كل واحد منهم لصاحبه هذا من عملك وأنت الذي بدأت
ثم قالوا بأجمعهم يا ويلنا فدعوا بالويل على أنفسهم وقالوا إنا كنا طاغين وذنبنا لما عزمنا
عليه ثم راجعوا أنفسهم وابتغوا من الله العفو لما أصابهم فقالوا عسى ربنا إذا أملنا إليه أن يبدلنا
خيرا من جنتنا هذه إنا إليه نرغب ونرجو منه الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة يقول الله تعالى
هكذا العذاب في الدنيا لمن منع حق الله ولم يشكر نعمة الله ولعذاب الآخرة أشد على كفار مكة
لو كانوا يعلمون أن الذي يحذرهم الله به حق **قوله عز وجل** إن للمتقين عند ربهم جنات
النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إن
لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون سلهم
أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين وذلك أن عتبة
بن ربيعة كان يقول إن كان ما يقول محمد حقا من النعيم في الآخرة لنكونن أفضل منهم في الآخرة
كما فضلنا عليهم في الدنيا فأنزل الله تعالى هذه الآيات بيانا أن جنات النعيم خاصة للذين
يتقون الشرك والفواحش وفي ذلك بيان أن نعيم الآخرة نعيم دائم لا كنعيم سائر الدنيا والآفات
وفي قوله أفنجعل ألف الاستفهام ومعناها الإنكار والتوبيخ وكذلك قوله ما لكم إنكار عليهم
كيف تحكمون بالتسوية بين أهل الثواب وأهل العقاب أعلى حال الصواب أم على حال الخطأ وقوله
أم لكم كتاب معناه ألكم يا أهل مكة كتاب فيه تقرؤون بأن لكم في الدنيا والآخرة ما
تختارون لأنفسكم ألكم علينا عهود وثيقة إلى يوم القيامة بأن لكم ما تقضون لأنفسكم وإنما كسرت

انه في هذين الامين لدخول اللام في خبرها وان زعيم هو الكفيل الضامن يقول سلهم يا محمد
ايهم بتكفل بذلك لهم وانما قال ذلك لان دعواهم لو كان عن ثقة وتصميم لكان لهم من
يكفلهم بها واذا لم يكن لهم من يكفل ولا كان لهم حجة عليها علم انهم كانوا مجازفين في دعواهم
وقوله تعالى ام لهم شركا معناه الهم فيما يقولون شهدا واعوان عليه فليأتوا بشركائهم
يشهدون لهم بذلك ان كانوا صادقين في مقالتهم **قوله عز وجل** يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ٥ معناه ذكرهم يوم يكشف عن ساق اي عن الامور الشديدة وهو
يوم القيمة وهذا اللفظ في كلام العرب مما كثر استعماله على معنى يوم يشتد الامر كما يشتد
ما يحتاج الى ان يكشف فيه عن ساق ومن ذلك قولهم قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق وان لم
يكن للحرب ساق ويقال في معنى هذه الاية يوم يكشف عن الامور التي كانوا في عمى في الدنيا منها وقوله
تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يجوز ان يكون معناه انهم يكلفون في الاخرة
السجود وهم لا يقدرون عليه على ذلك وانما معناه انه يقال لهم اسجدوا الان على طريق التوبيخ فلا يستطيعون
ذلك كما روي ان اصلابهم تومئذ تصير عظما واحدا مثل صياصي البقر يعني قرونها ونظير هذا قوله
تعالى اعملوا ما شئتم وقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وفي العادة ان الرجل يربط عدوه
على سارية ثم يقول له تعالى خاصمني او اسمع مني ولا يريد بذلك الا التقريع ويقال يامر الله اهل القيمة
بالسجود فمن كان يسجد له في الدنيا قدر على السجود في الاخرة ومن لا فلا ويكون ذلك امارة يميز
بها الكافر من المومن ويجوز ان يكون معنى الدعا ها هنا ان المومنين اذا امروا بالسجود سجدوا
كان ذلك داعيا للكافرين الى السجود ولا يقدرون على ذلك ويجوز ان يكون معناه ويدعوهم
الكشف عن ساق الى السجود ويقال انما اريد بهذه الاية حال المرض وكني عنه بهذه الكناية لشدة الامر
عليه ويكون الدعا الى السجود حاصلا من حول المريض ومعنى الخاشعة الذليلة وفي قوله ترهقهم
ذلة بيان ان تلك الذلة لا تختص بابصارهم ولكنها تلحقهم في جميع جوارحهم ويجوز ان يكون معناه
تعلوهم كابة وحزن وسواد الوجوه وفي قوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود بيان ان الدعا
الى السجود في الاخرة عقوبة لهم على ترك السجود في الدنيا في حال الاستطاعة وقوله تعالى فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث معناه كلهم الي ولا تشغل قلبك بهم فاني اجازيهم وهذا كما يقول الرجل
لاخر ذرني وفلانا لا يريد به انه منعه اياه ولكن تاويله كله الي فاني اكفيك امره ومعنى
الاستدراج ما تقدم وهو انا نستدرجهم الى باسنا وعقوبتنا درجة درجة كلما جددوا معصية
جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها ثم اخذناهم بغتة ويقال ان هذه الاية نزلت في المستهزئين من قريش
وكانوا خمسة رهط اهلكهم الله جميعا في يوم وليلة ٥ **قوله عز وجل** ام تسالهم اجرا فهم
من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين ٥ معناه هل تسالهم يا محمد على ما تدعوهم اليه من الايمان جعلا فهم من الغرم
الذي يلزمهم بذلك مثقلون فيمتنعون من الاجابة بسببه ام عندهم الوحي بانك على الباطل وهم
على الحق فهم يكتبون ذلك الوحي ويخاصمونك به وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك معناه ليس هذا ولا
ذاك ولكنهم الفوا ما كانوا عليه من الاعتقاد فاصبر انت على تبليغ الوحي والرسالة ولا تضجر فيما
يلحقك من الاذية من جهتهم كما ضجر صاحب الحوت يونس عليه السلام فخرج من بين ظهراني قومه قبل ان

باذن الله

ياذن الله له حتى التقمه الحوت فنادى وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
لولا ان تداركه نعمة من ربه بقبول توبته لنبذ على الصحرا من بطن الحوت ملوما مذموما ولكن قبل
الله توبته فنبذ وهو غير مذموم فاجتباه ربه بالنبوة والاسلام فجعله من الصالحين بقبول توبته وبما
لطف له من لزوم الطاعة واجتناب المعصية والمكظوم هو المحبوس عن التصرف في الامور ومن ذلك
سمي المغموم مكظوما كان الغم حبسه عن الانبساط في امره ومنه كظمت راس القربة اذا احسنت المل
فيها بشد راسها وكظم غيظه اذا احبسه بقطعه عما تدعو اليه والعرا هو المكان العاري من النبات
والشجر وكل ما يستر وما العرا بالقضا وهو الساحة يقال نزل بعراه اي بساحته **قوله عز وجل**
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو
الا ذكر للعالمين ٥ اختلفوا في معنى هذه الاية قال بعضهم كان من عادة العرب انهم اذا حسدوا
انسانا قصدوا ان يصيبوه باعينهم تجوعوا ثلثة ايام ثم خرجوا اليه فقالوا ما احسنك وما اجملك
فتواطوا على ان يفعلوا ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فدفع الله تعالى عنه كيدهم وشرهم ومعنى اصابة
العين نظرها والله يحدث ما يحدث عند نظر العين لا العين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
العين حق فاذا راى احدكم ما يعجبه فليبرك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان شي سبق القدر لسبق
العين وعن ابن عباس ان جارية كانت عند ميمونة فعبرها النبي صلى الله عليه وسلم فسال عنها بعد ذلك
فقالوا اشتكت عينها فقال عليه السلام استرقوا لها فانها اصابتها عين وقال بعضهم معنى الاية
وقد يكاد كفار مكة من شدة انتقامهم وعداوتهم لك يسقطونك اي يصرفونك بنظرهم اليك عما
انت عليه من تبليغ الرسالة ويزيلونك عن المقام الذي اقامك الله فيه وهذا كما يقال نظر فلان الى فلان
نظرا يكاد يصرعه لا تغاضبه اياه ويقال نظر فلان الى نظرا يكاد ياكلني اي نظر الي نظرا لو امكنه
معه اكلي او ان يصرعني لفعل ومن قرا ليزلقونك بفتح اليا فمعناه معنى ضمها ايضا يقال زلقته وازلقته اذا
نحاه وابعده وزلق راسه اذا حلقه واما من قرا ليزلقونك بكسر اللام فهو لام الجحود ومعناه ازالة عن مكانه وقوله
تعالى ويقولون انه لمجنون معناه انهم لما اعيتهم الحيلة عن صرف الناس عنك نسبوك الى الجنون مع
علمهم بخلاف ذلك يكيدونك وما هذا القران الذي تقروه عليهم الا عظة للخلايق كلهم
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ن كان له ثواب
الذين حسن الله اخلاقهم ٥ **سورة الحاقة مكية وعددها اثنتان وخمسون اية**
عند البصريين والشاميين واثنان عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ٥ الحاقة اسم من اسما
القيمة سميت بهذا لانها حاقة تحق على كل انسان بعمله خيرا وشرا وتكون ذلك فيها الاحاق الامور وقيل
انما سميت بهذا الاسم لانها تحق على القوم اي تقع عليهم وقوله ما الحاقة تعظيم لامرها وتفخيم لشانها
يقول اي شي الحاقة وهذا كما يقال امر واي امر وزيد وما زيد وفي قوله وما ادراك ما الحاقة
زيادة توكيد ومعناه اي شي اعلمك اي شي الحاقة وقد اختلفوا في هذا الخوف على من يكون
قال بعضهم لا يكون ذلك على المطيعين لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال بعضهم يلحقهم
جميعا ثم يذهب عن المومنين ويضاعف على الكفار وفي قوله كذبت ثمود وعاد ذكر من كذب
بالقيمة فاهلكهم الله والقارعة من اسما القيمة ايضا سميت بهذا الاسم لانها تقرع القلوب بالاهوال والطاغية
اسم على فاعلة ومعناها الطغيان وهو لطغيانهم الذي هو التجاوز عن الحد في معصية الله تعالى وتطير الطاغية

العاقبه والعاقبه وما اشبههما ويقال ان المراد بالطاغيه هاهنا الرجفه المجاوزه عن الحد ويقال الصيحه المجاوزه عن الحد وقد اهلك الله قوم صالح بالرجفه والصيحه واما عاد قوم هود فقد اهلكهم الله تعالى بريح باردة شديدة البرد جدا بالغه منتهاها في الشدة والصر شدة البرد والصرصر ما يكرر فيها البرد الشديد كما يقال صر الحمار اذا صوت فاذا كرر صوته قيل صلصل والعاتيه من قولهم عتا النبت اذا بلغ منتهاه في الجفاف ومن ذلك قوله وقد بلغت من الكبر عتيا وقوله سخرها عليهم معناه سلطها الله عليهم كاملا سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعه والحسوم مصدر اقيم مقام الاسم ومعناه ان يتابع الشيء فلا ينقطع اوله عن اخره كما يتابع الانسان الكي على المقطوع ليحسم دمه اي يقطعه فاصل الكلمه من هذا ثم قيل لكل شيء توبع حاسم وجمع حسوما الضامن ساهد وشهود ويقال انما سميت هذه الريح حسوما على معنى انها تذهبهم وتفنيهم وفي الحديث ان هذه الريح التي اصابتهم كانت تقطع من دبر جهنم على قدر ما كان يخرج من حلقة الخاتم فترى القوم فيها ايها الرائي صرعى اي ساقطين بعضهم على بعض واحدهم صريع نحو قتيل وقتلى وقوله تعالى كانهم اعجاز نخل معناه كانهم اصول نخل باليه نخرت وتاكلت وفسدت والنخل مما يذكر ويونث وقوله تعالى فهل ترى لهم من باقيه معناه من نفس باقيه اي لم يبق منهم احد الا اهلكته الريح ويجوز ان تكون الباقيه هاهنا مصدرا ومعناه بقا الاثر قوله عز وجل وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئه فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابيه انا لما طغى الما حملناكم في الجاريه لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعيه ه معناه جا فرعون ومن معه من جموعه وجنوده والمؤتفكات وهم قوم لوط انقلبت قرياتهم باهلها حين خسف بهم جاوا بالخطا العظيم وهو الشرك بالله ومن قرا ومن قبله فمعناه ومن تقدمه من القرون الماضيه وقوله فعصوا رسول ربهم معناه عصوا رسل ربهم الا انه ذكر الرسول على لفظ الوحدان لان الرسول قد يكون مصدرا فاقيم مقام لفظ الجماعه والاخذه الرابيه هي الاخذه الرابيه التي تزيد على الاخذات التي كانت تحل مثلهم ومنه الربوع للمكان المرتفع ومنه الربا لما فيه من الزياده وقوله تعالى انا لما طغى الما معناه لما جاوز الما الحد وارتفع جدا ايام الطوفان في زمن نوح عليه السلام حملنا نوحا ومن معه في السفينه الجاريه على وجه الما وانتم من ذراريهم وسمي ارتفاع الما في ذلك اليوم طغيانا لخروجه في ذلك اليوم عن طاعة خزانه ويقال لا ينزل قطرة من السما ولا ترتفع من الارض الا وعليها الملائكة يحفظون بها الا في ذلك اليوم وقوله تعالى لنجعلها معناه لنجعل تلك الاخذه وتلك السفينه لما كان من اغراق قوم نوح ونجاة المؤمنين معه عظة يعتبر بها الخلق فلا يفعلوا ما كان القوم يفعلونه وقوله تعالى وتعيها اذن واعيه معناه وتحفظها اذن حافظه وهو من الوعي وهو الحفظ يقال وعيت العلم ووعيت ما قلت يعني اذا حفظت واوعيت المتاع في الوعا بالالف ه قوله عز وجل فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعه وانشقت السما فهي يومئذ واهيه والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه اول هذه الايات راجع الى نعت القيمه المذكوره في اول السوره والمراد بالنفخة النفخة الاولى التي تكون للموت وهي نفخة واحده لا تثنى والصور شبه القرن ينفخ به اسرافيل عليه السلام بامر الله تعالى وقوله تعالى وحملت الارض والجبال اي يحملها الملائكه الموكلون بها فيضربون الارض بالجبال والجبال بالارض دفعه واحده فتصير الجبال كثيبا مهيلا قال الحسن رضي الله عنه تصير غبرة تغشى وجوه الكفار ترفرف وجوه يومئذ عليها غبرة واما الدك فهو الكسر والدق ويقال في معنى الدك انه التسطح بان يوصل بعضها الى بعض حتى يندك ومنه الدكان واندك سنام البعير اذا افترش في ظهره ولما ذكر الدك بلفظ التثنيه

لانه اراد حملة الارض وحملة الجبال كما في قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا والواقعه اسم من اسما القيمه سميت بهذا الاسم لشدتها وصعوبتها لما ليست لغيرها لتلك الشدة ويقال اراد به وقع الجزا واما انشقاق السما في ذلك اليوم فهو من هيبة الرحمن ونزول الملائكه من السما والواهيه هي الضعيفه الشديدة الضعف لا تستقل يومئذ بالملائكه كما كانت تستقل بهم قبل ذلك لانتقاض بنيتها والملك لفظه لفظ الوحدان ومعناه جماعه من بقي من الملائكه بعد الصيحه الاولى سوى حملة العرش كما في قوله تعالى وجا ربك والملك صفا صفا والارجا جمع رجا مقصور وهو جانب كل شي ناحيته ويسمى رجوان فالملائكه عند انشقاق السما يصيرون على جوانبها واطرافها ينظرون ما يومرون به في اهل النار والجنه ويقال انما يقومون على الجوانب لان الناس اذا راوا جهنم تدورها هاربين فترد هم الملائكه الى ارض المحشر والى موضع الحساب وانشقاق السما من مخوف لان الجانب من حوله السلامه وقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه معناه يحمل العرش فوق الملائكه الذين هم على الارجا يومئذ ثمانيه من الملائكه ارجلهم في الارض السابعه ورووسهم فوق السما السابعه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم اليوم اربعه فاذا كان يوم القيمه ضم اليهم اربعه وعن ابن عباس انه قال ان حملة العرش ثمانيه اجزا من تسعه اجزا من افاضل الملائكه يحملون العرش فوق رووسهم وهم يسبحون ويقال انهم ثمانيه صفوف من الملائكه لا يحصي عددهم الا الله تعالى والعرش سرير خلقه الله تعالى ينتهي علم العباد وتعبد الملائكه بحمله والطواف حوله وقوله تعالى يومئذ تعرضون اريد به العرض للحساب وفي الحديث ان الخلايق يعرضون على الله تعالى ثلث عرضات عرضه للمحاسبه والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الصحف والقراة فاخذ الفايز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ولا يجوز ان يكون معنى العرض هاهنا مثل ما يكون بين الناس من العرض ليتعرف لان ذلك لا يجوز على الله جل جلاله لانه سبحانه لم يزل عالما بكل شي انما المراد بالعرض ما يظهر من احوال المومنين فيتكامل بذلك سرورهم وما يظهر من احوال الكافرين من حزنهم وفضيحتهم وكل من سئل عن اعماله فقد عرض واما الخافيه فيجوز ان يكون معناها النفس الخافيه ويجوز ان يكون الها للمبالغه والمعنى لا يخفى منكم خاف ويجوز ان يكون معناها السريره الخافيه كما في قوله تعالى يوم تبلى السرائر قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضيه في جنة عاليه قطوفها دانيه كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخاليه معناه فاما من اعطي كتابه بيمينه وهو اهل الثواب يقول للناس هاؤم اقرؤا كتابيه [illegible]

لسا ول منها دنت و المحيار ان تكون منها ما يودي من بول او غايط ولا تعقبها اذى ولا موت وقوله تعالى
بما اسلفتم اى بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام الماضية من الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان ابن عباس يقول ان المراد بهذه الاية الصوم
فى الايام الخالية كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان من ابواب الجنة بابا يدعا الريان من دخله لم يظما
ابدا لا يدخله الا الصايمون ثم تعلق عليهم فلا يدخله معهم غيرهم **قوله عز وجل** وَاَمَّا مَنْ اُوتِىَ كِتَابَهُ
بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِى لَمْ اُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ اَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا اَغْنَى عَنِّى
مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ
اِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ اِلَّا
مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَاْكُلُهُ اِلَّا الْخَاطِئُونَ ۝ قال الكلبى نزلت هذه الايات فى اخى ابى سلمة وهو الاسود
بن عبد الاسد كان كافرا تعطيه الملك الذى كان يكتب اعماله كتابه من وراء ظهره فيجد حسناته
غير مقبولة وسيّاته غير معفورة فيسود وجهه ويقول يا ليتنى لم اوت كتابيه وهو عام فى كل كافر يعنى
الكافر يوميذ انه لم يعط كتابه ولم يعلم ما حسابه تحسرا على ما كان منه من الكفر والقبايح والهاء
فى كتابه وحسابيه هاء الوقف والاستراحة ولذلك يوقف عليها كما فى قوله وما ادراك ماهيه وقوله
تعالى يا ليتها كانت القاضية معناه يا ليت الميتة الاولى كانت ماضية على الدوام قال الحسن يتمنون
الموت يوميذ ويحبونه وكان من اكره شى اليهم فى الدنيا ويقال ان الهاء فى قوله تعالى يا ليتها كناية
عن الصحيفة التى اخرجته من قبره يقول يا ليتها قضت على فاستريح ومنه قضية الحاكم ويجوز ان يكون معنى القاضية
الفاصلة بالاماتة من قضى فلان اذا مات وقوله ما اغنى عنى ماليه معناه لم يغنى كثرة مالى الذى جمعته
فى الدنيا لاوقات الشدايد والكرب لا يمكنى ان افتدى بشى منه ولم اعمل فيه هذا اليوم بل ورثته
فيما لا نحل اوخلفته للوارث هلك عنى عذرى وحجتى حين شهدت على جوارحى بما عملت فى دار الدنيا ويقال
معنى السلطان العز والامر والنهى بطل عنى كل ذلك وصار اسيرا لا يقدر على دفع العذاب عن نفسه
وكان الحسن رضى الله عنه يقول جعل الله لكل انسان سلطانا على نفسه ودينه وعيشه وقوله خذوه
فغلوه امر من الله عز وجل لخزنة جهنم من الموكلين بتعذيب العصاة يبتدرون اليه فياخذونه ويجعلون الغل
فى عنقه ويجمعون اطرافه الى الغل الذى يجعلونه فى عنقه ثم يقذفونه فى الجحيم حتى يوقد فيه النار وقد ذلك
قوله ثم الجحيم صلوه اى ادخلوه والزموه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وجا فى التفسير انه يقرن مع
شيطان فى سلسلة من النار قال عبد الله بن عباس لو وضعت حلقة منها على ذروة جبل لذاب كما
يذوب الرصاص واما السبعون فى كلام العرب فهو الغاية فى نهاية الصفة من جزيل وكثير كما فى قوله
تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة ويقال فى معنى فاسلكوه ادخلوه فى دبره ثم اخرجوه من فيه والقوا ما
فضل على عنقه يقول سلكت الخيط فى الابرة اذا ادخلته فيها وسلكت الرجل فى السلسلة اذا اشددته
بها يقول العرب ادخلت الخاتم فى اصبعى والقلنسوة فى راسى ومعلوم ان الاصبع هى التى تدخل فى الخاتم
ولكنهم اجازوا ذلك لان معناه لا يشكل ويقال فى فايدة السلسلة ان النار اذا رمت باهلها الى
اعلاها جذبتهم الزبانية بالسلاسل الى اسفلها وفى قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم بيان ان هذا
النوع من العذاب لا يكون الا للكفار وفى قوله ولا يحض على طعام المسكين انه لا يستحق جميع هذا
العذاب بمجرد الكفر بل يستحق بعضه بذنوب غير الكفر وهى ترك الحض على طعام المسكين وهذا
راجع الى منع الحقوق الواجبة فى الشرع مثل الزكوة ونحوها وفيه دليل على ان الكفار يواخذون بالشرايع
فى الاخرة وقوله تعالى فليس له اليوم هاهنا حميم اى قريب ينفعه ويحميه ولا طعام ينتفع به الا ما يسيل
من اجسام المعذبين من القيح والصديد وكل جرح غسلته فخرج منه شى فهو غسلين وهو فعلين من الغسل

لا ياكله الا من يخطى وخطوهم والخطا هاهنا ضد الصواب لا ضد العمد والذى ذكره الله فى قوله
ليس لهم طعام الا من ضريع لا يخالف ما فى هذه الايات لان النار دركات فمنهم من طعامه الغسلين ومنهم
من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الزقوم **قوله عز وجل** فَلَا اُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ
اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ معناه اقسم بما تشاهدون مما فى السما والارض وبما لا تشاهدون مما ورا
السموات والارض ان هذا القران لقول جبريل عليه السلام يوديه الى محمد صلى الله عليه وسلم والقران قول
الله تعالى فاقسم الله تعالى على ذلك بجميع ما خلق اعظاما للقسم وذكر لا فى اول الاية لا وذلك مبتدا فى القسم كما يقال
لا والله لا افعل كذا ويجوز ان تكون لا هاهنا صلة فى الكلام موكدة وهو قول البصريين ويجوز
ان تكون لا ردا لما قاله الكفار عليهم وهو قول الفرا ويقال ان هذا نفى للقسم لانه لا يحتاج الله لوضوح
الحق الى القسم انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تصدقون ولا بقول كاهن قليلا ما تتعظون
ولكنه تنزيل من خالق الخلق اجمعين على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان طريقة الشاعران يطلب ما يحسن به
شعره لفظا ونظما ولا يفكر فى صحة ما يورده وطريقة الكاهن ان يوهم معرفة الامور بما يزعم ان له
حدثا من الجن فلا يبالى بما يخل من ذلك وما لا يخل وقد يتكلف الكاهن السجع باتباع المعنى للفظ وذلك
خلاف ما توجبه الحكمة فى الكلام لانها توجب ان يكون اللفظ تابعا للمعنى وهذا هو الصواب
لان الكلام انما يحتاج اليه للمعنى دون اللفظ **قوله عز وجل** وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْاَقَاوِيلِ
لَاَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ اَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَاِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَاِنَّا
لَنَعْلَمُ اَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَاِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَاِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝ معناه
ولو اخترع علينا محمد بعض هذا القران وتكلف القول من تلقا نفسه ما لم نقله لاخذنا منه بقوتنا وقدرتنا
عليه ثم اهلكناه ويقال لاخذنا بقوته وقدرته واليمين يذكر بمعنى القوة كما قال الشاعر ۝
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين ۝ وعن الحسن انه قال لاخذنا منه بيده اى لقطعنا
يده ويقال لاخذنا بيده اليمنى على وجه الاذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فاقمه على
وجه الاهانة له واما الوتين فهو عرق متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقوله فما منكم من
احد معناه ليس منكم احد يمنعه من عذاب الله بان تكون حايلا بيننا وبينه وهذا هو معنى الحاجز وقد
يوضع احد موضع الجمع كما فى قوله لا نفرق بين احد من رسله وقوله لا نفرق بين احد منهم ولا يكون
التفريق الا بين اثنين فما فوقهما وفى الاية بيان انه لو تقول بعض الامر لعوجل بالعقوبة التى تزيل الشبهة وقوله
وانه لتذكرة معناه وان القران لعظة ينتفع بها المتقين يعظ بها بعضهم بعضا وانا لنعلم ان منكم
مكذبين بالقران وان هذا القران حسرة على الكافرين فى الاخرة حين يتحقون فيتحسرون على ترك
الايمان به والتحسر الغم بالحسرة بفوت وقت العمل وقوله وانه لحق اليقين اى لصدق يقين من الله لمن تدبر
وانصف فسبح باسم ربك العظيم ونزهه عما لا يليق به وعن ابى بن كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا **سورة المعارج مكية**
وهى اربع واربعون اية الا عند الشاميين فانها عندهم ثلث واربعون اية ۝ ۝ ۝
بسم الله الرحمن الرحيم سَاَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ
لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللّٰهِ ذِى الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ اِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ اَلْفَ
سَنَةٍ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ وذلك ان عثمن بن مظعون كان جالسا فى مسجد مكة فى نفر من
اصحابه فيهم النضر بن الحرث فتهزا النضر بالقران فقال عثمن اتق الله والله ما يقول محمد الا الحق
قال وانا والله ما اقول الا الحق قال فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول ذلك الا ان الملكة

[illegible] انه قال وحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فلما سمع النضر بذلك

قال الا ترون ان محمدا قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة والله ما صدقك ولكنه قال ما كان

للرحمن ولد وقال فانا اول العابدين [illegible] فقال اللهم ان كان

هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فانزل الله تعالى هذه الآية

والمعنى دعا داع من الكفار على نفسه بعذاب واقع [illegible]

[illegible] ذلك العذاب [illegible] يوم بدر صبرا وهو من الكافرين والعذاب

[illegible] من الله ذي المعارج [illegible]

من الله ذي الفواضل والنعم وسميت الفواضل معارج [illegible] الدرجات

التي يعطيها الله اولياءه في الجنة [illegible] مواضع الصعود [illegible]

[illegible]

قوله عز وجل [illegible]

[illegible]

[illegible]

قوله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مامون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون

[illegible]

فاذا افتقر قلب الانسان بطل الاشفاق وقوله والذين هم لفروجهم حافظون معناه والذين يحفظون
فروجهم من الفواحش ولا يرسلونها الا على نسائهم الا الاربع او جواريهم فانهم لا يلامون على ترك حفظ
الفروج عن هؤلاء فمن طلب في استباحة الوطء طريقا غير هذين الطريقين فاولئك هم العادون المتعدون من
الحلال الى الحرام والذين هم لاماناتهم التي ائتمنوا عليها في امر الدين فلا يطلعها سواهم غير الله والذين هم
للعهد الذي بعث به الانبياء صلوات الله عليهم الى الخلق راعون وكل محافظ على شيء فهو راع له
والامام راع لرعيته ويدخل في هذه الآيات امانات الناس فيما بينهم وعهودهم وعقودهم بينهم
وقوله والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقومون بادائها على وجهها ولا يكتمونها وان كانت على انفسهم
والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يراعون مواقيتها بحدودها وشروطها والفائدة في اعادة ذكر الصلوة
لتعظيم امرها وتعظيم شانها ويقال ان المراد بهذه الآية الفرائض والمراد بقوله الذين على صلاتهم دائمون
النوافل كما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان احب الصلوة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ديم عليه وقوله اولئك في جنات معناه ان الذين اجتمعوا هذه الخصال في جنات الآخرة مكرمون
بالثواب والتحف والهدايا **قوله عز وجل** فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال
عزين ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون ه قيل ان
هذه الآيات نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط سميناهم من قبل وكيف قتلوا ولما ماتوا والاهطاع الاسراع
هكذا روي عن ابي عبيدة ويقال ان المهطع هو المقبل على الشيء ببصره لا يزايله وكانوا ينظرون الى
النبي صلى الله عليه وسلم نظر العداوة غيظا وحنقا وكانوا يجلسون عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله
حلقا حلقا لا يدنون منه فينتفعون بكلامه ولكن كانوا يسرعون اليه لياخذوا الحديث عنه ثم يفرقون
عزين بالتكذيب عليه والعيب له هكذا روي عن الحسن ومعنى عزين جماعات في تفرقة واحدها عزة
وجاز جمعها بالواو والنون لانه عوض مما حذف وكذلك سنون وسنة واصل عزة عزوة من عزاه
يعزوه اذا اضافه الى غيره وكل واحد من هذه الجماعات مضافة الى الاخرى وقوله تعالى ايطمع كل
امرئ منهم رد عليهم بقولهم ايطمع كل رجل منهم مع كفرهم ان يدخل جنة نعيم كلا لا يكون ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك انهم كانوا يقولون ان كان اصحاب محمد يدخلون الجنة فانا ندخلها
قبلهم وان كانوا يعطون منها نصيبا نعطى اكثر منهم وقوله انا خلقناهم مما يعلمون معناه انا خلقناهم مما
يعرفون من النطفة والعلقة والمضغة واصلهم التراب فاي شيء لهم يدخلون الجنة بنو آدم حكمنا في بني
آدم ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فماذا يطمعهم في ذلك وهم كفار
وعن قتادة انه كان يقول انما خلقت يا ابن آدم من قذر فاتق الله وهذا احتجاج عليهم لانه خلقهم من ماء
مهين ليستعبدهم ثم خلقوا للعبادة فجعل في خلقهم من ذلك عبرة ه **قوله عز وجل** فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ه معناه اقسم برب مشارق
الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف انا لقادرون على ان نهلككم ونأتي بخلق اطوع لله منهم وما
نحن بمغلوبين ما يفوت ان يسبق علينا ان نبدل خيرا منهم والتبديل تصيير الشيء في موضع غيره وكان
العرب يقولون في الجاهلية لا اقسم بمعنى قد اقسم وقوله فذرهم لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد يقول
اتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في كفرهم حتى يلاقوا يعاينوا يومهم الذي يوعدون فيه وهو يوم
القيامة فانبئهم باعمالهم ونظير هذا قوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وفي قوله يوم يخرجون سراعا
اليوم الذي يوعدون وهو يوم خروجهم من القبور سراعا الى الداعي وذلك حين يسمعون الصيحة الآخرة

كانهم

الى موضع

كانهم الى علم منصوب لهم يسرعون ويستبقون نحو الحساب والاجداث جمع الجدث وهو القبر
وكذلك الجدف والسراع جمع السريع والسريع بمعنى المسرع كالاليم بمعنى المؤلم والايفاض الاسراع
يقال وفض يفض واوفض يوفض اذا اسرع في عدوه قال الساعدي
لا تعتن نعامة مفاضا خرجاء ظلت تطلب الاضاضا ه المفاض السريعة والخرجاء ذات لونين وقيل
اخرج اذا ارتفع رقعة من غير لونه فخرج عن لونه والاضاض الملجأ ومن قرأ الى نُصُب بضم النون والصاد
معناه الاصنام التي كانوا نصبوها فيعبدونها ويذبحون تقربا اليها واما قوله خاشعة ابصارهم
معناه يخرجون من القبور ذليلة ابصارهم تعلوهم مذلة وسواد الوجوه ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
فيه العذاب على السنة الرسل فلم يصدقوهم وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من قرأ سورة المعارج اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام

مكية وهي عشرون وثمان آيات في الكوفي وتسع في البصري والشامي وثلاثون في
الحجازي ه بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ه المعنى انا
بعثنا نوحا بالرسالة الى قومه ان خوفهم من السخط والعذاب ان لم يؤمنوا بالله من قبل ان ياتيهم
عذاب مؤلم وهو الغرق بالطوفان فاتاهم فقال يا قوم اني لكم رسول مخوف بلغة تعرفونها حتى تفقهوها
ارسلت اليكم لتعبدوا الله اي توحدوه وتتقوه والخشية ما امركم به وتتقوا سخطه وعذابه في جميع
ما نهاكم عنه وتطيعون فيما ابينه لكم عن الله وبهذه الجملة بعث جماعة الانبياء عليهم السلام الى الامم
والبلاد وعلى كذبي قومه وقوله يغفر لكم جواب الامر اي افعلوا ما امرتكم به يغفر لكم الله ذنوبكم
ويسترها عليكم ويزيل عقابها عنكم واما دخول من في هذه الآية فللتخصيص للذنوب من سائر الاشياء لا
لتبعيض الذنوب كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويقال يغفر لكم من الذنوب ما لا تبعة لاحد
فيه ولا مظلمة ويقال ليغفر لكم ما سلف من ذنوبكم وذلك بعض الذنوب التي تضاف اليهم والانذار
في اللغة هو الاعلام بموضع المخافة ليحذر وموضع المخافة عبادة غير الله واستحلال محارم الله فان التسوية
بين المنعم وبين من لا ينعم في اعظم العبادات يقتضي حرمان الانعام يوجب الحكمة واما قوله
ويؤخركم الى اجل مسمى معناه ويؤجلكم بلا عذاب الى منتهى آجالكم فلا يصيبكم غرق ولا شيء من
عذاب الاستئصال ان آمنتم ان اجل الله قال بعضهم اراد به وقت العذاب ان لم يؤمنوا فجاءهم العذاب
لا يدفع عنهم ذلك العذاب وقوله لو كنتم تعلمون معناه لو كنتم تصدقون بما اقول لكم وقال بعضهم
ان المراد بقوله ان اجل الله منتهى آجالهم ان اطاعوا الله وفي ذلك اخبار انه لا بد لهم من الموت وان تأخر
عذاب الاستئصال عنهم لا يوجب تأخر آجالهم اذا انقضت وقد تكلم الناس في زيادة العمر ونقصانه
فمنهم من قال كتب الله لابن آدم اجلين ان عمل كذا فاجله كذا وان عمل كذا فاجله كذا الا ان هذا
على هذا الوجه انما يكون مكتوبا في ديوان الحفظة فاما حقيقة الاجل عند الله فهو معلوم لا يتقدم ولا
يتأخر لانه عالم بانهم يطيعون او لا يطيعون فالاجل الاقصى لهم ان آمنوا وليس لهم ان لم يؤمنوا كالجنة
التي جعلها الله لهم ان آمنوا ولم يجعلها لهم ان لم يؤمنوا **قوله عز وجل** قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم
في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ه وذلك ان نوحا عليه السلام

لما ابلغهم رسالات ربه واقام فيما بينهم الف سنة الا خمسين عاما يامرهم بطاعته وينهاهم
عن معصيته ابوا الا التكذيب فلما ايس منهم قال رب اني دعوت قومي الى التوحيد والطاعة ليلا
سرا ونهارا علانية فلم يزدادوا عند دعاي اياهم الا تباعدا عن الايمان بالجهل الغالب عليهم ونظير
هذا ما قدمناه من ان الرجل اذا نصح ولده مرارا فلم يسمع منه قال له كثيرا ما وعظتك فلم تزدد بموعظتي
الا شرا وقوله تعالى جعلوا اصابعهم في اذانهم وذلك انهم كانوا اذا دعاهم نوح عليه السلام
الى التوحيد سدوا الاذان كيلا يسمعوا كلامه وغطوا رؤسهم بثيابهم كيلا يروه مبالغة
في الاعراض عنه والاستغشا طلب التغشي واصرارهم اقامتهم على الكفر بالعزم عليه في نفوسهم واستكبارهم
تنزههم عن قبول الحق لما اخذتهم العزة من اتباع نوح عليه السلام كما قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
وعن قتادة انه قال كان الرجل منهم يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول لابنه احذر هذا لا يغوينك
فان ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذرني كما حذرتك وقوله تعالى ثم اني دعوتهم جهارا اي جاهرتهم
بالدعوة ثم اني خلطت دعاءهم في العلانية بدعائهم في السر اعلنت لمن اسررت واسررت لمن اعلنت فسلكت معهم
في الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم كل تلطف فقلت استغفروا ربكم بطاعته انه كان
غفارا للذنوب التائبين يجمع لكم مع الحظ الوافر في الاخرة الخصب والغنى في الدنيا يرسل المطر عليكم
من السما كثير الدرور وكلما احتجتم اليه ويعطكم زينة الدنيا من الاموال والبنين بدلا مما فاتكم
ويجعل لكم في الدنيا بساتين ويجعل لكم انهارا تجري على وجه الارض لمنافعكم وذلك ان الله تعالى كان
حبس القطر عنهم حتى لم يبق لهم دابة ولا نبات اخضر واعقم ارحام النسا واصلاب الرجال منهم حتى لم يكن
لهم ولد في مدة سبعين سنة فوعدهم نوح عليه السلام برد ذلك كله عليهم ان امنوا والدرور يحلب
الشي حالا بعد حال على الاتصال يقال درت السما اذا مطرت والمدرار مفعال من الدرور والاحداث
الحاق الثاني بالاول حالا بعد حال والسنة في باب الاستسقا تقديم القرب والطاعات والاستكثار
من الاستغفار كما روي عن عمر رضي الله عنه انه خرج للاستسقا فجعل يكثر الاستغفار ويقل الدعا زيادة
على الاستغفار فقال لقد تلقيت لقد استسقيت بمجاديح السما التي يستنزل بها القطر ثم قرا استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وكان بكر بن عبد الله يقول ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم
استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن عائشة رضي الله عنها طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا
كثيرا **قوله عز وجل** ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا معناه
وقال لهم ما لكم لا تخافون ما امركم به تعظيما لله وترجون منه بذلكم الثواب ويقال في معناه ما
لكم لا تعتقدون اثبات الله ولا تثبتون له عظمة واصل الوقار ثبوت ما يكون الشي عظيما من العلم والحلم
وسعة المقدرة ومن ذلك توقيرهم وقر في السمع ووعاه القلب اذا ثبت في السمع وحفظه القلب ويقال
في معنى الاية ما لكم لا تخافون لله عظمة وقد جعل لكم ايتين انشاكم بان خلقكم اطوارا وانما اقيم الرجا
هاهنا مقام الخوف لانهما جميعا يقعان على الظن فان الراجي ما لم يكن على يقين يجوز الخوف وكذلك الخائف
يجوز الرجا قال الشاعر هو ابو ذويب ٥ اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها ٥ واراد لم يخف واما الاطوار
معناه ان الله تعالى خلقهم طورا بعد طور من حال الى حال من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ويقال
عبيدا ثم يرعا ولا ثم صبيا ثم شابا ثم شيخا وفي قوله الم تروا ونفر منه عليه السلام دلايل التوحيد عليهم يقول
الم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات مطبقة بعضها فوق بعض ويجوز ان يكون معنى الطباق سبعا ذات
طباق وقوله وجعل القمر فيهن نورا معناه وان كان القمر في السما الدنيا فان ما بين السموات من القمر

يضي لاهل السموات وما يلي الارض منه يضي لاهل الارض وفي الحديث ان وجه الشمس والقمر مما يلي
السما وقفاهما مما يلي الارض والشمس سراج العالم لتبصروا بها منافع دنياكم كما ان المصباح
سراج الانسان في البيت المظلم وقوله والله انبتكم معناه جعلكم تنبتون انباتا ونباتا في هذا الموضع
ابلغ من انباتا كانه قال انبتكم فنبتم نباتا والنبات ما تخرج بالنمو حالا بعد حال وانما قال من الارض
لانهم خلقوا من ادم عليه السلام وادم من الارض وقوله ثم يعيدكم فيها اريد به ردهم الى الارض عند
قبض ارواحهم فانهم يقبرون فيها وقوله ويخرجكم اخراجا اريد به الاخراج من القبور للبعث عند النفخة
الاخرى وجميع ما ذكر في هذه المصادر توكيد للكلام على عادة العرب يقولون صليتم قتلا وضربتم
ضربا وانما سميت الارض بساطا لانها كهيئة البساط تستقرون عليها وتتصرفون فيها جعلها الله كذلك
لتسلكوا منها طرقا بينة واسعة وعن ابن عباس انه قال اراد بالفجاج الطرق المختلفة والفج الطريق المتسع
ويقال هو المسلك بين الجبلين ٥ **قوله عز وجل** قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا ٥ معناه قال
نوح عليه السلام يا رب انهم عصوني فيما امرتهم به ودعوتهم اليه واتبعوا رؤساهم وكبراهم بسبب
الكفر والثروة كانوا كالغراء عنه في زمانه يصرفون سفلتهم عن دين الاسلام والولد والولد لغتان مثل
العرب والعرب والعجم والعجم واراد بالخسار الخسران في الدين واضاف الخسران الى المال والولد لانهم
انما ازدادوا الكفر عند كثرة المال والولد وهذا كما يقال هذه المراة تفتن الرجال اي يفتنون بسببها
وان لم تفعل شيا والكبير والكبار بمعنى واحد كما يقال العجيب والعجاب وكذلك يقولون في جميل
جمال وفي حسن حسان وقد مكرهم الكبير اعظام الفرية على الله تعالى وتوصيه بعضهم بعضا بقولهم
لا تذرن الهتكم اي لا تدعن عبادة اصنامكم بقول نوح عليه السلام ولا تدعن ودا ولا سواعا اي عبادة
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهذه خمسة اصنام لهم كانوا يعبدونها ويقدمونها على غيرها وكانت
اوايلهم اتخذوها على صورة رجال عبادهم كانت هذه الاسما اسماهم فسموا هذه الاصنام باولئك العباد ليعظموها
بها وتعهدوا بها العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى القرن الذين اتخذوها عبدها خلفهم قرن بعدهم انا هم
الشيطان فقال لهم ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون هذه الاصنام فعبدوها فلما جا الغرق اندفنت
تلك الاصنام فكانت كذلك الى ان اخرجها الشيطان لمشركي العرب فوقع كل صنم منها في ايدي قوم
منهم ويقال ان العرب احدثت اصناما على هيئة تلك الاصنام وسموها باسمايها وقوله وقد اضلوا
كثيرا معناه وقد ضل بهذه الاصنام كثير من الناس واضاف الاضلال الى الاصنام لانها كانت
سبب ضلالهم ويجوز ان يكون الفعل في الاضلال في هذه الاية مضافا الى القوم الذين اتخذوها
فانهم اضلوا بها ساير الناس وقوله ولا تزد الظالمين الا ضلالا معناه لا تزدهم الا خسارا وهلاكا
والما لم يصرف يغوث ويعوق لانهما ضارعا الافعال والاسم اذا كان مضارعا للفعل فانه لا يجري نحو يعفور
ويعقوب وقرا نافع ودا بالضم وهما لغتان ٥ **قوله عز وجل** مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا
نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان
تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ٥ معناه من اجل خطاياهم اغرقوا في الدنيا فادخلوا بذلك الغرق
نارا وفي هذه دليل على عذاب القبر لان حرف الفا للصلة والتعقيب فاقتضى انهم عقيب الغرق الى النار
والكافر انما يدخل نار جهنم يوم القيمة ونظير هذه قوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
واما خطاياهم في هذه الاية فهي الكفر والاية خرجت مخرج الشرط والجزا وما مؤكدة ولو كانت ما حرف

كان اوضح واما قوله فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا فمعناه فلم يجدوا لانفسهم من دون الله احدا
ينصرهم واما الدعاء الذي دعا نوح عليه السلام في قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فقد روي عن قتادة انه قال ما دعا نوح عليه السلام بهذه الدعوة الا بعد ان انزل الله تعالى عليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد امن والديار مشتق من الدار وساكنها وقال الزجاج والديار اصله ديوار من دار يدور
والقول الاول اقرب لان الله تعالى اغرقهم جميعا بالهلاك بدعائه عليه السلام غير عوج فانه نجى من قومه
وعاش الى زمن موسى عليه السلام ولكنه لم يكن ممن يتخذ دينا ولا يسكن دارا وقوله انك ان تذرهم معناه
ان تتركهم على وجه الارض ولا تهلكهم يضلوا عبادك عن دينك ولا يلدوا الا من يبلغ الكفر والكفار
من الصفات التي لا تطلق الا بعد كثرة الفعل من الموصوف بها ولو جاز ان يعذب الطفل بابويه لجاز
ان يعذب الاموات بالاحياء من ابائهم فان قال قائل كيف اغرق الله تعالى جميعهم وكان من جملتهم
الصبيان وفيما بينهم البهائم والطيور قيل قد تقدم ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم قبل ذلك مدة ولم
يكن فيهم صبيان كان موت الصبيان باجالهم وكذلك موت البهائم والطيور واما البالغون
فاغرقوا عقوبة لهم على كفرهم واما قوله رب اغفر لي ولوالدي فانما استغفر لوالديه لانهما كانا مومنين
وكان بينه وبين ادم عليه السلام عشرة اباء مومنين وقوله ولمن دخل بيتي قيل ان المراد بالبيت هاهنا
المسجد وقيل السفينة وقيل الدار والتبار الهلاك وكذلك كل ما اهلك فقد تبر ومن ذلك سمي المكسور
تبرا وقد جمع نوح عليه السلام بين دعوتين دعوة على الكفار ودعوة للمومنين فاستجاب الله دعاءه
على الكفار ونرجوا ان يستجاب دعاؤه في المومنين وفي الحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة نوح كان من المومنين الذين تدركهم دعوته رواه ابي بن كعب رضي الله عنه

سورة الجن مكية وهي ثماني وعشرون اية بالاختلاف بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك
بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا وذلك ان السماء لم تكن تحرس
فيما بين عيسى ونبينا عليهما السلام فلما بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورميت الشياطين
بالشهب فلم [illegible] لوجهه فقال ابليس لجنده لقد حدث في الارض حدث لم يكن مثله ولا يكون
هذا الا لخروج نبي فبث جنده في الطلب وبعث تسعة نفر من اشراف جن نصيبين من ارض اليمن الى ارض تهامة
وكان رئيسهم يسمى عمرا فلما انتهوا الى بطن نخلة وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يقرا القران
في صلاة الغداة فلما سمعوه رقت لذلك قلوبهم فدنا بعضهم من بعض حبا للقران حتى كادوا يسقطون
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعلم فذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فامنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى قومهم منذرين ولم ياتوا ابليس فقالوا لقومهم انا سمعنا قرانا
عجبا فاستجاب منهم جماعة فجاؤوا بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقراهم عليه السلام القران فامنوا
به وقالوا يا رسول الله ان الارض بيننا وبينك بحر ليس فيها عود فقال صلى الله عليه وسلم لكم الروث
وكل ارض سبخة تنزلونها تكون مكانا لكم ولكم العظم كل عظم مر ذكر الله عليه تجدون عليه اللحم
يكون فمن ثم كره ان يستنجى بعظم او روث فانصرف الجن عنه فاوحى الله تعالى بهذه الايات الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليبين ان الجن لما ظهر لهم الحق اتبعوه فالانس اولى بذلك لانهم ولد ادم عليه السلام وكان الخلاف
منهم اكثر وقد نبه بهذه الايات ما يعلم ان الجن يعرفون لغة العرب ودلائل التوحيد يدعو بعضهم بعضا
الى الحق وانهم مكلفون يسمعون كلامنا وان لم نرهم والمعنى قل يا محمد لاهل مكة اوحي الي انه استمع

الى القران

الى القران طائفة من الجن فلما رجعوا الى قومهم قالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجيب النظم يدل على الهدى
والصواب فصدقنا به انه من عند الله ولن نشرك بربنا بعد هذا اليوم احدا كما اشرك ابليس وكما تقوله
مشركو العرب وقد اختلفوا في دين هؤلاء النفر من الجن قبل استماعهم فقال بعضهم كانوا مشركين
واستدلوا بهذه الاية اي قالوا لن نشرك بربنا احدا كما كنا نشرك وقال بعضهم كانوا من اليهود واستدلوا
على ذلك بقوله تعالى قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ولا يمتنع ان تكون
تلك الاية في طائفة من الجن وهذه الايات في طائفة اخرى منهم والوحي القاء المعنى الى الغير في الخفية على
السرعة والعجب ما يدعو الى التعجب منه لخروجه عن العادة مع خفاء سببه ومن قرا
احي بغير الواو فالاصل في وحي من وحيت اليه بمعنى اوحيت الا ان الواو قلبت الفا لما ضمت والالف في قوله
انه استمع مفتوحة لا غير والمعنى اوحي الي استماع نفر من الجن واما الالف في قوله انا سمعنا فهي مكسورة
لا غير لانها بعد القول واما قوله وانه تعالى فمن قراه بالكسر فهو معطوف على قوله انا سمعنا ومن قراه بالفتح
فعلى معنى امنا انه تعالى جد ربنا اي تعالى عظمة ربنا عن ان يتخذ صاحبة او ولدا وهذا كما يقال فلان
عظم واجل من ان يفعل كذا وكذا فالجد العظمة لانقطاع كل عظيم عنها لعلوها عليه ومنه الجد
ابو الاب لانقطاعه بعلوه عن ابنه وبنيه وكذلك الجد الذي هو الحظ من الرزق لعلو شانه والجد ضد
الهزل لانقطاعه عن السخف والجديد لحدوث العهد بالقطع ويقال جد فلان في قومه اذا عظم فيهم وقال الحسن
معنى الجد في هذه الاية الغنى ومنه قول المسلمين في الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد وعن جعفر بن محمد انه
قال ليس لله جد وانما قالته الجن بجهالة فلم يواخذهم الله به والقول الاول اشهر واظهر والمراد بالسفيه في
هذه الايات قيل انه ابليس وقيل ان السفيه من كان لا يومن من الجن وسفهه ان جعل لله صاحبة وولدا
وهذا لفظه لفظ الوحدان ومعناه الجماعة والشطط السرف في الخروج عن الحق ومعنى القول البعيد شططا
من قولهم شطت الدار اذا بعدت وقوله وانا ظننا معناه وانا حسبنا قبل ان سمعنا القران ان احدا من
الجن والانس لا يجترئ ان يكذب على الله تعالى لما لم يبلغه حتى سمعنا القران وتبينا الحق به وقوله وانه كان
رجال من الانس معناه ان اهل الجاهلية كانوا اذا نزلوا واديا او ارضا قفرا وخافوا الوحشة والضلال وان
يصيبهم [illegible] هذا الوادي من سفهاء قومه اراد بذلك سيد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الجزاء فقوله عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا هذا كله اخبار عن قول الجن الذين سمعوا كلام النبي صلى الله عليه

وأسروا له ورجعوا الى قومهم منذرين ويجوز ان يكون ذلك من قول الجن بعضهم لبعض قبل ان كانوا
لشيعة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انا صعدنا الى السماء للطلب كما كنا نستمع الى الملائكة
من قبل فوجدنا السماء ملئت حفظة اقويا من الملائكة ونيرانا مضيئة يرمون بها الينا ويزجروننا عن الاستماع
والحرس جمع الحارس وهو الحافظ والشهب جمع الشهاب وهو الشعاع الذي يحدث من النجم ويسير في الهوا
يسميه العامة الكوكب المنقض وقوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع روي عن عبد الله بن عباس انه قال
لم يكن قبيلة من الجن الا ولها في السما مقاعد للسمع وكان اذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتا كصوت
الحديد اذا القيت على الصفا فاذا سمعته الملائكة خروا لها سجدا فلم يرفعوا حتى ينزل فاذا نزل قال بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم فان كان مما يكون في السما قالوا الحق وهو العلي الكبير وان كان مما يكون في الارض
من غيب او موت يتكلموا به فيستمعه الشياطين فينزلون به على اوليائهم من الانس فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم دحروا بالنجوم فذلك قوله فمن يستمع الآن اي من يحاول الاستماع الان يجد له كوكبا
قد ارصد له يرمى به وفي هذا القول ذهب جماعة من المفسرين وقالوا ان هذه الشهب لم تكن قبل مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو في اشعار الجاهلية الا حديث الكوكب ذي الذنب وحديث النجم
التي يعرض في اثنا لهذا الباب فمن اضاف الى ذلك انقضاض الكوكب فهو من المولدين وسئل الزهري عن
هذه الاية فقيل له اكان يرمى بالشهب في الجاهلية فقال نعم الا انها غلظت وشددت في امرها حين بعث
النبي صلى الله عليه وسلم واما قولهم لا ندري اشر اريد بمن في الارض معناه انهم قالوا لا ندري ادرمينا بالشهب
ان الله تعالى اراد انزال العذاب بالناس لمعاصيهم او اراد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الجن
لم يحرسن قط الا لنبوة او عقوبة عاجلة عامة **قوله عز وجل** وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا به فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ه معطوف على ما قبله والمعنى وانا منا المطيعون لله في امره ونهيه
ومنا دون ما وصفناه وهم اهل المعاصي كنا اهل ملل شتى مومنين وكافرين وطرايق جمع طريقة
على الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة ويقال فلان طريقة قومه اذا كان سيدا مطاعا فيهم والطريقة في
باب من ابواب العلم اجرا الكلام في المعاني المختلفة على جهة واحدة والقدد جمع القدة كما يقال لحزقة وفرق
والقدة المستمرة بالقدب في جهة واحدة وفي قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض بيان انه لا مهرب لهم من الله تعالى
وان احدا لا يقدر ان يمنعه مما يريد واما البخس فهو ان ينقص من ثواب العمل والرهق ان يذهب بالعمل كله
ويقال الرهق ان لا يبادر على نفسه واصل الرهق ما يرهق الانسان من ظلم او عيب واما القاسط فهو العادل عن الحق
والمقسط العادل الى الحق ونظيره ترب الرجل اذا افتقر واترب اذا استغنى والاصل التراب فالاول هو الذي ذهب
ماله حتى قعد على التراب والثاني كثر ماله حتى صار كالتراب وقوله فمن اسلم معناه فمن اخلص بالتوحيد
فاولئك قصدوا اصابة الخير والحق واما العادلون عن طريقة الاسلام فاولئك منزلة الحطب في النار تستعر
النار في ابدانهم الى هاهنا كلام الجن وقد انقطع كلامهم ه **قوله عز وجل** وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا ه معطوف على قوله استمع نفر من الجن والمعنى واوحي الي ان لو استقام
اهل مكة على طريقة الهدى لوسعنا عليهم ارزاقهم بالمطر والنبات وذلك انه كان المطر محبوسا عنهم
سبع سنين هكذا روي عن مقاتل ونظير هذا قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض
وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومعنى الغدق العذب الكثير يقال انه كان غدق بكسر الدال اذا كان

كثير الندا

كثير الندا وعيش غيداق اي واسع والغدق بفتح الدال مصدر وقوله لنفتنهم فيه اي لنتعبدهم بالشكر
وذهب الكلبي في معنى الاية الى ان المراد انهم لو استقاموا على طريقة الكفر لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا
رغدا لنفتنهم بالسعة والرخا ونظير هذه الاية قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية والقول الاول اولى لان الطريقة معرفة بالالف واللام ولا يذكر الاستقامة
الا على الحق وفي قوله ومن يعرض عن ذكر ربه دليل الى ان المراد به الاعراض عن الاستقامة قال الحسن والله ان
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كذلك كانوا سامعين لله مطيعين ففتحت لهم كنوز كسرى وقيصر والاصل
في هذا ان كل ما وعد الله المومن من التنعيم في الدنيا فهو زيادة بركة عليه اكراما له وما وعد الله عليه
الكافر فهو ما يعجل له في دنياه عقوبة له كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها وفي قوله نسلكه قراتان بفتح النون وضمها يقال سلكت الشي واسلكته بمعنى واحد وهو الادخال
والصعد الشاق الشديد ومنه قولهم يتصعدني امر اي يشق علي ويقال وقع القوم في الصعود والهبوط اي في طريقة
شاقة وفي الحديث ان الصعد صخرة ملسا في جهنم يكلف الكافر صعودها يجذب من امامه بالسلاسل
ويضرب من خلفه بالمقامع فاذا انتهى الى اعلاها انحدر الى اسفلها فكان ذلك دابه كذلك وهذا مثل
قوله سارهقه صعودا واما قوله وان المساجد لله فقد قيل ان المراد به المساجد المعلومة لم تبن الا لذكر
الله فلا تدعوا فيها مع الله احدا غير الله كما تدعوا النصارى في بيعهم وكما دعا المشركون في كعبة ربهم
وعن الحسن انه قال من السنة اذا دخل احد المسجد ان يقول لا اله الا الله لا ادعو مع الله احدا وقيل ان
المساجد في ما يسجد الانسان عليه من جبهته ويديه وصدور قدميه فلا تضعوا هذه الاراب في التراب
لغير خالقها **قوله عز وجل** وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انما
ادعو ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن
اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين
فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ه اختلفوا في هذه الايات
روي عن ابن عباس والضحاك انه نزل في حديث الجن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ببطن
نخلة بين مكة والطايف اذا اتاه التسعة من الجن فكادوا يسقطون عليه رغبة في القران وتعجبا منه
وقال الحسن وقتادة لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باظهار الدين تلبدت الجن والانس على ان
يطفيوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه ويقال لما قام النبي صلى الله عليه وسلم في عبادة
ربه كاد مشركوا مكة لشدة كيدهم له ان يكونوا عليه متكاثفين بعضهم فوق بعض ليزيلوه بذلك عن دعوته
الى الله تعالى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربي اي اعبده وادعو الخلق اليه ولا اشرك به احدا من
خلقه ووجه اتصال هذا بما قبله ان اهل مكة لم يفعلوا حين سمعوا القران ما فعلته الجن عندما
سمعوه ويقرا قل انما ادعو ربي على لفظ الامر واللبد جمع لبدة ومن قرا لبدا بضم اللام والتخفيف فهو جمع
لبدة وهما بمعنى واحد ومن قرا بضم اللام والتشديد فهو جمع لابد مثل راكع وركع وكل شي الصقته بشي
الصاقا شديدا فقد لبدته ومنه اللبد لتراكمه وتلبد الشعر اذا تراكم واما قوله قل اني لا املك لكم
معناه قل لاهل مكة اني لا املك لكم تغيير نعم الله عليكم ولا اجبركم على الايمان وانما انا عبد خاضع ان
عصيت لا مجير لي ولا ناصر ولن اجد من دون الله ملتحدا في الارض مثل السرب الذاهب في الارض ولا ملجا
الجا اليه والالتجاء الميل من جانب الى سوء على ما توجه عن المانع فالله يجير من يشاء ولا يتهيا لاحد ان يجير منه لان
العزة لله جل ذكره واشتقاق الملتحد من اللحد وقوله الا بلاغا من الله معناه لا يجيرني من عذاب الله الا ان ابلغ
عن الله ما ارسلت به وبذلك ارجو النجاة ونيل الكرامة ومن يعص الله ورسوله من الامم بعد البلاغ وقال
ومن يعص الله في الابلاغ يلزمه مثل الوعيد ما يلزم من عصى الله في عبر الابلاغ وقوله فان له نار جهنم جواب

بسط بالقا ولذلك لا يجوز الا الكسر وخالدين فيها نصب على الحال والمراد بهم الابد لكفرون
وقوله حتى اذا راوا ما يوعدون ابتداء الكلام والعرب تبتدي بحتى ومعناه حتى اذا راى الكفار الذين
يتسلطون على النبي صلى الله عليه وسلم بنفوسهم وكثرة جموعهم ما يخوفون به من العذاب اما في الدنيا واما
في الاخرة فسيعلمون عند ذلك من اضعف ناصرا واقل عددا هم ام المؤمنون **قوله عز وجل** قل ان ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم
واحصى كل شيء عددا ه معناه قل لهم يا محمد ما ادري اقريب ما توعدون من العذاب واهوالها ام يجعل
له ربي اجلا ومهلة عالم الغيب اي هو عالم ما غاب عن العباد فلا يطلع على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى
من رسول فانه اذا اراد اطلاعه بالوحي على ما يشاء من الغيب جعل من بين يدي الرسول ومن خلفه حفظة من
الملائكة يحفظونه ويحفظونه من شر الجن ويبعدوا الجن عنه وعن سماع القران وذلك ان الله تعالى كان
اذا انزل جبريل عليه السلام بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ارسل معه ملائكة يحفظون به وبالنبي صلى الله
عليه وسلم حتى يفرغ من وحيه كيلا يقرب منه الجني شيطان ولا جان يذهبون به الى كهنتهم حتى يكون
النبي صلى الله عليه وسلم اول من يتكلم به ليكون ذلك دليلا على نبوته وقوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم قيل في معناه ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قد بلغت رسالة ربهم وان الرسالة
لم تصل الى غيره وقيل ليعلم الجن والانس انهم قد ابلغوا وفي قراءة ابن عباس ليعلم بضم الياء وقرأ ابي ليعلموا
بلفظ الجماعة وقيل في معناه ليعلم الله والمراد ليبلغوا وهذا كما يقول القايل ما علم الله مني كذا وكذا
ويريد به نفي المعلوم وكذلك في قوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم اي حتى يجاهد المجاهدون
وهذه الاية من الايات التي تدل على ان من ادعى انه يعلم بالنجوم ما يكون من جوع او موت او غير ذلك انه
كافر بالقران وبما فيه وقوله واحاط بما لديهم معناه احاط علمه بما عندهم وعلم عدد الاشياء وافرادها
كلها مع كثرتها على تفاصيلها وانما ذكره بلفظ الاحصاء لان الواحد منا لا يعلم حقيقة الشي الا باحصائه
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الجن كان له من الاجر
بعدد من صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة وبالله التوفيق ه

سورة المزمل مكية الا قوله

ان ربك الى اخر السورة فان ذلك نزل بالمدينة وفي بعض الروايات الا قوله وذرني والمكذبين
وعدد اي السورة تسع عشرة عند البصريين وعشرون عند غيرهم ه بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ورتل القران ترتيلا انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا ان لك في النهار
سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم نودي في حال كونه ملتفا بثيابه في بعض الليل وامر بالقيام بالصلوة
وهجران النوم والمزمل اصله المتزمل ادغمت التاء في الزاي لقرب مخرجيهما وكل شي لف فقد زمل
وقوله قم الليل الا قليلا معناه صل اكثر الليل او قم نصف الليل او انقص من النصف او زد على النصف
للصلوة خيره الله تعالى في قيام الليل في هذه الساعات قال الحسن فرض الله تعالى عليه وعلى اصحابه وهم
بمكة ان يقوموا ثلث الليل فما زاد وسيلت عايشة رضي الله عنها عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت اما تقرون هذه السورة يا ايها المزمل قال قلنا بلى قالت فان الله تعالى افترض القيام في اول هذه
السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى خاتمتها
اثني عشر شهرا ثم انزل التخفيف في اخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته هكذا روي وكان قيام
الليل فرضا قبل ان فرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس لا خلاف بين المسلمين في نسخ قيام الليل

وان ذلك مندوب اليه مرغب فيه وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الصلوة
الى الله تعالى صلاة داود عليه السلام كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
واحب الصيام الى الله صيام داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالليل ثماني ركعات حتى اذا طلع عمود الصبح الاول
اوتر بثلث ركعات ثم تسحر ويكبر حتى اذا طلع الفجر صلى ركعتي الفجر وعن المغيرة بن شعبة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وذهب بعض المفسرين في تاويل الاية الى ان قوله قم الليل
الا قليلا الخطاب بقيام الاكثر من الليل وفي قوله نصفه تفسير القليل الذي يبيح له النوم فيه فان المراد
نصف في مدة المنام وهو الثلث من جملة الليل ثم خيره الله تعالى بين الزيادة والنقصان فيما رخص
له فقال او انقص منه اي من النصف الذي هو ثلث الجملة قليلا او زد على النصف الذي هو ثلث الجملة
واما الترتيل فهو ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتبيين وتثبيت من غير عجلة وكذلك الترسل في القراة
واما الحدر فهو الاسراع في القراة وعن ابن عمر انه قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيل اي ترسل وقيل في معنى الترتيل هو ان تقرا اية واثنتين وثلثا ثم كانك تقطع ثم يتابع الايتين
والثلث ثم كانك تقطع حتى يتم القراة على ترسلك وهينتك وقال لا تعد ذلك اذا كان مفلجا وقوله انا
سنلقي عليك اي سننزل عليك قولا ثقيلا لما فيه من الامر والنهي فلا يودي حق جميع ما امر به الا بتكلف
شاق عليه وقال معنى ثقيلا كلاما محكما ليس بسفساف كما يقال هذا الكلام له وزن وقيل في معناه
ثقيل على مخالفيه وقال الماسنجي ثقيلا لثقله في الميزان مع خفته على اللسان والاظهر ان المراد بذلك ما
كان يلحق النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الوحي والرسالة من الكلفة وما يلحقه من الاذية من جهة
الكفار وقوله تعالى ان ناشية الليل معناه ان القيام في ساعات الليل اثقل واشد على القايم
من القيام بالنهار لان الليل انما خلق للراحة والسكون فيجعل الطاعة فيه اشد من فعلها بالنهار
وعن عبد الله بن عباس انه قال اذا اصبت قايما فهو ناشية الليل وعن مجاهد انه قال اذا قام الانسان
الليل كله يصلي فهو ناشية وما كان بعد العشا الاخرة فهو ناشية وعن الحسن مثله وقيل في معنى
الناشية انها ماخوذة من نشات تنشا اي ابتدات واقبلت شيا بعد شي وكل ما حدث منه فهو
ناشية واما الوطا على التفسير الذي ذكرناه فهو المعاناة في عمل الليل فهو ابعد للتصرف في الدلايل ووجوه
الحكم وضروب المعاني واقوم هو الاقرب من الاستقامة وهو ما يكون اخلص واثبت كما يقال
في الخط هذا حرف مقوم وهذا حرف مضطرب وقال ان معنى الوطا ههنا البساط وعمل الليل امهد
واقرب الى النشاط وقيل من المواطاة وهي الموافقة لان الاصوات تكون هادية بالليل فيوافق فيه
قلب المصلي لسانه وسمعه وفهمه باكثر ما يتوافق عليها بالنهار ويقرا وطاء بكسر الواو ومعناه
ابلغ في القيام وابين في القراة واما قوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا واقبالا وادبارا في
حوايجك واشغالك يعني لا تفرغ فيه لصلوة الليل فخذ حظك من قيام الليل وكان شغل النبي صلى الله
عليه وسلم ما كان عليه من تبليغ الوحي والرسالة وتعليم الناس الفرايض والسنن وقيامه بادا بها
وامور معاشه ومعاش عياله وكان صلى الله عليه وسلم اكثر شغلا بالنهار ثم لم يعذره الله تعالى في
ترك قيام الليل واصل السبح في اللغة هو المر في عمل النهار في الوقت الذي يحتاج فيه الى الضيا كالمر في
الما واما عمل الليل فلا يحتاج فيه الى الضيا فان عمل الليل تلاوة القران والفكر في وجوه البرهان
وقوله واذكر اسم ربك يجوز ان يكون المراد به كثرة ذكر الله تعالى في الصلوة وخارج الصلوة وقوله وتبتل اليه
معناه انقطع الى الله في العبادة وتامين الخير منه دون غيره ومن هذا سميت مريم البتول لانها انقطعت الى الله

عز وجل في العبادة وصدقة بتة منقطعة من مال المتصدق وتطليقة بتة قاطعة لكل وجه وانما
قال تبتيلا ولم يقل تبتلا على معنى بتل نفسك اليه تبتيلا او لتشاكل ها هنا اقرب الى موافقة سائر هذه
الايات وقوله رب المشرق والمغرب معناه ان الانقطاع الى مالك المشرق والمغرب الذي لا اله غيره
ولا نظير له اولى من الانقطاع الى من لا يملك شيئا ولا نظير وقوله فاتخذه وكيلا اي اتخذه حافظا لك وكفيلا
بما وعدك من النصر والثواب لك ولامتك ۝ **قوله عز وجل** واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما
ذا غصة وعذابا اليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ۝ معناه واصبر
يا محمد على ما يقوله الكفار والمنافقون واقتصر على اظهار التوحيد وخصومه ومن دون ان
تدع دعاهم الى الله هذا هو الهجر الجميل وقوله وذرني والمكذبين معناه كل امرهم الي ولا تهتم بهم فاني
اعلم بهم وساكفيكهم وكانت العرب اذا ارادت ان تامر انسانا بازالة همه عن امر غيره تقول دعني وفلان
ليس ان المخاطب حائل بينه وبين فلان ولكن بنا وبله لا تهتم بتعال فاني كافيه والنعمة بفتح النون التنعم
والنعمة بكسر النون المال والغنى والتنعم وهو الغنى وقوله ومهلهم قليلا اي امهلهم يسيرا فانهم لا يموتون
وهؤلاء المكذبون هم الرؤساء الذين ساقوا اهل بدر ولم يكن بين نزول هذه الاية ووقعة بدر الا قليل
وفي قوله ان لدينا انكالا زيادة وعيد لهم يقول ان لدينا لهم بعد الموت القريب قيودا واغلالا ونارا
عظيمة هائلة يدخلونها وطعاما ياخذ بحلوقهم بخشونته وحرارته لا ينزل فيها بل تلتصق لقاسيهم عنها فتخنقهم
بها وان لهم من وراء ذلك عذابا اليما تخلص الماء الى قلوبهم وعن ابن عباس انه قال اراد بالطعام ها هنا
الضريع وهو شوك ياخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج واما الانكال فهو جمع النكل وهو ها هنا القيد
من النار ويحتمل انه ماخوذ من النكال وهو العقوبة كما في قوله جزاء بما كسبا نكالا من الله وفي قوله
يوم ترجف الارض ذكر اليوم الذي يقدمون عليه وهو يوم القيمة تزلزل فيه الارض زلزالا شديدا والراجفة
من اسماء القيمة والكثيب المهيل هو الرمل السائل يقال لتراب مهيل ومهيول اي مصبوب ومرسل ونهيل الرمل
ان يهال وحلته وهيلته والكثيب القطعة العظيمة من الرمل فاذا حرك اسفلها انهال اعلاها ۝ **قوله عز وجل**
انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول
فاخذناه اخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به
كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ۝ معناه انا بعثنا اليكم رسولا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم يشهد عليكم باعمالكم يوم القيمة كما بعثنا موسى عليه
السلام الى فرعون بالرسالة فعصى فرعون موسى ولم يجبه فاخذناه اخذا ثقيلا والوبيل هو الثقيل المطر
العظيم القطر وابل وبيل ومنه الوبال الثقيل وطعام وبيل اي ثقيل وخيم وقوله فكيف تتقون معناه باي
شيء تتحصنون من عذاب يوم القيمة ان كفرتم وقوله الولدان شيبا من صفة ذلك اليوم وذلك اذا سمعوا ما
يقال لادم عليه السلام يا ادم ابعث بعث ذريتك الى النار فقال من كل كم قال من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يشيب الصغير وتضع الحامل
ما في بطنها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل الذي ينجي قال
صلى الله عليه وسلم ابشروا فاني لارجو ان يكون من ياجوج وماجوج الف ومنكم واحد ثم قال اني لارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبر المسلمون وحمدوا الله فقال اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا
وحمدوا فقال انما انتم في الناس الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء في جلد الثور
الابيض وذهب بعض المفسرين الى ان قوله يجعل الولدان شيبا على طريق التمثيل كما يقال لهذا امر لا ينادي
وليده الا ان القول الاول اظهر لانه لا يمنع ان يشيب الولدان من فزع ذلك اليوم على ما طبع عليه الادمي من

الخوف

الخوف والشيب جمع الاشيب واما قوله السماء منفطر به فمعناه انها منشقة بذلك اليوم وذكر السماء
بلفظ التذكير لان معنى السماء ها هنا السقف كما في قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا ويجوز ان يكون
معنى الاية ان السماء في ذلك اليوم ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل اي ذات طفل على طريق النسب لا
على الفعل وكذلك امرأة مرضع اي ذات رضاع وقوله كان وعده مفعولا اي كان وعد الله من
البعث واهوال القيمة كائنا لا شك فيه ان هذه السورة عظة للناس فيها ذكر ما يعمل عليه فمن شاء اتخذ
الى طاعة ربه طريقا وفي هذه الاية دلالة على ان من اراد ان يتخذ الى طاعة الله سبيلا يقدر على ذلك لان الله
تعالى علق ذلك بمشيئته ۝ **قوله عز وجل** ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما
تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون
يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم ۝ في الاية ثناء على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى طائفة من اصحابه الذين كانوا يقومون بصلوة
الليل يقول ان ربك يا محمد يعلم انك تقوم اقل من ثلثي الليل في بعض الليالي واقل من نصف الليل في بعض
الليالي واقل من الثلث في بعضها وطائفة من المؤمنين معك كذا قال الحسن كان يكون منهم الزيادة
والنقصان على نحو الثلث ولم يقم النبي صلى الله عليه وسلم قط اقل من الثلث وانما قال الله تعالى ادنى
في طائفة من الذين معه واما من قرأ قوله ونصفه وثلثه بالنصب فالمعنى تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف
او الثلث ولفظة ادنى تستعمل منها القلة لا يقال عندي دون العشرة الا والنقصان منها قليل وقوله
والله يقدر الليل والنهار اي يعلم مقادير ساعاتهما على الحقيقة علم ان لن تعلموا حقيقة قدرهما وان لم
تعلموا حقيقة المقدار الذي امرتم بالقيام فيه لن تطيقوه الا بمشقة فمحا وخفف عنكم قيام الليل بالتحقيق
عنكم فاقرؤا ما تيسر عليكم من القرآن في صلوة الليل علم ان سيكون منكم مرضى لا يستطيعون قيام
الليل بقراءة السور الطوال واخرون يضربون في الارض اي يسافرون لطلب رزق الله فلا يطيقون ذلك
وعلم ان منكم من يجاهد اعداء الله في طاعة الله فاقرؤا ما تيسر منه عليكم في الصلوة واقيموا الصلوة
الخمس بشرائطها وما يجب من حق الله فيها وهي هذه السبع عشرة ركعة التي فرضها الله واعطوا الزكوة المفروضة
واقرضوا الله قرضا حسنا من الصدقة صادقا من قلوبكم طيبة بها نفوسكم ويجوز ان يكون المراد بالقرض
ها هنا صدقة الفرض ويجوز ان يكون ذلك حثا على صدقة التطوع وانما ذكر بلفظ القرض ليكون القلب
اسكن الى البدل لان القرض مضمون بالبدل قال الحسن الحمد لله الذي جعل قيام الليل تطوعا من بعد
فريضة ولا بد من القيام واما قوله وما تقدموا لانفسكم معناه وما تسلفوا من الاعمال الصالحة تجدوا
ثوابه عند الله خيرا لكم مما اسلفتم وافضل جزاء في الاخرة وانما انتصب خيرا لانه المفعول الثاني ودخل
هو فصلا ويسميه الكوفيون العماد وقوله واستغفروا الله امر بالاستغفار لما مضى من الذنوب والتقصير
في الطاعة ان الله غفور لمن استغفر رحيم بمن مات على التوبة وقد تضمنت هذه الايات معاني احدها انه نسخ
قيام الليل المفروض في بدء الاسلام والثاني انها تدل على لزوم فرض القراءة في الصلوة لان القراءة لا تكون في
غير الصلوة والثالث دلالتها على جواز الصلوة بقليل القراءة والرابع ان ترك قراءة فاتحة الكتاب في الصلوة
لا تمنع جواز الصلوة اذا قرأ فيها غيرها من القرآن فان قيل هذه الاية نزلت في قيام الليل وذلك منسوخ فكيف
تستدلون بها على هذه الاحكام قلنا في هذه الاية امر بالقراءة بعد ذكر التسبيح ثم نسخ فرض الصلوة لا يوجب
نسخ شرائطها وسائر احكامها ثم ان قيل ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن القراءة في صلوة التطوع قلنا
اذا ثبت وجوب القراءة وحكمها في التطوع فالفرض مثله لان احدا لا يفرق بينهما في هذه الابواب وصلوة

التطوع وان لم تكن فرضا لكن اذا شرع فيها لزمه اقامتها بجميع اركانها كما لزمه اقامتها بجميع
شروطها من الطهارة وستر العورة ونحوهما وذهب بعضهم الى ان صلوة الليل لم تكن مفروضة لانها لم
تكن محصورة ولا معلومة والفرائض والسنن لابد ان تكون محصورة معلومة واستدلوا على هذا بقوله ومن
الليل فتهجد به نافلة لك غير ان الصحيح ما ذكرناه لان قوله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم يقتضي تخفيفا
بعد التكليف وقد بينا ان الفرض كان مقدار ثلث الليل وكان التخيير في الزيادة ه وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية كلها وهي ست وخمسون اية

الا عند الشاميين فانهم يعدونها خمسا وخمسين ه بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر
اختلفوا في سبب نزول هذه الايات قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير الى
جبل حراء اذ سمع مناديا ينادي من فوق راسه يقول يا محمد فنظر من خلفه يمينا وشمالا والى السماء فلم
ير شيئا فمضى على وجهه فنودي ثانية فنظر كذلك فلم ير شيئا ففزع وقال لعل هذا شيطان يدعوني فمضى على
وجهه فنودي الثالثة فنظر من خلفه ويمينا وشمالا ثم نظر الى السماء فراى مثل السرير بين السماء والارض عليه
جبريل عليه السلام مثل النور المتوقد فلما راه فزع فوقع مغشيا عليه فلبث ساعة ثم افاق فقام يمشي وبه رعدة
وركبتاه تصطكان راجعا فرجع حتى دخل على خديجة فدعى بماء فصبت عليه فقال دثروني دثروني فدثروه بقطيفة حتى استدفا
ثم قال لقد اشفقت على نفسي فقالت خديجة ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصدق الحديث وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فاتاه جبريل عليه السلام وهو مدثر بثيابه مضطجع
على فراشه ليلا فقال يا ايها المدثر بثيابه مضطجعا على فراشه قم فانذر الكفار وصل وادعهم الى الحق
والتوحيد ه وقال مجاهد ان الكفار اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وتقنع بثوب
فنزل يا ايها المدثر ويقال في تقدير الاية يا ايها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وانذر
الكفار النار والدثار ما تدثرت به من الثوب الخارج والشعار الثوب الذي يلي الجسد واما قوله
تعالى وربك فكبر فمعناه صفه بالتعظيم وعظمه عما يقول عبدة الاوثان ويقال اراد به التكبير
لافتتاح الصلوة وقوله وثيابك فطهر قيل ان المراد به تطهير الثوب عن النجاسة لاقامة الصلوة وقيل في معناه
طهر نفسك وخلقك عما لا يحل بك وبالانبياء عليهم السلام يقول العرب للرجل اذا حسن عمله فلان طاهر
الثياب ويقول للغادر انه دنس الثياب ومتدنس ثيابه بنفسه وقيل في معناه وقلبك فطهر وقد يعبر بالثوب
عن القلب قال شاعره فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم ه
وعنى به القلب لان العرب لا يمدح بشق الثياب وقيل اراد بالاية تقصير الثياب لان ذلك ابعد للنجاسة
وقوله والرجز فاهجر معناه والاثم فاتركه ولا تقربه وقيل في معناه والاصنام فتباعد عنها وقد يسمى
العذاب رجزا كما في قوله تعالى فلما كشفنا عنهم فالمعنى على هذا ما يؤديك الى عذاب الله فاهجره والرجز
والرجز بضم الراء وكسرها بمعنى واحد وقوله ولا تمنن تستكثر قال بعضهم لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثر
عملك ويقال لا تعط شيا لتعطى اكثر منه وهذا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان في اعلى مراتب مكارم
الاخلاق كما حرمت عليه الصدقة فاما غيره فليس عليه اثم في ان يعطي هدية يتوقع بها اكثر منها ويجوز ان يكون
المراد بالمن ذكر النعمة التي نعم بها على غيره على جهة الاستكثار فان ذلك مما يكدر الصنيعة وعن الحسن انه
قال في معناه لا تضعف في ان تستكثر الخير قال والمن الضعف ومنه اجر غير ممنون وقوله ولربك فاصبر
معناه فاصبر على طاعته ولا يكون احد انعندك في الحق من احده **قوله عز وجل** فاذا نقر في
الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له

مالا

مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا
معناه فاذا نفخ في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير هين عليهم وشديد وقوله غير يسير
بدل من قوله يوم عسير اي لا يكون هينا عليهم والنقر ضرب شيء له صوت والناقور فاعول منه
كالجاسوس والحاطوم وقوله ذرني ومن خلقت وحيدا اجمع اهل التفسير ان المراد به الوليد بن المغيرة
المخزومي يقول كله الي امر من خلقته فريدا بلا مال ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك مالا ممدودا والمال
الممدود هو الذي يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة ونحوها من المال الذي لا ينقطع وقد
اختلفوا في ماله قال مجاهد وسعيد بن جبير كان ماله الف دينار وقال مقاتل كان ماله
بستانه الذي كان له بالطائف كان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا وقال عطا كان له غلة شهر
بشهر ويقال كانت له اربعة الاف وقوله وبنين شهودا اي حضورا عنده وهم عشرة كانوا قائمين
بين يديه لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر في التجارة وقوله وحيدا منصوب على الحال ويجوز ان
يكون صفة للمخلوق على معنى خلقته وحده ويجوز ان يكون من صفة الخالق على معنى خلقته وحدي لم يشركني
في خلقه احد وقوله ومهدت له تمهيدا قيل في معناه بسطت له في الجاه بسطا وقال الاخفش
اراد به المال بعضه فوق بعض كما تمهد الفرش يجعل بعضها فوق بعض وقوله ثم يطمع ان ازيد
معناه ثم يطمع ان ازيد له في المال والولد وقد كفر بي وبرسولي كلا لا ازيده فلم يزل الوليد بعد
نزول هذه الاية في نقصان من المال والحال حتى صار يحتال ويسال الناس ومات فقيرا وقوله انه كان
لاياتنا عنيدا اي لكتابنا ورسولنا معاندا وهذا كالتعليل لقطع النعمة منه والعنيد الذاهب عن الشيء
على طريق العداوة والجمل العنود هو الذي يمر على جانب من القطار **قوله عز وجل** سارهقه
صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر
فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ه معناه ساكلفه في النار ارتقاء الصعود
وهو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف الكافر ان يرتقيه حتى يبلغ اعلاه في اربعين عاما كلما
وضع عليه يده ذابت ثم اذا رفعها عادت هكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والارهاق
الاعجال بالعنف وقوله انه فكر وقدر معناه انه فكر في امر النبي صلى الله عليه وسلم في احتيال
للباطل وقدر القول فيه وذلك انه جمع روسا اهل مكة فقال ان الموسم قد دنى وقد فشى امر هذا
الرجل في الناس فما ذا انتم قائلون لمن سالكم عنه فقالوا نقول انه مجنون فقال لهم اذا تخاطبونه
فيعلمون انه غير مجنون فقالوا نقول انه شاعر فقال العرب يعلمون الشعر ويعلمون ان ما اتى به
غير شعر فقالوا نقول انه كاهن فقال ان الكاهن يصيب ويخطي ولا يقول انه يكون كذا وكذا
ان شا الله وهو يقول ان شا الله وقوله لا يشبه قول الكهنة فقال بعضهم لبعض قد صبا الوليد
يعنون اسلم قالوا لو صبا لم يبق احد من قريش الا صبا فجاءه ابو جهل ابن اخيه فقال ان القوم يقولون
انك قد صبات وقد عزموا ان يجمعوا لك مالا فيكون عوضا مما تقدر ان تاخذ من اصحاب محمد فقال
والله ما يجدون ما يشبعون فكيف اقدر ان اخذ منهم مالا ولي لي ابر الناس فقالوا كيف تقول انت يا
ابا المغيرة في محمد فقال اقول انه ساحر يفرق بين الاثنين وانه يفرق بين المرء وزوجه
فان المراة يكون معنا ويكون زوجها معه ويكون الرجل معنا ويكون زوجته معه وكذلك يفرق
بين الاخ واخيه والابن وابيه فتفرقوا على هذا القول وهو معنى قوله انه فكر وقدر وانما فكر ليجد
شبهة يتعلقون بها في تكذيبه وانما قدر لينظر فيما قدره ليستقيم له ان يقوله او لا وقوله فقتل كيف
قدر معناه عوقب على تفكره وتدبيره بما يجري مجرى القتل وهذا على عادة العرب يقولون في الدعا على
العدو قتله الله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتلهم الله وقوله كيف قدر اي من اي قدر

السحر وقوله ثم قتل كيف قدر معناه ثم لعن وعوقب بعقاب اخر كيف ذهب الى هذا التقدير وقوله ثم
نظر قال بعضهم نظر في كتابنا ثانيا ليجد شبهة يتعلق بها وقال بعضهم نظر الى اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم نظر العداوة والكراهة شديدة ليجد طعنا فيهم ثم عبس اي كلح في وجوههم وقبض جبهته والبسور
اشد من العبوس وقوله ثم ادبر واستكبر اي اعرض عن قبول الكتاب واتباع الرسول وتعظم عن الايمان
فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي ما هذا الا سحر يأثره محمد عن غيره وذلك انه ذكر ان يقول ان محمدا ساحر
فيغضب بنو هاشم فقال انما السحر في الاعاجم وهذا انما يأثر السحر عن غيره وليس من بمكة وكان يقول هاشم
في القرآن والله انه ليعلو وما يعلى وما هو بشعر ولا كهانة ولكنه سحر يؤثر عن قول البشر ولو كان من
قول البشر لاتينا بمثله واللغة واحدة وهم في ذلك سيما وقال ولو كان سحرا لقدر عليه السحرة كما
يقدرون على قلب العصي حية **قوله عز وجل** سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر
لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى
للبشر معناه سألزمه في الاخرة عذاب سقر بما فعل واستكبر عن قبول الحق ولو استكبر عن عبادة
الاوثان لكان اولى به وسقر اسم من اسماء النار وهي معرفة ومؤنثة ولذلك لا تنصرف وفي قوله
وما ادراك تعظيم لامرها وتعجب منها وانما سميت بهذا الاسم لشدة ايلامها من قولهم سقرته الشمس
اذا المت دماغه ومنه الصقر بالسين والصاد لان شدته في نفسه كشدة الالم في ذي صيده وقوله
لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي لحما ولا تذر عظما ويقال ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا وعن مجاهد انه الاحمر والاسود [illegible]
قال لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا وقوله لواحة اي مغيرة للبشر الى الاحمر والاسود ويقال لوحته
الشمس والتلويح للمبالغة وقوله عليها تسعة عشر اي على النار تسعة عشر من الزبانية الموكلين بتعذيب
اهل النار كما في الخبر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كصياصي البقر يخرج لهب النار من افواههم
يسع كف احدهم ربيعة ومضر نزعت الرحمة من قلوبهم يسرون بتعذيب اهل النار وخصهم بعدد تسعة
عشر ليوافق خبر النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما جاء به الانبياء قبله صلوات الله عليهم مع ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن قرأ الكتب المتقدمة ولا تعلمها من احد من الناس وقوله وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة جواب عن قول الكفار وذلك ان رجلا من بني جمح كان يعرف بكلدة بن اسيد
ويكنى ابا الاشدين قال لاهل مكة انا اكفيكم سبعة عشر احمل عشرة منهم على ظهري وسبعة على
صدري فاكفوني انتم اثنين منهم لاحط عنكم هذه العدة فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
ومن المعلوم ان الملك الواحد اذا كان كافيا لقبض ارواحهم كان تسعة عشر ملكا اكفى وقوله وما
جعلنا عدتهم معناه وما جعلنا عدة هؤلاء الملائكة مع قلتهم في العدد الا محنة لكفار مكة لجهلهم
بالملائكة وتوهمهم انهم كالبشر ومعنى الفتنة والمحنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا انه تعالى قادر
على ان يقوي هؤلاء التسعة عشر على ما لا يقدر عليه مائة الف ملك اقويا فلما اراد تكليف الكفار ما
وصفناهم جاز ان يقول جعلناهم فتنة لهم وقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اي ليعلم اليهود والنصارى
بذلك صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حين يجدون ما اتى به موافقا لما في التوراة والانجيل وقوله
ويزداد الذين امنوا ايمانا معناه ولكي يزداد المؤمنون تصديقا على تصديقهم لتصديق اهل الكتاب
بذلك وقوله ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب اي ولئلا يشك الذين اوتوا الكتاب في امر
القرآن ولا يشك المؤمنون [illegible] والله كريم وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق من اهل المدينة

والمشركون

والمشركون من اهل مكة اي شيء اراد الله بذكر عدد خزنة جهنم صفة من قلة الملائكة فيدعوهم الى
النظر في الدلالة الواضحة على صحته ولا بد من حكمة في هذه العدة لكن الله تعالى اعلم بما فيها من الحكمة
كالحكمة التي في اعداد الركعات ومقادير العبادات وقوله كذلك يضل الله من يشاء معناه
كذلك يخذل الله ويتعبد فيضل قوم ويهتدي اخرون ويقال في معناه يخذل لمن كان اهلا للخذلان
ويوفق من كان اهلا للهدى وما يعلم جنود ربك يا محمد من الملائكة من عددهم ومقدار قوتهم الا
الله وما هي يعني سقر بالصفات التي ذكرها الا عظة للخلق وانذارهم بان نار الدنيا تذكرهم نار الاخرة
فيجتنبوا ما يؤديهم اليها **قوله عز وجل** كلا والقمر والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر
انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر معناه حقا والقمر والليل اذا جاء
بعد النهار والصبح اذا اضاء ان سقر لاحدى العظام اللواتي هن دركات النار والعرب تؤكد
القسم بلفظ كلا كما يؤكد بحقا ويقال معناه لا ورب القمر الا ان الكاف عذب على كلا والمعنى
طرحها ومن قرأ اذا دبر على لفظ الادبار فمعناه اذا انقضى وذهب ويقال هما لغتان دبر النهار
وادبر النهار وقبل واقبل وقوله نذيرا نصب على الحال على معنى انها لكبيرة في حال الانذار وذكر النذير
بلفظ التذكير لان معنى النار العذاب ويجوز ان يكون معنى النذير ذات الانذار كما يقال امرأة
ناشز وطالق وقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر معناه انها نذير لمن شاء ان يتقدم بالعبادة فينجو
منها او يتأخر فيقع فيها **قوله عز وجل** كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات
يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا
نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين
معناه كل نفس بما اكتسبت من الاعمال مرهونة بعملها وقوله الا اصحاب اليمين قال الحسن رضي الله عنه
هم اصحاب الجنة الذين يعطون كتبهم بايمانهم قال الله تعالى امنت رقابهم من الرهن ويقال هم
الاطفال الذين لا ذنوب لهم فيؤاخذون بها والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية فانه تعالى وصفهم بقوله
في جنات [illegible] في النار وحسبكم
[illegible]
في النار وكنا [illegible] وقوله وكنا نخوض مع الخائضين في الباطل مع اهل الباطل
وكنا نكذب بيوم الحساب حتى اتانا اليقين [illegible] ويجوز ان يكون اليقين
هنا هو الموت الذي عنده يعرف المرء الاخرة وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين دليل ان المؤمنين
ينفعهم شفاعة بعضهم لبعض **قوله عز وجل** فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة
كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة
معناه فما لاهل مكة عن القرآن الذي يقرأ عليهم معرضين [illegible] شبههم بالحمر الوحشية
في اعراضهم عما يقرأ عليهم والمستنفرة بكسر الفاء [illegible]
المذعورة واما القسورة قال بعضهم هو الاسد [illegible] وقال بعضهم الرماة الذين
يصيدونها [illegible] وقوله بل يريد كل امرئ منهم جواب
عن قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
على بابه فما بالنا لا نرى ذلك [illegible] ويقال انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم
كتابا ينزل عليهم من السماء [illegible]
كتابا من السماء مكتوبا هذا كتاب الى فلان بن فلان ان محمدا رسول الله فصدقه [illegible]

[illegible]

ذلك بل لا يخافون الآخرة من حيث لا يؤمنون بها كلا إنه تذكرة أي حقا إن القرآن عظة من الله
تعالى فمن شاء أن يتعظ بالقرآن اتعظ وما يتعظون بالقرآن إلا أن يشاء الله لهم إجبارا وقوله
هو أهل التقوى أي أهل أن يتقى فلا يعصى وهو أهل أن يغفر لمن اتقى وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة المدثر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ومن كذب
به وبالله التوفيق ۞

سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون آية إلا عند

الكوفيين فإنهم يعدونها أربعين ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞

لا أقسم بيوم القيمة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى
قادرين على أن نسوي بنانه بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيمة فإذا برق البصر
وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك
يومئذ المستقر ۞ لا اختلاف بين المفسرين في لا أقسم أن معناه أقسم وكذلك كان يفعل كلام
العرب وكان ذلك عندهم أبلغ في رد قول المخالف من غير ذكر القسم وقد تقدم اختلاف أهل النحو في
هذا أن قوله لا هاهنا صلة أو تأكيد أو رد على المشركين فيما كانوا يزعمون من إنكار البعث والجنة
والنار والقرآن كله متصل بعضه ببعض كالشيء الواحد فلذلك ذكرها في أول السورة ومن قرأ لأقسم
على لفظ الإثبات فالمعنى لأقسمن لكن حذف النون والقسم مأخوذ من القسمة فإن أحد قسمي الخبر حق
والآخر باطل وإنما سمي ذلك اليوم قيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم للمجازاة وأما النفس اللوامة
فهي جميع الخلق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها ثم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا
وتلوم نفسها إن كانت محسنة إلا ازدادت وإن كانت مسيئة فهلا نزعت وقيل إنما سميت لوامة لأنها
كثيرة اللوم لا تصبر على محن الدنيا وشدائدها وقال الحسن اللوامة المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه
ما أردت بكلمتي الشهادة وما أردت بأكلتي وقوله أيحسب الإنسان أريد به جنس الكافر
يقول أيظن أن لن نجمع عظامه بعد التفريق ولن نبعثه في الآخرة بل نجمعها قادرين على تسوية بنانه وقوله
بلى رد لحسبانه وفي قوله قادرين ذكر قدرة الله تعالى على أن نعيد السلاميات وهي عصب الأصابع
على صغرها ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فكيف بكبار العظام وقيل في معنى هذا بلى قادرين على أن
نلحق الأطراف بالكف نسوي ذلك كله حتى نجعله مثل خف البعير وحوافر الدواب لا تصلح لأن يقبض
وينبسط فيحتاج إلى أن يتناول المأكول بفيه ولكن من عليه وقوله بل يريد الإنسان معناه بل يريد
الكافر أن يكذب بما قدامه من البعث فيسأل متى يوم القيمة تكذيبا به وقيل في معناه بل يريد
الإنسان ليعزم على الفجور في مستقبل عمره في أوقات لعله لا يعيش فيها ولا يبلغ إليها وقال الحسن
رضي الله عنه يريد أن يذهب في فجوره قدما قدما وأصل الفجور الميل عن القصد يقال للكافر فاجر
وللمكذب بالحق فاجر وهو مأخوذ من انفجار الماء إلى حيث أصاب مسلكا وكان الذي يريد الفجور
يهيم حيث قادته نفسه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هلك المسوفون قيل يا رسول الله
وما المسوف قال الذي يقول سوف أتوب حتى يموت على شر عمله وقد أفسد قدامه بتقديم المعصية وتأخير
التوبة وقوله فإذا برق البصر معناه أن يوم القيمة يكون إذا حار البصر وفزع ومن قرأ بفتح الراء فهو
من البريق ومعناه يشخص البصر إلى ما يتوقع من أهوال يوم القيمة كنظر المحتضر عند نظره إلى الملك
وقوله وخسف القمر معناه وذهب ضوء القمر والخسوف ذهاب الضوء يقال خسف القمر وخسف الله
القمر وكسفت الشمس وكسفها الله وقوله وجمع الشمس والقمر أي جمعا في ذهاب نورهما كالثورين
العقيرين فيرمى بهما في النار [illegible] وقيل أريد به الأبد جمعهما في [illegible]
واحد حتى يدرك أحدهما صاحبه بخلاف ما في الدنيا فإن أحدهما لا يدرك الآخر كما قال الله تعالى لا الشمس

ينبغي لها

ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وقوله يقول الإنسان معناه يقول الكافر فيما
يرى من الأهوال أين المفر ومن كسر الفاء فمعناه موضع الفرار وقوله كلا لا وزر معناه حقا لا
موضع يلجأ إليه والوزر في اللغة كل ما تحصنت به والتجأت إليه ومنه الوزير لأن الناس يلجأون
إليه وقوله إلى ربك يومئذ المستقر يقول إلى الموضع الذي جعله الله مستقر الخلائق مستقر المؤمنين
الجنة ومستقر الكافرين النار ويقال أريد بالمستقر موضع الحساب ومن المستقر ما يكون إلى الأبد ومنه
ما يكون إلى الأمد ۞ **قوله عز وجل** ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر بل الإنسان على نفسه
بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه
ثم إن علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ۞ معناه يخبر الإنسان يومئذ بما
قدم من المعصية وأخر من الطاعة هكذا روي عن ابن عباس ويقال بما عمل في أول عمره وما عمل في
آخر عمره ويقال بما قدم من العمل قبل موته وما أخر من سنة سيئة يعمل بها بعد موته ويقال أريد بما قدم الخير
الذي قدمه لنفسه وبما أخر الشر الذي جنى به على نفسه لأنه أخر عن الفوز والسعادة وقوله بل الإنسان
على نفسه بصيرة أي عليه ربنا شاهد وإن عليه بعمله وإن أرخى ستوره وأغلق أبوابه والمعاذير على هذا القول
جمع المعذار وهو الستر ويجوز أن يكون جمع المعذرة والمعنى بل على الإنسان من نفسه حجة وشاهد
فإن جوارحه تشهد عليه بعمله وإن أتى بكل عذر وحجة وإن اعتذر إلى الناس ولو استتر من
الناس لم يستطع أن يستتر من جوارحه حتى لا تشهد عليه بما عملت ويقال إن قوله على نفسه بصيرة
كما يقال فلان على نفسه حجة ودخول الهاء في بصيرة للمبالغة كما يقال راوية وعلامة ونسابة وقوله لا تحرك
به لسانك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تحرك بالقرآن لسانك لتعجل بقراءته قبل أن يفرغ
جبريل عليه السلام من قراءته عليك وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أنزل عليه شيء من الوحي
لم يفرغ جبريل من آخره حتى تلاه النبي صلى الله عليه وسلم مخافة أن ينفلت منه فأعلمه الله تعالى أن على الله
حفظه في قلبك وتثبيته على ما يأمر الله به وأعلمه أنه لا ينسيه إياه كما قال سنقرئك فلا تنسى فلم ينس صلى الله
عليه وسلم شيئا حتى مات ويقال أريد بقوله وقرآنه أي يقرؤه جبريل عليه السلام مرة أخرى عليك بأمر الله وقوله
فإذا قرأناه معناه فإذا قرأه عليك جبريل عليه السلام بأمرنا وفرغ من قراءته فاقرأ أنت بعده ويقال في معناه
فإذا جمعناه وألفناه فاتبع ما فيه من الحلال والحرام والأمر والنهي ثم إن علينا بيان ما أشكل من
معانيه وبيان مجملاته مثل أركان الصلوة وشروطها ونصب الزكوة ومقادير ما يجب فيها ومن بيان
القرآن ما يستنبطه العلماء إلى قيام الساعة وقوله كلا كلمة ردع ونفي أي ليس الأمر كما تقولون
بل إنكم تحبون العمل للدنيا وتتركون العمل للآخرة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب
دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ۞ **قوله عز وجل** وجوه
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا إذا بلغت التراقي
وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى
ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ۞ معناه وجوه يومئذ
حسنة مشرقة نضرت بنعيم الجنة وثوابها وهي وجوه المؤمنين كما قال تعالى في آية أخرى تعرف في وجوههم
نضرة النعيم وقوله إلى ربها ناظرة معناه ينظرون إلى الله في الجنة بلا كيف ولا تحديد كما عرفته القلوب
بلا تكييف ولا تشبيه وكما سمعته الآذان بلا تحديد ولا وصف وإلى هذا القول ذهب أهل السنة والجماعة
وعن مجاهد وقتادة في معنى الناظرة أنها المنتظرة للثواب وتجديد الكرامة كما في قوله تعالى هل
ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي أمر الله وإلى هذا القول ذهب قوم واستعظموا إطلاق الرؤية لما
فيها من المحاذاة والملاقاة وانفصال النور من الرائي واتصاله بالمرئي وشبهوا هذا القول بقول القائل

علمه

واستعظموا

عنى بهمنا الى فلان واستدلوا بقول الشاعر انى اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغنى الموسر
الى ان المرجع في هذا الباب الى ظاهر القران والاخبار المروية في اثبات الرؤية والله اعلم وقوله
ووجوه يومئذ باسرة اي كالحة عابسة وهي وجوه الكفار تظن اي تعلم وتوقن ان يفعل بها داهية
كاسرة لفقار الظهر وعن الاصمعي انه قال ان الفقر ان تحز انف البعير حتى يخلص الى العظم ثم يلوى عليه
حبل ليذلل بذلك الصعب من الابل ومنه قيل فقرته وعملت به الفاقرة وقوله كلا اذا بلغت التراقي
ذكر حال من يحضره الموت كي يردع الناس عما يوقعهم الى العذاب والمعنى اذا بلغت الروح التراقي وقال من
بعضهم المحتضر من اهله وغيرهم هل من راق يرقيه ويعالجه ويداويه يطلبون الرقاة والاطباء ليكشفوا
عنه ما به اما بالرقى او بالعلاج وقال بعضهم هذا من قول الملائكة وذلك ان النفس اذا بلغت
ان يقبض يحضره سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة املاك من ملائكة العذاب اعوان ملك
الموت ينظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه وهذا على هذا القول ماخوذ من الرقي وهو الصعود يقال
رقي يرقى في الدرج اي اصعد مثل رضي يرضى قال الله تعالى ولن نؤمن لرقيك واما القول الاول فهو من رقى يرقي مثل
رمى يرمي من الرقية والتراقي الحلق من اعلى الصدر ... البدا النفس عند الموت ولم يجر للنفس ذكر من قبل ولكن
الكلام انباء عن المراد كما في قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقال لبيد
حتى اذا القت يدا في كافر واجن عورات الثغور ظلامها اراد بذلك الشمس واما قوله وظن
انه الفراق معناه وايقن عند ذلك المريض انه الفراق المال والاهل والولد ومن هذا اخذ القائل
فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاقي وقوله والتفت الساق بالساق معناه
اجتمعت عليه الشدائد والتفت عليه امر الدنيا والاخرة فهو في شدة كرب الموت وهول المطلع واخر شدة الدنيا
مع اول شدة الاخرة قال الضحاك الناس يجهزون بدنه والملائكة يجهزون روحه وانما كنى عن الشدة
بهذا اللفظ على عادة العرب لانها تقول قامت الحرب على ساقها اذا اشتدت وصعبت والاصل في ذلك
ان الرجل اذا اصابته شدة شمر وكشف عن ساقه وفي المثل الساترة لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا ...
للسلح في المسئلة وذهب بعضهم في معنى هذه الاية الى انهما ساقا الميت اذا التفتا في الكفن وقال قتادة ماتت
ساقاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الروح اذا بلغت
الصدر وقد خرجت من الرجلين فلا نفع فيهما للالتفاف الا ان يراد بالالتفاف اشتداد الامر على المريض عند
النزع حتى تغلب ساقا على ساق وقوله الى ربك يومئذ المساق معناه اليه المرجع في الاخرة الى حيث يامر الله
تعالى اما الى عليين واما الى السجين وان كان هو يساق الى قبره لان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النيران والمساق الموضع الذي يحكم الله تعالى بالسوق اليه وقال الكلبي كل عبد يسوقه
كاتبه الذي يحفظ عليه السيئات حتى يشهد عليه بذلك الذي كان يكتب عليه الحسنات وقوله فلا
صدق ولا صلى جاء في التفسير ان المراد به ابو جهل وعظ بموعظة من الله فلم يعمل خيرا حتى فارق دنياه فقد
صدق بتوحيد الله ولما انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا صلى لله صلاة ولكن كذب بالقران
واعرض عنه ويدخل في هذا كل كافر وقوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر في المشي وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم استقبله يوما فاخذه فهزه مرة او مرتين وقال له اولى لك يا ابا جهل فاولى ثم اولى لك
فاولى فاحذر يا ابا جهل حذرا فقال ابو جهل اليك عني فانك لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
فباي شيء تتوعدني يا ابن ابي كبشة لقد علمت قريش اني لعزيز هذا الابطح ثم دخل اللعين المسجد الحرام مختالا
وجهه فقال له اصحابه ما لك فقال ان محمدا اهددني بما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم كما قال له
النبي صلى الله عليه وسلم وهو وعيد على اثر وعيد معناه بعدا لك فبعدا في امر دنياك ثم بعدا لك فبعدا في
امر اخرتك والعرب اذا دعت على انسان بالمكروه قالت اولى لفلان اي احرى به واسعى لجره والاصل فيه

اولى

اولى [illegible] ثم جعلت في موضع اللام وجعلت اللام في موضع العين
كما قالوا في جمع قوس قسي [illegible] وقيل في معنى اولى لك اي وليك المكروه
[illegible] هو القرب والاصل في التمطي التمطط وهو التمادد ابدلت احدى الطاءين
ياء كما في قوله [illegible] والمط الظهر وقوله عز وجل أيحسب
الانسان ان يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى معناه أيظن الكافر ان يترك مهملا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ختم هذه السورة
قال سبحانك اللهم بلى [illegible]
من كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة القيامة شهدت انا وجبريل
له يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة [illegible] سورة الدهر
مكية وقيل مدنية وعن الحسن انه قال انها مكية الا قوله ويطعمون
الطعام الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة وعددها اي السورة احدى وثلثون اية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا معناه قد اتى على ادم عليه السلام اربعون سنة انه مرت به وهو في صورة
الانسان قبل ان ينفخ فيه الروح لم يكن يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به كان شيئا ولم يكن مذكورا
لانه كان ترابا وطينا الى ان نفخ فيه الروح واللفظ في اول السورة وان كان لفظ الاستفهام
ولكن معناه التقرير لانه لا يجوز على الله تعالى ان يستفهم لانه لم يزل عالما بالاشياء كلها ولا يزال
عالما بها ونظير هذه الاية قوله الست بربكم والمراد به التحقيق ويقول القائل لغيره هل امتثلت امرك هل احسنت
اليك ويريد به التحقيق وفي قوله تعالى انا خلقنا الانسان بيان انه تعالى خلق نسله لا على ذلك الطريق خلقه
من نطفة ثم من علقة ثم من المضغة الى ان صيره شيئا مذكورا والامشاج الاخلاط قال ابن عباس يريد بذلك ماء
الرجل وماء المرأة فماء الرجل ابيض غليظ يخرج من الصلب وماء المرأة اصفر رقيق يخرج من بين الترائب ثم يختلطان
وهما لونان ايهما علا ماء صاحبه كان الشبه له وقيل جعل الله في النطفة اخلاطا من الطبائع
التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ثم عدلها ثم بناه بنية حيوانية معتدلة
الاخلاط ثم جعل فيه الحواس ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وعن الحسن انه قال في النطفة
مشيجة بالدم ثم تنقلب من حال الى حال اطوارا وقال الاخفش كل شيئين خلطا فهو مشيج وجمعه امشاج
كما تقول خلط واخلاط واما قوله تعالى نبتليه فالمعنى خلقناه فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي نتعبده
فيظهر ما علمناه منه وذلك ان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة والابتلاء من الله تعالى اظهار ما علمه في
الازل قبل وجوده وانما خص حاسة السمع والبصر بالذكر لانهما اذا فقدا من ابن ادم فكان اعمى اصم لم

عنه الامر والنهي وخلى عن الابتلاء وقوله انا هديناه السبيل اي بينا له طريق الهدى وطريق الضلال ومكناه من ان يشكر او يكفر ثم انه اما ان يكون بعد الاهتداء عاملا بطاعة الله فيكون شاكرا واما ان يختار طريق الكفر فيكون كفورا وهذا على طريق لفظ التخيير ومعناه الوعيد كما في قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لفظه لفظ الامر ومعناه الوعيد ونظير هذه الاية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يعرب عنه لسانه اما شاكرا واما كفورا ثم بين الله سبحانه ما اعد في الاخرة للكافرين وبين ما اعد فيها للمومنين

فقال عز وجل انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا معناه انا خلقنا وهيانا للكافرين سلاسل في النار طول كل سلسلة سبعون ذراعا الله اعلم باي ذراع هو يسلكون فيها الكافر وقرناؤه من الشياطين واغلالا من حديد تغل بها ايديهم الى اعناقهم من ورائهم ونارا موقدة يعذبون بها وهم فيها الى ما لا يعذبون بها وقوله ان الابرار معناه ان الصادقين في ايمانهم في الدنيا قال مقاتل هم المطيعون لله ويقال هم الذين يبرون الاباء والامهات من المومنين يشربون في الاخرة من كاس والكاس اناء الشراب اذا كان فيه ولا يسمى كاسا اذا لم يكن فيه قال الشاعر شعر

صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

وقوله كان مزاجها اي كان مزاج الخمر التي كانت في الكاس كافورا قال بعضهم اراد بذلك ما يشم من ريحها لا من جهة طعمها كما روي عن مجاهد انه قال يمزج شرابهم بالكافور ويختم بالمسك وعن مقاتل انه قال تكون على برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل ليس ككافور الدنيا ولا كمسكها وزنجبيلها ولكن وصف الله ما عنده بما عندنا لتهتدي له القلوب ويقال يغير طعم الكافور الى نهاية ما يشتهى فيجمع طيب الرائحة مع لذة المطعم وقوله عينا منصوب على البدل من كافور ويقال في معنى ويشربون عينا اي من عين تفور في ارض الجنة وقوله يشرب بها يجوز ان يكون معناه يشربها كما يقال شربت ماء كذا اي شربته ويجوز ان يكون معناه يشرب بالخمر او بالارض التي بها العين كما يقال شربنا بموضع كذا شرابا صافيا وقوله عباد الله اي اولياؤه يفجرون تلك العين ويسوقونها الى حيث شاؤوا من منازلهم من اهل الجنة بخلاف عيون الدنيا وانهارها والتفجير تشقيق الارض بجري الماء ومنه انفجار الصبح وهو انشقاقه عن الضوء ونظير هذه الاية قوله ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون والاجود في العربية ان لا يصرف سلاسل ولكن صرف في هذه الاية ليشاكل ما جاورها من رؤوس الاي

قوله عز وجل يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا في هذه الايات ذكر نعت الابرار لبيان ما اعد الله لهم من الكرامة في الجنة بهذه الخصال ومعنى يوفون بالنذر اتمام العهد بالوفاء به واقامة فروض الله وقوله ويخافون يوما معناه ويخافون من نقض العهد عذاب يوم كان شره ممتدا فاشيا يقال استطار الحريق اذا فشا وظهر وعن قتادة انه قال استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض منه نحو انشقاق السماء وانتثار الكواكب ونسف الجبال وخسف الشمس والقمر وفزع الملائكة وقوله ويطعمون الطعام على حبه اي على حب الطعام وقلته على شدة ما يكونون محتاجين اليه يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ويقال على حب الله لطلب مرضاته والمسكين الفقير الذي يسال ويقال هو المتعفف الذي لا يسال واليتيم الذي لا اب له من يتامى المسلمين والاسير الكافر الماسور في ايدي المسلمين قال قتادة كان اسيرهم يومئذ من المشركين فحق الله لاخيك المسلم اعظم حرمة وحقا عليك ويقال الاسير العبد ويستدل بهذه الاية على

ان

نزلت في اطعام اهل الحصين نوبا جريلا وقوله انما نطعمكم لوجه الله قال مجاهد اما والله انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله ما في قلوبهم فاثنى عليهم خيرا والمعنى يقولون في انفسهم وفيما بينهم وبين ربهم انما نطعمكم لله ونطلب ثوابه وهذا كما في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله ومعناه فثم الله الا ان ذكر الوجه للتعظيم ما شرف الذكر وقوله لا نريد منكم جزاء اي مكافاة ولا محمدة ونستدل من هذه الاية على ان من اطعم غيره للمكافاة او لكي يمدحه ويشكره لا يستحق بذلك الثواب وانما يستحقه اذا فعله خالصا لله لا يريد به سيما الدنيا وقوله انا نخاف من ربنا معناه انا كنا نصنع ما نصنع فرقا من عذاب ربنا وطمعا في رحمته واليوم العبوس هو الذي يعبس الوجوه والقمطرير الشديد الغليظ يقال يوم قمطرير ومقمطر اذا كان عظيم الشر طويل البلاء وامطر اليوم اقمطرارا اذا اشتد فيه الشر قال الحسن سبحان الله ما اشد اسمه وهو اشد من اسمه وقوله فوقاهم الله اي دفع الله عنهم شر ذلك اليوم ولقاهم حسنا في الوجوه وسرورا في القلوب وجاء في التفسير ان هذه الايات نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما كانا صائمين فجاءهما سائل وكان عندهما قوت يومهما وكانا نذرا صوم ثلثة ايام ان عافى الله الحسن والحسين رضي الله عنهما عن مرض كان بهما فاصبحا وقد مسح ما بهما فاتاهما مسكين فاعطياه ذلك الطعام وباتا وبين لم يطعما فلما كان اليوم الثاني وقد هيا طعامهما لفطرهما اتاهما يتيم فاعطياه ذلك الطعام فلما كان اليوم الثالث وقد هيا طعاما لفطرهما اتاهما اسير فاعطياه ذلك الطعام فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان بعد بمثل فعلهما هذه الايات واعلم انه وقاهم شر ذلك اليوم لانهم فعلوا خوفا من شر ذلك اليوم

قوله عز وجل وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا المعنى وجزاهم بما صبروا في الدنيا على طاعة الله وعلى ما اصابهم من الشدائد في ذات الله جنة يسكنونها وحريرا يلبسونه متكئين في الجنة على السرر في الحجال والحجال شبه القباب فوق السرر لا يصيبهم في الجنة حر الشمس ولا برد الزمهرير والزمهرير البرد الشديد الذي يحرق بشدته احراق النار وقوله ودانية نعت الجنة اي وجزاهم جنة دانية ظلال اشجارها عليهم وسخرت لهم ثمارها تسخيرا لا يمنعهم عنها شوك ولا بعد يتناولها القائم والقاعد فان كان الرجل قائما تناولها وان كان قاعدا او متكئا انخفضت له والقطف ما يجتنى من الثمر والانية الاقداح وهي جمع اناء مثل كساء واكسية والاكواب الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم مدورة الرؤس طويلة الاعناق واحدها كوب والاكواب قوارير من فضة لان فضتها تكون في بياض الفضة وصفاء القوارير يرى من خارجها ما في داخلها من الاشربة قال ابن عباس لو اخذت من فضة اهل الدنيا فضربتها حتى صارت مثل جناح الذباب لم ير ماؤها من ورائها وقال عكرمة ليس قواريركم من آنيتكم وقوارير اهل الجنة من آنيتها وفي قوله قوارير قراءتان من قرا بغير الف فلانه جمع بعد الفه حرفان فانه لا ينصرف ومن صرف الاول ولم يصرف الثاني فلان الاول راس اية بخلاف الثاني ومن صرف الثاني ايضا اتبع اللفظ اللفظ وقوله قدروها تقديرا معناه قدرتها الملائكة على مقادير الحاجات على ما قدروا والكمال وروي ان المومن لا يحدث نفسه بشراب من اشربة الجنة الا اتاه الملك بالشراب الذي اشتهى في قدح من فضة على الصفة التي ذكرنا على قدر ري الشارب وشهوته من غير زيادة ولا نقصان حتى يستوفي الكمال من غير ان كان يتكلم به والذ الشراب ما لا يكون فيه فضل ولا عجز عن الري وقيل في معناه انها تكون على

قدرا كف الخادم وري المخدوم وقوله ويسقون فيها كأسا معناه ويسقون في الجنة بآنية مملوءة من
الخمر كان مزاجها زنجبيلا أي لها رائحة الزنجبيل ولذعته وطيبه وإنما قال ذلك لأن العرب
كانت تستطيب الزنجبيل جدا وتضرب المثل بالخمر الممزوجة بالزنجبيل قال الشاعر
كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا ه وقوله عينا فيها معناه من عين في الجنة تسمى
تلك العين سلسبيلا قال مقاتل السلسبيل عين من الخمر تنبع من تحت العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان
ويقال إنما سميت سلسبيلا لأنها تكون لينة عذبة في غاية السلاسة إذا أدنوها إلى أفواههم سلست
إلى أجوافهم ويقال السلسبيل والسلسل والسلسال إنما تكون شديد الجري وكان ابن الأعرابي يقول
لم أسمع سلسبيلا في كلام العرب إلا في القرآن وذهب بعضهم إلى أن قوله عينا فيها تسمى تمام الكلام
كأنه قال كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى زنجبيلا ثم قال سلسبيلا أي سل الله السبيل إليها

قوله عز وجل ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا معناه
ويطوف عليهم بالخدمة وصفا خلقوا لا يتغيرون عن سنهم وشبابهم ولا يخرجون عن حد الوصافة
أبدا ويقال في معنى مخلدون مسورون مقرطون يقال للجماعة الحلي إخلده وقوله إذا رأيتهم معناه
إذا رأيتهم يا محمد ويقال إذا رأيتهم أيها المكلف حسبتهم لصفائهم وحسن ألوانهم وكثرتهم لؤلؤا
منثورا أي كاللؤلؤ المنثور فإن اللؤلؤ أحسن ما يكون إذا نثر وقوله وإذا رأيت ثم معناه إذا رأيت
بصرك ثم رأيت نعيما وملكا عظيما لا يلحقه الزوال والعزل وقال مقاتل الملك الكبير استيذان الملائكة
عليهم لا يدخل رسول رب العزة من الملائكة عليهم إلا بإذنهم وإذا دخل عليهم بإذنهم دخل ومعه
ثلث خصال أحدها الهدايا من الله عز وجل كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية
السلام من الله تعالى كما قال سلام قولا من رب رحيم والثالثة إعلام الله تعالى لهم بالرضى عنهم وإذا
انتهى الملك إلى الباب استأذن عليه فيقول الحاجب الذي على الباب إني لا أستطيع أن أستأذن لك على
ولي الله ولكن أخبر الذي يليني فيخبر الذي يليه فيقول الثاني كذلك فلا يزال يخبر بعضهم بعضا حتى يأتيه
الخبر في سبعين بابا بعد ذلك الملك الكبير فإذا دخل عليه الملك قال إن الله يقرئك السلام فيضع الهدية بين
يديه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يقول له الملك إن الله تعالى عنك راض فيكون
لذلك أكبر ذلك عنده ما لم يكن السلام ولا الهدايا ولا ما هو فيه من النعيم وذلك قوله تعالى
ورضوان من الله أكبر وأما قوله عاليهم ثياب سندس من قرأه بجزم الياء فهو في موضع رفع بالابتداء
والمعنى الذي يعلوهم من الثياب ويقال الذي يعلوهم على حجالهم وهذا اسم على فاعل من علا يعلو ومن
نصب الياء من عاليهم فهو نصب على الظرف عند بعض أهل النحو جعلوها كالصفة مثل فوقهم ويقال هو
نصب على الحال ومعناه يطوف على الأبرار ولدان مخلدون عاليا الأبرار ثياب سندس أي يطوفون
عليهم في هذه الحال ويقال إنه حال من الولدان كأنه قال تحسبهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب
إياهم وفي قراءة ابن مسعود عاليتهم وفسرها ابن عباس فقال ما رأيت الإنسان عليه الثياب فتعلو الثياب
يكون لمثلها كذلك عاليهم وأما السندس فهو ما لطف من الديباج وهو أن يخرج الرقيق الحسن وهو على
وزن فعلل ونظيره برثن وأما الإستبرق فهو ما غلظ وصعب من الديباج له بريق كأنه يوصف بالغلظ
الصفاقة مع رقة السلك ويقال إن الإستبرق اسم أعجمي وأصله بالفارسية استبره ومن قرأ خضر
بالكسر فهو نعت سندس ومن قرأ بالرفع فهو نعت الثياب وكذلك قوله وإستبرق من قرأه بالكسر فالمعنى عليهم
ثياب من هذين النوعين ومن قرأ بالضم فهو نسق على الثياب وقوله وحلوا أساور معناه حلي أهل الجنة أهله

من فضه

من فضة وقال في آية أخرى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا فيتصرفون في فاخر الحلي واللباس
كما يتصرفون في لذيذ الطعام والشراب ورد بعضهم الكناية في قوله وحلوا أساور إلى الولدان المخلدين
وقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال بعضهم شرابا لا يخالطه شيء من الفساد بخلاف خمر الدنيا فإنها
نجسة بجنسها الفساد الذي فيها مما تدعو إليه من القبائح وتغوي إليه من الفضائح ولهذا المعنى نهى الله عن
الخمر في الدنيا وجعلها في الآخرة شراب أهل الجنة وقال بعضهم سقاهم الله شرابا لا ينجس ولا يصير
ولا ينقلب إلى البول بل إذا شربوه ضمرت بطونهم ورشحت جلودهم عرقا رائحته كرائحة المسك ويقال يسقيهم
الله شرابا طهورا يطهر بذلك ما في قلوبهم من الغل والغش والحسد والبغي كما قال ونزعنا ما في صدورهم من
غل إخوانا على سرر متقابلين وقوله إن هذا كان لكم جزاء معناه يقال لهم هذا الثواب والكرامة
كان لكم جزاء لأعمالكم في الدنيا وكان عملكم في الدنيا مقبولا هذا هو معنى المشكور لأنه لا يكون
لأحد على الله تعالى نعمة يستحق بها عليه الشكر ولكن يشكر لعباده قبول طاعتهم ومغفرة ذنوبهم ه

قوله عز وجل إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما
أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا معناه
إنا نحن نزلنا عليك يا محمد القرآن متفرقا آية وآيتين وثلاث آيات وسورة فاصبر لقضاء ربك على تبليغ
الرسالة إليهم ولا تستعجل هلاكهم فإن لذلك وقتا ولا تطع منهم كذابا فاجرا ولا كافرا بنعم
الله قال الكلبي ومقاتل عنى بالآثم الوليد بن المغيرة وبالكفور عتبة بن ربيعة وكان عتبة ابن
عم النبي صلى الله عليه وسلم وكفر النعمة التي أنعم الله بها عليه بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشكرها
وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنت ابن أبيك عبد الله وجدك عبد المطلب وجد أبيك هاشم
وإنك لتدعو إلى أمر ما كان عليه أحد من آبائك قط فاترك
أنت حرام أعمامك إنهم خير وأشرف منك وإن تك تريد امرأة من قريش فإن وجدت
ذلك المال فأنا أكثر قريش مالا فأجعلك فيه مثل ولدي وإن كنت مجنونا داويتك كما داوى بنو فلان مجنونهم
أي نساء قريش شئت وأسوقها إليك بغير مهر من عندي وإن كنت مجنونا داويتك
فإنا نكره أن تحدث العرب أنه خرج في بني عبد مناف كاهن أو كذاب والنبي صلى الله عليه وسلم
ساكت لا يجيبه فقال له يا رسول قريش لبيك قال فماذا تريد فقرأ صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة آية من أول السورة
حم السجدة حتى انتهى إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة الآية فلما سمعها عتبة نفض ثوبه وقام
فرجع إلى أصحابه فقالوا له ما وراءك فقال لقد أتيت محمدا فلم أترك شيئا فلم يترك لي شيئا ولا أسبابا أظننت أنكم
قالوا لي ألا قلته فتكلم عند ذلك بكلام والذي جعل بيته الكعبة ما أدري ما هو ولقد خفت أن
تقع الكعبة علينا قالوا ألم يكن كلامه بالعربية قال بلى ولكن لم أحفظ منه شيئا وكان الوليد أتى
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال له مثل ما قال عتبة فأنزل الله تعالى هذه الآية وحرف أو في مثل
هذا الموضع آكد من الواو لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فأطاع الذي نهيته أحدهما كان غير
عاص لأنك أمرته أن لا يطيع الاثنين فإذا قلت لا تطع زيدا أو عمرا فقد بينت أن كل واحد منهما أهل
أن يعصى فكان تقدير الآية ولا تطع منهم آثما ولا كفورا وقوله واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا أي صل
لله صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ومن الليل فصل له المغرب والعشاء ثم ذكر التطوع فقال وسبحه ليلا
طويلا أي صل له في الليل الطويل ويقال كان على النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوم كل الليل ثم نسخ
بقوله قم الليل إلا قليلا ثم نسخ قيام الليل إلا قليلا بما بعده ه **قوله عز وجل** إن هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما
حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ه معناه إن هؤلاء الكفار

يحبون العمل للحياة العاجلة ويتركون العمل للاخرة خلف ظهورهم ويقال ويتركون العمل لما
امامهم ليوم ثقيل على من اتى بشدته وقد يذكر وراء بمعنى قدام كما في قوله تعالى وكان وراءهم
ملك اى قدامهم وقد يكون الشي ثقيلا على انسان خفيفا على غيره فيوم القيمة ثقيل على اهل النار بما
استحقوا من العقوبة خفيف على اهل الجنة للبشارة التى لهم فيه وقوله نحن خلقناهم اى خلقنا اهل
مكة وجميع الناس وقوينا خلقهم بعد ان خلقوا من ضعف ويقال اسددنا مفاصلهم بالعروق
والعصب حتى صار متماسكا ابدانهم والاسر فى اللغة شد بعض الشي بالبعض ومنه يقال للاخيذ اسير لانه يوخذ
فيشد بالقد وقولهم حزنه باسره اى بشده بلا ان يحل ثم كثر حتى صار بمعنى جميعه وقوله واذا
شئنا بدلنا معناه بدلنا مكانهم غيرهم فلاما نعم ان هذه السورة عظة من الله لهم فمن شاء اتخذ الى
ربه طريقا بالعمل على طاعته وما تشاون ذلك الا بمشية الله ويقال الا ان يشاء الله بان يعلم انه اهل
لذلك ان الله كان فيما خلقكم عليما بمن يعمل لاتخذ حكيما قد حكم بما امركم به وقد اختلف
اهل الاصول فى تفسير هذه الاية بحسب اختلافهم فى المشية فمن اثبتها قال لما تشاون الا ان يشاء الله لكم
ان تشاوا وذكر انه لما نزل قوله لمن شاء منكم ان يستقيم قالوا قد جعلت المشية لنا ولا نشاء شق ذلك
على النبى صلى الله عليه وسلم فنزل وما تشاون الا ان يشاء الله اى لا تقدرون ان تشاوا الا بمشية الله لكم
ومن نفاها قال ان هولاء المخصوصون لا يشاون الا ان يشاء الله ان يكرههم عليه وقال الحسن ما شاءت
العرب ان يبعث الله محمدا رسولا فشاء الله ذلك وبعثه على كره منهم ومن النضر بن شميل انه قال لا تمضى
مشية الا بمشية الله ولا تمضى مشية من العبد الا بعلم الله فمن علم الله منه خيرا شاء الايمان ومن شاء الايمان
شاء الله له ان يوفقه ومن شاء الكفر شاء الله له ان يخذله وقوله يدخل من يشاء فى رحمته اى يكرم من يشاء
بدين الاسلام ثم شفعه من كان له اهلا لذلك وقوله والظالمين اعد لهم عذابا اليما قال الزجاج نصب
الظالمين على المجاورة لان ما قبله منصوب والمعنى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين اعد لهم عذابا
اليما فقوله اعد لهم تفسير لهذا المضمر ومثله فى الكلام ضربت عمروا وزيدا اكرمته وعن ابى بن
كعب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الدهر كان جزاوه على الله
جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وعن ابن عباس انه قال الا

اية منها وهى قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فانها نزلت فى ثقيف حين قالوا لنا بعثت على
ان لا نحنى وعددها اى السورة خمسون اية بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
عذرا او نذرا انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال
نسفت واذا الرسل اقتت لاى يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ
للمكذبين ٥ وذلك ان كفار مكة كانوا ينكرون البعث وكان يخوفهم به النبى صلى الله عليه وسلم
فاقسم الله جل ذكره بما بين من قدرته وتدبير خلقه بالملئكة والسحاب والرياح ان قيام الساعة لكائن
والمعنى ورب المرسلات والمرسلات هى الرياح ارسلت على العرف المعتاد هكذا روى عن ابن عباس
ومجاهد والعاصفات الرياح التى تهب بشدة والعصف شدة هبوب الريح واذا وقعت الريح الشديدة فى الجو
صارت كالعصف للسنبل ودخول الفاء فى قوله فالعاصفات لانها كالجواب لقوله والمرسلات لان ارسالها
سبب لشدة هبوبها واما الناشرات فهى الرياح تنشر السحاب للمطر كما فى قوله وهو الذى يرسل الرياح نشرا
ويقال انها الامطار تنشر النبات وعن ابى صالح والربيع بن انس ان المرسلات الملئكة ارسلت بالمعروف
ويقال كثرت وتتابعت كعرف الفرس يدل عليه قوله تعالى بالف من الملئكة مردفين وتقول جاءنى القوم عرفا
اى يتبع بعضهم بعضا كان الثانى يلى عرف الاول كما يقال جاؤا يتبعون اى تبع قفاه والعاصفات على هذا القول

الملئكة

الملئكة تعصف بارواح الناس اى تذهب بها كالريح فى السرعة وسميت الملئكة ناشرات لانها تنشر
السحائب بامر الله وواحد المرسلات مرسلة ومعناه المرسل والهاء فيه للمبالغة ويحتمل ان يكون معنى المرسلة
الجماعة المرسلة والمرسلات الجماعات المرسلات وعلى هذا النازعات والصافات وما اشبههما واما
الفارقات فمعناها الملئكة تنزل بالوحى المفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل ويقال اراد بالفارقات
ايات القران وسورها ولم يختلفوا فى الملقيات ذكرا انها الملئكة تلقى كتب الله تعالى الى الانبياء والانبياء
الى الامم وتعليما الى المتعلمين قرنا بعد قرن وقوله عذرا او نذرا معناه اعذارا من الله تعالى وانذارا
لخلقه والاعذار قطع المعذرة بقطع الحجة على العباد وان يزاح العلل عنهم والانذار الاعلام بموضع المخافة
ويهذا بعث الرسل وانزل الكتب كما قال جل ذكره لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال الحسن
عذر سبحانه بهذا الى عباده ان عقابهم لا يكون الا على وجه الحكمة والعذر والنذر كلاهما
مصدران وكذلك النذر مصدر وقوله انما توعدون لواقع جواب القسم اى ما تخوفون به من البعث
والحساب والجزاء لكائن وسببه وجوب الجزاء بالحائط الواقع لانه من ابين الاشيا فى الحكمة ثم
ذكر ما يكون فى ذلك اليوم ومتى يكون القيمة فقال فاذا النجوم طمست اى سلب ضوءها واذهب
نورها والطمس على النجوم كالطمس على الكتاب ثم اذا ذهب نورها تساقطت كما قال تعالى واذا
الكواكب انتثرت وقوله واذا السماء فرجت معناه شقت من هيبة الرحمن وانفطرت بعد ان كانت
سقفا محفوظا فاول حالها الوهن ثم الانشقاق كما قال اذا السماء انشقت ثم الانصداع كما قال ويحت
السماء ثم الانفراج حتى يتلاشى فتصير كانها لم تكن وقوله واذا الجبال نسفت اى قلعت من اماكنها
بسرعة يقال نسفت الشي اذا اخذته كله بسرعة فاول ما يجرى من امرها قلعها ثم تسييرها كتسيير
السحاب وتكوينها كالعهن ثم انهيالها ثم انبساطها ثم صيرورتها هباء منثورا ثم تلاشيها عند
الاستوا بالارض حتى تكون الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقوله واذا الرسل اقتت اى
وقتت اى جعل لها وقتها للفصل فى القضا بينهم وبين الامم وانما قلبت الواو همزة كما قلبت فى
وسادة فقيل اسادة وتقول العرب صلى القوم احدانا اى وحدانا واقتت ووقتت وورخت
وانما قال لاى يوم اجلت معناه لاى يوم اخرت هذه الاشيا من الطمس والنسف ونحوهما
[illegible] ليوم الفصل وهو يوم الفصل بين الخلايق وهو يوم القيمة سمى بهذا الاسم لانه
يفصل فيه بين المحق والمبطل والظالم والمظلوم وقوله وما ادراك ما يوم الفصل تعظيم لامر ذلك
اليوم [illegible]
[illegible] ويل يومئذ للمكذبين [illegible]

قوله عز وجل الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ
للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
ويل يومئذ للمكذبين

[illegible]

يخلق من الكلام المحتقر بشرا على هذه الصفة قادر على اعادة الخلق بعد الموت والقرار المكين رحم المرأة
قدرنا الولد فيه الى مقدار من المدة معلوم على اختلاف مدة الحيوانات في الحمل لا يعرف مقدار
ذلك ولا صفة الحمل الا الله وقوله فقدرنا يجوز ان يكون من التقدير ويجوز ان يكون معناه التقدير
نطفا وعلقا ومضغا وعظاما وقوله فنعم القادرون معناه فنعم القادرون على الخلق والتقدير وعلى
القول الثاني فنعم المقدرون لهذه المخلوقات ومن قرأ فقدّرنا بالتشديد ثم قال فنعم القادرون
فهو انه جمع بين اللغتين كما في قوله فمهل الكافرين امهلهم رويدا وعن ابي عبد الرحمن انه كان
يلقن الحسن رضي الله عنه فقدرنا فنعم القادرون فقال الحسن وهو صبي فقدرنا فنعم القادرون ام
قدرنا فنعم المقدرون ٥ **قوله عز وجل** ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا
فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به
تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر
كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون
ويل يومئذ للمكذبين ٥ معناه ألم نجعل الارض ضما ما يضمكم احياء تستقرون عليها وتسكنون
فيها وتضمكم امواتا تدفنون فيها فظهرها للاحياء وبطنها للاموات وقال مجاهد في معناه تكفت
موتاكم وتكفت اذى احياكم وعنه انه قال تكفت الميت فلا يرى منه شيء وتكفت الحي في بيته فلا يرى
من عمله شيء وفي كل واحد من هذين من النعمة ما لا يخفى على كل عاقل والكفت في اللغة الضم وتسمى
الوعاء كفتا بكسر الكاف لانه يضم الشيء والكفات ما يضم به الشيء ويجوز ان يكون المعنى هاهنا
ذات كفات وفي هذه الاية دلالة على وجوب مواراة الميت ودفنه ودفن شعره وسائر ما يزايله وفيها
دلالة على انه لا يجوز بيع شيء مما يزايله لان الله تعالى اوجب دفنه ونظير هذا قوله تعالى ثم اماته فاقبره
واما الرواسي فهي الجبال الرواسي من رسا الشيء اذا ثبت والشامخات الطوال المرتفعات في السماء
جعلت اوتادا للارض فسكنت بها الارض وكانت تمور كالسفينة لا تستقر على الماء لانبساطه ثقلها
وقوله وأسقيناكم ماء فراتا اي عذبا حلوا غير ملح ولا اجاج يقال سقيت واسقيت بمعنى واحد
ويقال معنى سقيت فلانا اذا دفعت اليه ما يشرب فاذا جعلته له دائما او بينت له موضع السقيا
قلت اسقيته وفي الاية تنبيه الحجة على العباد بما لا طريق الى جحده ودفعه وقوله تعالى ويل يومئذ
للمكذبين وعيد للمكذبين بنعم الله التاركين لشكرها ويقال لهم انطلقوا الى العذاب
الذي كنتم به تكذبون في الدنيا انه لا يكون انطلقوا الى دخان يرتفع له ثلاث شعب شعبة
فوقهم وشعبة تاخذ عن يمينهم وشعبة تخرج عن يسارهم وذلك انه يخرج لسان من نار فيحيط بهم
كالسرادق فيحبسون فيه الى ان يساقوا الى النار افواجا افواجا وعن ابراهيم النخعي انه قال ان هذا
الظل هو مقيل الكفار قبل الحساب فاما المؤمنون فيفرغون من الحساب في نحو من نصف النهار
ويقيلون في الجنة كما قال الله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وانما سمي الدخان
ظلا لانه يشبه الظل في سواده والشعبة القطعة البائنة من الشيء وقوله لا ظليل اي لا كنين مانع من
الاذى بخلاف ظل الجنة وظل الدنيا وقوله ولا يغني من اللهب اي لا يدفع ضرر اللهب واللهب اضطرام
النار وقوله انها ترمي بشرر معناه انها تقذف بشرر يكون ذلك الشرر في الكبر كالقصر والشرر ما تطاير
من النار وينتشر في الجهات والقصر ما يكون من قصور الاعراب على المياه كالخيام ويقال اراد به
القصور التي تكون من البنيان وعن مقاتل انه قال ان شرر النار في ذلك اليوم يكون من الكثرة مثل عدد الجوز
وورق الاشجار لا يقع شيء منها الا على اكتاف الرجال وفي قوله كانه جمالات صفر تشبيه لون الشرر

بالجمالات الصفر والجمالة جمع جمال زيد فيه الهاء كما زادوا في حجارة ثم جمعوها فقالوا
جمالات كما يقال رجل ورجال ورجالة ورجالات ورجالات القوم ورجالات قريش ومن قرأ
كالقصَر بفتح الصاد فهو جمع قصرة وهي عنق الابل ويقال هي الغليظ من الشجر ومن قرأ جمالات بضم
الجيم فهو جمع جمالة وهي الغليظ من حبال السفن واما الصفر فمعناه الابل السود التي يضرب لونها الى الصفرة
والاصفر الاسود قال الشاعر هو الاعشى ٥ تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ويقال ان الشرر يتطاير مختلطا بسعير خارجها وسقي الشرارة في وسطها صفرا فترى مصفرة واما قوله
هذا يوم لا ينطقون فيوم القيامة له مواطن وهذا الوقت من المواطن التي لا يتكلمون فيها واليوم يذكر
بمعنى الوقت كما يقال ايام بني فلان ويوم تقدم فلان واذا انقضى ذلك الوقت يتكلمون كما قال تعالى
اخبارا عنهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقال قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويقال في معنى هذه
الاية لا ينطقون نطقا ينفعهم ونظير هذا قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
ولم يرد به نفي النسب لانه اثبته في قوله يوم يفر المرء من اخيه وعن مقاتل انه قال لا ينطقون مقدار
اربعين سنة ولا يؤذن لهم فيها فيعتذرون والفاء عطف على ولا يؤذن لهم ولو قال فيعتذروا على النصب
لكان كما في قوله لا يقضى عليهم فيموتوا لكان حسنا ولكن المعنى ما ذكرناه ولو كان لهم عذر
لم يمنعوا من الاعتذار وقوله فان كان لكم كيد فكيدون معناه انه يقال لهم ذلك على وجه التعجيز
اي ان كان لكم حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لانفسكم ويقال في معناه فان كان لكم كيد
تكيدون به اوليائي كما كنتم تكيدونهم في الدنيا فكيدوهم ونظير هذه الاية قوله تعالى انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله الاية ومعناه يحاربون اولياء الله ٥ **قوله عز وجل** إن المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين
ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون ٥ معناه ان المتقين
في ظلال الاشجار وقصور الدر وعيون جارية تجري بالماء والشراب واللبن والوان الفواكه من كل
ما يريدون ويشتهون يقال لهم كلوا من ثمار الجنة واشربوا من شرابها سليما من الآفات بما كنتم تعملون
من الطاعات في دار الدنيا هكذا نجزي المحسنين على احسانهم ويل يومئذ للمكذبين بنعم الله
هم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا انكم كافرون لا حظ لكم في نعيم الجنة ومن نعمهم قليله في
مقابلة امور الاخرة وهذا امر توبيخ وتقريع كما في قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله ذرهم يأكلوا
ويتمتعوا وقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال بعضهم اراد به في الدنيا والركوع هو الخضوع ومعناه
هاهنا الصلاة اي اذا امروا بالصلاة لم يصلوا وقال بعضهم اراد به في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا
يستطيعون وقد تقدم تفسيره وعن قتادة انه قال عليكم باحسان الركوع فان الصلاة من الله تعالى
بمكان والويل لمن كذب بالركوع لرب العالمين وقوله فبأي حديث بعده يؤمنون معناه ان لم
يؤمنوا بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه فبأي حديث يؤمنون ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة المرسلات كتب انه ليس من المشركين **سورة النبأ مكية**
وهي احدى واربعون اية عند المكيين والبصريين واربعون عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون
ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات
ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ٥ قال عبد الله بن عباس وذلك ان قريشا كانوا اذا نزلت

يبني من القرآن جلسوا يتحدثون ابتدؤ له فمنهم المصدق ومنهم المكذب فانزل الله تعالى هذه الآيات
ويقال انما انزلها الله تعالى فيما كان بين المؤمنين والكافرين من قوم النبي صلى الله عليه وسلم في الاختلاف
في البعث والقيمة والمعنى عن اي شيء يتحدثون فيما بينهم وهذا لفظه لفظ الاستفهام واصله عن ما ادغمت
النون في الميم لقرب المخرج وحذفت الالف لان العرب اذا وضعت ما في موضع الاستفهام حذفت الفها
تفرقة بينها وبين ان تكون اسما لاداة الاستفهام بمعنى اي شيء والغرض تفخيم القصة كما في قوله تعالى فيم
انت من ذكراها وتقول الرجل علام تفعل اي على ما تفعل وتقول اي شيء تريدون يريد التفخيم بخلاف قولهم
سالت فلانا عما فعل لا يجوز حذف الالف هاهنا لان معناه الذي وكذلك اذا كان ما
للتهديد كما في قوله تعالى عما قليل ليصبحن نادمين والتساؤل تفاعل من السؤال وهو سؤال بعضهم
فسؤال المؤمن سؤال تعرف وتسبعده وسؤال الكافر سؤال جحود وعناد وقوله تعالى عن النبأ
العظيم يجوز ان تكون في موضع الاستفهام على معنى اعن الخبر الشريف يتحدثون ويجوز ان تكون
ذلك اخبارا من الله بان الذي يتساءلون عنه النبأ العظيم قال مجاهد وهو القرآن وقال
قتادة هو البعث بعد الموت وقوله كلا كلمة زجر وردع كانه قيل ارتدعوا وازجروا ليس
الامر على ما تظنون وسيعلم الكفار عاقبة امرهم وعاقبة ما يؤول عليهم كيف وسيعلم
المؤمنون عاقبة تصديقهم وما اعد لهم من الثواب ويجوز ان تكون اللفظان بمعنى التهديد للكفار
والمعنى سيعلمون امر القيمة واهوالها ثم كلا سيعلمون ما ينالهم من بعد من انواع العذاب
في النار ثم نبه سبحانه على عظيم قدرته ولطيف حكمته وسابغ نعمته ودليل توحيده فقال الم
نجعل الارض مهادا اخرج الكلام على لفظ الاستفهام ومعناه التقرير والمهاد الوطاء المهيا للتصرف
عليه من غير كلفة ولا اذية والارض مهاد يسير وتنبت في مناكبها وتمكنون في مساكنها والمهاد
والمهد بمعنى واحد ويجوز ان يكون المهاد جمعا كجبل وجبال والجبال اوتادا لان الارض
كانت تتكفأ باهلها على وجه الما فارساها الله تعالى بالجبال الثوابت وقوله وخلقناكم ازواجا
اي ذكرانا واناثا ويقال الوانا واصنافا وكلكم ترجعون الى اب واحد وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم
لكل من تعب من الخلق اذا نام استراح والسبات ماخوذ من السبت وهو القطع يقال سبتت الشيء
اذا قطعته والسبات قطع العمل للراحة وقوله وجعلنا الليل لباسا اي سترا لكم وسكنا
تسكنون فيه وانما سمي لباسا لانه يستر كل شيء بسواده وظلمته ومن ذلك سمي [illegible] لباسا
لانه سترا لبدن وقوله وجعلنا النهار معاشا اي جعلناه ذا ضياء لمعاش الناس لانه لا بد لهم من وقت
يطلبون فيه المعيشة بالحراثة والتجارة وغيرهما وقوله وبنينا فوقكم اي رفعنا فوقكم سبع
سموات غلاظا شديدة الاتقان فانها باذن الله لا تنهار ولا تتغير من طول الزمان وجعلنا فيها
الشمس سراجا وقادا متلالئا مشتعلا بالنور العظيم تنضج الاشياء بحرها وتضيء للناس بنورها وقوله
وانزلنا من المعصرات اراد بالمعصرات السحاب يقال اعصرت السحابة اذا بلغت مبلغا يعصر عنها المطر
واعصرت الجارية فهي معصر ومعصرة اذا دنت من المحيض واقطف العنب اذا بلغ اوان قطافه وكذلك
احصد الزرع ويقال اراد بالمعصرات الرياح لانها تعصر السحاب حتى تخرج عنها المطر والماء الثجاج هو
السيال الصباب كما يخرج من افواه القرب والثج الصب كما روي في الخبر افضل الحج العج والثج اراد
بالعج رفع الصوت بالتلبية وبالثج اراقة دم القربان والثجاج في هذه الاية بمعنى الثجيج كما في قوله
تعالى من ماء دافق اي مدفوق وقوله لنخرج به حبا معناه لنخرج بالمطر حبا تاكلونه ونباتا ترعاه
انعامكم والحب اسم لكل ما يحصد واما الجنات الالفاف فهي البساتين الملتفة الاشجار وقال
بعضهم الالفاف جمع اللف واللف والخلط بمعنى واحد وقال بعضهم هي جمع الجمع كان الواحد منهم لف

ولفاء

ولفاء وجمعه لف وجمع اللف الفاف ويقال ان الالفاف جمع لفيف ٥ **قوله عز وجل**
ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا وفتحت السماء فكانت
ابوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها
احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا
وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء احصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ٥ معناه ان
يوم الفصل بين الخلائق وهو يوم القضاء بينهم كان ميقاتا للاولين والآخرين اي يجتمعون فيه
والميقات معنا الحد للوقت كالميعاد والوعد ثم بين متى يكون ذلك اليوم فقال يوم ينفخ في
الصور قال ابن عباس والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفخة البعث فياتي كل الناس
بامامهم فوجا بعد فوج وقال الحسن وقتادة الصور جمع الصورة كالشجر والشجرة والثمر
والثمرة وقوله وفتحت السما معناه وشققت بعد التيامها فصارت طرقا لنزول الملائكة الى ان
تفنى ولم يكن كذلك من قبل وسيرت الجبال عن وجه الارض فصارت كالسراب والسراب الغبار المنبث
في الهوا يظنه العطشان عند وقوع الشمس انه شيء وليس بشيء وقوله ان جهنم كانت مرصادا اي محبسا
للناس عليها ممر العباد فهي لهم بالرصد يرصد بها اعداء الله الى ان ياتوا فيها فتحبسهم كما روي في
الحديث انها اعرف باصحابها من الوالدة بولدها والمآب المرجع والطاغي المتجاوز عن الحد في معصية
الله واللبث والمكث واحد وهو المقام الطويل بالمكان ومن قرا لبثين معناه من شانهم اللبث
يقال فلان لبث بمكان كذا على هذا المعنى والاحقاب جمع الحقب والحقب الواحد ثمانون سنة والمعنى
لابثين فيها حقبا بعد حقب لا انقطاع لها وقال ان الحقب ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا
كل شهر ثلثون يوما كل يوم كالف سنة مما تعدون وقوله لا يذوقون فيها بردا معناه لا يذوقون
في جهنم مع شدة حرها برد ريح ولا ظل ولا شرابا باردا ولا ما يقطع عطشهم ويسكن عطشهم الا ماء حارا
في غاية الحرارة وغساقا وهو ما يغسق اي يسيل من صديد اهل النار وكذلك بن يلي في العطش ويقال
الغساق الزمهرير الذي يحرق ببرده ويقال في البرد المذكور في الاية انه النوم اي لا يذوقون فيها نوما
وذلك ان النائم يبرد بدنه اذا نام ويقول العرب منع البرد البرد اي اصابني من البرد ما اذهب عني
النوم وقوله جزاء وفاقا نصب على المصدر اي جوزوا على وفق اعمالهم وقدر استحقاقهم وفي قوله
انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان ان الجزاء الذي جازاهم الله به كان وفاقا لاعمالهم انهم
كانوا لا يتوقعون الحساب وكذبوا بمحمد والقرآن تكذيبا يقال قضيت حوائجي قضاء وقضّاء
وتقضية بمعنى واحد وقوله وكل شيء احصيناه معناه احصينا كل شيء من الاعمال والاكوان
كتبناها في اللوح المحفوظ فيكونها كتابا وقوله فذوقوا فلن نزيدكم اي يقال لهم ذوقوا العذاب
في النار فلن نزيدكم حالا بعد حال الا الوان العذاب لونا بعد لون كل عذاب باق بعد
الوقت الاول فهو ابدا على الابد ٥ **قوله عز وجل** **ان للمتقين مفازا**
حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه
خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
المعنى هو المؤمن المطيع لله المتكاف عن جميع معاصيه والمفاز الفوز وهو الجنة ويجوز ان يكون
المفاز مصدرا كالفوز والحدائق جمع حديقة وكل ما احيط عليه الحائط من الاشجار فهو حديقة
هي البستان الجامع والاعناب انواع العنب في البستان والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية الناهد

الملائكة الثدي وهي التي خرج ثديها باحسن الخروج ولم يعظم بعد والاتراب اللدات المستويات في السن ويجوز ان يكون المعنى مثل ازواجهن في السن والصورة وقوله وكاسا دهاقا الذي فيه الشراب والدهاق الملان المتتابع وقوله لا يسمعون فيها اي لا يسمعون في مجالسهم في الجنة كلاما لا فائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا هذا اذا قرات كذابا بالتشديد اما اذا قرا بالتخفيف فالمعنى لا يكذب بعضهم بعضا يقال كاذبه كذابا ومكاذبة بالتخفيف اذا كذبه في الحديث وانما قال ذلك لانه يثقل على القلب سماع اللغو والكذب وقوله جزاء من ربك معناه جازاهم الله بذلك الاستحقاق جزاء من ربك والعطاء الحساب له وجهان احدهما ما يحسبهم اي يكفيهم من قولهم حسبي كذا واحسبني هذا الشيء اي كفاني وكذلك حسبني والاخر ان يكون استحقوه بالحساب لكل بعمله على مرتبة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر اصناف المومنين ولهم عند الله المزيد من النعيم وقوله رب السموات والارض من قرا بالخفض فالبدل من ربك وعلى هذا اذا قرئ الرحمن بالخفض ومن قرا رب بالرفع فالمعنى هو رب السموات والارض ورب ما بينهما وهو الرحمن لا يملكون منه خطابا اي لا يجترئ احد ان يتكلم في عرصات القيمة الا باذن الله وشهود ذلك اليوم وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا اختلفوا في الروح قال بعضهم اراد به جبريل عليه السلام الذي سماه الله تعالى الروح الامين وقال بعضهم انه ملك من اعظم الملائكة وجهه على صورة الانسان وسائر خلقه على صورة الملائكة يقوم عن يمين العرش صفا واحدا ويقوم الملائكة صفوفا وقال بعضهم اراد به ارواح بني آدم يقع بينها وبين الملائكة بين النفختين قبل ردها الى الاجساد ويقال ان الروح خلق غير الجن والانس يرون الملائكة لا يرونهم كما ان الملائكة يرون بني آدم ولا يرونهم وقوله لا يتكلمون اي الا من اذن له في الكلام ولا يتكلم الا من اذا قال قال صوابا ويقال في معناه الا من اذن له الرحمن وقال في الدنيا قولا صوابا وهو كلمة التوحيد ذلك اليوم الذي وصفه هو اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مرجعا حسنا ثم خوف الكفار فقال انا انذرناكم اي خوفناكم من عذاب قريب كائن وكل ما هو آت فهو قريب ثم بين متى يكون ذلك العذاب فقال يوم ينظر المرء اي يوم يرى الرجل فيه جزاء عمله الذي عمله في الدنيا من خير او شر وانما خص اليدين بالذكر لان اكثر العمل يكون باليدين وقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اختلفوا في معناه قال بعضهم يا ليتني كنت ترابا لم اخلق وقال بعضهم معناه يا ليتني بعثت ترابا بعد الموت وقال مقاتل وذلك ان الله تعالى يجمع يوم القيمة الدواب والطيور والوحوش والسباع فيقتص بعضهم من بعض حتى يقتص للجماء من القرناء فاذا فرغ من ذلك قال لهم تعالى انا ربكم فيقولون الرحمن الرحيم والخلائق ينظرون فيقول لهم جل ذكره انا خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم لي مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى الذي خلقتكم منه فيصيرون ترابا فعند ذلك يتمنى الكافر ان يكون بهيمة فيصير ترابا مع البهائم وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة النبا سقاه الله تعالى من برد الشراب يوم القيمة ٥

سورة النازعات

مكية وهي خمس واربعون آية الا عند الكوفيين فانهم يعدونها ستا واربعين ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة

اقسم الله تعالى بالملائكة اعظاما لهم ولله تعالى ان يقسم بغيره من شاء على موضع العظمة وليس للعباد ان يقسموا الا به ويكون ان

تكون

يكون القسم في هذه الآيات قسما برب الملائكة كانه تعالى قال ورب النازعات والنازعات جمع النازعة والنازعة واحد وجمع كما قلنا في المرسلات ومعنى النازعات ان ملائكة العذاب ينزعون ارواح الكفار بالشدة من بين الاظفار ونفسه عند الموت كانه شيء والنازع نفس اجبا با وينقع احبانا حتى اذا ادركه الغرق ويقال ينزعون روح الكافر كما ينزع القوس اغراقا فاقاما يعرف معنى الاغراق واما الناشطات فلانهم ينشطون ارواح الكفار نشطا عنيفا بالكرب والغم والمشقة كنشط السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول فيشد عليهم خروج ارواحهم يقول نشطت يد البعير اذا ربطته بالحبل وانا ناشط فاذا حللته قلت انشطته والسابحات الملائكة الموكلون بقبض ارواح الصالحين ينزلون من السماء بالطيران فهذا السباحة يسلون ارواحهم سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح رويدا يقول العرب للفرس الجواد السابح تشبيها له والسابقات الملائكة يسبقون الى الخير والدعوة ويسبقون بارواح المومنين الى الجنة ويسبقون الانس والجن في عبادة الله وهذه الايات الى ان للمومنين والى ان للكفر عند فراق الدنيا ويقال في معنى السابحات والسابقات انها ارواح المومنين تخرج بسهولة وكذلك روي عن ابن عباس في الناشطات انه قال ليس من مومن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى اشباهها من اهله يدعونه الى منزله ويستبشرون به فهو اليهم نشيط ويحب ان يخرج نفسه حتى ياتيهم في الحديث ما من عبد يموت الا عرض عليه مقعده بكرة وعشية ما كانت الدنيا ان كان من اهل النار فمن النار وان كان من اهل الجنة فمن الجنة وذهب بعضهم في معنى الناشطات الى انها الملائكة ينشطون ارواح المومنين كما ينشط العقال من يد البعير وهذا على قول من يقول ان نشطت وانشطت بمعنى واحد وقال الحسن انها كلها النجوم تنزع من افق الى افق اي تغيب وتنشط من مطالعها الى مغاربها وتسبح كما قال الله تعالى وكل في فلك يسبحون وتسبق الى الطلوع والافول وقال مجاهد كلها الملائكة وقال عطاء معنى النازعات غرقا القسي تنزع كما قال الرماة اغرق اي مدفوق والناشطات الاوهاق يعني الغرض الذي يرمى والسابحات السفن والسابقات الخيل العراب ويقال النازعات الرماة الغزاة في سبيل الله ينزعون القوس يعرفون السهم والناشطات الخيل تنشط بجاه الخروج من وادي الى وادي في طلب العدو وكذلك السابحات تجري بالفرسان باشد بدا وتسبق الى قهر العدو والغارات في الحروب ولم يختلف المفسرون في المدبرات امرا انها الملائكة تدبر الامور في الدنيا وفي الاخرة باذن الله تعالى ويقال ان المدبرات المراد به جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فجبريل للوحي والتنزيل وميكائيل للقطر والنبات واسرافيل للصور وملك الموت لقبض الارواح واما الفاء في المدبرات فمقتضى تعلق هذا اللفظ بما قبله ويجعل ما بعدها لفاعلية لما قبله ويجعل ما قبله سببا لما بعده كما تقول قام فذهب واذا قلت قام وذهب فهما خبران لم يكن واحد منهما غير متعلق بالاخر واما جواب القسم فهو محذوف والمعنى لتبعثن للجزاء والحساب والدليل على ذلك قوله من بعد يقولون ائنا لمردودون في الحافرة وفي قوله يوم ترجف الراجفة بيان وقت البعث يقول عندها تظهر علامة يوم القيمة ومعنى ترجف تضطرب الارض التي تكون شديدة الاضطراب وذلك انها تزلزل زلزلة شديدة عند النفخة الاولى وهي النفخة التي تكون عندها موت الخلائق ٥ تتبعها زلزلة اخرى وهي النفخة الثانية التي تبعث منها جميع الخلائق وبين النفختين اربعون سنة وسميت الثانية رادفة لانها ردفت الاولى وفي قوله قلوب يومئذ واجفة اراد به قلوب الكفار خائفة مضطربة حين تعاين اهوال القيمة والوجيف اضطراب القلب وقوله ابصارها خاشعة معناه ابصار اصحابها ذليلة خاشعة وذلك ان المضطرب والخائف لا بد ان يكون نظره نظر

لذليل الخاضع لترهب ما ينزل به من الامر العظيم وقوله يقولون ائنا لمردودون في الحافرة معناه
يقول الكفار وهم في الدنيا ائنا لمردودون في الحافرة وذلك انهم كانوا يستبعدون البعث ويقولون
انرد الى الخلق الاولى وتجدد فينا الروح بعد ان نصير عظاما بالية وهذا مثل تضربه العرب تقول رجع
فلان في حافرته اذا رجع في الطريق الذي جاء فيه قال الشاعر ه
احافرة على صلع وشيب معاذ الله من جهل وطيش ه يقول اارجع الى اول ما كنت عليه لا والله
ويقال سميت الارض حافرة لانها مستقر الحوافر ويقال لان قبورهم فيها محفورة كانهم قالوا ائنا الحافرة
لنرد احياء في القبور بعد الموت والحافرة بمعنى المحفورة كما في قوله في عيشة راضية اي مرضية والنخرة والناخرة
بمعنى واحد كالحذر والحاذر والبخل والباخل فالنخرة العظم بكسر الخاء النخر اذا عفن وبلي ويقال الناخرة
المجوفة التي اذا بلي طرفا العظم دخلت الريح من جانب وخرجت من جانب فيسمع لها صوت كالنخير ونخير
النخل اذا صوتت واما قوله قالوا تلك اذا كرة خاسرة فذلك وصف منهم للرجعة الى الحيوة بالخسران
على وجه التكذيب كانوا يقولون ان كان الامر على ما قال محمد فتلك الرجعة اذا رجعة خاسرة
والخاسرة ذات الخسران كما يقال تجارة رابحة اي ذات ربح يقول الله تعالى ردا عليهم فانما هي
زجرة واحدة اي الرجعة الى الحيوة لا تكون الا صيحة واحدة يزجرهم الله تعالى بها اذا اراد احياءهم
فيحيون عندها ويخرجون من بطن الارض الى وجهها وذلك قوله تعالى فاذا هم بالساهرة اي قيام على
وجه الارض وسميت الارض ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم ولان عملها في النبت الليل والنهار وسميت ساهرة
دايب يقال خير المال عين خرارة في ارض خوارة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت ويقال ان المراد
بالساهرة ارض بيت المقدس ويقال اراد به ارض الاخرة لانهم ينتقلون بعد الرجوع افواجا الى ارض
الاخرة لانهم يسهرون فيها سهرا لا ينامون بعد ذلك فيها خوفا منها ه قوله عز وجل هل
اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر
فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى
معناه هل بلغك قصة موسى وخبره وهذا استفهام بمعنى التقرير كما يقول الرجل لغيره هل بلغك حديث فلان
وهو يعلم انه بلغه ذلك ولكن يريد بهذا الكلام التحقيق ويجوز ان يطلق مثل هذا اللفظ ويراد
به ابتداء الاخبار كانه قال لم يكن عندك يا محمد ولا عند قومك ما اعلمك الله به من حديث موسى عليه
السلام اذ اسمعه الله نداءه بالوادي المطهر الذي كلمه الله تعالى عليه اسم ذلك الوادي طوى وهذا
يقرا بالتنوين وغير التنوين فمن قراه بالتنوين وصرفه فلانه مذكر سمي به مذكر مثل نغر وصرد ومن لم يصرفه
جعله اسم البقعة التي هي مشتملة على ذلك الوادي ويجوز ان يكون معدولا عن طاو مثل عمر وزفر
ويقال في معناه اذا قرئ بكسر الطاء انه قدس مرتين وقوله اذهب الى فرعون معناه نودي ان
اذهب الى فرعون انه علا وتكبر وطغا وتعدى الحد في معصية الله فقل له هل لك الى ان تزكى عن الكفر
والمعصية بالله وتعمل عمل الازكياء وهل لك رغبة في ان اهديك الى معرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته فتخشاه ان لم تطعه ثم بين الله تعالى ان موسى عليه السلام لم يقتصر على ذلك حتى اراه الآية الكبرى
قال بعضهم اراد بها العصا اذ كانت اكبر اياته وقال بعضهم اراد اليد البيضاء التي اخرجها
لها شعاع كالشمس فكذب فرعون موسى بالايمان بالله وبرسالة موسى فلم يقبل قوله ثم ادبر
يسرع هاربا من الحية ويقال يسعى في ذهاب امر موسى حين ادبر عنه كانه يجمع قومه بالشرط
يستنصرهم على ابطال امر موسى بعد ما ضرب الحية فنادى فيهم وقال في خطبته اعبدوا اصنامكم
التي كنتم تعبدونها وانا رب اصنامكم الاعلى وفي هذا بيان انه انتهى في استكباره الى حد كان لا يسع فيه

الوعظ فعند ذلك اخذه الله تعالى بعذاب نكال الاخرة في الدنيا والاخرة فالنار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ولو تدبر هؤلاء الجهال لعلموا انه لو كان الها لم يحتج الى الهرب لدفع ضرر الحية التي خافها
وقوله ان في ذلك لعبرة معناه ان في ما عامله الله به لعظة لمن يخشى عذاب الله في الدنيا والاخرة والعبرة
حالة يعبر منها الى الخير ومن ذلك عبور النهر وتعبير الرؤيا والعبارة التي فيها بيان المعنى ويقال
معنى نكال الاخرة والاولى نكال الكلمة الاخرة وهي التي في هذه الآية ونكال الكلمة
الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وكان بين الكلمتين اربعون سنة ه قوله عز وجل
أانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض
بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم
فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى
وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى الخطاب لاهل مكة يقول انتم اشد خلقا على من خلقكم على صغر اجسامكم ام السماء
التي بناها الله مع عظمها رفع سقفها فوقكم بلا عمد تحتها ولا علاقة فوقها فسواها من الفطور
والعيوب واراد بهذا الكلام اشد خلقا عندكم وفي ظنكم لان خلق شيء اشد على الله تعالى من شيء
ولا اهون وانما يريد ما يكون كما اخبر في قوله سبحانه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقوله
واغطش ليلها معناه واظلم ليلها واظهر نور نهارها واضاف الليل والنهار الى السماء لان الليل انما
يكون بغروب الشمس والشمس منسوبة الى السماء فاذا غربت الشمس كان مبدا الظلام من جانب السماء
وكذلك الضياء يظهر بطلوع الشمس من جانب السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها
على وجه الماء وذلك ان الله تعالى خلق الارض قبل السماء مجموعة ثم خلق السماء وشمسها وقمرها ولياليها ونهارها
ثم دحا الارض بعد ذلك الى ما شاء الله ان تكون وذلك ادل على القدرة ويقال في معنى بعد ذلك مع ذلك وقوله
تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها اراد بالماء الانهار والعيون التي تخرج من الارض وبالمرعى النبات
وفي ذلك حيوة الحيوانات وقوله والجبال ارساها معناه اثبتها وثقل بها الارض وفي ذلك منفعة
لكم ولدوابكم لا المنفعة نفسه فانه تعالى منزه عن المضار والمنافع وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة
الكبرى قال بعضهم اراد به الصيحة التي تطم على كل شيء فتفني الخلق وتهلكهم اجمعين وقال بعضهم
اراد به الصيحة التي يكون معها البعث والحساب وسميت طامة لانها علت على كل ما كان قبلها من الاهوال
ومن ذلك قولهم ما من طامة الا وفوقها طامة وهذا القول اقرب الى ظاهر الاية ولذلك قال يوم يتذكر الانسان
ما سعى معناه يتذكر ما عمل في دار الدنيا من خير وشر ويقرا كتابه يومئذ وبرزت الجحيم معناه اظهرت لجميع
الخلائق حتى يراها اهل الموقف كلهم وقوله فاما من طغى جواب قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى
والمعنى فاما من جاوز الحد في معصية الله واختار ما في الدنيا من نعيمها وزهرتها على طاعة الله تعالى
والايمان به فان الجحيم هي المأوى له ويقال هي ماواه والالف واللام في قوله هي المأوى
متغنيان عن دخول ها الكناية وقوله واما من خاف مقام ربه معناه واما من خاف مقام العباد
للحساب واجتنب المعاصي فان الجنة هي المأوى له قوله عز وجل يسئلونك عن الساعة ايان
مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشية او ضحاها معناه يسألونك عن القيامة متى تكون وقت قيامها استعجالا لها
تكذيبهم بها وقوله فيم انت من ذكراها معناه في اي شيء انت من ذكرها ووقتها ولم يعرفك الله ذلك
الى ربك منتهاها علم قيامها لا يعلمها احد غيره وانما انت مخوف من يخاف قيامها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مخوفا للكل ولكن خص في الاية من يخشى لان منفعة التخويف راجعة اليهم كما

فی قوله هدی للمتقین وانما لم یجز فی الحکمة الاعلام بوقت الغیبة لما فی ذلک من الاغراء علی المعصیة ولذلک
لم یجز ان یعلم احد وقت موته وقوله کانهم یوم یرونها معناه کانهم یوم یرون القیامة لم یلبثوا فی الدنیا الا قدر
عشیة من العشیات او قدر ضحی العشیة وذلک انه اذا استقبلهم امر الآخرة ذهب عنهم الذکر فی مقدار
مکثهم فی الدنیا ومقدار مکثهم فی قبورهم لعظم ما استقبلهم من الشدائد وفی هذه الآیة تزهید فی الدنیا
لئلا یرکنوا الیها وذلک لان مقدار مقام الانسان فی الدنیا وان طال ینتهی عند المقابلة بالقیامة
کاحد طرفی النهار الضحی وقت ارتفاع النهار والعشی ما بعد الزوال وکل واحد منهما ینسب الی
الآخر یقال الضحی لعشیة وعشیة الضحی وعن ابی بن کعب رضی الله عنه عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه
قال من قرا سورة النازعات اداه الله تعالی یحسنا تحا لعمر ولم یحبس یوم القیمة الا قدر صلوة مکتوبة حتی
یدخل الجنة والله الموفق ٥ **سورة عبس مکیة وهی اربعون آیة فی**
الشامی واحدی واربعون بصری واثنان عند الباقین ٥ بسم الله الرحمن الرحیم
عبس وتولی ان جاءه الاعمی وما یدریک لعله یزکی او یذکر فتنفعه الذکری اما من استغنی
فانت له تصدی وما علیک الا یزکی واما من جاءک یسعی وهو یخشی فانت عنه تلهی کلا انها
تذکرة فمن شاء ذکره فی صحف مکرمة مرفوعة مطهرة بایدی سفرة کرام بررة وذلک ان النبی صلی الله
علیه وسلم کان عنده عمه العباس بن عبد المطلب وامیة بن خلف وغیرهما من اشراف قریش وقد اقبل
علیهم یدعوهم الی الایمان ویقرا علیهم القرآن رجاء ان یومنوا فیومن بایمان کل واحد منهم بشر
کثیر من اتباعه فجاءه عبد الله بن ام مکتوم وهو الاعمی فجعل یسائله عن آیات انزلت وهو یقول اقرئنی
وعلمنی یا رسول الله مما علمک الله وهو لا یعلم شغل قلب النبی صلی الله علیه وسلم فاعرض عنه رسول
الله صلی الله علیه وسلم وقطب وجهه فعاتبه الله علی ذلک وانزل هذه الآیات والمعنی عبس محمد صلی الله
علیه وسلم واعرض بوجهه لان جاءه الاعمی ای لمجیء الاعمی الیه فی حال اشتغاله باشراف قریش وان فی هذه
الآیة فی موضع نصب لانه مفعول له والتولی عن الشیء هو الاعراض عنه کما ینصرف وجهه عن ان یلیه والتولی
للشیء هو الاقبال علیه یقال تولیت فلانا اذا عقدت علی نصرته وتولیت عن فلان اذا اعرضت عنه ولم
یکن هذا الاعراض معصیة من رسول الله صلی الله علیه وسلم لان ذلک کان منه قبل ورود النهی عنه
ولو کان معصیة لذکر الله توبته عنها کما ذکر فی ذنوب سائر الانبیاء علیهم السلام وقوله وما یدریک
معناه وما یعلمک یا محمد لعل ابن ام مکتوم یتزکی بالعمل الصالح ویحوا لک عن سؤاله ویتعظ فتنفعه
ذکراک ومن قرا فتنفعه بنصب العین فعلی جواب لعل بالفاء والرفع عطف علی یذکر وقوله اما من استغنی
یرید به اشراف قریش قال بعضهم استغنی بالکه وقال بعضهم جعل نفسه غنیا عن وعظک فانت
له تصدی عن وعظه ای تتعرض له وتقبل علیه یقال فلان یتصدی لفلان اذا تعرض له لیراه واصل التصدی
العطش ورجل صدیان ای عطشان وقال التصدی هو التعرض للشیء کتعرض العطشان للماء ویقال کان
فی الاصل یتصدد من الصدد وهو القرب فابدلت احدی الدالین یاء وفی قوله وما علیک الا یزکی دلیل
ان النبی صلی الله علیه وسلم انما اهتم بخاطبتهم لارادة اسلامهم یقول وای ضرر علیک ان لم یتطهر
من الذنوب ولم یقبل منک وقوله واما من جاءک یسعی یرید به عبد الله بن ام مکتوم جاءک یسعی فی
المشی الیک یلتمس منک الدین وهو یخشی عذاب الله فی ترک التعلم ویقال یخشی العثور فی عدوه فانت عنه
تتشاغل معرض بوجهک عنه یقال لهیت عن الشیء الهی اذا تشاغلت عنه ولهیت من اللهو ومن هذا
قولهم اذا استاثر الله بشیء فاله عنه ای اترکه واعرض عنه وقوله کلا ای حاشا ان تعود الی مثل
ذلک لا تعد الیه ولا تفعل ما فعلت ان هذه الآیات التی انزلها الله علیک موعظة یتعظ بها عباد
الله وهذا کله تادیب للنبی صلی الله علیه وسلم وتبیین له ان المحافظ علی حسن ترکیته [illegible]

الحرص

الحرص علی من هو کافر رجاء ان یتزکی فلما نزلت هذه الآیات اکرم رسول الله صلی الله علیه وسلم
عبد الله بن ام مکتوم والطفه واستخلفه علی المدینة حین خرج الی الغزو ولیصلی بالناس وقد روی
ان النبی صلی الله علیه وسلم لما تلا علیه جبریل علیه السلام اول هذه السورة تغیر وجهه الی ان قال
جبریل علیه السلام کلا انها تذکرة فسری عن النبی صلی الله علیه وسلم وصارت هذه القصة تادیبا
لجمیع اهل الدین فیما ینبغی ان یسلکوا به ولا یمتنع ان یکون اعراض النبی صلی الله علیه وسلم عن ابن
ام مکتوم لانه کان یرید ان یعلم الناس طریقة حفظ الادب فی تعلم العلم واما قوله تعالی فمن شاء
ذکره معناه فمن شاء ذکر ما انزل من الآیات ویقال من شاء الله له ان یتعظ اتعظ ثم اخبر سبحانه بجلالة
القرآن فی اللوح المحفوظ عنده فقال فی صحف مکرمة والصحف جمع الصحیفة والصحیفة اسم لما
کتبت علیه الشیء والمکرمة المعظمة بما تضمنت من الحکمة والمرفوعة مرفوعة القدر فی السموات
مطهرة عن الدنس وعن التناقض والاختلاف کما قال سبحانه فی آیة اخری لا یاتیه الباطل من بین یدیه
ولا من خلفه وقوله بایدی سفرة یجوز ان یکون السفرة جمع السفیر وهو الرسول والملائکة رسل
الله وهم الکرام علی الله والکریم الذی من شانه ان یاتی بالخیر والبررة جمع البار وهو الفاعل للبر
ویجوز ان یکون السفرة جمع سافر ومعناه الکاتب مثل کاتب وکتبة ویقال للکتاب سفر لانه
یکشف عن الحکمة وسفرت المراة واسفرت اذا کشفت عن وجهها واسفر الصبح اذا اضاء وسمی
الکاتب سافرا لانه یبین الشیء ویوضحه فالملائکة علی هذا القول هم الذین یکتبون القرآن فی
صحف من ذم تلک الصحف کرامة علی الله وهم کرام علی الله تعالی ویقال اراد بالسفرة اصحاب النبی
صلی الله علیه وسلم وبالمطهرة ان تکون مصونة عن ایدی المشرکین الانجاس فلا یمسها الا المطهرون
قوله عز وجل قتل الانسان ما اکفره من ای شیء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبیل
یسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره کلا لما یقض ما امره فلینظر الانسان الی طعامه انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فیها حبا وعنبا وقضبا وزیتونا ونخلا وحدائق غلبا
وفاکهة وابا متاعا لکم ولانعامکم ٥ معناه لعن الانسان والمراد به کل کافر [illegible]
[illegible]

من الاحداث له والشكر لنعمه والخروج من الحقوق التي لله وللعباد عليه وقوله تعالى فلينظر الانسان
الى طعامه اي ليتامل الكافر في طعامه كيف خلقه الله وقدره له وعن ابن عباس انه قال فلينظر الى اول
طعامه ثم الى عاقبة طعامه فليعتبر به نفسه وقوله انا صببنا الماء من قرا انا بالكسر فعلى الابتدا ومن قراه
بالفتح فالمعنى الى طعامه والى صببنا المطر من السما وعن بعض القرا انى على معنى كيف صببناه ثم شققنا
الارض بالنبات فانبتنا الحبوب كلها والكروم فيها فان قيل ما معنى الصب والمطر ينزل من السما
قطرة قطرة فكيف اطلق الله عليه اسم الصب قلنا ان الله تعالى ينزل الماء من السما الى السحاب صبا ثم ينزل
من السحاب الى الارض قطرة قطرة ليكون اقرب الى النفع وابعد من الضرر واما القضب فهو القت
الرطب واذا يبس فهو القت وقال الفرا كان اهل مكة يسمون القت القضب وقيل القضب
كل ما يقطع رطبا من قولهم قضبته ومنه القضيب والمقتضب واما الزيتون فالمراد به شجرته
وثمرته وفيهما المنافع والحدائق جمع الحديقة وهي البستان الذي احدق به الحيطان ومنه الحدقة
واحدق به القوم اذا احاطوا به والغلب الغلاظ الملتفة بالاشجار يقال شجرة غلبا اذا كانت
غليظة ورجل اغلب اذا كان غليظ العنق والاب كلما تاكله الانعام ويقال الاب الى سيفه فاستلد
كما يقال ذهب اليه وبدا اليه ويكون ذلك كذا ورا المرعى في الخروج وسيل ابو بكر رضي الله عنه
عن الاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وعن انس ان عمر
رضي الله عنه اتى على هذه الاية فقال عرفنا الفاكهة فما الاب ثم قال يا ابن ام عمر ان هذا هو التكلف
وما عليك ان لا تدري ما الاب وعن الحسن انه قرا وابا خضرة وقضبا فقال ما طاب واحلولى وهذا
والله اعلم كانه تحريف الاب وقوله تعالى متاعا لكم مصدر مؤكد والمعنى خلقنا هذه الاشيا
منفعة لكم ولدوابكم لسد خلتكم وتتميم حاجتكم ثم بين سبحانه ما يجري الكافرين عن كفرهم فقال
جل ذكره فاذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة الصاخة من اسما القيمة لانها تصخ الاسماع اي تصمها
لشدة الصيحة فلا تسمع الا ما تدعى به لاحيائها ويقال الصاخة الصاكة لانها تصك الناس ويقال
انما سميت بهذا الاسم لان الاذان تصيخ اليها يقال اصاخ فلان الى كلام فلان اذا اصغى اليه
وفي قوله يوم يفر المرء من اخيه بيان صفة من صفات القيمة فان من صفات القيمة ان المرء يفر يومئذ من
قوم كان يفزع اليهم ويستجير بهم في الدنيا وانما يفر بعضهم من بعض مخافة ان يسئله بحمل شي من ثقله او به
والمواساة بشي من ثوابه ولانه لا يقدر ان يراه بما هو فيه من الهوان وليس هناك موضع يفرون اليه
ولكن شبه امرهم عند اضطرابهم وشغلهم بانفسهم وتقطع بعضهم من بعض بالهارب في الدنيا
الناكب يعبر في الهلاك وذلك معنى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي امر يكفيه
عن امر غيره لعظم ما هو فيه فلا يقدر ان ينفع احدا من اقاربه ولا ان ينتفع به ويقال يفر هابيل من قابيل
ومحمد صلى الله عليه وسلم من امه وابرهيم عليه السلام من ابيه ولوط من زوجته ونوح عليه السلام
من ابنه كنعان وهذا هو في اهل الثواب مع اهل العقاب وكذلك اهل العقاب فيما بينهم كما
قال الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ واما اهل الثواب فيما بين انفسهم فليسوا
كذلك ولكن يسالون بهم الحاق ذريتهم بهم وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة معناه من الوجوه
وجوه يومئذ مضيئة حسنة فرحة معجبة مسرورة بما اكرمها الله به من الكرامات وهي وجوه اهل
الثواب ومن الوجوه وجوه يومئذ عليها غبار مما نزل بها من البلا يعلوها كسوف وسواد كالدخان الاسود
اولئك هم الكفرة بالله الكذبة على الله وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال من قرا سورة عبس كان وجهه يوم القيمة ضاحكا مستبشرا وبالله التوفيق ٥

سورة كورت مكية وهي عشرون وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا
البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءدة سئلت باي ذنب قتلت واذا الصحف
نشرت واذا السما كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت
نفس ما احضرت روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من اراد ان ينظر الى يوم القيمة راى العين فليقرا اذا الشمس كورت واما معنى التكوير
فهو جمع ضوئها واذهاب نورها يقال كورت العمامة على راسي وكورتها اذا لففتها ومن
ذلك كور العمامة ويقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة ومن
النقصان بعد الزيادة ويقال معناه يرمى بها كالكرة الملقاة ويحدث الله للعالم ضيا غيرها
واما انكدار النجوم فمعناه التساقط والتناثر يقال انكدر الطائر على النجم اذا سقط عليها
قال الشاعر ابصر خربان فضاء فانكدر دانى جناحيه من الطور فمر ٥ ٥
ونظير هذه الاية قوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وعن ابن عباس انه قال تمطر السما يومئذ
النجوم حتى لا يبقى في السما نجم الا سقط ويقال ان الانكدار من الكدورة والمعنى تكدرت
النجوم ان يغشيها ما يطمس نورها والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية واما تسيير الجبال فمعناه انها
تسير على وجه الارض كما تسير السحاب فتصير سرابا ثم تعود الى الارض والعشار جمع العشرا عند
اكثر المفسرين وهي الناقة الحامل التي قد اتى على مدة حملها عشرة اشهر ويقال انها احسن ما تكون
في الابل واعزها على اهلها وليس يعطلها اربابها الا في حال الشدة العظيمة وليس في القيمة عشار
ولكن هذا على وجه التمثيل اذ لو كان للرجل عشار يومئذ لعطلها واشتغل بنفسه ونظير هذه
الاية قوله يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت واما تخصيص العشار في هذه الاية
فلانه من الخطاب للعرب واكثر مالهم وعيشهم من الابل وقيل ان العشار في الاية [illegible]
[illegible] السحاب يعطل من ماء المطر يومئذ واما قوله واذا الوحوش حشرت
فالوحوش جميع الوحش [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى واذا البحار سجرت قال بعضهم
معناه ملئت وفجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا ومنه قوله تعالى والبحر المسجور وقال بعضهم
معناه احميت من قولهم سجرت التنور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واذا النفوس زوجت [illegible]
[illegible]
يبست فلا يبقى منها قطرة [illegible]
الى اجسادها قرنت الارواح بالاجساد وعن عمر رضي الله عنه انه قال هما الرجلان يعملان
العمل [illegible] الجنة او النار كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي قرناهم [illegible]

بالصالح والطالح بالطالح ويقال في معناه قرنت نفس المومن بالحور العين ونفس الكافر
بالشياطين كما قال تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا واما قوله تعالى واذا الموودة
سيلت فالموودة المقتولة بثقل التراب الذي يطرح عليها ومنه قوله تعالى ولا يووده حفظهما اي لا
يثقله حفظ السموات والارض وكانت العرب تئد البنات من اولادها حمية كيلا يخطبن اليهم
وربما كانت تئد مخافة الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وانما
ذكر الله تعالى سوال الموودة في هذه الاية لان ذلك يكون تبكيتا لقاتلها يوم القيمة لانها اذا سئلت
كان جوابها انها قتلت بغير ذنب ونظير هذا قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وهذا توبيخ لقومه ويجوز ان تكون معنى سيلت طلبت من قاتلها
لما قبلها كما يقول سائل لتسحي من فلان اذا اخذته فطلبت حقك منه وقوله تعالى واذا الصحف
نشرت اراد به ديوان الحساب والسيات وذلك انه اذا مات ابن ادم طويت صحيفته على مقدار
عمله فاذا كان يوم القيمة نشرت واعطي كل واحد منهم على مراتبهم فينبغي لكل عاقل ان يذكر
حالة الطي في اخر عمره وحالة النشر يوم القيمة ويجتهد ان يملا صحيفته بحسنته من الطاعات ويمحو
ما فيها من السيات ويجتنب ما يعلم ان ذلك يوم القيمة يحزنه ويخزيه وقوله تعالى واذا السماء
كشطت معناه نزعت من اماكنها فطويت كما يكشط الغطاء عن الشي وفي قراة عبد الله بن مسعود قشطت
بالقاف والمعنى واحد يقال كشطت الجل عن ظهر الفرس وقشطته اذا كشفته ومثله لكثت الشي ولبقته
اذا خلطته ويقال معنى الكشط ان ينزع عنها ما فيها من الشمس والقمر والنجوم يقال كشطت الجرف عن
البياض اذا قلعته ومحوته وقوله تعالى واذا الجحيم سعرت معناه اوقدت للكفرين والها فقرى بالتشديد
من تعدير ويزيد في وقودها وشدة لهبها وقوله تعالى واذا الجنة ازلفت اي ادنيت من المتقين فدنى جعوهم
اياها كما في اية اخرى وازلفت الجنة للمتقين ومن ذلك المزدلفة لقربها من عرفات وقوله تعالى علمت
نفس ما احضرت جواب هذه الاشيا يقول اذا كانت هذه الاشيا التي في القيمة علمت في ذلك الوقت
كل نفس ما عملت من عمل خيرا وشرا ونظير هذه الاية قوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وعن علي وعبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما انهما قرا واذا الموودة سالت باي ذنب قتلت بفتح السين والهمزة من سالت
وباسكان اللام وضم التاء من قتلت ويستدل بهذه الاية على بطلان قول من قال بتعذيب اولاد المشركين
لانه لو كان كذلك لعذبت الموودة مع ابيها في النار دائما ولم يكن هذا السوال معنى ولا فائدة قوله
عز وجل **فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون ولقد
راه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون ان
هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين**
ومعناه اقسم برب الخنس ولا مؤكدة والخنس جمع خانس وخانسة وهي هاهنا النجوم الخمسة زحل
والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد يجري في الافلاك يطلع جارية بهن الخنس تخنس في مجراها
اي ترجع الى مطالعها في سيرها بهن الخنس ثم تستتر عند غروبها فتغيب في المواضع التي تغيب فيها كما تكنس
الظبا بان تستتر في كناسها بعد الطلوع والخنس هو التاخر ومنه الخنس في الانف تاخر في الوجه
يقال رجل اخنس وامراة خنسا وسمي الاخنس بن شريق بهذا الاسم لتاخره يوم بدر عن اصحابه ومنه الخناس
وهو الشيطان لانه يغيب عن اعين الناس وعن عبد الله بن مسعود انه قال اراد بالخنس هاهنا الظبا وبقر
الوحش تغيب في كناسها بعد الطلوع الا ان الاول اقرب الى ظاهر الاية والى ما قبلها وما بعدها وقد روي
عن الاصبغ بن نباتة انه قال كنت عند امير المومنين علي كرم الله وجهه اذ جاءه رجل من خثعم فقال يا امير المومنين

فلا اقسم

فلا اقسم بالخنس ما الخنس قال الست رجلا عربيا قال بلى ولكن اكره ان افسر القران على غير عربيتي فقال
الخنس هي النجوم الخمسة الزهرة والمشتري وبهرام وعطارد وزحل فقال له ما الكنس فقال يسقطهن اذا
سقطن وهن الجواري يخنسن حتى يكن القمر ويرجعن وراهن ولا يتقدمن كما يتقدم النجم وليس من نجم غيرهن الا
يطلع ثم يجري حتى يقطع المجرة واما قوله عز وجل والليل اذا عسعس فقد روي عن الحسن ومجاهد في معناه
اذا اقبل بظلامه وعن علي وابن عباس انهما قالا معناه اذا ادبر بظلامه والمعنيان متقاربان قال الشاعر
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا هو يريد ادبر بظلامه والعس طلب الشي
بالليل ومنه اخذ العسس واصله امتلا الشي بما فيه ومن ذلك يسمى قدح اللبن عسا واما تنفس الصبح
فهو ان تقاعد وامتداد حتى يصير نهارا بينا ومنه تنفس الصعدا وهو امتداد هوا الجوف بالخروج من الفم
والانف وقوله انه لقول رسول كريم جواب القسم بهذه الاشيا والهاء كناية راجعة الى القران وفي هذا
بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يات بالقران من ذات نفسه وانما اتاه به جبريل عليه السلام من عند
الله تعالى وهو رسول كريم ونظير هذه الاية قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين
وقوله تعالى ذي قوة صفة جبريل عليه السلام ومن قوته انه قلب مداين قوم لوط بقوادم جناحه
ورفعها الى السما ثم قلبها باذن الله تعالى من غير كلفة لحقته وقوله تعالى عند ذي العرش مكين معناه
عند خالق العرش ومالكه وجيه رفيع القدر يقال لفلان مكين عند الامير اي ذو قدر ومنزلة
عنده وقوله تعالى مطاع ثم اي في السموات يطيعه اهل السموات بامر الله ويقال فرض الله طاعته على
اهل السما كما فرض طاعة النبي صلى الله عليه وسلم على اهل الارض وقوله تعالى امين اي فيما يودي عن الله
عز وجل الى انبيايه عليهم السلام حقيق بالامانة فيه لم يخن ولا يخون وقوله تعالى وما صاحبكم
بمجنون من جواب القسم ايضا يقول وما محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تقول جهال قريش وفي هذا
بيان غاية جهلهم حيث نسبوا اعقل خلق الله الى الجنون والمجنون في اللغة هو المغطى على عقله لانه مستور
به وقوله تعالى ولقد راه معناه ولقد راى محمد جبريل عليه السلام بالافق الاعلى وهو مطلع الشمس
الذي يجي منه النهار فيبين للناس كما قال تعالى في سورة النجم علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى
وهو بالافق الاعلى وقد تقدم في تلك السورة ان جبريل عليه السلام كان ياتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة وان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته التي هو عليها الا
مرتين وقوله تعالى وما هو على الغيب بظنين قال بعضهم اراد به جبريل عليه السلام ليس بمتهم على
تبليغ الوحي والرسالة ولا يخيل بل هو صادق موثوق به وقال بعضهم اراد به نبينا صلى الله عليه وسلم
وفي الظنين قراتان من قراه بالظا فهي من الظنة وهي التهمة من قولك ظننت زيدا اذا اتهمته ومن
قراه بالضاد فهو من الضنة وهو البخل وقد تضمنت هذه الاية الحث على رسول الله تعالى في تبليغه
على الرافضة الذين يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين جميع الدين لكلهم وانما خص به الامام
واما قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم فهو رد على الكفار ايضا فيما كانوا يزعمون ان
النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه شيطان اسمه الرئي يتراءى له فيلقيه على لسانه واما الرجيم فهو الملعون
وهو المرجوم بالشهب وقوله تعالى فاين تذهبون خطاب للكفار معناه يقول اي طريق تسلكون
ابين من هذا الطريق الذي بينت لكم ويقال اين تذهبون بعقولكم عن معرفة ما بين الله لكم
من صحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القران الا عظة وتبعه
لجميع الخلق لمن شاء منكم ان يستمسك بطريقة الايمان وفي قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب
العالمين اعلام ان المشية والتوفيق والخذلان الى الله تعالى وانهم لا يعملون شيا من الخير والشر الا بمشية
الله عز وجل وقد اختلفوا في تفسير هذه الاية على قولين قال بعضهم هذا القران ذكر لمن شاء الله له ان يستقيم

وما تشاؤن اى تستقيمون الا ان يشا الله تعالى لكم ذلك وقال بعضهم هذا ذكر عام للعالمين
لمن شاء ان يستقيم استقام وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة كورت اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته ٥ **سورة انفطرت مكية**
وهي تسع عشرة اية بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء
انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما
قدمت واخرت ٥ معناه اذا السماء انشقت وانقضت والانفطار والانصداع والانشقاق نظائر ومن
ذلك الفطر لانه يقطع الصوم وينقضه ونظيره قوله ويوم تشقق السماء بالغمام واما الانتثار فهو
التساقط على وجه الارض ومنه النثار ومنه النثر في الكلام بخلاف النظم وقوله تعالى فجرت معناه
فتح بعضها في بعض ورفع الحاجز بين العذب والملح ومن ذلك الفجر لانه ينشق بالضياء وقوله تعالى بعثرت
معناه بحثت واثيرت وكشف عن الاموات ومن ذلك بعثرت الحوض اذا اثرته وجعلت اسفله اعلاه
وقوله تعالى علمت نفس جواب الشرط والمعنى عند ذلك علمت كل نفس ما قدمت من عمل وما اخرت منه
لم تعمله ويقال ما اخرت منه فقصرت فيه ويقال في معناهما ما قدمت من الطاعة والمعصية وما اخرت
من السنة الحسنة والسيئة فعمل بهما بعد موته ويقال في معناهما ما اسلفت من الخطايا وسوفت من
التوبة ٥ **قوله عز وجل** يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك
فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون الخطاب في هذه الايات للكفار والمراد بالانسان هاهنا كلدة
بن اسيد على ما جاء في التفسير ويقال ان الخطاب في هذه الايات للكافر والعاصي وقال لهما يوم ندبهما
اغتررت وتشاغلت عن طاعة الله تعالى وطلب مرضاته وهو الكريم الصفوح عن العباد الذي خلقك حتى
خلقك في بطن امك باليدين والرجلين وسائر الاعضاء لم يخلقها متفاوتة ولو كان احدى رجليك
اطول من الاخرى لم تكمل لك منفعتك وقوله فعدلك من قراه بالتشديد فمعناه جعلك معتدل
القامة في احسن صورة كما في قوله تعالى في احسن تقويم ويجوز ان يكون معناه التعديل من المزاج ومن
قراه بالتخفيف فيجوز ان يكون معناه التقويم يقال عدلت الشيء فاعتدل اي قومته فاستقام ويجوز
ان يكون معناه فصرفك الى اي صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر ويحتمل ان يكون معناه عدلك
بلبك الا انه حذف حرف الصفة وقوله تعالى في اي صورة ما شاء قال بعضهم ما هاهنا صلة والمعنى
في اي صورة شاء ركبك كما شاء من الحسن والقبح وغير ذلك ويجوز ان يكون ذكر الصورة هاهنا للتسمية
بالاعمام والاخوال وقال بعضهم ما هاهنا في موضع الشرط والمعنى ما شاء ان يركبك فيها ركبك وقوله
في اي صورة على هذا القول يتصل من حسن صورته ويقال هو وعبد المسيح والجن والاخنا والقراء بالتشديد
في فعدلك لانه في مع التعديل احسن والجمع العدل احسن وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اتى
على قوله ما غرك بربك الكريم قال جهله يا رب وعن قتادة انه قال امهالك يا رب ومن هذا قول
الشاعر ٥ غرك من ربك امهاله وستره طول مساويكا ٥ واما قوله تعالى كلا بل تكذبون
كلا ردع ومعناها لا تغتروا بعفو الله فتتركوا عبادة الله ويجوز ان يكون معناها حقا انكم لا تستقيمون
على ما توجبه نعمتي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون بالاسلام مع هذه النعم ويقال الدين
بالدين هاهنا يوم الحساب والجزاء وقوله تعالى وان عليكم لحافظين ابتدا اخبار من الله تعالى وليس
استحفاظ الله الملائكة علينا ليعلم من جهتهم ما لم يكن عالما به في الازل ولكن ليكون ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية وعن مجاهد انه قال ان الملائكة اذا راحوا وقد املى عليهم الخير راحوا طيبة انفسهم
واذا راحوا وقد املى عليهم الشر راحوا حرجة انفسهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال

حتى كل احد ياوي الى مضجعه على فراشه الا بكت اعضاؤه الى الله مما يجني عليها الانسان ٥ وفي قوله
يحتمل كراما كاتبين بيان ان الحفظة كرام على الله تعالى ليكون ادعى الى احترامهم والاستحياء
من فعل ما يوذيهم وقوله تعالى يعلمون ما تفعلون قال الحسن ما تفعلون في الظاهر دون
الباطن اي دون ما يعتقدون ويقال يعلمون ما تفعل الانسان بعلمه بالدلائل كما نعلم
نحن ينصد الى كلامنا وامرنا ونهينا بالاستدلال وعن ابن مسعود انه قال يكتبون كل شيء حتى
الانين ونظير هذه الاية قوله وكل صغير وكبير مستطر ٥ **قوله عز وجل** ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ٥ اختلفوا في المراد
بالابرار والفجار في هذه الاية قال بعضهم اراد بالابرار الصادقين في ايمانهم واراد بالفجار الكفار
بدلالة قوله من قبل كلا بل تكذبون بالدين وقال بعضهم اراد بالابرار من عمل اعمال الاحسان
من المومنين واراد بالفجار من عمل الاساءة من الكفار والفساق ثم اختلف هولاء فقال بعضهم ان
قوله وما هم عنها بغائبين الى ان يقضي الله باخراج من كان فيها من اهل التوحيد واما اهل الوعيد
فيجرون هذا اللفظ على العموم وقوله تعالى يصلونها يوم الدين اي يدخلونها ويلزمونها يوم الجزاء
وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين اي ما اعلمك يا محمد ما ذلك اليوم في الشدة يدل على تكريره
ثم ما اعلمك يا محمد ما ذلك اليوم في التعظيم على الابرار وانما ذكر بلفظ الاستفهام لان ذلك يكون
يبينها عليه بطريق الطلب وذلك ابلغ من طريق الخبر عنه وقوله يوم لا تملك نصبا على الظرف ويجوز
ان يكون نصبا على نزع حرف الخفض ومن قرا يوم بالرفع فهو صفة لقوله ما يوم الدين ومعنى لا تملك
نفس لنفس لا تملك احد لاحد نفعا ولا ضرا لان الامر يومئذ لله في ضر العباد ونفعهم دون غيره ويقال
انما خص ذلك اليوم بقوله والامر يومئذ لله لانه تعالى لم يملك احدا في ذلك اليوم شيئا من الامور
كما ملكهم في الدنيا وقال الواسطي الامر اليوم ويومئذ لم يزل ولا يزال لله الواحد القهار ولكن
الغيب بحقيقته لا يشاهده الا الاكابر من الاولياء ولو كشف الغطاء ما ازدادوا يقينا وانما العوام
اذا شاهدوا ذلك اليوم شعروا ان الامر كله لله وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الانفطار اعطاه الله بعدد كل قطرة من السماء حسنة واصلح له
شانه يوم القيامة ٥ **سورة المطففين نزلت على رسول الله صلى الله عليه**
وسلم بين مكة والمدينة في مهاجره الى المدينة فاصلحت الى المدينة وقال انها
مدنية الا ثمان ايات قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخر السورة وقال بعضهم السورة
كلها مكية وعدد اي السورة ثلثون وست ايات بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ٥ الويل الشدة
في العذاب وهي كلمة يستعملها كل من وقع في الهلكة وهي هاهنا رفع بالابتدا وخبرها
للمطففين والتطفيف التنقيص في الكيل والوزن والطفيف الشيء القليل واناء طفان اذا لم يكن
ملآنا وانما قيل للفاعل من هذا مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء الخفي
ماخوذ من طف الشيء وهو جانبه وقوله الذين اذا اكتالوا معناه الذين اذا اخذوا ما على الناس اخذوا
تمام حقوقهم على الوفا واذا كالوا للناس او وزنوا لهم ينقصون في الكيل والوزن يقال اكتلت
من فلان اذا اخذت منه واكتلت عليه اذا اخذت ما عليه والاستيفا طلب الوفا ويقول الرجل
كلتك الطعام يعني كلت لك الطعام ومنهم من يقف على كالوا وانه يبتدي بقوله هم كما في قوله واذا

ما عصبوا ام يتعيرون الا ان القول الاول هو الاظهر لانه لم يكن ههنا بالالف والاحسار
والخسران بمعنى واحد واطلاق لفظ المطفف لا يتناول الا من يتفاحش منه التطفيف بحيث لو وقع
في ذلك المقدار في التفاوت بين الكيلين لعدلين لزاد عليه واما الاقنام من الناس فانهم يجتهدون
في استيفا حقوقهم ان يكون ذلك اميل الى النقصان وفي ايفا ما عليهم ان يكون اميل الى الرجحان
كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى دينه فارجح فسيل له في ذلك فقال انا كذلك نزن وفي
قوله الا يظن اولئك بيان ان التطفيف ليس من عمل من يعلم انه مبعوث للحساب بيوم عظيم وهو يوم
القيمة كانه قال لو علموا انهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن وعن عبد الله بن عباس انه
كان يقول يا معشر الاعاجم انكم قد ابتليتم بامرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال
والميزان وكان الحسن يقول نزلت هذه الاية في الموحدين وما امن بانهم من طفف في الميزان وقال
الكلبي بل هم المشركون وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولاحدهم اناءان ياخذ
باحدهما ويعطي بالاخر منها هم فلم يسهوا حتى نزلت هذه السورة واما قوله تعالى يوم يقوم الناس
نفيه بيان صفة ذلك اليوم وقال الكلبي يقومون مقدار ثلثمائة سنة لا يؤذن لهم
فيقعدوا قال ويهون على المؤمنين بقدر انصرافهم من الصلوة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يقوم الناس لرب العالمين حتى ان احدهم ليغيب في رشحه الى انصاف اذنيه وحتى
يقول الكافر رب ارحني ولو الى النار ه قوله عز وجل كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما
يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون ه المعنى ليس الامر على ما يظنون انهم لا يبعثون للحساب وهذا على
قول من يقول في كلا انها كاف التشبيه دخلت على لا وشددت للمبالغة في الزجر وقال انها كلمة
ردع اي ارتدعوا عن التطفيف وهذه كلمة جارية مجرى الاصوات كنحو صه ومه وقوله تعالى
ان كتاب الفجار لفي سجين قال عبد الله بن عباس السجين صخرة تحت الارض السابعة وهي التي عليها
الارضون مكتوب فيها عمل الفجار وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول
ليس ذلك مما يعلمه انت ولا قومك لانكم لم تعلموه ثم فسره فقال كتاب مرقوم اي مثبت عليهم في تلك
الصخرة كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به ومعنى الرقم على هذا القول هو الطبع في الحجر وقال
ان معنى السجين هو الضيق الشديد وهو فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب والمعنى ان اعمالهم
كتبت عليهم في ديوان المناقشة والاستقصاء بما يقع في ذلك وتشديد عليهم وقال معنى السجين
ههنا بطلان اعمالهم هباء بلا محمدة ولا ثواب كما يقال لمن يسقط قدره فلان خالط التراب وسفل
الى الحضيض وبلغ الثرى وما اشبهه من الكلام في معنى النقص والذلة ونظير هذا قوله تعالى يمحق الله
الربو ويربي الصدقات وذلك انه كان قصدهم من الربوا الزيادة في المال فبين الله تعالى ان الربو لا يزيد
المال كذلك كان قصدهم من التطفيف تكثير مالهم فبين الله تعالى ان ذلك لا يفيدهم ما يريدون واما
قوله تعالى وما يكذب به الا كل معتد اثيم فهذا قيل انه نزل في الوليد بن المغيرة وكان اذا قرئ عليه
القران قال هو احاديث الاولين واباطيلهم التي سطروها في الكتب جهرة الا برعامه في كل كافر يقول
مثل مقالته والمعتدي هو المتجاوز عن الحق في المعصية والاثيم كثير الاثم وقوله تعالى كلا بل ران
معناه حاشا ان يكون القران اساطير الاولين بل غلب على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية
يقال ران الخمر على عقله اذا اسكر فغلبت على عقله وقال في معنى الرين انه كثرة الذنوب التي تحيط بقلوبهم

حتى لا

حتى لا تذكرها قلوبهم وحتى لا يجد الحق اليها سبيلا وليس معنى الرين انهم ممنوعون عن الايمان ولكن
يصرون على الذنوب فلا يتوبون ولذلك قال ما كانوا يكسبون والرين كالصدا يغشى على
القلب وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال مجاهد هو الطابع وفي الحديث
المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اخطا خطيئة كانت نقطة سودا
في قلبه فهو الرين الذي قال الله تعالى في كتابه كلا بل ران على قلوبهم واما قوله تعالى انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون معناه حقا انهم عن رحمة ربهم وكرامته لممنوعون ثم انهم مع كونهم ممنوعين عن الجنة
ونعيمها لداخلوا النار غير خارجين منها ابدا ثم يقال لهم على وجه التوبيخ لقلوبهم مستهزئا بهم على طريق الذم
هذا الذي كنتم به تكذبون في دار الدنيا وعن عبد الله بن عباس انه كان يقول يستدل بهذه الاية
على اثبات الروية فان تخصيص الكفار بالحجب دليل على ان المؤمنين لا يحجبون والحجب في اللغة هو
المنع ومن ذلك يقال ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس ثم اعلم الله تعالى ان محل كتاب
الابرار فقال عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب
مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة
النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم
عينا يشرب بها المقربون ه معناه حقا ان اعمال الابرار وهم الصادقون في ايمانهم لمكتوبة
في اعلى الامكنة فوق السما السابعة وقوله وما ادراك ما عليون تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم
ان ذلك غير معلوم وستعرفه وقوله تعالى كتاب مرقوم تفسير للكتاب الذي في عليين اي اعمالهم
مكتوبة في لوح من زبرجد خضر تحت العرش يحضر ذلك الكتاب سبعة املاك من مقربي اهل كل
سما اعظاما لذلك الكتاب وتشريفا له وفي اعظام كتاب المرء ورسوله اعظام له وعن كعب انه قال
السجين الارض السفلى اليها تذهب باعمال الكفار وعليون قائمة العرش اليمنى اليها ترفع ارواح المؤمنين
وقد اختلفوا في العليين قال بعضهم في جمع العلية وهي المرتبة العالية المحفوفة بالجلالة وجمعت
بالواو والنون تفخيما لشانها بالتشبيه بمن يعقل ونظير ذلك عزون وعضون وقال بعضهم معناه
علو على علو مضاعف وجمع بالنون لان الجمع قد يكون بحيث لا يعرف له واحد ولا اثنان كما يقال هذه
قنسرون ورايت قنسرين وكذلك يقال ثلثون الى تسعين ولو كان ثلثون جمع ثلثة لقيل تسعة ثلاث
او ثلثون ولكنه اسم على حدة وقد قال الشاعر قد رويت الا الدهيدهينا قليصات وابيكرينا
فجمع الدهداه بالياء ولا واحد من لفظه وقال ان عليين جمع علي وهو فعيل من المبالغة في وصفه
بالعلو وذلك نعت للملائكة الموكلين بكتب الاعمال ومعنى في ههنا معنى مع كما في قوله لندخلنهم
في الصالحين واما قوله ان الابرار لفي نعيم ومعناه ان الصادقين في ايمانهم لفي نعيم دائم من نعيم الجنة
ويسمى الابرار لغلبة البر والصدق عليهم وقوله تعالى على الارائك اي على السرر من الدر والياقوت
في القباب المضروبة فوق رؤسهم ينظرون الى نعيم الجنة تعرف في وجوههم الا انهم بريقا لنعيم
وحسنا يسقون من خمر صافية خالصة من الغش مختوم بالمسك قال قتادة تمزج لهم بالكافور
ويختم بالمسك ومعنى هذا الكلام انهم اذا شربوا من ذلك الشراب الختم ذلك بطعم المسك وريحه
وقال معنى المختوم ههنا ان ذلك الشراب يكون مختوما بالمسك بدل الطين الذي يختم مثله الشراب
في الدنيا فهو مختوم بالمسك يوم خلقه الله تعالى لا يفك خاتمه حتى يدخل اهل الجنة الجنة فيفك هناك لهم
تعظيما لشرابهم والخاتم والختام متقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر وكذ
الختم والخاتم بكسر التاء الفاعل في قراءة امير المؤمنين علي كرم الله وجهه خاتمه بنا منصوب به
الا انه قيل هو قرا بعضهم خاتمه بكسر التاء يريد اخره وقوله وفي ذلك معناه وفي مثل هذا النعيم فليرغب

الراغبون وليجتهد المجتهدون لأجل النعيم الذي هو مكدر سريع الفناء والتنافس في اللغة
تمني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس أن يكون له وقوله تعالى ومزاجه من تسنيم معناه ومزاج
الرحيق من عين تنزل عليهم من ساق العرش وإنما سميت بهذا الاسم لأن ماء تلك العين تتسنم عليهم
وتنصب انصبابا من فوقهم في منازلهم تعلو على كل شيء تمر به تقول العرب سنمتهم العين تسنيما إذا
أجريتها عليهم من فوق رؤوسهم ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وذلك أن الشراب إذا كان
أعلى كان أطيب وأهنأ وقوله تعالى عينا منصوب على أحد وجهين أحدهما أن التسنيم معرفة وعينا
نكرة والثاني على الحال أي في الحال التي تكون عينا لا ماء راكدا وقوله يشرب بها المقربون
معناه يشربها أفاضل أهل الجنة صرفا بغير مزاج ويشربها سائر أهل الجنة بالمزاج فالباء في قوله بها
زائدة على هذا القول كما في قوله تنبت بالدهن ويجوز أن يكون معنى يشرب بها يشرب منها فإن هذه
الحروف يقام بعضها مقام بعض والمزج في اللغة خلط المائع بمائع آخر على خلاف صفته كمزج
الخمر بالماء والشراب بالماء وعن الحسن أنه قال أفضل الناس عند الله يوم القيامة أنفعهم للناس في الدنيا
وإن المقربين عند الله يوم القيامة هم المصلحون بين الناس ه **قوله عز وجل** إن الذين أجرموا
كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم
انقلبوا فاكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون
معناه أن الذين أشركوا وهم أبو جهل وأصحابه كانوا يضحكون من ضعفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان كانوا يستهزئون بهم ويعيرونهم على الإسلام وإذا مر بهم أحد
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم جلوس يتغامزون بالطرف طعنا عليهم وكانوا يقولون انظروا
إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا يطلبون بذلك نعيم الآخرة بزعمهم وكانوا إذا رجعوا إلى
أهلهم رجعوا ناعمين فرحين معجبين بما هم فيه لا يبالون بما فعلوا بالمؤمنين ويقولون إنهم ضالون
عن الصواب باتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى وما أرسلوا عليهم حافظين أي ما
أرسل الكفار ليحفظوا على المؤمنين أفعالهم فما أمروا بذلك إنما أرسل المؤمنون ليحفظوا على الكفار
أفعالهم فيشهدوا عليهم يوم القيامة فاليوم وهو يوم القيامة الذين صدقوا بتوحيد الله ونبوة رسله يضحكون
من الكفار قصاصا وشماتة بهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وقوله تعالى على الأرائك ينظرون
أي على السرر في الحجال جالسون ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون وذلك أنه يفتح بينهم وبين
الكفار باب إلى الجنة فإذا نظر الكفار إلى ذلك الباب أقبلوا نحوه يسحبون في النار فإذا انتهوا
إلى الباب سد عنهم فعند ذلك يضحك المؤمنون وهم على الأرائك في الدرجات ويقال يطلعهم الله تعالى
على أهل النار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا فيرونهم وهم في النار يدورون فيها كما يدور الرحا
و[illegible] تغلي من حر النار فيقول المؤمنون هل ثوب الكفار أي هل جوزوا على سوء صنيعهم
واستهزائهم بنا ويجوز أن يكون قوله هل ثوب الكفار من قول الله تعالى ومعناه التحقيق
وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق
المختوم ه **سورة انشقت مكية وهي ثلث وعشرون آية عند**
البصريين والشاميين وخمس وعشرون عند الباقين ه بسم الله الرحمن الرحيم
إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت
وأذنت لربها وحقت يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتي كتابه
بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره

فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان
به بصيرا ه قال مقاتل وذلك أن أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي وكان مسلما جادل أخاه
الأسود بن عبد الأسد في الإسلام والخبر بالبعث فقال له الأسود قد أكثرت علي ويحك
أترى أني مصدق أئذا كنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون فأين السماء والأرض يومئذ وما حال
الناس يومئذ فنزلت هذه السورة والمعنى والله أعلم واذكروا إذا السماء انشقت أي حين تنشق
لنزول الملائكة وهيبة الرب جل ذكره ثم أخبر عن طاعتها لله فقال وأذنت لربها أي سمعت وأطاعت
وحقت أمر ربها وحق لها أن تفعل ذلك يقال أذنت للشيء إذا سمعته وأذنته إذا أسمعته ولذلك
سمي الأذان أذانا قال الشاعر في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار ه
وقال آخر صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ه
وقوله تعالى وإذا الأرض مدت أي بسطت بسط الأديم العكاظي فجعلت كالصفيحة الملساء
لا يبقى جبل ولا بناء ولا شجر إلا دخل فيها وألقت الأرض ما في بطنها من الأموات والكنوز وتخلت
عن ذلك كما كانت من قبل وسمعت وانقادت بأمر ربها وحق لها أن تسمع وتطيع وقد ذهب بعض
المفسرين إلى أن جواب إذا في هذه السورة محذوف على تقدير رأى الإنسان عند ذلك ما قدم من
خير أو شر وقال أن جوابه في قوله فملاقيه والمعنى إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان كدحه
وهو عمله وقد اختلفوا في الخطاب الذي في قوله يا أيها الإنسان وروي عن عبد الله بن عمر
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة ثم قال أنا ذلك الإنسان أنا أول من تنشق الأرض عنه
يوم القيامة فأجلس جالسا في قبري ثم يفتح لي باب إلى السماء حيال رأسي فأنظر إلى عرش ربي ثم يفتح لي
باب إلى الأرض السفلى حتى أنظر إلى الثور والثرى ثم يفتح لي باب عن يميني حتى أنظر إلى الجنة وإلى منازل
أصحابي وإن الأرض تحركت تحتي فأقول لها ما لك أيتها الأرض فتقول إن ربي أمرني أن ألقي ما في
جوفي وأن أتخلى فأكون كما كنت إذ لا شيء في والمعنى على هذا القول إنك عامل لربك عملا فملاقيه
ذلك ترجع إليه بحالك وقال بعضهم الخطاب للمكذب بالبعث وهو أبي بن خلف ويقال
أبو الأشدين والمعنى إنك عامل [illegible] في الآخرة [illegible]
الخطاب لجميع الناس والكدح في اللغة هو السعي والدؤوب في العمل في باب الدنيا والآخرة
قال ابن مقبل وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح ه
والكدح [illegible] السعي والمعنى على هذا [illegible] الإنسان إنه
ما عملت من خير أو شر [illegible]
فأما من أوتي كتابه بيمينه أي أعطي كتاب عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا هينا والحساب
الهين أن يعرف [illegible] أعماله [illegible] من الثواب ويحط عنه من الأوزار ويخرج مما عليه من المظالم
وينقلب إلى أهله من الحور العين وإلى من دخل من المؤمنين مسرورا بما هم عليه وعن عائشة رضي الله عنها
أنها قالت قلت يا رسول الله [illegible] المؤمنين قال يا عائشة من حوسب عذب
قلت يا رسول الله يقول الله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال يا عائشة
ليس ذلك الحساب ذلك العرض من نوقش الحساب عذب وعن ابن عمر قال إذا أراد الله [illegible]
[illegible] قد عرفت [illegible] كذا وكذا [illegible]
ثم يقول الله إني قد غفرت لك ثم يعطيه كتاب حسناته بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه
وأما قوله تعالى وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فالمراد به الكافر تكون يمينه مغلولة إلى عنقه ويلوي
يده اليسرى من وراء ظهره ويدفع كتابه إليه [illegible]

ما لسد بلاغ

على نفسه ويا ويلاه ويا ثبوراه ويا سوء الهلاك ويصلى سعيرا اي يدخل نارا موقدة ومن قرأ
ويُصَلَّى فهو على وجه المبالغة اي يكثر عذابه في النار وقوله تعالى إنه كان في أهله مسرورا
خرج مخرج الذم اي كان مسرورا في الدنيا بمعاصي الله تعالى وكان لا يحزنه خوف القيمة وكان
يقطعه الشيء وربما هلك عما كان يلزمه من فروض الله تعالى إنه ظن في الدنيا أن لن يرجع إلى الله في الآخرة
فلذلك كان يركب المآثم بلى ليرجعن إلى ربه بعد البعث إن ربه كان به بصيرا اي عالما به قبل ان
خلقه بأن مرجعه ومصيره إليه والحور في اللغة هو الرجوع قال لبيد
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد ما هو ساطع ه قوله عز وجل فلا
أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون
وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون ف
بشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون معناه اقسم برب
الشفق ولا هاهنا صلة والشفق عند اكثر اهل العلم الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس
واما في قول ابي حنيفة رحمه الله فالبياض من الشفق ايضا والشفق في الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا كان
رقيقا ومنه الشفقة رقة القلب واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة ولان اجزاء
الضياء في البياض ادق من الحمرة اكثر وقوله والليل وما وسق معناه وما جمع وضم إلى ثامنه ومبيته
مما كان منتشرا في النهار يقال طعام موسوق اي مجموع في الغرائر والوسق من الطعام ستون صاعا
والواسق هو الذي يجمع الابل ويطردها والوسيقة نسل الابل اذا جمعت ويقال في معنى وسق ها هنا
ما ساق من شيء الى حيث ياوي فان صح هذا فهو من المقلوب لان اصل ساق سوق وعن ابن عباس
انه احتج على هذا القول ببيت من الشعر ان لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا
وقوله تعالى والقمر اذا اتسق معناه اذا اجتمع ضوءه وتكامل واستدار في الليالي البيض والاتساق
افتعال من الوسق يقال اتسقت الامور اذا استوت وتكاملت وقوله تعالى لتركبن جواب
القسم وهو خطاب بجميع الناس اذا قرأت برفع الباء على الجمع والمعنى ايها الناس لتركبن يوم القيمة
حالا بعد حال وشدة بعد شدة تقول العرب وقع فلان في بنات طبق يريد الدواهي والعظائم
ويقال اراد بالآية تغير الاحوال من حال النطفة الى حال العلقة ومن العلقة الى المضغة ومن المضغة
الى الصغر ومن الصغر الى الشباب ومن الشباب الى الكهولة ومن الكهولة الى الكبر ومن الكبر الى
الموت ومن الموت الى البعث ومن البعث الى الحساب ومن الحساب الى الصراط ومن الصراط الى موضعه
اما الى الجنة واما الى النار وعن عبد الله بن عباس ان هذا راجع الى موقف القيمة وهي تشتمل على خمسين
موقفا كل موقف كالف سنة مما تعدون وقال بعضهم اراد به ركوب طبقة عن طبقة في الدنيا
وذلك ان من كان على صلاح دعاه الصلاح الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه
لان كل شيء يجر الى شكله ويقال الخطاب للمؤمنين لارتفاع امرهم في الظهور على الكفار ويقال
في عروج ارواح المؤمنين الى طبقات السماء ومن قرأ لتركبن بنصب الباء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه تعالى وعده في هذه السورة ان يصعد الى اطباق السماء سماء بعد سماء ليلة المعراج كما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال انتهيت الى السماء الدنيا في مقدار ما يخرج الرجل من مكة الى منى ثم انتهيت
الى الثانية والثالثة في مقدار ذلك والرابعة حتى انتهيت الى سدرة المنتهى قال اهل العلم قطع النبي صلى الله
عليه وسلم مسيرة ثمانية وعشرين الف سنة في ليلة واحدة واما قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون معناه ما لهؤلاء
المشركين لا يؤمنون بهذا القرآن وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بعد ظهور الحجج والادلة
واذا قرئ عليهم القرآن لا يصلون لله ولا يخضعون بل الذين كفروا يكذبون جهلا وذلك منعهم من الحق

الله

الله وفي هذا دليل وجوب سجود التلاوة لانه ذمهم على تركه عند السماع وظاهر الآية يقتضي
وجوب السجود عند سماع سائر القرآن الا انا خصصنا منه ما عدا مواضع السجود بالاجماع
واستعملناه في مواضع السجود اذ لو لم نفعل ذلك لالغينا حكم الآية راسا وقوله تعالى والله اعلم
بما يوعون اي بما يضمرون في قلوبهم والايعاء جعل الشيء في الوعاء والقلوب اوعية لما يحصل فيها
من معرفة او جهل لذة او عقيدة خيرا وشرا وقوله تعالى فبشرهم اي اخبرهم بعذاب اليم مكان البشارة
للمؤمنين بالنعيم المقيم وقوله تعالى الا الذين آمنوا يحتمل ان يكون معناه الا الذين آمنوا منهم
ويحتمل ان يكون معناه لكن المؤمنين المطيعين على الاستثناء المنقطع لهم اجر اي ثواب غير مكدر
عليهم بالمن عليهم ويقال لا ينتقص عليهم لانه يجري لهم في حالة انكسته يقال منت الحبل اذا قطعه
وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة انشقت اعاذه الله
من ان يعطيه كتابه وراء ظهره وبالله التوفيق ه

سورة البروج مكية وهي اثنان وعشرون آية بلا خلاف ه

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات
الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد قال
عبد الله بن عباس اقسم الله تعالى بالسماء ذات النجوم ويقال اراد بالبروج القصور على ما روي
ان في السماء قصورا تسكنها خلق من خلق الله تعالى والاظهر ان البروج ها هنا منازل الكواكب السبعة
سميت بروجا لارتفاعها وسعتها وهي اثنا عشر من الحمل الى الحوت يسير الشمس في كل برج ثلثين
يوما وبعض يوم ويسير القمر في كل برج يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم
يستتر في ليلتين واما اليوم الموعود فهو يوم القيمة وعد اهل السماء واهل الارض ان يصيروا الى
ذلك اليوم لفصل القضاء واما قوله وشاهد ومشهود فقيل ان الشاهد هو النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء والمشهود يوم القيمة كما قال تعالى وذلك يوم مشهود
وقيل ان الشاهد جميع الانبياء كما قال تعالى ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
والمشهود جميع الامم بدليل هذه الآية ويقال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة كما روي عن
سعيد بن المسيب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الايام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم
عرفة والموعود يوم القيمة ويقال الشاهد يوم النحر وجواب القسم على قول بعضهم قتل اصحاب الاخدود
وهذا فيه مضمر كانه قال لقد قتل اصحاب الاخدود والمعنى لعنهم النار والاخدود شق يشق في الارض
ويجمع اخاديد ويجوز ان يكون معنى قتل لعن على الدعاء عليهم كما في قوله تعالى قاتلهم الله والقصة في
هذا ما روي ان رجلا من النصارى كان اجر نفسه من رجل من اليهود ليعمل له فرات ابنة المستاجر
النور في البيت بقراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله عن ذلك فلم يجبه فلم يزل
به حتى اخبره انه على دين عيسى عليه السلام وكان ذلك قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم فتابعه هو
وسبعة وثمانون انسانا من بين رجل وامرأة فاخبر بذلك ملك اليهود واسمه يوسف بن ذي نواس
الحميري فخد لهم في الارض واوقد فيها النار وطرح فيها النفط والقطران والقصب وعرضهم على
اليهودية فخيرهم بين ان يتهودوا او يقذفوا في النار فمن رجع عن دين عيسى ترك وكان في آخرهم امرأة معها
صبي رضيع فلما رأت النار تصدت فقال لها الصبي يا امه قفي ولا تنافقي فما هي الا غميضة فصبرت
فالقيت في النار وارتفعت النار بعد ذراعا فاحرقت اليهود الذين كانوا حول الاخدود فاعلم
الله قصة هؤلاء القوم من النصارى الذين بلغت بصيرتهم ان صبروا حتى قضى بهم الصبر الى ان حرقوا بالنار

خلق و

ذات الله تعالى هكذا روي عن ابن عباس ومقاتل وعن عطية انه قال خرجت عنق من النار فاحرقت
الكفار عن آخرهم واما قوله النار ذات الوقود فمعناه ذات الحطب والنفط وقال ابن زيد الوقود
ابدان الناس وليس كل نار ذات وقود كنار الحجر ونار الكبد والقعود جمع قاعد كالشهود جمع شاهد
وكان الكفار قعودا على شفير الاخدود على الكراسي وقوله تعالى وهم على ما يفعلون
وهم على ما يفعله الجلاوزة والذين كانوا يلقون المؤمنين في النار شهود يرون ذلك منهم فهو كقوله
نفس ما يولون بايديهم لا باهلاك غيرهم اياهم وفي قوله تعالى وما نقموا منهم بيان ما لاجله قصدوا
احراق المؤمنين يقول وما طعنوا ولا انكروا عليهم شيئا الا ايمانهم بالله المنيع بانتقامه من عصاه
المستحق للحمد على كل حال الذي له القدرة على اهل السموات والارض وهو على كل شيء
عالم يجزي كل عامل ما عمل ويقال ان اصحاب الاخدود كانوا من الذين يعبدون الصنم فدعوا هؤلاء
المؤمنين الى عبادة الصنم واحرقوهم لذلك ٥ قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ٥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ
وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ معناه الذين احرقوا وعذبوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا من ذلك فلهم عذاب جهنم في الآخرة مع عذاب الحريق الذي اصابهم
في الدنيا ويقال اراد بالفتنة الامتحان وهو قولهم للمؤمنين ان رجعتم عن الايمان والا قذفناكم
في النار وهذا هو الاكراه وهو من اعظم الفتن في باب الدين وقد يقال فتنت الشيء اذا احرقته
ومنه الحجارة السود التي كانها محرقة وفي هذه الآية تنبيه على ان هؤلاء الكفار لو تابوا بعد الكفر
والقتل لقبلت توبتهم وفي هذه الآية دليل على ان الاولى بالمكره على الكفر ان يصبر على ما خوف
به وان اظهار كلمة الكفر كان رخصة له في ذلك ولو صبر حتى قتل كان اعظم لاجره لانه تعالى اثنى على
الذين قتلوا في الاخدود وبين ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار واما قوله تعالى ان بطش ربك
لشديد فهو ابتداء كلام ويقال انه جواب القسم المذكور في اول السورة ويقال ان جواب ذلك
القسم محذوف تقديره والسماء ذات البروج لتبعثن يوم القيامة ولتحاسبن على اعمالكم والبطش في
اللغة هو الاخذ بالعنف على سبيل الغضب والقوة ونظير ذلك قوله ان اخذه اليم شديد وفي هذا تخويف
لكل من اقام على الكفر وقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد اي يخلق الخلق اول الامر في النطفة ويعيدهم
بعد الموت خلقا جديدا وهو كثير التجاوز والستر على عباده كثير المحبة للمؤمنين باحسانه اليهم
والانعام عليهم وقوله تعالى ذو العرش المجيد معناه ذو العرش الشريف والمجيد في اللغة هو العظيم
الكريم بما يكون منه من الخير ومن قرأ المجيد بالرفع فهو نعت الله على صفة ذو ومن خفض على صفة
العرش واما تخصيص العرش في الآية فلان ذلك من اعظم ما خلقه الله تعالى وفي ذكره بيان
عظمة مجده على جميع ما خلقه الله تعالى وقوله تعالى فعال لما يريد اي يفعل ما يشاء لا احد يمنعه ولا رافع
لا يسعه مانع ٥ قوله عز وجل هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٥ معناه هل بلغك
يا محمد حديث الجموع من الكفار كيف فعلوا وكيف فعل الله بهم وهذا استفهام بمعنى التقرير
وانما خص فرعون وثمود بالذكر من بعض الجنود لاختصاصهم بكثرة العدد والعدد وقوله تعالى
بل الذين كفروا معناه بل هؤلاء المشركون في تكذيب بك وبما انزل اليك معرضين عما اوجب
الاعتبار بفرعون وثمود كانه جل ذكره يقول لم تذكرهم امثال من قبلهم من المكذبين وما حل بهم من النقمة
ليعتبروا ويرتدعوا فلم يفعلوا بل هم في تكذيب وعلم الله محيط بهم وقدرته مشتملة عليهم بل هذا الذي

اتى به

اتى به محمد صلى الله عليه وسلم قرآن شريف كريم ليس كما يزعمون انه شعر او سحر او اساطير الاولين وكتب
في لوح محفوظ عند الله وهو ام الكتاب ومن قرأ محفوظ بضم الظاء فهو نعت القرآن وهو محفوظ
من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير لانه معجز لا يقدر احد ان يزيد فيه وعن ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة البروج اعطاه الله من الاجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم
عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات ٥

سورة الطارق مكية وهي سبع

عشرة آية ٥ بسم الله الرحمن الرحيم ٥ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ
مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ٥ اول السورة قسم وجواب القسم ان كل نفس والطارق كل ما اتى ليلا فسمي
بهذا الاسم لان اصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانه يدق بها والطريق لان المارة تدقه بارجلها
والطارق يأتي وقت يحتاج فيه الى الدق للتنبيه ويقال سمي بهذا الاسم لان الليل يسكن فيه ومن قولهم
اطرق فلان اذا امسك عن الكلام وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم
من شأنه وتنبيه على موضع العبرة يقول لم تدر حتى علمتك وقوله النجم الثاقب تفسير للطارق والنجم
هو الطالع في السماء كالدرة البيضاء ويقال لكل طالع ناجم ومن ذلك نجم النبت والسن والقرن
واما الثاقب فهو المضيء الذي من النجوم كلها وعن ابن عباس [illegible] كانه يثقب مكانا
يظهر ويقال ثقبت النار ثقوبا اذا اضاءت فاضاءت وثقب لسانها ويقال معنى الثاقب العالي الشديد
العلو تقول العرب للطائر اذا لحق بطن السماء ارتفاعا قد ثقب كانه ثقب الجو الاعلى وعن امير المؤمنين
علي كرم الله وجهه انه قال في هذه الآية هو زحل يطرق من السماء السابعة بالليل الى السماء الدنيا
ثم يرجع عند الصبح وقوله ان كل نفس لما عليها حافظ قال بعضهم ما هاهنا صلة كما في قوله تعالى فبما رحمة
من الله اي برحمة من الله والمعنى ان كل نفس عليها حافظ من الملائكة يحفظها ويحفظ عليها عملها واجلها
حتى اذا انتهت الى المقادير كفت عن الحفظ ومن قرأ لما بالتشديد فالمعنى ما كل نفس الا عليها
حافظ كما يقال سألتك لما فعلت اي الا فعلت وفي ذكر الحفظة في هذه الآية بيان ان [illegible]
لان الآدمي اذا علم انه محفوظ عليه عمله كان ادعى له الى ان يكون اسبق الى الخيرات واحذر من السيئات وقوله
تعالى فلينظر الانسان مم خلق [illegible]
[illegible]

وذكر الكلبي ان هذه الايات انما انزلت في ابي طالب وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس ياكل اذا انحط نجم فامتلا ماء ثم نورا ففزع ابو طالب فقال
اي شي هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى فانزل الله هذه الايات

قوله عز وجل والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا

اقسم الله تعالى بالسماء ذات الرجع الراجعة في كل عام بالمطر بعد المطر على مقدار حاجة العباد اليه وبالارض الصادعة عن النبات
الذي هو قوت الخلائق ان القرآن حق فصل بين الخلائق ان القرآن حق يفصل بين الحق
والباطل وليس هو باللعب وقيل اراد بالرجع المطر لانه يرجع ويجي ويتكرر وهو مما ترده الرياح
واما قوله تعالى انهم يكيدون كيدا فمعناه يريدون الايقاع بك من حيث لا تشعر وذلك ان قوما
من الكفار تواطوا فيما بينهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم انه
يجازيهم جزاء كيدهم وذلك معنى قوله واكيد كيدا فمهل الكافرين اي اخرهم وانظرهم
ولا تعجل في طلب هلاكهم فان الذي وعدتك فيهم غير بعيد منهم وقوله تعالى امهلهم رويدا اي
اخرهم اجلا قليلا فسلطهم الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى رويدا الكلام مبني على التصغير وهو
تصغير رود يقال ارود به اروادا ورويدا وقد يوضع رويدا موضع الامر فيقال رويدا زيدا اي ارود
زيدا واصل الحرف من رادت الريح ترود رودا انا اذا تحركت حركة خفيفة ويجوز ان يكون رويدا
نصبا على المصدر كانه قال ارودهم رويدا وهذا يجري مجرى الاستثنا من قوله تعالى فمهل الكافرين
لان ذلك اعم لان التمهيل اكثر من الامهال لان زيادة الحرف تدل على زيادة الفعل وعن ابي بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السما
عشر حسنات وبالله التوفيق

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة داخلون معه في هذا الخطاب والمعنى صل لربك
ونزهه عن كل ما لا يليق به من الصفات وقل سبحان ربي الاعلى وقد يذكر الاسم ويراد به تعظيم
المسمى كما قال الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
ويجوز ان يكون معنى سبح اسم ربك نزه اسم الله عن ان تسمي به غيره وكان علي وابن عباس وابن عمر اذا قرا
احدهم اول هذه السورة قال سبحان ربي الاعلى والاعلى من صفات الله تعالى بمعنى العلي مثل الاكبر
بمعنى الكبير وليس هذا من علو المكان وانما معناه القادر القاهر الذي لا شي اقدر منه وقد قال
تعالى ان فرعون علا في الارض ولم يرد به الارتفاع في المكان وقوله تعالى الذي خلق فسوى
معناه الذي خلق الانسان وكل ذي روح فسوى خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وساير
الاعضا وقوله تعالى والذي قدر فهدى قال بعضهم قدر لكل شي شكله فالهمه ما يحتاج اليه
في امر معيشته وعرفه كيف ياتي الذكر الانثى وهو سبب النسل فسبحان من جعل الهداية في طلب الطفل
حتى طلب ثدي امه وميزه من غيره وهدى الفرخ حتى طلب الرزق من فم ابيه وامه وقال بعضهم معناه
قدر الله خلقه حسنا ودميما وقدر عليه السعادة والشقاوة وهدى كل مكلف من الضلال الى
الهدى ومن الباطل الى الصواب ومن الغي الى الرشد وقال بعضهم هداه السبيل اما شاكرا واما كفورا
وقال خلق الاشيا فسوى صنعها على وجه الحكمة وقدر الخلق على صورهم وعلى ما اخرجهم من الادراك

فهداهم

فهداهم الى معرفة توحيده وقوله تعالى والذي اخرج المرعى معناه انبت الكلا الاخضر بالمطر
للبهايم فجعله النبت بعد الخضرة يابسا باليا كالغثا الذي يقذفه السيل على جنبات الوادي وهو
اسود يضرب الى الحوة وهي السواد وقد يدخر النبت الاحوى لحاجة البهايم اليه وقد يكون ذلك حاليا
للناس وفي هذا كله اخبار عن قدرة الله تعالى وانعامه على العباد وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى معناه
سيقرا عليك جبريل عليه السلام القرآن بامرنا فلا تنساه ولم ينس النبي صلى الله عليه وسلم حرفا من
القرآن بعد نزول هذه الآية وفي هذه الآية اعلام من الله تعالى انه سيجعل للنبي صلى الله عليه وسلم
آية تبين بها فضيلته وذلك ان جبريل عليه السلام كان ينزل بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو امي لا يقرا كتابا ولا يكتب حرفا فاقراه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم ينس شيا منه وذلك كما
قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والاقرا في اللغة اخذ القراة على القاري بالاستماع منه
لتقويم الزلل وقوله تعالى في هذه الآية الا ما شا الله فقد تكلموا في ذلك قال بعضهم انما ذكر
الاستثنا بحسن النظم على عادة العرب بذكر الاستثنا عقب الكلام وهو كقوله خالدين فيها ابدا الا ما
شا ربك ومعلوم ان الله تعالى لم يشا اخراج اهل الجنة من الجنة ولا اخراج الكفار من النار ولكن
المراد منه ما ذكرناه وقال بعضهم معناه لا تنساه الا ما شا الله ان تنساه بان ينسخ تلاوته [illegible]
بان لا تقراه حتى تنساه على وجه الايام وهذا نسيان النسخ دون التضييع وقال بعضهم الا ما شا الله
ان تنساه ثم تذكره من بعد وقد قال بعضهم فلا تنسى شيا تحفظه الا ما شا الله ان تنساه من غير
القرآن وقوله تعالى انه يعلم الجهر وما يخفى اي يعلم ما تقروه العباد وتذكرونه في سر او جهر وقيل
يعلم العلانية من القول والعمل ويعلم السر وما لم يحدث الانسان به نفسه بعد وقوله تعالى
ونيسرك لليسرى معناه نسهل عليك طريق الجنة ونوفقك بان تعمل خيرا واليسرى في الفعلى من اليسر
وهي تسهيله عمل الخير وقال سميت الطاعة اليسرى لان اليسر فيها ولانها ميسرة لثواب الله تعالى
وقوله تعالى فذكر معناه عظ بالقرآن ان نفعت الموعظة وليس هذا على وجه الشرط فان الموعظة تنفع
لا محالة ولكن هذا كما يقول الرجل لغيره اذا ابتلي له الحق قد اوضحت لك ان نفعك ذلك بل يريد به البعث
[illegible]

قوله عز وجل سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

معناه سيتعظ بالقرآن من يخاف عذاب الله [illegible]

[illegible]

روي عن عمر بن عبد العزيز وأبي العالية قالا أدركوا الفطر ثم أخرج إلى الصلاة ويستدل أهل العلم بالآية الأولى على جواز افتتاح الصلاة بغير التكبير لأن الله تعالى ذكر الصلاة عقيب اسم الله إذ الفاء للتعقيب من غير التراخي فلا فصل في الآية بين التكبير وبين سائر الأذكار وأما قوله بل تؤثرون الحياة الدنيا فهو خطاب للكفار على قول بعضهم لأنه راجع إلى الأشقى الذي تقدم ذكره كأنه قال بل أنتم أيها الكافرون تختارون الدنيا على الآخرة فلا تعملون للآخرة وثواب الآخرة خير من الدنيا وما فيها وأدوم وقيل إن هذا الخطاب لجميع الناس لأنه خرج على الأعم الأغلب لأن الغالب أن الناس يسارعون إلى أعمال الدنيا وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الآخرة إلا كرجل أدخل إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وعن بعض الحكماء أنه قال لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لكان على كل عاقل أن يختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى وقوله تعالى إن هذا لفي الصحف الأولى كأن بعضهم أراد به قوله قد أفلح من تزكى هذا ممدوح في الصحف الأولى كما هو في القرآن وقيل المذكور في الصحف الأولى أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى وقيل أراد به السورة كلها وعن قتادة في تفسيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزلت علي السبع الطول مكان التوراة والمئين مكان الإنجيل والمثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل وعن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم عشر حسنات

سورة الغاشية مكية وهي عشرون وست آيات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية معناه قد أتاك حديث قيام الساعة وسميت القيامة غاشية لأنها داهية تغشى الناس وتعمهم أجمعين ويقال أراد بالغاشية نار جهنم تغشى أهلها من جميع الجوانب كما قال الله تعالى وتغشى وجوههم النار ويقال في معنى الآية قد أتاك يا محمد خبر القيمة ولم يكن أتاه حديثهم ثم أخبره فقال وجوه يومئذ وهذا كما قال في أقاصيص الأمم الأولين ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا والمراد بالوجوه أصحاب الوجوه ووجوه الكافرين والمنافقين خاشعة أي ذليلة في الآخرة لما رأت العذاب عاملة تجر في النار على وجوهها ناصبة أي في تعب وعناء من مقاساة العذاب قال الحسن لم تخشع لله في الدنيا فأخشعها في الآخرة وأعملها وأنصبها بمعالجة الأغلال والسلاسل ويقال أراد بالآية الرهابين وأصحاب الصوامع الذين يتعبون وينصبون في العبادة ثم لا يحصلون في الآخرة من ذلك على شيء لوقوع ذلك منهم لا على موافقة العلم ويقال هم الخوارج ويقال أراد به كل من عمل عملا خلط عمله بما يبطله من شرك أو رياء أو عجب وقوله تعالى تصلى نارا حامية أي تلزم نارا قد انتهى حرها فتعطف حامية في الآخرة على خاملة في الدنيا وقوله تعالى تسقى من عين آنية أي من عين متناهية في شدة الحر قال الحسن رضي الله عنه قد أنى طبخها مذ خلق الله الدنيا إلى تلك الساعة وهذا نظير قوله يطوفون بينها وبين حميم آن وأما الضريع فهو نوع من الشوك تسميه العرب الشبرق حين يكون رطبا فإذا يبس فهو الضريع تصير عند الجفاف كأظفار الهرة سما لا تقربه دابة وإنما ترعى الإبل في الربيع من ورقها وإنما سميت بهذا الاسم من المضارعة وهي المشابهة وذلك أنه يشبه عليهم أمره فيتوهمون أنه كغيره من النبت الذي يشبع ويقال لأنه يضرع آكله في الإعفاء عنه لخشونته وشدة كراهته وفي بعض التفاسير أنه لما نزل قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع قالت كفار قريش إن الضريع يسمن منه إبلنا فأنزل الله تعالى قوله لا يسمن ولا يغني من جوع أي لا يسمن من أكله ولا يسد جوعه وعن

ارحم

ابن جبير الضريع الحجارة كما قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة صفة أهل الجنة تقول وجوههم يومئذ نضرة حسنة جميلة آثار النعمة عليها ظاهرة وهي بعملها راضية لما أداها إليه من الثواب وذلك أنها في جنة مرتفعة في القدر والشرف ولا تسمع أصحاب تلك الوجوه فيها كلمة ذات لغو ولا حلفا كاذبا ولا كلاما باطلا وذلك أن سماع ما لا فائدة فيه يثقل على العقلاء ولا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم المقيم ويحتمل أن يكون قوله تعالى لا تسمع خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون خطابا لكل مكلف كأنه قال لا تسمع بها أيها الداخل ويجوز أن تكون اللاغية في معنى المصدر كالعافية والعاقبة وكما في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية أي بقاء ومن قرأ لا يسمع بضم الياء فهو نعت اللاغية قوله عز وجل

فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ٥ معناه فيها لكل إنسان في قصره عين جارية من كل شراب يشتهيه تجري له حيث يشاء على حسب إرادته ومحبته كما قال في موضع آخر يفجرونها تفجيرا فيها سرر مرفوعة مرتفعة في الهواء خطيرة رفيعة القدر بعضها فوق بعض من الذهب والفضة وغير ذلك من الجواهر الكريمة عليها الفرش والحجال كما روي عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الفرش المرفوعة فقال لو ألقي من أعلاها فراش هوى إلى قرارها مائة خريف وقيل إن الحكمة في ذلك أن يرى المؤمن بجلوسه عليها جميع ما خوله الله من الملك والنعم وأما الأكواب فهي جمع الكوب وهو الكوز الذي لا عروة له ولا خرطوم موضوعة على حافة العين الجارية معدة لأن يشربهم وهي من اللؤلؤ الرطب على ما ورد في الحديث والنمارق جمع النمرقة وهي الوسادة المنسوجة من قضبان الذهب المكللة بالدر والياقوت قد صف بعضها إلى بعض للراحة ودفع الملالة والزرابي الطنافس العجيبة واحدها زربية والمبثوثة الكثيرة ويقال هي المبسوطة وفي قوله تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل تنبيه على قدرة الله تعالى يقول أفلا يرون إلى الإبل مع عظمها وشدتها كيف تبرك إذا أريد ركوبها ويحمل عليها ويركبها القوم وهي مما يقودها الصغير وينيخها ويحمل عليها الحمل الثقيل وهي باركة فتنهض بثقله ولا تنهض دابة بحملها وهي باركة إلا البعير وقيل في وجه أيضا لهذا أنه لما قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف للمشركين سرر الجنة أنها مع علوها وارتفاعها تنحط لصاحبها إذا أراد صعودها بتربيع استبعدوا ذلك فذكر الله تعالى ما يزيل ذلك الاستبعاد وكان القوم أرباب الإبل فأراهم دلالة التوحيد فيما كان في أيديهم وعن أبي عمرو أن الإبل السحاب قال [illegible] بعده من ذكر السماء والجبال وغيره أن هذا غير معروف في اللغة وإنما يقولون للسحاب الإبل بتشديد اللام وقوله وإلى السماء كيف رفعت فيه بيان دلالة على كمال قدرة الله تعالى بأن الذي رفع السماء في الهواء فوق كل شيء لا بما له الأيدي ولا عمد لها من تحتها ولا علاقة لها من فوقها والذي نصب الجبال فجعلها مرساة مثبتة لا تزول ولا تتحرك في أعلاها العيون لمنافع الناس والذي بسط الأرض على وجه الماء قادر على أن يخلق نعيم الجنة بالصفات التي ذكرها الله تعالى إذ لا فضل بين الأمرين في معنى الحكمة ومن ذهب عنه دلالة النظر فلم يعرف دلالة توحيد الله وكمال قدرته فهو بمنزلة الجاهل والعمي وقوله تعالى فذكر إنما أنت مذكر معناه عظهم يا محمد بالقرآن المثلات واعظ مبلغ لست عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان وتمنعهم عن الكفر وهذا كان قبل أمر القتال فنسختها آية القتال والمسيطر الذي يضرب السطر على غيره لا يمكنه الخروج عنه يقال سيطر وتسيطر إذا تسلط ويجوز أن يكون معنى لست عليهم بمسيطر

لست على بعضهم وقلوبهم بمسلط كما قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت وعلى هذا التأويل لا يكون
منسوخا واما قوله تعالى الا من تولى وكفر معناه لكن من اعرض عن الايمان بك وثبت على كفره
فوكله الى الله لست له بمذكر لانه لا يقبل منك ويعذبه الله في الاخرة باعظم النيران وانما قال
ذلك لان مراتب النار من العذاب متفاوتة ومنازلهم في العذاب وقوله تعالى ان الينا ايابهم
فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول طب نفسا يا محمد عليهم وان عاندوا وجحدوا فان معادهم
الينا وجزاؤهم علينا والحساب اخراج مقدار ما لهم وعليهم حتى نظهر مقدار ما يستحقون من العذاب
وحساب المؤمن اخراج مقدار ما له وعليه حتى نظهر وجه تكفير سيئاته وقبول حسناته بما يوجب
الثواب على الايمان ٥ وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم ٥

سورة الفجر مكية

وهي عشرون وتسع ايات بصري وثلثون كوفي وشامي واثنان وثلثون حجازي ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ والفجر وليال عشر والشفع والوتر
والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا
في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ٥ اول
السورة قسم برب الفجر والفجر هو الصبح الذي يطلع في اخر الليل وهو دلالة على الله ونعمة في الدنيا
وفي ذكره بعث على الشكر وترغيب في اقامة صلاة الفجر وهما فجران الاول المستطيل وهو
الكاذب لا حكم له في شريعة الاسلام سوى ما فيه من الاعتبار والثاني هو المستطير في الافق وهو
الصادق وبه يتعلق حكم الصوم والصلوة واما الليالي العشر فهي عشر ذي الحجة شرفها الله تعالى ليسارع
الناس فيها الى الخيرات والطاعات وتطلب فضل الليالي بعشر مثلها من الايام في كلام
العرب واما الشفع فهو يوم النحر يشفع بما قبله من ايام العشر والوتر يوم عرفة او بما قبله من ايام
العشر ويقال انما سمي يوم النحر الشفع لانه يشفع بايام التشريق بعده وعن الحسن وقتادة ان هذا قسم
بالخلق كله فانهم شفع ووتر ويقال انه قسم بالاعداد كلها ويقال بالصلوات المكتوبات
كلها منها شفع ومنها وتر وعن ابن عباس انه قال الشفع ادم وحواء والوتر هو الله العزيز الذي ليس له مثل
ومن قرا والوتر بكسر الواو فهو لغة كالسلم والسلم فاما قوله تعالى والليل اذا يسر فهو قسم برب
الليل اذا يسري لمصلحته واتصاله بطلوع الفجر ويقال انه قسم بليلة المزدلفة اذا يسري فيها واضاف
السري الى الليل كما يقال ليل قائم ونهار صائم وعلى هذا قال بعضهم ان المراد بالفجر فجر يوم النحر
ووجه حذف الياء من يسر انها راس ايه ورؤوس الاي كالفواصل في الشعر وقوله تعالى هل في ذلك
قسم لفظه لفظ الاستفهام بمعنى التقرير يقول هل بعد ذلك لذي عقل قسم وكانت العرب تؤكد اخبارها
بالقسم محوطين بما عرفوه والحجر من قولك حجرت على الرجل اذا منعته ويقال ان فلانا لذو حجر اذا كان
قاهرا لنفسه ضابطا لها ومن ذلك الحجر لامتناعه بصلابته وجواب القسم ان ربك لبالمرصاد ووجه اعتراض
حكايته عنه ان يقول تعالى الم تر كيف فعل ربك تعلقا بالقسم من حيث ان في ذكر عاد وثمود وذكر قصتهم
وهلاكهم بيان انه احرى على الله تعالى ولذلك اخر جواب القسم عما بعده ويقال ان جواب القسم
محذوف لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى الم تر معناه الم تعلم كيف صنع ربك بعاد وكيف اهلكهم
واما ارم فهو صفة لعاد وهما عادان عاد الاولى وهي ارم وعاد الاخيرة ولم يصرف ارم لانها اسم القبيلة
وكان ارم ابا عاد فنسبوا الى ابيهم ويقال ان ارم كانت قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وقوله تعالى
ذات العماد اي ذات القامات الطوال والقوى الشداد يقال رجل معمد ورجل عمدان اذا كان

قوا طويلا وعن ابن عباس انه قال كانت قامة الرجل منهم اربعمائة ذراع لم يخلق مثلهم في زمانهم
قوة وخلقا وانما سموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة ومواشيه كانوا يسيرون بها
حيث شاءوا في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنات وزروع وكانت
منازلهم بوادي القرى ويقال انما سموا بهذا الاسم لانهم كانت لهم منازل رفيعة مشيدة كما روي
ان ارم اسم لمدينة الاسكندرية ويقال انه دمشق ويقال انه اسم مدينة ذات عماد الذهب بناها
بناها شديد وشداد لم يخلق مثلها حسنا وجمالا والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية من جميع هذه الاقاويل
لان الغرض بهذه الايات زجر الكفار كان الله تعالى يبين باهلاكهم مع قوتهم انه على اهلاك هؤلاء
الكفار اقدر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من قوم عاد كان ليضرب
الارض بقدمه فيسيخ في الارض من فضل قوته واما ثمود فهم قوم صالح كانوا يقطعون
الصخر فينحتون من الجبال بيوتا امنين بقرب المدينة التي كانوا نازلين فيها واما فرعون فهو الذي
ارسل اليه موسى عليه السلام وقوله ذي الاوتاد معناه ذي الملك الثابت والجنود الذين كانوا
يشدون امره وسميت قواد عسكره اوتادا لانه كان قوام العسكر بهم كما سميت الجبال اوتادا
للارض ويقال اراد بالاوتاد الاوتاد والمضارب التي كانت عند خروجهم ويقال اراد بالاوتاد انه
كان اذا غضب على احدهم شده على الارض باربعة اوتاد حتى يموت معذبا كما فعله بامراته اسية
واما الطغيان فهو الافراط في الظلم والفساد الكفر والمعاصي بالقتل بغير الحق وغير ذلك وقوله
تعالى فصب عليهم ربك كناية عن اهلاكهم سماها بالسوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه ويقال
سماه بسوطه سوطا اذا خلطه والسوط مما يخالط اللحم والدم واما المرصاد فهو مفعال من الرصد
يقال رصده يرصده اذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يستحقه وقوله ان ربك لبالمرصاد على وجه التمثيل
والمراد لا يخلص احد عنه وهو عالم بهم واليه مصيرهم ومرجعهم لا يفوته شيء من اعمالهم كما لا يفوت
من بالمرصاد وهذا كما يقول القائل لغيره متى كنت على اي لست تفوتني ويقال معنى الاية ان ملائكته
ربك تعالى على الصراط يرصدونهم في مواطن على جسر جهنم يسالونهم عن اعمالهم وقيل لاعرابي ان ربك
يا اعرابي فقال لبالمرصاد وقيل لامير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن كان الله قبل خلق السموات
والارض فقال ابن سوال عن مكان وكان الله ولا مكان ويحكى ان ابا جعفر المنصور ارسل الى عمرو
ابن عبيد فدعاه فلما حضر عنده قال عظني فانشد عمرو بقراءة هذه السورة فلما انتهى الى قوله ان
ربك قال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد لهم ولمن عمل مثل عملهم فابكاه البكاء الكثير وابكى
كل من كان حضره ولذلك قصة مشهورة ٥ قوله عز وجل فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن
كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما
وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ٥ معناه فاما الانسان الذي لا يعرف نعم الله تعالى عند سعة الرزق
وتضييقه فيقول عند السعة ربي اكرمني بالمال والمعيشة الواسعة ويقول عند ضيق الرزق عليه
اذا كان رزقه على مقدار البلغة ربي اهانني بالفقر وضيق المعيشة كلا اي حاشا ان يكون اكرام
الله تعالى لعباده مقصورا على توسعة النعم عليهم وان يكون اهانة الله لعباده مقصورة على تضييق الرزق
عليهم بل يوسع الله تعالى النعم على من يشاء ويضيق الرزق على من يشاء على ما تقتضيه الحكمة وتوجبه المصلحة

وأما معنى الابتلاء فهو اظهار ما في العبد من خير او شر فان عمل بما يدعو اليه العقل ظهر الخير وان عمل
بما يدعو اليه الطبع ظهر الشر وقرا الحسن اهانن الاين فقال كلا اكذبهما الله جميعا يقول ما بالغنى
اكرمت ولا بالفقر اهنت وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم معناه لا تعرفون حق اليتيم بالعطية
والصدقة ولا تحفظ ماله عليه وفي هذا بيان ان اهانة الله تعالى انما تكون للمعصية لا لما توهمه
الكافر وقد روي ان هذه الايات انما نزلت في امية بن خلف وكان في حجره يتيم كان لا يحسن اليه
ولا يعرف حقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكافل اليتيم كالصايم لا يفطر وكالقايم لا يفتر وقال صلى الله
عليه وسلم من مسح على راس يتيم تعطفا كتب له بكل شعرة مرت عليها يده عشر حسنات وكان عيسى عليه
السلام يقول الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الاخرة والغنا مسرة في الدنيا مشقة في الاخرة واما قوله
تعالى ولا تحضون على طعام المسكين فيتضمن الحث على الصدقة على المساكين وقد روي عن عمران بن
الحصين انه قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا الا وحث على الصدقة ونهى عن المثلة
ومعنى الاية لا تحضون الناس على الصدقة عليهم ومن قرا ولا تحاضون فمعناه لا يحض بعضكم بعضا على ذلك
والتحاض تفاعل من الحض وهو الحث واما قوله تعالى وتاكلون التراث فمعناه وتاكلون
الميراث اكلا لما شديدا يلمون بجمعه من قولهم لممت الشيء اذا جمعته ولممت ما على الخوان
اذا اكلته جميعا قال الحسن هو ان ياكل الرجل نصيبه ونصيب صاحبه من الميراث
ويقال المراد به اكل ميراث مال اليتيم بغير حق لانه هو الذي يتولى كرم وقيل اراد به ان يصرف
ما ورثه من نصيب نفسه الى الباطل وانما خصص الميراث بالنسبة على حكم غيره لانه اذا امتنع
من اكل احل امواله بالباطل فعن اكل غيره لك اولى واصل التراث وراث فقلبت الواو تاء
كما قالوا في التخمة وغيرها وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع ميراثا فرضه الله تعالى
قطع الله ميراثه من الجنة واما قوله تعالى وتحبون المال فمعناه تحبونه حبا كثيرا شديدا لا تنفقونه
في سبيل الله تحرصون عليه في الدنيا وتغفلون عن امر الاخرة كلا لا تفعلوا ذلك وهو كلمة الزجر
والردع يريد او عدهم وقال اذا دكت الارض دكا دكا اي يتذكرون ويندمون اذا زلزلت الارض
وضرب بعضها بعضا حتى استوت الارض وكانت كالصخرة الملساء وجاء امر ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل
في معناه وجاء دلايل ايات ربك فجعل مجي الايات مجيئا له تفخيما لشانها وهذا لما قدمناه من انه
لا يجوز على الله تعالى المجي والزوال والانتقال من مكان الى مكان ويجوز ان يكون معنى جاء ربك
ظهر بضرورة المعرفة كما يوصف والملك صفا صفا معناه والملك شهود يقفون مصطفين صفا بعد
صف عند حساب الناس يشاهدون ما يجري عليهم مما يستغنى به عند ذلك من كان اهلا للفضيحة
ويقال ان الملائكة يقفون صفا واحدا حول الجن والانس يحيطون بهم وقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم
روي في التفسير انها تقاد يوم القيمة بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك لها
تغيظ وزفير تعوذ ونها الى اهلها وقيل في معناه اظهرت جهنم يومئذ لاهلها وكشف عنها غطاؤها
حتى يراها العباد وهو نظير قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى يومئذ يتذكر الانسان اي يتحسر ويندم على
ما فاته اذا راى النار والعذاب ومن اين له في ذلك الوقت توبة تنفعه او عظة تحييه يقول يا ليتني
عملت في حياتي الفانية لحياتي الباقية فيومئذ لا يعذب عذاب الكافر الذي لم يتقدم بحياته احد
من الناس ولا يوثق احد مثل وثاقه ومن قرا لا يعذب ولا يوثق بكسر الذال والثاء فالمعنى لا يتولى احد من
العذاب والوثاق كما يتولى الله تعالى في عذاب اهل العذاب ولا امر يومئذ الا الله فهو المعذب
وهو الامر كيلا يقدر ان احدا يظلم بزيادة على مقدار الاستحقاق او نقصان عنه وفي قوله تعالى

يومئذ يتذكر الانسان دليل على المكلف على فعل الطاعة وترك المعصية لان العاقل لا ياسف
على ترك ما لا يمكنه فعله ولا على فعل ما كان يمكنه تركه واما قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
فيه بيان ما اعد الله تعالى للمؤمنين الذين يعملون للاخرة تقول لهم الملائكة عند قبض ارواحهم
واذا اعطوا كتبهم بايمانهم يا ايتها النفس التي عرفت واستيقنت بان الله ربها فاطمانت بالايمان وصدقت
بثوابه ارجعي الى ما اعد الله لك من نعيم الجنة راضية عن الله بما تنالين من ثوابه مرضية عنك بالايمان والعمل
الصالح فادخلي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي التي اعددت لك ونظير هذا قوله تعالى والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة الفجر غفر الله له وكانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية

وهي عشرون اية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد
ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد الم نجعل
له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة
فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين
امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم
اصحاب المشئمة عليهم نار موصدة المعنى اقسم بهذا البلد يريد مكة اعظاما لها بالقسم
بها وكانت العرب تعرف بها كان البيت فيها وحرف لا في اول السورة صلة ويقال رد على
المكذبين وانت حل بهذا البلد لعظم شان مكة من جهة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بها
فيه ويجوز ان يكون معنى حل الحلال يقال الحلال وحل ومحل بمعنى واحد وكذلك رجل حرم وحرام
ومحرم بمعنى واحد والمعنى وانت حلال لك ان تصنع فيه كما يتصرف المرء في الحلال يحله الله لك يوما
من الايام وهو يوم فتح مكة ولذلك قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة وفي هذا بيان انعام الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم كما روي في الحديث ان مكة
حرام حرمها الله عز وجل يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت واما قوله تعالى ووالد وما ولد فهو قسم بادم عليه
السلام وذريته وجواب القسم لقد خلقنا الانسان في كبد اي في شدة [illegible]
يصل الى الاخرة وذلك انه يكابد في الرحم ثم في المهد [illegible]
حال التكليف [illegible] ان الدنيا دار كد [illegible] وان الجنة هي دار الراحة والنعمة والكبد في
اللغة [illegible] وكبد اللبن اذا غلظ واشتد وكبد الدم اذا صار
كالكبد وقال بعضهم لقد خلقنا الانسان في اعتدال وانتصاب وذلك ان غير الانسان في الرحم منتصبا
فاذا كان عند خروجه قلب منكوسا [illegible] والحيوانات تخرج في الارحام [illegible] وقوله تعالى ايحسب
ان لن يقدر عليه احد كناية عن الانسان وقد قيل في التفسير انه ابو الاشد بن كلدة من اسيد
الجمحي كان قويا شديدا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا وكذا
[illegible] من تحت قدميه [illegible] قدماه عن مكانهما يقول
ايظن هذا الكافر لشدته وقوته ان لن يقدر عليه [illegible] احد [illegible] البعث والله قادر عليه
[illegible] وكان يستمع الى التراب ويقول [illegible] رب محمد
وفي قوله اهلكت مالا لبدا حكاية [illegible] ان يقول انفقت مالا كثيرا في عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم [illegible] ذلك واللبد الكثير [illegible] بعضه على بعض ومنه اللبد [illegible]

احراه ومن قرا لبدا بالتشديد فهو جمع لابد كراكع وركع وقوله ايحسب ان لم يره احد معناه
ايظن انه لم يحص عليه ما انفق وانه لا يسال عنه من اين اكتسبه وفيم انفقه ثم ذكر منته عليه
فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يتكلم به وشفتين يستعين بهما على الكلام وعرفناه وبينا
له طريق الخير والشر ليسلك طريق الخير ويجتنب طريق الشر ثم نعلمه ما يستدل به على ان الله تعالى قادر على
ان يبعثه ويحصي عليه اعماله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى يا ابن ادم
ان نازعك بصرك الى بعض ما حرمته عليك فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبق وان نازعك لسانك الى بعض ما
حرمته عليك فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمته عليك فقد اعنتك عليه بطبقين
فاطبق يريد به الجفنين وعنه صلى الله عليه وسلم انه قرا وهديناه النجدين ثم قال يا ايها الناس انهما نجدان
نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وكان الحسن رضي الله عنه يقول اذا قرا قوله
تعالى اهلكت مالا لبدا المخف مالا اكثر من يحاسبني به يا احمق الم تعلم ان الله تعالى قادر على محاسبتك
واصل النجد في اللغة العلو وكل عال من الارض فهو نجد ورجل نجد بين النجدة اذا كان جلدا
قويا لاستعلائه على قرنه والنجاد ما علا العاتق من حمائل السيف والنجدان الطريقان العاليان وقيل
في قوله وهديناه النجدين الهمناه مصالح الدين والدنيا هما النجدان وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة فقد
قيل في معناه فلم يقتحم كما في قوله تعالى فلا صدق ولا صلى وقيل في معناه افلا جاوز بالانفاق
في طاعة الله تعالى العقبة اي الصراط والاقتحام الدخول في الشي على شدة فكانه قال افلا دخل في البر
على الصعوبة كصعوبة اقتحام العقبة فانها لا تاتي الا بالصعوبة ويحتاج فيها الى المعاقبة ان تعاقب الرجل
صاحبه بان يصير في موضعه بدلا منه قال الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه
وعدوه الشيطان وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة تعظيم لشان العقبة يقول ما اعلمك يا محمد
اي شي اقتحام العقبة الصراط وقوله تعالى فك رقبة من قرا بضم الكاف فمعناه اقتحامها فك رقبة
من رق او اسر او ظلم سلطان جائر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعتق رقبة اعتق الله تعالى بكل
عضو منها عضوا منه من النار والفك في اللغة فرق بين الشيئين كفك القيد والغل وقوله او اطعام في يوم
ذي مسغبة معناه اقتحام العقبة اما فك الرقبة واما اطعام في يوم ذي مجاعة يتيما ذا مقربة منك او مسكينا
لاصقا في التراب من الجهد والفاقة لا يواريه من الارض شي قال ابن عباس المتربة بقعة التراب
ويقال ان المتربة شدة الحاجة وترب الرجل اذا افتقر ومن قرا فك بنصب الكاف او اطعم بنصب الميم
معناه افلا فك رقبة وهلا اطعم في يوم ذي مسغبة وفي الاية بيان ان الاولى بالاموال ان تكون
مصروفة الى جهات القربة لا ان تصرف الى الباطل وفي قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا بيان ان
افعال القرب انما تنفع اذا كان مع ذلك من الذين امنوا وحرف ثم هاهنا للترادف في الاخبار لا لترادف
الحال كانه قال وكان مومنا قبل ذلك من الذين يتواصون بالصبر ويجوز ان يكون معناه فعل ذلك
وذلك ثم ثبت على الايمان الى ان يلقى الله تعالى وروي ان امراة ابي ذر اتت ابا ذر وهو في اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت انت جالس مع هولاء والله ما في البيت هنة ولا سنة فقال لها ان امامنا عقبة كؤودا
لا يجاوزها الا المخف فذهبت وهي راضية وعن الحسن انه قال
تلك العقبة انما يجاوزها من خرج بطنه من الحرام والشبهات وافرغ من الحلال لنفد ارتقاء المهجة واما
قوله تعالى وتواصوا بالصبر فالتواصي تفاعل من الوصية اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله
تعالى والصبر عن معاصيه فان الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات وقوله تعالى
وتواصوا بالمرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالتراحم على الناس على اليتيم والمسكين والضعيف والمظلوم وعلى
من دفع الى منكر ان يمنع من ذلك وفي الحديث من لا يرحم الناس لا يرحمه الله وتروى عنه صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال انما يدخل الجنة من يرجوها وانما يجنب النار من يخافها وانما يرحم الله من يرحم وقوله تعالى اولئك
اصحاب الميمنة معناه اولئك الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال هم اصحاب اليمن والبركة وهم الذين
يعطون كتبهم بايمانهم ويوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقوله تعالى والذين كفروا باياتنا معناه
والذين جحدوا ادلة توحيدنا وتنوع اسبابنا هم اصحاب الشوم على انفسهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم
ويوخذ بهم ذات الشمال الى النار عليهم نار موصدة اي مطبقة ابوابها عليهم مسدودة من قولك
اوصدت الباب واصدته اذا اطبقته ومن ذلك سمي الباب الوصيد وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة اية وعددها المكيون ست عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها
والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد
خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها
فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها اقسم الله تعالى
بالشمس ونحوها مما ذكر في اول السورة لما فيها من دلائل وحدانية الله تعالى وعجائب تدبيره لخلقه
فقال والشمس وضحاها واراد بالضحى ارتفاعها وذلك انها تطلع لانوارها ثم يضحيها الله تعالى وضحى
النهار صدره يقال اضحى يفعل كذا اذا فعله في وقت الضحى ومن ذلك التضحية وهي الذبح في وقت
الضحى من ايام الاضحى وقوله تعالى والقمر اذا تلاها معناه اذا تبع الشمس فطلع بعد غروب الشمس وذلك
اول ليلة الهلال اذا سقطت الشمس رؤي الهلال وكذلك في نصف الشهر اذا غربت الشمس تبعها
القمر في الطلوع من المشرق ويحتمل ان يكون معناه ان القمر يتلوها في النور والضوء لانه ليس بعد الشمس
اضوء من القمر ويحتمل يتلوها في اخذ الضوء منها وقوله تعالى والنهار اذا جلاها معناه اذا بين الشمس
وذلك ان الشمس انما تضيء وتبين اذا انبسط النهار ويجوز ان يكون معناه اذا جلى ظلمة الليل وجلى الدنيا
ويكون هذا كناية عن غير مذكور وذلك يجوز نحو قولهم اصبحت واردة يريدون بذلك الغداة
بدلالة الحال وقوله تعالى والليل اذا يغشاها معناه اذا يغشى الشمس فيذهب نورها وتظلم الدنيا
عند غروبها وقوله تعالى والسماء وما بناها معناه والسماء وبنائها وهو رفعها الذي بناها في سعتها
وارتفاع سمكها وقرارها بغير عمد وما مع الفعل تقوم مقام المصدر ويجوز ان يكون معناه والسماء
والذي بناها كما يقال سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده وعلى هذا قوله والارض وما طحاها
معناه على القول الاول والارض وطحوها وهو بسطها على وجه الماء على ما يمكن التصرف عليها واما القول
الثاني معناه والارض ومن طحاها وعلى هذا قوله ونفس وما سواها اريد به على القول الاول
والانفس كلها وتسويتها باليدين والرجلين والعينين والاذنين وغيرها من الجوارح وما الهمها الله من
طريق فجورها لتتركه وطريق تقواها لتلزمه فعرفت ذلك بادلة الله واما على القول الثاني
معناه ونفس ومن سواها مبينا لها ما تاتي وما تتقي ومقتها للتقوى وحذرها الفجور وقوله تعالى
قد افلح من زكاها جواب القسم يقول قد فاز ونجا من طهر نفسه بالايمان والطاعات فصار زكيا
طاهرا نعيم الجنة وقد خسر من دسى نفسه اي اخملها في الكفر والمعاصي والاصل دسس الا ان
احدى السينين ابدلت بالياء كما قيل في التقضي والتمطي وقيل ان دساها ودسسها بمعنى
والتدسية تغطية الشي باخفائه ومنه قوله تعالى ام يدسه في التراب وكان الاصل في جواب
القسم ان يقال لقد افلح باللام الا ان اللام انما حذفت لان الكلام اذا طال صار طوله عوضا

من اللام واما قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها معناه كذبت قوم صالح الرسل تطغيا لهم
والطغوى مصدر كالتقوى والدعوى ويجوز ان يكون معناه انهم كذبوا بعذاب الطاغية
وقوله تعالى اذ انبعث اشقاها معناه حين قام اشقاهم بعقر الناقة وصار هو السبب لهلاك الكل
قيل انه كان اشقاهم رجلا يقال له مصدع بن دهر وهو الذي شد اعقرها وقال الكلبي كانا
اثنين احدهما مصدع والآخر قدار والمعنى اذ انبعث اشقياها وانما ذكرهم بلفظ الثنا لانهم كانوا
جماعة ولان اصلها راجعة الى القبيلة واما قوله تعالى فقال لهم رسول الله معناه قال لهم صالح عليه
السلام ناقة الله اى احذروا ناقة الله التي جعلها الله آية على نبوته ان تمسوها بمكروه فتؤخذوا
بذلك واحذروا شربها ونوبتها لا تزاحموها في يومها وهذا نصب على التحذير كما يقال الاسد الاسد
وقوله تعالى فكذبوه معناه كذبوا صالحا فيما قال لهم انكم ان اصبتموها بسوء اخذكم عذاب يوم
عظيم فعقروها وقتلوها والعقر قطع شيء من نفس الحيوان وعقر الحوض اصله والعقار اصل في المال
واما قوله تعالى فدمدم عليهم معناه اطبق عليهم بالصيحة وارجف بهم الارض ودمر عليهم
والدمدمة الادامة يقال دمدمت على الشيء اذا اطبقت عليه وكذلك دمدمت على الميت اذا اطبقت
عليه التراب في القبر وهذه ناقة مدمومة اى ملبسة بالشحم وان تكررت الاطباق قلت دمدمت عليه
وقال ابن الانباري اصل الدمدمة الغضب والمعنى غضب عليهم ربهم فسوى عليهم العقوبة فلم
يفلت منهم صغير ولا كبير اذ كانوا كلهم مكذبين راضين بما فعله اشقاهم ويجوز ان يكون معنى
سواها سوى الارض عليهم حتى لم ير لهم اثر واما قوله تعالى ولا يخاف عقباها معناه ولا يخاف الله
تعالى عاقبة اهلاكهم اى كان اهلاكهم اهون من ان يخشى منه عاقبة وانما يخاف العواقب من لا يعلمها
فاما الله سبحانه فيعلم العواقب كما يعلم البوادي ويقال ان قوله تعالى ولا يخاف راجع الى رسولهم
صالح عليه السلام كان لا يخاف عند التحذير عاقبة امرهم وبها ان راجع الى قوله اذ انبعث اشقاها
كانه قال قام لعقرها وهو كان لا يامن من نزول الهلاك به وبقومه جهلا منه ومن قرأ فلا يخاف
ما الفاء لا قرب انه راجع الى الله تعالى لا يخاف تبعة ما انزل بهم وهو تعالى اجل من ان يوصف بذلك ٥
وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق على من
طلعت عليه الشمس والقمر ٥

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية بلا اختلاف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما
يغني عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فانذرتكم نارا
تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى
وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى اقسم الله تعالى بالليل
اذا يغشى الافق ويعم الاشياء كلها بالظلام وبالنهار اذا اضاء وانار وذهب بظلمة الليل وبخلقه
الذكر والانثى وهي نعمة تعم الخلق ويرجع الى نفع النسل اقسم بهذه الاشياء لما فيها من دلائل وحدانيته على ان
اعمال العباد في الدنيا مختلفة فمنهم من يريد الدنيا فيجعل سعيه لها ويعمل في هلاك نفسه ومنهم من يريد
الآخرة ويجعل سعيه لها ويعمل في فكاك رقبته وشتان ما بين العملين كبعد ما بين الثريا والثرى قال
تعالى فشتت امر القوم وشتتهم ريب الزمان وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس
غاديان فبايع نفسه فموبقها وفادى نفسه فمعتقها ثم بين الله تعالى اختلاف سعيهم فقال فاما من اعطى
واتقى يقول اما من اعطى الحقوق من ماله واتقى المعاصي وصدق بالنعمة العظمى وهي الجنة وقال وصدق

بموعود الله تعالى من الخلف في الدنيا والثواب في الآخرة فسنوفقه للعود الى الطاعة مرة بعد اخرى
ونسهل عليه طريق الجنة وانما سميت الطاعة اليسرى لان اليسر والخير فيها ولانها ميسرة لطريق الوصول
الى الثواب واما من بخل بما له ومنع ما يلزمه من حقوق الله تعالى واستغنى في نفسه عن الله تعالى وعن ثوابه
فيعمل عمل من يستغني عن الله تعالى وكذب بثواب المصدقين في الجنة وقال وكذب بالتوحيد
والنبوة فسنيسره للعسرى اى نخذله بمعاصيه ولا نلطف له كما نلطف للمؤمن المهتدى وقال في معناه
نضطره الى النار وهي البلية العظمى وجاء في التفسير ان المراد بقوله اعطى واتقى ابو بكر الصديق رضي الله
عنه اشترى تسعة من المماليك الذين كانوا مسلمين وكان المشركون يعذبونهم على الاسلام فاشتراهم
منهم واعتقهم ويدخل في ذلك كل من يعمل بعمله والمراد بالآية الثانية ابو جهل لعنه الله ويدخل
في ذلك كل من يعمل عمله وقال في معنى لنيسره لليسرى ولنيسره للعسرى انا لا نمنع المكلفين من سلوك
احدى الطريقين كما قال الشاعر هما سيدانا يزعمان وانما يسوداننا ان يسرت غنماهما
اى يسرت ولادتهما ويقال انما قال فسنيسره للعسرى على مزاوجة الكلام ومعناه التمكين وفي
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس الا كتب الله تعالى لها مدخلها ومخرجها وما
هي لاقيه فقال رجل من الانصار ففيم العمل يا رسول الله قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له من كان من اهل
الجنة يسر لعمل اهل الجنة ومن كان من اهل النار يسر لعمل اهل النار فقال الانصاري الآن نحق العمل
وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى من اعطى واتقى من اعطى المجهود من نفسه فيما الزمه الله تعالى
من فروض طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واتقى الله فيما كلفه من امر دينه وصدق بثواب
الله تعالى فسنيسره لليسرى واليسرى في كلام العرب على لفظ التأنيث من صفات المؤنث ومذكره
الامر الايسر وكذلك العسرى والحسنى كما يقال اكبر وكبرى واصغر وصغرى واما قوله تعالى وما
يغني عنه ماله معناه وما ينفع هذا الكافر الذي بخل بماله كثرة ماله بعد موته اذا هوى وسقط في
النار لم يؤد منه فريضة ولا وصل منه رحما وقوله تعالى ان علينا للهدى معناه علينا ان نبين طريق الهدى
من طريق الضلالة وان ندل على وجوب هدى المكلفين الى الدين وان لنا للآخرة فنعطي منها من نشاء من كان
من اهل ذلك والاولى وهي الدنيا فنعطي منها من نشاء على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة
[illegible]
فانذرتكم نارا تلظى معناه خوفتكم يا اهل مكة ان لم تؤمنوا بالقرآن نارا تلظى اى تتوقد وتتوهج [illegible]
تكون معه هذا معنى الماضي لانه لو كان ماضيا لقيل تلظت وقوله تعالى لا يصلاها معناه لا يدخلها ولا يجد حرها
الا الاشقى في علم الله تعالى وهو الكافر الذي كذب بتوحيد الله [illegible] الا الكافر
[illegible]
[illegible] في الدرك الاسفل من النار
[illegible]
[illegible] واما قوله تعالى وسيجنبها
الاتقى معناه سيباعد عنها ويصير في جانب عنها الى الجنة الاتقى الذي يعطي ماله [illegible]
[illegible] لفظ الافعل بمعنى الفعيل والفاعل كما قال الشاعر
تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها بواحد ٥ واما قوله تعالى وما لاحد
عنده من نعمة تجزى معناه انه لم يفعل ذلك مجازاة ليد اسديت اليه ولا لمكافاة لدنيا لكن اعطى
[illegible] لوجه الله تعالى [illegible] مرضاته وسوف يعطيه الله تعالى في الآخرة من الثواب حتى يرضى وفي ذكر الوجه
[illegible] بيان ان الاعطاء كان للطاعة والثواب [illegible] لان هذا المعنى لا ينبغي الا للذات [illegible]

والاعلى في صفات الله تعالى لمعنى العلو في الجلال والقدرة ومن ذلك يقال استعلى على خصمه
بالحجة اذا الزمه وظهرت حجته عليه وعن مقاتل انه قال في الايات التي في اخر هذه السورة وذلك
ان ابا بكر رضي الله عنه مر على بلال وسيده امية بن خلف الجمحي يعذبه على الاسلام وقد وضع على صدره
صخرة في الشمس فقال له ابو بكر اتعذب عبدا على الايمان بالله فقال اما انه لم يفسده علي الا انت
وصاحبك يعني بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو بكر هل لك ان تبيعه فقال ابيعه بعبد لك يا
ابا بكر بعبد مثله على دينك فرضي بذلك فعمد ابو بكر رضي الله عنه الى عبد مشرك فاشتراه ودفعه اليه
وقبض بلالا فاعتقه مكانه فقال امية لابي بكر رضي الله عنه لو ابيت ان تشتريه الا باوقية لبعتكه
فقال له ابو بكر وانت لو ابيت الا بان تبيعه باوقية لاعطيتكها وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قرا سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى عنه وعافاه من العسرة

سورة الضحى

مكية وهي احدى عشرة اية بلا اختلاف ه بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف
يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى
فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث ه روي عن ابن عباس وقتادة
ان اليهود لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حديث الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف فقال لهم ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله احتبس عنه الوحي اياما ثم ابطا عليه جبريل عليه السلام
خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء فقال المشركون والمنافقون ان محمدا ودعه ربه فانزل الله تعالى
هذه السورة تكذيبا لهم واقسم بضياء النهار وسواد الليل بانه سبحانه لم يودعه عليه السلام
ولم يقله وذلك ان الله تعالى اذا اختص عبدا بالنبوة لا يعامله الا بما يقتضيه اختصاصه به والضحى
هو النهار كله على قول بعضهم من قولك ضحى الشمس اذا اظهرها ومن ذلك قوله وانك لا تظما فيها ولا تضحى
وقال بعضهم انه ساعة ارتفاع الشمس من ساعات النهار على ما هو المعهود في الكلام وقوله
تعالى سجى اي اظلم واشتد ظلامه حتى سترت الاشياء كلها بالظلام ومنه قول الرجل [illegible]
مسجى بثوبه ومنه تسجى المراة ولا تسجى الرجل وقال في معناه اذا سكنت الاشياء فيه ومن ذلك يقال
بحر ساج اي ساكن ويقال للبلدة ساجية اذا كان اهلها في سكون وكذلك طرف ساج اي من
في الساعين ه انا ابن عم الليل وابن خاله ه اذا سجى دخلت في سرباله ه وقال اخر
يا حبذا القمراء والليل الساج ه وطرق مثل ملاء النساج ه وقوله تعالى ما ودعك
ربك من التوديع والوداع اي لم يقطع الوحي عنك مذ اوحى اليك ولا ابغضك مذ احبك ومن قرا
ودعك بالتخفيف فمن ودع يدع اذا ترك الا انه ما جاء لفظ الماضي من هذا الا شاذا وقوله تعالى
وللاخرة خير لك معناه وللثواب الاخرة بما اعد الله لك فيها من الكرامة والمقام المحمود خير لك من
الدنيا التي هي مشوبة بالاحزان والزوال وفي هذه الاية دليل على ان الاخرة خير من الدنيا لجميع الناس لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ياخذ الدنيا الا من حلها ولا يضعها الا في حقها واذا كانت الاخرة خيرا له من
الدنيا لا بد ان تكون لغيره خيرا من الدنيا ايضا وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد
بيده لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن شبابه فيم ابلاه وعن عمره فيم افناه وعن ماله من اين
اكتسبه وفيم ذا انفقه وماذا عمل فيما علم وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى معناه سيعطيك
خالقك في الاخرة من الشفاعة وثواب الطاعة حتى ترضى ويجوز ان يكون هذا وعدا من الله تعالى له
بالنصر وعن جعفر بن محمد ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فلما
راى ذلك دمعت عيناه فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا لحلاوة الاخرة فقد انزل الله تعالى ولسوف يعطيك

ربك فترضى وعن ابن عباس انه قال يعطيه الله تعالى في الجنة الف قصر من اللؤلؤ ترابه المسك
في كل قصر من كل ما يشتهي على احسن الصفات ثم عدد الله تعالى عليه نعمه الموصولة اليه في صغره
وكبره فقال الم يجدك يتيما فآوى اي ساعة اواك فضمك الى ابي طالب ورباك في حجره وفضلك على
اولاده وقد كان مات ابوه وهو في بطن امه وماتت امه وهو ابن ستتين ومات جده وهو ابن ثمان
سنين وقال في معنى هذا الم يكن يتيما في حجر ابي طالب فجعل لك ماوى واغناك عنه واما قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى لا يجوز ان يقال في معناه انه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه فهداه
الله تعالى لان الله تعالى لا يختار لرسالته من كفر او فعل كبيرة لا قبل النبوة ولا في حال النبوة لان ذلك
يؤدي الى التنفير عن القبول منه وانما معنى الاية راك ضالا عما انت عليه الان لم تكن تدري ما القران
وما الشرائع فاكرمك الله بالنبوة وهذا كقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا الاية
وقال في معناه كان النبي صلى الله عليه وسلم ضل في صغره في بعض شعاب مكة فاستقبله ابو لهب
ومعه راكب فقال للذي معه اردف يتيمك على ابي طالب فاناخ بعيره فقال له ارتدف فارتدف النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يتحرك البعير فنظر اليه فاذا هو سليم فنقل الراكب الى قدامه فوثب البعير فقال ابو لهب
ليكونن لهذا الصبي نبا اعظم وقال في معنى الاية وجدك بين قوم ضلال لكانك واحدهم فهداهم
بك وقال في معناه وجدك ضالا بين قوم لا يعرفون حرمتك فهداهم الى معرفة قدرك تقول اضللت الشيء
اذا ضيعته ومنه الضالة لما ضيع من الانسان وقال في معناه ووجدك ضالا في امر معاشك فهداك
لاطيب المكاسب كما قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعل رزقي تحت ظل رمحي واما
قوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى فمعناه وجدك فقيرا فاغناك بمال خديجة وذلك انها كانت تبذل مالها
للنبي صلى الله عليه وسلم والعيلة في اللغة هي الفقر يقال عال الرجل اذا كثر عياله واذا افتقر قال الشاعر ه
وما يدري الفقير متى غناه ه وما يدري الغني متى يعيل ه وقال في معنى الاية وجدك فقيرا من حوائج
الناس فاغنى قلبك وارضاك بما اعطاك قال فلما نزل كل فصل من هذه الفصول قراه جبريل على النبي صلى الله
عليه وسلم قال عليه السلام بلى يا رب ثم قال صلى الله عليه وسلم [illegible] وهو اهل المن يمن على من [illegible]
[illegible] سالت ربي مسالة [illegible]
[illegible] ابراهيم خليلا [illegible]
[illegible] موسى تكليما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تنهر [illegible] فاما قوله تعالى واما بنعمة ربك

تحدث معناه حدث الناس بما انعم الله به عليك من النبوة والاسلام وذلك ان من شكر النعمة التحدث
بها تعظيما للمنعم وقال ان الشكر على مراتب فالرتبة الاولى ان تعلم ان النعمة من الله كما قال تعالى
وما بكم من نعمة فمن الله والثانية ان تؤدي عنها حقوق الله تعالى والثالثة ان تعترف بذلك وتخبر الناس بها
والرابعة ان لا تستظهر بها على معصية الله تعالى وفي الحديث اذا انعم الله تعالى على عبد احب ان يرى اثر
نعمته عليه ٥ وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الضحى كان ممن
يرضاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وكتب له بعدد كل يتيم وسائل عشر حسنات وبالله التوفيق

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات بلا خلاف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت
فانصب والى ربك فارغب ٥ روي عن انس بن مالك انه قال روي لك ان النبي صلى الله عليه وسلم شق
بطنه من عند صدره الى اسفل بطنه فاستخرج منه قلبه فغسل في طست من ذهب ثم ملئ ايمانا
وحكمة ثم اعيد مكانه قال وهذا معنى الشرح للصدر وقيل ان شرح الصدر ترحيبه وتليينه
لاحتمال الاذى والصبر على المكاره والطمانينة بالايمان ونشرا بعده والشرح في اللغة هو فتح الشيء وابداؤه
السواغل عنه والصدر هو الموضع الارفع الاجل ومنه اخذ صدر المجلس تشبيها بصدر الانسان واما
قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك فقد قيل في معناه حططنا عنك ذنبك كما قال في موضع اخر ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله تعالى الذي انقض ظهرك اي اثقل ظهرك حتى سمع نقيضه اي صوته وهذا على
وجه التوسع على عادة الناس كما يقال فيمن دهاه امر عظيم ان هذا الامر قد قصم ظهره وانما وصفت ذنوب
الانبياء عليهم السلام بهذا الثقل مع انها صغائر مغفورة لشدة اغتمامهم بها وتحسرهم على وقوعها
مع ندمهم عليها وقيل في معنى الاية حططنا عنك ذنبك بما كان ثقل من قومك وعن ابن مسعود
انه قال حططنا عنك ثقلك اي خففنا عنك تبليغ الرسالة ادوا الى الانام باعبائها والوزر في اللغة الثقل ومنه
الوزير وهو الذي يحمل الثقل عن الملك وقيل في معنى الاية عصمناك من الذنوب التي لو لم نعصمك منها
لاثقلت ظهرك وقد يجوز ان يستعمل لفظ الوضع لشيء لم يكن موضوعا عنه كما روي في الخبر رفع القلم
عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم ومعلوم انه لم يكن عليه شيء رفع عنه واما قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
فمعناه شرفناك وعظمنا ذكرك بما اوجبناه على خلقنا من التصديق بحقك وقيل في معناه قرنا ذكرك
بذكرنا فلا يذكر الله تعالى الا وتذكر معه في كلمة الشهادة وفي الصلوة والاذان والخطبة وغير
ذلك وفي قوله تعالى فان مع العسر يسرا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما كانوا فيه من الشدة
والفقر يقول ان مع الشدة رخاء وسعة ان مع العسر رخاء وسعة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه لما نزلت هذه الاية ابشروا فقد اتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وانما قال
ذلك لان العسر معرفة ويسرا نكرة والمعرفة اذا اعيدت كان الثاني هو الاول والنكرة اذا اعيدت
كان الثاني غير الاول فاليسر الاول هو اليسر في الدنيا بعقب العسر واليسر الثاني هو اليسر في الاخرة
بالثواب يقول الرجل لصاحبه اذا اكسبت درهما فانفق درهما فالدرهم الثاني غير الاول واذا قال اذا
اكسبت درهما فانفق الدرهم فالثاني هو الاول ويقول الرجل مررت برجل صفته كذا وكذا فاذا
الرجل يفعل كذا وكذا وتقول ذلك وانت تريد بالثاني الاول واما قوله تعالى فاذا فرغت فانصب معناه
فاذا فرغت من امور الدنيا فانصب لما امرت به من الابلاغ والعبادة وعن الحسن انه قال فاذا فرغت من
الجهاد فانصب للعبادة وعن عمران بن حصين انه قال فاذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء والى ربك
فارغب اي ارفع حوائجك الى ربك ولا ترفعها الى احد من خلقه ٥ وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه

انه قال من قرا هذه السورة اعطي من الاجر كمن لقي محمدا صلى الله عليه وسلم مغتما ففرج عنه وكان الصادق
رضي الله عنه يقول في معنى اخر السورة اذكر ذلك عند فراغك من كل ما دونه والى ما عند ربك فارغب

سورة التين مكية وعن ابن عباس انها مدنية وهي ثمان ايات بلا خلاف ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥
والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك
بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين اول هذه السورة قسم برب التين وجواب القسم لقد
خلقنا الانسان وفسر ابن عباس عن التين والزيتون فقال هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل في
تخصيص التين من بين سائر الفواكه انه ثمر مثل الحمص على مقدار اللقمة ظاهره مثل باطنه وباطنه
مثل ظاهره ولا يحتاج الى قشر ولا نواة على صفة ثمار الجنة فيه من المنفعة باخراج فضول البدن والاخلاط
ثقل وجوه الغذاء انعم الله سبحانه به على عباده ليشكروا نعمه ويعتبروا واما الزيتون فهو ثمر
من يعصر منها الزيت ما فيه من اللطف واصلاح الغذاء في اكثر الاطعمة مع الاصطباح به والادهان
وفي ذكرها من الشرف ما ينبه على سائر الفواكه وعن قتادة انه قال التين هو دمشق
والزيتون هو بيت المقدس وقال القتيبي هما جبلان بالشام يقال لهما طور تينا وطور زيتا
بهما لانهما ينبتانهما والقسم بذكرهما كالقسم بذكر الشمس والقمر والفجر ونحو ذلك وقيل هما مسجدان
بالشام واما طور سينين فهو الجبل المبين الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه وسينين
وسينا من اسماء ذلك الجبل كلها لغات بمعنى واحد وعن السدي انه قال معنى سينين المشجر
وقيل معناه المبارك وعن عكرمة ان معناه الحسن في اللغة لانه كثير النبات والشجر
وقيل انه جمع سينة كما انك لو سميت رجلا بطين او طين ثم جمعته في حال النصب والجر
قلت طسين واما البلد الامين فهو مكة كان اهلها في امن من الغارات وكانوا اذا سافروا لم يتعرض
[illegible]
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي في احسن صورة واعتدال وعلى احسن قامة [illegible]
[illegible]
[illegible]
الايات بيان ان ثواب الله تعالى لا يستحق بحسن الصورة ولا باعتدال القامة وانما يستحق
الاعمال الصالحة والطاعات الخالصة وقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين معناه ما الذي

يحملك على التكذيب ايها الكافر بعد هذا البيان من الله تعالى بمجازاة الله في الآخرة وعن مقاتل
انه قال فما يكذبك ايها الانسان بعد هذه الصورة الحسنة والشباب ثم الهرم والموت بالحساب
فلا تعتبر بحالك فتعلم ان الذي خلقك قادر على ان يبعثك وقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين
معناه اليس الله بافضل الفاصلين واعدل العادلين حكم لعباده من تدبيره وتعليمه ما لا تعد رعايته احد
سواه فلا خلل في صنعه ولا اضطراب يخرج عما تقتضيه الحكمة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه
السورة قال بلى يا رب انت احكم الحاكمين وانا على ذلك من الشاهدين وعن ابي بن كعب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة التين اعطاه الله تعالى خصلتين اليقين والعافية واعطاه من
الاجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية عند العراقيين وثمان عشرة شامي وعشرون حجازي

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى
ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت ان
كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة
خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب

وروي عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة
في النوم كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتعبد
فيه ليالي ذوات العدد وكان يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار
حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ فقال ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا
بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الى قوله علم الانسان ما لم
يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه
حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر فقال لقد خشيت على نفسي فانطلقت به خديجة حتى اتت
به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الانجيل بالعبرانية وكان
وكان شيخا كبيرا قد ضعف بصره فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ما
ذا ترى فاخبره عليه السلام ما رأى فقال له ورقة هذا هو الناموس الذي انزل على موسى فليتني اكون
حين يخرجك قومك فقال له صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودي
وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يدرك وقت الدعوة ان توفي وعن ابن عباس
ان الملك الذي اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ابشر يا محمد فانا جبريل وانت رسول الله الى هذه
الامة الى ان قال له اقرأ فاقرأه اول هذه السورة ثم قال له انزل فنزل به من الجبل الى قرار الارض وعليه
ثوبان اخضران ثم ضرب بجناحه الارض فخرجت عين فتوضأ منها وقال له توضأ فتوضأت ثم قام
يصلي فصليت معه ركعتين ثم قال له هكذا الصلوة يا محمد ثم انطلق وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي الصلوة ركعتين حتى كان قبل خروجه الى المدينة بسنة ثم فرضت عليه الصلوة اربعا فصلاة السفر
ركعتان وصلاة الحضر اربع واختلفوا في معنى اول هذه السورة قال بعضهم الباء ها هنا زائدة
وتقديره اقرأ اسم ربك كما يقول القائل قرأت بسورة كذا اي سورة كذا وفي المثل [illegible]
ونرجو بالفرج وقال بعضهم معناه افتتح القرآن باسم الله كما يقول القائل لغيره اعمل هذا
العمل باسم الله اي افتتح باسم الله وقال بعضهم معناه اقرأ القرآن بعون الله وتوفيقه كما يقال

افعل كذا باسم الله اي بعون الله وتوفيقه وقوله تعالى الذي خلق يجوز ان يكون معناه
الذي خلقك وحذف الكاف لان في اللفظ دليلا عليه ولتكون اخر هذه الاية موافقا لاواخر اي هذه
السورة ويجوز ان يكون معناه خلق الاشياء كلها ثم بين خلق الانسان من اجناس ما خلق فقال خلق الانسان
قال بعضهم اراد به ادم عليه السلام خلقه من طين يعلق باليد وقال بعضهم الانسان ها هنا اسم جنس والعلق
جمع العلقة كالشجر والشجرة والعلقة هي الدم الخاثر المعقد الذي يضرب الى السواد ويسمى ضرب من الدود
الاسود علقا لانه يعلق على الشفتين للداء الذي يصيبها يمص الداء وانما خص العلق بالذكر في الاية لان خلق
الانسان بما فيه من العجائب والبدائع من العلق المستحيل المستقذر من غاية القذر وقوله تعالى اقرأ
وربك الاكرم معناه اقرأ القرآن في صلاتك وبلغه الى الناس وربك الاعظم كرما الذي يمن بالنعم
ما لا تقدر على مثله غيره ويجوز ان يكون ذكر الاكرم ها هنا ليبين انه تعالى يعينه على حفظ القرآن وتبليغه
ويثيبه على ذلك حتى يبلغ ثوابه ما تقتضيه كرمه وقوله تعالى الذي علم بالقلم معناه الذي علم الملائكة ما في
اللوح المحفوظ واضاف الى القلم لانه هو الذي كتب ما في اللوح المحفوظ وقال في معناه الذي علم
الناس علم الكتابة بالقلم وهو نعمة عظيمة ولولاه لضاعت الحقوق ودرست العلوم واختلت امور
المعاش والمعاد وقوله تعالى علم الانسان قيل في معناه علم ادم الاسماء كلها وقيل علم جميع الناس
بالقلم من امور دينهم ما لم يعلموا من قبل كما قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى معناه حقا ان الانسان الذي خلقه الله
من علق وتمم نعمه عليه ليطغى نعم الله ويتكبر على توحيده ان رأى نفسه مستغنيا بكثرة ماله وقوى
ان هذه الاية نزلت في شأن ابي جهل وفي الحديث ما من يوم تطلع فيه شمسه الا وملك ينادي يا ابن ادم
قليل يكفيك خير من كثير يطغيك لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع ومن ها هنا اخذ القائل شعر
النفس ان [illegible] قانعة • والفقر ان وجدت وسع [illegible] • وعنه صلى الله عليه
وسلم انه قال منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا اما طالب العلم فيزداد رضى
الرحمن واما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان ثم قرأ صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى واما قوله تعالى ان الى ربك الرجعى فهو تخويف بالرجعة الى الاخرة
الى الحساب وقوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم من الذي نهى المؤمنين عن الصلوة
وهو ابو جهل لعنه الله فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى كان ياتيه ويؤذيه
ويعبث به حتى يشتغل عن الصلوة وكان يهدده [illegible] صلى الله عليه وسلم يقول [illegible]
[illegible] وهذه الاية [illegible] الجواب محذوف تقديره ارأيت الذي ينهى عن الصلوة
اما يخاف الله ما يفعل [illegible] وقوله تعالى ارأيت ان كان
على الهدى خطاب للناهي يقول ارأيت ايها الناهي ان كان المنهي عن الصلوة على الهدى
او امر بالتقوى اكنت تنهاه [illegible] وهذا تعريض بان النبي صلى الله عليه وسلم على
الهدى لا شك فيه ونظير هذه الاية قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله
في معنى هذه الاية ارأيت ان كان الناهي على الهدى او امر بالتقوى [illegible] وقوله
تعالى ارأيت ان كذب وتولى معناه اخبرني يا محمد ان كذب ابو جهل بالقرآن واعرض عن الايمان
[illegible] ابو جهل ان الله يعلم ويرى صنيعه وقال في معنى هذه الاية ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى
[illegible] كذب بالقرآن واعرض عن الايمان وقوله تعالى كلا لئن لم ينته
[illegible] الله تعالى يقول لئن لم يمتنع ابو جهل عن [illegible] وصنيعه لناخذن بشعر مقدم رأسه ولنجرنه
به الى النار [illegible] السفع في اللغة هو الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته

والعرب لا تأنف من شيء انفها من ذكر الناصية حتى ان اعظم شتايمهم جزّ الناصية وقيل في معنى
السفع انه الاحراق والسفع واللفح نظيران ومنه قوله تعالى تلفح وجوههم النار والاسفع الثور
الوحشي الذي في خديه سواد فالمعنى لنحرقن موضع ناصيته حرقا يبقى اثره وقال الحسن معناه
لنجعلن بناصيته وقدمه كما في قوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام وقوله تعالى ناصية كاذبة
بدل النكرة عن المعرفة كما تقول مررت بزيد رجل صالح وقد تبدل المعرفة عن النكرة كما في قوله
تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض والمراد
بالناصية ها هنا صاحب الناصية كاذب خاطئ يأكل رزق الله تعالى ويعبد غير الله تعالى
وهذا على وجه التوسع كما يقال نهاره صائم وليله قائم اي هو صائم في نهاره قائم في ليله واما قوله
تعالى فليدع ناديه فقد روي عن ابن عباس ان ابا جهل لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم الم انهك
عن الصلوة انتهره النبي صلى الله عليه وسلم واغلظ له فقال ابو جهل انا اكثر اهل الوادي ناديا فنزل
قوله تعالى فليدع ناديه يقول ليدع قومه وعشيرته لتعاونه سندع الزبانية لما حضره والنادي
في اللغة هو المجلس سمي في اللغة بهذا الاسم لانه يشتمل على الندا والجود والمراد بالمجلس ها هنا اهل
المجلس والزبانية هم الملئكة الموكلون بعذاب اهل النار واحدهم زبني وقيل زبنية من قولهم
الناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها والزبن الدفع وقوله تعالى كلا لا تطعه قسم من الله
تعالى ويجوز ان يكون معناه ليس كما يقوله ابو جهل لا تطعه فيما يأمرك به من ترك الصلوة
وصل لله واقترب الى رحمته بالسجود على رغم من نهاك عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما تقرب امرء الى رحمة الله بشيء افضل من سجود خفي في ليلة مظلمة وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي بعد هذه السورة فاتاه ابو جهل ليؤذيه على عادته فوجده يقرأ هذه السورة فخاف
فانصرف فقيل له اخفته وما الذي منعك اذ لم تفعل ما هممت به فقال وجدت عنده حارسا
يحرسه ووجدته يهددني بالزبانية اما الحارس فهو فحل اهوى الي اراد ان يأكلني والله ما
ادري من الزبانية هؤلاء وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة
العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كلها ۞

سورة القدر مكية عند

الاكثرين وقيل انها مدنية وعددها ست آيات عند الشاميين وخمس عند البصريين

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما
ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل
امر سلام هي حتى مطلع الفجر روي في سبب نزول هذه السورة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر يوما لاصحابه اربعة من بني اسرائيل وهم ايوب وزكريا وحزقيل ويوشع بن نون وحزقيل
عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه فيها طرفة عين فتعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتى
جبريل عليه السلام فقال لقد عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله فيها طرفة
عين فقد انزل الله تعالى عليك خيرا منه ثم قرأ انا انزلناه في ليلة القدر الى آخر السورة وقال
هذا افضل مما عجبت منه انت وامتك فسرت الجماعة بذلك وعن مجاهد انه قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب المسلمون من
ذلك عجبا شديدا وتمنى النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون مثله في امته فدعا ربه فقال يا رب جعلت
امتي اقصر الامم اعمارا واقلهم اعمالا فاعطاه الله تعالى ليلة القدر والهاء في قوله انا انزلناه كناية
عن المضمر المذكور في السورة التي قبل هذه السورة وهو القرآن فانه قد تقدم في تلك السورة في معنى
اولها اقرأ القرآن ويجوز ان يكون معناه انا انزلنا جبريل عليه السلام بهذا القرآن في هذه الليلة

شهر رمضان وذلك ان القرآن انزل جملة واحدة الى السماء الدنيا الى الكتبة ثم انزل بعد
ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة وقيل كان ينزل في كل ليلة
القدر من القرآن الى السماء الدنيا قدر ما كان يحتاج الى انزاله على النبي صلى الله عليه وسلم في تلك السنة
الى مثل تلك الليلة وانما سميت هذه الليلة ليلة القدر لانها ليلة الحكم والقضاء لان الله تعالى
يقدر فيها كل شيء مما يكون من السنة الى السنة ومعنى تقديره ان يأمر الملئكة ليكتبوه فيقع
ويعرفوه وهذه الليلة هي الليلة المباركة التي ذكرها الله تعالى في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة
ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وفيها يفرق كل امر حكيم وقيل انما سميت هذه الليلة باسم
القدر لعظم قدرها واقدارها الخطير كما يقال لفلان قدر عند فلان ولا قدر لفلان عند فلان
وقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر تعجيب وتعظيم لحرمتها يقول ما اعلمك يا محمد ما شرف هذه
الليلة لولا ان الله تعالى اعلمك ذلك وقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر معناه ان العمل في هذه
الليلة خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر والعمل فيها خير من الالف الشهر التي ليس فيها تلك
رجل السلاح من بني اسرائيل فيها في سبيل الله وعن هذا قالوا ان من صلى في ليلة القدر ركعتين
كان له ثواب من صلى في كل ليلة من الف شهر ركعتين ليس في تلك الليلة ليلة القدر
لكن ثواب هاتين الركعتين اكثر من ثواب تلك الصلوات كلها وانما فضلت هذه الليلة
على سائر الليالي لان الله تعالى يقسم في هذه الليلة من الخير الكثير الذي لا يكون مثله في الف شهر
فكانت افضل من الف شهر لان فضيلة الاوقات انما يكون بما يقسم فيها من الخير الجزيل والنفع الكثير
وقوله تعالى تنزل الملئكة والروح فيها معناه تنزل ملئكة السموات السبع الى السماء الدنيا
وجبريل عليه السلام معهم في اول هذه الليلة مع غروب الشمس باذن ربهم من كل امر امرهم
الله تعالى به في تلك الليلة فيطيرون الى المؤمنين ويستمعون القرآن والذكر ويستغفرون لهم
وقيل ينزلون الى السماء الدنيا ويسلمون على المؤمنين على كل قائم وراكع وساجد الى طلوع الفجر وقيل
ان المراد بالروح ها هنا الوحي اي ينزلون الى السماء الدنيا معهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع ونظير
هذا قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا واراد به الوحي وعن مجاهد انه قال ما ينزل
ملك الا ومعه روح قال وهم خلق من خلق الله تعالى وكلوا بالحفظة وكلوا بني آدم وصورهم على صور
بني آدم ويجوز ان يكون معنى الروح الرحمة وقد يقام حرف من مقام الباء كما في قوله تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومعناه بامر الله لانه لا يمكن ان يحفظ احد من امر الله تعالى
لكن ذلك قوله تعالى من كل امر اي بكل امر قدره الله تعالى في تلك الليلة الى مثلها من السنة
القابلة وقوله تعالى سلام هي حتى مطلع الفجر قال بعضهم اراد به ان تلك البركة والسلامة تبقى
الى طلوع الفجر وقال بعضهم اراد به ان تسليم الملئكة يمتد الى طلوع الفجر وقال مجاهد هي
سالمة لا يعمل فيها شيطان ولا يحدث فيها اذى والمطلع بفتح اللام هو الطلوع واما بكسر اللام فهو
موضع الطلوع والعرب يضعون كل واحد منهما موضع الآخر ويعبرون بالمطلع بكسر اللام عن وقت
الطلوع وفي قراءة ابن عباس من كل امرئ سلام معناه من كل ملك سلام على المؤمنين في هذه
الليلة وقد روي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ليلة القدر ليلة صافية
بلجة ساكنة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحة ليلتها ليس لها شعاع وهذا الحديث يؤيد
التأويل الذي ذكره مجاهد في قوله تعالى سلام هي وعن سفيان الثوري ان رجلا قام الى الحسن بن
علي فقال سودت وجوه المؤمنين وملت الى فلان فقال لا تعذلني فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة رجلا رجلا فساءه ذلك فانزل الله تعالى انا انزلناه

في ليلة القدر الى آخر السورة وقد اختلفوا في موضع ليلة القدر قال بعضهم انها تدور في كل
السنة ويروى ذلك عن ابي حنيفة وعن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها وذهب الاكثرون الى
انها تدور في ليالي شهر رمضان فمرة يكون في العشر الاوائل ومرة في العشر الاواسط ومرة في العشر
الاواخر كما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي
في كل رمضان وهذه رواية اخرى عن ابي حنيفة وهي اصح من الاولى لان الله تعالى انما انزل القرآن
في ليلة القدر واخبر في اية اخرى انه انزل القرآن في شهر رمضان وذهب ابو يوسف ومحمد الى انها
تدور في العشر الاواخر من رمضان واستدلا بما روي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سئل اي ليلة هي فقال التمسوها في العشر الاواخر من رمضان واطلبوها في كل وتر وعن
ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا ليلة القدر في كل سبع وعشرين من
رمضان وعن ابن عباس انه قال له عمر رضي الله عنه اخبرني برايك في ليلة القدر فقال ان الله عز وجل
وتر يحب الوتر فالسموات سبع والارضون سبع ونرزق من سبع ونخرج من سبع فلا اراها الا في سبع
وعشرين من رمضان قال وعددت حروف سورة القدر الى قوله تعالى سلام هي سبعة وعشرون
حرفا فيحتمل ان تكون ليلة سبع وعشرين من رمضان واراد بالحرف الكلمة فقال له عمر وافق رأيي
رأيك ثم ضرب على منكبه فقال ما انت باقل القوم علما وقيل ان الفائدة في اخفاء هذه الليلة على
العباد انهم لو عرفوها بعينها لقصدوها بالعبادة واهملوا انفسهم في سائر الليالي فاذا لم
يعرفوها بعينها عبدوا الله تعالى في جميع ليالي شهر رمضان رجاء ان يدركوا ليلة القدر وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى المغرب والعشاء في ليلة القدر في الجماعة فقد اخذ بحظه من
ليلة القدر وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة القدر اعطاه الله
من الاجر كانما صام رمضان وقام ليلة القدر

سورة لم يكن مكية وقيل

مدنية وهي سبع ايات عند البصريين وثمان عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول
من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها
اولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي
ربه اول السورة بيان ان ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الكفار كان من حكمة
الله فانهم لم يكونوا لينتهوا عما هم عليه من الكفر حتى اتتهم البينة وهي الحجة الظاهرة التي يتميز
بها الحق من الباطل ثم فسر البينة فقال رسول من الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم ما تضمنته
الصحف المطهرة من المكتوب وسميت مطهرة على معنى انها مطهرة من التناقض وجميع وجوه الباطل كما قال
تعالى في اية اخرى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل انما سميت مطهرة لانها منتسخة من اللوح
المحفوظ لا يمسها الا المطهرون من الانجاس وهم الملائكة واراد بها الصحف التي في ايديهم كما قال تعالى
في اية اخرى بايدي سفرة كرام بررة وقوله تعالى فيها كتب قيمة معناه في تلك الصحف كتب مستقيمة
مستمرة في جهة الصواب لا تؤدي الى عوج ولا تدل الا على الحق وانما سمي ما في الصحف كتبا لان فيها
جملا كثيرة من كل شيء ويجوز ان يكون المراد بها جماعة السور والبينة ماخوذة من البينونة وهي
فصل الشيء عن غيره والانفكاك الانفصال بعد شدة اجتماع واكثر ما يستعمل في النفي يقال ما انفك فلان

هذا الامر اي لم ينفصل عنه لشدة ملابسته له ويقال ما انفك من شغل اي لا اخلو منه وفك
الرهن تخليصه واخراجه من الحبس ومنه فك الرقبة وفك العاني واما ذكر الغاية في قوله تعالى حتى
تأتيهم البينة فانهم بعد قيام الحجة عليهم افترقوا فمنهم من انتهى عن الكفر ومنهم من ثبت
على الكفر وفي قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب تاكيد لما سبق ذكره وزيادة تقريع
لليهود والنصارى فانهم انما اختلفوا في امر النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءهم النبي صلى الله عليه
وسلم بالقرآن والمعجزات ونظير هذه الاية قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله معناه وما امر هؤلاء الذين سبق
ذكرهم من اهل الكتاب والمشركين في جميع كتب الله تعالى الا ان يعبدوا الله مخلصين في دينهم لله مائلين
عن كل دين سوى دين الاسلام وان يقيموا الصلوة اي يؤدوها بحقوقها في مواقيتها وان يعطوا الزكوة
المفروضة وذلك دين الملة المستقيمة وتعالى في معناه وذلك دين الانبياء لان كل نبي فيهم امته والحنيفة
في اللغة هي الشريعة المائلة الى الحق وفي [illegible] ان الحنيفة هي الختان والحج وتحريم نكاح ذوات
المحارم ثم اوعد الله تعالى الكفار بقوله ان الذين كفروا الى اخر الاية ووصفهم بانهم شر خليقة الله
والبرية ما ذرأهم الخليقة ومنه برأ الله الخلق ومنه البارئ بمعنى الخالق ومن قرأ بغير الهمز كان
حذف الهمزة على وجه التخفيف ويجوز ان يكون اشتقاقه من البرا وهو التراب يقول العرب بفيه
البرا اي التراب ثم ذكر سبحانه ثواب المؤمنين بقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ومعناه ان
الذين امنوا بالله وبجميع اوصافه وبجميع ما يجب الايمان به وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم
اولئك هم خير الخليقة فجزاء اعمالهم عند ربهم اي في حكم ربهم جنات عدن بساتين اقامة تجري من
تحت اشجارها وغرفها الانهار الاربعة مقيمين دائمين فيها الى الابد رضي الله عنهم بما اتاهم ورضوا
عنه بالثواب الذي اكرمهم به وذلك الثواب والرضى لمن خشي عذاب ربه بامتثال اوامره
واجتناب نواهيه ومن الفائدة في قوله تعالى عند ربهم ان ما عند الله تعالى لا يخاف فيه فوت ولا افة
ولا نقص [illegible] وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ
سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا ٥

سورة الزلزلة مكية

وقيل مدنية وهي ثماني ايات عند الكوفيين وتسع عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث
اخبارها بان ربك اوحى لها يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قيام
الساعة متى يكون فانزل الله تعالى هذه السورة لبيان اشراطها وصفاتها والزلزلة في اللغة هي الحركة
الشديدة والزلزال بالكسر المصدر وبالفتح الاسم كالصلصال ونظير هذه الاية قوله تعالى اذا
رجت الارض رجا وذلك انها تتحرك حركة شديدة لم يعهد مثلها حتى ينقطع ما عليها من بناء وجبل
وشجر حتى يدخل فيها كل ما على وجهها وقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها معناه لفظت الارض
بعد ذلك ما فيها من الاموات والاموال والاثقال جمع الثقل ونظير هذه الاية قوله تعالى والقت ما فيها
وتخلت وفائدة القاء الكنوز واظهارها ان يحسر عليها الذين كنزوها وان يعذب بها كما قال
يوم يحمى عليها في نار جهنم فاما قوله تعالى وقال الانسان ما لها فالانسان هاهنا على قول بعضهم
جنس اريد به الذين يخرجون من جوفها يقول كل منهم ما للارض وما حالها ولاي شيء زلزالها
وكان الحسن يذهب الى ان المراد بالانسان هاهنا الكافر وكان يقول ان الكافر احق
بان يقول [illegible] المماة كانه لم يتنبه بعد بيان الموعد عن حال الارض وفي بعض اهل التفسير عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فاقول ما للارض
فان صحت هذه الرواية فالمراد بالانسان في هذه الآية النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى يومئذ
تحدث اخبارها اخبار من الله تعالى عن الارض تقول انه يومئذ تخبر الارض بما عمل على ظهرها من خير او شر
عبرة للمتفكر فيها تقول في المؤمن صلى علي وحج وصام فيفرح المؤمن وتقول في الكافر اشرك علي وسرق
وزنا وشرب الخمر فيحزن الكافر وذلك الاخبار بان الله تعالى الهمها ذلك وانطقها كما انطق الله تعالى
الجوارح ونظير هذا قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم والله تعالى ينطق ما يشاء بما يشاء وليس هذا باعجب من انطلاق اللسان بالكلام بعد ان يجعل
الله تعالى صاحبه عالما بذلك فيخبر بذلك الارض اذا اقدرها الله على الكلام شهدت بما عمل عليها
من معاصي الله تعالى وان كان الله عالما بجميع الاشياء لم يزل ولا يزال وذهب بعضهم الى ان الكلام انما
يظهر من الارض بفعل الله تعالى ولكن اضيف الى الارض على وجه التوسع والمجاز كما يقال جرى الماء وطال
الزرع وصوت الخشبة وان لم يكن من هذه الاشياء فعل وانما الفعل لله تعالى فيها وقوله تعالى يومئذ يصدر
الناس اشتاتا قال بعضهم معناه يصدرون من قبورهم متفرقين الى ارض المحشر فرقا فرقا ونظير هذا قوله تعالى
يوم ندعو كل اناس بامامهم وفي تفسير الضحاك ينادي المنادي ليلحق كل اناس بمن يعبدونه ويعتقدونه
فعند ذلك يصيرون فرقا وقال بعضهم يرجعون من الموقف متفرقين اهل كل دين على حدة فيصار بهم
الى موضع الحساب ليروا اعمالهم من كتبهم التي سجلت اعمالهم فيها ويقال يرجعون من موضع الحساب متفرقين
ليروا جزاء اعمالهم فريق في الجنة وفريق في السعير واما قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فقد
اختلفوا في الذرة قال بعضهم هي ما يقع في الكوة من اثر الشمس وقال بعضهم هي النملة الحمراء
الصغيرة وذلك ان قوما كانوا يرون انهم لا يوجرون على قليل من الخير ولا يعاقبون على قليل من الشر
فانزل الله تعالى هذه الآية وحثهم على كل خير قل او كثر وحذرهم عن كل شر قل او كثر كما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تحقرها يا عائشة فان الله لو كان يغفل عن شيء لغفل عن الذرة والبعوضة والخردلة وقيل هذه
قالوا ان هذه الآية احكم آية في القرآن واجمعه كما روي عن زيد بن اسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر رجلا من اصحابه ان يعلم رجلا القرآن فعلمه هذه السورة فلما قرأها الرجل قال حسبي حسبي قد تعلمت
القرآن فقال صلى الله عليه وسلم دعه فقد فقه الرجل وعن عمر وعائشة وسعد بن ابي وقاص انهم تصدقوا
بالحبة الواحدة والحبتين من العنب وقالوا ان فيهما لمثاقيل ذر وفي بعض الكتب من مثل ذره منعها من عنب
اذيته لم تقض له حاجة يوم القيمة وكان ابن عباس يقول في قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ما عمله
المؤمن من خير يراه في الآخرة في الجنة وما عمله الكافر من خير يراه في الدنيا تدفع عنه البلايا ويصح جسمه
ويوسع عليه في الرزق وما عمل المؤمن من شر يراه في الدنيا للامراض والضيق في المعيشة وما عمل الكافر
من شر يراه في الآخرة في النار ٥ وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة
الزلزلة كان له من الاجر كانما قرأ سورة البقرة وكان كمن قرأ نصف القرآن ٥ سورة العاديات
مكية وقيل مدنية وهو الاقرب لانها تشتمل على تعظيم الجهاد وعدد آيها احدى عشرة آية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ والعاديات ضبحا فالموريات
قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه
على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان
ربهم بهم يومئذ لخبير ٥ اقسم الله تعالى بالخيول العاديات في سبيل الله اكراما للغزاة ولله
ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ان نقسم الا به واصل الضبح حمحمة الخيل وما يسمع من اصوات انفاسها

واجوافها اذا عدت وعن علي كرم الله وجهه ان المراد بالعاديات الابل الذاهبة الى العدو
يوم بدر قال ولم يكن معنا يومئذ الا فرس واحد ركبها المقداد بن الاسود وقوله تعالى فالموريات
قدحا معناه فالمظهرات بسنابكها النار يوطئها اما النعال الحجارة وبضربها الحصا بعضه ببعض كما ان
القادح والقدح ولا ير المعنى واحد وقوله تعالى فالمغيرات صبحا معناه فالمغيرات عند الصباح
في سبيل الله اضاف الاغارة اليها واراد بذلك ركابها وذلك انهم كانوا يسرون الى العدو ليلا
ويأتونهم صباحا وبها كانوا يستمعون الاذان فان سمعوا الاذان كفوا وان لم يسمعوا اغاروا
ويقال انهم لعزهم اغاروا نهارا وقوله تعالى فاثرن به نقعا معناه هيجن بالمكان الذي يسهن
الله غبارا وانما لم يذكر المكان لان في الكلام دليلا عليه وذلك ان اثارة الغبار لا تكون
الا بمكان وسمي الغبار نقعا لانه يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء وقوله تعالى فوسطن به جمعا
اي دخلن بذلك المكان في وسط جمع المشركين للاغارة وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود
جواب القسم والانسان ها هنا عبارة عن جنس الناس ويقال ان المراد به الكافر واصل ذلك منع
الخير والنفع ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اتدرون ما الكنود قالوا الله
ورسوله اعلم قال هو الكفور الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويجلد عبده وقد ذكر بعض المفسرين
في صفته بان قال ولا يعطي في النائبة والارض الكنود في اللغة هي التي غلبت السبخة عليها فلا تنبت شيئا
وكان الحسن يقول الكنود هو اللوام الذي يعد المصائب وينسى النعم واورد بعض المفسرين ان الآية
نزلت في شأن رجل من احياء العرب كان يعرف بابي حباب وكان من ابخل الناس كان لا يوقد نارا
لنفسه ولا لعبده حتى ينام كل ذي عين فاذا ناموا اوقد نارا فاذا استيقظ لها احد اطفاها كراهة
ان ينتفع بها احد من الناس ويقال في سبب نزول هذه الآيات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
بعث سرية الى بني كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو الانصاري فابطا عليه خبرها فاغتم صلى الله
عليه وسلم لذلك فانزل الله تعالى هذه السورة واخبره بخبرها وذلك من ابلغ الكلام حيث اقسم على
امر السرية بذكر القسم وذهب بعض المفسرين الى ان العاديات هي الابل الذاهبة في عرفات في يوم
عرفة والموريات هي الابل تورى بالمزدلفة وسميت الموريات على التوسع بمعنى المنجيات عملا لان الانجح
يحيي الرجل من برد الشتاء والهلاك كذلك العمل الصالح ينجي صاحبه وسميت المغيرات رجوعها من
المزدلفة الى منى فهي المغيرات عدوة وهن الواقفات في وسط الوادي جمعا حتى يجتمع الحجاج ويقال ان
المغيرات المسرعات من اغار اغارة الثعلب الا ان القول الاول اقرب الى ظاهر الآيات لان الضبح
والقدح والاغارة في الافراس اظهر ولا يستعمل الضبح في غير الفرس والكلب واما قوله تعالى وانه على
ذلك لشهيد معناه على قول بعضهم وان الله تعالى على صنع الانسان وكفرانه النعم لشهيد يحصي عليه
اعماله وعلى قول بعضهم وان الانسان على نفسه لشهيد يشهد بذلك حاله وبخله واعراضه عما يجب
عليه واما قوله تعالى وانه لحب الخير لشديد فالضمير فيه عايد على الانسان لا محالة والمعنى وانه لشديد الحب
للمال يطلبه الناس لاخذ منهم من غير حله ويمنع اخراجه في حقه ويقال في معناه وانه في حب المال لبخيل
يقال رجل شديد ومتشدد اذا كان بخيلا واما قوله تعالى افلا يعلم فمعناه افلا يعلم هذا الانسان اذا
بعث الموتى من قبورهم واظهر ما في صدورهم من الخير والشر واظهروا الشقاوة والبخل فجعل ذلك علامة ان ربهم
بهم يومئذ لعالم فيعلم ما اسروه واعلنوه ويجازيهم على اعمالهم وانما خص ذلك اليوم بالذكر على
وجه التهديد كما في قوله تعالى الملك يومئذ لله ولولا دخول اللام في جواب ان لكانت مفتوحة لوقوع
العلم عليها ولكن لما دخلت اللام كسرت ان على عادة العرب كما في قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله

وحكي ان الحجاج غلط في قراءة هذه السورة فقرأ ان ربهم بالفتح فاستدرك الغلط من جهة العربية
بحذف اللام قال الحسن رضي الله عنه الى اصحابه وقال انطلقوا بنا الى عدو الله الذي [illegible]
الله تعالى [illegible] وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة
العاديات كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهي ثمان ايات بصري وشامي وعشر حجازي

واحدى عشر كوفي ه بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة
وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن
المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما
ادراك ماهيه نار حامية ه القارعة اسم من اسماء القيامة سميت بهذا الاسم لانها تقرع القلوب
بالاهوال والافزاع حين يرون ما يبدو لهم من عظمها ثم انها القارعة ويجوز ان
يكون هذا تفسيرا ليوم المذكور في قوله تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير وقيل ان القارعة هي
الصيحة العظيمة تشبيها بقرع الحجر على الباب واهل بيتهم والقرع هو الضرب بسرعة واعتماد ومنه
المقرعة ويقال تقارعت الفتيان في القتال اذا تضاربوا بالسيوف والقرع الضرب بالقوة وقوله
تعالى ما القارعة تفخيم وتعجيب لامر القيمة وتقدير القارعة ماهي واي شيء هي وما ادراك ما هي
يوم اعلمك وهذا كما يقول القائل فتنة واي فتنة واما قوله تعالى يوم يكون الناس فمعنيه بعض صفات
ذلك اليوم معناه يوم تموج الناس بعضهم في بعض حين يخرجون من قبورهم كالجراد الكثير المنتشر الذي
يدخل بعضه في بعض ويركب بعضه بعضا وهو نظير قوله تعالى يخرجون من الاجداث كانهم جراد
منتشر وسمي الجراد الفراش لانه يتفرش حين يتفرق ويقال الفراش ما يطير حول السراج من البق والجنون وانما
شبه الناس يومئذ بالفراش لانهم يهيمون في ذلك اليوم على وجوههم لا يدرون من اين يجيئون ولا
الى اين يذهبون وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثلكم مثل الفراش تتهافتون
في النار وانا اخذ بحجزكم وقوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش معناه وتصير الجبال في ذلك اليوم
بعد القوة والشدة كالصوف المندوف وذلك اوهى ما يكون من الصوف وعن ابي عبيدة ان العهن الوان
الصوف واحدتها عهنة مثل صوف وصوفة كانت الجبال تشبه في ذلك اليوم بالعهن في تلونها بالالوان
واما قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه معناه من ثقلت موازينه بالطاعات والحسنات فهو في عيشة
ذات رضى يرضاها الله تعالى وهذا كما يقال تامر ولابن ونابل بمعنى ذو تمر وذو لبن وذو نبال ويقال
في معنى راضية مرضية كما يقال سر كاتم اي مكتوم واما من خفت موازينه اي من الاعمال الصالحة
فماواه ومسكنه الهاوية ياوي اليها كما ياوي الولد الى امه وعن قتادة انه قال يهوي على ام راسه
في النار والهاوية اسم دركة من دركات النار سميت بهذا الاسم لانها تهوي صاحبها والعرب تسمي كل
مهلكة هاوية وقد اختلفوا في الميزان فذهب اكثر المفسرين الى انه على هيئة الموازين ميزان له لسان
وكفتان وقال مجاهد انه عبارة عن القسط والعدل يقال فلان بن فلان يزن كلامه بميزان يقول وفلان
يقول قولا غير موزون وهو لا يرجل عندي بكل خاصم ميزانه واختلفوا في كيفيته قال بعضهم
يوزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة وقال
بعضهم يخلق الله من الحسنات نورا يكون علامة للحسنات فيوضع في كفة الحسنات ويخلق من السيئات
ظلمة تكون علامة للسيئات فتوضع في كفة السيئات واختلفوا في من يزن الميزان قال بعضهم يتولاه
ملك من الملائكة موكل بالموازين وقال بعضهم يتولاه جبريل عليه السلام ويقف بين الكفتين ويزن

الاعم

الاعمال فمن رجحت حسناته على سيئاته نودي بصوت يسمعه اهل الموقف الا ان فلان بن فلان سعد
سعادة لا شقاوة بعدها ابدا ومن رجحت سيئاته على حسناته نادى الملك بصوت يسمعه اهل الموقف
الا ان فلان بن فلان شقي شقاوة لا سعادة بعدها ابدا واما قوله تعالى وما ادراك ماهيه فمعناه
وما اعلمك يا محمد ما الهاوية لو لم اعلمك وهذه الهاء هي الهاء في قوله ماهيه هاء السكت لانها
توصل عليها الوقف ويجوز فيها الحذف وقوله تعالى نار حامية تفسير للهاوية ومعناه نار حارة قد
تناهت حرارتها [illegible] ويروى ان فضيل بن عياض كان كلما افتتح هذه السورة قطعتها العبرة
من شدة الخوف ففارق الدنيا وما اختتمها ه وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى ميزانه يوم القيمة ه

سورة التكاثر مكية

وهي ثماني ايات بلا خلاف ه بسم الله الرحمن الرحيم ه
الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا
لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ه الهاكم اي صرفكم
من الحق الى اللهو واللهو صرف النفس الى الهوى يقال لهيت عن كذا الهى الهاء والهيت غيري
بمعنى اشتغلت وغفلت وشغلت غيري ويقال لهن اللهو الذي هو اللعب لهوت الهو لهوا والتكاثر
تفاعل من الكثرة ومعناه طلب الكثرة من الطاعنين والزيارة اتيان الموضع على غير قصد
الاقامة ومعنى اول السورة شغلكم التباهي والتفاخر بكثرة المال والاولاد عن طاعة الله تعالى
تقصيرهم بذلك السبب في اقامة الحقوق التي اوجبها الله تعالى عليكم حتى ادرككم الموت وانتم
مقيمون على ذلك فصرتم في المقابر بعد الموت قبل الندم والتوبة وهذا خطاب لمن حرص على الدنيا وجمع
اموالها وهو يريد التكاثر والتفاخر كما قال لمن مات زار حفرته وتوسكنه ونظير هذه الاية قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وذهب بعض المفسرين الى ان هذه
السورة انما نزلت في حيين من العرب تفاخروا احدهما بنو عبد مناف والاخر بنو سهم تعادوا ايهم
اكثر فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم انما اهلكنا البغي في الجاهلية فعدوا امواتنا وامواتكم
واحياءنا واحياءكم فعادوا فكثرهم بنو سهم فانزل الله تعالى هذه السورة تهديدا لهم والمعنى شغلكم
التفاخر بالانساب والمناقب عن توحيد الله تعالى حتى عددتم الموتى في المقابر ثم زادوا في عددهم
تعالى كلا سوف تعلمون ومعناه حقا ستعلمون ماذا تلقون من عذاب الله تعالى عند الموت في
القبر وفي هذه الاية دليل عذاب القبر لانها ذكرت عقيب ذكر المقابر ثم قال ثم كلا سوف تعلمون
ومعناه ثم حقا سوف تعلمون ما تلقون في الاخرة من عذابها ولا بد ان يكون المراد بهذا الثاني
غير المراد بالاول وكيف يكون هذا تكرارا وقد ادخل بينهما حرف ثم التي هي للتراخي وقوله تعالى كلا
لو تعلمون علم اليقين قال بعضهم هذا من وكد الجواب ومعناه حقا لو علمتم ما ذا بين يديكم في الاخرة
علم اليقين لما تفاخرتم في الدنيا ولا الهاكم التكاثر ثم استانف الكلام فقال عز من قائل لترون
الجحيم اي لترونها في الموقف ان متم على ذلك لترونها معاينة اذا دخلتموها ولتشاهدنها في الاخرة كل ما
شغلكم فيه من امور الاخرة في الدنيا ثم لتسألن اذا صرتم الى النار عن اشتغالكم بنعيم الدنيا حتى تركتم
ما لزمكم من الفرائض وقال بعضهم معناه لو تعلمون العلم اليقين لرايتم الجحيم بقلوبكم ثم رايتموها رؤية
العين اليقين ثم رايتم سؤالكم عن النعيم وقد اختلفوا في السؤال المذكور في اخر هذه السورة قال بعضهم
هو سؤال توبيخ وتقريع للكفار في النار يقال للكافر وهو في النار اين ذهب تفاخرك وملكك وملكك
وعددك وعدد ذلك كما اخبر الله سبحانه عن اصحاب الشمال في قوله ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ومما
يؤيد هذا التاويل ما روي عن عبد الله بن عباس ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه سال النبي صلى الله عليه وسلم

عن اكلة اكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ابي الهيثم بن التيهان الانصاري من لحم وخبز
شعير وماء عذب وبسر قد ذنب فقال يا نبي الله ايخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه
فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك للكفار ثم قال ثلث لا يسأل الله تعالى عنهن العبد يوم القيمة ما يواري
به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من الحر والبرد وهو مسئول بعد ذلك عن كل نعمة هذا للكفار واما المؤمن
فشكره اذا رزق فسمى الله تعالى واذا رفع يده من طعامه حمد الله تعالى عليه فهذا الجزء من الخطاب سؤال
النعيم للكفار اذ لم يشكروا نعم الله تعالى عليهم وكان من اعظم النعم عليهم ارسال الرسول
صلى الله عليه وسلم اليهم وانزال الكتاب بلغتهم وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ما انعم الله على عبد من نعمة صغيرة او كبيرة فقال عليها الحمد لله الا اعطى اكثر مما اخذ وعن انس قال جاء جبريل
عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل من يستطيع ان يؤدي شكر ما انعم الله تعالى
عليه فقال جبريل عليه السلام من علم ان تلك النعم من قبل الله تعالى فقد ادى شكرها وقال بعضهم
يسأل كل عبد عن شكر ما انعم الله تعالى عليه هل قام بالواجب فيه ام ضيع حق النعمة عليه كما روي عن عبد الله
بن مسعود انه سئل عن النعيم المذكور في هذه الاية فقال الامن والصحة وسئل علي رضي الله عنه
عنها فقال الخبز الشعير وماء الفرات ويقال انه بارد الشراب وظل المساكن وشبع البطون ويقال
يسأل عن الماء البارد في شدة الحر وعن الماء الحار في شدة البرد وهذا كله على طريق المثل وهو محمول
على ما اذا اشتغل بشيء من هذه المباحات فترك بها واجبا عليه واما اذا تجردت هذه المباحات عما
ذكرناه فانه لا يسأل عنها لم تلذذت بها ولا يحاسب عليها وفي الحديث المرفوع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تزول قدما العبد يوم القيمة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم
ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به وهذا الحديث يقتضي ان العبد
يسأل يوم القيمة عن الثلث الثوب والبيت والاكلة التي لا بد منها كما يسأل عن الزيادة عليها لان عليه
ان يتحرى في جميع احواله ما يحل وهو ماخوذ بارتكاب ما يحرم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من اصبح امنا في سربه معافا في بدنه وعنده قوت يومه فكانما جمعت له الدنيا بحذافيرها
وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة
والفراغ ومن ها هنا سرق ابن الرومي شعره اذا القوت تأتى لك والصحة والامن
واصبحت ذا حزن فلا فارقك الحزن وعن ابن عباس انه قال كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك
ثنتان سرف ومخيلة وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة
التكاثر عفى الله تعالى عنه ان يحاسبه بنعمته التي انعم بها عليه في الدنيا

سورة العصر مكية وقال المدنية وهي ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

اختلفوا في معنى العصر قال بعضهم هو قسم بالدهر وفائدة القسم به ما في تردده وتقلبه
من الدلالة على وحدانية الله تعالى ويجوز ان يكون المراد به ورب العصر وانما سمي الدهر عصرا من عصر الثوب
لان الدهر هو الوقت الذي يقدر فيه على فتل الامور كفتل الثوب لاخراج الماء عنه وقال بعضهم
المراد بالعصر العشي وفائدة ذكره ما فيه من الدلالة على وحدانية الله تعالى من اقبال الليل وادبار النهار وذهاب
سلطان الشمس كما اقسم باول طرفي النهار في قوله تعالى والضحى بهذه المعاني في الاول تنبيه
على ما يلزم التمسك به في العصر وفي الثاني تنبيه على مراعاة الصلوة فيه وانما سميت صلوة العصر بهذا الاسم
لانها تعتصر الى التاخير واما قوله تعالى ان الانسان لفي خسر فهو جواب القسم والانسان ها هنا اسم
جنس اريد به جميع الناس ولذلك استثنى منهم المؤمنين المطيعين لربهم ومعنى الخسر في هذا ان عاقبته الى

الخسر

الخسر كما في قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا
ويقال ان المراد بالانسان هاهنا الكافر يخسر نفسه واهله ومنزله وخدمه في الجنة ويرثه المؤمن
وقيل ان معنى الخسر ها هنا نقصان العمر لان عمر كل انسان راس ماله والمؤمن وان كان ينقص من
عمره الذي هو راس ماله فانه يربح عليه بالطاعة ولا يعد ذلك خسرانا كما ان التاجر اذا اخرج راس ماله
من يده وربح على ذلك لم يعد ذلك خسرانا لانه لا يتوصل الى الربح الا باخراج راس ماله من يده فمعنى الخسران
لا يتحقق الا في الكافر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان
يومه خيرا من امسه فهو مغبوط ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ومن لم يكن في الزيادة فهو في
النقصان ومن كان في النقصان فالموت خير له من الحيوة وفي قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات الى اخر السورة بيان ان هؤلاء هم الذين يتمسكون بما يؤديهم الى الفوز بالثواب والنجاة
من العقاب فانهم لا يقتصرون على طاعة انفسهم بل يحثون غيرهم على الطاعة ليقتدى بهم وليكونوا
سببا في طاعة غيرهم على ما يقتضي ان يكون عليه اهل الدين والتواصي التفاعل من الوصية وهو ان يوصي
بعضهم بعضا باتباع القران وطاعة الله تعالى والصبر على الشدائد في ذات الله تعالى فان الجنة محفوفة
بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات وعن بعض السلف انه كان يقول اصبروا على امر لا غنى بكم عن ثوابه
واصبروا عن امر لا صبر لكم على عقابه وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرأ سورة العصر ختم له بالصبر وكان من اصحاب الحق والله اعلم بالصواب

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة

روي عن عبد الله بن عباس انه
قال نزلت هذه السورة في الاخنس بن شريق كان يهمز الناس ويلمزهم مقبلين ومدبرين وقال مقاتل
نزلت في الوليد بن المغيرة وحرف كل في اول السورة يقتضي ان هذا الوعيد لكل من يغتاب الناس
ويعيبهم والويل كلمة يقولها العرب لكل من وقع في هلكة وقيل انها واد في جهنم مملوء من القيح
والصديد ما يسيل من اهل النار والهمزة في اللغة الطاعن على غيره بغير حق بلسانه وبالحواجب والكلام المعتاب
العتاب وعن ابي العالية انه قال الهمزة الذي يهمزهم في الوجه واللمزة الذي يلمزهم من خلفهم واصل الهمز
العصر بعنف ومنه المهماز وهو الحديدة التي تنخس بها الفارس في عقب خفه ليضرب بها في بطن دابته كي
تشتد عدوها وقيل الاعرابي اتهمز الفارة فقال الهرة تهمزها واصل اللمز العيب كما في قوله تعالى
ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعيب بعضكم بعضا وقيل لبعضهم الهمزة هو الذي يطعن في الناس بلسانه وهو من
ابنية المبالغة كالضحكة واللعبة وقوله الذي جمع مالا معناه الذي جمع مالا كثيرا من الحرام وعدده
اي اعده لنوائب دهره تقول العرب جمعت الشيء اذا كان متفرقا فجمعته وتقول العرب حصنت الشيء
اذا كثرت حفظه ومن قرأ وعدده بالتخفيف فمعناه وما تعاهد الذين اعدهم انصارا لنفسه ويجوز ان
يكون معناه واحصى عدده يحسب هذا الكافر الطعان اللقاء ان كثرة ماله يخلده ويبقيه اي يعمل
عمل من يظن ان ماله يبقيه كلا اي حاشا ان تخلد احدا في الدنيا ويجوز ان تكون بمعنى حقا ليحقق
لينبذن في الحطمة اي ليطرحن فيها من قرأ لينبذان اي هو وماله والمعنى ليطرحن هو وماله والحطمة
اسم دركة من دركات النار سميت بهذا الاسم لانها تكسر الحطم كسرا والحطم التكسير ومنه يقال
رجل حطمة اذا كان كثير الاكل وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة تعظيم لشان هذه الدركة
وقوله تعالى نار الله الموقدة بيان لها اي انها نار كونها هي الخطر ومكره سعرها على اهلها لا تخمد ابدا لا يؤدي
تعذيبها فلا التي تطلع على الافئدة اي تشرف على القلوب فتحرق ما فيها من الجلود واللحوم والعظام

والعروق حتى يبلغ احراقها الى القلوب فيكون المعذب في حال من يموت فلا يموت فان العذاب اذا بلغ الى القلوب بدل لحوما وعظاما وجلودا غيرها في اسرع من لمح البصر وقوله تعالى انها عليهم موصدة معناه ان الحطمة على الكفار مطبقة الابواب من قولك اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته والموصد هو الباب وفي تفسير ابن عباس انه قال لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وقوله تعالى في عمد ممددة يجوز ان يكون العمد جمع العماد وهو الاسطوانة كما يقال في جمع الاهاب اهب ويجوز ان يكون ذلك جمع العمود وقد اختلفوا في معنى هذه الاية قال بعضهم تطرح العمد الممددة وراء الابواب الموكدات ليكون ذلك ابلغ في ياسهم من الخروج منها وقال بعضهم تمد ايديهم وارجلهم الى عمد ممدودة في النار ليكون ذلك زيادة في تعذيبهم وعن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المومن حذر فطن كيس وقاف متثبت عالم ورع لا يعجل يكسب طيبا وينفق قصدا ويقدم فضلا والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يدري من اين اكتسب وفيم انفق وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الهمزة اعطي من الاجر بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم عشر حسنات

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات

بلا خلاف بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول

وذلك ان فئة من العرب كانوا خرجوا الى ارض النجاشي تجارا فساروا حتى دنوا من ساحل البحر نزلوا بحضرة بيت كان ذلك البيت مصلى للنصارى فاججوا نارا استعملوها لبعض ما احتاجوا اليه ثم رحلوا ولم يطفئوها وكان ذلك في يوم عاصف فهاجت الرياح فاضطرم البيت الذي كان مصلى للنجاشي واصحابه نارا وكانوا يعظمون ذلك البيت كما تعظم العرب الكعبة فقصدوا لذلك السبب مكة يقصدون ان يحرقوا بيت الله تعالى الحرام ويستبيحوا اهل مكة فلما دنوا من الحرم ومعهم الفيل لم تتبعهم دوابهم نحو البيت فاذا عطفوها الى غيره سارت فكان ذلك وعظا من الله تعالى لهم بالغا لو اتعظوا فلم يرجعوا واقاموا على قصد البيت وعلى ان يخربوه فارسل الله تعالى عليهم طيرا نشات من قبل البحر رؤوسها كرؤوس الطير وارجلها كارجل الكلاب في مناقيرها الحصا امثال حصا الخذف بعد بها طير منها حتى اتى العسكر وركد وركدت معه فوقهم هكذا جماعات او وحدانا ثم اتت جماعة اخرى حتى خالطت الطير الاولى ومع كل طير منها حجر فارسلت من فوقهم الاحجار التي كانت في مناقيرها فوقع كل حجر منها في راس صاحبه الذي ارسل الحجر عليه فنفذ فيه حتى خرج من دبره فخمدوا جميعا وهلكت دوابهم وكان ذلك في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك ارهاصا لنبوته فانزل الله تعالى هذه السورة دلالة على توحيد الله تعالى وعلى تعظيم امر كعبته والمعنى الم تعلم يا محمد وتعال الم تخبر كيف فعل الله باصحاب الفيل حين ارادوا هدم الكعبة واحراقها كذلك يفعل الله تعالى باعدائك اذا لم يومنوا بك وقوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل معناه الم يجعل مكرهم في تضييع حيث لم ينتفعوا به وارسل عليهم طيرا متفرقة في جماعات والابابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها عند ابي عبيدة والفراء كما لا واحد للعباديد ويقال واحدها ابول كما يقال عجول وعجاجيل ويجوز ان يكون واحد الابابيل كما يقال اكليل واكاليل وقوله تعالى ترميهم بحجارة معناه جعلت ترميهم بحجارة من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وهذا فارسي معرب على قول بعضهم واصله سنك كل ويقال معنى السجيل الشديد فكانه قال من شديد عذابه وعن ابي صالح رضي الله عنه انه قال رايت في بيت ام هانئ بنت ابي طالب نحوا من قفيز من تلك الحجارة سود مخططة بخطوط حمر على قدر بعر الغنم كانها جزع ظفاري وقوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول معناه جعلهم كورق الزرع الذي وقع فيه الدود فاكله

وعن ابي

وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الفيل اعاذه الله من القذف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع ايات عند العراقيين

وخمس عند الحجازيين بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

اختلفوا في اللام المذكورة في اول هذه السورة قال بعضهم لام امر والمعنى لانعام الله تعالى على قريش بايلافهم الكعبة وايلافهم رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام فليعبدوا رب هذا البيت وليوحدوه شكرا لما انعم عليهم من النعم والايلاف الحاق الالف ما يتدبر اللطيف ويطرح الايناس ويقبضه الايحاش يقال الفت الشيء الفه الفا اذا احببته والفت فلانا اذا جعلته يالف وايتلفت القوم وتالفوا واما الرحلة فهي السير على الراحلة والرحل متاع السفر وكانت لقريش رحلتان في السنة كانوا يخرجون في الرحلتين شتاء وصيفا آمنين وكان سائر العرب لا يقدرون على ذلك من الخوف فذكرهم الله تعالى بما كانوا فيه من الامن حتى ان الرجل من مكة كان اذا اصيب في حي من احياء العرب قيل حرمي حرمي فخلي عنه تعظيما للحرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان قريشا دابة في البحر تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناح ريشا لا تظهر لها شيء الا اكلته وينشد في ذلك

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا

وقال بعضهم ان اللام التي في اول السورة لام التعجب كما يقال في اول الكلام بالتعجب اعجب وباهذا الامر العظيم كانه قال يا محمد اعجب لانعام الله تعالى على قريش في ايلافهم وقال بعضهم انها لام تعليل لما سبق ذكره في السورة التي قبلها والمعنى جعلهم كعصف ماكول ليولف قريشا ثم فسر الايلاف فقال ايلافهم قال بل ايلافهم بحذف الشتاء والصيف اي ليولفهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف وانما قال ذلك لانه لما بلغهم ان ابرهة بن الصباح قصدهم بجنود النجاشي وجموعه خافوا منه فتفرقوا في البلاد فلما اهلكهم الله اقبلوا اليه من الله تعالى عليهم بان جمعهم بعد تفرقهم وكان بمكة بلدة لم يكن بها زرع ولا ضرع ولا شجر ولا رطب وكان معاش اهلها بالسفر اليها فاهلك الله تعالى عدوهم لان تالف قريش وتجتمع ولان تالف رحلة الشتاء والصيف في الشتاء ولولا تجارتهم فيها بين الرحلتين لاضطروا الى الخروج منها والتفرق في البوادي ولكن اراد الله تعالى ان يكرموا بمكة الى ان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من جنسهم نبيا اليهم والى سائر الناس فبعد ذلك كثروا وفرض الله تعالى الحج على الناس وسوقهم الى العود الى مكة مرة بعد اخرى وعن هذا قال بعض المفسرين ان المراد بالرحلة في هذه السورة رحلة الناس اليهم وان يحملوا اليهم من الميرة ما يكفيهم واما قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع معناه انه تعالى تسبب لادرارهم وآمنهم من خوف الغارة ومن الخوف الذي كان يلحق الناس في طرقاتهم من جهة عدوهم ويقال اراد بالاطعام ان اهل مكة كان اصابتهم سنون كسني يوسف عليه السلام بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة فقال الله تعالى اطعمهم من الجوع واراد بالامن امنهم تعالى بعد ان تتابع ذلك الجذب من الجذام كان يبتلى به في ذلك الوقت اهل البلاد التي وراء مكة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة قريش اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من طاف حول الكعبة واعتكف فيها وبالله التوفيق

سورة الماعون مكية وقيل مدنية

وهي سبع ايات عراقي وست شامي وحجازي بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون

معناه اعلمت يا محمد

الذي يكذب بالبعث والحساب والجزا وهذا لفظ استفهام بمعنى التقرير كما تقال ارايت فلانا ماذا
نعل ما فعل ويقال اولم ترى اذ قال لنا قال والمكذب هاهنا هو العاص بن وائل السهمي فهو اول
من اظهر انكار البعث من قريش وكان ربى يتيما فدفعه عن حقه واكل ماله وكان لا يطعم المسكين
بنفسه ولا يامر غيره بالاطعام وهذه السورة تهديد لجميع الكفار الذين يعملون مثل عمله والتكذيب
بالجزا من اضر الاشيا على صاحبه لان ذلك يصرفه عن دواعي الخير ويحمله على اتباع الشهوات الدع الدفع على وجه
العنف وفي اضافة الطعام الى المسكين دليل على ان المراد به منعه عن الحق الواجب له ومنع الغير عن ذلك بان
لم يحضه عليه على طريق التهاون لا على سبيل العجز وقوله تعالى فويل للمصلين اراد بالمصلين هاهنا المنافقين
الذين يسهون في صلاتهم عن ذكر الله تعالى من حيث لا يقصدون عبادة لله ولا تقربا اليه ولذلك قال
الذين هم يراؤن وهم الذين اذا راهم المخلصون صلوا معهم رياء واذا لم يروهم لم يصلوا وهذا يبين انه
ليس المراد بالسهو في الاية سهو نسيان وعن الحسن رضي الله عنه انه قال يسهون عن ميقاتها حتى يفوت
وعن مجاهد انه قال ساهون لاهون كانه ذهب الى انهم يسهون للهوهم عنها وقلة فكرهم فيها
وعن انس رضي الله عنه انه قال الحمد لله الذي لم يجعل السهو هاهنا في صلاتهم وانما ذكر السهو عن صلاتهم
ومما يؤيد هذا القول ان لفظ المصلي قد يطلق ويراد به القابل للصلوة كما في قوله تعالى فان تابوا
واقاموا ومعناه قبلوا الصلاة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اما اني نهيت عن قتل المصلين
اي عن قتل القابلين للصلوة واما ما روي عن ابي العالية انه قال في هذه الاية هو الذي لا يدري اعلى
شفع ام على وتر فلا وجه لهذا التاويل الا ان يحمل على انه لا يتفكر فيها ولا يبالي كيف صلى لان السهو الذي
ليس من فعله لا يجوز ان يستحق العقاب عليه واما قوله تعالى ويمنعون الماعون فقد روي عن علي كرم
الله وجهه ان الماعون هو الزكوة المفروضة كانه ذهب الى ان الماعون فاعول من المعن والمعن في اللغة
هو المعروف وقد قرنه الله تعالى في هذه الاية بما تقدمها من ذكر الصلوة وذلك يدل على ان المراد بها الزكوة
وعن ابن مسعود وابن عباس ان المراد بالماعون ما يبذله الجيران بعضهم لبعض مثل الفاس والمسحاة ونحوها
مما ينتفع به في البيت كانهما ذهبا الى ان الماعون فاعول من المعونة وهو كل ما يعين الناس به بعضهم بعضا
من مبتذل الاشيا ومن ذلك يسمي الشي القليل الغنية من الالات البيت المعن ويقال ان الماعون من الما المعين
واراد به الماء وكلا في هذا الكلام بيان وصف هؤلاء القوم انهم في غاية الشر ولا ينبغي ان يكون جميع ما
ذكر في هذا الباب مرادا من الاية لان اعارة الالات التي تكون في البيت قد تكون واجبة في حالة الضرورة
ومانعها مذموم مستحق للوم ومن منعها في غير الضرورة لا يكون متخلقا باخلاق المسلمين ٥ وعن ابي بن
كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الماعون اعطاه الله ثواب المصلين الخاشعين

سورة الكوثر مكية وقيل مدنية وهي ثلاث ايات ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ٥ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والاعطا في
اللغة اخراج الشي الى اخر بتمليك او بغير تمليك وهو في هذا الموضع تمليك والكوثر في اللغة الخير الكثير
وهو فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وهو العطا وقد اختلفوا في الكوثر في هذه السورة روي عن ابن
مسعود انه قال اريد به القران وعن الحسن ان المراد به النبوة ورفعة الذكر والنصر على الاعدا ويجوز
ان يريد بالكوثر ايضا ما اعد الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم من الثواب في الاخرة وعن انس وابي سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت نهرا في الجنة ليلة اسري بي الى السما فسالت جبريل عليه
السلام عن ذلك فقال هو الذي اعطاكه الله تعالى ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف ذلك النهر
فقال كان اقوم من السهم وكان رضراضه من اللؤلؤ وبرقه من الزبرجد وبروى من الذهب حافتاه

في هذا

الزجل الصوت

في هذا الباب قال ومجراه على الدر والياقوت وطينه اطيب من المسك الاذفر وماؤه ابيض من اللبن واحلى
من العسل من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا وعلى حافتيه قباب من الدر المجوف يسمع حولهن زجل
بالتسبيح والتهليل والتمجيد بصوت لم يسمع [illegible] احسن وتقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن
الناعمات فلا نبؤس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن الكاسيات فلا نعرى ابدا ونحن ازواج
قوم كرام طوبى لمن كان لنا وكنا له وعن عايشة انها سئلت عن الكوثر فقالت هو نهر في الجنة من
وضع اصبعه في اذنيه سمع خرير ذلك النهر وعن سهل بن سعد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انا فرطكم على الحوض من ورد علي شرب منه وبعث الناس يوم القيمة صادين يعني عطاشا البر والفاجر
من شرب منه لم يظما بعدها ابدا وليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فاقول اي
رب امتي فيقال انك لا تدري ما عملوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي واما قوله فصل
لربك وانحر معناه فاشكر الله تعالى على هذه النعم العظيمة بالصلوة والنحر روي عن عبد الله بن عباس
وجماعة من الصحابة انهم قالوا اراد بذلك صلاة العيد ونحر البدن يوم الاضحى وقيل اراد بذلك صلوة
الغداة في يوم النحر ونحر الحاج وقيل اراد بالصلوة هاهنا جميع الصلوات المكتوبات وعن علي
انه قال اراد بالنحر هاهنا وضع اليمين على الشمال تحت السرة في الصلوة كانه ذهب الى ان المراد به ابدا
النحر وقيل اراد بذلك الاستوا بين السجدتين حتى يبدو نحره وقيل في معناه استقبل القبلة بنحرك ولا
تلتفت ومن ذلك قولهم منازلنا تتناحر اي تتقابل واما قوله تعالى ان شانئك هو الابتر معناه
ان مبغضك هو الابتر الذي لا عقب له ولا حسن ذكر في الدنيا والاخرة نزلت في العاص بن وائل السهمي كان
تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد الحرام بعد موت عبد الله بن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم قيل للعاص من هذا الذي كنت تجامعه في الكلام فقال
هذا الابتر محمد يريد به انه ليس له ابن يخلفه ويقوم مقامه وكانت قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موت ابنه عبد الله وكذلك كانوا يقولون لكل من لم يكن له ولد ذكر يريدون بذلك انه
ينقطع ذكره بعد موته فانزل الله تعالى هذه السورة اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابا
لهم [illegible] فقد جعلت ذكرك مع ذكري
فلا ينقطع ذكرك ابدا والابتر في اللغة القطع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الكوثر [illegible] حسنات بعدد من قرب القربان يوم النحر ٥ ٥ ٥

سورة الكافرون مكية وقيل مدنية وهي ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما
اعبد لكم دينكم ولي دين ٥ روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه السورة في رهط من
قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة المخزومي والاسود بن عبد يغوث والاسود

بن المطلب ابو العباس بن عبد المطلب فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه
بما يقول وامنا به وبما جاء به وروي انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اعبد الهتنا نعبد الهك حقبا
اي تمام سنة فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة والمعنى قل لهم يا ايها الكافرون
بتوحيد الله تعالى لست في حالي هذا عابدا ما تعبدون من الاصنام ولا انتم الان عابدون الهي الذي اعبد
فيها لكم بالاخلاص في عبادة الله تعالى ولا انا عابد فيما استقبل ما عبدتم من الاصنام اي لا اجيبكم
اليه الى ما تدعونني اليه ولا انتم عابدون فيما تستقبلون الهي الذي اعبده اذ لم اجبكم الى الرجوع الى
ما تعبدونه وفي هذا اخبار عن ما جرى مجرى الغيب وهو اعجاز لان مثل هذا لا يعلم الا ولكنك الا بوحي من الله
تعالى وكان اولئك ممن قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون وهذا كما قلناه في قوله تعالى ان الذين كفروا
سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وكما في قوله تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
وكما اخبر الله عن ابليس لعنه الله انه لا يتوب ابدا وذهب بعض المفسرين الى ان قوله لا اعبد ما تعبدون
خبر عن الاستقبال وقوله ولا انا عابد خبر عن الحال لان اعبد فعل مستقبل وعابد اسم فاعل الا ترى انه
قال في قوله تعالى ولا انا عابد لفظ الماضي بان قال ما عبدتم واما قوله تعالى بعد هذا ولا انتم
عابدون ما اعبد فمعناه ما كنت اعبده وفي كل واحد من هذين القولين بيان ان ما في السورة ليس على وجه
التكرار كما يظنه بعض الملحدة لان الانسان قد يفعل في الحال ما لا يفعله في المآل وقد يفعل في المآل
ما لا يفعله في الحال وقد يفعل فيهما جميعا وفي هذه القصة نزل قوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون وذهب بعضهم الى ان اللفظين الاخيرين لست اعبد عبادتكم ولستم عابدين عبادتي لان عبادتي
ليست الا كما يجب وعبادتكم باطل بغير استحقاق وكان هذا القائل جعل ما هاهنا بمعنى المصدر كما في قوله
تعالى والارض وما طحاها وقال بعضهم انما تكرر الكلام في هذه السورة لتكرار الوقت لانهم
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة ثم قالوا ما سألنا من العدد
والنقصان فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكرر عليهم ما سألوا على التفصيل الذي ذكروه
وقد يكرر الكلام على وجه التأكيد حسما للاطماع فان مثله كثير في كلام العرب وخطبهم
واشعارهم كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال ان بني مخزوم استأذنوني في ان ينكحوا فتاتهم
عليا رضي الله عنه فلا اذن فلا اذن ان فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها ولم يكن تكرار
هذا الكلام معنى الا التأكيد وكذلك قال الشاعر يا علقمه يا علقمه خير تميم كلها واكرمه
وقال آخر كم نعمة كانت لكم كم كم وكم ه واما قوله تعالى لكم دينكم ولي دين فمعناه لكم جزاؤكم
على عبادة الاوثان ولي جزائي على عبادة الرحمن فانظروا معنى كل واحد من الامرين فان قال قائل ان ظاهر
هذه الاية يقتضي التسليم فكيف يكون التسليم في هذا الباب قلنا ان التسليم بعد ما ثبت ان الضرر لا يلحق
المسلم اليه لا يكون الا على وجه الوعيد ونظير هذا قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقوله تعالى
اعملوا ما شئتم وقال ان حكم هذه السورة منسوخ باية السيف ولم يكن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة
الا الابلاغ عن الله تعالى وفي هذه الاية دلالة على ان الكفر كله ملة واحدة لانه تعالى جعل الكفر مع
اختلاف مذاهبهم فيه دينا واحدا وجعل دين الاسلام دينا واحدا وقال عبد الله بن عباس لما نزلت هذه
السورة غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام فقام على رؤوس الملأ منهم ثم قال يا ايها الكافرون
فاستمروا اليه ينظرون فقال لا اعبد ما تعبدون حتى فرغ من السورة فآذوه واصحابه وايسوا منه ه وعن ابي
كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الكافرون اعطي من الاجر كمن قرأ ربع القرآن
وتباعد عنه مردة الشياطين ويعافى من فزع يوم الفزع وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اقرأ قل يا ايها
الكافرون فانها براءة من الشرك وبالله التوفيق ه **سورة النصر مدنية وهي ثلث ايات بلا**

خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ٥
روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه السورة بالحديبية ومعناه اذا جاءك نصر الله على الاعداء
من قريش وغيرهم وجاء فتح مكة ورأيت يا محمد الناس يدخلون في الاسلام جماعات جماعات بعد
ان كانوا في ابتداء الاسلام يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين فصل لربك مع شكرك اياه على
انعامه عليك واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات انه كان متجاوزا عن المستغفرين كثير قبول
التوبة منهم قال ابن عباس كان عمر رضي الله عنه يسألني مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
عبد الرحمن بن عوف اتسأله ولنا بنون مثله فقال له عمر رضي الله عنه انه من حيث تعلم قال فسألني عن
هذه السورة فاجبته فقال له عمر والله لا اعلم منها الا ما تعلم وروي ان هذه السورة لما نزلت قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا ولقائه فاختار لقاء الله
تعالى فعلم ابو بكر ما يريد بهذه السورة فقال بابي وامي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فديناك بالانفس
والاموال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التسبيح وعاش بعد هذه السورة سنتين وكان
اكثر ما يقول سبحانك اللهم وبحمدك واتوب اليك فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم جعلت لي
علامة في امتي اذا رأيتها فعلتها وعن الحسن انه لما فتح الله تعالى مكة قالت العرب بعضها لبعض قد ظهر
محمد صلى الله عليه وسلم على اهل الحرم ومنع الله اصحاب الفيل عنه فليس لكم به يدان فادخلوا في دين الله
افواجا وكان الحسن يقول اختموا اعمالكم بخير فان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرب اجله امر
بكثرة التسبيح والاستغفار وتعالى في فامر بتخصيص اخر العمر بالامر بالاستغفار ان الطاعات وان حسنت
وجميع الاحوال التي في اخر العمر اشرف مع سنة احسنها ده في طاعة الله تعالى يعلم بجميع الامة لان احدا
لا يخلو من ذنب او تقصير في بعض ما لزمه من اوامر الله تعالى والانبياء صلوات الله عليهم يستغفرون من
الصغائر وفي هذه السورة موجبة للشكر على كل مسلم لان ما تفيد قوة الدين فهو نعمة على جميع المسلمين وفي
هذه السورة دلالة على ان نزولها كان قبل فتح مكة وقبل دخول الناس في دين الله افواجا لان حرف
اذا للاستقبال دون الماضي وفي هذا دليل على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم واجب يحتج على ما
اخبر به وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ هذه السورة اعطي من الاجر
كمن شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد استدلوا من هذه السورة على ان مكة فتحت عنوة
لان اطلاق الفتح يقتضي عنوة ولا ينصرف الى الصلح الا بدليل والله اعلم بالصواب ه **سورة تبت**
مكية وهي خمس ايات بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم
تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة
الحطب في جيدها حبل من مسد ٥ روي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس انه لما نزل قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فنادى يا صباحاه فاجتمعت
اليه قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيتم لو اخبرتكم ان خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير
لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم دعا عمومته فقدم اليهم طعاما فقالوا لنا كل الشاة وانها
الصحفة فاكلوا منها اجمعين حتى شبعوا ولم ينقص من الطعام الا يسير
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اني لما عندك ان اتبعناك فقال لكم ما
للمسلمين وعليكم ما على المسلمين وانما تتفاضلون في الدين فقال ابو لهب الهذا دعوتنا تبا لك
فانزل الله تعالى هذه السورة وتبت الخسران الذي يؤدي الى الهلاك والمعنى خسرت يداه

واضاف الى اليدين لان اكثر العمل يجري على اليدين وقوله تعالى وتب معناه وخسر هو بنفسه
خسرانا لا يفلح بعده ابدا وقال ان الاول دعاء كما يقول القائل اهلكه الله والثاني خبر بعد الدعاء
وتاكيد هذا التأويل ما روي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبت يدا ابي لهب وقد تب وقيل
انما اضاف الاول الى اليدين لانه كان اخذ حجرا ليرمي به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل
تبت يداه وتب هو بنفسه بما استحق من العقوبة في الآخرة واختلفوا في المعنى الذي لاجله ذكره الله تعالى
بالكنية فقال بعضهم انما ذكره بالكنية لانه كان اسمه عبد العزى فلذلك ذكره الله تعالى بالكنية
وقال بعضهم كان مشهورا بالكنية وقال بعضهم كانت وجنتاه حمراوين واما قوله تعالى ما اغنى
عنه ماله وما كسب يجوز ان يكون معناه ما نفعه اي لا ينفعه كثرة ماله في الآخرة ولا ينفعه ما اعد
من الكيد والحيل ويجوز ان يكون معناه اي شيء اغنى عنه ماله وولده وسمي ولده كسبا لان ولد الرجل
من كسبه كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان افضل ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه ويستدل بهذه الآية على ان الرجل لا يقتل بولده لان ولده كسبه فلا يقتل به كما لا يقتل بعبده
الذي هو من كسبه ويستدل من هذه الآية على ان الاب اذا استولد جارية ابنه صح استيلاده وصارت
ام ولد له ولذلك اضاف النبي صلى الله عليه وسلم الولد ومال الولد الى الاب حيث قال انت ومالك
لابيك واما قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب معناه سيدخل ابو لهب في الآخرة نارا لا يسكن لهبها
ولا يطفأ جمرها وامرأته ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان تصلاها معه واختلفوا في معنى وصفها بحمالة
الحطب قال بعضهم انما وصفت بهذه الصفة لخستها وبخلها لانها كانت تحمل الشوك والعضاه
فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرها الله
تعالى بالاحتطاب وهو ما تحمله من الشوك وقال بعضهم انما وصفت بهذه الصفات لانها كانت
تمشي بالنميمة وتسمى النميمة حطبا لانها توقد نار العداوة بين المحمول عنه والمحمول اليه كما ان الحطب توقد
النار المعروفة وقال بعضهم كانت لابي لهب امرأة غير هذه فوصف الله تعالى هذه بهذه الصفة ويجوز ان يكون
قوله وامرأته رفعا بالابتداء وحمالة من نعتها وخبره قوله تعالى في جيدها ومن نصب حمالة فعلى الذم والشتم
والمعنى اعني حمالة الحطب واما قوله تعالى في جيدها حبل من مسد فقد اختلفوا في معناه قال بعضهم
في عنقها حبل من ليف في الآخرة له ثقل الحديد وحرارة النار وخشونة الليف وذلك انه كانت لها قلادة فاخرة
وكانت تقول لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ونظير هذا قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة وقال انما تجعل ذلك في عنقها يوم القيمة بسبب ما كانت تحمل من الشوك فتطرحه في طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل ذلك في عنقها بهذا السبب اي ان بعض الله من عباده ما هو قاص وساق الى
النار وقال اراد بذلك ليف المقل احتطبت بذلك في الدنيا والمسد في اللغة الفتل والممسود المفتول
ويسمى الحبل بهذا الاسم لانه من شأنه ان يفتل وقال بعضهم اراد بالمسد هاهنا سلسلة من حديد طولها
سبعون ذراعا بالذراع الاول لو وضعت حلقة منها على جبل لذاب كما يذوب الرصاص فيدخل السلسلة
الحديد في يديها ورجليها البكرة والسلسلة فيها فهي تعذب في النار كما تعلق الدلو على البكرة في البئر
حسب ما كانت تحمل في الدنيا بالنميمة شهرها الله بهذه العلامة في جهنم [illegible]
مع الوان سائر العقوبات ومن الدلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة ان الله
تعالى اخبر ان ابا لهب وامرأته سيموتان على الكفر ولا يسلمان فوجد مخبره على ما اخبر به فقد كان
هو وامرأته سمعا بهذه السورة ولذلك قالت امرأته ان محمدا هجانا وكان يمكنهما ان يقولا اسلمنا
هذا القول وتجد المشركون متعلقا بذلك ولكن الله تعالى علم انهما لا يسلمان لا باطنا ولا باعتقاد
وكان كما اخبر الله تعالى عن ذلك وهو من اظهر الدلالة في هذا الباب ه وعن ابي بن كعب عن رسول

صل

الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله تعالى بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي ثلث ايات

عند الكوفيين والشاميين واربع عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اختلف المفسرون في
سبب نزول هذه السورة روي عن ابن عباس ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك الذي
تدعونا اليه وعن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فانزل الله
تعالى هذه السورة وعن مقاتل بن سليمان ان عامر بن الطفيل العامري دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
[illegible] على ان لك المدر ولي الوبر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما انت امرؤ من المسلمين لك ما لهم وعليك
ما عليهم فقال عامر فلك الوبر ولي المدر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال فلي الامر من بعدك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لك ما لهم وعليك ما عليهم فقال انعت لنا ربك امن ذهب هو ام من فضة ام
من نحاس ام من حديد ام من صفر فان الهتنا من هذه الاشياء قال [illegible] على
النبي صلى الله عليه وسلم فغضب عامر وقال لاملأنها عليك خيلا ورجالا الف امرد على الف اشقر فانزل
الله تعالى هذه السورة وبين فيها نعته وعن سعيد بن جبير ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا
ابا القاسم انك اخبرتنا ان الله تعالى خلق الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم عليه السلام
من طين فاخبرنا عن ربك مم خلقه وفي بعض الروايات قالوا ان هذا الخلق خلق الله فمن خلقه فغضب النبي
صلى الله عليه وسلم حتى [illegible] فجاء جبريل عليه السلام واوحى اليه ان
اسكن وانزل الله عليه هذه السورة وذكر ابن كيسان في تفسيره ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
صف لنا ربك فانه تعالى قد انزل نعته في التوراة فما طوله وما عرضه [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم و
اصبعيه في اذنيه وفاضت عيناه فجعل ابو بكر يمسح الدموع عن وجنتيه فانزل الله تعالى هذه السورة جوابا
لهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والمعنى قل لهم يا محمد الذي سالتم عن نسبته هو الله وهذا
الاسم معروف عند جميع اهل الاديان والملوك كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال
تعالى ولله الاسماء الحسنى [illegible]
[illegible]

وكاله

تعالى احدية ذاته احدية في صفاته احدية في افعاله وتعالى له احد لا عن احد احد غير متجزئ ولا متبعض
احد لا ثاني له احد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء لا جوهر ولا عرض ولا جسم ولا محل للحوادث احد
يستغني عن كل احد ولا يقال اي شيء هو ولا كيف هو ولا متى كان ولا حيث كان ولا اين كان ولا
اين هو سبحانه ليس بذي حس من الاجناس ولا يجوز عليه ما يجوز على عباده وهو الذي كيّف الكيف
وحيّث الحيث وخلق الوقت والزمان والمكان وأيّن الاين لا يحتاج الى شيء ولا يحل في شيء وهو
الغني عن كل شيء خلق الاشيا وابدعها لا من شيء ولا في شيء ولا بشيء وهو الاول قبل كل شيء والقادر على
كل شيء والعالم بكل شيء والغني عن كل شيء فتبارك الله رب العالمين ٥ واما الكلام في اعراب
اسم الاحد في هذه السورة فاكثر الناس ينونونه فيقولون احدٌ لانه اسم على فعل لا مانع له من الجري فيكسر
النون عند الوصل لسكونها وسكون اللام التي بعدها ومن حذف التنوين فلالتقاء الساكنين كما في قوله
تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله بغير تنوين ومن يسكن الدال اراد الوقف لانه راس اية وزعم بعضهم
ان حذف التنوين من احد على نية الالف واللام كانه قال قل هو الله الاحد وكان الكسائي يقول
في قوله هو انه عماد في الكلام وتقديره قل الله احد ونظير هذا قوله تعالى انه انا الله الا ان القول
الاول الذي قدمناه من ان هذا عبارة عن الذي كان يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم الى عبادته اصح
واحسن وهو اسم الله تعالى الاعظم الذي يجمع جملة معاني الاسما كما روي عن امير المومنين علي كرم الله
وجهه انه قال رايت الخضر عليه السلام في المنام قبل يوم بدر بليلة فقلت له علمني شيا انتصر به على الاعدا
فقال قل يا هو يا من لا هو الا هو فلما اصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي انما
علمت الاسم الاعظم واما قوله تعالى الله الصمد فمعناه هو الله الذي يصمد اليه في الحوائج واليه المفزع في
الشدائد تقول العرب صمدت الى فلان اصمد صمدا بسكون الميم اذا قصدته والمصمود المقصود وعن
ابن عباس انه قال الصمد السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم
الذي قد كمل في عظمته والجبار الذي قد كمل في جبروته والغني الذي قد كمل في غناه والحليم
الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته فهو الله الذي له
هذه الصفات كلها لا تنبغي الا له والعرب تسمي السيد صمدا قال الشاعر ٥
الا بكّر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد ٥ وعن امير المومنين علي كرم
الله وجهه انه قال الصمد الذي لا يوصف بالتغاير وعن الحسن وقتادة انهما قالا الصمد الدائم الباقي
بعد خلقه وعن ابي العالية عن ابي بن كعب انه قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يلد الا سيورث
وليس شيء يولد الا سيموت وان الله تعالى لا يورث ولا يموت وكتب اهل البصرة الى الحسين بن علي
رضي الله عنهما يسالونه عن معنى الصمد فكتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القران
بغير علم فان الله جل ذكره قد فسر الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وعن محمد بن
الحنفية انه قال الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وعن زيد بن علي انه قال الصمد الذي اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون وذهب بعض من تكلم في هذا الباب الى ان معنى الصمد المصمت الذي لا جوف
له وهذا قول لا يعرفه اهل اللغة ولا يليق بصفات الله تعالى وهو جهل من قائله لان المصمت هو المتكثر
من الاجزا الكثيرة وهذا تشبيه وكفر بالله تعالى وقوله تعالى لم يلد ولم يولد معناه لم يلد احدا فيرث
ملكه ولم يولد من احد فيورث عنه وحاصل هذه الاية يرجع الى نفي الحدث والحاجة عن الله تعالى وذلك
انه لو كان مولودا لكان محدثا يحتاج الى محدث ثم يكون الكلام في الثاني كالكلام في
الاول فيودي الى ما لا نهاية له ولو كان له ولد لكان محتاجا لان احدا لا يستولد الا لحاجته الى الولد
والاستمتاع والله سبحانه منزه عن جميع هذه الصفات كلها كما قال عز من قائل بديع السموات والارض انى يكون له

ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم وقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد
تقديره ولم يكن احد كفوا له اي لم يكن مثله شيء ولا شبيه الا وله مثل الا الله عز وجل فلا غنى باحد عنه وفي
الكفو ثلاث لغات قرا حمزة كفؤا مهموزة مخففة وهو في كلام العرب اكثر واظهر وقرا حفص عن
عاصم كفوا مثقلة غير مهموزة وقرا الباقون كفؤا مثقلة مهموزة والكفو والكفا والكفي واحد وهو
المثل والنظير ومن ذلك قال في معنى هذه الاية لم يكن له زوجة لان كل واحد من الزوجين يكون كفوا
لصاحبه ومن ذلك يستدل على ابطال مذهب المشبهة لان من جعله جسما جعله نظيرا للاجسام وذلك
بخلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من انه لا نظير له وهذه السورة رد على جميع اهل الكفر والمشركين في قولهم
بالشرك وعلى اليهود في قولهم عزير ابن الله وعلى النصارى في قولهم المسيح ابن الله وعلى الثنوية في قولهم بالسلطا
وقدمه وسميت هذه السورة سورة الاخلاص لانها تضمنت بيان اوصاف الله تعالى وليس فيها ذكر الدنيا ولا
ذكر الاخرة وهي مع قلة حروفها جامعة لكل ما يلزم معرفته من اوصاف الله تعالى لان العبادة لا تحق الا
للقادر على الخلق والاحيا والانعام بكل اصول النعم التي لا يقدر على شيء منها غيره مثل اكمال العقل واعطا
الحواس وغير ذلك مما لا يتوصل الى معرفة الله تعالى ووحدانيته وتوحيده الا به ولا يكون المفزع في الحاجات
والارزاق والاستغاثة على الشدائد الا الى الحي القادر العالم السميع البصير الذي تعالى عن صفات
المخلوقين وحاجات المحدثين ولو بسط الكلام في هذه السورة فيما يرجع الى ذات الله وصفاته وتنزيهه
عن كل ما لا يليق به لصار كتابا طويلا ولكن فيما ذكر الله تعالى كفاية لمن يتعلمه الذين يستنبطونه منه وبالله التوفيق
وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الاخلاص فكانما قرا ثلث القران
واعطي من الحسنات بعدد من امن بالله تعالى وبعدد من اشرك بالله وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه بعث سرية الى الغزوات وامر عليهم رجلا يقال له كلثوم فكان اذا صلى بهم قرا سورة الفاتحة ثم
قرا سورة الاخلاص ثم سورة اخرى فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه بذلك فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال له ما حملك على ما فعلت فقال يا رسول الله اني احب هذه السورة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حبك اياها يدخلك الجنة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا على سرية فكان يقرا لاصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع ذلك فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقراها فقال عليه
السلام اخبروه ان الله تعالى يحبه وعن انس بن مالك قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما ان
ندمها طلعت الشمس باحسن طلوع بشمس وضيا بها ونورها وحسنها فتعجب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك اذ اتاه
جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذه الشمس لها شعاع وضيا لم ارها مثل اليوم فقال
يا نبي الله انه مات اليوم معاوية بن معاوية الليثي بالمدينة وان الله تعالى بعث سبعين الف ملك يصلون
عليه قال وفيم ذلك يا جبريل قال بكثرة تلاوته سورة الاخلاص في بيته وقاعدا ثم قال صلى الله عليه وسلم
اكثروا منها فانها نسبة الله عز وجل من قراها خمسين مرة رفع الله تعالى له بها خمسين الف درجة وحط عنه
خمسين الف سيئة وكتب له خمسين الف حسنة ومن زاد زاده الله تعالى وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا سورة الاخلاص احدى عشرة مرة بنى الله له قصرا في الجنة من لؤلؤة بيضاء على عمود من ياقوت
احمر فيه اثنا عشر الف الف غرفة ومن قراها خمسين مرة بنى الله تعالى له منارا لمن تورد واجازه على الصراط
ومن قراها مائة مرة غفر الله له ذنوب ستين سنة وعن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قال سبع مرات يا الله يا احد يا صمد يقول الله تعالى لبيك عبدي سلني اعطك ولو بعد حين ٥

سورة الفلق مدنية وقيل مكية وهي خمس ايات

بلا خلاف ٥ بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر

ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد ٥ ذكر محمد بن
السائب الكلبي في تفسيره ان هذه السورة والتي بعدها انزلتا على النبي صلى الله عليه وسلم حين سحر فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وذلك ان رجلا من اليهود يقال له لبيد بن اعصم سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذه وعن عائشة رضي الله عنها فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد شكواه حتى تخوف عليه منه فبينما
النبي صلى الله عليه وسلم بين النائم واليقظان اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه
فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه اي شيء به قال الآخر به طب اي سحر قال من فعله قال لبيد بن اعصم
اليهودي قال فأين جعله قال في بئر بني كلبي وجعل سحره في كربة قال فما دواؤه قال تبعث الى تلك البئر
فتنزح ماؤها ثم ترفع الصخرة وتستخرج الكربة من تحتها فيها احدى عشرة عقدة وانما قالا ذلك لكي يفهم
النبي صلى الله عليه وسلم عنهما قالت فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقد فهم ما قالا فأرسل صلى الله عليه وسلم
عمار بن ياسر في نفر من اصحابه الى تلك البئر فانتهى اليها عمار وقد تغير ماؤها كهيئة الحناء من ذلك السحر
فنزحوا ذلك الماء ثم رفعت الصخرة فاخرجوا الكربة فأخذوها فاذا في الكربة وتر فيه احدى عشرة
عقدة فحملوها الى النبي صلى الله عليه وسلم فأحرقت ونزلت المعوذتان احدى عشرة آية فحلت بكل آية عقدة
وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ بهما وكان صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين
رضي الله عنهما قالت فحينئذ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما انشط من عقال وكان
لبيد بعد ذلك يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فما رؤي في وجه النبي صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك قط
ولا ذكره اياه وفي بعض الروايات ان بنات لبيد بن اعصم هن اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
بذلك لبيد فجعله في جف طلعة في بئر ذروان تحت راعوفة فصحته والجف وعاء الطلع والراعوفة صخرة تترك
في اسفل البئر اذا احفرت تكون راسية هناك فاذا ارادوا تنقيته البئر جلس المنقي عليها وكرب النخل اصول
سعفات السعف والكرابة ما يبقى في السعف قالوا فلما اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك
بعث ابا بكر وعمر رضي الله عنهما حتى اخرجاه وقيل بعث عليا رضي الله عنه في استخراجه فانزل الله تعالى
هاتين السورتين وكان هذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأن ذلك مما كان لا يقف عليه غيره
إلا من علمه ومعنى السورة قل يا محمد امتنع واعتصم واستعذ برب الفلق من شر كل ذي شر من الجن والإنس
والسباع والحيات والعقارب وغيرها والفلق على قول الكلبي وقتادة الصبح عند بيانه وظهوره ويقال
هو أبين من فلق الصبح وفرق الصبح وسمي الصبح فلقا لأن عمود الصبح ينفلق أي ينشق عن الظلام وأصل
ذلك من الفرق من قولهم فلق رأسه بالسيف فلقا قال الله تعالى فلق الصبح فالفلق كما قال تعالى فالق
الإصباح وعن ابن عباس ومقاتل ان الفلق الخلق يخرجون من اصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم كما ينفلق
الحب من النبات وهذا القول أعم من القول الأول وأقرب الى تعظيم الله تعالى لأن الفلق كله
جامعه من لطائف القرآن والله تعالى فالق الإصباح وفالق الحب والنوى وفالق البحر لموسى عليه السلام
وفالق الأسماع والأبصار وفالق القلوب حتى تكشف لها الغيوب فلا شيء إلا وهو موصوف بانه
منفلق عن غيره وعن كعب الأحبار انه دخل بعض كنائس الروم فقال أحسن عملا وأصل قوم رهب لكم
الفلق قيل له وما الفلق قال بيت في النار لو فتح بابه صاح جميع أهل النار من شدة
وعن السدي انه قال هو بئر في جهنم وأما الغاسق فهو الليل اذا اشتدت ظلمته ووقوب الليل
دخوله في الظلام هكذا روي عن قتادة وأصل الغسق الجريان بالضرر من قولهم غسقت العين اذا
جرى صديدها والغساق صديد أهل النار والغاسق كل هاجم بالضرر كائنا ما كان ويسمى
الليل بهذا الاسم لأن الليل يخرج فيه السباع من آجامها والهوام من مكامنها وذكر الزجاج ان الغاسق
البارد قال والليل أبرد من النهار ولذلك سمي بهذا الاسم وانما أضيف الشر الى الليل لان الانسان يحذر

في اوقات الليل من الشر ما لا يحذره في مثل ذلك من النهار وكان يقال ومن شر ما يكون في الغاسق
اذا وقب كما يقول القائل اعوذ بالله من شر هذا البلد اذا كثر فيه الظلم والفساد وعن علي رضي الله عنه
انه قال الغاسق الظلام ووقوبه دخوله على الخلق ويقال الغاسق سقوط الثريا لان الطواعين والاسقام
تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ويقال الغاسق ابليس لانه اختفى من العيون وعن عائشة انها قالت اراني
النبي صلى الله عليه وسلم القمر فقال تعوذي بالله من هذا فانه الغاسق اذا وقب اي اذا انكسف واسود واما
قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد فمعناه ومن شر السواحر ينفثن بسحرهن في عقد السحر وهن المهيجات
للمخدرات وذلك انهن اذا اردن الاضرار بانسان نفثن عليه ورقيته كلام فيه كفر وشرك وتعظيم
للكواكب واطعمنه شيئا من الادوية الضارة والسموم القاتلة بالاحتيال ثم يزعمن اذا ظهر الضرر عليه
ان ذلك من رقاهن واذا اردن نفع انسان نفثن عليه واحتلن ان يسقينه شيئا من الادوية ثم اذا اتفق للعليل
خفة الوجع اوهمن انه من اللواتي يعقدن من النفث والرقى والنفث هو ان ينفخ الانسان نفخا بعض ريقه
على من يعوذه يقال نفث ينفث وتفل يتفل بمعنى واحد ونفث كذا من فيه اذا القاه واسم ما يلقيه النفاثة
وانما امر الله تعالى بالاستعاذة من شر النفاثات لان من صدق بانهن ينفعن ويضررن كان ذلك
ضررا على المصدق به في الدين من حيث الاعتقاد ولا بد من الاستعاذة من شرهن فيما يحتلن من اسقاء السموم
والادوية الضارة ويقال في معنى هذه الآية ومن شر اللاتي يفتن في عزائم الرجال وذلك ان الرجل يعزم
على ما هو صواب فلا تزال المرأة تجادله وتنازعه حتى تزيله عما هو اصوب عنده والقول الاول اشهر
واظهر واما قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد فمعناه ان الحاسد يستعظم نعمة صاحبه ويريد زوالها
فيحمله ذلك على الظلم والبغي والاحتيال لكل ما يقدر عليه بان يزيل تلك النعمة عنه وقد دخل في هذه
السورة الاستعاذة من كل شر يحترز منه في الدنيا والدين لان الامر بالاستعاذة للتحرز عن المضار
البشرية التي تكون في الدنيا مما يبعث الرجل على الاجتهاد في التحرز مما هو اعظم ضررا عليه لا محالة
فيقعه ذلك في العاجل والآجل والحسد في اللغة تمني زوال النعمة عن صاحبها لما يدخل على النفس
المسعد بها وهذا معناه التلهف على وجود الله تعالى وهذا هو الحسد المذموم كما أنزل الله تعالى في
اليهود أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فأما إذا تمنى الإنسان لنفسه نعمة من الله تعالى
مثل نعمة صاحبه من غير أن يتمنى زوالها عنه فذلك يكون غبطة ولا يكون حسدا كما روي لا حسد
إلا في اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه غيره ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه في سبيل الله
تعالى وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بهذه الآية الاستعاذة من شر عين الحاسد واستدل على ذلك بما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عائشة ان تسترقي من العين الا ان ثابتا وبهذا الحديث انه قد
يعرض في كثير من الاوقات ضرر يقع بالمعين ولا يكون ذلك الا بفعل الله تعالى عند اعجاب الانسان
بما يراه لئلا يركن الناس الى الدنيا ولذلك يستحب للعاين عند اعجابه بما يراه ان يقول ما شاء الله لا قوة
الا بالله كما روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى شيئا يعجبه فقال الله الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره شيء وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العين حق
فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وروي ان العضباء ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تكن تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسابقها فسبقها فشق ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق على الله الا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه
وكان الحسن يقول ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقد اخذ منه الشاعر قوله
فقال اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله ● النار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله ●
واما الحديث الذي ذكره الكلبي ان هاتين السورتين انما نزلتا حين سحر النبي صلى الله عليه وسلم واخذ عن

عائشة رضي الله عنها فقد تكلم اهل العلم في ذلك فقال لا يجوز ان يكون للسحر هذا النوع من
القدرة لان المرض لا يكون الا من فعل الله تعالى ولو قدرت السحرة على مثل هذا من غير سبب متصل منهم
بالمسحور من سقي او دخن او نحو ذلك لقدرت على الاماتة والاحيا ولا يجوز ان يوصف غير الله تعالى بمثلها
فقد رغبه الا الله تعالى كيف وقد قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال جل ذكره وقال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا فانكر على الكفار مقالتهم هذه فدل ان هذا مما لا يجوز الا ان الذي يمكن
تصحيحه من هذا الحديث انه لا يمتنع انهن سحرن النبي صلى الله عليه وسلم بتلك العقد والنفث فيها وطرحن ذلك
البير على ما روي ولكن الله تعالى اطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى امر باستخراج سحرهن معصوما من الله
تعالى بذلك وكان ذلك من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم وبين للساحر قدرته على شي دون التخييل والتمويه
كما وصف الله تعالى السحر في قصة فرعون فقال في قصة فرعون يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فلهذا الا ان يعمل
الساحر عملا يتصل بالمسحور به فذلك حسن ما قال الله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
ومعنى الاذن هاهنا التخلية وذلك امتحان من الله تعالى يختبر به بعض الناس دون بعض وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اياكم وما خالط السحر من هذه الرقى واذا رقى احدكم فليقل اذهب الباس رب الناس
اشف انت الشافي لا شفا الا شفاؤك شفا لا يغادر سقما وفي هذا الخبر دليل ان الرقية المنهي عنها رقى
الجاهلية فاما الرقية بالقران وبذكر الله تعالى فجايزة مندوب اليها وعن زينب امراة عبد الله بن مسعود
انها قالت قال عبد الله بن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمايم شرك قالت فقلت
لم تقول هذا والله لقد كانت عيني تقذف فكنت اختلف الى فلان اليهودي يرقيني واذا رقاني سكنت
فقال عبد الله انما ذلك عمل الشيطان ينخسها بيده فاذا رقاها كف عنها انما كان يكفيك ان تقولي
كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي شفا لا يغادر
سقما ٥

سورة الناس مدنية ويقال مكية وهي سبع ايات

عند المكيين والشاميين وست عند الباقين ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس ٥ وذلك ان الله تعالى ذكر في السورة التي قبل هذه السورة ما يخافه الانسان
على نفسه من شر الدنيا وامر بالاستعاذة من ذلك كله ثم افرد هذه السورة لبيان ما يكون من الشياطين
من بث جنودهم في الادميين الى الفساد قصدا منهم الى افساد الدين عليهم بما يوسوسون اليهم
فامر جل ذكره بالاستعاذة من شرهم والمعنى قل لهم يا محمد امتنع واعتصم بخالق الخلق ومربيهم وسلطانهم
المعتمد عليهم المالك لنفعهم وضرهم وحياتهم وموتهم المستحق لعبادتهم اياه الذي اليه مفزعهم وملجاهم
من شر الشيطان ذي الوسواس المستتر المختفي عن اعين الناس الذي يصل بوسوسته الى صدور الناس
كما روي في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فتعوذوا بالله تعالى منه واما قوله تعالى
من الجنة والناس ففيه ثلاثة اقوال احدها ان ذلك كله عايد على الوسواس كانه قال من شر الوسواس
الذي هو من الجنة والوسواس الذي هو من الناس كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن وقال من شر كل مارد من الجن والانس ودليل هذا التاويل قوله تعالى في سورة
الفلق من شر ما خلق وسمي الوسواس الوسواس لان ذلك من عادته وشانه كما يقال فلان عادته الجود انه
الجود والسخا والكرم وكما يقال في صفات الله تعالى الغياث والرجا والعدل والوسوسة حديث
النفس وانما هو كالصوت الخفي يوقعه الشيطان في صماخ الانسان فيصل ذلك الى ما يقارب الصدر منه
وهو ضد الخاطر فان الخاطر دعا الى الخير يفعله الملك باذن الله والانسي قد يوسوس الانسي بان يدعوه
الى الفساد جهارا ويتخذ ذلك عادة فلا يكون ضرره دون ضرر الشيطان الذي هو من الجن قال الشاعر

لهلك

وكلب الانس ان فكرت فيه ٥ اضر عليك من كلب الكلاب ٥ لان الكلب بالاقراص تخسيه ٥
وكلب الانس يعلق بالثياب ٥ وقال في الخناس انه انما سمي بالخناس لانه اذا ذكرت الله تعالى خنس
واذا غفلت عنه وسوس والقول الثاني ان قوله من الجنة عايدا الى الشيطان ذي الوسواس وسمي
الجنة لاستتارهم عن ابصار الناس وقوله تعالى في اخر السورة والناس عطف على الشيطان ذي الوسواس
كانه قال من شر الوسواس ومن شر الناس والقول الثالث ان قوله تعالى من الجنة والناس كل ذلك
عايد على لفظ الناس المذكور في قوله في صدور الناس لان لفظ الناس يصلح للجن والانس كما يقال
مررت بناس من الجن وقد قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فجعلهم
رجالا والشيطان يوسوس في صدر الجني المومن كما يوسوس في صدر الانسي ودليل هذا القول ان قوله
تعالى برب الناس في اول هذه السورة اريد به رب الانس والجن جميعا وعن عقبة بن عامر الجهني انه قال
بينا انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابوا اذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتعوذ بسورة الفلق وسورة الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما
قال وسمعته يومنا بهما في الصلوة وعنه عليه السلام انه قال قال لي جبريل عليه السلام الا اخبرك
بافضل ما يتعوذ به قلت ما هو قال المعوذتين وروي ما تعوذ متعوذ بمثل المعوذتين وسميت السورتان
معوذتين باسم الفاعل لانهما اللتان يعوذان قاريهما من عوذه كما قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم والربح
صاحب التجارة دون التجارة وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الفلق
وسورة الناس اعطاه الله تعالى من الاجر كانما قرا جميع الكتب التي انزلها الله تعالى على الانبيا ومحمد صلى الله
عليه وعليهم اجمعين وبالله التوفيق وقد انتهى الفراغ من هذا الكتاب بعون الله ومنه في شهر الله الاصم
رجب عظم الله حرمته من شهور سنة سبع وثمانين واربع مايه والحمد لله وحده حق حمده والصلوة على رسوله
محمد واله والسلام ونسال الله الكريم البار الرحيم ان يبارك لنا ولاخواننا في حفظ ما اوردناه والعمل
عليه وينفعهم الله سبحانه به طلبا لمرضاته وتقربا اليه فانه قريب مجيب للداعين وانه يقول وقوله الحق
[illegible] وانما اسانيد ما رويناه في هذا الكتاب فالذي
[illegible] من تفسير محمد بن السايب الكلبي فهو ما اخبرنا به الشيخ الامام ركن الاسلام قاضي القضاة
[illegible]
[illegible]

والذي املیناه من تفسیر الفقیه الامام ابی اللیث نصر بن محمد بن ابرهیم السمرقندی رحمة الله علیه فهو ما
اخبرني به الشيخ الامام جمال الاسلام قاضي القضاة ابو القسم والدی رحمه الله ورضي عنه وارضاه
قال اخبرني بذلك ابو حاتم عمر بن عبد الرحمن البرانجي وقراته انا على الشيخ الفقيه ابی علی الحسین بن
سلیمن رضی الله عنه قال واخبرنا الشيخ الفاضل عبد العزيز بن ابی نصر الزیزکی قالا جمیعا اخبرنا
الشيخ الفقيه ابو الليث امام بلخ رحمه الله والذی املیناه من كتاب احكام القران عن الشيخ ابی بكر
الجصاص فهو ما اخبرنا به ابونا وعمنا رحمة الله عليهما اجازة قالا اخبرنا بذلك الشيخ ابو الفتح نصر بن عبد
بن ابی نصر المستغفري الاسترشتی قال اخبرنا الشيخ ابو سعيد احمد بن محمد الخوارزمی قال اخبرنا الشيخ
ابو بكر رحمه الله ٥ والذي اوردناه من تفسير مقاتل بن سليمن البلخي والضحاك بن مزاحم الهلالي ومجاهد وقتادة
بن دعامة والحسن بن ابی الحسن البصری ومحمد بن علي الحكيم الترمذي ومحمد بن جرير الطبري والشيخ ابی منصور
الماتريدي ومن كتاب احكام القران عن ابی جعفر الطحاوي رحمة الله عليهم وبيض وجوههم وكل
ذلك مما اجاز لي الشيخ الامام المفسر ابو نصر محمد بن احمد بن شبيب رحمه الله وكتب لي بخطه اسناد كل
واحد من هذه التفاسير واحدا بعد واحد الى اخر ما كتبته كما سمعه قدس الله روحه وهو الذي اخبرنا بما
رويناه عن ابي بن كعب في اواخر السور في فضائلها قال حدثنا بذلك الشيخ المفسر الكبير ابو بكر
محمد بن الفضل رحمه الله قال حدثنا ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن حامد الكشاباذي وابو الحسين
احمد بن حمدان بن يوسف البحيري قالا حدثنا ابو سهل معمر بن محمد بن معمر العوفي قال حدثنا عصام
بن يوسف امام بلخ عن سلام بن سليم بن مخلد بن عبد الواحد بن الخليل عن علي بن زيد عن عطا بن ابی
ميمونة عن زر بن حبيش قال قال ابي بن كعب قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي ان جبريل
عليه السلام امرني ان اقرا عليك القران وهو يقريك السلام فقلت يا رسول الله كما كانت لي منك خاصية
القران فخصني بثواب القران مما علمك الله واطلعك عليه قال نعم يا ابي ايما مسلم قرا فاتحة الكتاب
ثم ذكر الحديث الى اخر ما ذكرناه من فضائل السور الى اخر القران ٥ والحمد لله رب العالمين والصلوة على
سيد المرسلين وامام المهتدين محمد واله الطاهرين ٥

هذا اخر تفسير القران العظيم لمولانا محمد الحسيني الحكيم

تم الكتاب المبارك بحمد الله ومنه وكرمه
وكان الفراغ منه يوم الاربعا ثامن عشر
من شهر جمادي الاخر احد شهور سنة
ست وثلثين وتسعمائة من الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلوة
والسلام تمت ٥

وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ٥ ٥